الفوز الكبير

في

أصول التفسير

وضعه بالفارسية

الإمام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي المعروف بالشاه ولي الله رحمه الله

التعريب والتحشية

الشيخ المفتي سعيد أحمد البالنبوري رحمه الله

[رئيس هيئة التدريس وشيخ الحديث بدار العلوم ديوبند سابقا]

مع تعليقات نافعة وزيادات ماتعة المسمَّاة بـ:

نصر القدير على الفوز الكبير

لأبي القاسم محمد إلياس بن عبد الله الهمتنغري الغجراتي

[خادم الحديث النبوي بمدرسة دعوة الإيمان مانيكفور ركولي]

إعادة النظر والتصحيح

المفتي أبو بكر بن مصطفى الفطني

أستاذ علوم القرآن والحديث بالجامعة تعليم الدين ڈابھیل

الشيخ أحمد التنكاروي الفلاحي

أستاذ علوم القرآن والحديث بدار العلوم فلاح دارين تركيسر

إدارة الصديق ڈابھیل گجرات

الفَوزُ الكَبيرُ

في أصُولِ التَّفْسِير

وَضَعَه بِالفَارسيَّة

الإمام أحمدُ بن عبدِالرحيم الدِّهْلَويّ المعروف بـ: الشاه وليُّ الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ

التعريب والتحشية

الشيخ المُفتي سعيد أحمد البالَنبُوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ

[رئيس هيئة التدريس وشيخ الحديث بدار العلوم ديوبند سابقاً]

مَع تَعلِيقَاتٍ نَافِعَةٍ و زِيَادَاتٍ مَاتِعَةٍ المُسمَّاة بـ:

نَصْرُ القَدِير علىٰ الفَوز الكَبيرِ

أبو القاسم محمَّد إلياس بن عبدالله الهِمَّتنَغري الغجراتي

[خادم الحديث النبويّ بمدرسة دعوة الإيمان مانيكفور نكولي]

إعادة النظر والتصحيح

المفتي أبو بكر بن مصطفىٰ الفطني

أستاذ علوم القرآن والحديث بالجامعة تعليم الدين دابيل

الشيخ أحمد التنكاروي الفلاحي

أستاذ علوم القرآن والحديث بدار العلوم فلاح دارين تركيسر

النشر والتوزيع

إدارة الصديق دابيل، غجرات

اسم الكتاب:.................................الفوزُ الكَبيرُ في أصُولِ التَّفسِير

التأليف: الشَّيخ المُحدِّث أحمَد بن عَبد الرَّحِيم المعروف بـ: الشَّاه وَليُّ الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ

التعريب والتحشية:.................. الشيخ المُفتِي سَعيد أحمَد البَالَنبُورِي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

تحقيق وتعليق:...................... أبُو القَاسِم محمَّد إليَاس بن عَبد الله الغُجرَاتي

النشر والتوزيع:.............................. إدَارَةُ الصِّدِّيق دَابيل، غُجرَات

٠٠٩١ ٩٩١٣٣١٩١٩٠ /٩٩٠٤٨٨٦١٨٨

يطلب من:

١)المَكتبة الاتّحاد ديوبند، الهند. ٩٨٩٧٢٩٦٩٨٥

٢)المكتبة أبي هريرة كهرود، غجرات، الهند. ٩٩٢٥٦٥٢٤٩٩

بسم الله الرحمٰن الرحيم

تقريظ

الأديب اللبيب الشيخ نور عالم خليل الأميني متّعنا اللهُ بطول بقائه

(أستاذ اللُّغة العربية وآدابها بدار العلوم ديوبند، الهند)

لَقَد تَصَفَّحْتُ بعضَ الصفحات ممَّا قام به [في كتاب "الفوز الكبير في أصول التفسير" للإمام المحدث الفقيه مسند الهند، المتعمّق في أسرار الشريعة وحكم الأحكام الإسلامية الشاه ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١١١٤- ١١٧٦هـ = ١٧٠٣- ١٧٦٢م) الذي كان أصلا باللغة الفارسية، فنقل إلى العربية فضيلة الشيخ المُحدث سعيد أحمد البالنبوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ (١٣٦٠- ١٤٤١هـ = ١٩٤٠- ٢٠٢٠م) رئيس هيئة التدريس وشيخ الحديث سابقا بالجامعة الإسلامية دار العلوم / ديوبند بالهند، ووضع هَوَامِشَه القَيِّمَة] الأخ الفاضل الشيخ محمد إلياس الغجراتي - وفقه الله للمزيد من الأعمال العلمية- من مزيد التحشية والتحقيق؛ وإضافة العناوين الفرعيّة الهامّة خلال متن الكتاب؛ وشرح ما غمُض وصعب من نصّ المتن؛ وإضافة مزيد الأمثلة في معرض بيان قاعدة من القواعد أو ذكر فائدة من الفوائد؛ وإضافة قواعد التفسير من بعض كتب التفسير؛ وتشكيل الكلمات الصَّعبة أو المُحْتَمِلَة للالتباس؛ وكتابة النصّ حسب القواعد الإملائية المُتَّبَعَة.

فوجدتُه نافعًا لطلّاب علوم الدين ولمن يَتَصَدّىٰ للاستفادة منه من العلماء والمدرِّسين، فأدعوا الله تعالىٰ أن يُضْفِيَ عليه مسحةَ القبول، ويجعلَه ذخرًا ليوم الدين للمؤلف الإمام الدهلوي ولمُعَرِّبه الشيخ الفقيد سعيد أحمد البالنبوري

(الذي لو كان حيًّا، واطّلع علىٰ عمل الشيخ محمَّد إلياس في هٰذا الكتاب، لسُرَّ بالغًا) وللشيخ محمد إلياس الغجراتي الذي حَاوَلَ بجهده المَشكور أن يجعلَ الكتابَ أنفعَ من ذي قبلُ.

وصلّى الله وسلَّم علىٰ سيّدنا محمد خاتم النبيين وعلىٰ آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين.

نور عالَم خليل الأميني

أستاذ اللغة العربية وآدابها

بدار العلوم ديوبند، الهند

تحريراً في الثلاثاء

٢٢/ ذو القعدة ١٤٤١هـ

المُوافق ١٤/ يوليو ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمٰن الرحيم

ترجَمَة الإمَام المصنِّف فِيْ سُطور

هوَ: أَبُو عَبدِ العَزِيْز قُطْب الدِّين وَلِيُّ الله أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيْم الفَارُوْقِي الدِّهْلَوي، الهِنْدِي، وُلِدَ فِيْ عَهْدِ المَلِك عَالَمْكِير رَحِمَهُ اللَّهُ سَنة: ١١١٤هـ وتُوُفِّي إلىٰ رَحمَة الله فِيْ المُحرَّم سنَة: ١١٧٦هـ بِمَدِيْنة دِهْلي.

كانَ رَحِمَه اللهُ مِنْ عَبَاقِرَة الهِنْد، ومِمَّن يُشَار إِلَيْهِمْ بالبَنَان.

العَالِمُ الفَاضِلُ النِّحْرِيْرُ أَفْضَلُ مَن * بَثَّ العُلُوْمَ فأَرْوَى كلَّ ظَمْآنِ

أَحْيَا اللهُ بهِ وبِأَوْلادِه وبِتَلامِيذِه، ثمَّ بتَلامِيْذِهم الحَدِيْثَ والسُّنَّةَ بالهِنْد، وعَلىٰ كتُبِه وأَسَانِيْده المَدَارُ فِي الدِّيَار الهِنديَّة، فمَثَلُه كمَثَل شَجَرةِ طُوْبىٰ، أَصْلُها فِيْ بَيْتِه وفَرْعُها فِيْ كلِّ بَيْتٍ مِنْ بُيُوْت المُسْلِمِيْن.

وقَدْ صَنَّف الإمام ولي الله -رَحِمَهُ الله- فِيْ العُلُوْم كلِّها، لاسِيَّما فِيْ الحَدِيْث والتَّفْسِيْر وأُصُوْلِهِمَا، وتَصَانِيْفُه تَشْهَد بِعُلوِّ كَعْبِه وتَبَحُّرِهِ وغَزَارةِ عِلْمِه وسَعَةِ نَظَرِه فِيْ العُلُوْم الشَّرعيَّة عَنْ آخِرِها؛ ولنَذْكرْ هُنَا بَعْضَها.

١- تَرْجَمَ الفُرْقَان الحَمِيْد إِلَى اللُّغَة الفَارِسِيَّة عَلىٰ شَاكِلَة النَّظْم العَرَبِيِّ فِيْ: قَدْرِ الكَلام، وخُصُوْص اللَّفْظ وعُمُوْمِه؛ أَسْمَاهَا بِـ "فَتْحُ الرَّحْمٰن".

٢- الفَوزُ الكَبِيْر فِيْ أُصُوْلِ التَّفْسِيْر بالفَارِسِيَّة، وهٰذَا الكِتَابُ تَعْرِيْبُه.

٣- المُسَوّٰى شَرْحُ المُوَطَّأ (بالعَرَبِيَّة).

٤- المُصَفّٰى شَرْحُ المُوَطَّأ (بالفارِسية).

٥- الإِرْشَاد إِلىٰ مُهِمَّات عِلْمِ الإسْنَاد.

٦- حُجَّة اللهِ البَالِغة فِيْ: أُصُوْل الدِّين، وعِلْمِ أَسْرَار الشَّرِيْعَة؛ وَهُوَ كتَابٌ فَرِيْد فِيْ بَابِه، لَمْ يَسْبقه مِثْلُه، ولَمْ يُنْسَجْ عَلىٰ مِنْوَاله بَعْدَه.

٧- عِقْدُ الجِيْدِ فِيْ أَحْكَامِ الاجْتِهَاد والتَّقْلِيْد.

٨- الإِنْصَافُ فِيْ بَيَان سَبَبِ الاخْتِلاف.

٩- المُقَدَّمَة السَّنِيَّة فِيْ انْتِصَار الفِرْقَة السُّنِّيَّة.

١٠- إِزَالَةُ الخَفَاء عَنْ خِلافَة الخُلَفَاء، وَهُوَ كِتَابٌ مَاتِع عَدِيْمُ النَّظِيْر فِيْ بَابِه.

١١- قُرَّة العَيْنَيْن فِيْ تَفْضِيْل الشَّيْخَيْن.

١٢- التَّفْهِيْمَات الإِلٰهِيَّة؛

وغَيْرُ ذٰلِكَ مِنَ الكُتُب المُفِيْدَة الَّتِيْ بَلَغ عَدَدُها خَمْسِين كِتَابًا.

وَكَانَ رَحِمَه اللهُ عَلىٰ مَذْهَب أَبِيْ حَنِيْفة -رَحِمَهُ اللَّهُ- لا يَخْرُج فِيْ العَمَل عَنْه قِيْدَ شِبْرٍ، وَأَمَّا فِيْ الدَّرْس وَالتَّصْنِيْف فَكَانَ طَلْقًا حُرَّ البَحْث، كَمَا كَتَبَ هُوَ بنَفسِه فِيْ آخِرِ نُسْخَةِ صَحِيْح البُخَارِي -المَحْفُوْظَةِ بمَكْتَبَة خُدَا بَخْش بِعَظِيْمْ آبَاد، بَتْنَه-، ونَصُّه:

"كَتَبَه بِيَدِه الفَقِيْر إِلىٰ رَحْمَة اللهِ الكَرِيْم الوَدُوْد: وَلِيُّ اللهِ أَحْمَدُ بنُ عَبدِ الرَّحيم بنِ وَجِيه الدِّين بنِ مُعظَّم بنِ مَنصُوْر بْنِ أَحمَدَ بْنِ مَحْمُوْد -عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْهُمْ، وَأَلحقَه وَإِيَّاهُمْ بأَسْلافِهِم الصَّالِحِيْن-؛ العُمَرِيُّ: نَسَبًا، الدِّهْلَوِيُّ: وَطَنًا، الأَشْعَرِيُّ: عَقِيْدَةً، الصُّوْفِيُّ: طَرِيْقَةً، الحَنَفِيُّ: عَمَلًا، والحَنَفِيُّ الشَّافِعِيُّ: تَدْرِيْسًا؛ خَادِم التَّفْسِيْر وَالحَدِيْث وَالفِقْه وَالعَرَبِيَّة وَالكَلام؛ ولَهُ فِيْ كُلِّ ذٰلِكَ تَصَانِيْفُ.

وَالحَمْد للهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وظَاهِرًا وبَاطِنًا، ذِيْ الجَلال وَالإِكْرَام؛ وَكَانَ ذٰلِكَ يَوْمَ الثُّلَاثَاء لثَالِثٍ وعِشرِيْن مِنْ شَوَّال سَنَة ١١٥٩هـ".

وَلِكَونِه حَنَفِيًّا- غَيرَ مَا ذُكِرَ- قَرَائِنُ عَدِيْدَةٌ مُصرَّحَةٌ مُسْتَنْبَطةٌ مِن كتُبِه، لَيْسَ هٰذَا مَحَلُّ بَيَانِها.

مُقَدِّمَة المُعَرِّب

عِلْم التَّفْسِيْر

التَّفْسِيْر لُغَةً: الإِيْضَاح وَالتَّبْيِيْن، وَاصْطِلاحًا: عِلْمٌ يُبْحَثُ فِيْه عَنِ القُرْآن المَجِيْد مِنْ حَيْث دَلالَتُه عَلىٰ مُرَاد اللهِ تَعَالىٰ بقَدَر الطَّاقَة البَشَرِيَّة.

فَخَرَج عِلْم القِرَاءَات، فَإِنَّه عِلْم: يُبْحَث فِيْه عَنْ أَحْوَال القُرْآن الكَرِيْم مِنْ حَيْث ضَبْط أَلْفَاظِه، وَكَيْفِيَّة أَدَائِها؛ وقَوْلُنَا: "بقَدَرِ الطَّاقَةِ البَشَرِيَّة" لِبَيَان أَنَّهُ لايَقْدَحُ فِيْ العِلْم بِالتَّفْسِيْر عَدَمُ العِلْم بمَعَانِيْ المُتَشَابِهَات، وَلاَ عَدَمُ العِلْم بمُرَادِ اللهِ تَعَالىٰ فِيْ الوَاقِع ونَفْسِ الأَمْر.

وَمَوْضُوْعُه: كَلامُ اللهِ تَعَالىٰ مِنْ حَيْث دَلالَتُه عَلىٰ مُرَاد اللهِ تَعَالىٰ.

وغَرَضُه: الاهْتِدَاء بهِدَايَة اللهِ تَعَالىٰ، وَالتَّمَسُّك بِالعُرْوَة الوُثْقىٰ، وَالوُصُوْلُ إِلَى السَّعَادَة الأَبَدِيَّة.

وَفَضَائِلُه: كَثِيْرةٌ، مِنْهَا:

١- تَكَفَّلَ اللهُ تَعَالىٰ بنَفْسِه بِبَيَان كَلامِه الشَّرِيْف، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ [القيامة] فَاللهُ تَعَالىٰ هُوَ المُفَسِّر الأَوَّل لِكَلامِه القَدِيْم، وَكَفىٰ بِهِ فَضِيْلَةً!

٢- جُعِلَ تَفْسِيْر القُرْآن الكَرِيْم وَظِيْفَةَ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ٤٤﴾ [النحل]؛ فبَيَّنَه ﷺ بقَوْله وفِعْلِه؛ فَهُوَ المُفَسِّر الثَّانِيْ لِكِتَاب اللهِ المَثَانِي، وَكَفىٰ بهِ قُدْوَةً!

٣- دَعَا النَّبِيُّ ﷺ لابْنِ عَمِّه عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- فقَالَ: "اللّٰهُمَّ عَلِّمْه الكِتَاب". [رواه البخاري]، وفِيْ رِوَايَة: "اللّٰهُمَّ عَلِّمْهُ التَّأْوِيْل". [رواه الحاكم]؛

وشَهِد بِلَبَاقَتِه وعَبْقَرِيَّتِه عَبْدُ اللهِ بنُ مَسْعُوْد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حَيْثُ قَالَ: "نِعْمَ تُرْجُمَانُ القُرْآن: ابنُ عَبَّاس!" [رواه الحاكم]، فهَلْ فَوْقَ ذٰلِكَ مِن فَخْر!

٤- وَجُعِلَ خَيْرُ النَّاسِ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآن وَعَلَّمَه النَّاسَ، وهٰذَا عَامٌّ لأَلْفَاظ القُرْآن ومَعَانِيْه؛ بَلْ هُوَ أَوْلىٰ، ونَاهِيْك بِهِ مِنْ عُلْيَاء!

التَّفْسِيْر وَالتَّأوِيْل: هُمَا بمَعْنى وَاحِد عِنْد المُتقَدِّمِين، وأَمَّا عِنْد المُتأَخِّرِيْن، فَقَالَ الإمَام أَبُوْ مَنْصُوْر المَاتُرِيْدِي: التَّفْسِيْر: القَطْعُ بأَنَّ المُرَاد مِن اللَّفْظ هٰذا، والشَّهَادَة عَلَى اللهِ: أنَّه عَنى بِاللَّفْظ هٰذا؛ فَإِنْ قَامَ دَلِيْلٌ مَقْطُوْع بِهِ فَصَحِيْحٌ، وَإِلَّا فتَفْسِيْر بِالرَّأْي، وَهُوَ المَنْهِيُّ عَنْه؛ وَالتَّأْوِيْل: تَرْجِيْح أَحَدِ المُحْتَمَلات بِدُوْن القَطْع والشَّهادَة عَلى اللهِ. (راجع الإتقان، النوع: ٧٧)

وَالتَّفْسِيْر بِالرَّأي: هُوَ التَّفْسِيْر بِالهَوَى، وَالتَّفْسِيْر مِنْ عِنْد نَفْسِه بحَيْث يُوْجِب تَغْيِيْرًا لمَسْأَلَةٍ إجْمَاعِيَّة قَطْعِيَّة، أَو تَبْدِيْلا فِيْ عَقِيْدَة السَّلَف المُجْمَع عَلَيْهَا؛ وأَمَّا التَّفْسِيْر بِالدَّلِيْل وَالقَرِيْنَة فَهُوَ تَفْسِيْر صَحِيْحٌ مُعْتَبَرٌ فِيْ الشَّرْع؛ ومَنْ يُطَالِع كُتُبَ التَّفْسِيْر يجِدُهَا مَشْحُوْنة بمِثْل هٰذِهِ التَّفاسِيْر، فَلا ضَيْر فِيْهَا.

الشيخ المُفتي سعيد أحمد البالنبوري رَحِمَهُ اللهُ

رئيسُ هَيئَة التَّدريسِ وشيخ الحَديث

بدارِالعلُوم ديوبند سَابِقاً

التَّصْدِيْر

الحَمْدُ للهِ الَّذِيْ وَفَّق مَنْ شَاء لِمَا شَاءَ ومَتَى شَاءَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ سَيِّد المُرْسَلِيْن وَعَلىٰ آلِه وَصَحْبِه أَجْمَعِيْن.

وَبَعْدُ، فَإِنَّ الغَايَة القُصْوَى هُوَ الفَوْز فِيْ الآخِرَة وَالأُوْلىٰ، وَلايُمْكِن نَيل الدَّرَجَات العُلىٰ بغَيْر التَّمَسُّكِ بِشَرِيْعَتِه العُلْيَا، وجَعَلَ اللهُ كِتَابَه مَدَارًا لنَيْل السَّعَادَة الكُبْرَى؛ فَعُلِم مِنْه: أَنَّ أَفْضَل مَا اشْتَغَل بِهِ المُشْتَغِلُوْن مِنَ العُلُوْم هُوَ عِلْمُ كِتَابِ اللهِ المَجِيْد، إِذْ فِيْه مِنَ العُلُوْم مَا تَفْنَى فِيْ تَدْوِيْنِهَا الأَقْلامُ، وَانْكَبَّ عَلىٰ قِرَاءَتِهِ وَتَدَبُّرِهِ وتَفْسِيْرِهِ وَاسْتِنْبَاطِهِ الأَحْلامُ.

ثُمَّ اعْلَمْ! أَنَّ أُصُوْل التَّفْسِيْر: مَجْمُوْعَة مِنَ الفَوَائِد وَالأُصُوْل الَّتِيْ تُبَيِّنُ للمُفَسِّر طُرُقًا صَحيْحَةً لتَفسِيْر القُرْآن الكرِيْم، وتَضَعُ القَوَاعِد والأُصُوْل لِيَسِيْر المُفَسِّر عَلَى السَّبِيْل الأَقْوَم فِي أَثْنَاء تَفْسِيْره، وَتُرْشِده إِلىٰ طُرُقِ التَّرْجِيح بَيْن الأَقْوَال المُخْتَلِفَة لِلْمُفَسِّرِيْن بِحَسَب الْقَوَاعد التَّرْجِيْحِيَّة، وَتُعِيْن عَلىٰ الفَهْم الصَحِيْح حَتّٰى يَبنِيَ المسْلِمُ عقِيْدتَه عَلىٰ قاعِدَة صحِيْحَة ثابِتَة؛ وَتُبَيِّن طُرُقَ الاسْتِخْرَاج وَالاسْتِنْبَاط لِأَسْرَار هٰذَا الكِتَاب الحَكِيْم بحَسَب الطَّاقَة البَشَرِيَّة.

والكُتُب المُصَنَّفَة فِي هٰذَا الفَنّ عَلىٰ نَوعَيْن: نَوْع يذْكرُ فِيْه طُرُق التَّفسِيْر سَرْدًا مُتضَمِّنا عَلى أُصُوْل التَّفسِيْر مِنْ غَيْر تصْرِيْح للقَوَاعِد؛ وَنوْعٌ يُذْكر فِيْه قَوَاعِد التَّفسِيْر.

وَمِنَ المَعْلُوْم: أَنَّ الإِمَام الشَّاهَ وَلِيَّ اللهِ المُحَدِّث الدِّهْلَوِيَّ لَمَّا كَانَ مُتبَحِّرًا فِيْ أُصُوْل العُلُوْم العَرَبِيَّة وفُرُوْعِها؛ بلْ لَهُ اليَدُ الطُوْلىٰ فِيْ كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُوْن العَرَبِيَّة؛ اكْتَفىٰ فِيْ هٰذَا الكِتَاب بِذِكْر المُهِمَّات والفَوَائِد الغَالِيَة فَحَسْب فِي كُلِّ بَابٍ، ولَمْ يَذْكُر فِيْ كُلِّ بَابٍ مَا اشْتُهِرَ فِيْه مِمَّا يَتعَلّق بِهٰذَا الفَنّ؛ وَقَدْ صَرَّح بِهِ فِيْ المُقَدِّمَة حَيْثُ قَالَ:

لَمَّا فَتَحَ الله تَعَالىٰ عَلَيَّ بَابا مِنْ فَهْم كِتَابه المَجِيْد، خَطَرَ بِبَالِي أَنْ: أَجْمَع وَأُقَيِّدَ

"بَعْضَ النِّكَات النَّافِعَة" الَّتِيْ تَنْفَعُ الأَصْحَاب فِيْ رِسَالَة مُخْتَصَرَة.

وَقَالَ أَيْضًا: وَالْمَرْجُوُّ مِنْ لُطْف الله -الَّذِيْ لا اِنْتِهَاء لَهُ-: أَنْ يَّفْتَح لِطَلَبَة العِلْم بِمُجَرَّد فَهْم "هٰذِه القَوَاعِد" شَارِعا وَاسِعا فِيْ فَهْم مَعَانِي كِتَاب الله بِحَيْث لَوْ صَرَفُوْا عُمُرَهُمْ فِيْ مُطَالَعَة التَّفَاسِيْر، وَالْقِرَاءَةِ عَلَى المُفَسِّرِيْن -عَلىٰ أَنَّهُمْ أَقَلّ قَلِيْلٍ فِيْ هٰذَا الزَّمَان- لَمْ تَتَحَصَّل لَهُمْ هٰذِهِ الْفَوَائِد بِهٰذَا الضَّبْط وَالرَّبْط. انتهىٰ.

هٰذَا وَيَنبَغِي أَنْ نَلْفِت اِنتِبَاهَ القُرَّاءِ إِلىٰ أمرٍ مُهِمٍّ جِدًّا، وَهوَ أَنَّ لِلمُؤَلِّف رَحِمَهُ اللهُ ذَوْقاً فَرِيدًا وَأَسلُوبًا خَاصًّا فِي تَأْلِيفِ هٰذَا الْكِتَابِ؛ وَعلىٰ سَبِيلِ المِثَالِ: أَنَّه رَحِمَهُ الله انْتقَل مِنْ بَحْث "التَّعرِيْض" المُتعَلِّق بعِلْم البَلاغَة إِلىٰ بَيَانِ سَبَب عَامٍّ لِنزوْل القُرْآن، فَكَأَنَّه جَعَل الأَسْبَاب العَامَّة للنُّزُوْل مِنْ قَبيْل التَّعرِيْض، وَلَمْ يَتعرَّض لِبيَان قِسْمَي النُّزوْل مِنَ السَّبَب العَامّ وَالخَاصّ؛ وَمِنْهَا أَنَّه اكْتفىٰ فِيْ بَابِ الإِطْنَاب بِالعَطْف علىٰ ذِكْر "العَطْف التَّفْسِيْري"، وَهٰذَا مِمَّا لا يَخْطُر بِالبَالِ إِلَّا لِمَنْ لَهُ ذِهْنٌ ثَاقِبٌ وعِلْم رَاسِخ؛ وَهٰذَا شَأنُه فِيْ أَكثَرِ مَضَامِيْنِه، فلِذَا أَشْكَل عَلَى المُبْتَدِئِيْن أَخْذُهَا وَعَلى المُنْتَهِيْن ضَبْطُها.

وَرَغمَ أَنَّ الكِتابَ كَانَ مُشتَمِلًا عَلىٰ مُلَاحَظَاتٍ قَيِّمَةٍ وَفَوَائِدَ نَّافِعَةٍ قَامتِ الحَوْزَات العِلمِيّة بِدَرْسه وَتَدرِيسِه؛ بَلْ لَا تَكَادُ تُوْجَدُ جَامِعَة مِن الجَامِعَات الإِسْلامِيَّة فِي الهِنْد وَمَا حَولهَا تَخلُو مِنَ الاشْتغَال بِه بِسَبَب وُفُوْر فَائدَته مَعَ صِغر جِسْمه؛ فَأَشَارَ عَلَيَّ مَنْ إِشَارَتُه حُكْمٌ بِأَنْ أُعَلِّقَ عَلَيْه بِتَعْلِيْقَاتٍ فَنِّيَّة مَعَ تَصْرِيْح قَوَاعِدَ سَنِيَّة تَحُلُّ رُمُوْزَه وتُظْهِرُ مَكْنُوْنَاتِه -وَهٰذَا بِمَحْضِ حُسْنِ ظَنِّهِمْ بِيْ- فَأَجَبْتُ قَوْلَهُمْ مَعَ أَنِّيْ مِصْدَاقُ قَوْلِ القَائِل:

أُحِبُّ الصَّالِحِيْنَ وَلَسْتُ مِنْهُمْ! لَعَلَّ الله يَرْزُقُنِيْ صَلاَحًا

وَأَيْضًا قَدْ صَرَّحْتُ بِالقَاعِدَة الَّتِيْ أَشَارَ إِلَيْها الإِمَام، أَو الْقَاعِدَةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَضْمُوْنِه مِنَ القَوَاعِد الَّتِيْ نَظَمَهَا الشَّيْخ خَالِد بْنُ عُثْمَان السَّبْت، وزَيَّنَها بتَفْصِيْل

بَسِيْط وتَوْضِيْح أَنِيْق -فجزاه اللهُ عَنَّا وَعَنْ جَمِيْعِ المُسْتَفِيدِيْن أَحْسَن الجَزَاء-؛ وَرَقَمْت الْقَوَاعِدَ حَسبَ التَّرقِيمِ الَّذِي قُمتُ بِهِ فِي كِتَابِي: "رَوْح القَدِيْر فِيْ أُصُوْل التَّفْسِيْر وقَوَاعِدِه"؛ فَمَنْ شَاءَ التَّفْصِيْل فَلْيُرَاجِع أَصْلَه مِنْ "قَوَاعِد التَّفْسِيْر" للشَّيْخ، ومَنْ شَاء خُلاصَته فِيْ أَوْرَاق فَليُراجِع كتَابَنا المَذْكوْر.

مَنْهَجُ عَمَلِنَا فِيْ الكتَاب

١- إِضَافَة العَنَاوِيْن المُمْتَازَة بَينَ المَعْكُوْفَتَينِ "[ ]" وَ بِـ"•" فِيْمَا يَتَعَلَّقُ بِهٰذَا الفَنّ وَفْق مَا يَذْكُرُهَا الأُصُوْلِيُّوْنَ.

٢- كِتَابَةُ النَّصِّ وَفْقَ قَوَاعِدِ الإِمْلَاء الرَّائِجَة، مَعَ وَضْعِ عَلَامَات التَّرْقِيْمِ عَلَيْه؛ لِيَتَّضِحَ الرَّبْطُ بَيْنَ الجُمَلِ وَأَجْزَائِهَا.

٣- تَشْكِيْلُ الْكَلِمَات الصَّعْبَةِ وَالْمُشْكِلَة أَوِ المُلْتَبِسَة؛ وَلَنِعْمَ مَا قِيْلَ: "إِنَّ إِعْجَامَ الْمَكْتُوْب يَمْنَعُ مِنَ اسْتِعْجَامِهِ، وَشَكْلُهُ يَمْنَعُ مِنْ إِشْكَالِهِ".

٤- تَشْكِيْلُ الْعِبَارَاتِ الَّتِيْ قَدَّرْتُ أَنْ يُخْطِئَ فِيهَا القَارِئُ.

٥- شَرْحُ الْعِبَارَاتِ الصَّعْبَةِ، وَإِيْضَاحُ الْعِبَارَاتِ الغَامِضَةِ، وَحَلُّ الْمَضَامِيْنِ الَّتِيْ لَايَنْحَلُّ فِيْهَا الْعُقَد.

٦- نَصُّ قَاعِدَةٍ مِنْ قَوَاعِد التَّفْسِيْر الَّتِيْ تَتَعَلَّق بِمَضَامِيْن الكِتَاب أَوْ أَشَارَ إِلَيْهَا المُصَنِّف فِيْ السِّيَاقِ مِنْ كِتَاب "قَوَاعِد التَّفْسِيْر".

٧- إِضَافَة الأَمْثِلَة فِيْ كُلّ قَاعِدَة أَوْ فَائِدَة لِتَسْهِيْل الاسْتِفَادَة.

٨- تَتْمِيْمُ الآيَاتِ الَّتِيْ ذَكَرَ المُصَنِّف فِيْ الكِتَاب جُزْءًا مِنْهَا.

٩- ذِكْر الآيَاتِ الَّتِيْ اكْتَفىٰ بِالإِشَارَة إِلَيْهَا فِيْ السِّيَاقِ.

١٠- تَمْيِيْزُ تَعْلِيْقَات الشَّيْخ سَعِيْد أَحْمَد البَالَنْبُوْرِي -قُدِّسَ سِرُّه- بِـ"المعرّب"؛ وَمَا أُحِيْل فِيْهَا مِنْ "رَوْحِ القَدِيْر" فَهُوَ كِتَابُنا المَطْبُوْعُ مِنْ "إِدَارَة الصِّدِّيْق دَابِيْل".

إيضَاحٌ: وَمَا زِدْنَا فِيْه مِنَ الفَوَائِد نَقْلًا عَنِ: "الفَوْزُ العَظِيْم" فَهُوَ تَعْرِيْب تِلْمِيْذِي المَوْلَوِي مُعِيْن الدِّيْن البَرُوْدَوِي.

وَأَخِيْرًا، قَدْ بَذَلْتُ جُهْدِيْ وَصَرَفْتُ هَمِّيْ -مَهْمَا قُدِّرَ لِيْ- فِيْ حَلِّ المُغْلَقَاتِ وَتَنْقِيْحِ المُعْضِلَات بِتَوْفِيْق الْعَزِيْز الْعَلَّام؛ وَعَلىٰ كُلِّ حَالٍ لَا أَدَّعِي كَمَالًا فِيْ عَمَلِيْ، وَلَا عِصْمَةً فِيْمَا دَوَّنْتُ مِنْ حَوَاشٍ وَتَعْلِيْقَاتٍ.

وَمَا نُرِيْد بهٰذِه التَّعْلِيْقَات إِلَّا زِيَادَةً فِيْ الحُبِّ وَالشُّغْل بِكِتَابِه -جَلَّ وَعَلا-، وَأَدَاءَ بَعْضِ الوَاجِب الَّذِيْ وَجَب عَلَيْنَا فِيْ حَقِّ الإِمَام المُصَنِّف الَّذِيْ مَا زَالَ يَتَمَتَّعُ العُلَمَاءُ مِنَ المُحَقِّقِيْن وَالمُدَقِّقِيْن بِعُلُوْمِه.

فَمَا كَانَ حَسَنًا فَمِنَ اللهِ وَفَضْلِه وَكَرَمِه بِبَرَكَةِ مُطَالَعَة كَلَام عِبَادِه المُخْلِصِيْن، لاسِيَّمَا كَلَام المُعَرِّب وَالشَّارِح لِهٰذَا الكِتَابِ الشَّيخ المُفْتِي سَعِيْد أَحْمَد البَالَنْبُوْرِي رَحِمَهُ اللَّهُ؛ ومَا كَانَ مِنْ نَقِيْصَة فَمِنْ نَفْسِيْ وَمِنَ الشَّيْطَان.

فَمنْ عَثَرَ عَلىٰ مَا يَجِبُ إِصْلَاحُهُ وَتَصْوِيْبُهُ فالرَّجَاءُ مِنهُ أَنْ يَّوَاصِلَ مَعِيْ عَلَى الرَّقْم الآتِيْ لِأَزِيْلَ النَّقْصَ إِنْ وُجِدَ، وَأُصَوِّبَ الخَطَأَ إِنْ وَقَعَ. (٠٠٩١٩٨٢٥٩١٤٧٥٨)

أَسْأَلُ اللهَ تَبَارَك وتَعَالىٰ أَنْ يَغفِرَ لِيْ وَلِوَالِدَيَّ، وَلِمَشَايِخِيْ ولِأَحْبَابِي وَلِأَهْلِيْ، وَلِجَمِيْع المُسْلِمِيْنَ وَالمُسْلِمَات الأَحْيَاء مِنْهُمْ وَالأَمْوَات؛ إِنَّهُ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعْوَات؛ فَهُوَ المُسْتَعَان وعَلَيْه التُّكْلَان. اللّٰهُمَّ تقبَّلها بقَبول حسَن؛ وأنبِتها نَباتا حسَنا.

حَرَّرَهُ أَخُوْكُمْ فِي اللهِ:

أبوالقَاسِم محمَّد إليَاس بن عَبْد الله الهِمَّتْنَغرِي الغُجراتي

المُدرس بمدرسة دعوة الإيمان مانيك فورتكولي، نوساري، غجرات، الهند

التَّقْدِمَة

مَبَادِئُ أُصُوْل التَّفْسِيْرِ وَمَا يَتَعَلَّق بِها

الأُصُوْل: جَمْع أَصْل، وَالأَصْل: هُوَ مَا لَا يفْتَقِر إِلىٰ غَيْره، وَيُبنىٰ عَلَيْه غَيْره.

والتَّفسِيْر: هوَ علْمٌ يُعرَف بِهِ كِتَاب اللهِ المنَزّل عَلىٰ نبِيِّه محمَّد، وبيَان مَعانِيْه واسْتِخْراج أحْكامِه ومَعْرِفَة حِكَمِه ومَرَاتِبِ حُجَجِه.

١- أُصُوْل التَّفسِيْر: هُوَ العِلْم الذِي يُتوَصَّل بهِ إلى الفَهْم الصَّحيْح للقُرْآن، ويَكشِف الطرُق المنْحَرِفة أوِ الضَّالَّة فِي تفْسِيْره.

أو: هيَ القَواعِد التِيْ يقُوْم علَيْها علْمُ التَّفسِيْر، وتَشمَل ما يَتعَلَّق بالمفَسِّر منْ شرُوْط وآداب، ومَا يتَعَلق بالتَّفسِيْر من قوَاعد وطُرُق ومنَاهِج، ومَا إلىٰ ذٰلك.

٢- مَوضُوْع أصُوْل التفْسِيْر: هوَ عِلْمُ التَّفْسِيْر منْ حَيْث: تَحْدِيْدُ قوَاعِدِه، وشُروْطِ تناوُلِه، وطُرقِه، ومَناهِجه ومَا إلىٰ ذٰلك.

٣- غرَضُه: ضَبْط التفْسِيْر بوضْع القَوَاعد الصَّحيْحَة، والطُرُقِ السَّليْمَة، والمنَاهِج السَّديْدة للتَّفْسِيْر، والشُّرُوطِ المُحْكَمة وَالآدَاب الفَرِيْدة للمُفَسِّر؛ وَغايَة هٰذَا العِلْم: مَعْرفةُ مَعَاني نَظْم القُرْآن الكَرِيْم، وَتَوْضِيْح آيَاته، وَكَشْف مَعانِيْهَا وَتَبْيِيْن أَحْكَامها وَحِكَمِهَا لِلتَّوَصُّل إلىٰ حَقِيْقَة كِتَاب الله الْعَزِيْز تَحْصِيْلا لِسَعَادَة الدُّنْيا وَالآخِرَة وَفوْزا بِهَا.

حُكْم تَعْليْم أصُوْل التَّفسِيْر: هٰذَا العِلْم مِنْ فرُوْض الكِفَايَات بِالإجْمَاع.

مَكانتُه: أصُوْل التَّفْسِيْر يُبْحَث بِهِ فِي عِلْم التَّفْسِيْر، ومَوْضُوْع عِلْم التَّفْسِيْر هُوَ القُرْآن الكرِيْم، وَهُوَ خَيْر الكَلام لأَنَّهُ كَلام الله؛ فَلا عَجَب أَنْ تَكُوْن أُصُوْل التَّفْسِيْر مِنْ أشْرَف العُلُوْم وأعْلاها مَكانَة وَأكْثَرِها فَضْلا.

فَوائِد عِلْم أُصُوْل التَّفْسِيْر

مِنْ أَهَمّ فَوَائِده: ١- مَعرِفة الطرُق الصَّحيْحَة لتَفسِيْر القُرْآن الكرِيْم، ومَا يُقْبَل مِنَ الأَقْوَال ومَا يُردّ؛ ومَعْرِفة منْ يَصْلُح تَلقِّي التَّفْسِيْر عَنْه، ومنْ لا يَصِحّ تَفْسِيْره للقرآن.

٢- مَعْرِفة القَوَاعد الَّتِي تُعِيْن عَلىٰ فَهْم كِتَاب الله فَهْما صَحِيْحا حَتىٰ يَبنِيَ المسْلِمُ عقِيْدتَه علىٰ قاعِدَة صحِيْحَة ثابِتَة.

٣- وَالتَّرجِيْح بَيْن أَقْوال المُفَسِّرِيْن إِذَا كَانَت الأَقْوَال مُخْتلِفَة فِي تَفْسِيْر الآيَة بِحَسَب الْقَوَاعد التَّرْجيْحِيَّة، وَكَذَا الحُكْم عَلىٰ أَقْوَالِهِم تَصوِيْبًا وَتَخْطِئَة.

٤- وإِذَا عَرفْنا مَعَاني القُرْآن مِنْ خِلَال قَوَاعِد التَّفسِيْر وَأُصُوْله تَمَكَّنَّا مِنْ اسْتِخْرَاج الأَحْكَام الشَّرعِيَّة.

٥- التزوّد بالثَّقافة العَالِيَة منَ المعَارِف القَيِّمة، والتَّسلُّح بسِلاح العِلْم والمعْرِفَة للدِّفَاع عنِ القُرْآن الكرِيْم ضِدّ الأَعْدَاء الذِيْن يَبْذُلوْن كُلَّ مَا فِيْ وسْعِهم لتَحْرِيْف مَعَاني القرْآن وَالإلْحَاد فِيْه.

شَرَائِط المُفَسِّر

مِنْ شَرَائِط الْمُفَسِّر: صِحَّة الْاعْتِقَاد، وَالتَّجَرُّد عَن الهَوٰى، وَالاجْتِنَاب مِنَ البِدْعَة وَالفِسْق؛ وَأَنْ لَا يُفَسِّر بِمجَرَّد الرَّأْي وَالعَقْل، وَأَنْ يُفَسِّر القُرْآن بِالقُرْآن عِنْد الإِجْمَال وَالاخْتِصَار، ثُمَّ التَّفسِيْر بِالسُّنَّة، ثُمَّ بِأَقْوَال الصَّحَابَة، ثُمَّ بِأَقْوَال التَّابِعِيْن؛ فَلا يَعْدِل عَنْ مَذَاهِب الصَّحَابَة وَالتَّابِعِيْن فِي التَّفْسِيْر.

وَمِنْهَا العِلْم بِاللُّغَة العَرَبِيَّة وَالنَّحْو وَالصَّرْف، وَعِلْم المَعَانِي وَالبَيَان وَالبَدِيْع، وَالعِلْم بِالأُصُوْل المُتَّصلَة بِالْقُرْآن -كَعِلْم التَّوْحِيْد، وَعلْم الفِقْه وَعلْم القِرَاءَات-؛ وَعلْم أُصُوْل التَّفسِيْر خَاصَّة مَعَ التَّعمّق، -كَمَعْرفَة أَسْبَاب النُّزُوْل،

وَالقِصَص، وَالنَّاسِخ وَالمَنْسُوْخ، وَنَحْو ذٰلِكَ-؛ وَعِلْم الأَحَادِيْث المُبَيِّنَة لِتَفسِيْر المُجْمَل وَالمُبْهَم.

آدَاب المُفَسِّر

مِنْ آدَاب المُفَسِّر: حُسْنُ النِّيَّة، وَصِحَّة المَقْصِد؛ التَّفَكُّر وَالتَّدَبُّر فِيْ مَعَانِي القُرْآن وَأَسْرَاره؛ وَأَنْ يَكُوْن حَسَن الخُلُق، مُؤَدَّبا بِالآدَاب الإِسْلَامِيَّة، مُهَذَّبا بِالأَخْلَاق الفَاضِلَة؛ وَالعَمَلُ وَالامْتِثَال، وَتَحَرِّي الصِّدْق وَالضَّبْط فِي النَّقْل وَالرِّوَايَة؛ وَالتَّوَاضُع، وَعِزَّة النَّفْس وَالجَهْر بِالْحَقِّ؛ وَحُسْن السَّمْت، وَالأَنَاة، وَتَقْدِيْم مَنْ هُوَ أَوْلىٰ مِنْه، وَحُسْن الإِعْدَاد.

وَأَنْ يَكُوْن مُصْغِيا إِلى كَلَام رَبِّه، مُلْقِيا السَّمْع وَهُو شَهِيْد القَلْب لِمَعَانِي القُرْآن، نَاظِرا إِلى قُدْرَته وَمُعَظِّمًا لَه، مُفْتَقِرًا إِلى التَّفَهُّم بِقَلْب سَلِيْم وَدُعَاء وَتَضَرُّع وَتَمَسْكُن، وَانْتِظَار لِلْفَتْح عَلَيْه مِنَ الفَتَّاح الْعَلِيْم.

طَرِيْقَة الأَدَاء

طَرِيْقَة الْأَدَاء: أَنْ يُبدَأ بِذِكْر سَبَب النُّزُوْل فِي مَوَاضِع التَّعْرِيْض، ثُمَّ يبْدَأ بِمَا يَتَعلَّق بالأَلْفَاظ المُفْرَدَة مِنَ اللُّغَة وَالصرْف والاشْتِقَاق، ثُمَّ يشْرَحُ التَّرَاكِيْب وَالْإِعْرَاب الَّذِيْ يَتَوَقَّفُ عَلَيْه تَحْدِيْد الْمَعْنى، ثُمَّ يبين وُجُوْه الْبَلاغَة؛ ثُمَّ يَأْتِيْ إِلى الْاسْتِنْبَاط وَالأَحْكَام. وَأَمَّا ذِكْر المُنَاسَبَة وَالرَّبْط بَيْن الآيَات فَذٰلِك حَسَب مَا يَقْتَضِيْه النَّظْم وَالسِّيَاق.

وَعَلَى المُفَسِّر أَنْ يَجْتَنِب مَا لايَصِحّ مِنْ: أَسْبَاب النُّزُوْل، وَأَحادِيْثِ فَضَائِل القُرْآن، والقِصَص المَوْضُوْعة، والأَخْبَار الإِسْرائِيْلِيَّة؛ فإِنَّ هٰذَا مِمَّا يذهَبُ بِجَمَال القُرْآن، ويَشْغَل النَّاسَ عنِ التَّدَبُّر والاعْتِبَار.

وَأَنْ يَجْتَنِب ذِكْر العِلَل وَالدَّلائِل مِنْ دَلائِلِ أُصُوْل الفِقْه، وَمَسائِل الفِقْه،

وَدَلائِل أُصُوْل الدِّيْن وَغَيْرهمَا، كَمَا شَحَن بَعْض الْمُفسِّرِيْن تَفْسِيرَهُمْ بِهٰذِه العُلوْم؛ وَالأَصْل أَنْ يُؤْخَذ مِنْ ذٰلِكَ مُسَلَّما فِي عِلْم التَّفسِيْر، دُوْن الاسْتِدْلال عَلَيْه.

أبوالقَاسِم محمَّد إليَاس بن عَبْد الله الهِمَّتْنَغرِي الغُجراتي

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مُقَدَّمَةُ الكِتَابِ

آلاءُ[١] الله تَعَالىٰ عَلىٰ هٰذَا العبدِ الضَّعيفِ لا تُعَدُّ وَلا تُحصىٰ؛ وَأَجلُّهَا: التَّوْفيْقُ لِفَهْمِ القُرْآن العَظيْمِ.

وَمِنَنُ[٢] صَاحبِ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- عَلىٰ أَحْقَرِ الأُمَّةِ كَثيرةٌ، وأعظمُهَا: تبليغه ﷺ الفُرْقَانَ الكَرِيْمَ؛ لَقَّنَ[٣] النَّبِيُّ ﷺ القُرْآنَ الجِيْلَ الأَولَ[٤]، وَهُم أَبْلَغُوْه لِلجِيْل الثَّانِيْ[٥]، وَهَلُمَّ جرًّا[٦]؛ حَتّٰى بَلَغَ هٰذَا الضَّعِيْفَ أَيْضًا حَظٌّ مِنْ رِوَايَته وَدِرَايَته.

اللهُمَّ صَلِّ عَلىٰ هٰذَا النَّبِيّ الكَرِيْم -سَيِّدنَا وَمَوْلانَا وَشَفِيْعنَا- أَفْضَلَ صَلَوَاتِكَ وَأَيْمَن بَرَكَاتك؛ وَعَلىٰ آلِه، وَأَصْحَابِه، وَعُلَمَاءِ أُمَّته أَجْمَعِيْن؛ بِرَحْمَتك يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ!.

أَمَّا بَعْدُ: فَيَقُوْل الفَقِيْر وَلِي الله بْنُ عَبْد الرَّحِيْم -عَامَلَهُمَا الله تَعَالىٰ بِلُطْفه العَظِيْم-: لَمَّا فَتَحَ الله تَعَالىٰ عَلَيَّ بَابا مِنْ فَهْمِ كِتَابه المَجِيْد، خَطَرَ بِبَالِي أَنْ: أَجْمَع وَأُقَيِّدَ بَعْضَ النِّكَاتِ[٧] النَّافِعَةِ الَّتِيْ تَنْفَعُ الأَصْحَاب فِيْ رِسَالَة مُخْتَصَرَة[٨].

---

(١) قَوْله: (آلاء): جمع الإلْي، والإلىٰ، والألىٰ: النِّعمةُ. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (ومِنَن): جمعُ المِنَّة: الإحسَانُ. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (لقَّن): لقَّنه الكلام: فهَّمه إيَّاه مشافَهةً. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (الجِيْل الأَوّل): الجِيْل: الأُمَّة، الجِنْس مِن النَّاس، فَالتُّرْك جِيْلٌ والرُّومُ جِيلٌ؛ والجِيْل الأول: همْ أصحابُ النبي ﷺ. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(٥) قَوْله: (الجِيْل الثاني): الجِيْل الثاني: هُمْ جماعةُ التابعين. (المعرِّب)

(٦) قَوْله: (هلُمَّ جرًّا): أيْ: عَلى هٰذا المِنْوال، وهٰكَذا إلىٰ آخِره؛ تعبيرٌ يقَالُ لاستِدامة الأَمْر واتصالِه. (المعرِّب بزيادة)

(٧) قَوْله: (النِّكات): جَمْع النُّكْتَة، وَهِي المَسْئَلة العِلْمِيَّة اللَّطِيْفَةُ الَّتِي أُخْرِجَتْ بِدقَّةِ نَظرٍ =

وَالْمَرْجُوُّ مِنْ لُطْف الله -الَّذِيْ لا اِنْتِهَاء لَهُ-: أَنْ يَّفْتَح لِطَلَبَة العِلْم بِمُجَرَّد فَهْم هٰذِه القَوَاعِد شَارِعًا وَاسِعًا فِيْ فَهْم مَعَانِي كِتَاب الله، بِحَيْث لَوْ صَرَفُوْا عُمُرَهُمْ فِيْ مُطَالَعَة التَّفَاسِيْر، وَالْقِرَاءَةِ عَلَى المُفَسِّرِيْن -عَلىٰ أَنَّهُمْ أَقَلّ قَلِيْلٍ فِيْ هٰذَا الزَّمَان- لَمْ تَتَحَصَّل لَهُمْ هٰذِهِ الْفَوَائِد[1] بِهٰذَا الضَّبْط وَالرَّبْط.

وَسَمَّيْتُهَا بِـ"الفَوْزُ الكَبِيْرُ فِيْ أُصُوْلِ التَّفْسِيْر"، وَمَا تَوْفِيْقِيْ إِلاَّ بِالله، عَلَيْهِ تَوَكَّلْت؛ وَهُوَ حَسْبِيْ، وَنِعْمَ الوَكِيْلُ.

وَمَقَاصِد هٰذِهِ الرِّسَالة مُنحَصِرة فِي خَمْسَة أَبْوَاب:

البَابُ الأوّل: فِي بَيَان العُلُوْم الخَمْسَة، التِيْ يَدُلّ عَلَيهَا القُرْآن العَظِيْم نَصًّا، وَكَأَنَّ نُزُوْلَ القُرْآن بالأَصَالَة كَان لِهٰذَا الغَرَض.

البَابُ الثَّانِي: فِيْ بَيَان وُجُوْه الخَفَاء فِي مَعَانِي نَظْمِ القُرْآن بِالنِّسْبَة إِلىٰ أَهْل هٰذَا العَصْر، وَإِزَالَةِ ذٰلِكَ الخَفَاء بِأَوْضَح بَيَان.

البَابُ الثَّالِث: فِيْ بَيَان لَطَائِف نَظْم القُرْآن، وشَرْح أُسْلُوْبه البَدِيْع بِقَدْر الطَّاقَة وَالإِمْكَان.

البَابُ الرَّابِع: فِي بَيَان فُنُوْنِ التَّفْسِيْر[2]، وَتَوْضِيْح الاخْتِلَاف الوَاقِع فِي

= وَإِمْعَانِ فِكْرٍ؛ وَالمُرَادُ بِهَا هُنَا: الفَوَائِدُ النَّافِعَة. (المعرِّب)

(٨) قَوْله: (فِيْ رِسَالَة مُخْتَصَرَة): إعْلَمْ! أَنَّ الإِمَام كَثِيرًا مَّا يَذْكُر النِّكَاتِ الَّتِي تتعَلَّق بِالمَنَاهِج وَمَا تتَعَلَّق بِالقَوَاعِد، فَحَرَصْنَا أَنْ نُصَرِّح -مَهْما قدّر لَنَا- القَوَاعِدَ وَالمَنَاهِج المُتَعَلِّقة بها.(مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(١) قَوْله: (هٰذه الفَوائد إلخ): وَالَّذِيْ ظَهَر عِنْدِي بَعْد مُرَاجَعَة الكُتُب المُصَنَّفَة فِي هٰذَا الفَنّ: أَنَّ الإِمَام -قُدِّس سِرّه- قَدْ سَلَكَ فِيْ هٰذَا الكِتَاب مَسْلَك المُلَاحَظَات وَالفَوائِد؛ وَرَمَز فِيْ ضِمْن بَعْض الفَوَائِد إِلىٰ مَبَاحِث طَوِيْلةٍ وَقَوَاعِدَ أَنِيقَةٍ لَايَسْهُل فَهمُهَا إِلَّا بِالبَحْث عَنْها؛ فَأَرَدْتُ أَنْ أُقيِّدهَا بِالقَوَاعِد وَأُفَصِّلهَا مَعَ البَسْط فِي المَبَاحِث وَالمَنَاهِج -مَهْما قُدِّر لِيْ- مُسْتَعِيْنًا بِعَوْن اللهِ الكَبِيْر بِأَنْ يُسَهِّل لَنَا "الفَوْز الكَبِيْر". (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(٢) قَوْله: (فُنوْن التَّفسِيْر): هٰكَذَا فِي النُّسْخة الفَارِسِيّة، وَهُو الأَوْجَه؛ لأَنَّ الإِمَام قَدْ ذكَرَ فِي =

تَفَاسِيْرِ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِيْن.

البَابُ الخَامِس: فِي ذِكْرِ جُمْلَةٍ صَالِحَة[١] مِنْ شَرْحِ غَرِيْبِ القُرْآن، وَأَسْبَابِ النُّزُوْلِ الَّتِيْ يَجِب حِفْظهَا عَلَى المُفَسِّر؛ وَيَمتَنِع وَيَحْرُم الخَوْض فِيْ كِتَاب الله بِدُوْنِهَا[٢].

= هٰذَا البَاب مَايَتعلّق بِفُنُوْن التَّفسِيْرِ مِنَ الحَدِيْث وَالفِقْه وَالنَّحْو وَالبَيَان وَغَيْرِهَا؛ وَعَرّب المُعَرِّب العَلَّام بِقَوْله: "فِيْ بَيَان مَنَاهِج التَّفسِيْر"، مَعَ أَنَّه لَمْ يَبْحَث المُصنِّف العَلَّام بِمَا هُوَ يتعلَّق بِالمَنَاهِج. (مُحَمَّدْإلْيَاس)

(١) قَوْله: (جُمْلَةٍ صَالِحَة): أي: مقداراً كافيا. (المعرّب)

(٢/ ١) قَوْله: (فِيْ كِتَاب الله بِدُوْنهَا): أَسْقَط النَّاشِرُوْن لِلفَوْز الكَبِيْر البَابَ الخَامِسَ مِنْه لِعَدم شُمُوْلِه فِي الدَّرْس. (المعرّب)

(٢/ ٢) قَوْله: (فِيْ كِتَاب الله بِدُوْنهَا): وَمَا زَالَ النَّاشرُوْن يسقطُوْن هٰذَا البَاب وَيرْغَبوْن عَنْه لِعَدَم دُخُوْلِهِ فِي المُقَرَّرِ الدِّرَاسِيِّ؛ فَنَتَحَرَّص أَنْ تَعُمَّ فَوائِد شَيْخنَا، وَنُمَتِّعَ الطَّلَبَةَ بعُلُوْم إِمَامِنا، ونَرْجُو أَنْ نَقُوْم بطَبْعِه مِن "إِدَارة الصِّدِّيْق". (مُحَمَّدْإلْيَاس)

البَابُ الأَوَّل

البَابُ الأوَّل

فِي بَيَانِ العُلُوْمِ[1] الخَمسَةِ الَّتِي يَدُلّ عَلَيهَا القُرْآن العَظِيْم نَصًّا لِيُعْلَمْ أنّ مَعَانِي القُرْآن المَنصُوْصَة[2] لا تخْرجُ عَنْ خَمسَة عُلُوْم[3]:

(١) قَوْله: (بَيَان العُلُوْم): أمَّا العُلوْم التِي يحتَاج إلَيْها المفسِّر، ولا بدَّ للمُفسِّر مِنها، هِي: ١- عِلمُ اللُّغة، ٢- عِلمُ النَّحْو، ٣- عِلمُ التَّصْرِيْف، ٤- عِلمُ الاشْتِقاق، ٥- عِلمُ البَيان، ٦- عِلمُ المعَاني، ٧- عِلمُ البَدِيْع مِن العُلوْم العَرِبيَّة.

١- عِلمُ القِراءة، ٢- عِلمُ أصُوْل الدِّيْن، ٣- عِلمُ أصُوْل الفِقْه، ٤- عِلمُ الفِقْه، ٥- عِلمُ أسْباب النُّزُوْل، ٦- عِلمُ النَّاسِخ والمنْسُوْخ، ٧- علمُ الأحَادِيْث المبَيِّنة لتَفْسِير المُجْمَل والمُبْهم، ٨- عِلمُ المَوْهَبة مِن العُلوْم الشَّرْعيَّة.

قَالَ المُفسِّر البَيْضاوِي فِي المُقدَّمة: لا يَلِيْق لتَعاطِيْه والتَّصَدِّي للتَّكلُّم فِيْه إلاَّ مَن بَرَع فِي العُلوم الدِّيْنيَّة كلِّها: أصُولِهَا وفُرُوْعِها، وفَاقَ فِي الصِّنَاعات العَرَبيّة والفُنُون الأدَبِيَّة بأنْواعِها.

(نفحات العبير ملخصا)

(٢) قَوْله: (المَنْصُوْصَة): قَيّدها بالمَنْصُوْصة لأنَّ: جَمِيْع العُلُوْم -ممَّا يحتَاج إلَيْها مِن ضَرُورات الدِّيْن مَوْجُودة- فِي القُرآن؛ ولٰكِنْ تَقاصَر عَنْها أفْهَام الرِّجَال؛ قَالَ الإمَام سِراج الدِّين الأوْشِي فِي بَدْء الأمَالي:

جَمِيْعُ العِلْمِ فِيْ القُرْآنِ، لٰكِنْ * تَقَاصَرَ عَنْهُ أفْهَامُ الرِّجَال

(٣) قَوْله: (خَمسَة عُلُوْم): اعْلَم! أنّ لَفْظ "عُلوْم القُرْآن" يطْلق عَلىٰ مَعْنيَيْن: المَعْنى الإضَافِي بِحَسب إضَافَة لَفْظ "عُلُوْم" إلىٰ لَفْظ "القُرْآن"؛ وَالثَّانِي المَعْنى المَوْضوْعِي بِحَسَب البَحْث فِي الْقُرْآن.

أمَّا عُلُوْم القُرْآن بِالمَعْنى الإضَافِي، فَهُوَ: الفَنّ المُدوّن فِيْ مَوضُوْع مُتَكامِل؛ وَيشْمَل ذٰلِك: عِلْم التَّفسِيْر وَعِلْم القِرَاءات، وَعلْم الرَّسْم العُثْمَاني، وَعِلْم غَرِيْب الألْفَاظ، وَعِلْم الإعْجَاز، وَعِلْم النَّاسِخ وَالمَنْسوْخ، وَعِلْم المُحْكَم وَالمُتشَابه، وَعِلْم الإعْرَاب، وَعِلْم المَجَاز، وَعِلْم الأمْثَال وَغَيْر ذٰلِك مِنَ العُلُوْم الكَثِيْرَة الَّتِي تَوسّع العُلَماءُ فِيْ بَحْثها.

وَأمَّا عُلُوْم القُرْآن بِالمَعْنى المَوْضُوْعِي، فَقَال ابْن العَرَبِي: إنَّ عُلُوْم القُرْآن خَمسُوْن وَأرْبَع مِأة وَسَبْعة آلَاف وَسَبعُوْن ألْف عِلْم، عَلىٰ عَدَد كَلِم القُرْآن؛ وَهٰذِه العُلُوْم عَلىٰ كَثْرتهَا وَتَعَددهَا تَرْجِعُ إلىٰ ثَلاثَة أقْسَام: تَوْحِيْد وَتَذْكِيْر وَأحْكَام. (رَوح القدير)

فَالتَّوحِيد يدْخلُ فِيْه: مَعرفَة الإيْمَان بِالله تَعَالىٰ، وَأسْمَائه وَصِفَاته وَأفْعَاله، وَاليَوْم الآخِر، =

١- عِلْم الأحْكَام(١): وَهِيَ الوَاجِب(٢) وَالمَنْدُوْب(٣) وَالمُبَاح وَالمَكرُوْه وَالحَرَام؛ سَوَاء كَانَت مِن قِسْم العِبَادَات، أوْ مِنْ قِسْم المُعَامَلات(٤)، أوْ مِنْ تَدبِيْر المَنْزِل(٥)،

= وَالكِتَاب، وَالتَّبِيِّيْن، وَالقَدَر، وَالمَلْئكَة؛ وَالتَّذكِيْر يدْخلُ فِيْه: الوَعْد وَالوَعِيْد -أي: الجَنّة وَالنَّار-، وَالتَّرغِيْب وَالتَّرهِيْب، وَتَصفِيَة الظَّاهِر وَالبَاطِن؛ وَالأَحْكَام يدْخلُ فِيْها: التَّكَالِيْف كُلُّها مِنَ الأَمْر وَالنَّهْي، وَالإِبَاحَة وَالنَّدْب، وَالحَلَال وَالحَرَام، وَالنَّفع وَالضَّرَر، إِلىٰ غَيْر ذٰلِكَ. (أصول وقواعد: ٣٩)

(١) قَوْله: (عِلْم الأحْكَام): عِلْمُ الأَحْكَام الشَّرْعِيَّة العَمَلِيَّة: هُوَ عِلْم يَبْحَث عَن الأَحْكَام الوَارِدَة فِي كَلام الله تَعَالىٰ مِن الحَلَال وَالحَرَام، وَالفَرَائِض وَالوَاجِبَات، وَالمَندُوْبَات وَالمَكرُوهَات، سَوَاء كَانَتْ مِنْ قِسمِ العِبَادَات أَوِ المُعَامَلَات أَوْ مِنْ تَدبِيْر المَنْزِل أَوِ السِّيَاسَة المَدَنيّة؛ وَهٰذَا العِلْم فِي الحَقِيْقَة أَسَاس الشَّرِيْعَة الَّذِيْ يبْتَنِي عَلَيْه الفَلَاح وَالنَّجَاة.

الملحوظة: أَمَّا الآيَات المُصرَّحة بِالأَحْكَام فَهِيَ خَمْس مِأة، كَمَا فِي التَّفسِيرَات الأَحْمدِيَّة؛ وَأَمَّا الآيَات الَّتِيْ تَسْتَنبطُ مِنْها الأَحْكَام بِإِشَارَات لَطِيْفَة فَغَيْر مَحْصُوْرَة؛ وَمُعظَم آي القُرْآن لاتَخْلُو عَنْ أَحْكَام مُشتَمِلَة عَلىٰ آدَاب حَسنَة وَأَخْلَاق جَمِيْلَة؛ وَلِذَا قَالَ الإِمَام عِزّ الدِّيْن بْن عَبْد السَّلَام: مُعظَم آي القُرْآن لاتَخْلُو عَنْ أَحْكَام مُشتَمِلَة عَلىٰ آدَاب حَسَنَة وَأَخْلَاق جَمِيْلَة. (نفحات، روح القدير)

(٢) قَوْله: (الوَاجِب): كَقَوْله تَعَالىٰ فِي العِبَادَات: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة٤٣]، وَفِي المُعَامَلَات: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾ [النساء٤]، وَفِي تَدبِيْر المَنزِل: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم٦]، وَفِيْ السِّيَاسَة المَدَنِيَّة: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا﴾ [المائدة٣٨]. (الفوز العظيم: ٢١)

(٣) قَوْله: (المَنْدُوْب): مِثَال المَنْدُوْب: ﴿فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗاۖ﴾ [النور٣٣]؛ ومِثال المبَاح: ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ﴾ [المائدة٢]؛ ومِثالُ المكْرُوه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة١٠١]، فَقَال العُلَمَاء فِيْ قَوْله ﴿لَاتَسۡـَٔلُواْ﴾: إِنَّه لِلكَرَاهة، وَلَيْس لِلتَّحرِيْم بِسَبَب القَرِيْنَة الصَّارِفَة الَّتِي وَرَدت فِي آخِر الآيَة، وَهِيَ: ﴿وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾؛ ومِثالُ الحرَام: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ الخ﴾ [المائدة٣] (الفوز العظيم بزيادة)

(٤) قَوْله: (المُعَامَلات): المعاملات: مسائلُ باحثةٌ عن كيفيَّة إقامةِ المُعادَلات، والمُعاوَنات، والاكتِسَابات فيما بينَ النَّاس. (فنِ معاملات: وہ علم ہے جس میں ترقی یافتہ تمدن یعنی شہری زندگی میں تبادلہ اشیاء تعاونِ باہمی اور ذرائعِ معاش کو وجود میں لانے کی صورتوں سے بحث کی جاتی ہے)۔ (المعرّب)

(١/٥) قَوْله: (تَدْبِيْر المَنْزِل): علمُ تدبيرِ المَنْزِل: حكمةٌ باحثةٌ عن كَيفيَّة حفظِ الرَّبط الوَاقِع بَيْن أهلِ المَنْزِل. (فنِ تدبیرِ منزل: وہ علم ہے جو ترقی یافتہ تمدن میں خاندانی تعلقات کی نگہداشت سے بحث کرتا ہے)۔ (المعرّب) =

أَوْمِنَ السِّيَاسَة المَدَنِيَّة(١)؛ وَتَفْصِيْل هٰذَا العِلْم مَنوْطٌ(٢) بِذِمَّة الفَقِيْه.

٢- عِلْم الجَدَل(٣): وَهُوَ المُحَاجَّة مَعَ الفِرَق الأَرْبَع الضَّالَّة مِنَ: اليَهُوْد وَالنَّصَارٰى وَالمُشْرِكِيْن وَالمُنَافِقِيْن؛ وَتِبْيَان هٰذَا العِلْم مَنُوْط بِذِمَّة المُتَكَلِّم.

٣- عِلْم التَّذْكِيْر بِآلاء الله(٤): وَهُوَ بَيَان خَلْق السَّمٰوَات وَالأَرْض، وَإِلْهَام

= (٥/ ٢) قَوْله: (تَدْبِيْر المَنْزِل): وَأَرْكَانه: الوَالِدَان، وَالزَّوْجَان، وَالأَوْلَاد، وَالخُدَّام، وَالأَمْوَال عَلىٰ قَوْل أَرَسْطُو، وَمِثَاله: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًاۖ﴾ [لقمان١٥]، ﴿فَلَاتَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾ [بنى إسرائيل٢٣]؛ وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [النساء١٩]. (الفوز العظيم)

(١/ ١) قَوْله: (السِّيَاسَة المَدَنِيَّة): علمُ السِيَاسَة المَدَنِيَّة: حِكْمَةٌ بَاحِثَةٌ عن كيفيةِ حِفظ الرَّبْط الوَاقِع بَيْن أَهْلِ المدِيْنَة. (سیاسۃ المدینہ یعنی انتظامِ مملکت، یہ وہ فن ہے جس میں کسی ایک شہر یا ایک ملک کے لوگوں کے درمیان ربط وتعلق کو محفوظ رکھنے کے طریقوں سے بحث کی جاتی ہے)؛ والمرادُ من المَدَنِيَّة: جماعةٌ مُتقاربةٌ تجري بينهم المعامَلاتُ، ويكونون أهلَ منازلَ شتّٰى. (المعرّب)

ومِثَاله: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا إلخ﴾ [المائدة٣٨]، وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ﴾ [البقرة١٧٨]. (الفوز العظيم)

(٢) قَوْله: (مَنُوط): المعلَّق؛ يقالُ: هٰذَا منوطٌ به، أي: معلَّقٌ به. (المعرّب)

(٣) قَوْله: (عِلْم الجَدَل): عِلْم الجَدَل والمُخاصَمة: هُوَ عِلْم بَاحِث عَنْ طُرُق إِيْرَاد البَرَاهِيْن وَالأَدِلَّة بِمُقابَلَة الخَصم؛ وَالجَدَل عِند مَناطِقَة المُسلِمِيْن: قِيَاس مُؤَلَّف مِن مَشهُورَات أَوْ مُسَلَّمَات.

وَالمُرَاد بِالجَدَل فِي القُرْآن: هِيَ المُحَاجَة الوَاقِعَة مَعَ الفِرَق الأَرْبَع الضَّالَّة المُضِلّة لِإظهار حقِّيَّة، وَإِقَامَةِ البُرْهَان عَلىٰ صِحَّتِه، حَيْث يذْكر سُبْحَانه وَتَعَالىٰ عَقَائدهُم البَاطِلَة، وَأَعْمالهُمْ الشَّنِيْعَة، وَأَخلاقهُمْ الرَّذِيْلَة؛ وَيذْكر حَلّهَا بِالأَدِلَّة البُرْهَانِيَّة مِنَ النَّقلِيَات، وَالعَقلِيَّات مِن البُرْهَانِيَّات وَالخَطَابِيَّات. (فصول، رَوح القدير)

(٤/ ١) قَوْله: (عِلْم التَّذْكِيْر): ذَكَّره الشيءَ وَبِالشَّيْء: جعله يَذكُرُه، وَذَكَّر القَوْمَ: وَعَظَهُم. (المعرّب)

(٤/ ٢) قَوْله: (عِلْم التَّذْكِيْر بِآلَاء الله): هُوَ عِلْم يذْكرُ فِيْه مِنْ آلَاء الله الشَّامِلَة وَنَعمَائه الكَامِلَة عَلىٰ خَلْقه وَعِبَاده، وَمِنْ عَجَائب قُدْرَته وَبَدَائِع صَنعَته، كَخَلْق السَّمٰوَات وَالأَرْض وَمَا فِيهِمَا وَمَا بَينَهُما، وَاختِلاف اللَّيْل وَالنَّهَار، وَإِنْزَال المَطر إِلىٰ غَيْر ذٰلِكَ مِمَّا يَقْصُر النَّاسُ عَنْ إِحْصَائِهَا، حَتّٰى قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ﴾ [ابراهيم٣٤].

وَمِنْ هٰذَا العِلْم مَا ذكرَ فِيْ بَعْض الآيَات مِنَ الإِشَارَات الدَّقِيْقَة اللَّطِيْفَة إِلىٰ بَعْض العُلُوْم الكَوْنِيَّة الَّتِي اكتَشَفهَا عِلْم الطبيْعة، قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٖ فِي=

العِبَاد مَا يَحْتَاجُوْن إِلَيْهِ، وَبَيَان صِفَات الله الكَامِلَة.

٤- عِلْم التَّذْكِيْر بِأَيَّام الله[١]: وَهُوَ بَيَان الوَقَائِع الَّتِيْ أَحْدَثَهَا الله سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ مِنْ قَبِيْل: تَنْعِيْم المُطِيْعِيْن، وَتَعْذِيْب المُجْرِمِيْن.

٥- عِلْم التَّذْكِيْر بِالمَوْت وَمَا بَعْدَه[٢]: مِنَ: الحَشْر وَالنَّشْر، وَالحِسَاب وَالمِيْزَان، وَالجَنَّة وَالنَّار.

وَتَفْصِيْل هٰذِه العُلُوْم الثَّلاثَة، وَذِكْر الأَحَادِيْث وَالآثَار المُتَعَلِّقَة بِهَا يَرْجِع إِلَى الوَاعِظ وَالمُذَكِّر.

[أَسْلُوْب القُرْآن الكَرِيْم فِيْ عَرْض العُلُوْم الخَمْسَة]

وَإِنَّمَا وَقَعَ بَيَان هٰذِه العُلُوْم عَلىٰ أَسْلُوْب العَرَب الأَوَّلِيْن[٣]؛ لا عَلىٰ مِنْهَاج

= ﴿ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر٦]، فَأثبَت عُلَماء الطِّبِّ الجَدِيْد: أَنَّ الجَنِيْن مُحَاطٌ بثَلاثَة أَغْشِيَة؛ وكَذٰلِك قَوْلُه تَعَالىٰ: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ٢٠﴾ [الرحمٰن] وَهٰذَا عِنْد مُلتَقى البَحْر الأَحْمَر، ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٨﴾ [النحل] (نفحات: ٤٥)

وَالمَقصُود مِنْ هٰذَا العِلْم: مَعرِفَة الله، وَالعُبودِيَّة لِلّٰه، وَالإِيْمَان بِهِ وَالإِطَاعَة لَهُ.

(١) قَوْله: (بِأَيَّام الله): أيامُ الله: نِعَمُهُ وَنِقَمُهُ، كقِصصِ الأنبياءِ وأقوامِهم؛ وأَيَّامُ العرب: حروبُهم وَمَلَاحِمُهم، كَيَوْم ذِي قَارٍ، وَيَومِ الفِجارِ. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (عِلْم التَّذْكِيْر بِالمَوْت وَمَا بَعْدَه): هُوَ عِلْم يُبحَث فِيْه عَنْ أُمُوْر الآخِرَة مِنَ: المَوْت وَأَحْوَال البَرزَخ وَالبَعْث بَعْد المَوْت وَالحَشر وَالنَّشر وَالحِسَاب وَالجَزَاء وَالجَنَّة وَمَا أعدّ فِيْها مِنَ التَّعيْم وَالنَّار وَمَا أعدّ فِيْها مِنَ العَذَاب.

(٣) قَوْله: (أَسْلُوْب العَرَب الأَوَّلِيْن): وفِيْه إِشَارَةٌ إِلىٰ قاعِدَة: "تُحْمَلُ نُصُوْصُ الْكِتَابِ عَلىٰ مَعْهُوْدِ الْأُمِّيِّيْنَ فِي الْخِطَابِ"[٢٣]؛ لأَنَّ اللهَ تعالىٰ أنزلَ القُرآن بلُغَة العَرَب، وأنّه جَارٍ فِي أَلفَاظِه ومَعَانيْه وأَسَالِيْبِه عَلىٰ لسَان العَرَب، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف٣].

فإذَا تأمّلتَ الخِطابَات المُتعلِّقة بعُمُوْم المكلَّفِيْن تَجِدُها سَهْلة واضِحَة، لا غُمُوْض فِيْها؛ فاللهُ تعَالىٰ حِيْنَما ذَكر دَلائلَ التَّوْحيد لَفَتَ الأَنْظارَ إِلىٰ أُمُوْرٍ يعْرِفُها الجمِيْع، كالسَّمَاء والأَرْض، والجِبَال والسَّحَاب والنَّبَات؛ وكذٰلِك فيْما أُخبَرَ بِهِ مِن نعِيْم الجنّة، فإنَّه ذَكَر أَصْنَافًا مَعهُوْدة لدَيْهم فِي الدُّنيا، كقَوْله تعَالىٰ: =

العُلَماء المُتَأخِّرِيْن، فَلَمْ يَلْتَزِمْ سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ فِي آيَات الأَحْكَام اِخْتِصَارا يَخْتَارُهُ "أَهْل المُتُوْن"؛ وَلاتَنْقِيْحَ القَوَاعِد مِنْ قُيُوْد غَيْر ضُرُوْرِيّة، كَمَا هُوَ صِنَاعَة "الأُصُوْلِيِّيْنَ".

وَاخْتَارَ سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ فِيْ آيَات المُخَاصَمَة إِلْزَام الخَصْم بِالمَشْهُوْرَات المُسَلَّمَةِ(١) وَالخَطَابِيَّات النَّافِعَة(٢)، لاتَنْقِيْح البَرَاهِيْن(٣) عَلىٰ طَرِيْقَة "المَنْطِقِيّيْن"؛ وَلَمْ يُرَاعِ سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ المُنَاسَبَة فِي الانْتِقَال مِنْ مَوْضُوْع إِلىٰ مَوْضُوْع(٤)، كَمَا

= ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ۝ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ۝ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ۝ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ۝﴾ [الواقعة]؛ وهٰكذَا فِي المَواضِع الأخرىٰ مِن القُرآن حَيثُ ذَكر الماءَ، واللَّبَن، والخَمْر، والعَسَل، والنَّخِيل، والأَعْناب؛ ولمْ يَذكُرْ مَا لاعَهْدَ لهمْ بِهِ، كاللَّوْز، والجَوْز، والكُمَّثْرىٰ والتُّفَّاح ونحوِ ذٰلك مِمَّا يُزرع فِي غَير بلادِ العرَب. (قواعد:٢١٧)

(١/ ١) قَوْله: (المَشهُوْرَات المُسَلَّمَةِ): أي: المُسَلَّمَةِ عندَ عَوَامِّهم وَخَوَاصِّهمْ. (المعرِّب)

(١/ ٢) قَوْله: (المَشهُوْرَات المُسَلَّمَةِ): هِيَ القَضَايا الَّتِي مَشهُورَة عِنْد جَمِيْع النَّاس أَوْ أَكْثَر النَّاس أَوْ عِنْد طَائفَة مَخصُوْصَة، نَحْو: "العَدْل حَسَن" وَ "الظُّلْم قَبِيْح" مُسلَّمٌ عِنْد جَمِيْع النَّاس، وَ "الإِلٰه وَاحِد" مَشهُوْر عِنْد أَكْثَر النَّاس؛ وَ "الفَاعِل مَرفوْع" عِنْد طَائفَة مَخصُوْصَة.

مِثَال الجَدَل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿قُلۡ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُمۖ﴾ [المائدة١٨]، وَفِيْه تَرديْد دَعْوى اليَهُوْد وَالنَّصارىٰ الذِيْن يَدَّعُوْن: ﴿نَحۡنُ أَبۡنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة١٨]، وفيهِ ردٌّ بِحَسبِ قَضيَّة مَشهُوْرة، وَهُوَ: "تَعذِيبُ الأَوْلاد وَالأَحِبَّاء مَمنُوْع". (الفوز العظيم)

(٢/ ١) قَوْله: (وَالخَطَابِيَّات النَّافِعَة): الخَطابَة: قياسٌ مُؤلَّفٌ من المظنوناتِ أو المقبولاتِ والخَطَابَة بفتح الخاء مصدر. (المعرِّب) كقَوْلِه تَعَالىٰ: ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ﴾ [الحج٧٣]، معَ أَنَّ المَعقُوْل: أَنَّ عبادَة العاجِز حَماقةٌ مَحْضة، وكقَوْله تَعَالىٰ: ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ۝﴾ [البقرة] فِي جوابِ قَوْلهم: ﴿نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ﴾. (الفوز العظيم)

(٣) قَوْله: (لاتَنْقِيْح البَرَاهِيْن): وَالبرهانُ: قِياسٌ مؤلَّفٌ من اليَقِيْنيَّاتِ، سَواءٌ كانتْ بَديهيَّاتٍ أَوْ نَظريَّاتٍ مُنتهيةً إِلَى البَديْهِيَّاتِ. (المعرِّب)

كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح٢٩] (وَهُوَ صُغرَى القِيَاس)، وَقَالَ فِي مَوْضِعٍ آخَر: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء٦٤] (وَهُوَ كُبرَى القِيَاس)؛ فثَبَتَ بِالقَضِيَّتَين: "وَمَا أَرْسَلْنا مُحَمَّدا إِلا ليُطاع بإذن الله". (الفوز العظيم) =

يُرَاعِيهَا الأُدَبَاء المُتَأخِّرُوْن؛ بَلْ نَشَرَ كُلَّ مَا أَهَمّ إِلْقَاؤه(١) عَلَى الْعِبَاد، سَوَاء كَانَ مُقَدَّمًا أوْ مُؤخَّرا(٢).

- **الكَلَامُ عَلى قِسمَيْ أَسْبَابِ النُّزُوْل:**

وَقَدْ رَبَط عَامّة المُفَسِّرِيْن كُلَّ آيَةٍ مِنْ آيَات الجَدَل وَالأَحْكَام بِقِصَّة، وَيَظُنُّوْن: أَنَّ تِلْك القِصَّة هِيَ سَبَب نُزُوْلها(٣).

- **الأَسْبَابُ العَامَّةُ(٤) لِنُزُوْلِ القُرْآن:**

وَالحَقُّ أَنَّ القَصْد الأَصْلِيّ مِنْ نُزُوْل القُرْآن: هُوَ تَهْذِيْب النُّفُوْس البَشَرِيَّة،

= (٤) قَوْله: (مَوْضُوْع إِلى مَوْضُوْع): وفِيْه قاعِدة: "جَمِيْعُ ظَوَاهِرِ نُصُوْصِ القُرْآنِ مَفْهُوْمَةٌ لَدَى المُخَاطَبِيْنَ" [قواعد: ١٦٢].

(١) قَوْله: (مَا أَهَمّ إِلْقَاؤه): أهمَّ الأمرُ فُلانًا: أثار اهتمامَه. (المعرّب)

(٢) قَوْله: (مُقَدَّمًا أَوْ مُؤخَّرا): وفِيْه قاعِدة: "الآيَتَانِ أَوِ الجُمْلَتَانِ المُتَجَاوِرَتَانِ إِمَّا: أَنْ يَظْهَرَ الارْتِبَاطُ بَيْنَهُمَا، أَوْ لا؛ فَالثَّانِي: إِمَّا: أَنْ تَكُوْنَ إِحْدَاهُمَا مَعْطُوْفَةً عَلَى الأُخْرَى -وَعِنْدَئِذٍ لابُدَّ أَنْ تَكُوْنَ بَيْنَهُمَا جِهَةٌ جَامِعَةٌ-، أَوْ لاتَكُوْنَ مَعْطُوْفَةً؛ فَلابُدَّ مِنْ دِعَامَةٍ تُؤذِنُ بِاتِّصَالِ الْكَلام" [١٨٧]؛ وسَيأتِي الكلامُ عَليْه فِي البابِ الثّالث فِي لَطائِف نَظم القُرآن. (رَوح القدير)

(٣) قَوْله: (سَبَب نُزُوْلها): وفِيْه قاعِدتان: "القَوْلُ فِي الأَسْبَابِ مَوْقُوْفٌ عَلَى النَّقْلِ وَالسَّمَاعِ" [القاعدة: ١]؛ وَ "سَبَبُ النُّزُوْلِ لَهُ حُكْمُ الرَّفْعِ"[القاعدة: ٢]. (قواعد التفسير)

(٤) قَوْله: (الأَسْبَاب العَامَّة): وَاعْلَمْ! أَنَّ آيَات الْقُرْآن بِحَسَب أَسْبَابِ النُّزُوْل عَلى قِسْمَيْن: السَّبَبُ الْعَامّ، وَالسَّبَبُ الخَاصّ.

١-السَّبَب الْعَامّ: وَهُوَ قِسْم نَزَل ابْتِدَاء، لاعَلَاقَةَ لَه بِسَبَب خَاصّ، كَسُؤَال أَوْ حَادِثَة.

٢- السَّبَب الخَاصّ: وَهُوَ قِسْمٌ نَزَل عَقِب حَادِثَةٍ وَقَعَتْ فِيْ زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ سُؤَالٍ وُجِّهَ إِلَيْه؛ فَنزلَت الآيَةُ بِسَبَب مُتَضمِّنَة لَه، مُبَيِّنَة حُكْمَه، حَيْث وَقَعَت الإِشَارَة وَالتَّعرِيْض فِي الآيَات إِلى تِلْك الحَادِثَة، وَيعْرِض لِلسَّامِع الانْتِظَار، وَلايَزُوْل ذٰلِكَ إِلا بِبَسْط الْقِصَّة؛ فَلَزِم لَهَا مَعْرِفَة سَبَب النُّزُوْل؛ وَهٰذَا هُوَ الْمُرَاد مِنْ قَوْلِهِمْ: "نَزَلَتْ فِيْ كَذَا" عِند المُتأخِّرِيْن. (رَوح القدير)

الملحوظة: واعْلم! أَنَّ النَّبِيّ ﷺ حِيْن يُسْأَل عَن الشَّيْء، فَيَتوقَّف عَنِ الجَوَاب أَحْيَانا حَتى يُنَزَل عَلَيْه الوَحْيُ، أَوْ يَخْفى عَلَيْه الأَمْرُ الوَاقِع فَيَنْزِل الوَحْيُ مُبيِّنا لَهُ؛

فَمثَال الأَوَّل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ=

وَدَمْغُ العَقَائِد البَاطِلَة، وَنَفْيُ الأَعْمَال الفَاسِدَة؛ فَوُجُوْد العَقَائِد البَاطِلَة فِي خَوَاطِر المُكَلَّفِيْن سَبَبٌ لِنُزُوْل "آيَات الجَدَل"، وَوُجُوْد الأَعْمَال الفَاسِدَة وَشُيُوْعُ المَظَالِم فِيْمَا بَيْنَهُمْ سَبَبٌ لِنُزُوْل "آيَات الأَحْكَام"، وَعَدَم تَيَقُّظِهِم وَتَنَبُّهِهِمْ بِغَيْر ذِكْر آلاءِ اللهِ وَأَيَّام اللهِ وَوَقَائِع المَوْتِ وَمَا بَعْدَه سَبَبٌ لِنُزُوْل "آيَات التَّذْكِيْر"[١].

وَأَمَّا الأَسْبَاب الخَاصَّة وَالقِصَص الجُزْئِيَّة الَّتِيْ تَجَشَّمَ المُفَسِّرُوْن بَيَانَهَا، فَلَيْسَ لَهَا مَدْخَلٌ[٢] فِيْ ذٰلِكَ يُعْتَدُّ بِه، إلاَّ فِي بَعْضِ الآيَات الكَرِيْمَة، حَيْثُ وَقَعَتِ

= ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء]، فَفِي صَحِيْح البُخَارِي عَنْ عَبْد الله بْن مَسعُوْد: أَنَّ رَجُلا مِنَ اليَهوْد قَالَ: "يَا أَبَا القَاسِمِ! مَا الرُّوح؟ فَسَكَت عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَعلِمْتُ أَنَّه يُوْحىٰ إِلَيْه، فَقُمْت مَقَامِي؛ فَلَمَّا نَزَل الوَحْي، قَالَ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ﴾ الآية". [٤٧٢١، ٧٤٦٢]

وَمِثَال الثَّانِي قَوْله تَعَالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ﴾ [المنافقون٨]؛ فَفِي صَحِيْح البُخارِي: أَنَّ زَيْد بْن أَرْقَم سَمِع عَبْد الله بْن أُبَيّ -رَأس المُنافِقِيْن- يَقُوْل ذٰلِكَ، يُرِيْد: أَنَّه الأَعَزّ، وَرَسُوْل اللهِ ﷺ وَأَصْحَابه الأَذَلّ؛ فَأَخْبَر زيدٌ عَمَّه بِذٰلِك، فَأَخْبَر بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَدَعَا النَّبِيّ ﷺ زَيْدا، فَأَخْبَره بِمَا سَمِع؛ ثُمَّ أَرْسَلَ إِلىٰ عَبْد الله بْن أُبَيّ وَأَصْحَابه، فَحَلفُوا: مَا قَالُوا؛ فَصَدَّقهم رَسُولُ الله ﷺ؛ فَأَنْزَل اللهُ تَصدِيْق زَيْدٍ فِيْ هٰذِه الآيَة؛ فَاستَبَان الأَمْر لِرَسُوْل الله ﷺ. (أصول: ١٨)

(١) قَوْله: (آيَات التَّذْكِيْر): وَهٰذَا غَالِب آيَات القُرْآن حَيْث خَاطبَ القُرْآنُ النَّاسَ كُلّهُمْ، وَعرض عَلَيْهِم مَعالِم الحَقّ وَأَسْبَاب الصَّلَاح فِي الدُّنْيا وَالآخِرَة، كَمَا فِي القصص وَأَخْبَار الأُمَم المَاضِيَة، وَكَآيَات دَلَائِل التَّوحِيْد؛ فَحِيْنَئذ لَا نَحتَاج إِلىٰ أَنْ نَلْتَمِس لِكُلّ آيَة سَبَبا؛ لأَنَّ أَكْثَر القُرْآن لَمْ يَكُن نُزُوْله وَفْقا عَلَى الحَوَادِث وَالوَقَائِع، أَوْ عَلَى السُّؤال وَالاسْتِفْسَار؛ بَلْ أَكْثَره يَتَنَزَّل ابْتِدَاءً بِعَقَائِد الإِيْمَان وَوَاجِبَات الإِسْلَام، وَشَرَائِع الله تَعَالىٰ فِي حَيَاة الفَرْد وَحَيَاة الجَمَاعَة. (فصول)

(٢) قَوْله: (فَلَيْسَ لَهَا مَدْخَلٌ): فعلم أنه لايحتاج كُلُّ آيَةٍ إلىٰ سببِ النُّزُول الخاصّ؛ وأَمَّا القِصَص الجُزْئِيَّة الَّتِي تَجشَّم المُفسِّرُوْن بَيَانَها تَنقسِم إِلىٰ ثَلاثَة أَنْوَاع بِحَيثُ أَنْ تَكُوْن:

١- الحَادِثَة مَوضُوْعَة لاوُجُوْد لَهَا فِي الخَارِج، كَقِصَّة زُهْرَة فِيْ شَأن نُزُوْل هٰذِهِ الآيَة: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ﴾ [البقرة١٠٢].

٢ - الحَادِثَة صَحِيْحَة وَمَربُوْطة لِلآيَة، وَلٰكِن فِيْ كَونهَا سَبَبا لِلنُّزوْل إِشْكَالٌ، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ﴾ [البقرة٢٦]؛ قَال ابْن عَبَّاس فِيْ رِوَايَة أَبِيْ صَالِح: لَمَّا ضَرَب اللهُ سُبحَانَه هٰذَيْن المَثَلَيْن لِلمُنافِقِيْن، يَعنِيْ قَوْله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ =

الإِشَارَةُ فِيْهَا إِلىٰ حَادِثَةٍ مِنَ الحَوَادِث الَّتِيْ وَقَعَتْ فِيْ عَهْد النَّبِيِّ ﷺ أَوْ قَبْلَهُ؛ وَلايَزُوْل مَا يَعْرِضُ لِلسَّامِعِ مِنَ التَّرَقُّب وَالانْتِظَار عِنْدَ سَمَاع[1] ذٰلِكَ التَّعْرِيْض إِلاَّ بِبَسْط القِصَّة؛ فَلَزِمَ: أَنْ نَّشْرَحَ هٰذِه العُلُوْم بِوَجْه لانَحْتَاج إِلىٰ إِيْرَاد القِصَص الجُزْئِيَّة.

الفَصْلُ الأَوَّل[2]: فِيْ عِلْم الجَدَل[3]

قَدْ وَقَعَتِ المُخاصَمَة[4] فِي القُرْآن العَظِيْم مَعَ الفِرَق الأَرْبَع الضَّالَّة:

= [البقرة۝]، وَقَوْله: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة۝]، قَالُوا: "اللهُ أَجَلُّ وَأَعْلىٰ مِنْ أَنْ يَّضرِب الأَمْثَال"؛ فَأَنْزَل الله هٰذِه الآيَة:﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ﴾ [البقرة۝].

وَقَال الحَسَن وَقَتَادَة: لَمّا ذَكَر الله الذُّبَاب وَالعَنكبُوْت فِي كِتَابه، وَضَرَب لِلمُشرِكِيْن بِه المَثَلَ ضَحِكتِ اليَهُوْد وَقَالُوا: "أَيّ قَدْرٍ لِلذُّبَاب وَالعَنكَبُوْت حَتّٰى يَضرِب اللهُ المَثَل بِهِمَا؟" فَأَنْزَل الله هٰذِه الآيَة. (اللباب، أسباب النزول للواحدي) وَالصَّحيْح مَا قَال ابن عَبَّاس لأَنَّ فِي القَوْل الثَّانِي إشكالا، وَهُوَ: أَنَّ الآيَة: ﴿إِنَّ اللهَ لَايَسْتَحْيِيْ﴾ مَدنِيَة؛ وَأَمّا المُعارَضَة المَذكُوْرَة فِيْ قَوْل الحَسَن وَقَتَادَة مَعَ المُشرِكيْن فكَانَت فِيْ مَكَّة.

٣- الحَادثَة صَحِيْحَة وَمَربُوْطة لِلآيَة وَثَبَت سَبَب النُّزوْل بِطُرق صَحِيْحَة، وَلٰكِن لامَدْخَل لَهَا فِيْ تَفسِيْر الآيَة، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ﴾ [البقرة۝] نَزَلَت فِيْ يَهوْدِي مِنَ المَدِيْنَة يَنصحُ لِأَقْربَائِه المُسلِمِيْن أَنْ يَّثْبُتُوْا عَلىٰ دِيْن الإِسْلَام.

المَلحُوْظَة: أَشَارَ المُصَنِّف العَلّام إِلَى النَّوْع الثَّالِث مِنَ الحَوَادِث وَالقِصَص.(مُحَمَّدإِلْيَاس)

(١) قَوْله: (عِنْد سَمَاع ذٰلِكَ التَّعْرِيْض): كَسُوْرَة الفِيْل وَآيَات الغَزوَات، نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ﴾ [الأنفال۝] نَزَلَت فِيْ غَزوَة بَدْر. (الفوز العظيم)

(٢) قَوْله: (الفَصْلُ الأَوَّلُ): ذكَرَ الإمامُ المصنفُ فِي الفَصْل الأَوَّل عِلمَ الجَدَل مَع الفِرَق الأَرْبَع الضَّالّة، وَفِي الفَصْل الثَّانِي بَقيةَ العُلوْم الخَمْسةِ؛ فَبَدَأَ بِعُلوْم التَّذكِيرِ الثَّلَاثةِ، ثُم ثَنّٰى بِمَباحِث الأَحْكَام؛ فَفِي الكَلَامِ لَفٌّ وَنَشر مُشوَّش، فَتَنَبَّهْ لَه. (المعرّب)

(٣) قَوْله: (عِلْم الجَدَل): عِلْم بِأُصُوْل تَرَدّ بِهَا الشُّبُهات البَاطِلَة الَّتِي تَتَوَلَّد فِي النُّفُوس السِفْلِيَّة. (الفوز العظيم بتغيير) =

= الملحوظة: قدّمه الإمامُ عَلىٰ عِلم التذكِيْر، لأنّه مِن قَبيلِ دفْع المضرَّة، والتَّذكيرُ مِنْ قَبيلِ جَلب المنفَعة، والقاعِدة مقرَّرة: أنَّ دَفعَ المضرَّة أولىٰ مِن جَلب المنْفَعة. (العظيم)

(٤/ ١) قَوْله: (المُخاصَمَة): اعْلَمْ! أنَّ المُكَابَرَة كثِيْرا مَّا تَحْمِل أَصْحَابَها عَلىٰ إثَارَة الشُّكُوْك والشُّبُهَات، وتَزْيُينِها فِي مِرْآة العَقْل، فَهِيَ فِي حَاجَة إلىٰ مُقارَعَتِها بالحُجَّة؛ ولَمَّا ثَبت أنَّ القُرْآن الكَرِيْم هُوَ دَعْوَةُ اللهِ إلَى الإنْسَان كَافَّةً، ومِنْ طبِيْعة الإنسَان الجَدَلُ، كَمَا قَالَ اللهُ سُبْحانَهُ وتَعَالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَكۡثَرَ شَيۡءٖ جَدَلٗا﴾ [الكهف٥٤]، عَارَضَهُم القُرْآن فِيْ أَسْلُوْب مُقْنِع، واسْتِدْلال مُلْزِم، وجَدَلٍ مُحْكَم، وَأَمَرَ بِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت٤٦].
(رَوح القدير)

الملاحظة: والآيةُ تدلُّ عَلىٰ جَواز المناظرَة معَ الكفَرَة فِي الدِّين، وتدلُّ أيْضا عَلىٰ فَضِيلة تَعَلُّم "عِلمِ الكلامِ" الذِي بهِ تتحقَّق المُجادَلة؛ كَذَا قَال القَسطَلَانِي. (مُحَمَّدْإلْيَاس)

(٤/ ٢) قَوْله: (وَقَعَتِ المُخاصَمَة): أنْوَاعٌ مِنْ مُنَاظَرَات القُرْآن:

الألِف: مَا يَذْكرُه تَعَالىٰ مِنَ الآيَات الكَوْنِيَّة المَقْرُوْنَة بالنَّظَر وَالتَّدَبُّر للاسْتِدْلال عَلىٰ أُصُوْل العَقَائِد، كتَوْحِيْده سُبْحَانهُ وتَعَالىٰ فِي الأُلُوْهِيَّة، والإيْمَانِ بمَلٰئِكَتِه، وكُتُبِه، ورُسُلِه، واليَوْم الآخِر؛ وهٰذَا النَّوْعُ كثِيْرٌ فِي القُرْآن، فمِنه قَوْله تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة].

البَاءُ: مَا يَرُدُّ بِهِ عَلَى الخُصُوْم، ويُلْزِم أَهْلَ العِنَاد؛ وَلَهُ صُوَرٌ مختَلِفَة:

١- تَقْرِيْر المُخَاطَب بِطَرِيْق الاسْتِفْهَام عنِ الأمُوْر التِيْ يُسَلِّم بِها الخَصْم، وتُسَلِّم بِهَا العُقُوْلُ حَتّٰى يَعْتَرِف بِمَا يُنْكِرُه، كالاسْتِدْلال بالخَلْق عَلَى وُجُوْد الخَالِق؛ ومِنْه قولُه تعالىٰ: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ (إلىٰ قَوْله:) سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٣﴾ [الطور٣٥ - ٤٣].

٢- الاسْتِدْلالُ بِالمَبْدَأ عَلَى المَعَاد، والاسْتِدْلالُ بِحَيَاة الأرْض بَعْد مَوْتِها بِالإنْبَات عَلَى الحَيَاة بَعْد المَوْت للحِسَاب؛ فمِثَال الاسْتِدلال بالمبْدَأ قولُه تَعَالىٰ: ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ٨﴾ [الطارق]؛ وَمِثَال الاسْتِدْلال بِحَيَاة الأرْض، قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ﴾ [فصلت٣٩] وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١٩﴾ [الروم]

٣- وَإبْطَال دَعْوَى الخَصْم بِإثْبَات نَقِيْضِها، وَمِنْه قَوْلُه تَعَالىٰ: ﴿قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ =

المُشْرِكِيْن وَاليَهُوْد وَالنَّصارٰى وَالمُنَافِقِيْن؛ وَهٰذِهِ المُخَاصَمَة عَلىٰ طَرِيْقَيْن[1]:

الأوَّل: أنْ يَذْكُر سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ العَقِيْدَة البَاطِلَة، مَعَ التَّنْصِيْص[2] عَلىٰ شَنَاعَتِهَا، وَيَذْكُر اِسْتِنْكَارَهَا فَحَسْبُ[3].

وَالثَّانِيْ: أنْ يُبَيِّنَ شُبُهَاتِهِمْ الوَاهِيَة[4]، وَيَذْكُرَ حَلَّهَا بِالأدِلَّة البُرْهَانِيَّة أوِ

= بِهِۦ مُوسَىٰ﴾، رَدًّا عَلَى اليَهُوْد فِيْما حَكَاه اللهُ عَنْهُمْ بِقَوْله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ﴾ [الأنعام٩١].

٤ - وَإفْحَام الخَصْم، وإلْزَامُه بِبَيَانِ أنَّ مُدَّعَاه يَلْزَمُه القَوْلُ بِمَا لا يَعْتَرِفُ بِهِ أحَد؛ وَمِنْه قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ (إلى قَوْله:) وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام١٠٠ ١٠١]؛ فَنَفَى التَّوَلُّدَ عَنْه لامْتِنَاع التَّوَلُّد مِن شَيْءٍ وَاحِد، لأنَّ التَّوَلُّد إنَّما يَكُوْن مِنْ اِثْنَيْن، وَهُوَ -سُبحَانَه وَتَعَالىٰ- لا صَاحِبَةَ لَهُ؛ وَأيضًا فَإنَّه خَلَق كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلقُه لِكُلِّ شَيْءٍ يُنَاقِض أنْ يَتَوَلَّد عَنْهُ شَيْء. (مباحث) ملخص

الملحوظة: هُنَاكَ أنْوَاعٌ أخْرىٰ مِن الجَدَل، ذَكَرْتُها بِالبَسْط فِيْ "رَوح القدير فِيْ أُصُوْلِ التَّفْسِيْر" فَمَنْ شَاءَ فَليُراجِع. (مُحَمَّدْإلْيَاس)

(١) قَوْله: (عَلىٰ طَرِيْقَيْن): اعْلَمْ! أنَّه لَمْ يَسْلُك القُرْآنُ فِي الجَدَل طَرِيْقَة المُتَكَلِّمِيْن مِنَ الاسْتِدْلال بِالكُلِّيِّ عَلَى الجُزْئِي -كَمَا يَكُوْن فِي القِيَاس-، أوِ الاسْتِدْلال بِالجُزْئِي عَلَى الكُلِّيِّ -كَمَا يَكُوْن فِي الاسْتِقْرَاء-، أوِ الاسْتِدْلالِ بِأحَد الجُزْئَيْن عَلَى الآخَر -كَمَا يَكُوْن فِي التَّمْثِيل-؛ بَلْ أبْطَل كُلَّ شُبهَة فَاسِدَة، وَنَقَضهَا بِالمَنْع وَالمُعارَضَة فِيْ أسلُوْبٍ لايَحْتَاج إلىٰ إعْمَال عَقْلٍ وَكَثِيْرِ بَحْثٍ؛ لأنَّ القُرْآن جَاء بِلِسَان العَرَب، فَخَاطبَهم بِطَرِيْقَةٍ يَعْرِفُوْنَها، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ﴾ [ابراهيم٤]. (مباحث ملخصا)

(٢) قَوْله: (مَعَ التَّنْصِيْص): اعْلَم! أنَّ المُحَاجَّة فِي القُرْآن لَيْست بِمقْصُوْرة عَلَى المَسَائِل الاعْتِقَادِيَّة، كَمَا تُوْهم عِبارَة الشَّيْخ؛ بَل المُحَاجَّة مَعَهم وَاقِعَة فِي أعْمَالِهِمْ الشَّنِيْعَة وَأخْلاقهم القَبِيْحَة أيْضا، كَالمُحَاجَّة مَعَ قَوْم لُوْط فِيْ إتْيَان الرِّجَال شَهْوَة مِنْ دُوْن النِّسَاء، وَمَع قَوْم عَاد وَثَمُوْد فِيْ إتْرَافِهِمْ بِتَعْمِيْر المَسَاكِن وَنَحْتِ الجِبَال بُيُوْتا، وَمَعَ قَوْم شُعيْب فِي تَطفِيْف الكَيَال وَإخْسَار المِيْزَان وَغَيْر ذٰلِكَ. (نفحات: ٤٤)

(٣) قَوْله: (فَحَسْبُ): قَالَ تعَالىٰ: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ٥٧ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ٥٨﴾. [النحل]

(٤) قَوْله: (شُبُهَاتِهِمْ الوَاهِيَة): وَمِنْهُ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْأَيَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة].

الخَطابِيَّة(١).

(١/ ١) قَوْله: (الأدِلَّة البُرْهَانِيَّة أو الخَطابِيَّة): مَا مِن برْهَان وَدلِيْل مِن العقْلِيّات وَالسّمعِيَّات إلَّا وَقد نَطق بِه القُرْآن؛ وَلٰكِن أوْرَدَه عَلى عَادَات العَرَب، دُوْن دَقَائِق طُرُق المُتكلمِيْن لِيفْهَم العَامّة؛ فَيذْكر سُبحَانَه وَتعَالىٰ عَقائِدهُم البَاطِلَة، وَردّهَا بِالبُرْهَانيّات مِن المُشاهَدَات وَالمُتوَاتِرَات وَغَيْرِهَا؛ وَيذْكُر سُبحَانَه وَتعَالىٰ مَقبُوْلاتهِم الوَاهِيَةَ وَمَظْنوْنَاتهِمْ، ثمَّ ردّها بِالقِياس الخَطابِي؛ وَيذْكُر مَشهُوْرَاتهِم وَمسَلَّمَاتهِمْ، ثمَّ ردّها بِالقِيَاس الجَدَلي. (رَوح القدير)

فَمِن البُرْهانِيَّات قَوْله تعَالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ [القيامة]؛ وَرَدُّ عَقَائِدهمْ البَاطِلةِ بِالبُرهَانِيَّات مِنَ المُشَاهَدَات، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٩﴾ [فصلت].

وَمِنَ الخَطابِيَّات قَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾ إلخ فَفِيْه صَنعَة التَّسلِيْم؛ وَهُوَ أنْ يَذْكُر المُتكَلِّم أمْرًا قَدْ ثَبت استِحَالَته، أوْ أمْرا مَشرُوْطا فِيْه شَرْط مُستَحِيْل؛ ثُمَّ يُسلِّم وُقُوْعه، وَيَأْتِي بِمَا يَدُلّ عَلىٰ إبْطاله، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ﴾ [المؤمنون۝٩١]؛ وَالمَعْنىٰ: لَيْس مَعَ الله مِن إله، وَلَوْ سلّم: أنَّ مَعَه إلٰهًا لَزِم مِنْ ذٰلِكَ التَّسلِيْم ذَهَابُ كُلّ إِلٰه بِمَا خَلَق، وَعُلُوُّ بَعْض عَلىٰ بَعْض؛ فَلَايَتِمّ فِي العَالَم أمْر، وَلا ينفُذ حُكْم، وَلا تنْظم أحْوَاله؛ وَالوَاقِع خِلَافه.

وِمِن الجَدلِيّات قولُه تَعَالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ﴾ رَدًّا عَلَى اليَهُوْد فِيْمَا حَكَاه الله عَنْهُمْ، بِقَوْله: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ "مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ"﴾ [الأنعام۝٩١].(مُحَمَّدْإلْيَاس)

وَفِيْه قاعِدة: قَدْيَرِدُالخِطَابُ بِالشَّيْءِفِي القُرْآنِ عَلىٰ إعْتِقَادِالمُخَاطَبِ،دُوْنَ مَافِيْ نَفْسِ الأَمْرِ. (قواعد)

(١/ ٢) قوله: (الخَطابِيَّة): وَمِنَ الحُجَج: القِيَاس الاقْتِرَاني، وَمِنْه قَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝٢٧﴾ [الإسراء]، فَالنَّتِيْجَةُ: فَالمُبذِّرُوْن كَانُوا لرَبِّهِمْ كَفُوْرا؛ وَكَذٰلِك قَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ (الصُّغرَى معنىً)، وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٤٦ (الكبرىٰ معنًى)﴾ [النساء]، فالنتيجة: "فَسَوفَ يؤتِي اللهُ الذين تَابُوا . . . أَجْرًا عَظِيْمًا".

وَمِنْهَا القِيَاس الاسْتِثْنَائي عَلىٰ نَوْعَيْن: المُتّصلَ وَالمُنفَصِلَ؛ فَمِن المُتَّصِل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ﴾، [الأنبياء۝٢٢] وَلٰكِنّهما لَمْ تَفْسُدا؛ فَلَيْس فِيْهِمَا آلِهَة إلّا الله؛ إذِ اللّازِم=

[المُشْرِكُوْنَ وَضَلَالَاتُهُمْ]

وَقَدْ كَانَ المُشرِكُوْن يُسَمُّوْن أَنْفُسَهُم حُنَفَاء(١)، وَيَدَّعُوْن التَّدَيُّن(٢) بِمِلَّة سَيِّدنَا

= - هُوَ فَسَاد الكَوْن- بَاطِل، وَهٰذَا يَقتَضِي أَنْ يَّكُوْن المَلزُوْم -وَهُوَ تَعَدُّد الآلِهَة- أَيضًا بَاطِلا؛ فَانْتَفى الثَّانِي بِانْتِفَاء الأَوَّل؛ وَالاسْتِثنَائِي المُنفَصِل هُوَ الَّذِي يُسَمّىٰ بـ"السَّبْر وَالتَّقسِيْم" عِند الفُقَهَاء، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ نَبِّـُٔونِي بِعِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنعام].

فَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ﴾ هٰذَا تَقسِيْم عَلَى الكُفَّار حَتّٰى يَتبَيَّن كَذِبهُم عَلَى الله تَعَالىٰ، أَيْ: لَابُدَّ أَنْ يَّكُوْن حَرَّم الذَّكَرَيْن فَيلْزَمُكُم تَحْرِيمُ الذُّكُوْر، أَوِ الانْثَيَيْن: فَيلْزَمكُم تَحْرِيْم جَمِيْع الإنَاث، أَمْ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْه أَرْحَام الأُنْثَيَيْن: وَيَلزَمُكُم تَحْرِيْم الجَمِيْع؛ وَأَنْتُم لَمْ تَلتَزِمُوْا شَيْئًا مِمَّا يُوْجبُه هٰذَا التَّقسِيْم.

وَفِيْ هٰذِه السُّؤَالات تَقرِيْر وَتَوبِيْخ، ثُم أَتْبَع تَقرِيْرهُمْ وَتَوبِيْخهُمْ بِقَوْله تَعَالىٰ: ﴿نَبِّـُٔونِي﴾ أَخْبِرُوْنِي ﴿بِعِلۡمٍ﴾ أَيْ: مِنْ جِهَة نُبُوَة أَوْ كِتَاب مِنْ كُتُب الله تَعَالىٰ: ﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ (المحرّر الوجيز)

المَلحُوْظَة: وَمِن قَبِيْل البُرهَانِيَّات: السَّبْر وَالتَّقسِيْم، وَالمَذهَب الكَلَامِي، وَالإِثْبَات، وَالتَّسلِيْم، وَأَسْلُوْب الحَكِيْم، وَالقَوْل بِموْجَب العِلَّة، وَالقَسَم؛ وَقَدْ ذَكَرْنَاها مَعَ الأَمْثِلَة فِيْ كِتَابنَا رَوْح القَدِيْر فِي أصُوْل التَّفسِيْر.(مُحَمَّدإلْيَاس)

(١) قَوْله: (حُنَفاء): الحُنَفَاء جمع حَنِيْف -عَلىٰ زِنَة فَعِيْل-: المائل عن الأَدْيَان كُلِّهَا إلى الدِّين القَوِيم، من الحَنَف وهُوَ المَيلُ؛ وفِي الاصطلاح: كُلُّ مَنْ كان عَلىٰ دِينِ إبرَاهِيْم عَلَيه الصَّلَاة وَالسَّلَام فَهُوَ حَنِيْفٌ. (المعرّب)

(٢) قَوْله: (وَيَدَّعُوْن التَّدَيُّن) ذَكَر ابْن هِشَام فِي السِّيْرَة: ١، ٢٤٢: عَنِ ابْن اسْحَاق أَنَّه قَالَ: اجْتَمَعَت قُرَيْشٌ يَوْما فِي عِيْدٍ لَّهم عِند صَنَم مِنْ أَصْنَامِهم كَانُوا يُعَظِّمُونَه، وَيَنحَرُوْن لَهُم وَيَعكُفُوْن عِندهُم، فَخَلَّص لَهُم أرْبَعة نَفرٍ نَجِيًّا، وَهُم: وَرَقَة بن نَوْفل وَعُبَيْد الله بْن جَحْش وَعُثْمَان بْن الحُوَيْرِث وَزَيْد بنُ عَمْرو بْن نُفَيْل، ثُمَّ قَالَ بَعْضهُم لِبَعْض: تَصَادقُوا، وَلْيَكْتُمْ بَعْضكُم عَلىٰ بَعْض! قَالُوا: أَجَل! فَقَال بَعْضهُم لِبَعْض تَعَلَّمُوا! وَالله مَا قَوْمُكُم عَلىٰ شَيْءٍ، لَقَدْ أَخْطَئُوا دِيْن أَبِيهِم إِبرَاهِيم! مَا حَجرٌ نُطِيْف بِهِ لَايَسْمَع وَلَايُبصِر، وَلَايَضُرّ وَلَايَنفَعُ. يَا قَوْم! التَمِسُوْا لأَنفُسِكُم، فَإِنَّكُم وَالله مَا أَنْتُم عَلىٰ شَيْءٍ؛ فَتَفرَّقُوا فِي البُلدَان يَلتَمِسُوْن الحَنِيْفِيَّة -دِيْنَ ابراهِيْم-؛ انْتَهىٰ. وَقَالَ أَبُو الصَّلْت بْن رَبِيْعَة الثَّقفِيْ، وَيذْكُر الحَنيْفِيَّة دِينَ ابْرَاهِيْم: =

إِبْرَاهِيْم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَإِنَّمَا يُقَال "الحَنِيْف" لِمَنْ: تَدَيَّنَ بِالْمِلَّةِ الإِبْرَاهِيْمِيَّة وَالْتَزَمَ شِعَارَهَا(١).

شَعَائِر المِلَّة الإِبْرَاهِيْمِيَّة:

وَشَعَائِرهَا(٢): حَجُّ البَيْت الحَرَام، وَإسْتِقْبَاله فِي الصَّلَوَات، وَالغُسْل مِنَ الجَنَابَة، وَالاخْتِتَان، وَسَائِر خِصَال الفِطْرَة(٣)، وَتَحْرِيْم الأَشْهُر الحُرُم، وَتَعظِيْم المَسْجِد الحَرَام، وَتَحرِيْم المُحرّمَات النَّسَبِيَّة وَالرَّضَاعِيَّة، وَالذَّبح فِي الحَلَق، وَالنَّحْر فِي اللَّبَّة(٤)، وَالتَّقَرُّب بِالذِّبح وَالنَّحْر إِلَى الله تَعَالَى، لاسِيَّمَا فِيْ أَيَّام الحَجّ.

كُلّ دِيْن يَوْم القِيامَة عِنْد اللـ * ـهِ -إِلا دِيْن ابْرَاهيْم - بُوْرُ

قَوْله: "بُوْر"، أيْ: هَالِك مِنَ البَوَار وَهُو الهَلَاك؛ وَيُرْوى "زُوْرُ". (العون الكبير)

(١) قَوْله: (شِعَارَها): عَلامَات وَرمُوْز تَتمَيّز بِهَا دَولَة أَوْ جَمَاعَة. (الرائد)

(٢) قَوْله: (شَعائِرها): شَعَائِر جَمْع شَعِيْرَة، وَهِيَ: العَلامَة، أوْ مَا أَمَر الشَّرْع بِالقِيَام بِهِ؛ وَقَالَ الرَّازِي: "كُلّ شَيْء جُعِل عَلَمًا عَلى شَيْء أَوْ عُلِّم بِعَلامَة جَازَ أَنْ يُسَمَّى شَعِيْرَة"؛ الشَّعَائِر الدِّينِيّة: مَظَاهِر العِبادَة وَتَقَالِيدُهَا وَمُمَارَستُهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، [الأنبياء] وَشَعائِر الحَجّ: أَعْمَاله وَمَنَاسِكه، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة].

(معجم الرائد، معجم الغني)

(٣) قَوْله: (الفِطْرَة): أيْ: سُنّة الأَنْبِيَاء الَّذِيْن أُمِرْنَا أَنْ نَّقتَدِيَ بِهِمْ، فَكَأَنَّما فُطِرْنَا عَلَيْهَا، كَذَا نُقِلَ عَنْ أَكْثَر العُلَمَاء (مِرقَاة المَفاتِيْح)؛ وَقَالَ بَعضُهمْ: مِنَ الفِطْرَة، أيْ: مِنَ السُّنّة القَدِيْمَة الَّتِيْ اخْتَارهَا الأَنْبِيَاء. (مُحَمَّد إِلْيَاس)

وَخِصَال الفِطْرَة: هِيَ قَصُّ الشارب، وإِعْفَاءُ اللِّحْيَة، والسِّوَاكُ، واستنشاقُ المَاء، وقصُّ الأظفار، وغسلُ البراجِم، ونَتْف الإِبِط، وحلقُ العَانَة، وَانتقَاصُ المَاءِ -يَعْنِي الاسْتِنْجاءَ-؛ قَالَ الرَّاوِي: وَنَسِيْتُ العَاشِرةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ المَضْمضةَ. [رواه مسلم، مشكوٰة: ٣٧٩] وفِي رِوايةٍ: الخِتَانُ بدل إِعْفاءِ اللِّحيَة. [رواه أبوداوٗد عن عمار بن ياسر رضي‌الله عنه] (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (النَّحْر فِي اللَّبَّة) اللبة: مَوضِع القِلَادة وَالعِقْد مِنَ الصَّدْر ؛ والقِلادَة: مَا يُجْعَل فِي العُنُق مِنْ حَلْي وَنَحْوه؛ وَالجَمْع: قَلائِد؛ والعِقْد: خَيْطٌ يُنْظَم فِيْه الخَرَز وَنَحْوه يُحِيْط بِالعُنُق؛ =

- **شَرَائِعُ المِلَّة الإبْرَاهِيْمِيَّة:**

وَقَدْ كَانَ الوُضُوْء وَالصَّلوٰة(١)، وَالصّوْم مِنْ طُلُوْع الفَجْر إِلىٰ غُرُوْب الشَّمْس، وَالصَّدَقَة عَلَى اليَتَامىٰ وَالمَسَاكِيْن، وَالإِعَانَة عَلىٰ نَوَائِب الحَقّ، وَصِلَة الأَرْحَام؛ مَشْرُوْعَة فِي أصْل المِلَّة، وَكَان التَّمَدّح بِهٰذِه الأَعْمَال(٢) شَائِعا فِيْمَا بَيْنهُم، إِلاَّ أَنّ جُمْهُوْر المُشْرِكِيْن قَدْ تَرَكُوْهَا، حَتّٰى صَارَتْ هٰذِهِ الأَعْمَال فِيْ حَيَاتِهِم العَمَلِيّة كَأَنْ لَّمْ تَكُنْ شَيْئًا.

وَقَدْ كَانَ تَحْرِيْم القَتْل وَالسَّرِقَة وَالزِّنَا وَالرِّبَا وَالغَصَب أَيْضا ثَابِتا فِيْ أَصْل المِلَّة؛ وَكَان اسْتِنْكَار هٰذِه الأَفْعَال بَاقِيا عِنْدَهُمْ فِي الجُمْلَة(٣)؛ وَلٰكِن جُمْهُور

= وَالجَمْع: عُقوْد.(معجم الرائد. الوسيط)

(١) قَوْله: (كَانَ الوُضُوْء وَالصَّلوٰة): ومنْ شَرَائِعِها: الوُضُوء كما رُوِي عَنْ عُثمَان: أَنّ رَسوْل الله ﷺ توَضَّأَ ثَلْثا ثَلْثا، وَقَال: هٰذَا وُضُوْئِي وَوُضُوء الأَنْبِيَاء قَبْلِي وَوُضوْء إِبرَاهِيْم؛ هٰذِه الرِوَايَة ضَعِيْفة كَمَا ذَكَره النّوَوِي فِي شَرْح مُسْلم، وَلٰكنَّهَا كَافِيَة لِلمُدّعى؛ لأَنَّه ثَبَت عِنْد البُخَارِي فِيْ قِصَّة سَارَة مَع المَلِك: أَنَّها قَامَت تَتوَضَّأ وَتُصلّي، وَفِي قِصَّة جُرَيْج الرَّاهِب أَنَّه قَام فَتَوضَأ.

وَمِنْها الصَّلوٰة: فِي دُعَاء إِبرَاهِيْم: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [ابراهيم٤٠]، وَفِي ذِكْر إِسمَاعِيْل: قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ﴾ [مريم٥٥]، وَقَوْله تَعَالىٰ فِيْ مَدْح إِبرَاهِيْم وَلُوْط وَيعقُوْب: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ [الأنبياء٧٣]

وَمِنْها الصَّوم: عَنْ عَائشَة كَانَ يَوْم عَاشُورَاء تَصوْمه قُرَيْش فِي الجَاهِلِيّة. (الفوز العظيم)

(٢) قَوْله: (التَمَدّح بِهٰذِه الأَعْمَال): عنْ عائشَة، ... فقَالتْ خَدِيجَة: كَلّا! واللهِ مَايُخزِيْك اللهُ أَبدًا! إِنَّك لَتَصِل الرَّحِم، وتَحمِل الكَلّ، وتَكسِب المَعدُوم، وتَقرِي الضَّيف، وتُعِين عَلىٰ نَوائِب الحَقِّ.

(رواه البخاري: ٣ -٤)

(٣) كما قَالَ زَيد بن عَمرو بن نُفَيل فِي مَذمَّة الفُسَّاق والفُجَّار:

عَجِبْتُ -وَفِيْ اللَّيَالِيْ مُعْجِبَاتٌ * وَفِيْ الأَيَّام يَعْرِفُهَا البَصِيْرُ-
بأَنَّ اللهَ قَدْ أَفْنىٰ رِجَالًا * كَثِيْرًا كَانَ شَأْنُهُمْ الفُجُوْرُ

المُشرِكِيْن كَانُوا يَرتَكِبُوْنَهَا، وَيَتَّبِعُوْن النَّفْس الأَمَّارَة فِيْهَا.

- عَقَائِدُ المِلَّة الإِبْرَاهِيْمِيَّة:

وَقَدْ كَانَتْ عَقِيدَةُ إِثبَات الصَّانِع سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ، وَأَنَّه هُوَ خَالِق الأَرْض وَالسَّمٰوَات العُلىٰ، وَأَنَّه مُدَبِّر الحَوَادِث العِظَام[1]، وَأَنَّه قَادِر عَلىٰ إِرْسَال الرُّسُل[2] وَجَزَاء العِبَاد بِمَا يَعمَلُوْن، وَأَنَّه مُقَدِّر لِلحَوَادِث العَظِيْمَة قَبْل وُقُوْعِهَا، وَأَنَّ المَلائِكَة عِبَاده المُقَرَّبُوْن، وَأَنَّهُم يَسْتَحِقُّوْن التَّعظِيْم؛ كُلُّ ذٰلِكَ كَانَ ثَابِتا عِنْدَهُم[3]، وَيَدُلُّ عَلىٰ ذٰلِكَ أَشْعَارهُم[4]؛ وَلٰكِنَّ جُمْهُوْر المُشْرِكِيْن قَدْ وَقَعُوْا فِيْ شُبُهَات كَثِيْرَة تُجَاه[5] هٰذِه المُعْتَقَدَات لاسْتِبْعَادهَا، وَعَدَم أُلْفَتِهِمْ بِإِدْرَاكهَا.

[ضَلالُ الْمُشْرِكِيْنَ]

وَكَانَ مِنْ ضَلالِهِم: الشِّرْك، وَالتَّشبِيْه، وَالتَّحرِيْف، وَجُحُوْد الآخِرَة، واسْتِبْعَاد

(١) قَوْله: (مُدَبِّر الحَوَادِث العِظَام): قَالَ تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴿٣١﴾﴾ [يونس].

(٢) قَوْله: (قَادِر عَلىٰ إِرْسَال الرُّسُل): قَالَ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام١٢٤].

(٣) قَوْله: (ثَابِتا عِندَهُم) أَيْ: أَنَّ العَقَائِد المَذكُوْرَة كَانَت ثَابِتَة عِندَهُم.

(٤) قَوْله: (وَيَدُلُّ عَلىٰ ذٰلِكَ أَشْعَارهُم) كَمَا قَالَ أَبو الصَّلْت فِي واقِعة الفِيل:

إِنَّ آيَاتِ رَبِّنَا ثَاقِبَاتٌ * لايُمَارِيْ فِيهِنَّ إِلَّا الكَفُوْرُ
خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، فَكُلٌّ * مُسْتَبِيْنٌ، حِسَابُهُ مَقْدُوْرُ
ثُمَّ يَجْلُوْ النَّهَارَ رَبٌّ رَحِيْمٌ * بِمَهَاةٍ، شُعَاعُهَا مَنْشُوْرُ
حَبَسَ الفِيْلَ بِالمُغَمَّسِ، حَتّٰى * ظَلَّ يَحْبُوْ كَأَنَّهُ مَعْقُوْرُ

(٥) قَوْله: (تُجَاه) التُجَاه: الوَجْهُ الَّذِي تَقصِدُه؛ يُقَال: جَلَس تُجَاه الخَطِيْب: مُقَابِلاً لَهُ؛ وَأَصْلُه: وِجَاه. (معجم الوسيط، معجم الغني)

رِسَالَة النَّبِيّ ﷺ، وَشُيُوْع الأَعْمَال القَبِيْحَة وَالمَظَالِم فِيْمَا بَيْنَهُم، وَابْتِدَاع التَّقَالِيْد(١) البَاطِلَة، وَانْدِرَاس العِبَادَات.

بَيَانُ الشِّرْكِ(٢):

وَالشِّرْكُ: أَنْ يُثْبِت لِغَيْرِ الله تَعَالىٰ شَيْئا مِنَ الصِّفَات المُخْتَصَّة(٣) بِه تَعَالىٰ،

(١) قَوْله: (التَّقَالِيْد) جَمْع تَقلِيْد، وَهِيَ: العَادَات وَالرُّسوْم المُتَوَارَثة الَّتِي يُقلِّد فِيْها الخَلَفُ السَّلَفَ؛ أَوْ هِيَ: العَادَات وَالعَقَائِد وَالأَعْمَال وَالحضارَة الَّتِي يَرِثها الخَلفُ عَنِ السَّلَف؛ وَالتَّقالِيد عِنْد النَّصَارَى: هِيَ مَا يَنتَقِل إِلَيهِم مِنْ أُمُوْر العِبَادَة تَعلِيما أَوْ وَرَاثة. (معجم الرائد، العون الكبير)

(٢) قَوْله: (بَيَانُ الشِّرْكِ): وَالفَرْق بَيْن الكُفر وَالشِّرْك: أَنَّ الكُفر جَحْد الحَقّ وَستْره، كَالَّذِي يَجحَدُ وُجُوْب الصَّلَاة أَوْ وُجوْب الزَّكَاة؛ وَأَمَّا الشِّرْك فَهُو صرْف بَعْض العِبادَة لِغَيْر الله، كَمَنْ يَستَغِيْث بِالأَمْوَات أَوِ الغَائِبِيْن أَوِ الجِنّ أَوِ الأَصْنَام أَوِ النُّجُوْم وَنَحْو ذٰلِكَ؛ أَوْ يَذبَح لَهُم أَوْ يَنْذِر لَهُمْ.

المَلحُوظَة: وَسَمّى الله دُعَاءَهُم غَيْرَ الله شِرْكا فِي سُوْرَة الفَاطِر: ١٣ - ١٤، وَفِي سُوْرَة المُؤْمِنُوْن: ١١٧ سَمَّاه كُفرا؛ فَدَلّ ذٰلِكَ عَلىٰ أَنَّ الكَافِر يُسَمّى مُشرِكا وَالمُشرِك يُسَمّى كَافِرا، وَالآيَات وَالأَحَادِيْث فِي ذٰلِك كَثِيْرَة، وَمِنْ ذٰلِكَ قَوْل النَّبِي ﷺ "بَيْن الرَّجُل وَبَيْن الشِّرْك وَالكُفْر تَرْك الصَّلَاة" أَخْرَجَه مُسلِم عَنْ جَابِر بْن عَبْد الله: ٨٢. (مجموع فتاوىٰ ومقالات الشيخ ابن باز ملخصا)

(٣/١) قَوْله: (الصِّفَات المُخْتَصَّة): اعْلَمْ! أَنّ توحِيْد الرُّبوبِيَّة محلُّ اتِّفاق عنْدَ العرَب -الَّذِين بُعث فيْهم النبيُّ ﷺ- فلمْ يجعَلْه اللهُ -عزَّ وجَلَّ- محلّ بحْثٍ وجَدَل؛ وإنَّما كثُر فيْ القُرْآن الاستدلالُ بهٰذا التَّوحِيْد -الذِي أقرّوا بِه- عَلى توْحِيْد الألُوْهِيَّة الذيْ عارَضُوه وجحَدُوْه بالقِيَاس على: "أنّ الإقرارَ بالرُّبوْبِيَّة يستَلزِم الإقرارَ بتَوْحِيْد الألُوْهِيَّة"، ولذلك خاطَب اللهُ عزَّ وجَلَّ المشْركِيْن فيْ توحِيْد الرُّبوبيَّة باستِفْهام التَّقْرِيْر، قَال تَعَالىٰ:﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١﴾ [يونس]، فلمَّا أقرُّوا برُبوبيَّتِه وَبَّخهمْ منكِرًا على شِركِهم به غيرَه بقَوْله: ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ ٣١﴾ [يونس]؛ وَكذٰلك قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٨٧﴾ [الزخرف]، فلمَّا صحَّ إقرارُهم وبَّخهم مُنكِرا علَيْهم بقَوْله: ﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٨٧﴾ [الزخرف]. (قواعد:٤٥، بتغيير)

المَلحُوظَة: اعْلمْ! أَنَّ التَّوحِيد عَلىٰ نَوعَيْن: تَوْحِيْد الأُلُوْهيَّة، وتَوْحِيْد الرُّبُوبِيَّة؛ فـ:

تَوحِيدُ الأُلوهِيَّة: هوَ إِفرَادُ اللهِ -وحْدَه- بالعِبَادة، والتَّوَجُّه إلَيْه بالدُّعاء؛ وهٰذَا الذِيْ كَفَر بسَبِبه المُشرِكُوْن.

وتَوحِيْد الرُّبُوْبِيَّة: هوَ الاعتِقَاد بأَنَّ اللهَ وَحْدَه هوَ الخالِق للعَالَم، وَهُو وحْدَه المُتصرّف فِيْه بالمَنْع =

كَالتَّصَرُّف فِي العَالَم بِالإِرَادَة -الَّذِيْ يعبَّر عَنْه بـ﴿كُن فَيَكُونُ﴾-، أوِ العِلْم الذَّاتِي -غَيْر المُكْتَسب بِالحَوَاسّ وَدَلِيْلِ العَقْل وَالمَنَامِ وَالإِلْهَام وَنَحْو ذٰلِكَ-، أوِ الإِيْجَادِ لِشِفَاء المَرِيْض، أوِ اللَّعْنِ عَلىٰ شَخْص وَالسَّخَطِ عَلَيْه -حَتّٰى يُقْدَر عَلَيْه الرِّزقُ، أوْ يَمْرَضَ، أوْ يَشْقىٰ بِسَبَب ذٰلِكَ السَّخَط-، أوِ الرَّحْمَةِ لِشَخْص حَتّٰى يُبْسَط لَهُ الرِّزقُ، وَيَصِحَّ بَدَنُه، وَيَسْعَدَ بِسَبَبِ هٰذِهِ الرَّحْمَة(١).

- **تَوْحِيْدُ الرُّبُوْبِيَّة:**

وَلَمْ يَكُنْ هٰؤُلاء المُشرِكُوْن يُشرِكُون أحَدًا فِي خَلْقِ الجَوَاهِر(٢)، وَتَدبِيْر

= والعَطاء وغيرِ ذٰلك.

وَأوَّل مَن ذَهَب إلىٰ هٰذا التَّقسِيْم هوَ ابنُ تَيمِيَّة -رَحِمه اللهُ- حَيْث قسَّم التَّوحِيْد إلىٰ تَوْحِيد الرُّبُوْبيَّة وتَوحِيد الألوهِيَّة وتوحِيْد الأسْمَاء والصِّفَات، رامِيًا: مِن وَرَاء ذٰلكَ -كمَا قَال بَعضُهم- إبْطالَ التَّوَسّل بالأنْبِيَاء والصَّالِحِيْن، ووَسم المُتوسِّلِين بالشِّرْك وإخراجِهم عنِ الإيْمَان، مُدَّعيًا: بأنَّ في التَّوَسل إبْطالا لتَوحِيْد الألوهِيَّة؛ فنَسَب السَّلَف الصَّالح وكِبَار أئمَّة المُسْلِمِين القَائلِيْن بجَواز التَّوَسُّل إلَى الشِّرك؛ فوَقَع بخَطأ عَظِيْم وضَلال مُبِيْن؛ وعِنْدَ التَّأمُّل نَجِد: أنَّ هٰذا التَّقْسِيْم صَحِيْح في مَبْدَئه -حَيْث وافَقَهُ القَاري والشَّيْخ عَبدُ الفَتَّاح أبُو غُدَّة والمُحَدِّث الشَّاه وليُّ اللهِ الدّهْلَوي-، وفاسِدٌ في غايَتِه.

(تعليقات الشيخ عبد السلام شنار علىٰ ضوء المعالي: ٥٤)

(٣/ ٢) قَوْله: (الصِّفَات المُخْتَصَّة): اعْلَم! أنَّ الصِّفَات بِحَسَب الاتِّصَاف عَلىٰ نَوعَيْن: ١- الصِّفَات الَّتِيْ يُحِبّ الله مِنْ عِبَاده أنْ يَتَّصِفُوا بِمُقْتَضَاهَا، كَالعِلْم وَالقُوَّة فِي الحَقّ وَالرَّحْمَة وَالكَرَم وَالعَفْو وَغَيْرِهَا، فَهُوَ سُبحَانه وَتَعالىٰ عَلِيْم يُحِب العُلَمَاء، قَوِي يُحِب المُؤمِن القَوِي، كَرِيْم يُحِب الكُرَمَاء، رَحِيْم يُحِبّ الرُّحَماء، عَفُوّ يُحِب الْعَفْو؛ ٢- وَالصِّفَات المُختَصَّة بِالله تَعَالىٰ، كَالخَلَّاق وَالرَّزَّاق وَالإِلٰه، وَنَحْو ذٰلِكَ؛ فَإنَّ هٰذَا شَيْء لايُمْكِن أنْ يتَّصِفَ بِه المَخلُوْق، وَلا يَجُوْز لأحَد أنْ يدَّعِيْه. كَذَا قَالَ ابْن البَاز.(مُحَمَّدإلْيَاس)

وفِيْه قاعِدة: "جَمِيْعُ الأسْئِلَةِ المُتَعَلِّقَةِ بِتَوْحِيْدِ الرُّبُوْبِيَّةِ اِسْتِفْهَامَاتُ تَقْرِيْر". [قواعد: ١٣٧]

(١) قَوْله: (هٰذِهِ الرَّحْمَة): والحاصلُ: أنَّ الصِّفاتِ المَذكُورةَ مِن التصرُّف فِي الكَون، وَالعِلمِ الذَّاتي، وَإيْجَادِ الشِّفَاء، وَاللعنِ، والسَّخطِ وَالرَّحمِةِ، كُلُّها مختصةٌ بِالله تَعَالىٰ؛ فَمن أثْبتَ شَيئًا مِنها لِغَيْره تَعَالىٰ فَقَد أشْرَكَ. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (خَلْقِ الجَوَاهِر): جَمْعُ الجَوْهَر، وهو: مَا قام بنفسه، ويُقَابِلُهُ العَرْض؛ والمُراد: المكوَّنَاتُ المَادِّيَّة. (المعرِّب)

الأُمُوْر العِظَام[١]، وَلا يُثبِتُوْن لأحَد قُدْرَةَ المُمَانَعة[٢] إذَا أَبْرَمَ[٣] الله تَعَالىٰ أمْرًا.

وَإنّمَا كَانَ إشرَاكُهم فِي أمُوْر خَاصّة[٤] بِبَعْض العِبَاد، وَيَظُنُّوْنَ: أنَّ سُلْطَانا عَظِيْما مِنَ السَّلاطِيْن كَمَا يُرْسِل عَبِيْدَه المَخْصُوْصِيْن إلىٰ نَوَاحِي مَمْلَكَتِه، وَيَجعَلُهُم مُختَارِيْن مُتصرّفِيْن فِي أمُوْر جُزئِيّة، إلىٰ أنْ يّصْدُر عَنْه حُكْم صَرِيْحٌ فِيْ أمْر خَاصٍّ؛ وَلا يَقُوْم بِشُئُوْن الرَّعِيّة وَأمُوْرِهِمْ الجُزْئِيَّة بِنَفسِه، بَلْ يَكِلُ الرَّعِيَّة إلَى الوُلاة وَالحُكَّام، وَيَقْبَل شَفَاعَتهُم فِي حَقّ الَّذِيْن يَخْدِمُونَهُم، وَيَتوسَّلُوْن بِهِم؛ كَذٰلِكَ قَدْ خَلَع المَلِكُ عَلى الإطْلاق[٥] عَلىٰ بَعْض عِبَاده خِلْعَة الألُوْهِيَّة، وَجَعَل سَخَطَهُم وَرِضَاهُم مُؤثِرًا فِيْ عِبَاده الآخرِيْن.

فَيَرَوْنَ التَّزَلُّفَ[٦] إلىٰ أولٰئِكَ العِبَاد المُقَرَّبِيْن وَاجِبا لِيَتَيَسّرَ لَهُم حُسْنُ القبُوْل فِي حَضْرَة المَلِكِ المُطْلَق، وَتُقْبَل شَفَاعَتهُم لِلمُتقرِّبِيْن بِهِمْ فِي مَجَارِي الأمُوْر[٧].

وَكَانُوا يُجَوِّزُوْن نَظَرا إلىٰ هٰذِه الأمُوْر: أنْ يُسْجَدَ لَهُمْ، وَيُذْبَحَ لَهُمْ وَيُحْلَف بِهِمْ، وَيُسْتَعَان بِقُدْرَتِهِمْ المُطْلَقَة فِي الأمُوْر المُهِمَّة؛ وَنَحَتُوْا صُوَرا كَصُوَرِهِم مِنَ الحَجَر وَالصُّفْر، وَجَعَلُوْهَا قِبْلَةً لِلتَّوَجّه إلىٰ تِلْكَ الأرْوَاح؛ حَتّٰى اعْتَقَد الجُهَّال شَيْئا فَشَيْئا

(١) قَوْله: (الأمور العظام): وَهِي الأمُوْر العَامَّة المُتعَلّقَة بِالسَّمٰوَات وَالأرْض وَمَا بَينَهُمَا مِن: خَلْق السَّمٰوَات وَالأرْض وَإنْزَال المَطَر مِنَ السَّحَاب وَتَفجِيْر اليَنَابِيْع فِي الأرْض وَإخْرَاج أنْوَاع الثِّمَار وَالحُبُوْب وَالأزْهَار بِالمَاء. (مُحَمَّدْإلْيَاس)

(٢) قَوْله: (قُدْرَةَ المُمَانَعَة): المُمَانعة: المُنَازَعة. (المعرّب)

(٣) قَوْله: (إذَا أبْرَمَ): أبرَم الأمرَ: أحْكَمَه. (المعرّب)

(٤) قَوْله:(أمُوْر خَاصَّة) وَهِيَ الأمُوْر الَّتِي تَختَصّ بِالأشْخَاص عِنْد هُجُوْم الأحْوَال المُختَلِفَة مِن الغِنٰى وَالفَقْر وَالصِحّة وَالمَرَض بِحَيْث تَتَغيّر فِيْها مَوَاقِف النَّاس.(مُحَمَّدْإلْيَاس)

(٥) قَوْله: (عَلى الإطْلاق): أي: الكَامِلُ فِي التَّصرُّف، يَفْعلُ مَا يَشَآء؛ مَنْ أطلقَ لَه التَّصرُّف: أبَاحه.

(٦) قَوْله: (التَّزَلُّف): التزلُّف: التقرُّب. (المعرّب)

(٧) قَوْله: (مَجارِيْ الأمُوْر): هِيَ الأمُوْر العَامّة وَمَا دُوْن الأمُوْر العِظَام؛ وَالمَجارِي جَمْع المَجْرَى، أي: المَمَرّ عُمُومًا، مَثَلا: مَجْرَى الشَّمْس. (العون الكبير)

تِلْكَ الصُّور مَعْبُوْدَةً بِذَوَاتِهَا؛ فَتَطَرَّقَ[1] الفَسَادُ العَظِيْم إِلَى المُعْتَقَدَات.

بَيَان التَّشْبِيْه:

وَالتَّشبِيْه: عِبَارَة عَنْ إِثْبَات الصِّفَات البَشَرِيّة[2] لِله تَبَارَك وَتَعَالىٰ، فكَانُوا يَقُوْلُوْن: إِنَّ المَلائِكَة بَنَات الله[3]، وَإِنَّهُ تَعَالىٰ يَقْبَلُ شَفَاعَةَ عِبَادِهِ[4] وَإِنْ لَّمْ يَرْضَ بِهَا، كَمَا يَفْعَل المُلُوْك أحْيَانا مِثْل ذٰلِكَ مَعَ الأُمَرَاء الكِبَار.

وَلَمَّا لَمْ يَسْتَطِيْعُوْا إِدْرَاك عِلْمِه تَعَالىٰ وَسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ، كَمَا يَلِيْقُ بِشَأن الأُلُوْهِيَّة، قَاسُوْها عَلىٰ عِلْمِهِمْ وَسَمْعِهِم وَبَصَرِهِمْ، فَوَقَعُوا فِيْ عَقِيدَة التَّجْسِيْم[5]،

(١) قَوْله: (فَتَطَرَّق): تَطَرَّقَ إليه: ابتغى إِلَيه طريقًا. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (إثبَات الصِّفَات)، فَالفَرْق بَيْن الشِّرْك وَالتَّشْبِيْه: أَنَّ الشِّرْك هُوَ إِثبَات الصِّفَات المُخْتصَّة بِالله تَعَالىٰ -مِنَ التَّصرُّف فِي الكَوْن وَالعِلْم الذَّاتِي وَغَيْرهمَا- لِلمَخلُوْق، وَالتَّشبِيْه: هُوَ إِثبَات الصِّفَات البَشرِيّة لِله تَعَالىٰ كَإِثْبَات الوَلَد والصَّاحِبَة وَغَيْرهَا. وَمَنْشأ الشِّرْك: رُؤيَة الآثَار الخَارِقَة مِنَ المَخلُوْقِيْن، فَيُظَن: أنّهَا مُضَافَة إِلَيْهِمْ بِمَعْنى الخَلْق وَأنَّهَا ذَاتِيَة؛ وَمَنْشَأ التَّشبِيْه: قِيَاس الغَائِب عَلَى الشَّاهِد. (العون الكبير ملخصا)

(٣) قَوْله: (إِنَّ المَلائِكَة بَنَات الله): قَالَ مُجَاهِد: ﴿وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًاۚ﴾: قَالَ كُفَّار قُرَيْش: المَلائِكَة بَنَات الله، وَأُمّهَاتهُنّ بَنَاتُ سَرَوَات الجِنّ. (بخارى، تفسير سورة الصافات)؛ وَسَرَوَات جَمْع سَرِيَّة، أي: شَرِيْفَة. وَعَنْ أُبَيّ بْن كَعْب: ﴿إِنْ يَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ إِلاَّ إِنَاثًا﴾ قَالَ: "مَعَ كُلّ صَنَم جِنِّيَّة". (مسند احمد: ٢١٢٣١)

وردَّ الله سُبحانه وَتعَالى بقوله: ﴿وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٖۚ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [الأنعام١٠٠]، ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [النحل٥٧]؛ ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ﴾ [الزخرف١٩]

(٤) قَوْله: (وَإِنَّهُ تَعَالىٰ يَقْبَلُ شَفَاعَةَ عِبَادِهِ): قَالَ تَعالىٰ: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ:٣٨]؛ وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿يَوْمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلٗا﴾ [طٰه] وَغَيْر ذٰلِكَ مِنَ الآيَاتِ.

(٥) قَوْله: (عَقِيْدَة التَّجْسِيْم): عقيدةُ أَنَّ الله تعالىٰ له جسمٌ كَأَجْسَامنَا، وَمِنْه: المُجَسَّم، كُلّ مَا لَه طُوْلٌ وَعَرْض وَعُمْق؛ والتحيُّز: عقيدةُ أَنّ الله تَعالىٰ مُتَمَكِّنٌ فِي مكانٍ، وَالحَيْز وَالحَيِّز: المَكَان.

(العون الكبير ملخصا).

وَنَسَبُوْا التَّحَيُّزَ إِلَى الله تَعَالَى شَأْنُه.

بَيَان التَّحْرِيْف:

وَأَمَّا التَّحرِيْف فَإِنّ قِصّتَه: أَنّ أَوْلادَ سَيّدِنَا إِسْمَاعِيْل عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا عَلَى شَرِيْعَة جَدّهِم الكَرِيْم: سَيّدنَا إِبْرَاهِيْم عَلَيْه الصَّلوٰة وَالسَّلام، حَتّٰى جَاءَ عَصْر عَمْرو بْن لُحَيٍّ[١] -لَعَنَه الله-، فَوَضَعَ لَهُم الأَصْنَام، وَشَرَعَ لَهُمْ عِبَادَتَهَا، وَاخْتَرَعَ لَهُم تَحْرِيْر البَحَائِر[٢] وَالسَّوَائِب وَالحَامِي، وَالاسْتِقْسَام بِالأَزْلام، وَأَمْثَال هٰذِه الطُّقُوْس[٣].

وَقَدْ كَان هٰذَا الحَادِث[٤] قَبْل بَعْثَة النَّبِيّ ﷺ بِقُرَابَة ثَلاثِ مِأةِ سَنَة، وَكَانُوا يَتَمَسَّكُوْن فِيْ هٰذَا البَاب[٥] بِآثَار آبَاءِهِمْ وَيَرَوْنَهَا مِنَ الحُجَج القَاطِعَة.

---

(١) قَوْله: (عمرُو بنُ لُحَيٍّ): عَمْرُو بنُ لُحَيّ: مِنْ قَحْطَان، كُنْيَتُه: أبو ثمامة، وفِي نَسَبِه اختلافٌ شديدٌ، ويُظَنّ أنّه كانَ فِي أوائلِ القَرْن الثَّالث مِن المِيْلاد. (المعرّب)

(٢) قَوْله: (البَحَائِر): إِعْلَم! أَنَّ أَهْلَ الجَاهلِيَّة إِذَا وَلَدتِ النَّاقَة خَمْسَة أَبْطُن، آخِرهَا ذَكَرٌ بَحَرُوا أُذُنَهَا -أَيْ: شَقُّوْهَا- وَخَلَّوْا سَبِيْلَهَا، فَلاتُرْكَبُ وَلاتُحْلَبُ؛ فَهٰذِهِ هِيَ البَحِيْرَة، وَجَمْعُهَا: البَحَائِر.

وَكَانَ الرَّجُل مِنهُم يَقُوْل: "إِنْ شُفِيْتُ فَنَاقَتِي سَائبَة"، وَيَجْعلُهَا كَالبَحِيْرَة فِي تَحْرِيْم الانْتِفَاع بِهَا؛ وَالسَّائِبَة جَمْعهَا السَّوَائِب.

وَإِذَا نَتَجَتْ مِنْ صُلْب الفَحْل عَشَرَة أَبْطُن حَرَّمُوا ظَهْرَه، وَلَمْ يَمنَعُوْه مِنْ مَّاء وَلا مَرْعًى، وَقَالُوا: "حَمِيَ ظَهْرُه"؛ وَالحَامِي جَمْعهَا حَوَامِي. (البيضاوي بزيادة يسيرة)

وَأَمَّا الاسْتِقْسَام: فَهُوَ أَنَّهُم إِذَا قَصدُوْا فِعْلا ضَرَبُوا ثَلاثَة أَقْدَاح، مَكتُوْب عَلَى أَحدِهَا: "أَمَرَنِي رَبِّيْ"، وَعَلى الآخَر: "نَهَانِي رَبِّي"، وَالثَّالِث: غُفْل؛ فَإِنْ خَرَج الآمِر مَضَوا عَلَى ذٰلِكَ، وَإِنْ خَرَجَ النَّاهِي تَجَنَّبُوا عَنْه، وَإِنْ خَرَجَ الغُفْل أَجَالُوْهَا ثَانِيًا؛ فَمَعْنى الاسْتِقْسَام: طَلبُ مَعْرِفة مَا قُسِمَ لَهُمْ دُوْنَ مَا لَمْ يُقْسَم لَهُمْ بِالأَزْلَام. (البيضاوي)

(٣) قَوْله: (الطُّقُوْس): جمع الطَّقس: وهي المَراسِيمُ الدينيةُ. (المعرّب)

(٤) قَوْله: (هٰذَا الحَادِث): يعني: وقعةَ عمرِو بنِ لُحَيّ. (المعرّب)

(٥) قَوْله: (فِي هٰذَا البَاب): يعني: فِي جوازِ عِبَادَة الأَصْنَام. (المعرّب)

جُحُوْد الآخِرَةِ:

وَقَدْ بَيّن الأنْبِيَاء السَّالِفُوْن الحَشْرَ وَالنَّشْر، وَلٰكِنْ لَمْ يَكُن ذٰلِكَ البَيَان بِشَرْح وَبَسْط مِثْل مَا تَضَمَّنَه القُرْآن العَظِيْم؛ وَلِذٰلِكَ كَانَ جُمْهُوْر المُشْرِكِيْن قَلِيْلي الاطّلاع عَلَيْه، وَكَانُوْا يسْتَبعِدُوْن وُقُوْعَهُ[١].

إِسْتِبْعَاد رِسَالَة النَّبِيّ ﷺ:

وَهٰؤُلاء الجَمَاعَة وَإِنْ كَانُوْا مُعْتَرِفِيْن بِنُبُوّة سَيِّدنَا إِبْرَاهِيْم وَسَيّدنَا إِسْمَاعِيْل عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، بَلْ بِنُبُوّة سَيّدنَا مُوْسىٰ عَلَيْهِالسَّلَامُ أَيْضًا[٢]؛ وَلٰكِنْ كَانَت الصِّفَات البَشَرِيّة -الَّتِيْ هِيَ حِجَاب لِجَمَال الأَنْبِيَاء الكَامِل[٣]- تُشَوِّشُهُمْ تَشْوِيْشا[٤]؛ وَكَذٰلِكَ لَمّا لَمْ يَعْرِفُوا حَقِيْقَة تَدْبِيْر الله -الَّذِيْ هُوَ مُقْتَضِي بِعْثَةَ الأَنْبِيَاء[٥]- اسْتَبْعَدُوا الرِّسَالَة، ولاعْتِقَادهِم: أَنَّ الرَّسُوْل يَنْبَغِيْ أَنْ يَكُوْن مِثْل المُرْسِل، فَكَانُوْا يُوْرِدوْن لأَجْل ذٰلِكَ شُبُهَاتٍ وَاهِيَةً غَيْرَ مَسْمُوْعَة، فَيَقُوْلُوْن مَثَلا: كَيْفَ يَكُوْن

---

(١) قَوْله: (وَكَانُوْا يسْتَبعِدُوْن وُقُوْعَهُ): قالَ اللهُ تعالىٰ ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾. [الأنعام]؛ وقال تعالىٰ حاكِيًا: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الصافات]؛ وقال تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾﴾ [يٰس]؛ وقال تعالىٰ: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾﴾ [قٓ].(مُحَمَّدإِلْيَاس)

(٢) قَوْله: (أَيْضًا): أي: مَعَ كَوْنه عَلَيه السَّلام مِنْ غَيْرِ آبائِهم. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (الكامِل): أَيْ: تَحُوُّلُ تلكَ الصفاتِ بين الأنبياءِ وبين جَمَالِهِم الحَقِيقِيّ، وتَحْجِبُهُمْ؛ فلايُدرِكون ذاكَ الجَمَالَ الكامِلَ لجَهْلهم. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (تَشوِيْشا): شوَّش الأَمرَ: صيَّره مُضطَربًا. (المعرِّب)

(٥) قَوْله: (مُقْتضي بَعْثَة الأَنْبِياء): البَعْثَة فِي الاصْطِلاح: إِرْسَال شَخْص مِن قِبَل الله تَعَالىٰ إِلىٰ النَّاس لِيَدعُوَهُمْ إِلىٰ دِيْنه؛ وَالبَعثَة عِنْد المُسلِمِيْن: هُوَ بَعْثَةُ النَّبِي الأَكْرَم ﷺ؛ وَبَين الله سُبحَانَه وَتَعَالىٰ مَقْصَد البَعثَة فِيْ قَوْله: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء﴿١٦٥﴾](مُحَمَّدإِلْيَاس)

النَّبِيّ مُحْتَاجًا إِلَى الطَّعَام وَالشَّرَاب[١]؟ وَلِمَا ذَا لَمْ يُرْسِلِ الله مَلَكا رَسُوْلا[٢]؟ وَلِمَاذَا لايُوْحِي[٣] إِلىٰ كُلّ أَحد علىٰ حِدَةٍ؟ وَعَلىٰ هٰذَا الأَسْلُوْب[٤].

نَمُوْذَج[٥] المُشْرِكِيْنَ:

وَإِن كُنْتَ غَيْر مُهْتَد فِي تَصوِيْر[٦] حَالِ المُشْرِكِيْن وَعَقَائِدِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ، فَانْظُر إِلىٰ حَال المُحْتَرِفِيْن[٧] مِنْ أَهْل عَصْرِنَا، لاسِيَّمَا الَّذِيْن يَقْطُنُوْن مِنْهُم بِأَطْرَاف دَار الإِسْلام[٨] مَا هِيَ تَصوُّرَاتُهُم عَنِ "الوِلايَة"؟ فَمَعَ أَنَّهُم يَعتَرِفُوْنَ بِوِلايَة الأَوْلِيَاء المُتَقَدِّمِيْن، يَرَوْنَ وُجُوْد الأَوْلِيَاء فِيْ هٰذَا العَصْر مِنْ قَبِيْل المُسْتَحِيْلات، وَيَذْهَبُوْن إِلَى القُبُوْر وَالعَتَبَات، وَيَرْتَكِبُوْن أَنْوَاعا مِّنَ الشِّرْك[٩]، وَكَيْفَ تَطَرَّقَ

(١) قَوْله: (مُحْتَاجًا إِلَى الطَّعَام وَالشَّرَاب): قَالَ تَعالىٰ حَاكِيًا: ﴿وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان٧].

(٢) قَوْله: (مَلَكا رَسُوْلا): ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الفرقان٢١].

(٣) قَوْله: (وَلِمَاذَا لايُوْحِي) كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام ١٢٤]

(٤) قَوْله: (وَعَلىٰ هٰذَا الأَسْلُوْب): يَعْنِي هُمْ يُورِدُون الشُّبهات الوَاهِيَة عَلىٰ هٰذا الأَسْلُوْب، فَيَقُوْلُوْن مَثَلا: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ٩٠ -إلىٰ قوله تعالىٰ- أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [بنى اسرائيل٩٠ - ٩٣](مُحَمَّدإِلْيَاس)

(٥) قَوْله: (النَّمُوْذَج): بِفَتْح النُّوْن وَبِضَمهَا: مِثَال الشَّيْء، وَالجَمْع: نُمُوْذَجات. (الوسيط)

المَلْحوْظَة: ذَكَر المُصنِّف العَلَّام انْمُوْذَج المُشرِكِيْن وَاليَهُوْد وَالنَّصَارىٰ وَالمُنَافِقِيْن لِيَجْتَنِب القَارِي تِلْك الصِّفَات المَذْمُوْمة، كَمَا قَالَ المُصنِّف: فَإِذَا قَرَأْت إلخ.(مُحَمَّدإِلْيَاس)

(٦) قَوْله: (تَصْوِيْر): صوَّر الأَمر: وَصَفَهُ وَصْفًا، يُكشَفُ حالُه كشفًا بينا. (المعرَّب)

(٧) قَوْله: (المُحْتَرِفِيْن): احترف: اتَّخذ حِرْفَة فهُوَ مُحْتَرِف (پیشہ کرنے والا)۔ (المعرَّب)

(٨) قَوْله: (دارِ الإِسْلام): أي لِمَا أَنَّهم يَسكُنُوْن بنَوَاحي دارِ الإسلام وأَرْجَائها يَكونُوْن جَاهِلِيْن مِنَ الدِّين. (المعرَّب)

(٩) قَوْله: (مِنَ الشِّرْك): أَيْ: هُمْ لايَستَفِيْدون مِن الأَوْلِيَاء الأَحْيَاء، بل يَذهَبُون إِلَى الأَمْوَات، =

إِلَيْهِم التَّشْبِيْه وَالتَّحْرِيْف؟ وَنَرَى طَبْق الحَدِيْث الصَّحِيْح "لَتَتَّبِعُنّ[١] سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ": أَنَّه مَا مِنْ بَلِيَّة مِّنَ البَلايَا إِلاَّ وَطَائِفَة مِنْ أَهْل عَصْرِنَا يَرْتَكِبُوْنَهَا، وَيَعتَقِدُوْن مِثْلَهَا. عَافَانَا الله سُبْحَانه وَتَعَالىٰ مِنْ ذٰلِكَ.

وَبِالجُمْلَة: فَإِنّ الله تَعَالىٰ بَعَثَ سَيِّد الأَنْبِيَاء ﷺ -بِفَضْله وَرَحْمَته- فِي العَرَب، وَأَمَرَهُ بِإِقَامَة المِلَّة الحَنِيْفِيَّة، وَخَاصَمَهُم[٢] فِي القُرْآن العَظِيْم، وَاسْتَدَلَّ فِي المُخَاصَمَة بِمسَلَّمَاتِهِم[٣] الَّتِيْ هِيَ مِن بَقَايَا المِلَّة الحَنِيْفِيَّة، لِيَتَحَقَّقَ الإِلْزَام[٤].

[كَيْفَ الرَّدُّ عَلىٰ ضَلَالَاتِهِمْ]

فَرَدُّ الإِشْرَاك

أَوّلا: بِمُطَالَبَتِهِم بِالدَّلِيْل عَلىٰ مَا يَزْعَمُوْن، وَنَقْضِ تَمَسُّكِهِم بِتَقْلِيْد آبَاءِهِمْ[٥].

= ويَرتَكِبُوْن هُناك البِدَع والخُرافَات. (المعرّب)

(١) قَوْله: (لَتَتَّبِعُنّ إلخ): رواه الشَّيْخان، واللَّفظ لأَحمَدَ والبيهقي. (المعرّب)

(٢) قَوْله: (خاصَمَهُم): أي: جادَلهم ونَازَعهم. (المعرّب)

(٣) قَوْله: (بِمُسَلَّمَاتِهِم): مثلا: "إنَّ الله خالِق السمٰواتِ والأرْض"، وهُوَ مسلَّم عندَهمْ؛ فاستدلَّ بهٰذه المسلَّمَة على البَعث بَعْد المَوت فِي مَواضِع كثِيْرة، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم٢٧]، ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [المؤمن٥٧]؛ وأيْضا: "أنَّ الله قادِر عَلىٰ بَعث الرُّسُل" مُسلَّم، فاستدَلَّ بهٰذِه المسَلَّمة عَلىٰ إرسَال الرُّسل وعَقِيْدة التَّوحيد مِرارا، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء] (الفوز العظيم)

(٤) قَوْله: (لِيَتحقَّق الإلْزامُ) أخرَج البُخاري عَنْ عَطاء بْن يَسَار قَالَ: لَقِيْتُ عَبْد الله بنَ عَمْرو بْن العَاص، قُلْتُ: أَخبِرْنِيْ عَنْ صِفةِ رَسُوْل الله ﷺ فِي التَّورَاة؟ قَالَ: أَجَلْ، وَاللهِ إِنَّه لَمَوْصُوف فِي التَّورَاة بِبَعْض صِفَتِه فِي القُرْآن: "يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرسَلْنٰكَ شَاهِدًا وَّمُبَشِّرًا وَنَذِيْرًا وَحِرْزا لِلأُمِّيِّيْنَ، أَنْت عَبدِيْ وَرَسُوْلِي، سَمَّيْتُك المُتَوكِّل".

لَيْس بفَظٍّ وَلا غَلِيْظ وَلا سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاق، وَلا يَدفَع بِالسَّيِّئَة السَّيِّئَة، وَلٰكِن يَعفُوْ وَيغْفِرُ؛ وَلَنْ يَقْبِضَه الله حَتّٰى يُقِيْم بِهِ "المِلَّةَ العَوْجَاءَ"، بِأَنْ يَّقوْلُوا: لا إِلٰهَ إِلاَّ الله، وَيَفْتَح بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا وَآذَانًا =

وَثَانِيا: بِإِثْبَات عَدَم التَّسَاوِي(١) بَيْن هٰؤلاء العِبَاد وَبَيْن الرَّبّ تَبارَكَ وَتَعَالىٰ، وَبَيَانِ اِخْتِصَاصه تَعَالىٰ بِاسْتِحْقَاق أَقْصَى غَايَة التَّعْظِيْم(٢)؛ بِخِلَاف هٰؤلاء العِبَاد.

وَثَالِثا: بِبَيَان إِجْمَاع الأَنْبِيَاء(٣) عَلىٰ هٰذِهِ المَسْئَلَة، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ [الأنبياء:٢٥].

وَرَابِعا: بِبَيَان شَنَاعَة عِبَادَة الأَصْنَام(٤)، وَأَنَّ الأَحْجَار سَاقِطَة عَنْ مَرْتَبَة الكَمَال الإِنْسَانِيّ؛ فَكَيْفَ يَنَالُوْن مَرْتَبَةَ الأُلُوْهِيّة(٥)؟ وَهٰذَا الرَّدّ مَسُوْق لِقَوْم يَعْتَقِدُوْن الأَصْنَام مَعْبُوْدَة لِذَوَاتِهَا(٦).

= صُمًّا وَقُلُوْبًا غُلْفًا. (البخاري: ٢١٢٥) (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(٥) قَوْله: (بِتَقْلِيْد آبَاءِهِمْ): قَالَ تَعَالىٰ حَاكِيًا: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسۡبُنَا مَا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ ۝١٠٤﴾ [المائدة].

(١) قَوْله: (عَدَم التَّسَاوِي): قَالَ تَعَالىٰ: ﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ﴾ [النحل١٧].

(٢) قَوْله: (أَقْصَى غَايَة التَّعْظِيْم): قَالَ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٣﴾ [الفاطر]؛ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ﴾ [الزخرف٨٤]

(٣) قَوْله: (بِبَيَان إِجْمَاع الأَنْبِيَاء): قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل٣٦]؛ ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ۝٤٥﴾ [الزخرف]

(٤) قَوْله: (شَنَاعَة عِبَادَة الأَصْنَام): قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ۝٣١﴾ [الحج]؛ ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١١٦﴾ [النساء]

(٥) قَوْله: (فَكَيْفَ يَنَالُوْن مَرْتَبَةَ الأُلُوْهِيّة): قَالَ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ۝٧٣﴾ [الحج]؛ والمقصودُ مِن هٰذِه الآيَة بَيان أَنَّ الإنسَان أَفضَل وأَكمَل حَالا مِن الصَّنَم؛ فَكَيْف يَلِيْق بِالعَاقِل الأَفضَل الأَكمَل بِأَنْ يَجعَل هٰذِه الأَصْنَامَ مَعبُوْدًا. (الرازي ملخصا)

(٦) قَوْله: (لِذَوَاتِها): وأَمَّا الذِيْن يظنُّون الأَصْنام وسِيْلة التقرُّب، وَقِبلَة التوجُّه؛ فَلايَكْفِيْهُم هٰذَا الجَوَابُ، وَرَدّهُم اللهُ سُبحَانَه وَتَعَالىٰ بِقَوْله: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة٢٥٥]. (المعرّب بزيادة)

وَرَدُّ التَّشْبِيْهِ:

أوّلا: بِمُطالَبَتِهِمْ بِالدَّلِيْل عَلىٰ دَعْوَاهُمْ(١)، وَنَقْض تَمَسُّكِهِمْ بِتَقْلِيْد آبَاءِهِمْ(٢).

وَثَانِيا: بِبَيَان ضَرُوْرَة التَّجَانُس بَيْنَ الوَالِدِ وَالوَلَد(٣)؛ وَهُوَ مَفْقُوْد بِالبَدَاهَة(٤).

وَثَالِثا: بِبَيَان شَنَاعَة نِسْبَة مَا هُوَ مَكْرُوْه وَمَذْمُوْم لَدَيْهِمْ إِلَى الله تَعَالىٰ(٥)، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الصافات]؛ وَهٰذَا الرَّدّ مَسُوْق لِقَوْم اعْتَادُوا المُقَدَّمَاتِ المَشْهُوْرَة، وَالمُتَوَهَّمَاتِ الشِّعْرِيَّة(٦)؛ وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ مِنْ هٰذَا القَبِيْل.

---

(١) قَوْله: (دَعْوٰهمْ): قَال تَعَالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الصافات]

(٢) قَوْله: (بِتَقْلِيد آبائِهِم): قَال تَعَالىٰ: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ﴾ [الكهف ﴿٤﴾ - ﴿٥﴾]

(٣) قَوْله: (بَيْنَ الوَالِدِ والوَلَد): قَال تَعَالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنبياء]، فِيْه تَصْرِيْح بِالفَرْق بَيْن العَبْد وَالمَعبُوْد ؛ وَقَال تَعَالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [البقرة]، فِيْه تَصْرِيْح بِالفَرْق بَيْن المَالِك وَالمَمْلُوْك؛ فَهٰذَا يُنَافِي نِسْبَة الأبوّة والبنوّة. (مُحَمَّدْ إِلْيَاس)

(٤) قَوْله: (بالبَدَاهة): قَال تَعَالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]؛ يَعني: إِذَا عَدمَ التَّجَانُس، فكَيْف يَثبت التَّوالُد. (مُحَمَّدْ إِلْيَاس)

(٥) قَوْله: (إِلَى اللهِ تَعَالىٰ): كَمَا قَال تَعَالىٰ: ﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾﴾ [الزخرف]؛ فَالله سُبحَانَه وَتَعَالىٰ رَتّب هٰذِه المُنَاظرَة عَلىٰ أَحْسَن الوُجوْه، وَذٰلِك لأنَّه تَعَالىٰ بَيّن أَنَّ إِثْبَاتَ الوَلَدِ لِلّٰه مُحَال، وَبِتَقدِيْر: أَنْ يَثْبُتَ الوَلَدُ فَجَعلُه بِنتًا أَيضًا مُحَال؛ لأَنَّ الابن أَفْضَل مِنَ البِنْت، ثُمّ بَين نُقصَان البَنَات بِقَوْله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم﴾ -إِلىٰ قَوْله:- ﴿ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا﴾؛ فَكَيْف يَجُوْز لِلعَاقِل إِثبَاته لِلّٰه تَعَالىٰ؛ وَالمَقصُوْد مِنْه: التَّنبِيْه عَلىٰ قِلَّة عُقُولِهِم وَسَخَافَة عُقُولِهِم. (الرازي ملخصا)

(٦) قَوْله: (المُتَوَهّمَات الشّعْرِيّة): المُتَوَهّمَات: قَضايا كاذِبةٌ يَحكُم بهَا الوَهْم في أُمُوْر غيرِ مَحسُوْسة،=

وَرَدُّ التَّحْرِيْفِ:

أوّلا: بِبيَان أنّه لَمْ يُؤْثَر عَنْ أئِمّة المِلّة الحَنِيْفِيَّة(١).

وَثَانِيا: بِبيَان أنّ ذٰلِكَ كُلّه اِخْتِرَاعَات وَابْتِدَاعَات مِمَّنْ لَيْسُوْا بِمَعْصُوْمِيْنَ(٢).

وَرَدُّ اِسْتِبْعَاد الحَشْر وَالنَّشْر:

أوّلا: بِالقِيَاس عَلىٰ إِحْيَاء الأَرْضِ بَعْدَ مَوْتهَا، وَمَا أَشْبَه ذٰلِكَ(٣)، وَتَنْقِيْح المَنَاط الَّذِيْ هُوَ شمُوْل القُدْرَة، وَإِمْكَان الإِعَادَة(٤).

= كالحكم بأنّ مَاوَراء العَالَم فَضَاء لايتَناهىٰ؛ والشِّعْر: قَوْلٌ مُؤلَّف مِن المخَيَّلات؛ والمُخَيَّلات: قَضايَا يُخَيَّل بهَا، لتتأثَّر النّفسُ بهَا قَبْضًا وبَسْطًا؛ فترْغَب فِيهَا، سَواءٌ كانَت صَادِقة أوْ كاذِبة، كقَوْل القائِل: "الخَمْرُ: يَاقوتَةٌ سَيَّالَةٌ" -فحِينَئِذ تَنْبَسِط النّفس وتَرْغب فِيها-، وَ"العسلُ: مُرَّة مُهَوِّعَة"، فالنّفس تَنْقَبِض وتَتَنَفَّر عَنْه. (جُرجَاني، المعرِّب)

(١) قَوْله: (المِلَّة الحَنِيْفِيَّة): قالَ تَعالىٰ: ﴿ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝﴾ [الأحقاف]؛ ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ -إلىٰ قوله تعالى-؛ "نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ۝"﴾ [الأنعام]؛ وكذٰلك قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ﴾ [الأنعام۝] في جوابِ قولِهِمْ: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾.

(٢) قَوْله: (لَيْسُوْا بِمَعْصُوْمِيْنَ): قالَ تعالىٰ: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝﴾ [المائدة]؛ ﴿وَحَرَّمُوا۟ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنعام۝]. (مُحَمَّدإلْيَاس)

(٣) قَوْله: (وَمَا أشْبَه ذٰلِكَ): كقِيَاس الإعَادَة عَلىٰ الابْتِدَاء. (المعرِّب)

(٤/ ١) قَوْله: (إِمْكَان الإِعَادَة): أَيْ نَقول: إنَّ الإعادَة مَوقوْف عَلىٰ أمرَين، الأول: كونُ الإعادة ممكنًا، والثاني: كونُ قدرةِ الله تعالىٰ شامِلاً عليه؛ وثَبت كلا الأمرين، فأيُّ استحالة فيه؟ (المعرِّب)

(٤/ ٢) قَوْله: (إِمْكَان الإِعَادَة): القِيَاس فِيْ هٰذا البابِ أَرْبَعَة:

١- القِيَاس عَلىٰ إِحْيَاء الأَرْض: كَقَوْله تَعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ۝﴾ [الفاطر]؛ ﴿كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝﴾ [الأعراف](مُحَمَّدإلْيَاس)

٢- القِيَاس عَلىٰ تَخْلِيْق السَّمَاء وَالأرْض: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن =

وَثَانِيا: بِبَيَان مُوَافَقَة أهْل الكُتُب السَّمَاوِيّة كُلِّهِمْ فِي الإِخْبَار بِهِ(١).

الرَّدُّ عَلىٰ مُنْكِرِي الرِّسَالَة:

أوَّلا: بِبَيَان وُجُوْدِهَا فِي الأَنْبِيَاء السَّابِقِيْن، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف١٠٩]، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡ وَمَنۡ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡكِتَٰبِ ٤٣﴾ [الرعد].

وَثَانِيا: بِدَفْع الاسْتِبْعَاد بِبَيَان أنَّ الرِّسَالَة هُنَا عِبَارَة عَنِ الوَحْي(٢)، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف١١٠]، ثُمّ يُفَسِّر الوَحْي بِمَا لا يَكُوْن مِنَ المُسْتَحِيْلات، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ(٣) إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٞ ٥١﴾ [الشورىٰ]

= يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨١﴾ [يٰس]

٣- القِيَاس عَلىٰ تَخْلِيْق النَّار مِنَ الخَضْرَاوَات؛ ﴿قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا﴾ [يٰس٧٩- ٨٠]

٤- القِيَاس عَلىٰ ابتِدَاء التَّخلِيْق: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ [الروم٢٧] ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء١٠٤]

(١/ ١) قَوْله: (فِي الإِخْبَارِ بِهِ): أيْ نقول: إنَّ الكتُب السَّماويَّة كلَّها متفِقة فِي الإخبار بوقوع الحشْر والنَّشْر، فكانَ ذٰلك إجماعًا قاطِعًا عليه. (المعرِّب)

(١/ ٢) قَوْله: (فِي الإِخْبَارِ بِهِ): قَال الله تَعَالىٰ: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ٣٦ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ٤٧﴾ [النجم]؛ وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾ [الأعلىٰ]

(٢) قَوْله: (عِبَارَة عَنِ الوَحْي):والوحيُ في اصطِلاح الشَّرع: إعْلام اللهِ تعَالىٰ أنبِياءَه الشَّيءَ بكِتاب، أو بِرِسَالَة، أوْ مَنَام، أو إلْهام. (إرشاد الساري)

(٣) قَوْله: (أنْ يكَلِّمَهُ اللهُ): أقْسَام التَّكلِيم الإلٰهي ثَلاثَة: الأوَّل أنْ يُلقِي كَلامه عَلىٰ قَلْب النَّبِي بِكَيفيّة غَيْر مُعتَادة فَيَعِيْه بإشَارَةٍ خَفِيَّة سَرِيْعَة مِنْ غَيْر واسِطة الحَوَاس الظَّاهِرَة، كَمَا يَكُوْن فِي =

وَثَالِثا: بِبَيَان أَنَّ عَدَم ظُهُوْر المُعْجِزَات -الَّتِيْ يَقْتَرِحُوْنَها(١)-، وَعَدَمَ مُوَافَقَة الله تَعَالىٰ إِيَّاهُم -فِيْ تَعْيِيْن شَخْص يَتَوَخَّوْنَ(٢) رِسَالَتَهُ-، وَعَدَمَ إِرْسَاله تَعَالىٰ المَلائِكَة رُسُلا(٣)، وَعَدَمَ إِيْحَاءه تَعَالىٰ إِلىٰ كُلّ شَخْص(٤)؛ كُلّ ذٰلِكَ لِمَصْلِحَة كُلِّيَّة(٥)،

= صَلصَلَة الجَرَس، وَهُوَ المرَادُ بقَوْلِه: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾؛ الثَّاني: أَنْ يُكلِّمه مُباشرةً مِنْ وَرَاء حِجَاب، فَلايَرى النَّبِيُّ ربَّه لٰكِن يَسْمَع كَلَامه بِلاوَاسِطَةٍ مِنْ وَراءِ حِجَاب النُّوْر، وَهُوَ المُرَاد بقَوْله: ﴿أَوْ مِنْ وَّرَاءِ حِجَابٍ﴾، وَقَد وَقَع هٰذَا لِمُوسىٰ عَلَيْه السَّلَام فِي بَدْء وَحْيه، وَفِي أَخْذ الشَّرِيْعة الَّتِي كَانَت فِي الأَلْوَاح، وَحَصل لِنبِيِّنا مُحَمد ﷺ فِي مِعرَاجه حِيْن أَخذ الأَمْر بِالصَّلاة عَنْ رَبّه مُبَاشرة، فَيكُوْن هٰذَا القِسْم حِينَئذٍ مِنْ قَبِيْل المُكالَمَة، وَلَيْس وَحْيا؛ الثَّالِث: أَنْ يُرْسل رَسوْلا مِن المَلائِكَة مُتَجَسِّدًا فِيْ صُوْرَة المَلَك أَوِ البَشَر. (روح القدير)

(١/ ١) قَوْله: (يَقتَرِحُوْنهَا): اقْتَرح عَلَيْه كَذَا وَبِكَذا: تَحَكَّم وسَأله إِيَّاه بالعُنْف، ومِن غيرِ رَوِيَّةٍ (سختی سے بے سوچے سمجھے سوال کرنا، مطالبہ کرنا)۔ (المعرّب)

(١/ ٢) قَوْله: (يَقتَرِحُوْنهَا): هٰذه هِيَ المُطالبَة الأُولىٰ مِن مُطالَبَاتِهم، قالَ تعَالىٰ حَاكيًا: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الأنعام٣٧]؛ ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ۞ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ۞ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۞ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۞﴾ [الإسراء]

(٢/ ١) قَوْله: (يَتوَخَّوْن): تَوَخَّى الأَمرَ: قَصد إِلَيْه، وَتَعمَّد فِعْله، وَتَحرَّاه، يُقَال: تَوخَّى رضَاه وَتَوخَّى مَحبَّته.

(٢/ ٢) قَوْله: (يَتوَخَّوْن رِسَالَته): هٰذه هِيَ المُطالبَة الثَّانيَة مِن مُطالَبَاتِهم، قالَ تعَالىٰ: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۞﴾ [الزخرف]؛ فأَجَاب عنهَا بقَولِه تَعَالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام١٢٤]؛ وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف٣٢]. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(٣) قَوْله: (المَلَائِكَة رُسُلا): هٰذه هِيَ المُطالبَة الثَّالثَة مِن مُطالَبَاتِهم، قالَ تعَالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِيٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ۞﴾ [المؤمنون]؛ فأَجَاب عنهَا بقَولِه تَعَالىٰ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۞﴾ [الأنعام]. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(٤) قَوْله: (إِلىٰ كُلّ شَخص): هٰذِه هِيَ المُطالبَة الرابِعة مِن مُطالَبَاتِهم، قالَ تعَالىٰ: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام ١٢٤]؛ فأَجَاب عنهَا بقَولِه تَعَالىٰ: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام١٢٤]. =

يَقْصُر عِلْمهُمْ عَنْ أَدْرَاكِهَا.

وَلَمّا كَانَ أَكْثَر النّاس الَّذِيْن بَعَثَ الله إِلَيْهِم الرّسُوْل ﷺ مُشْرِكِيْنَ، ذَكَرَ هٰذِهِ المَعَانِي فِي القُرْآن الكَرِيْم فِيْ سُوَرٍ كَثِيْرَة بِأَسَالِيْب مُتَعَدِّدَة وَتَأْكِيْدَات بَلِيْغَة؛ وَلَمْ يَتحَاشَ(١) عَنْ تَكْرَارِهَا وَتَرْدَادِهَا.

نَعَمْ هٰكَذَا يَنْبَغِيْ أَنْ تَكُوْن مُخَاطَبَةُ الحَكِيْم المُطْلَق مَعَ هٰؤُلاء الجَهلَة، وَالكَلام فِيْ مُقَابَلَة هٰؤُلاء السُّفَهَاء جَدِيْرٌ بِهٰذَا التَّأْكِيْد البَلِيْغ؛ ﴿ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٩٦﴾ [الأنعام].

[الْيَهُوْدُ وَضَلَالَاتُهُمْ]

وَقَدْ كَانَ اليَهُوْد آمَنُوا بِالتّورَاة، وَكَانَ مِنْ ضَلالِهِمْ:

١- تَحْرِيْف أَحْكَام التَّوْرَاة،(٢) سَوَاء كَانَ تَحْرِيْفا لَفْظِيّا أَوْ تَحْرِيْفا مَعْنَوِيّا.

= (٥) قَوْله: (كُلّ ذٰلِكَ لِمَصْلِحَة كُلِّيّة): وفِيْ عَدَم إِيْفَاء المُطَالَبَة الأُوْلىٰ ثَلَاث مَصالِح: ١- إِظْهَارُ المُعجِزَات غَيْر نَافِع لِلمُعانِدِيْن، كَما قَالَ تعَالىٰ: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا﴾ [الأعراف١٤٦]، وقالَ تعَالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء٥٩]

٢- الإِعْراضُ عنِ الإيمَان بَعْد ظُهُور المُعجِزَة المَطلُوْبة يَكون سَبَبا للهَلاك، كَما قَالَ الرَّازِي: "لَوْ أَظهَرَ تِلْك المُعْجزَاتِ القَاهِرة ثُمَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا بَلْ بَقُوا مُصِرِّين عَلىٰ كُفرِهِم، فَحِينَئذ يَصِيرُوْن مُستَحِقِّينَ لِعَذَاب الاسْتِئصَال؛ لٰكِنَّ إِنْزَالَ عَذَاب الاسْتئصَال عَلىٰ هٰذِه الأُمّة غَيْر جَائِز لأَنَّ الله أَعْلَم: أَنَّ فِيهِمْ مَن سَيُؤْمِن أَوْ يُؤمِن أَوْلادُهُم، فَلِهٰذَا السَّبَب مَا أَجَابَهُم الله تَعَالىٰ إِلىٰ مَطلُوْبِهِم، وَمَا أَظْهَر تِلْكَ". (الرازي)؛ مَع انَّ مِن مَشِيْئَتِه تَعالىٰ بَقاءَ هٰذِه الأُمّة، قالَ تعَالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال٣٣].

٣- بَيَان احْتِيَاج الأَنْبِيَاء إِلَى الله سُبْحانهُ وتعَالىٰ، كَقَولِه تَعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد٣٨]. (الفوز العظيم)ملخصًا

(١) قَوْله: (وَلَمْ يَتَحَاش): تَحَاشي عن كذا: تنزّه. (المعرّب)

(٢/ ١) قَوْله: (تَحْرِيْف أَحْكَام التَّوْرَاة): قَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة١٣]؛ قَالَ الرَّازِي: "وَهٰذَا=

٢- وَكِتْمَان آيَات التَّوْرَاة(١).

٣- وَإِلْحَاق مَا لَيْس مِنْهَا بِهَا اِفْتِرَاءً مِنْهُمْ(٢).

٤- وَالتَّقْصِيْر فِيْ تَنْفِيْذ أَحْكَامِهَا(٣).

= التَّحرِيْف يَحتَمِل التَّأوِيْل البَاطِلَ، وَيَحتَمِل تَغيِيرَ اللَّفظ". (الرازي).

(٢/ ٢) (تَحْرِيْفًا مَعنَوِيًا): والتَّحرِيْف لُغَة: التَّغيِيْر وَالتَّبدِيْل؛ قَالَ الرَّاغِب الأَصْفهَانِي: التَّحرِيْف: الإِمَالَة. وَتَحرِيْف الكَلَام: أَنْ تَجعَله عَلىٰ حَرْف مِنَ الاحْتِمَال يُمكِن حَمْله عَلَى الوَجهَيْن؛ وَتَحرِيْف الكَلِم عَنْ مَوَاضِعه عَلىٰ نَوعَيْن: تَحرِيْف لَفْظه وَتَحرِيْف مَعْنَاه.

مِنَ المَعلُوْم: أَنَّ التَّحرِيْف فِي الكُتُبِ السَّابِقَة عَلىٰ قِسمَيْن: الأَوَّل التَّحرِيْف فِيْ أَلْفَاظهَا، وَهٰذَا قَدْ وَقَعَ فِي وُجُوه الخِلَاف بَيْنَ العُلَمَاء؛ الثَّانِي: التَّحرِيْف فِي مَعَانِيْها وَتَرْجَمتهَا، وَهٰذَا أَمْر مُجْمَع عَلَيْه؛ وسَيَأْتِيْ تَفصِيْل هٰذَا البَحْث.(مُحَمَّدإِلْيَاس)

(١) قَوْله: (كِتْمَان آيَات التَّوْرَاة): قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ [البقرة]

قَالَ القَاضِي: "الكِتمَان: تَرْكُ إِظهَار الشَّيْء مَعَ الحَاجَة إِلَيْه، وَحُصُوْلُ الدَّاعِي إِلىٰ إِظهَاره؛ لأَنَّه مَتى لَمْ يَكُن كَذٰلِك لايُعَدّ كِتمَانا، فَلَمَّا كَانَ مَا أَنْزَلَه الله مِنَ البَيِّنَات وَالهُدى مَنْ أَشَدّ مَا يُحْتَاج إِلَيْه فِي الدِّيْن وَصَف من علِمَه ولم يُظهره بالكتمان". (الرازي)

(٢) قَوْله: (اِفْتِرَاءً مِنْهُمْ): قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران]

قَالَ القفَّال: قَوْله: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم﴾ مَعْناه، وَأَنْ يَعمدُوْا إِلَى اللَّفظَة فَيُحرّفونَهَا فِي حَرَكَات الإِعْرَاب تَحرِيفا يَتغَيَّر بِهِ المَعْنىٰ، وَهٰذَا كَثِيْر فِيْ لِسَان العَرَب، فَلايَبْعُد مِثلُه فِي العِبرَانِيَّة؛ فَلَمَّا فَعلُوا مِثْل ذٰلِك فِي الآيَات الدَّالَّة عَلىٰ نُبوَّة مُحَمَّد -عَلَيْه الصَّلاة وَالسَّلَام- مِنَ التَّورَاة كَانَ ذٰلِكَ هُوَ المُرَاد مِنْ قَوْله: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم﴾، وَهٰذَا تَأوِيلٌ فِي غَايَة الحُسْن.

وَنُقِل عَنِ ابْن عَبَّاس ﷺ أَنَّه قَالَ: إِنَّ النَفر الَّذيْن لايُكلِّمُهُم الله يَوْم القِيامَة وَلايَنْظُر إِلَيْهم ،كَتَبُوا كِتَابا شَوَّشُوا فِيْه نَعْتَ مُحَمَّد ﷺ وَخَلطُوه بِالكِتَاب الَّذِي كَانَ فِيْه نَعْتُ مُحَمَّد ثُمّ قَالُوا: ﴿هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة٧٩] (الرازي)

(٣) قَوْله: (أَحْكَامهَا): قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة٦٦]

٥- وَالعَصَبِيَّة الشَّدِيْدَةُ لِدِيَانَتِهِمْ(١).

٦- وَإِسْتِنْكَار رِسَالَة نَبِيِّنَا ﷺ(٢)، وَسُوْءُ الأَدَب وَالطَّعْنُ عَلَيْه ﷺ(٣)؛ بَلْ بِالنِّسْبَة إِلَى الرَّبّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَيْضًا(٤).

٧- وَابْتِلاؤُهُمْ بِالبُخْل(٥) وَالحِرْص(٦)، وَنَحْوِ ذٰلِكَ مِنَ الرَّذَائِل.

بَيَانُ التَّحْرِيْف(٧):

وَقَدْ تَحَقَّقَ لَدَى الفَقِيْر(٨): أَنّ تَحْرِيْفهُم اللَّفْظِيّ(٩) قَدْ كَانَ فِيْ تَرْجَمَة التَّوْرَاة

---

(١) قَوْله: (لِدِيَانَتِهِمْ): قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١١١﴾ [البقرة]؛ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة۝١٢٠].(مُحَمَّدإِلْيَاس)

(٢) قَوْله: (إِسْتِنْكَار رِسَالَة نَبِيِّنَاﷺ): لَمَّا كَانَ اسْتِنكَار العَوَام رِسالَته ﷺ بِلادَلِيْل فَلَمْ يَتعرَّضْه القُرْآنُ، وَأَمَّا الخَوَاصّ فَيعْتَرِفُوْن بِرِسَالَة النَّبِيّ ﷺ، فَردَّ علَيْهم بِقَولِه تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٤٦﴾ [البقرة]؛ وقَالَ تعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة۝٤٤]. (مُحَمَّدإِلْيَاس)

(٣) قَوْله: (سُوْءُ الأَدَب وَالطَّعْنُ عَلَيْهِ ﷺ): قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ﴾ [البقرة۝١٠٤]. (مُحَمَّدإِلْيَاس)

(٤) قَوْله: (بَلْ بِالنِّسْبَة إِلَى الرَّبّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَيْضًا): قَالَ تَعَالَى حاكيًا عنهُمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران۝١٨١]؛ وقَالَ تَعَالَى حاكِيًا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة۝٦٤]

(٥) قَوْله: (بِالبُخْل): قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ۝٥٣﴾ [النساء] أَيْ: لِفَرط بُخْلهمْ. (جلالين)

(٦) قَوْله: (وَالحِرْص): قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران۝٧٥]

(٧) قَوْله: (بَيَانُ التَّحْرِيْف): قَدِ اخْتلفَت أَقْوَال النَّاس فِي وُقُوْع التَّحرِيْف فِي الكُتُب السَّابقَة عَلى ثَلاثَة أَقْوَال:

القَوْل الأَوَّل: زَعَمَت طَائفَة أَنّهَا بُدِلَت كُلّها بِجَمِيْع لُغَاتهَا، وَمِن هٰؤلَاء مَنْ أَسْرَف حَتّى قَالَ: "إِنَّه لاحُرْمَة لَهَا"؛ وَهٰذَا القَوْل بَاطِل لايَقُوْله أَحَد مِنَ المُسلِمِيْن.

القَوْل الثَّانِي: أَنَّ التَّبدِيْل وَالتَّغيِيْر وَقَع فِي المَعَانِي، لا فِي الأَلْفَاظ، وَإِلىٰ هٰذَا القَوْل ذَهَب الإِمَام=

= البُخاري وَاختارَه الرَّازي فِيْ تفسِيْره، وَهٰذَا القَوْل لايُسَلّم لأنّه قَدْ وُجِد فِيهَا مِنَ الألْفَاظ مَا لايَجُوْز أنْ يَكوْن مِنْ كَلام الله عَزّ وَجَلّ إضَافَة إلىٰ مَا فيهَا مِنَ التّناقُض وَالتّضارُب فِيْ نُصوْصهَا، فَلَوْ كانَ وَحْيا مِنْ عِنْد الله لَمَا وُجِد فِيْها التّناقُض وَالتّضارُب وَذٰلِك أنّ مُوْسىٰ وَعِيْسىٰ عَلَيهِمَاالسَّلَامُ دَعوا إلىٰ التّوحِيْد وَالإيْمَان، وَكَذا التّوراة وَالإنْجِيْل كَانَ فِيهِمَا الدّعْوَة إلىٰ التّوحِيْد وَالإيْمَان بِالله وَرُسُله؛ فَلَوْ جِيْء بِنُسخَة مِنَ النُّسَخ فِيْها الشِّرْك بِالله أوِ القَوْل بِأُلوهِيّة عِيْسىٰ أوْ بِخَبَر يُخَالِف القُرْآن، فَنَحْن قَاطعُوْن جَزْما بِأنّهَا مُحَرفَة وَلَيْست مِنَ التّوراة أوِ الإنْجِيْل.

القَوْل الثّالِث: أنّ التّحرِيْف قَدْ وَقَع فِي اليَسِيْر مِنْها، وَلٰكِنّ أكْثرهَا بَاق عَلىٰ مَا أُنْزل عَليْه؛ وَقَدْ رَجّح هٰذَا القَوْل العَلامَة ابْن تَيمِيّة رَحِمَه الله. (مُحَمّدإلْيَاس)

قَالَ القَاضِي إنّ التّحرِيْف إمّا أنْ يَكوْن فِي اللّفْظ أوْ فِي المَعْنىٰ، وَحمل التّحرِيْف عَلىٰ تَغيِيْر اللّفْظ أوْلىٰ مَنْ حَمْله عَلىٰ تَغيِيْر المَعْنىٰ؛ لأنّ كَلَام الله إذَا كَانَ بَاقِيا عَلىٰ جِهَته وَغَيّرُوا تَأْوِيْله فَإنّمَا يَكوْنُوْن مُغَيرِيْن لِمَعنَاه، لا لِنَفْس الكَلَام المَسمُوْع.(روح المعاني)

(٨) قَوْله: (لَدَى الفَقيْر) هٰذَا مَا قَالَ بِهِ البُخَارِي أيْضا حَيْث قَالَ فِي التّوحِيْد: ﴿يُحَرّفُوْن﴾: يُزِيْلُوْن؛ "وَلَيْس أحَد يُزِيْل لَفظ كِتَاب مِن كُتُب الله، وَلٰكِنهُم يُحَرّفُوْنه يَتَأَوّلُوْنه عَلىٰ غَيْر تَأْوِيْله"، قَالَ ابْن المُلَقّن: "هٰذَا الّذِيْ قَالَه أحَدُ القَوْلَيْن فِيْ تَفْسِيْر هٰذِه الآيَة، وَهُوَ مُخْتَار البُخَارِي؛ وَقَدْ صَرّح كَثِيْر مِنْ أصْحَابنَا بِأنّ اليَهُوْد وَالنّصَارَى بَدّلُوا التّوْرَاة وَالإنْجِيْل"، وَالقَوْل الثّانِي وَهُوَ الأوْجه، لأنّه قَدِ اشْتَمَل القُرْآن وَالسُّنّة عَلىٰ أنّهُم ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾، ﴿وَيَقُوْلُوْنَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ﴾، ﴿وَيَقُوْلُوْنَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾، ﴿وَيَلْبِسُوْنَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَيَكْتُمُوْنَ الحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُوْنَ﴾.

وَلَنِعْم مَا قَالَ الشّيخ قَاسِم النّانوْتَوِي رَحِمَه الله: مَامُلَخّصه: "أنّ القُرْآن كِتَابُ الله وَكَلَامُه بِحَيْث أنْزَلَه لَفْظًا وَمَعْنىً"، وَلَيْس أحَد يُزِيْل لَفظاً مِنْ كَلَامِ الله؛ "وَأمّا التّورَاة وَالإنْجِيْل وغَيرُهُمَا مِنَ الكُتُب السّمَاوِيّة فَأنْزَلَها مَعْنىً فَقط، لا لَفْظاً، وألفَاظُهَا إمّا مِنَ المَلَائِكة أوْ مِنَ الرُّسُل"؛ فلِذَا لاتُعَدّ الكُتُب السّمَاوِيّة الأخْرَى -سِوَى القُرْآن- مِنَ المُعجِزَات؛ وَلِذَا وُصِفَت تِلْك الكُتُب فِي القُرْآن وَالسُّنّة بِـ"الكُتُب السّمَاوِيّة"، لَا بِـ"كَلام الله"؛ بِخَلَاف القُرْآن حَيْث وُصِف بِكَلَام الله وَالكِتَاب.

(مُحَمّدإلْيَاس)

(٩) قَوْله: (تَحْرِيفهُم اللّفظِي): اعلمْ! أنّ فِي التّحرِيْف ثلاثة مَذاهِب: ذهبَ جماعةٌ إلى إنْكار التّحريف اللّفظيّ رأساً، فالتّحريف عِندهم كلّه مَعنويٌّ، وإلَيْه جَنَح الإمَام المُصَنِّف -رَحِمَه الله تَعَالىٰ-؛ وذَهَب جَمَاعَة إلىٰ أنّ التّحرِيْف اللّفظي مَوْجُود فِيْها، ولٰكنّه قَلِيْل -وَلَعَلّ الحَافِظ ابنَ تَيْمِيّة جَنَح إلَيْه-؛ وَقَالَ جَمَاهِيْر العُلَمَاء: إنّ التّحْرِيْف قدْ وَقع فِي الكتُب السّماوِيّة بكُل نحوٍ مِن اللّفظي والمَعنَوي كثيراً، وإلَيهِ مالَ ابنُ حزم وجَماهِيرُ العلَماء. (المعرَّب بزيادة)

وَأمْثَالِهَا، لا فِيْ أصْلِ التَّوْرَاة[١]؛ وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا [٢].

(١) قَوْله: (لا فِي أَصْلِ التَّوْرَاة): وفيهِ نظرٌ! لأنَّ البُخاري أَخْرَج عَن ابْن عَبَّاس: "كَيْف تَسأَلُوْن أَهْل الكِتَاب عَنْ شَيْء، وَكِتابكُم الَّذِي أُنْزِل عَلى رَسُولِ اللهِ ﷺ أحْدثُ، تَقْرَءُوْنَه "مَحْضا لَمْ يُشَبْ"، وَقَد حَدّثَكم: أنَّ أَهْل الكِتَاب "بَدّلُوا" كِتَاب الله وَ"غَيَّرُوه"، وَكَتَبُوا بِأَيْدِيْهِم الكِتَاب، وَقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْد الله! لِيَشتَرُوا بِه ثَمَنا قَلِيْلا؛ أَلاَيَنهَاكُم مَا جَاءَكُم مِنَ العِلْم عَنْ مَسْئلتِهِم! لا وَالله مَا رَأَيْنَا مِنهُم رَجُلا يَسْأَلُكُم عَنِ الَّذِي أُنْزلَ عليكم".(٧٣٦٣)

فعُلِم أنَّ قَوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "أنَّ أَهْل الكِتَاب . . . فَكَتَبُوا بِأَيْدِيْهِم الكِتَاب" -واللهُ اعْلمُ- أيضًا دالٌّ عليٰ: أنَّ التَّحْرِيف اللَّفْظِيَّ واقِعٌ فِي كُتُبهِم، وأنَّ ابْن عَبَّاس قَائِل بِالتَّبدِيْل وَالتَّغيِيْر؛ كَمَا قَالَ الله سُبْحانَه وَتَعَالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

وقالَ القسْطلانِيْ فِيْ شرْحِ قَوْلِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "مَحْضا لَمْ يُشَبْ، أيْ: لمْ يُخَالِطْه غَيْرُه؛ فلايتطرَّق إليهِ تحْرِيفٌ ولا تَبْديلٌ، بِخِلافِ التَّوْراة والإنْجِيل". (قسطلاني)؛ وقالَ الحافظ بعدَ قولِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "قَدْ بَدّلُوا مِنْ كِتَاب الله وَغَيّرُوا"، يشيرُ إلىٰ قولِهِ تعَالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾.

(فتح الباري)

وأخْرَج الطّبري عن عُثْمان بن عفَّان عنْ رَسُوْل اللهِ ﷺ: "﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ؛ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾، الويْل: جَبَل في النَّار؛ وهوَ الذِي أُنزَل فِي اليَهُوْد، لأنهُمْ حرَّفوا التَّوراة، وزادُوا فيْها مايُحبُّون، ومَحَوْا مِنْها مايَكْرَهون، ومَحوا اسْم محمَّد مِن التَّوراة؛ فذٰلِك غَضَب اللهُ عَليْهم، فرُفِع بَعضُ التَّوراة، فقَال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ؛ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾"؛ وقَال الشَّوكاني: "وقَوله: ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ تأكِيد، لأنَّ الكِتَابة لاتَكُوْن إلا باليَد، فهُوَ مِثل قَوله: ﴿وَلا طَائِرٍ يَطِيْرُ بِجَنَاحَيْه﴾ وقَوله: ﴿يَقُوْلُوْنَ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾"؛ ... ثُمَّ قَال: "فهٰؤلاء الكَتَبَة لمْ يَكتفوا بالتَّحْريف والكتَابة لذٰلك المُحرَّف حتّىٰ نَادَوا في المَحافِل بأنَّه مِن عِند اللهِ لِينالُوْا بهٰذِه المَعاصِي المُتكرِّرة هٰذا العَرض النَّزِير والعِوض الحقِير"؛ وقَال ابنُ الجوزي: "هٰذِه الآيَة نَزلَت في أهْل الكتَاب -أي: اليَهود- الذِيْن بدَّلوا التَّوراة وغيَّروا صِفة النَّبيِّ ﷺ فِيْها؛ وهٰذا قَول ابنِ عبَّاس وقتَادة وابْن زَيد وسُفيَان".(مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(٢) قَوْله: (قَوْل ابْن عَبَّاس): قَالَ ابْن عَبَّاس وَمقَاتِل: قَوْله: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [البقرة]، نَزَلَت فِي السَّبعِيْن الَّذين اخْتَارهُم مُوسىٰ لِيذْهبُوا مَعَه إِلَى الله، فَلَمّا ذَهبُوا مَعَه إِلَى المِيقَات وَسَمعُوا كَلَام الله عَزَّ وَجَلّ وَهُو يَأمُرهُم وَيَنهَاهُم رَجعُوا إِلىٰ قَومِهِم؛ فَأمَّا الصَّادقُوْن فَأدّوا كَمَا سَمعُوا؛ وَقَالَت طَائفَة مِنْهُم: "سَمعْنَا مِنَ الله فِي آخِر كَلَامه يَقوْل: إِنِ اسْتطَعْتُم أنْ تَفعَلُوْا هٰذِه الأَشْيَاء فَافعلُوا، وَإنْ شِئتُم فَلاتفعَلُوا وَلا بَأس".

=

وَالتَّحْرِيْف المَعْنوِيّ: هُوَ تَأْوِيْل فَاسِدٌ بِحَمْلِ الآيَة عَلىٰ غَيْرِ مَعْنَاهَا بِتَعَسُّف وَانْحِرَاف عَنْ سَوَاء السَّبِيْل.

أَمْثِلَةُ التَّحْرِيْفِ الْمَعْنَوِيِّ:

١- فَمِنْ جُمْلَةِ ذٰلِكَ: أَنَّ الله تَعَالىٰ قَدْ بَيَّنَ الفَرْق بَيْن المُتَدَيِّن الفَاسِق وَالكَافِر الجَاحِد فِيْ كُلّ مِلَّة، وَتَوَعَّد الكَافِر بِالخُلُوْد فِي النَّار وَالعَذَاب الأَلِيْم، وَجَوَّزَ خُرُوْج الفَاسِق مِنَ النَّار بِشَفَاعَة الأَنْبِيَاء، وَصَرَّحَ بِذٰلِكَ فِيْ كُلّ دِيَانَة بِاسْم المُتَدَيِّن بِتِلْكَ الدِّيَانَة؛ فَأَثْبَتَ ذٰلِكَ فِي التَّوْرَاة لِلْيَهُوْد وَالعِبْرِيِّيْنَ[1]، وَفِي الإِنْجِيْل لِلنَّصْرَانِيِّيْنَ، وَفِي القُرْآن العَظِيْم لِلمُسْلِمِيْنَ.

وَمَنَاطُ الحُكْم: هُوَ الإِيْمَان بِالله، وَاليَوْمِ الآخِر، وَالإِيْمَانُ بِالنَّبِيّ الَّذِيْ بُعِثَ

= وَعِنْد أَكْثَر المُفَسِّرِيْن: نَزَلَت فِي الَّذِيْن غَيَّرُوا آيَة الرَّجْم وَصِفَة مُحَمَّد (سبب النزول للواحدي)

المَلحُوْظَة: فَعُلِم مِنْ هٰذَا أَنَّه لَيْس فِي هٰذِه الآيَة ذِكْرُ تَحْرِيْفِهِم التَّوْرَاة، بَل الآيَة مَخْصُوْصَة بِوَاقِعَة سَمَاع كَلَام الله تَعَالىٰ عَلَى الطُّوْر.

قَالَ الرَّازِي فِيْ تَفسِيْر قَوْله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء﴿٤٦﴾] مَعْنَاه: أَنَّهُم يَذكُرُوْن التَّأْوِيلَات الفَاسِدَة لِتِلْك النُّصوْص، وَلَيْس فِيْه بَيَانُ أَنَّهُم يُخْرِجُوْن تِلْك اللَّفْظَة مِنَ الكِتَاب؛ وَأَمَّا الآيَة المَذكُوْرَة فِيْ سُورَة المَائِدَة فَهِي دَالَّة عَلىٰ أَنَّهم جَمَعُوا بَيْن الأَمْرَيْن، فَكَانُوا يَذكُرُوْن التَّأْوِيْلَات الفَاسِدَة، وَكَانُوا يُخرِجُون اللَّفظ أَيْضا مِنَ الكِتَاب؛ فَقَوْله: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ﴾ [المائدة﴿٤١﴾] إِشَارَة إِلَى التَّأْوِيْل البَاطِل، وَقَوْله: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة﴿٤١﴾] إِشَارَة إِلىٰ إِخرَاجه عَنِ الكِتَاب. (الرازي)

وَلَعَلّ الإِمَام المُصنِّف فَهِم مِن قَوْل ابْن عَبَّاس -الَّذي سَنَذكُرُه- أَنَّ مَذهَب ابْن عَبَّاس هُوَ عَدَم وُقُوْع التَّحرِيْف اللَّفظِي فِي التَّورَاة، قَالَ البُخَارِي فِي بَاب قَوْله تَعَالىٰ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج]: عَنِ ابْن عَبَّاس: "يُحَرِّفوْن يُزِيلُوْن، وَلَيْس أَحَدٌ يُزِيْل لَفظ كِتَابٍ مِنْ كُتُب الله؛ وَلٰكِنهُم يُحرِّفُوْنه يَتَأَوَّلوْنه عَلىٰ غَيْر تَأْوِيْله". (البخاري، كتاب التوحيد)؛ وَلٰكِن لايَصِحّ الاسْتدْلال بِذٰلِك عَلىٰ مَذهَبه، لأَنَّ قَوْل ابْنِ عَبَّاس هٰذا يُنَاقِض لِمَا ذَكَرْناه سَابِقًا. (مُحَمَّد إِلْيَاس)

(١) قَوْله: (وَالعِبْرِيِّيْن): يقَالُ لليَهودِي: العِبْرِيْ والعِبْرَانِيْ، تَسمِيَةً لَهم بِاسْم لُغَتِهم؛ وهُمْ يُسَمّون أنفُسَهم بالإِسْرائيلي نسبَةً إِلىٰ إِسرائيْل، أي: يَعقُوبَ عَليهِ السَّلامُ. (المعرِّب)

إِلَيْهِمْ، وَالانْقِيَاد لَهُ، وَالعَمَل بِشَرَائِع مِلَّته، وَالاجْتِنَاب عَنْ نَوَاهِيْهَا؛ لا تَخْصِيْصُ الحُكْم بِفِرْقَة مِنَ الفِرَق لِذَاتِهَا؛ وَلٰكِنَّ اليَهُوْد زَعَمُوْا: أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ يَهُوْدِيًا أَوْ عِبْرِيًا فَهُوَ مِنْ أَهْل الجَنَّة، وَتُخَلِّصُهُ شَفَاعَةُ الأَنْبِيَاء مِنَ العَذَاب، وَلا يَمْكُثُ فِي النَّار إِلاَّ أَيَّاما مَعْدُوْدَات، وَإِنْ لَمْ يَتَحَقَّقْ ذٰلِكَ المَنَاطُ(١)، وَلَمْ يَكُن إِيْمَانه بِاللهِ تَعَالىٰ عَلَى الوَجْه الصَّحِيْح، وَلَمْ يُدْرِكْ حَظًّا مِنَ الإِيْمَان بِالآخِرَة وَرِسَالَةِ النَّبِيّ المَبْعُوْثِ إِلَيْهِمْ.

وَهٰذَا خَطَأٌ صِرْفٌ وَجَهْل مَحْضٌ، وَقَدْ كَشَفَ القُرْآنُ العَظِيْم هٰذِهِ الشُّبْهَة عَلىٰ أَتَمِّ وَجْهٍ، لِمَا أَنَّهُ: كَانَ مُهَيْمِنًا(٢) عَلَى الكُتُبِ السَّابِقَة، مُبِيْنا لِمَوَاضِع الإِشْكَال فِيْهَا، فَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ [البقرة].

٢- وَمِنْ جُمْلَةِ ذٰلِكَ: أَنَّهُ تَعَالىٰ قَدْ بَيَّنَ فِيْ كُلِّ مِلَّة أَحْكَاما تُنَاسِبُ مَصَالِح ذٰلِكَ العَصْر، وَرُوْعِيَتْ فِي التَّشْرِيْع(٣) عَادَاتُ القَوْمِ الصَّالِحَةُ، وَأَكَّد الأَمْرَ بِالأَخْذِ بِهَا، وَإِدَامَةِ العَمَل عَلَيْهَا، وَالاعْتِقَادِ بِهَا، وَحَصْرِ الحَقِّيَّة فِيْهَا.

وَالمُرَادُ: أَنَّ الحَقّ مُنْحَصِرٌ فِيْهَا فِيْ ذٰلِكَ العَصْر(٤)، وَأَنَّ الإِدَامَة عَلَيْهَا(٥)

---

(١) قَوْله: (المَنَاط): المَنَاط فِي اللُّغَة العَرَبِيّة: هُوَ مُتعَلَّق الحُكْم، مَثَلا: مَناطُ التَّحرِيْم فِي الشَّرَاب هُوَ الإِسْكَار؛ فَالإِسْكَارُ هُوَ مَنَاط التَّحرِيْم وَمُتعَلَّقُ التَّحرِيْم. قَالَ ابْن دَقِيْق العِيْد: وَتَعبِيرهُم (أَيْ: تَعبِيْر الأُصُولِيّيْن) بِالمَنَاط عَنِ العِلَّة مِنْ بَاب المَجَاز اللُّغوِيّ، لأَنَّ الحُكْم لَمَّا عُلِّق بِهَا كَانَ كَالشَّيْء المَحسُوْس الَّذِي تَعَلَّق بِغَيْرِه. (ملتقى أهل الحديث)

(٢) قَوْله: (مُهَيْمِنًا): هَيْمَنَ عَلىٰ كَذا: سَيْطَر عَلَيْه، ورَاقَبه وحَفِظه (نگہبان ہونا)؛ قَال البُخاري: "المُهَيْمنُ الأَمِينُ، القُرآن أَمِينٌ عَلى كُلِّ كِتَاب قَبلَه" [تفسير المائدة]، قالَ تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ كَتَبۡنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعۡدِ ٱلذِّكۡرِ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء]. (المعرّب بزيادة)

(٣) قَوْله: (التَّشْرِيْع): التَّشْرِيْع: سَنُّ القَوانِين. (المعرّب)

(٤) قَوْله: (ذٰلِكَ العَصْر) يَعْنِي: لَمَّا كَان الحَصْر إِضَافِيا وَحَمْلُوه عَلَى الحَصْر الحَقِيْقِي، وَكَذا الإِدَامَة =

إِضَافِيَّة، لا حَقِيْقِيَّةٌ، أَيْ: مَا لَمْ يَأْتِ نَبِيّ آخَرُ، وَمَا لَمْ يُكْشَف السِّتَار عَنْ وَجْهِ رِسَالَتِه(١).

وَلٰكِنّ اليَهُوْدَ حَمَلُوْا ذٰلِكَ عَلىٰ اِسْتِحَالَةِ نَسْخِ اليَهُوْدِيَّة؛ وَكَانَ مَعْنىٰ وَصِيَّة التَّمَسُّكِ(٢) بِهَا: هُوَ الوَصَايَة بِالإِيْمَان بِاللهِ وَالتَّمَسُّكِ بِالأَعْمَال(٣)، وَلَمْ تَكُنْ خُصُوْصِيّة تِلْكَ المِلَّة مُعْتَبَرَةً لِذَاتِهَا؛ وَلٰكِنَّ اليَهُوْدَ اعْتَبَرُوْا الخُصُوْصِيَّة، فَظَنُّوْا: أَنَّ يَعْقُوْبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَّى بَنِيْهِ بِالتَّمَسُّك بِاليَهُوْدِيَّة أَبَدًا(٤).

= عَلَى الحَمْل إِضَافيَّة وَحَملُوهَا عَلَى الإِدَامَة الحَقيقِيَّة؛ فَهٰذَا مِن تَحرِيفَاتهِم.

(٥) قَوْله: (الإِدَامَة عَلَيْهَا): ضَمَائر التَّأنيث كلُّها ترجِع إِلَى المِلَّة. (المعرِّب)

(١) قَوْله: (مَا لَمْ يُكْشَف السِّتَار إلخ): قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ [آل عمران۝٨١]؛ قَالَ ابْن عَطيَّة: وَيُحْتَمَل أَنْ يَكُوْن هٰذَا أَخذ المِيْثَاق حِيْن أَخرَج بَنِي آدَم مِنْ ظَهْر آدَم نَسَمًا، وَيُحتَمَل أَنْ يَكُوْن هٰذَا الأَخْذ عَلىٰ كُلّ نَبِي فِي زَمَنه وَوَقْت بَعْثَته.

قَالَ عَلِيّ بْن أَبِيْ طَالِب: مَا بَعَث الله نَبِيًا -آدَمَ فَمَن بَعْدَه- إِلاَّ أَخَذَ عَلَيْه العَهْد فِي مُحَمَّد: "لَئِنْ بُعِث وَهُو حَيّ لَيُؤْمِنَنّ بِهِ وَلَيَنْصرَنّه، وَأَمَرَه بِأَخْذه عَلىٰ قَوْمه، ثُمَّ تَلَا هٰذِه الآيَة". (المحرر الوجيز لابن عطية)

(٢) قَوْله: (وَكَان مَعْنىٰ إلخ): هٰذَا جَوَاب سُوَال مَطْوِيٍّ، وهُوَ أَنَّ اليَهود يَدَّعوْن: أَنَّ يَعقُوْب -عَليهِ السَّلَام- يَوم مَات وَصّى بَنِيه بالتَّمسُّك باليَهودِيَة، فيَسْتَدِلُّون بِتِلك الوَصيَّة عَلىٰ استِحَالة نَسْخ اليَهودية؛ والجَوابُ: أَنَّ ذٰلك افتِرَاء مِنهُمْ عَلىٰ يَعقُوْب -عَليهِ السَّلَام- ، ولَمْ يَكُن مَعنىٰ وَصيَّته هٰذَا؛ بلْ كَانَ مَعنَاه إلخ. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (وَالتَّمَسُّكَ بِالأَعْمَال): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِيۖ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٣﴾ [البقرة]

(٤) قَوْله: (بِالتَّمَسُّكِ بِاليَهُوْدِيَّة): قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِيۖ قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ۝١٣٣﴾ [البقرة]؛ هٰذَا الخِطَاب لِليَهُوْد وَالنَّصَارىٰ الَّذيْن انْتَحلُوا الأَنْبيَاء -صَلوَات الله عَلَيهِم-، وَنَسبُوْهمْ إِلَى اليَهوْديَّة وَالنَّصْرانِيّة؛ فَرَدّ الله تَعَالىٰ عَلَيْهمْ وَكَذّبهُم وَأَعْلَمهُم: أَنّهُم كَانُوا عَلَى الحَنيْفيَّة =

٣- وَمِنْ جُمْلَةِ ذٰلِكَ: أَنَّ اللهَ تَعَالىٰ شَرَّفَ الأَنْبِيَاءَ وَالتَّابِعِيْنَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ فِيْ كُلِّ مِلَّةٍ بِوَصْفِ المُقَرَّب وَالمَحْبُوْبِ، وَوَصَفَ الَّذِيْن ينْكرُوْنَ المِلَّة بِـ"المَغْضُوْبِ"؛ وَأَطْلَقَ فِيْ هٰذَا البَاب لَفْظًا شَائِعًا فِيْ كُلِّ قَوْمٍ؛ فَلا عَجَبَ لَوِ اسْتَعْمَلَ كَلِمَة "الأَبْنَاء" مَقَام المَحْبُوْبِيْن[١]؛ وَلٰكِنْ ظَنَّ اليَهُوْد: أَنَّ هٰذَا التَّشْرِيْف دَائِرٌ مَعَ اسْمِ اليَهُوْدِي وَالعِبْرِيّ وَالإِسْرَائِيْلِيّ، وَلَمْ يَعْرِفُوْا أَنَّه: دَائِرٌ مَعَ صِفَةِ الانْقِيَاد وَالخُضُوْع، وَالسَّيْرِ عَلَى الحَقِّ الَّذِيْ أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ لا غَيْر[٢].

وَقَدِ ارْتَكَزَ[٣] فِيْ خَوَاطِرِهِمْ كَثِيْرٌ مِنَ التَّأْوِيْلاتِ الفَاسِدَة مِنْ هٰذَا القَبِيْل، وَتَلَقَّوْهَا وَتَوَارَثُوْهَا عَنْ آبَاءِهِمْ وَأَجْدَادِهِمْ؛ فَدَحَضَ[٤] القُرْآنُ الكَرِيْمُ هٰذِهِ الشُّبُهَات عَلىٰ أَتَمِّ وَجْهٍ[٥].

بَيَانُ كِتْمَانِ الآيَاتِ:

أَمَّا كِتْمَانُ الآيَات: فَهُوَ أَنَّهُمْ كَانُوْا يُخْفُوْن بَعْضَ الأَحْكَام وَالآيَاتِ لِلْمُحَافَظَة عَلىٰ جَاه شَرِيْفٍ، أَوْ لِطَلَب مَنْصَبٍ عَزِيْزٍ؛ لِئَلاَّ يَتَلاشىٰ اعْتِقَادُ العَامَّة فِيْهِمْ،

= وَالإِسْلَام، وَقَالَ لَهُمْ عَلىٰ جِهةِ التَّقرِيْع وَالتَّوبِيْخ: أَشَهِدْتُم يَعْقُوبَ! وَعَلِمْتُم بِمَا أَوصىٰ، فَتَدَّعوْنَ عَنْ عِلْمٍ؟ وَحُكِيَ: أَنَّ يَعقُوْب حِيْن خُيِّر -كَمَا يُخَيَّر الأَنبِيَاء- اخْتَار المَوْت، وَقَالَ: أَمهِلوْنِي حَتى أُوْصِيْ بَنِيّ وَأَهْلِي، فَجَمَعهُم، وَقَالَ لَهُمْ هٰذَا فَاهْتَدَوا وَ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ﴾ الآيَة. (المحرر ملخصا)

(١) قَوْله: (مَقَام المَحبُوْبِيْن) قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ﴾ [المائدة١٨].

(٢) قَوْله: (لاغَير) قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ﴾ [المائدة٦٨]

(٣) قَوْله: (ارتَكَز): إِرتَكَز الشَّيْءُ: ثَبَتَ واسْتَقَرَّ فِي مَحلِّه. (المعرّب)

(٤) قَوْله: (فدَحَض): دَحَضَ الحُجَّة: أَبْطَلهَا ودَفَعَها. (المعرّب)

(٥) قَوْله: (عَلىٰ أَتَمّ وَجْه): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ﴾ [المائدة١٨]، أَيْ: لامَزِيَّة لَكُمْ عَلىٰ غَيْرِكُم وَإِنْ رَغِم أَنْفُسُكُم. (العظيم)

وَلا يُلامُوْا عَلىٰ تَرْكِ العَمَلِ بِتِلْكَ الآيَات.

أمْثِلَتُهُ:

١- فَمِنْ جُمْلَةِ ذٰلِكَ: أنَّ حُكْمَ رَجْمِ الزَّانِيْ مُصَرَّحٌ فِي التَّوْرَاةِ، وَلٰكِنَّهُمْ أهْمَلُوْه -لإجْمَاعِ أحْبَارِهِمْ[1] عَلىٰ إهْمَالِهِ، وَإقَامَةِ الجَلْد وَتَسْخِيْمِ الوَجْهِ[2] مَقَامَه-، وَكَانُوْا يُخْفُوْنَ تِلْكَ الآيَاتِ خَشِيَّةَ الفَضِيْحَة.

٢- وَمِنْ جُمْلَةِ ذٰلِكَ: أنَّ الآيَاتِ[3] الَّتِيْ فِيهَا بَشَارَة بِبَعْثَة نَبِيٍّ فِيْ أوْلادِ هَاجَرَ[4] وَإسْمٰعِيْلَ عَلَيْهِمَاالسَّلَامُ، وَالَّتِيْ فِيْهَا إشَارَةٌ إلىٰ وُجُوْدِ مِلَّةٍ يَتِمُّ ظُهُوْرُهَا وَشُهْرَتُهَا فِيْ أرْضِ الحِجَاز، وَتَمْتَلِئُ بِهَا جِبَالُ عَرَفَةَ مِنَ التَّلْبِيَةِ، وَيَؤُمّ النَّاس ذٰلِكَ المَوْضِعَ مِنَ الأقْطار وَالأمْصار؛ وَهِيَ ثَابِتَة فِي التَّوْرَاة حَتَّى اليَوْمِ[5]؛ فَكَانَ اليَهُوْدُ يَتَأوَّلُوْنَهَا بِأنَّ ذٰلِكَ إخْبَارٌ بِوُجُوْد تِلْكَ المِلَّة، وَلَيْسَ فِيْهَا أمْرٌ بِاتِّبَاعها؛ وَكَانُوْا يُرَدِّدُوْنَ هٰذِهِ الكَلِمَة[6]: "مَلْحَمَة كُتِبَتْ عَلَيْنَا"[7].

---

(١) قَوْله: (أحْبَارِهِمْ): الأحْبَار جَمعُ حِبْر -بفتح أوّله، وبِكسْره-: العَالِم الكَبِير عِنْد النَّصَارى؛ ورَئِيْسُ الكَهَنَة عِند اليَهود. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (تَسْخِيْمِ الوَجْهِ): سخَّم اللهُ وَجهَه: سَوَّده؛ والسَّخَم: السَّوَاد. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (أنَّ الآيَاتِ): يَعْنِي: آيَاتِ التَّوراة. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (هَاجَر): هاجَر عَلىٰ زِنَة فاعَل: أمُّ اسْمَاعِيل -عَلَيْهِمَا السَّلام-؛ ويَقُوْلون: آجَرُ، فيُبدِّلون الهَمزة مِن الهَاء. (المعرِّب)

(٥) قَوْله: (حَتَّى اليَوْم): وَلِذَا قَالَ الله سُبحَانَه وَتَعَالىٰ فِيْ شَأن اليَهوْد: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۘ﴾ (تفسير ماجدى)

(٦) قَوْله: (كَانُوْا يُرَدِّدُوْنَ هٰذِهِ الكَلِمَة): وفِيْه قاعِدة: "مَهْمَا أمْكَنَ حَمْلُ كَلَامِ الشَّارِعِ عَلىٰ التَّشْرِيْعِ لَمْ يُحْمَلْ عَلىٰ مُجَرَّدِ الإخْبَارِ عَنِ الْوَاقِع". (مُحَمَّدإلْيَاس)

(٧) قَوْله: (كُتِبَتْ عَلَيْنَا): أيْ: كانُوْا يَقولُوْن: كُتِب عَلَيْنا الحَرْب الشَّدِيْد مَعَ النَّبِيِّ الَّذِيْ سَيَظهَر فِي أوْلاد إسْمَاعِيْل؛ فكأنَّنا أمِرْنا بمُخالَفَتِه، لا باتِّبَاعِه. (المعرِّب)

وَلِمَا أَنَّ هٰذَا التَّأْوِيْل الرَّكِيْكَ لايَسْمَعُهُ أَحَدٌ، وَلايَصِحُّ عِنْدَ أَحَدٍ، كَانُوْا يَتَوَاصَوْن فِيْمَا بَيْنَهُمْ بِإِخْفَاءِهَا، وَلايُسَامِحُوْن بِإِظْهَارِهَا عَلىٰ كُلِّ عَامٍّ وَخَاصٍّ، كَمَا حَكَى الله تَعَالىٰ عَنْهُمْ: ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم(١) بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ [البقرة٧٦].

مَا أَجْهَلَهُمْ! هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُحْمَل مِنَّةُ اللهِ تَعَالىٰ عَلىٰ هَاجَر وَإِسْمَاعِيْلَ عَلَيۡهِمَاالسَّلَامُ بِهٰذِهِ المُبَالَغَة، وَذِكْرُ هٰذِهِ الأُمَّة بِهٰذِهِ الفَضِيْلَةِ عَلَى الإِخْبَارِ بِوُجُوْدِ تِلْكَ المِلَّة؛ وَلايَكُوْنُ فِيْه حَثٌّ وَتَحْرِيْضٌ عَلىٰ اتِّبَاع هٰذَا الدِّيْن! سُبْحَانَكَ! هٰذَا إِفْكٌ عَظِيْمٌ(٢).

بَيَانُ الافْتِرَاءِ:

أَمَّا الافْتِرَاءُ(٣) فَأَسْبَابُهُ:

١- دُخُوْلُ التَّعَمُّقِ وَالتَّشَدُّدِ(٤) عَلىٰ أَحْبَارِهِمْ وَرُهْبَانِهِمْ.

---

(١) قَوْله: (أَتُحَدِّثُونَهُم): أَيْ: أَتُخبِرُوْن أَصْحَابَ مُحَمَّد ﷺ ﴿بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ﴾ بِمَا بَيَّن الله لَكُم فِي التَّوراة مِنْ صِفَة مُحَمَّد ﴿لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ﴾ أَيْ: لِيُجادِلوْكُم وَيُخاصِمُوْكُم بِهِ بِمَا قُلْتُم لَهُم عِنْد رَبكُم فِي الآخِرَة، يَقُولُوْن: كَفرتُم بَعْد أَنْ وَقفتُم عَلىٰ صِدْقه ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أَنَّ هٰذِه حُجَّة عَلَيْكُم حَيْث تَعتَرِفُوْن بِه، ثُمَّ لاتُتَابِعُوْنه!. (مدارك التنزيل للنسفي)

(٢) قَوْله: (إِفْكٌ عَظِيْمٌ): مَعَ أَنَّ الله سُبْحَانه وَتَعَالىٰ قَالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة١٤٣]، أَيْ: جَعَلنَاكُم أُمَّة مُعْتَدلَة بَيْن الغُلُوِّ -أَيِ: الإِفْرَاط- وَالتَّقصِيْر -أَيِ: التَّفرِيْط-؛ فَإِنَّكُم لَمْ تَغلُوا غُلُوّ النَّصَارَىٰ حَيْث وَصَفُوا المَسِيْح بِالأُلُوهِيَّة، وَلَمْ تُقَصِّرُوا تَقصِيْر اليَهُوْد حَيْث وَصَفُوا مَرْيَم بِالزِّنَا وَعِيْسىٰ بِأَنَّه وَلَد الزِّنَا. العِيَاذ بِالله!. (مُحَمَّدإِلْيَاس)

(٣) قَوْله: (الافْتِرَاء): الافْتِرَاء عَلَى اللهِ: نِسبَة مَا يَكتُبُوْنه بِأَيْدِيْهِم إِلَى الله تعَالىٰ وإِلَى التَّوراة. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (التَّعَمُّق وَالتَّشَدُّد): التَّعمُّق: هُوَ القِيَاس الفَاسِد، وَهُوَ أَنْ تُعَدّي أُمَّةٌ حُكْم الشَّيْء إِلىٰ مَا يُشاكِل ذٰلِك الشَّيْء بِحَسَب بَعْض الوُجُوْه، كَمَا أَنْ يُحَرِّم عَلَى الصَّائِم قُبْلَة إِمرَأَته بِدَلِيْل أَنَّهَا مِنْ دَوَاعِي الجِمَاع وَلأَنَّهَا تُشَاكِل الجِمَاع فِيْ قَضَاء الشَّهْوَة.

وَالتَّعَمُّقُ فِيْ الأَمْر: بَالَغَ فِيْ دَقَائِقِه وَأَقْصىٰ غَايَاتِه، تَعَمَّقَ فِيْ كلامِه: تَنَطَّع. =

٢- وَالاسْتِحْسَانُ(١) -أيْ: اسْتِنْبَاط بَعْض الأحْكَامِ بِنَاءً عَلىٰ إِدْرَاكِ المَصَالِح فِيْهَا- بِدُوْنِ نَصٍّ مِنَ الشَّارِع.

٣- وَتَرْوِيْج الاسْتِنْبَاطَاتِ الوَاهِيَة.

فَأَتْبَاعُهُمْ أَلحَقُوْهَا بِالأَصْلِ(٢) زَعْمًا مِنْهُمْ أَنَّ اتِّفَاق سَلَفِهِمْ عَلىٰ شَيْءٍ مِنَ الحُجَج القَاطِعَة(٣)، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ مُسْتَنَدٌ فِيْ إِنْكَارِ نُبُوَّةِ عِيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلاَّ أَقْوَالُ

= وَالتَّشدُّد: هوَ الزِّيادة عَلىٰ ماشَرَعه الله، كاختيَار عِبادَات شَاقَّة لَمْ يَأمُر بِهَا الشارُع، كالتَّبتُّل وتَرْك التَّزوُّج ودَوَام الصِّيَام، كمَا قَال رَسُولُ اللهِ ﷺ لمَنْ واصَل مَعَه مِن الصَّحابَة في آخِر شَهْر رمَضَان: "لوْ مُدَّ الشَّهْر لوَاصَلْتُ وِصَالا يَدَعُ المُتعَمِّقون تعمُّقَهم؛ إنِّي لَسْتُ مِثْلكم، إنِّي أبِيْتُ يُطعِمُني ربِّيْ ويَسْقِيني". [البخاري]، وَالمُراد فِي الرِّوايَة: المُتعمّق المُبَالغ فِي الأمْر المُتشَدِّد فِيْه الَّذِي يَطْلب أقْصىٰ غَايَته. (لسان العرب، العون الكبير بزيادة)

(١) قَوْله: (الاسْتِحْسَان): كَمَا أنَّ اليَهوْد رَأوْا: أنَّ الشَّارِع إنَّمَا أمَرَ بِالحُدوْد زَجْرًا لِلإصْلَاح، ورَأوْا: أنَّ الرَّجْم يُوْرِث اخْتلَافا وَتَقابُلاً بِحَيْث يَكُوْنُ فِيْ ذٰلِك أشَدُّ الفَسَادِ؛ فَاستَحْسَنُوا تَحمِيْم الوَجْه وَالجِلْد. (العون الكبير)؛ فَعُلِمَ مِنْه: أنَّ فِيْ اسْتحْسَان اليَهوْد اتِّبَاع الهَوٰى، وَأمَّا اسْتِحْسَان الفُقهَاء فَهوَ مُستَحْسَن.

المَلحُوْظَة: اسْتِحسَان الفُقهَاء: هُوَ العَدوْل عَن قِيَاس جَلي إلىٰ قِيَاس خَفِي؛ أوْ اسْتِثنَاء مَسْألة جُزْئيَّة عَنْ أصْل كُلّي لِدلِيْل تَطمَئِنّ إلَيْه نَفس المُجتهِد لِيقْتَضِي هٰذَا الاسْتِثْنَاء، كالاسْتِصنَاع، فَالقِيَاس يَأبىٰ جَواز الاسْتِصنَاع، لأنَّه بَيْع المَعْدُوم، كالسّلم؛ بَلْ هُوَ أبْعَد جَوَازا مِن السّلم، لأنّ المُسْلم فِيْه تحْتَمله الذِمَّة، فَكَان جَوَاز هٰذَا العقْد أبْعَد عَن القِيَاس عَن السّلم، لٰكِنَّه جَاز لأنَّ النَّاس تعامَلُوْه فِي سَائِر الأمْصَار مِنْ غَيْر نَكِيْر؛ فَكَان إِجْمَاعا مِنهم عَلَى الجَوَاز، فَيتْرك القِيَاس.(مُحَمَّدْإلْيَاس)

(٢) قَوْله: (بِالأصْلِ): أيْ: بأصْل الكِتَاب والشَّرِيْعة. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (اِتِّفَاق سَلَفِهِمْ إلخ): وَاعْلَمْ أنَّ الإجْمَاع عَلىٰ خِلَاف الشَّرْع غَيْر مُعتَبَر، كَمَا أنَّ اليَهُوْد اتَّفَقُوا عَلىٰ التَّسْوِيْد وَالجَلْد وَتَرَكُوا الحُكْم المَنصُوْص، وَهُوَ الرَّجْم؛ كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْن عُمَر: أنَّ اليَهوْد جَاءُوا إلَى النَّبِيِّ ﷺ بِرجُل وَامْرَأة زَنَيَا، فَأمَر بِهمَا فَرُجِمَا قَرِيْبا مِنْ حَيْث تُوْضَع الجَنَائِز عِنْد المَسْجِد. (البخارى: ٧٧٣٢)

فَقَوْله: (فَرُجِما) أي: رُجِمَا بحُكْم التَّورَاة بِشَهادَة الشُّهوْد عَلَى المُشَاهدَة أو الاعْتِرَاف، وَلَيْس هُوَ فِيْ حُكْم الإسْلَام فِيْ شَيْء، إنَّمَا هُوَ مِنْ بَاب تَنفِيْذ الحُكْم عَليْهِم بِمَا فِيْ كِتَابِهم قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة٤٩]. (مُحَمَّدْإلْيَاس)

سَلَفِهِمْ؛ وَكَذٰلِكَ كَانَ حَالُهُمْ فِيْ كَثِيْرٍ مِنَ الأَحْكَام.

- **مَا هُوَ سَبَبُ التَّقْصِيْرِ:**

وَأَمَّا التَّسَاهُلُ فِيْ تَنفِيْذِ أَحْكَامِ التَّوْرَاة، وَارْتِكَابُ البُخْلِ وَالحِرْص؛ فَظَاهِرٌ أَنَّه مِنْ مُقْتَضَيَات النَّفْس الأَمَّارَة، -وَهِيَ تغْلبُ النَّاسَ جَمِيْعًا إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ﴾ [يوسف٥٣]-؛ وَلٰكِنْ هٰذِهِ الرَّذِيْلَةَ(١) قَدْ تَلَوَّنَتْ فِيْ أَهْلِ الكِتَابِ بِلَوْنٍ آخَرَ، وَهُوَ: أَنَّهُمْ كَانُوْا يَتَكَلَّفُوْنَ تَصْحِيْحَهَا بِتَأْوِيْلٍ فَاسِدٍ، وَكَانُوْا يُبْرِزُوْنَهَا فِيْ صِبْغَة الدِّيْن.

- **العَصَبِيَّةُ الشَّدِيْدَةُ مِنْ أَسْبَابِ الاسْتِبْعَادِ:**

وَأَمَّا اسْتِبْعَادُ رِسَالَةِ سَيِّدنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَسْبَابُهُ:

١- اِخْتِلافُ عَادَاتِ الأَنْبِيَاءِ وَأَحْوَالِهِمْ: فِيْ إِكْثَارِ التَّزَوُّجِ وَالإِقْلالِ مِنْه، وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ(٢).

٢- اِخْتِلافُ شَرَائِعِهِمْ(٣).

٣- وَاخْتِلاف سُنَّة الله(٤) تَعَالىٰ فِيْ مُعَامَلَة الأَنْبِيَاء(٥).

---

(١) قَوْله: (هٰذه الرَّذِيْلَة): الرَّذِيْلَة: ضِدُّ الفَضِيْلة، والجمعُ: رَذَائِل. (المعرَّب)

(٢) قَوْله: (وَمَا أَشْبَه ذٰلِكَ) كَمَا فِي الغِنىٰ وَالفَقْر.

(٣) قَوْله: (اِخْتِلَافُ شَرَائِعِهِمْ) كَاخْتِلَاف الشَّرَائِع فِي لَحْم الإِبِل وَتقْسِيم الغَنَائِم وَعَدَمه.

فَعَنْ أَبِيْ هُرَيْرَة قَالَ: قَالَ رَسُوْل الله ﷺ: .... "وَالأَنْبِيَاء إِخْوَة لِعَلَّات، أُمَّهَاتُهمْ شَتّٰى وَدِيْنُهمْ وَاحِد". (البخاري: ٣٤٤٣)؛ يَعنِيْ: أَنَّ أَصْل دِيْن الأَنْبِيَاء وَاحِد وَهُوَ التَّوحِيْد وَعِبادَة الله تَعَالىٰ وَحْده لاشَرِيْك لَه؛ لٰكِنْ تَفاصِيْل الشَّرَائِع وَالأَحْكَام مُخْتَلِفَة تُلائِم الزَّمَان الَّذِي هُمْ فِيْه، فَكَانَ مِنْ شَرِيْعَة آدَم عَلَيهِالسَّلَام: أَنَّ الأَخ يتَزَوّج مِنْ أُخته، لأَنَّه لايُمكِن حُصوْل التَّنَاسُل وَوُجوْد الذُّرِّيَّة فِيْ ذٰلِكَ إِلَّا بِذٰلِكَ، ثُمَّ طَالَ الزَّمَان وَتَغيَّرت الشَّرَائِع وَلِذٰلِك مِنْ شَرِيْعَة اليَهُوْد تَحْرِيْم نِكَاح الأَخ لأُخْتِهِ.

(٤) قَوْله: (اِخْتِلَاف سُنَّةِ الله): كَمَا قَالَ رَسُوْل الله ﷺ: وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَث إِلىٰ قَوْمه خَاصّة وَبُعِثتُ إِلَى النَّاس عَامَّة. (البخاري: ٣٣٥)

=

٤- وَبَعْثَةُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ بَنِيْ إِسْمَاعِيْلَ، بَعْدَ مَا كَانَ جُمْهُوْرُ الأَنْبِيَاء مِنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ.

٥- وَأَمْثَالُ هٰذِهِ الأَسْبَاب[1].

[تَوْضِيْحُ بَعْضِ أَسْبَابِ الاسْتِبْعَاد]

- **مَا هُوَ السَّبَب فِيْ اخْتِلَاف شَرَائِع الأَنْبِيَاء:**

وَالأَصْلُ فِيْ هٰذِهِ المَسْئَلَة: أَنّ النُّبُوَّة كَائِنَةٌ لِإِصْلَاح نُفُوْس النَّاس، وَتَهْذِيْبِ عِبَادَاتِهِمْ، وَتَعْدِيْل عَادَاتِهِم؛ لا لِإِنْشَاءِ أُصُوْل البِرّ وَالإِثْم.

وَلِكُلّ قَوْم عَادَاتٌ فِي "العِبَادَات، وَتَدْبِيْرِ المَنْزِل، وَالسِّيَاسَةِ المَدَنِيَّة"؛ فَإِذَا ظَهَرَتْ فِيْهِمُ النُّبُوَّةُ: فَلا تَسْتَأْصِلُ هٰذِهِ العَادَاتِ بِالمَرَّة، وَلاتَضَعُ لَهُمْ عَادَاتٍ جَدِيْدَةً، بَلْ تُمَيِّزُ فِيمَا بَيْنَ العَادَات؛ فَمَا كَانَ مِنْهَا صَالِحا مُطَابِقًا لِرِضَى الله -تَعَالىٰ- تُبْقِيْهِ وَتَحْفَظُهُ، وَمَا كَانَ مِنْهَا مُخَالِفًا لِلأَصْل مُنَافِيًا لِرِضَى اللهِ تَعَالىٰ، تُغَيِّرُهُ حَسَبَ الضَّرُوْرَة وَتُعَدِّلُه[2].

= (٥) قَوْله: (فِيْ مُعَامَلَة الأَنْبِيَاء): كَمَا فِي مَسْئَلة بَعْثَة النُّبُوَّة وَأَدَاءِ الزَّكوٰة، حَيْث كَانَت بَعْثَته ﷺ عَامَّة لِلجَمِيْع، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...... فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ﴾[الأعراف١٥٨]، وقَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ(يَا أَهْل مَكَّة) وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام١٩]، أَيْ: مَنْ بَلَغ القُرْآنُ مِنَ العَجَم وَغَيْرهِمْ مِنَ الأُمَم إِلىٰ يَوْم القِيامَة. (البغوي)

(١) قَوْله: (وَأَمْثَال هٰذِهِ الأَسْبَاب): كَنُزُوْل القُرْآن لِتَثْبِيْت الأَحْكَام نَجْما نَجْما، بِخِلَاف الكُتُب السَّماوِيّة مِنَ التَّورَاة وَالإِنْجِيْل وَالزَّبوْر؛ فَإِنَّهَا نَزَلَت جُمْلَةً وَاحِدةً. (مُحَمَّدإِلْيَاس)

(٢) قَوْله: (وَتُعدِّله): كَمَا وَقَع فِي الحِلْف، قَالَ ابْن عُيَيْنة: "أَنَّ مَعْنى الحِلْف فِي الجَاهِلِيَّة مَعْنى الأُخُوّة فِي الإِسْلَام، لٰكِنَّه فِي الإِسْلَام جَارٍ عَلىٰ أَحْكَام الدِّيْن وَحُدُوْده؛ وَحِلْفُ الجَاهِلِيَّة جَرىٰ عَلىٰ مَاكَانُوا يَتَوَاضَعُوْن بَيْنَهُم بِآرَائهِمْ، فَبَطَل مَا خَالَف الإِسْلَام، وَبَقِي مَا لَمْ يُبطِله القُرْآن، وَهُوَ التَّعاوُن عَلَى الحَقّ وَالنَّصْر، وَالأَخْذُ عَلىٰ يَدِ الظَّالِم"؛ وَقَالَ الطَّبَرِي: الإِخَاء المَذكُوْر كَمَا فِي أَوَّل الهِجْرَة، وَكَانُوا يَتَوَارَثُوْنَ بِهِ، ثُمَّ نُسِخَ مِنْ ذٰلِكَ المِيرَاث، وَبَقِي مَا لَمْ يُبْطِله القُرْآن، وَهُوَ التَّعاوُن عَلَى الحَقّ وَالنَّصْر، وَالأَخْذُ عَلىٰ يَدِ الظَّالِم.(مُحَمَّدإِلْيَاس)

وَكَذٰلِكَ يَكُوْن "التَّذْكِيْرُ بِآلاءِ الله، وَبِأَيَّامِ الله" عَلَى الأسْلُوْب الَّذِيْ هُوَ مَعْرُوْفٌ عِنْدَهُمْ، وَشَائِع لَدَيْهِمْ[1]؛ فَهٰذَا هُوَ "السَّبَب فِيْ اخْتِلاف شَرَائِع الأنْبِيَاء" عَلَيْهِمُ الصَّلوٰة وَالسَّلامُ.

اِخْتِلاف الشَّرَائِع كَاِخْتِلاف وَصَفَاتِ الطَّبِيْبِ:

وَهٰذَا الاخْتِلاف فِي الشَّرَائِعِ كَالاخْتِلاف فِيْ وَصَفَات الطَّبِيْب، فَإِنَّهُ إِذَا دَبَّرَ أَمْرَ المَرِيْضَيْن يَصِفُ لأَحَدهِمَا دَوَاءً وَغذَاءً بَارِدا، وَيَأْمُرُ الآخَرَ بِدَوَاءٍ وَغِذَاءٍ حَارٍّ؛ وَغَرَض الطَّبِيْب مِنْ مُعَالَجتِهِمَا وَاحِد -وَهُوَ إِصْلاح مزَاجِهِمَا، وَإِزَالَةُ المَوَادِّ الفَاسِدَة مِنْهُمَا-، لا غَيْرُ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يَّصِفَ الطَّبِيْب فِيْ كُلِّ منْطِقَة أدْوِيَةً وَأَغْذِيَة مُخْتَلِفَة تُلائِمُ أَهْلَهَا؛ وَكَذٰلِكَ يَخْتَار فِيْ كُلِّ فَصْلٍ مِنَ الفُصُوْل عِلاجًا مُخْتَلِفًا يُنَاسِبُ ذٰلِكَ الفَصْلَ.

كَذٰلِكَ لَمَّا أَرَادَ الطَّبِيْب الحَقِيْقِي -جَلَّ مَجْدُهُ-: مُعَالَجَةَ مَن ابْتُلِيَ بِالمَرَض النَّفْسَانِيّ، وَتَقْوِيَةَ القُوَّة المَلَكِيّة، وَإِزَالَةَ الفَسَاد الطَّارِئ عَلَيْهِمْ؛ اخْتَلَفَتِ المُعَالَجَة بِحَسَب اخْتِلاف أَقْوَامِ كُلِّ عَصْرٍ وَعَادَاتهِمْ، وَمَشْهُوْرَاتِهِمْ، وَمُسَلَّمَاتِهِمْ.

أُنْمُوْذَجُ اليَهُوْد:

وَعَلَى كُلٍّ، فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَرَى أُنْمُوْذَجَ[2] اليَهُوْد، فَانْظُرْ إِلَى عُلَمَاء السُّوْء الَّذِيْنَ: يَطْلُبُوْن الدُّنْيَا، وَيُوْلَعُوْنَ بِتَقْلِيْد السَّلَف، وَيُعْرِضُوْن عَنْ نُصُوْص الكِتَاب

---

(١) قَوْله: (شَائِع لَدَيْهِم) كَقَوْله تَعَالَى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ۝ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ۝﴾ [القريش] مُتعَلّق بِآلاء الله؛ وَقَوْله تَعَالَى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ۝﴾ [الفيل] مُتَعَلِّق بِأَيَّام الله.

(٢) قَوْله: (أُنْمُوْذج) الأُنْمُوْذَج: المِثَال الَّذِي يُعْمَل عَلَيْه الشَّيْء كَالنَّمُوْذَج؛ أَصْلهُمَا كَلمَة فَارسِيّة، وَهِيَ: نمونه. (معجم الوسيط، المُعرَّب)

وَالسُّنَّة، وَيَسْتَنِدُوْنَ إِلىٰ تعَمُّقِ عَالِمٍ وَتَشَدُّدِه، أَوْ إِلىٰ إِسْتِحْسَانه؛ فَأَعْرضُوْا عَنْ كَلام الشَّارِع المَعْصُوْم، وَجَعَلُوْا: الأَحَادِيْث المَوْضُوْعَةَ وَالتَّأْوِيْلاتِ الفَاسِدَة قُدْوَةً، فَانْظُرْ كَأَنَّهُمْ هُمْ!

[النَّصَارىٰ وَضَلَالَاتُهُمْ]

أَمَّا النَّصَارىٰ: فَكَانُوْا مُؤْمِنِيْنَ بِسَيِّدِنَا عِيْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ ضَلالُهُمْ أَنَّهُمْ يَزْعُمُوْن: أَنَّ لِلّٰهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ثَلاثَةَ أَجْزَاءٍ، مُتَغَايِرَةٍ بِوَجْهٍ وَمُتَّحِدَةٍ بِآخَر(١)؛ وَكَانُوْا يُسَمُّوْنَهَا "الأَقَانِيْمَ الثَّلاثَة"(٢):

(١) قَوْله: (مُتَغَايِرَة - مُتَّحِدَة) مُتغَايِرة بِالذَّوَات وَمُتَحِدَة بِالجَوْهَر، وَسَيَأْتِي تَفصِيْله.

(٢) قَوْله: (الأَقَانِيْم): الأَقَانِيْم جَمْع الأَقْنُوْم، وهِيَ كلمَة سُرْيانِيَّة، مَعنَاها: الشَّخْص (Person)، والأصل. (المعرّب).

والأَقَانِيْم الثَّلاثَة: -عِنْد المَسِيْحِيِّيْن-: الأَبُ والابْنُ والرُّوْحُ القُدُس؛ فَالأَب: هُوَ الله مِنْ حَيْث الجَوْهَر، وَهُوَ "الأَصْل" مِنْ حَيْث الأَقْنُوْم؛ وَالابْن: هُوَ الله مِنْ حَيْث الجوهَر، وَهُوَ "المَوْلُوْد" مِنْ حَيْث الأَقْنُوْم؛ وَالرُّوْح القُدُس: هُوَ الله مِنْ حَيْث الجَوْهَر، وَهُوَ "المُنبَثِق" مِنْ حَيْث الأَقْنُوْم.

وَيُمْكِنُ لَنَا أَنْ نَأْخُذ مِثَالا: وَهُوَ المُثَلّث مِنَ الذَّهَب الخَالِص، لَهُ ثَلاثُ زَوَايا مُتساوِيَة: أ، ب، ج؛ فالرَّأس "أ" هُوَ ذَهَب مِن حَيْث الجَوْهَر، وَالرَّأس "ب" هُوَ ذَهَب مِنْ حَيْث الجَوْهَر، وَالرَّأس "ج" هُوَ ذَهَب مِنْ حَيْث الجَوْهَر؛ فَالرُّؤُوس الثَّلاثَة لَهُمْ جَوْهَر وَاحِد -وَهُو جَوْهَر المُثلَّث- وَكَيْنُوْنَة وَاحِدَة وَذَهَب وَاحِد؛ وَلٰكِن "أ" لَيْس نَفْسه هُوَ "ب"، وَ "ب" لَيْس نَفْسه هُوَ "ج"، وَ "ج" لَيْس نَفْسه هُوَ "أ"، لِأَنَّ "أ" لَوْ كَان هُوَ "ب" لانْطبَق الضِّلْع "أج" عَلى الضِّلْع "ب،ج"، وَبِذٰلِكَ يَنعَدِم الذَّهَب! وَعَلَيْك هٰذَا الجَدْوَل:

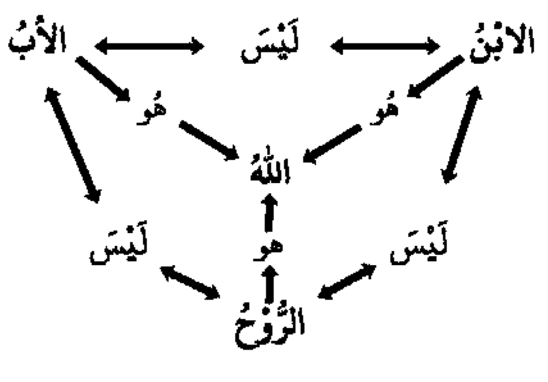

أَحَدُهَا: الأَبُ -وَهُوَ بِإِزَاءِ مَبْدَأِ العَالَمِ-[1]؛ وَالثَّانِيْ: الابْنُ -وَهُوَ بِإِزَاءِ الصَّادِرِ الأَوَّلِ الَّذِيْ هُوَ مَعْنًى عَامٌّ شَامِلٌ لِجَمِيْعِ المَوجُوْدَاتِ[2]-؛ وَالثَّالِثُ: رُوْحُ القُدُسِ، وَهُوَ بِإِزَاءِ العُقُوْلِ المُجَرَّدَةِ.

عَقِيْدَةُ التَّثْلِيْثِ وَالرَّدُّ عَلَيْهَا:

وَكَانُوْا يَعْتَقِدُوْنَ أَنّ أُقنُوْمَ "الابْن" تَدَرَّعَ[3] بِرُوْحِ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَيْ: كَمَا أَنّ جِبْرَئِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ يَظْهَرُ فِيْ صُوْرَةِ الإِنْسَانِ[4]، كَذٰلِكَ ظَهَرَ الابْنُ فِيْ صُوْرَة

= فَعُلِم مِنْ هٰذَا المِثَال: أنّ الأَقَانِيْم الثَّلاثَة مُتغَايِرَة بِالذَّوَات وَمُتّحدَة بِالجَوْهَر، يعْنِي: أَنَّ الابْن هُوَ اللهُ، والأَبُ هوَ اللهُ، والرُّوح القُدس هوَ اللهُ مِن حَيْث الجَوهَر؛ مَعَ أَنَّ الإبْن لَيْس الأَبَ عينَه وليسَ الرُّوح، والأَبُ ليسَ الإبْنَ وليسَ الرُّوح، والرُّوح القُدس لَيسَ الابْن ولَيْس الأب. هٰذا مِن التَّناقُضات فِيْ التَّارِيْخ! العِياذُ بالله

وَالرَّدّ عَلَيهم: بِأَنَّا نَقُوْل: هَلِ الأَب وَحْدَه إِلٰه كَامِل، أَمْ أَنَّه لايُعتَبَر إِلٰهًا إِلاَّ إِذَا ارْتَبَط بِبَاقِي الأَقَانِيْم؟ فَإِنْ أُجِيْب: أَنَّ الأَب إِلٰه تَامّ بِدُوْن الحَاجَة بِبَاقِي الأَقَانِيْم لَكَان الابْن أَيْضا إِلٰهًا تَامًا غَيْر مُحتَاج إِلَى الأَب، وَكَذٰلِكَ الرُّوح القُدُس، فَانْتَفى التَّوحِيْد؛ وَإِنْ أُجِيْب: بِأَنّ وُجوْد أُقْنُوم وَاحِد يَستَلزِم وُجُوْد البَاقِيْن، وَلايُمْكِن لِوَاحِد مِنهُمْ البَقَاءُ بِمُفرَدِه فِي الوُجُوْد، فَحِينَئِذ يَلزَم عجز كُلّ أُقْنُوم. (مُحَمَّدْ إِلْيَاس)

(١) قَوْله: (مَبْدَأ العَالَم): قَارَن الإمَام المُصنِّف -رَحِمَه اللهُ- مُصْطَلحَات النَّصَارىٰ بمُصْطَلَحَات الفَلاسَفة؛ والفَلاسفة يَعنُون بمَبْدِأ العَالَم: ذاتَ الوَاجِب تعَالىٰ؛ وبِالصَّادِر الأَوَّل: العَقْلَ الأَوَّلَ؛ وبالعُقُوْلِ المُجَرَّدة: العُقُوْلَ العَشَرَة؛ والعَقْل عِندَهم: جَوْهَر مُستَغْنٍ فِيْ أَفْعَاله عنِ الآلَات الجِسْمَانِيَّة، مُتَوَسِّط بَيْن الوَاجِب ومَصْنُوعاتِه فِي إِفَاضَة الوُجُوْد. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (المَوجُوْدات): الصَّادِر الأَوَّل -أَيِ العَقْل الأَوَّل عِنْد الفَلاسِفَة- سَبَب لِوُجُوْد جَمِيْع الكَائِنَات؛ فهُوَ شَامِل لِجَمِيْع المَوْجُوْدات بِهٰذَا المَعْنى. وَهُوَ عِنْد أَرْبَاب الحَقَائِق: الوُجُوْد المُنْبَسِط المَخْلُوْق، ومِنْهُ وُجِد العَالم بِحَذافِيْرِه. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (تَدَرَّع): تَدَرَّع: أَيْ تَقَمَّص. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (فِي صورة الإنسان): أَخْرَج البُخارِي عَنْ أَبِي عُثمَان، قَالَ: أُنْبِئْتُ أَنَّ جِبرِيْل أَتَى النَّبِي ﷺ وَعِنْده أُمّ سَلمَة، فَجَعَل يَتَحدّث؛ فَقَال النَّبِي ﷺ لأمّ سَلمَة: مَنْ هٰذَا؟ -أَوْ كَمَا قَالَ-، قَالَتْ: "هٰذَا دِحْيَة!"، فَلَمَّا قَامَ، قَالَت: وَاللهِ! -مَا حَسِبْتُه إِلَّا إِيَّاه، حَتّٰى- سَمِعْتُ خُطبَة النَّبِي ﷺ يُخبِر خَبَر جِبرِيْل. (البخاري: ٤٩٨٠)

رُوْحِ عِيْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَعِيْسىٰ إِلٰهٌ، وَابْنُ إِلٰهٍ، وَبَشَرٌ أَيْضا فِيْ وَقْت وَاحِد! وَتَجْرِيْ عَلَيْهِ الأَحْكَامُ البَشَرِيَّةُ وَالإِلٰهِيَّةُ مَعًا.

وَكَانُوْا يَتَمَسَّكُوْنَ فِيْ إِثْبَات هٰذِهِ العَقِيْدَة بِبَعْض نُصُوْصِ الإِنْجِيْل الَّتِيْ أُطْلِقَ فِيْهَا لَفْظُ "الابْنِ" عَلىٰ عِيْسىٰ[١] عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَكَذٰلِكَ يَسْتَدِلُّوْنَ بِالآيَات الَّتِيْ نَسَبَ فِيْهَا عِيْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْضَ أَفْعَال الله تَعَالىٰ إِلىٰ نَفْسِهِ[٢].

وَجَوَابُ الإِشْكَالِ[٣] الأَوَّلِ -عَلىٰ تَقْدِيْرِ صِحَّة نُصُوْصِ الإِنْجِيْل، وَأَنَّهُ لَيْسَ فِيْهَا تَحْرِيْفٌ-: أَنَّ لَفْظَ "الابْنِ[٤]" -فِيْ العَهْدِ القَدِيْم- كَانَ مُسْتَعْملا بِمَعْنى المَحْبُوْب[٥] وَالمُقَرَّب وَالمُجْتَبٰى، كَمَا يَدُلُّ عَلَيْه كَثِيْرٌ مِنَ القَرَائِنِ فِي الإِنْجِيْل.

وَجَوَاب الإِشْكَال الثَّانِيْ[٦]: ١- أَنَّ تِلْكَ النِّسْبَة عَلىٰ طَرِيْق الحِكَايَة، كَمَا يَقُوْلُ

---

(١) قَوْله: (عِيْسىٰ عَلَيْه السَّلام): راجع إِنْجِيْل مُرْقُس [١٣: ٣٢]، وإنجيل لوقا [٢٣: ٤٦]، والمَواضِع الكَثِيْرة مِن إِنجِيْل يُوْحَنَّا. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (إِلىٰ نَفْسِه): كَمَا فِي الأَصحاح الثَّامِن مِن إِنْجِيْل مَتّٰى: جَاء أَبْرص فقَالَ لعِيْسىٰ: يَا رَبِّ إِن شِئْت فَأَنْت قَادِر عَلىٰ تَطْهِيْري؛ فمَدَّ يَسُوْع يَدَه ولَمَسَه، وقَال: "قَد شِئْتُ فَاطْهرْ"، فَطَهُر للوَقْت مِن بَرصِه [الآيات: ١ - ٣]. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (جَواب الإِشْكال): الإِشْكال بمَعْنى الاشْتِبَاه والالْتِبَاس، مِنْ: أَشْكَلَ الأَمرُ: إِذَا التبس. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (الابْن): اعْلَم! أَنَّ لَفْظ "الابْن" لايَصِحّ أَنْ يَّكُوْن بِمَعنَاه الحَقِيْقِي، لأَنَّ مَعنَاه الحَقِيْقِي -بِاتِّفَاق لُغَة أَهْل العَالَم-: مَنْ تَولَّدَ مِنْ نُّطفَة الأَبويْن، وَهٰذَا مُحَال هٰهُنَا؛ فَلابُدّ مِنَ الحَمْل عَلَى المَعْنى المَجازِي المُنَاسِب لِشَأْن المَسِيْح؛ فَفِي انْجِيْل مُرْقُص الآيَة: ٣٩، البَاب: ١٥ لَفْظ "ابْن الله"، وَفِي إِنْجِيْل لُوقَا بَدَّلَه لَفْظ "البَارّ"؛ وَاسْتعْمَل مِثْل هٰذَا اللَّفْظ فِيْ حَقّ الصَّالِح غَيْر المَسِيْح أَيْضا، كَمَا اسْتَعْمل مِثْل "ابْن إِبْلِيْس" فِيْ حَقّ الطَّالِح فِيْ إِنْجِيْل مَتّٰى: بَاب: ٥، الآيَة: ٤٤ - ٤٥. (العون الكبير ملخصا)

(٥) قَوْله: (بِمَعْنى المَحْبُوْب): وفِيْه قاعِدة: "مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ حِكَايَةً عَنْ غَيْرِ أَهْلِ اللِّسَانِ مِنَ الْقُرُوْنِ الْخَالِيَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَّعْرُوْفِ مَعَانِيْهِمْ، وَلَيْسَ بِحَقِيْقَةِ أَلْفَاظِهِمْ" [قواعد: ١٩٢].

(٦) قَوْله: (جَوَاب الإِشْكَال الثَّانِي): أَمَّا جَوَاب الإِشْكَال الأَوَّل فَهُوَ عَلىٰ تَقْدِيْر التَّسلِيْم، أَمَّا هٰذَا الجَوَاب فَهُوَ عَلىٰ سَبِيْل الإِنْكَار.(مُحَمَّدْ إِلْيَاس)

رَسُوْل المَلِكِ: "إِنَّا فَتَحْنَا البَلَدَ الفَلانِي"، وَ"لَقَدْ حَطَمْنَا القِلْعَةَ الفُلانِية"[١]؛ وَفِي الحَقِيْقَة هٰذَا الأَمْر رَاجِعٌ إِلَى المَلِكِ، وَأَمَّا الرَّسُوْلُ فَإِنَّمَا هُوَ تَرْجُمَان المَلِك فَحَسْبُ[٢].

٢- وَالجَوَاب الثَّانِي: أَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُوْن الوَحْيُ إِلىٰ عِيْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ طَرِيْقِ إِنْطِبَاع[٣] المَعَانِي فِيْ لَوْحِ قَلْبِه مِنْ قِبَل العَالَمِ العُلْوِيْ، لا عَنْ طَرِيْقِ: تَمَثُّلِ جِبْرَئِيْل عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيْ صُوْرَة البَشَر، وَإِلْقَاءِ الكَلام إِلَيْه؛ فَبِسَبَب هٰذَا الانْطِبَاع جَرىٰ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلامٌ مُشْعِرٌ بِنِسْبَةِ تِلْكَ الأَفْعَال إِلىٰ نَفْسِهِ، وَالحَقِيْقَةُ غَيْر خَفِيَّةٍ.

وَبِالجُمْلَة! فَقَدْ رَدَّ الله تَعَالىٰ هٰذَا المَذْهَبَ البَاطِل[٤]، وَبَيَّنَ: أَنَّ عِيسىٰ عَبْدُ

---

(١) قَوْله: (القلعَة الفُلانية): القلْعة: الحصْن المُمْتنِع في الجبَل؛ والقِلْعةُ: الشُّقَّة، والجمعُ: قِلَعٌ. (معجم الوسيط)

(٢) قَوْله: (فَحَسْب): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٦٠﴾[الحجر]، قَال النَّسَفي: "وإنَّمَا اسْنَد المَلائِكَةُ فِعْل التَّقْدِير إلىٰ أنفُسِهِم ولَمْ يَقُوْلوا: "قَدَّرَ الله" لقُرْبِهم، كَمَا يَقُوْل خَاصَّة المَلِك: أَمَرْنا بكَذا، والآمِرُ هوَ المَلِك".

يَعْنِي: قَوْل المَلائِكَة: ﴿قَدَّرْنَآ﴾ يحتَاج فِيْ نِسْبتِهِم التَّقْدِيرَ إلىٰ أنفُسِهم إلىٰ تَأْوِيْل، ويُجعَل مِنْ بابِ قَوْل خواصِّ المَلِك: "دَبَّرْنا كذَا"، "أمَرْنَا بِكذا"؛ وإنَّمَا يَعنُوْن: دبَّر المَلِكُ وأَمَر؛ نَعَم! وإنْ جُعِل ﴿قَدَّرْنَآ﴾ بمَعنىٰ "عَلِمْنا إنَّها لمِنَ الغابِرين"، فلا غَرْو فِي عِلم المَلائِكَة ذٰلك بإخْبَار اللهِ تعالىٰ إيَّاهم بهِ.

وَقَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟﴾ [الزمر٥٣]، حيثُ أَمَر الله -سبْحانه وتعَالىٰ- رَسولَه ﷺ أَنْ يُبشِّرهم بذٰلكَ، فقَال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ﴾ إلخ. (مُحَمَّدْ إِلْيَاس)

(٣) قَوْله: (انْطِبَاع): چهپنا، ڈهلنا، بهر جانا، مُطَاوِع: لطَبِع. (المعرَّب)

والانْطِبَاع: هُوَ أَنْ يُنفَث الكَلامُ فِي رُوْعِ النَّبِيّ نَفثًا، وَيُعبّر عَنْه بِالإلْهَام أيْضا، كَمَا قَالَ رَسُول الله ﷺ: إنَّ رُوْح القُدُس نَفَث فِي رُوْعِي "أنَّ نَفسًا لَنْ تَمُوْتَ حَتَّى تَسْتكمِل رِزْقهَا؛ فَاتَّقُوا الله، وَأجْمِلُوا فِي الطَّلَب...". (ابن حبان:٣٢- ٣٩)

المَلحُوْظَة: نَفَث فِي رُوْعِي، أيْ: ألْقِي إلَيَّ، وَأوْحِي فِيْ قَلبِيْ مِنْ غَيْر أنْ اسْمَعَه وَلا أَرَاهُ؛ وَالنَّفْث: مَا يُلقِيْه الله إلىٰ نَبِيّه ﷺ إلْهَاما كَشْفيا بِمُشاهَدَة عَيْن اليَقيْن. (فتح الباري، ملتقى أهل الحديث)

(٤) قَوْله: (المَذْهَب البَاطِل): حَيْث قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ۝٨١﴾ [الزخرف]، وَفِيْه قَاعِدَة أنّ "الشَرْط لَايَقتَضِي جَوازَ الوُقُوْع" [القاعدة: ١٤٧]؛ كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[المائدة٧٣].

اللّٰه وَرُوْحه المُطَهَّرَةُ الَّتِيْ نَفَخَهَا[١] فِيْ رَحِمِ مَرْيَمَ الصِّدِّيْقَة، وَأنَّه -تَعَالىٰ- أيَّدَهُ بِرُوْحِ القُدُس[٢]، وَحَاطَهُ[٣] عَلَيْهِ السَّلَامُ بِعِنَايَة خَاصَّة[٤].

وَبِالجُمْلَة، فَلَوْ فَرَضْنَا: أَنَّ اللّٰه سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ ظَهَرَ فِي الكُسْوَة الرُّوْحِيَّة[٥] -الَّتِيْ هِيَ مِنْ جِنْس الأَرْوَاح-[٦]، وَتَدَرَّعَ بِالبَشَرِيَّة؛ فَلَا يَنْطَبِقُ لَفْظُ "الاتِّحَادِ" عَلىٰ هٰذَا المَعْنىٰ عِنْد التَّدْقِيْق وَالإِمْعَان إِلاَّ بِتَسَامُح، وَأَقْرَب الأَلْفَاظ لِهٰذَا المَعْنىٰ: هُوَ "التَّقْوِيْم" وَمِثْلُه[٧]؛ تَعَالَى اللّٰهُ عَمَّا يَقُوْلُ الظَّالِمُوْنَ عُلُوًّا كَبِيْرًا!

---

(١) قَوْله: (نَفَخَهَا): كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم١٢]

(٢) قَوْله: (أَيَّدَه إلخ): قَالَ اللّٰه تَعَالىٰ: ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ [المائدة١١٠]

(٣) قَوْله: (وَحَاطَهُ): حَاطَ حَوْطا الشَّيءَ: حفِظه وتعهَّده بجَلْب ما يَنفعُه، ودفعِ مَا يضرُّه (حفاظت کرنا، نگہبانی کرنا)۔ (وسيط، المعرِّب)

(٤) قَوْله: (بِعِنَايَة خَاصَّة): هٰذَا موَافِق لِقَاعِدَة: "كُلُّ مَا أَضَافَهُ اللّٰهُ تَعَالىٰ إِلىٰ نَفْسِهِ فَلَهُ مِنَ الْمَزِيَّةِ وَالْاِخْتِصَاصِ عَلىٰ غَيْرِهِ مَا أَوْجَبَ لَهُ الْاِصْطِفَاءَ وَالْاِجْتِبَاء". [قواعد: ٢٠٤]

(٥) قَوْله: (الكُسْوَة الرُّوْحية): الثَّوب يُسْتَتر بِهِ ويُتَحلَّى، والجمعُ: كُسًى؛ والرُّوْحِيَّة: مصدرٌ صناعي من رُوْح؛ وفي الفلسفة: تقابل المادِّيَّة، وتقوم علىٰ إثبات الرُّوْح وسُمُوِّها علَى المادّة، وتُفسَّر في ضوْء ذٰلك الكَوْنَ والمعْرِفة والسلوْك. (الوسيط)

(٦) قَوْله: (الأَرْوَاح): أي: أَنَّ الكُسوة الرُّوحيَّة أيضًا رُوْح مِن الأَرْوَاح. (المعرِّب)

(٧) قَوْله: (وَمِثْلُه): حاصِل ما قَاله الإمَام المصنِّف رَحِمَه اللّٰهُ: أَنَّ النَّصارىٰ يَقُوْلون بالاتِّحاد بَين اللّٰهَ تعَالىٰ وبَين عِيْسىٰ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- بِأَنَّ اللّٰه تعَالىٰ تقمَّص بَشريَّة عِيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فصَار مُتَّحِدًا معَه؛ فرَدَّ عَلَيْهم المصنِّف رحمَه اللّٰه، وقَال: لَوْ فَرضْنا أَنَّ اللّٰه تعَالىٰ صَار رُوْحا فِي أَوَّل الأَمْر، ثُمَّ تقمَّص بَشريَّة عِيسىٰ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- ثانِيًا، فلايَنطَبِق عليه لَفْظ "الاتِّحاد"، أيْ: لمْ يَصِر سُبْحانه وتعَالىٰ مَعَ هٰذَا متَّحدا معَ عيْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي النَّظر المُمْعِن؛ لأَنَّ اللّٰه تعَالىٰ بمَنزِلة الرُّوح، وبَشريَّة عِيسىٰ بمَنزِلة الجَسَد؛ والرُوح لاتَكُوْن مُتَّحِدَة معَ الجسَد أبدًا، بلْ تَكُوْن مقوِّمَة ومُعدِّلة فحسْب؛ فكَيْف يَقُوْل الظَّالمُون بالاتِّحاد بينَه -تَبارَك وتعَالىٰ- وبَينَ عبْدِه عِيْسىٰ علَيْه الصَّلوٰة والسَّلام؟ (المعرِّب)

أُنْمُوْذَجُ النَّصَارٰى:

وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَرَى نَمُوْذَجًا لِهٰذَا الفَرِيْق، فَانْظُرِ اليَوْمَ إِلىٰ أَوْلادِ المَشَايِخ وَالأَوْلِيَاء؛ مَاذَا يَظُنُّوْنَ بِآبَاءِهِمْ(١)! وَإِلىٰ أَيِّ حَدٍّ وَصَلُوْا بِهِمْ! ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء].

عَقِيْدَةُ مَصْلُوْبِيَّةِ المَسِيْحِ وَالرَّدُّ عَلَيْهَا:

وَمِنْ ضَلالاتِهِمْ أَيْضًا، أَنَّهُمْ يَجْزِمُوْنَ بِـ:أَنَّ عِيْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ قُتِلَ! مَعَ أَنَّ الوَاقِعَ خِلافُ ذٰلِكَ، وَقَدْ شُبِّهَ لَهُمْ، وَالتَبَسَ عَلَيْهِمُ الأَمْرُ؛ فَظَنُّوْا رَفْعَهُ إِلَى السَّمَاء قَتْلا، وَرَوَوْا هٰذَا الغَلَطَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ؛ فَكَشَفَ الله -تَعَالىٰ- السِّتَارَ عَنْ حَقِيْقَةِ الأَمْرِ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ قَائِلا: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء ١٥٧].

وَأَمَّا مَا ذُكِرَ فِي الإِنْجِيْلِ مِنْ قَوْلِ عِيْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيْ هٰذَا البَابِ(٢)، فَمَعْنَاهُ: أَنَّه إِخْبَار بِجُرْأَةِ اليَهُوْد، وَإِقْدَامِهِمْ عَلىٰ قَتْلِهِ؛ وَلٰكِنَّ اللهَ -تَعَالىٰ- أَنْجَاهُ مِنْ هٰذِهِ المَهْلَكَة(٣).

---

(١) قَوْله: (مَاذَا يَظُنُّوْن بِآبَائِهِمْ): وَلِذَا قَالَ عَلَيْه السَّلَام: "لَاتطرُوْنِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارٰى ابْنَ مَرْيَم، فَإِنَّمَا أَنَا عَبده، فَقُوْلُوا: عَبْدُ الله وَرَسُوْله". [البخاري عن عمر: ٣٤٤٥]

(٢) قَوْله: (هٰذَا البَاب): جَاءَ فِي إِنْجِيْل متّٰى (٢٦: ٤٥): انظُرُوْا قدِ اقترَبت تِلْك السَّاعة، وابنُ النَّاس يُصْلَب بأيْدِي الفُجّار الظَّلَمة. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (هٰذِهِ المَهْلَكَة): وأَمَّا قَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنِّيْ مُتَوَفِّيْكَ وَرَافِعُكَ﴾ [آل عمران:٥٥]، نعَمْ! إذا حَمَلنا الوفاةَ هنا عَلى الموتِ الحقيقي فمعلومٌ: أنّ الرفعَ قدْ وقَع قبْل الموْت، قَال الآلوسي: "أَخرَج ابنُ أَبيْ حاتِم عنْ قتادَة قَال: هٰذَا مِن المقدَّم والمؤخَّر، أَيْ: "رافعُك إلي ومُتوفّيك"؛ كَأنَّه حَكَم عَلى حَسب قَاعدَة: "التَّقَدُّمُ فِي الذِّكْرِ لاَ يَعْنِيْ التَّقَدُّمَ فِي الْوُقُوْعِ وَالْحُكْمِ". (قواعد:٣٧٩ بزيادة)

أو المُرَاد بالوَفاة هنَا "النَّوْمُ"، لأَنَّهُما أَخوان -كمَا قَال بهِ الآلُوْسي-، "ويُطلَق كُلٌّ مِّنْهُما عَلَى الآخَر؛ وقد رُوِي عَنِ الرَّبيع: أَنَّ الله تَعَالىٰ رَفَع عِيْسٰى عَلَيْه السَّلَام إِلَى السَّمَاء وَهُوَ نَائِم رفقا بِه، وَحُكِي هٰذَا القَوْل عَنِ الحَسَن".

وَأَمَّا كَلام الحَوَارِيِّيْنَ[١]، فَإِنَّه نَاشِئ عَنْ اِشْتِبَاه الأَمْر، وَعَدَم وُقُوْفِهِمْ عَلىٰ حَقِيْقَة الرَّفع الَّذِيْ لَمْ يَكُنْ مَأْلُوْفا لِعُقُوْلِهِمْ، وَلا لأَسْمَاعِهِمْ.

تَحْرِيْفُهُمْ فِيْ بِشَارَةِ الفَارْقَلِيْط[٢]:

وَمِنْ ضَلالاتِهِمْ أَيْضا، أَنَّهُمْ يَقُوْلُوْن: إِنَّ الفَارْقَلِيْط المَوْعُوْدَ[٣] هُوَ عِيْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَفْسُهُ الَّذِيْ جَاءَ بَعْد قَتْلِهِ إِلَى الحَوَارِيِّيْن، وأَوْصَاهُم بالتَّمَسُّك بِالإِنْجِيْل[٤]؛ وَيَقُوْلُوْنَ: إِنَّ عِيْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْصَاهُمْ أَيْضا بِأَنَّ المُتَنَبِّئِيْنَ سَيَكْثُرُوْن، فَمَنْ سَمَّانِي فَاقْبَلُوْا كَلامه، وَإِلاَّ فَلا.

وَقَدْ بَيَّنَ القُرْآنُ العَظِيْمُ أَنَّ بِشَارَة عِيْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَصْدُقُ عَلىٰ نَبِيِّنَا ﷺ، لَا عَلَى الصُّوْرَة الرُّوْحِيَّة لِعِيْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ صُرِّحَ فِي الإِنْجِيْل بِـ:أَنَّ الفَارْقَلِيْط يَمْكُثُ فِيْكُمْ مُدَّة طَوِيْلَة، وَيُعَلِّمُ العِلْمَ، وَيُزَكِّيْ النَّاس[٥]؛ وَلا يَظْهَرُ هٰذَا المَعْنىٰ فِيْ

(١) قَوْله: (الحَوَارِيِّيْنَ): أَيْ: إِخْبار الحَوارِيِّين بقَتْل عِيْسىٰ عَليه السَّلام. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (الفَارقَلِيْط): فارقَلِيْط (Peroclitus) كلمَة سُريانيَّة، معنَاها: أَحْمَدُ -أفعَل التَّفضِيل مِن الحَمْد-، أي: الَّذِيْ يحمَد اللهَ تعالىٰ أكثرَ مِن كلِّ أَحَد. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (الفَارقَلِيْط إلخ): وَاعْلَمْ! أَنَّ لَفْظَة "فَارْقلِيط" أَوْ "فَارقَلِيْطا" وَالَّتِي تُعنى فِي العَرَبيَّة بِـ"المُعَزِّي" مِنَ المُتَرَادِفَات؛ وَأَنَّ "فَارقَلِيْط" الَّتِي تلفَظ بِاللُّغَة اليُونَانيَّة "بريكلتوس" أَوْ "بَراقليتُوس" فَسَّرهَا كَثِير مِنَ المَسِيْحِيِّيْن بِمَعْنَى "المُعَزِّي" أَوْ "رُوْح القُدُس"، وَلٰكِن جَمْعا مِنْهُم ذَكَرُوا أَنَّ مَعْنَاهَا: "كَثِير الحَمْد"، وَهُوَ مَا يَتَطابَق تَمَاما مَعَ اسْم "أَحْمَد"، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف ٦]

وَفِيْ إِنجِيْل يُوحَنَّا (الباب: ١٤) "وَأَنَا أَطْلُب لَكُم إِلىٰ أَبِيْ حَتّىٰ يَمْنحكُم، وَيُؤتِيكُم الفَارقَلِيط حَتّىٰ يَكُوْن مَعَكُم إِلَى الأَبَد"؛ وَفِيْ مَوضِع: "فَإِنْ كُنْتُ لا أَذْهَب لايَجِيْئكُم المُعَزِّي، أَمَّا إِذَا ذَهَبتُ فَأَرسِله إِلَيْكُم".

(٤) قَوْله: (بِالإِنْجِيْل): كَمَا فِي البَاب الثَّانِي من كِتَاب الأَعْمَال، وَرَاجِع إِظْهَار الحَقّ. (٢ :١٩٧ – ٢٠١) (المعرِّب)

(٥) قَوْله: (وَيُزَكِّيْ النَّاس): قَالَ تَعَالىٰ: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة]

غَيْرِ نَبِيِّنَا ﷺ(١).

وَأَمَّا "ذِكْرُ عِيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَسْمِيَتُهُ": فَالغَرَضُ مِنْهُ التَّصْدِيْق بِنُبُوَّتِهِ، لا أَنْ يَتَّخِذَهُ رَبًّا، أَوْ يَعْتَقِد بِأَنَّه ابْنُ اللهِ.

[المُنَافِقُوْنَ أَقْسَامُهُمْ وَأَنْوَاعُهُمْ]

نِفَاقُ الاعْتِقَاد وَنِفَاقُ العَمَلِ:

أَمَّا المُنَافِقُوْنَ(٢) فَكَانُوْا عَلىٰ قِسْمَيْنِ:

(١/١) قَوْله: (فِيْ غَيْرِ نَبِيِّنَا): لأَنَّ رُوْح عِيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لمْ تَمكُث عِندَهم إلا قَلِيْلا علىٰ زَعمِهم. (المعرِّب)

(١/ ٢) قَوْله: (فِيْ غَيْرِ نَبِيِّنَا ﷺ): قَال تَعَالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف٦]؛ فقولُه: ﴿مُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى﴾ مَعطُوْف علىٰ: ﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾، وَهُوَ داعٍ إِلىٰ تَصْديْقِه عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومِنَ المعْلُوم: أَنَّ دِيْنَه ﷺ التَّصْدِيقُ بِكُتُب اللهِ -تعَالىٰ-، وأنبِيَائه -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ- جَمِيْعًا مَنْ تقدَّم ومَن تَأخَّر؛ وأيْضًا قولُه: ﴿يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى﴾ فِيْ مَوضع الصِّفة لرَسُوْل، فبِشارتُه عَلَيْهِ السَّلَامُ بنَبِيِّنا -صَلى اللهُ عَليْه وعلىٰ آلهِ وصَحبِه وسَلَّم- ممَّا نَطَق به القُرآن المُعجِز، فإنْكار النَّصارَىٰ ذٰلك ضَرْب مِن الهَذَيان، كما قال به الآلوسي؛ وَكَذا جُمْلَةُ قَولِه تَعَالىٰ: ﴿ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ دَليلٌ عَلىٰ نُبُوَّته ﷺ، لأَنَّ هٰذا الاسْم الجَليل علَمٌ لنبيِّنا محمَّدٍ ﷺ، لأنَّه صحَّ من رِواية مَالك والبُخاري والدَّارمي والتِّرمِذي والنَّسائي عنْ جُبير بن مُطْعم قالَ قالَ رَسُول اللهِ ﷺ: "إِنَّ لِيْ أَسْمَاءً: أَنَا مُحَمَّدٌ وأنا أَحمَدُ، وأنا المَاحِي الذِي يَمْحُو اللهُ بِيَ الكُفرَ، وأَنا الحَاشِر الذِي يُحشَر النَّاسُ علىٰ قَدمِيْ، وأَنَا العَاقِب". [اللفظ للبخاري: ٤٨٩٦، وأخرجه مسلم: ٢٣٥٤ والترمذي: ٢٨٤٠] (مُحَمَّدْ إِلْيَاس)

(٢) قَوْله: (المُنَافِقُوْن): يعني: المُنافِق إمَّا حَقِيْقِي، وهُوَ النِّفاق الاعْتِقادِي؛ أَوْ مَجَازِي، وهُوَ المُرائي وَهُوَ النِّفاق العَمَلِي؛ وتفصيله: أنَّ النِّفاق في الشَّرع: إظهَار الإسْلام، وإبْطان الكُفر والشَّرِّ؛ والنِّفاق نَوْعان:

١- النِّفاق الاعْتِقادِي: وهوَ النِّفاق الأكبَر الذِي يُظهِر صاحبُه الإسْلام، ويُبْطِن الكُفر؛ وهٰذَا النَّوع مُخْرِج صَاحبَه مِن الدِّين بالكلِّيَة، مِثل الكُفْر وعدمِ الإيْمان، والاستِهْزاء بالدِّيْن وأهلِه، والسُّخْرِيَّة مِنهُم، والمَيْل بالكلِّيَّة إلىٰ أعْداء الدِّين.

ومِن أنْواعِه: تَكذِيب الرَّسول ﷺ، وبُغضُه، وبُغضُ مَا جَاء بِهِ، وكَراهِية الانْتِصَار لَهُ، والسُّرور بإِيْذائِه.

=

١- طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَقُوْلُوْنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ: "لا إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ، مُحَمَّدٌ رَّسُوْلُ اللهِ"، وَقُلُوْبُهُمْ مُطْمَئِنَّة بِالْكُفْر، وَيُضْمِرُوْنَ(١) الْجُحُوْد الصِّرْفَ فِيْ أَنْفُسِهِمْ(٢)، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ فِيْ حَقِّهِمْ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ(٣) ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء١٤٥].

٢- وَطَائِفَةٌ دَخَلُوْا فِي الإِسْلام مَعَ ضُعْفٍ فِيْهِ(٤).

[مَظَاهِرُ نِفَاقِ العَمَلِ]

١- فَمِنْهُمْ: مَنْ يَعْتَادُ مُوَافَقَةَ قَوْمِهِمْ؛ إِنْ ثَبَتَ القَوْمُ عَلَى الإِيْمَان ثَبَتُوْا، وَإِنْ رَجَعَ القَوْمُ إِلَى الكُفْر رَجَعُوْا(٥).

٢- وَمِنْهُم: مَنِ اسْتَوْلى عَلىٰ قُلُوْبِهِمْ الانْسِيَاقُ(٦) وَرَاءَ اللَّذَّات الدُّنْيَوِيَّة الدَّنِيْئَة،

= ٢- النِّفاق العَمَلي: هوَ التَّشبُّه بالمُنافِقيْن فيْ أخْلاقِهم؛ وهٰذا لا يُخرِج صَاحِبَه عنِ الإِيْمَان، إلاَّ أنَّه كبِيْرة مِن الكبَائر.

فهٰؤلاء همُ المؤمِنُون باللهِ، لٰكنَّهم يتَّصِفُون ببَعْض صِفات المُنافِقين، مِثل الكذِب في الحَدِيث، والغَدْر في العَهْد، وإخْلاف الوَعْد؛ قَال ﷺ: "آيةُ المُنافِق ثَلاث: إذا حدَّث كذَب، وإذا وَعَد أخْلَف، وإذا ائتُمِن خَان"؛ هٰذَا نِفَاق عمَلي، صَاحبُه مُؤمِن؛ ولٰكِن فِيْه خَصْلة مِن خِصَال المُنافِقيْن، وهيَ خَطِيرة جدًّا، رُبَما تؤول إلَى النِّفاق الأكبَر إذَا لمْ يَتُب مِنْها. (مُحَمَّدْإلْيَاس)

(١) قَوْله: (وَيُضْمِرُوْنَ): أضْمَر الشَّيء: أخْفاه. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (فِيْ أَنْفُسِهِمْ): قَال تَعَالىٰ فيْ شأنِهمْ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [البقرة]

(٣) قَوْله: (الدَّرْك): طَبَق مِن أطْباقِ جهَنَّم، وهيَ أسفَل دَرجات النَّار، والدَّرَكة: المَنْزِلة السُّفْلى، ضِدُّ الدَّرجَة -وهيَ المَنزِلة العُلْيَا-؛ فالجَنَّةُ دَرجاتٌ، والنَّارُ دَرَكات، لأنَّ الدَّرَكات: مَنازِل بعضُها تحتَ بَعض، والدَّرَجات: مَنازِل بعضُها فوقَ بَعضٍ. (معجم الغني، معجم الوسيط)

(٤) قَوْله: (مَعَ ضُعْفٍ فِيْه): قَالَ النَّبِيّ: مَا أخَاف عَلىٰ أمَّتِي إلَّا ضعْف اليَقِيْن. (رواه الطبراني عن أبي هريرة مرفوعًا ورجاله ثقات، قاله الهيثمي). (العون الكبير: ١١٧)

(٥) قَوْله: (رَجَعُوْا): كَالمُدبِرِيْن عَنِ القِتَال فِيْ غَزْوَة أُحُد مَعَ ابْن أُبَيّ بْن سَلُوْل.

(٦) قَوْله: (الانْسِيَاق): الانْسِيَاق: انْسَاق مَع أهْوائِه: تَبِعَها دُون تَفْكير؛ انسِياق المَاشِية في المَرْعىٰ: سَيْرها بالتَّتابُع. (معجم الغني)

بِحَيْثُ لَمْ يَذَرْ فِيْ قُلُوْبِهِمْ مَكَانا لِحُبِّ اللهِ، وَحُبِّ رَسُوْلِهِ ﷺ.

٣- وَمِنْهُمْ: مَنْ تَمَلَّك قُلُوْبَهُم الحِرْصُ عَلَى المَال[1]، وَالحَسَدُ وَالحِقْدُ وَنَحْوُ ذٰلِكَ مِنَ الرَّذَائِلِ[2]، بِحَيْث لَمْ يَبْقَ فِيْ قُلُوْبِهِم مَحَلٌّ لِحَلاوَة الابْتِهَال وَالمُنَاجَاة، وَلا لِبَرَكَات العِبَادَات[3].

٤- وَمِنْهُمْ: مَنِ انْغَمَسُوْا فِيْ شُئُوْن المَعَاش وَاشْتَغَلُوْا بِهَا، حَتّٰى لَمْ يَبْقَ لَدَيْهِمْ فُرْصَة لِلاهْتِمَام بِأَمْر الآخِرَة، وَلِتَرَقُّبهَا وَلِلتَّفْكِيْر فِيْهَا[4].

٥- وَمِنْهُمْ: مَنْ تَخْطُرُ بِبَالِهِمْ ظُنُوْنٌ وَاهِيَة وَشُبُهَاتٌ رَكِيْكَة فِيْ رِسَالَة نَبِيِّنَا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغُوْا إِلىٰ أَنْ: يَخْلَعُوْا رِبْقَةَ الإِسْلام عَنْ عُنُقِهِمْ، وَيَنْفُضُوْا أَيْدِيْهِمْ مِنْهُ بَتَاتًا.

وَسَبَبُ تِلْكَ الشُّكُوْك: جَرَيَان الأَحْكَام البَشَرِيَّة عَلىٰ نَبِيِّنَا ﷺ، وَظُهُوْر المِلَّة الإِسْلامِيَّةِ فِيْ صُوْرَة سَيْطَرَة المُلُوْكِ عَلىٰ أَطْرَافِ البِلاد، وَأَمْثَالُ ذٰلِكَ.

---

(١) قَوْله: (الحِرْص عَلَى المَال) كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ۝ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝﴾ [التوبة]

(٢) قَوْله: (مِنَ الرَّذَائِل): قَال تَعَالىٰ: ﴿وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [آل عمران۝]؛ ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [آل عمران۝]؛ قَالَ الرَّازِي: "وَالمَعْنىٰ أَنَّه إِذَا خَلا بَعْضهُم بِبَعْض أَظْهَرُوا شِدّة العَدَاوَة وَشِدّة الغَيْظ عَلَى المُؤمِنِيْن حَتّٰى تَبْلُغ تِلْكَ الشِّدَّة إِلىٰ عَضِّ الأَنَامِل، كَمَا يَفعَل ذٰلِكَ أَحَدُنَا إِذَا اشْتَدّ غَيظُه وَعَظُم حُزنُه عَلىٰ فَوَات مَطْلُوْبه"؛ وَمِنْ رَذَائلِهِم: الشُحّ، قَالَ البَيضَاوِي: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عَنِ المَبَارّ، وَقَبْضُ اليَد كِنَايَةٌ عَنِ الشُحّ.(مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(٣) قَوْله: (وَلَا لِبَرَكَات العِبَادَات): قَال تَعَالىٰ: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ۝﴾ [النساء]؛ وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ۝﴾ [التوبة]

(٤) قَوْله: (وَلِلتَّفْكِيْر فِيْهَا): قَال تَعَالىٰ: ﴿ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة۝]

٦- وَمِنْهُم: مَنْ حَمَلَتْهُمْ مَحَبَّةُ القَبَائِل وَالعَشَائِرِ عَلىٰ أَنْ يبْذُلُوْا الجُهْدَ البَلِيْغ فِيْ نُصْرَتهِمْ، وَتَقْوِيَتِهِمْ، وَتَأْيِيْدِهِم وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ عَلىٰ مُنَاوَأة أَهْلِ الإسْلام؛ وَيُضَعِّفُوْن أَمْرَ الإسْلام عِنْدَ التَّعَارُض، وَيُلْحِقُوْن بِهِ الضَّرَرَ[١].

وَهٰذَا القِسْم مِنَ النِّفَاق[٢] هُوَ نِفَاق الأَعْمَال وَالأَخْلاق[٣].

الكَلامُ حَوْلَ قِسْمَي النِّفَاق:

وَلا يُمْكِنُ الاطِّلاعُ عَلَى النِّفَاق الأَوَّل بَعْدَ سَيِّدِنَا مُحَمَّد ﷺ[٤]؛ لِأَنَّهُ مِنَ الأُمُوْر المَغِيْبَة، وَلا يُمْكِنُ الاطِّلاعُ عَلىٰ مَكْنُوْنَات القُلُوْب.

وَالنِّفَاق الثَّانِيْ كَثِيْرُ الوُقُوْع، لاسِيَّمَا فِيْ عَصْرِنَا، وَإِلَيْه جَاءَتِ الإِشَارَةُ فِي الحَدِيْث الشَّرِيْف[٥]: "أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيْه كَانَ مُنَافِقا خَالِصًا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ"[٦]، وَقَالَ: "هَمُّ المُنَافِق بَطْنُهُ،

---

(١) قَوْله: (وَيُلْحِقُوْن بِهِ الضَّرَرَ): كَقَيْس بْن الفَاكَه بْن المُغِيْرة، وَقَيْس بْن الوَلِيْد بْن المُغِيْرة، وَحَارِث بْن زَمْعة بْن الأَسْوَد، وَأَبِي العَاص بْن مُنَبِّه بْن الحَجَّاج، وَعَلِي بْن أُمَيَّة بْن خَلَف شارَكوا فِيْ غَزْوَة بَدر فِيْ صفِّ المُشرِكين، فقُتِلُوا فوَصلوا إلى جهنَّم، كَمَا رُوِي عَنْ عِكْرِمَة وَأَبِيْ جَعْفَر. (الفوز العظيم)

(٢) قَوْله: (النِّفَاق): يَعنِيْ القِسم الثَّانِيْ بِجَمِيْع أَنْوَاعِه. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (هُوَ نِفَاق الأَعْمَال): الفَرْق بَيْن النِّفَاق العَمَلِيْ وَالفِسْق: أَمَّا الفِسْق فَأَهْلُه يُحِبّ الله وَرَسُوْله، وَنَفسهُ تَلومُه عَلىٰ ارْتِكَاب المَنَاهِي؛ بِخِلاف صَاحِب النِّفَاق العَمَلِي.

(٤) قَوْله: (بَعْدَ سَيِّدنَا مُحَمَّدﷺ): عَنِ ابْن عَبَّاس قَالَ: قَامَ رَسُوْل الله ﷺ يَوْم الجُمُعَة خَطِيْبًا فَقَالَ: قُمْ يَا فُلَان! فَأَخْرُج فَإِنَّكَ مُنَافِق، أَخْرُج يَا فُلَان! فَإِنَّكَ مُنَافِق؛ فَأَخْرَجَهُم بِأَسمَائِهِم فَفَضَحَهُم.... وَالحَدِيْث بِطُولِه. (الطبراني فِي المعجم الأوسط: ١ - ٢٤١)

(٥) قَوْله: (فِي الحَدِيْث الشَّرِيْف): وَرَوَى البُخَاري عَنْ عَبْد الله بْن عَمْرو عَنِ النَّبِي ﷺ قَالَ: أَرْبَع منْ كُنّ فِيْه كَانَ مُنَافِقا، أَوْ كَانَت فِيْه خَصْلَة مِنْ أَرْبَعة كَانَت فِيْه خَصْلَة مِنَ النِّفَاق حَتّٰى يَدَعهَا: "إِذَا حَدَّث كَذَبَ، وَإِذَا وَعَد أَخْلَف، وَإِذَا عَاهَد غَدَر، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَر". [البخاري: ٢٤٥٩]؛ وَإِنَّمَا مَعْنىٰ هٰذَا عِنْد أَهْل العِلْم نِفَاق العَمَل، وَإِنَّمَا كَانَ نِفَاق التَّكذِيْب عَلىٰ عَهْد رَسُوْل اللهﷺ، هٰكَذَا رُوِيَ عَنِ الحَسَن البِصْرِي شَيْء مِنْ هٰذَا.

(٦) قَوْله: (فَجَر): رواه السِّتة -إلا ابنَ ماجَه- عنْ ابنِ عَمْرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. (المعرِّب)

وَهَمُّ المُؤْمِنِ فَرَسُهُ"(١)، إِلىٰ غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الأَحَادِيْث(٢).

الغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ أَحْوَالِ المُنَافِقِيْنَ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ:

وَقَدْ كَشَفَ اللهُ تَعَالىٰ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ عَنْ مَعَايِبِ المُنَافِقِيْنَ وَأَعْمَالِهِمْ، وَذَكَرَ مِنْ أَحْوَالِ الفَرِيْقَيْنِ أَشْيَاءَ كَثِيْرَة، لِتَحْتَرِزَ الأُمَّةُ بِأَسْرِهَا مِنْهَا(٣).

---

(١) قَوْله: (هَمُّ المُنَافِق إلخ): قَالَ الإِمَام الغِزَالِي فِي الإِحْيَاء: وَسُئِل رَسُوْل الله ﷺ عَنْ عَلامَة المُؤمِن وَالمُنافِق، فَقَال: "إِنّ المُؤمِنَ همَّته فِي الصَّلاة وَالصِّيَام وَالعِبَادَة، وَالمُنافِق همَّته فِي الطَّعَام وَالشَّرَاب كَالبَهِيْمَة".

قَالَ العِرَاقِي فِي تَخْرِيْج أَحَادِيْث الإِحْيَاء: حَدِيْثُ "سُئِلَ عَنْ عَلامَة المُؤمِن وَالمُنافِق إلخ" لَمْ أَجِدْ لَهُ أَصْلا.

وَلٰكِن وَرَدَ فِي كِتَاب "المُنتخَب مِن شُيوْخ بَغدَاد لأَبِي حَيَّان" حَدِيْث: ٢٣ عَنْ عَلِي بْن أَبِي طَالِب قَالَ، قَالَ رَسُوْل الله ﷺ: "هِمَّة المُؤمِن الصَّومُ والصلوٰةُ، وَهِمّة المُنافِق البَطْن وَالفَرج"؛ وَفِيْه الأَشَجُّ المَعْمَر قَيْس بْن تَمِيْم دَجّالٌ مَجهُوْل، وَقَد رَوَى الأَشَجّ نُسخَةً نَحو أَرْبعِيْن حَدِيْثا كُلّهَا كَذب، كَمَا قَالَ ابْن حَجَر. (مُحَمّدْ إِلْيَاس)

(٢) قَوْله: (إِلىٰ غَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الأَحَادِيْث): عن أَنَسٍ قال سَمِعت رَسُولَ الله ﷺ: "تِلْك صَلوٰة المُنافِق، يَجلِس يَرقُب الشَّمسَ حَتّى إِذَا كَانَت بَيْن قَرْنَي الشَّيْطَان قَامَ، فَنَقرهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ الله فِيْهَا إِلَّا قَلِيْلا". (مُسْلم: ٦٢٢)؛ وقال: "آيَةُ الإِيْمَانِ حُبُّ الأَنْصَار، وَآيَة النِّفَاق بُغْض الأَنْصَار". (بخاري: ١٧).

(٣) قَوْله: (لِتَحْتَرِزَ إلخ): وَمِنْ صِفَات المُنَافِق -أَعَاذَنَا الله مِنْها-: الأَمْن مِن النِّفَاق؛ المُنافِق يظنّ نَفْسه مُصْلحا، لٰكِنَّه فِي الحَقِيْقَة مُفسِد؛ المُنافِق يرى أَهْل الحَقّ فِي ضَلَال؛ المُنافِق لَهُ وَجْهَان؛ المُنافِق يَركُض التّحاكُم إِلى شَرِيْعة الله.

وَمِن عَلامَات النِّفَاق -أَعَاذَنَا الله مِنها-: نَكْثُ العَهد مَع الله -عَزّ وَجَلّ- وَمَع النَّاس؛ الكِذْب؛ خِيانَة الأَمَانَة؛ التَّكاسُل عَنْ حُضوْر الصَّلَاة مَعَ الجَماعَة؛ التَّكاسُل عَنْ أَدَاء الصَّلوَات فِيْ أَوْقَاتِهَا؛ الاعْتِمَاد عَلى مَغفِرة الله -عَزّ وَجَل- مَعَ كَثْرة الذُّنوْب وَقِلَّة العَمَل الصَّالِح؛ قِلَّة الاسْتِغْفَار وَالتَّوبَة؛ قِلّة ذِكْر الله عَزّ وَجَل؛ الجَهْل بِأَحْكَام الشَّرِيْعة الأَسَاسِيَّة؛ السُّخرِيّة وَالاستِهْزَاء بِالله وَرَسُوْله وَالمُؤمِنِيْن؛ كَرَاهِيّة الأَنْصَار؛ الأَمْر بِالمُنْكر، وَالنَّهْي عَن المَعْرُوْف؛ الشُّحّ؛ مُوَالاة الكُفّار مِنْ دُوْن المُؤمِنِيْن؛ وَلاَئُه وَمَوَدَّتُه لِلمَال؛ الحِرص عَلى المَكَاسِب الدُّنيَوِيّة العَاجِلَة، وَالزُّهْد فِي ثَوَاب الآخِرَة؛ التَّشكِيْك فِيْ طَهَارَة المُجتَمع الإِسْلَامِي، وَاتّهَام المُؤمِنِيْن بِالفَاحِشَة؛ الرِّيَاء؛ سهُوْلة الحَلف؛ كَرَاهِيّة الجِهَاد فِي سَبِيْل الله، =

نَمُوْذَجُ المُنَافِقِيْنَ:

وَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَرَى نَمُوْذَجًا لِلمُنَافِقِيْن، فَانْطَلِقْ إِلى مَجَالِسِ الأمَرَاءِ! وَانْظُرْ إِلى مُصَاحِبِيْهِمْ وَنُدَمَائِهِمْ، يُؤْثِرُوْنَ رِضَى الأمَرَاء عَلى رِضَى الله تَعَالى.

وَلافَرْقَ عِنْد المُنْصِف بَيْنَ المُنَافِقِيْنَ الَّذِيْن سَمِعُوْا كَلامَ الرَّسُوْلِ ﷺ مُبَاشَرَةً ثُمَّ نَافَقُوْا، وَبَيْنَ هٰؤُلَاء المُنَافِقِيْن الَّذِيْن وُلِدُوْا فِيْ هٰذَا الزَّمَان، ثُمَّ عَلِمُوْا أَحْكَام الشَّرِيْعَة بِطَرِيْق القَطْع وَاليَقِيْن، ثُمَّ أَقْدمُوْا عَلى خِلافهَا، وَانحَرفُوْا عَنْهَا.

وَكَذٰلِكَ طَائِفَةٌ مِنَ المَعْقُوْلِيِّيْن الَّذِيْنَ تَمَكَّنَتْ فِيْ خَوَاطِرِهِمْ شُكُوْكٌ وَشُبُهَاتٌ كَثِيْرَة، وَنَسُوْا الدَّارَ الآخِرَة، فَهُمْ أَيْضًا نَمُوْذَج المُنَافِقِيْنَ.

[القُرْآنُ كِتَابُ كُلِّ عَصْرٍ]

وَعَلى كُلٍّ، فَإِذَا قَرَأْتَ القُرْآن فَلا تَحْسِبْ: أَنَّ المُخَاصَمَة كَانَتْ مَعَ قَوْمٍ انْقَرَضُوْا! كَلاَّ؛ بَلْ مَا مِنْ بَلاءٍ كَانَ فِيْمَا سَبَقَ مِنَ الزَّمَان إِلاَّ وَهُوَ مَوْجُوْد اليَوْم بِطَرِيْق الأُنْمُوْذَج، كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيْث الشَّرِيْف: "لَتَتْبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ"(١)، فَمَقْصُوْدُ القُرْآن الكَرِيْم بَيَانُ كُلِّيَّات تِلْكَ المَفَاسِد، لاخُصُوْص الحَوَادِث(٢).

= وَالخَوْف مِن المَوْت أَوِ القَتْل فِي سَبِيْل الله؛ الفَرَح بِمَصَائب المُسلِمِيْن؛ حسد المُؤمِنِيْن المُلْتَزِمِين بِشَرع الله عَزَّ وَجَل؛ بَذَاءة اللِّسَان وَسُوْء الخُلُق.(مُحَمَّدإلْيَاس)

(١) قَوْله: (لَتَتَّبِعُنَّ إلخ): حَدِيْث متَّفق عَليه، وتَمامُه: "شِبْرا بشِبْر، وذِراعا بذِراع، حتّٰى لوْ دَخلوا فِيْ جُحْر ضَبٍّ لاتبعتُموهم". [مسلم: ٢٦٦٩]

(٢) قَوْله: (لاخُصُوْص الحَوَادِث): اعلمْ! أَنَّ صورَة السَّبَب قطعيَّةُ الدُخُوْل فِيْ العامّ؛ وَتَحْمِلُ هٰذِه القَاعِدَة: أَنَّ سَبَب النُّزُوْل إِنْ كَانَ خَاصًّا، فَإِنْ نَزَلَت بِاسْم فَرْد مُعَيَّن أَوْ بِصِفَاته، أَوْ بِصِفَات جَمَاعَة أَوْ أَمْر؛ فَكُلّ منْهُما تَختَصّ بِمَن نُزِّل فِيهِمْ؛ وَإِنْ نَزَلَت بِأَلْفَاظ عَامَّة فَإِنْ كَانَ مَع ذٰلِكَ دَلِيْل يَدُلّ عَلى الْعُمُوْم فَهِي مُتَعدِّيَة إِلى غَيْرِهَا بِالإِجْمَاع، وَإن لم يَكُن هناك دلِيْلٌ على الْعمُوْم فهِي أَيْضًا مُتعدِّيَة عِنْد الجُمْهُوْر "اعْتِبَارا بِعُمُوْم اللَّفْظ، لَا بِخُصُوْص السَّبَب"؛ وَعِنْد البَعْض: "العِبْرَة بِخُصُوْصِ السَّبَب، لا بِعُمُوْم اللَّفْظ". (قواعد: ١٤٨)؛ وَمَا نَزَل ابْتِداءً -بِأن كَانَ سَبَبُ النُّزُوْل عَامًّا- فَهُوَ عَلى عمُوْمِيَّتِه؛ ومن هٰذا القبيل =

هٰذَا مَا تَيَسَّرَ لِيْ فِيْ هٰذَا الكِتَاب مِنْ بَيَان عَقَائِد الفِرَق الضَّالَّة، وَالرُّدُوْدِ عَلَيْهَا؛ وَأَظُنُّ أَنَّ هٰذَا القَدْرَ كَافٍ فِيْ فَهْم مَعَانِي آيَاتِ الجَدَل إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالىٰ.

[فُصُوْلٌ فِيْ: بَقِيَّة مَبَاحِث العُلُوْم الخَمْسَة]

الفَصْلُ الثَّانِيْ فِيْ بَيَان التَذْكِيْر بِآلاءِ اللهِ(١)

لِيُعْلَمْ: أَنَّ نُزُوْلَ القُرْآن الكَرِيْم إِنَّمَا كَانَ لِإِصْلاح النُّفُوْس البَشَرِيَّة، سَوَاءٌ كَانُوْا عَرَبًا أَوْ عَجَمًا، بَدْوًا أَوْ حَضَرًا؛ فَلِذٰلِكَ اقْتَضَتِ الحِكْمَةُ الإِلٰهِيَّة أَنْ لاَّ يُخَاطِبَ النَّاسَ فِي التَّذْكِيْر بِآلاءِ الله إِلاَّ بِمَا تَسَعُهُ أَذْهَانُهُمْ، وَتُحِيْطُ بِهِ مَدَارِكُهُمْ(٢)، وَلا يُبَالِغ فِي البَحْث وَالتَّحْقِيْق مُبَالَغَةً زَائِدَة(٣).

= قاعدة: الْعِبْرَةُ بِعُمُوْمِ اللَّفْظِ، لا بِخُصُوْصِ السَّبَبِ(قواعد: ١٤٨)؛ القَاعِدَةُ: الخَبَرُ عَلىٰ عُمُوْمِهِ، حَتّٰى يَرِدَ مَا يُخَصِّصُهُ (١٤٠).

(١) قَوْله: (التَذْكِيْر بِآلاءِ اللهِ): عِلْم التَّذْكِيْر بِآلَاء الله: هُوَ عِلْم يذْكَر فِيْه مِن: آلَاء الله الشَّامِلَة، وَنَعْمَائه الْكَامِلَة عَلىٰ خَلْقه وَعِبَادِه، وَمِن عَجَائِب قُدْرَته وَبَدائِع صَنْعَته، كَخَلْق السَّمٰوٰت وَالْأَرْض وَمَا بَيْنهُمَا، وَاخْتِلاف اللَّيْل وَالنَّهَار، وَإِنْزَال الْمَطَر وَإِخْرَاج النَّبَاتَات وَالْأَثْمَار، وَغَيْر ذٰلِكَ مِمَّا يَقْصُر النَّاس عَنْ إِحْصَائهَا، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم٣٤]. (رَوح القدير)

(٢) قَوْله: (مَدَارِكُهُمْ): وفيه قاعدة: "تُحْمَلُ نُصُوْصُ الْكِتَابِ عَلىٰ مَعْهُوْدِ الْأُمِّيِّيْنَ فِي الْخِطَابِ" (٢٣)؛ لأَنَّ الله تَعالىٰ أَنزلَ القُرْآن بِلُغَة العَرَب، يَعنِي: أَنّه جَارٍ فِيْ أَلْفَاظه وَمَعَانيه وَأَسَالِيبه عَلىٰ لِسَان العَرَب، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف٣]، فَإِذا تأَمّلتَ الخِطابَات المُتعلِّقة بِعمُوْم المُكلَّفِينَ تَجِدُهَا سَهْلة وَاضِحَة، لا غُمُوْض فيها؛ فاللهُ تَعالىٰ حينَما ذَكر دَلائلَ التَّوحيد لَفَتَ الأَنْظارَ إِلىٰ أُمورٍ يعْرِفُها الجمِيْع، كالسَّماء والأَرض، والجبال والسَّحاب والنَّبات؛ وكذٰلك فيما أَخبَر بهِ مِن نعِيْم الجنّة، فإنَّه ذَكر أَصْنافا معهُوْدة لدَيْهم في الدُّنيا، كَقَوله تعَالىٰ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ٣٠﴾ [الواقعة]؛ وهٰكَذا فِي المَواضِع الأُخرىٰ مِنَ القُرآن حَيثُ ذَكر الماءَ، وَاللَّبَن، وَالخَمْر، وَالعَسَل، وَالنَّخِيل، وَالأَعْناب؛ وَلَمْ يَذكر ما لاعَهْدَ لهُمْ به، كاللَّوْز، والجوْز، والكُمَّثْرىٰ والتُّفّاح ونحوِ ذٰلِك مِمَّا يُزرع فِي غَيْر بِلادِ العَرَب. (قواعد:٢١٧)

(٣) قَوْله: (زَائِدَة): وَمِنْ هٰذَا العِلْم: مَا ذُكِر فِي بَعْض الآيَات مِنَ الإِشارَات الدَّقِيقَة اللَّطِيفَة إِلىٰ=

فَسِيْقَ الكَلام فِيْ أَسْمَاءِ الله -تَعَالىٰ- وَصِفَاته بِوَجْهٍ يُمْكِن فَهْمُهُ وَالإحَاطَةُ بِهِ بِإِدْرَاكٍ وَفَطَانَة خُلِقَ أَكْثَرُ أَفْرَادِ الإنْسَان عَلَيْهِمَا فِيْ أَصْل خِلْقَتِهِمْ، مِنْ دُوْنِ حَاجَة إلىٰ مُمَارَسَةِ الفَلْسَفَة الإلٰهِيَّةِ وَمُزَاوَلَة عِلْمِ الكَلام.

إِثْبَاتُ الذَّاتِ وَبَيَانُ الصِّفَات:

فَأَثْبَتَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ ذَاتَ المُبْدِأ إِجْمَالا؛ إِذْ أَنَّ مَعْرِفَتَهُ تَعَالىٰ مَرْكُوْزَةٌ فِيْ فِطْرَة بَنِيْ آدَمَ، لاتَرى طَائِفَةً مِنْهُمْ -فِي الأَقَالِيْم[1] الصَّالِحَة وَالأَمَاكِنِ القَرِيْبَة مِنَ الاعْتِدَال- يُنْكِرُوْنَ ذٰلِكَ[2].

وَلَمَّا كَانَ إِثْبَاتُ الصِّفَات الإلٰهِيَّة بِطَرِيْقِ الإمْعَان وَتَحْقِيْق الحَقَائِق مُسْتَحِيْلاً بِالنِّسْبَة إِلىٰ أَفْرَاد الإنْسَانِ؛ وَلَوْ لَمْ يَطَّلِعُوْا عَلىٰ صِفَاتِهِ تَعَالىٰ إِطْلاقًا لَمْ يَصِلُوْا إِلَى مَعْرِفَةِ الرُّبُوْبِيَّةِ الَّتِيْ هِيَ أَنْفَعُ الأَشْيَاء فِيْ تَهْذِيْب النُّفُوْس؛ فَكَانَ مِنْ حِكْمَةِ اللهِ تَعَالىٰ: أَنَّهُ اخْتَارَ شَيْئًا مِنَ الصِّفَات البَشَرِيَّة الكَامِلَة الَّتِيْ يَعْرِفُوْنَهَا، وَيَجْرِي التَّمَدُّحُ بِوُجُوْدِهَا فِيْمَا بَيْنَهُمْ؛ فَاسْتَعْمَلَهَا بِإِزَاء المَعَانِي الدَّقِيْقَة الغَامِضَة الَّتِيْ لامَدْخَل لِلعُقُوْل البَشَرِيَّة فِيْ سَاحَة جَلالِهَا، وَجَعَلَ الأَصْلَ المُصَرَّح -بِقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى١١]- تِرْيَاقًا لِلدَّاءِ العُضَالِ مِنَ الجَهْل المُرَكَّب، وَمَنَعَ مِنْ إِثْبَات الصِّفَات البَشَرِيَّة -الَّتِيْ تُثِيْر الأَوْهَام إِلَى العَقَائِد البَاطِلَة-،

= بَعْض العُلُوْم الكَوْنِيَّة الَّتِي اكْتَشَفَهَا العِلْم الحَدِيْث، كَمَا فِيْ قَوْله تَعَالَى: ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر ٦]؛ فَأَثْبَت عُلَمَاء الطِّبّ الجَدِيْد: أَنَّ الجَنِيْن مُحَاط بِثَلَاثة أَغْشِيَة.

(١) قَوْله: (الأَقَالِيْم الصَّالِحَة) الأَقَالِيْم: جَمْع إِقْلِيْم، قِسْم مِنْ أَقْسَام الأَرْض، يَخْتَصّ بِمَمِيْزَات مُعَيَّنَة سِيَاسَةً أَوْ طَبِيْعِيَّة أَوْ مُنَاخِيَة. (حجة الله البالغة: ٧٦)

(٢) قَوْله: (يُنكِرُوْنَ ذٰلِكَ) قَالَ أَعْرَابِي قَدِيْمًا: البَعْرَة تَدُلُّ عَلَى البَعِيْر، وَآثَارُ الأَقْدَام تَدُلّ عَلَى المَسِيْر؛ فَسَماءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ وَأَرْضٌ ذَاتُ فِجَاجٍ أَلا تَدُلُّ عَلَى العَلِيْم الخَبِيْر؛ فَالعَقْل قَاضٍ بِأَنَّ المَوجُوْد لابُدَّ لَهُ مِنْ مُوجِد، وَأَنَّ المَخلُوْق لابُدَّ لَهُ مِنْ خَالِق، وَنِعْم مَا قَالَ:

وَفِيْ كُلّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ * تَدُلُّ عَلىٰ أَنَّه وَاحِد

كَإِثْبَاتِ الوَلَدِ وَالبُكَاءِ وَالجَزَعِ لَهُ تَعَالىٰ شَأْنُهُ.

صِفَاتُهُ تَعَالىٰ تَوْقِيْفِيَّةٌ:

وَإِنْ أَمْعَنْتَ النَّظَرَ فِيْ مَسْئَلَةِ الصِّفَاتِ الإِلٰهِيَّةِ تَجَلّٰى لَكَ: أَنَّ الجَرْيَ عَلىٰ مِسْطَرَةِ العُلُوْمِ الإِنْسَانِيَّةِ غَيْرِ المُكْتَسَبَةِ، وَتَمْيِيْزَ صِفَاتٍ - يَجُوْزُ أَنْ تُنْسَبَ إِلَى اللهِ تَعَالىٰ، وَلايَقَعَ بِهَا خَلَلٌ(١)- عَنِ الصِّفَاتِ الَّتِيْ يُؤَدِّي إِثْبَاتُهَا إِلَى الأَوْهَامِ البَاطِلَةِ؛ أَمْرٌ دَقِيْقٌ خَطِيْرٌ لِلغَايَةِ، لايُدْرِكُ غَورَهُ جُمْهُوْرُ النَّاسِ؛ فَلا جَرَمَ كَانَ هٰذَا العِلْمِ تَوْقِيْفِيًّا، لَمْ يُسْمَحْ فِيْهِ بِالبَحْثِ بِحُرِّيَّةٍ وَإِطْلاقٍ.

- **أُسْلُوْبُ التَّذْكِيرِ بآلائِهِ تَعَالىٰ وَآيَاتِ قُدْرَتِه:**

وَاخْتَارَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- مِنْ آلائِهِ وَآيَاتِ قُدْرَتِه مَا يَسْتَوِيْ فِيْ فَهْمِهِ: الحَضَرِيُّ وَالبَدَوِيُّ، وَالعَرَبِيُّ وَالعَجَمِيُّ، وَلأَجْلِ ذٰلِكَ لَمْ يَذْكُرِ النِّعَمَ الرُّوْحَانِيَّةَ المَخْصُوْصَةَ بِالعُلَمَاءِ وَالأَوْلِيَاءِ(٢)؛ وَلَمْ يُخْبِرْ بِالنِّعَمِ الارْتِفَاقِيَّةِ المَخْصُوْصَةِ

---

(١) قَوْله: (وَلايَقَعُ بِهَا خَلَلٌ): لأَنَّه "إذَا أَثْبَتَ اللهُ تَعَالىٰ شَيْئًا فِيْ كِتَابِهِ اِمْتَنَعَ نَفْيُه". [قواعد: ١٩٥]؛ هٰذه القَاعِدةُ أَصْلٌ من أُصُوْل أهل السُّنّة والجماعة فِيْ بَاب أَسْمَاء الله وَصِفَاته، فأَهْلُ السنّة يَعتقدُوْن: أَنّ الله تَعَالىٰ مَوصوْف بِصِفَات الكَمَال، وَيَعتقدُوْن: أَنّ أَسْمَائه تَعَالىٰ مُشتقَّة مِنْ صِفَاته، وَيَعتقِدُون: أَنّها لَيسَتْ مجرّد أعلامٍ محْضة -كَمَا زعمَت المعْتزلة بأنّه تعالىٰ مُتَكَلِّمٌ بِكلامٍ هُوَ قائمٌ بِغَيْرِه، وَكَذا فِيْ غيْرِها مِن الصِّفات-؛ وَهٰذا لأَنّ الله تَعَالىٰ صرّح بِصِفَاته فِيْ القُرْآن، وَذَكَر اتِّصَافه بِصِفة الرَّحْمة وَالقُوّة مَثَلا، فَقَال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ [الكهف٥٨]، فهٰذه الآيَة تدلّ عَلى أَنّ ﴿الرَّحِيْم﴾ هُوَ المتَّصِف بِالرَّحْمة، لا منْ أَوْجَدَ الرَّحمةَ، وَكَذا سَائِر الصِّفَات؛ وعَلَيْه إجماعُ اللغة والعرفِ أيضا، لأَنّه لايقَال "سَمِيْعٌ" فِيْ العُرْف إلّا لمَنْ لَه سَمْع؛ خِلافا لِلمُعتَزِلة.

وَفِيه رَدّ أَيْضا عَلَى الجَهمِيّة والمتَكلِّمِيْن الَّذين نفَوا جمِيْع الصِّفات أو بعضَها بتأوِيْلات باطِلة بدَعوىٰ "أَنّها مَجازات"؛ لأَنَّ الأَصْل فِيْ نصُوْص الكتَاب والسُّنَّة: إجراؤُها علىٰ ظَواهِرِها، دُوْن تعرُّض لها بتَحْرِيْف أو تعطِيْل ونحوِها؛ وينْبَغِيْ أَنْ يُعتَقَد: أَنَّ ظاهِرها مطابِق لمرادِ المتكلِّم بها، لاسِيَّما فيْمَا يتعَلَّق بأُصُوْل الدِّيْن والإِيْمَان؛ إذ لامجَال فيْها للرَّأي. (قواعد التفسير ملخصا، روح القدير)

(٢) قَوْله: (وَالأَوْلِيَاء): كفَرَح كشْف النُّكات النَّافِعة، ومَسرَّة حلِّ المُعْضَلات، وكحَلاوة العِبَادة،=

بِالمُلُوْك[١].

وَإِنَّمَا ذَكَرَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- مَا يَنْبَغِيْ ذِكْرُهُ، مِثْلُ: خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْض[٢]، وَإِنْزَالِ المَطر مِنَ السَّحَاب[٣]، وَتَفْجِيْرِ اليَنَابِيْع فِي الأَرْضِ[٤]، وَإِخْرَاجِ أَنْوَاعِ الثِّمَار وَالحُبُوْب وَالأَزْهَارِ بِالمَاء[٥]، وَإِلْهَامِ الصَّنَائِع وَالحِرَف الضَّرُوْرِيَّة[٦]، وَخَلْقِ القُدْرَة؛ لِمُمَارَسَتِهَا وَمُزَاوَلَتِهَا[٧].

وَقَدْ نَبَّهَ فِيْ مَوَاضِعَ كَثِيْرَة عَلىٰ اخْتِلاف أَحْوَال النَّاسِ عِنْدَ هُجُوْم المَصَائِب، وَانْكِشَافِهَا[٨] بِبَيَان الأَمْرَاض النَّفْسَانِيَّةِ الكَثِيْرَة الوُقُوْع[٩].

= والانبِسَاط برُؤيَة الأنوَار الإلٰهيَّة. (المعرِّب)

(١) قَوْله: (بِالمُلُوْك): النِّعم الارْتِفَاقِيَّة: هِيَ الَّتِيْ يَحتَاج إلَيْها الرَّجُل ليَقضِيَ بهَا حَاجاتِه النَّوعِيَّة مِن الأكْل والشُّرب والجِمَاع وَالاسْتِظْلال مِن الشَّمْس والمَطَر، والاستِدْفاء فِي الشِّتاء وغَيرها؛ (یعنی: زندگی بسر کرنے کے لیے ضروری سامان)۔ (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (مِثْلُ: خَلْقِ السَّمٰوَاتِ إلخ): وفِيْه قاعِدة: "تُحْمَلُ نُصُوْص الْكِتَابِ عَلىٰ مَعْهُوْدِ الْأُمِّيِّيْن فِي الْخِطَاب". [قواعد: ٢٣]

(٣) قَوْله: (مِنَ السَّحَاب): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة]

(٤) قَوْله: (فِي الأَرْضِ): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا﴾ [النمل ٦١]

(٥) قَوْله: (بِالمَاءِ): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾ [النبأ]

(٦) قَوْله: (وَالحِرَف الضَّرُوْرِيَّة): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء ٨٠]

(٧) قَوْله: (لِمُمَارَسَتِهَا وَمُزَاوَلَتِهَا): وَمِنْ مَقَاصِد هٰذَا الْعِلْم: مَعْرِفَة ذَاته وَصِفاتهِ تَعَالىٰ، ثُمّ الْإيْمَانُ بِه، ثُمّ الْخُضوْع لَه، ثُمّ الْإطَاعَة لَهُ.

(٨) قَوْله: (هُجُوْم المَصَائِب، وَانْكِشَافِهَا) قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ [الزمر ٨]؛ وقَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَإِذَا =

الفَصْلُ الثَّالِثُ فِيْ بَيَانِ التَّذْكِيْرِ بِأَيَّامِ اللهِ(١)

وَاخْتَارَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ مِنْ أَيَّام الله أيْ: مِنَ الوَقَائِع الَّتِيْ أَحْدَثَهَا اللهُ تَعَالىٰ مِنْ قَبِيْل تَنْعِيم المُطِيْعِيْنَ، وَتَعْذِيْبِ المُجْرِمِيْنَ مَا قَرَعَ أَسْمَاعَهُمْ(٢) مِنْ قَبْلُ، وَكَانُوْا قَدْ سَمِعُوْا عَنْهُ بِالإِجْمَال، مِثْلَ قِصَص قَوْمِ نُوْحٍ وَعَادٍ وَثَمُوْدَ(٣) -الَّتِيْ تَتَلَقَّاهَا

= مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾ [يونس١٢].

(٩/ ١) قَوْله: (الوُقُوْع): أي: تتَغَيَّر مَوَاقِف النَّاس عِنْد السَّرَّاء والضَّرَّاء؛ وأوضَح -سُبْحَانه وتَعَالىٰ- ذٰلكَ بأمْثِلة الأمْرَاض النَّفسَانيَّة الكثِيْرة الوُقُوْع ليَفهمَها جَمِيعُ النَّاس، كمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ٢١﴾ [المعارج] (المعرّب)

(٩/ ٢) قَوْله: (الوُقُوْع): وَكَالْعَجَلَة وَالبُخْل وَالحِرْص، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء١١]؛ ﴿وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء١٢٨]؛ ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩﴾ [المعارج] (الفوز العظيم)

(١) قَوْله: (التَّذْكِيْر بِأَيَّامِ اللهِ): عِلْم التَّذْكِيْر بِأيَّام الله: هُوَ عِلْم تُعرَف بِه أحْوَالُ القُرُوْن المَاضيَة وَالأَيَّامِ السَّالفَة، وَمَا وَقَع فِيْها مِنَ الحَوادِث وَالْوَقائِع، سَوَاء كَانَت مِنْ قَبِيْل تَنْعيْم المُطِيْعِيْن مِنْ قِصَص الأَنْبِيَاء وَالأَوليَاء، أَوْ مِنْ قَبِيْل تَعذِيْب المُجْرِمِيْن مِنْ قصَص المُشْرِكِيْن وَالمُنَافقِيْن. (رَوح)

(٢/ ١) قَوْله: (مَا قَرَعَ أَسْمَاعَهُمْ مِنْ قَبْلُ): اعْلَمْ! أَنَّ القِصَص ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوْب الأَدَبِ وَفُنُوْنِهِ، يُصْغِي إِلَيْه السَّمْعُ، وَتَرْسَخ عِبَرُه فِي النَّفس، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١].

وَحِكَم القِصَص فِيْ القُرْآن كَثِيْرَةٌ، مِنْها: بَيَان حِكْمَة اللهِ -تَعَالىٰ- الَّتِي تَضَمَّنَتْها هٰذِهِ القِصَصُ، وَتَسْلِيَة النَّبِيِّ ﷺ عَمَّا أَصَابهُ مِن المكذِّبِيْن، وَتَثْبِيْتُ قَلْبِ رَسُوْل اللهِ ﷺ وَقُلُوْب الأُمَّةِ عَلىٰ دِيْن اللهِ، وَتَقوِيَةُ ثِقَة المُؤْمِنِيْن بِنُصْرَة الحَقِّ، وَتَرْغِيْبُ المُؤْمِنِيْن فِي الإِيْمَان بالثَّبَات عَلَيْه، والازْدِيَادُ مِنه، إِذْ عَلِمُوْا نَجَاة المُؤْمِنِيْن السَّابِقِيْن، وَانْتِصَارُ مَنْ أُمِرُوا بالجِهَاد، وَبَيَان فَضْلِه تَعَالىٰ بِمَثُوْبَة المُؤْمِنِيْن، وَتَحْذِيْرُ الكَافِرِيْن مِنَ الاسْتِمْرَار فِي كُفْرِهِم، وَبَيَان عَدْلِهِ تَعَالىٰ بِعُقُوْبَة المُكذِّبِيْن، ومُقَارَعَةُ أَهْل الكِتَاب بالحُجَّة فِيْمَا كَتَمُوْه مِن البَيِّنَات وَالهُدٰى، وَتَحَدِّيْه لَهُمْ بِمَا كَان فِي كُتُبِهِمْ قَبْلَ التَّحْرِيْف والتَّبْدِيْل، وإظْهَار صِدْق مُحَمَّدٍ ﷺ فِي دَعْوَتِه بِمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ أَحْوَال المَاضِيْن؛ فإنَّ أَخْبَارَ الأُمَمِ المَاضِيَة لَايَعْلَمُهَا إِلاَّ اللهُ؛ وَغَيْرِهَا مِنَ الحِكَم الَّتِيْ لَايَعْلَمُهَا إِلَّا الحَكِيْم الخَبِيْر. (روح القدير ملخصا)

(٢/ ٢) قَوْله: (أَسْمَاعَهُمْ): قَرَع سَمعَه، أيْ: وَقَع فِيْ أُذُنه. (المعرّب)

(٣) قَوْله: (مِثْلَ قِصَص إلخ): اعْلَمْ! أَنَّ القِصَص ضَرْبٌ مِنْ ضُرُوْب الأَدَبِ وَفُنُوْنِهِ، يُصْغِيْ إِلَيْه =

العَرَبُ أَبًا عَنْ جَدٍّ-؛ وَمِثْلَ قِصَصِ إِبْرَاهِيْم، وَقِصَص أَنْبِيَاء بَنِيْ إِسْرَائِيْل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ -الَّتِيْ أَلِفَتْهَا أَسْمَاعهُمْ لِطُوْل اخْتِلاط العَرَب مَعَ اليَهُوْد-؛ وَلَمْ يَذْكُر القِصَصَ الغَرِيْبَة غَيْرَ المَأْلُوْفَة لِلعَرَب، وَلا أَخْبَارَ مُجَازَاةِ الفَارِسِ وَالهُنُوْد[١].

- **مَا هُوَ الغَرَضُ الأَسَاسِيْ مِنْ ذِكْرِ القِصَص:**

وَانْتَزَعَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنَ القِصَصِ المَشْهُوْرَة جِمَاعًا[٢] تَنْفَعُ فِي التَّذْكِيْر وَالمَوْعِظَة[٣]، وَلَمْ يَسْرُدِ القِصَص بِتَمَامِهَا مَعَ جَمِيْع خُصُوْصِيَّاتِهَا[٤].

= السَّمْعُ، وَتَرْسَخ عِبْرُه فِي النَّفس، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف١١١].

أَمَّا قِصَص الْقُرْآن: فَهِي أَخْبَارُه عَنْ أَحْوَال الأُمَم الْمَاضِيَة الْمُتَعَلِّقَة: بِالأَشْخَاص، وَالحَوَادِث، وَالنُّبُوَّات السَّابِقَة، وَالحَوَادِث الوَاقِعَة فِيْ زَمَن النَّبِيِّ ﷺ وَقَدِ اشْتَمَلَ الْقُرْآنُ عَلَى كَثِيْرٍ مِنَ الوَقَائِع، وَتَارِيْخ الأُمَم، وَذِكْرِ البِلَاد وَالدِّيَارِ، وَتَتَبُّع آثَارِ كُلِّ قَوْمٍ؛ وَحَكَى عَنْهُمْ صُوْرَةً نَاطِقَة لِمَا كَانُوْا عَلَيْه. (رَوح)

(١) قَوْله: (الهُنُوْد): المُراد بأَخبَار مُجازَاة الفَارِس: حُروبُهم ومَلاحِمُهم، كقِصَص رُسْتَم، واسْكَنْدر، ودَارا وغيرِها، والمُراد بأَخبَار مُجازَات الهُنود أَيَّامُهُم الشَّهيرة، كحَرب مَهَا بهارَتْ وغيرِها. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (جِمَاعًا): الجِمَاع: مُجتَمَعُ أَصْلِه، يُقال: هٰذَا البَابُ جِمَاع هٰذِه الأَبْواب، أي: الجَامِعُ لَهَا الشَّامِل لِمَا فِيْها. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (تَنفَعُ فِي التَّذْكِيْر وَالمَوْعِظَة): وفِيْه قاعِدة: "كُلُّ حِكَايَةٍ وَقَعَتْ فِي الْقُرْآنِ، فَلَا يَخْلُوْ أَنْ تَكُوْنَ مُصَاحِبَةً بِمَا يَدُلُّ عَلَى رَدِّهَا، أَوْلَا؛ فَالأَوَّلُ دَلِيْلٌ عَلَى بُطْلَانِ ذٰلِكَ الْمَحْكِيِّ، وَالثَّانِيْ قَدْ يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ ذٰلِكَ الْمَحْكِيِّ". [قواعد: ١٩١].

(٤) قَوْله: (جَمِيْع خُصُوْصِيَّاتِهَا): الغَرْض الأَسَاسِي مِنْ هٰذَا العِلم أَخذ العِبْرة بِتِلْك الأَحْوَال، لِيحْتَرِز الإِنْسَان مِنَ العَقَائِد البَاطِلَة وَالأَعْمَال القَبِيْحَة وَالأَخْلَاق الرَّذِيْلَة، وَيَخْتَارَ العَقَائِد الصَّحِيْحَة وَالأَعْمَال الصَّالِحَة وَالأَخْلَاق الحَمِيْدَة؛ فَلِذٰلِك لَم يَسْرُد سُبْحَانه وَتَعَالَى القِصَص بِتَمَامِهَا مَع جَمِيْع خُصوْصيَّاتِهَا، لِئَلا يَفوْتَهُم الغَرْض الأَسَاسِي الَّذِيْ هُوَ التَّذَكُّر؛ وَانتَزَع مِن القِصَص المَشهُوْرة المَأْلُوْفة الأَمْرَ المُهِمّ الَّذِيْ يَنفَع فِي التَّذْكِيْر وَالمَوعِظة؛ بَل كَرَّرَ ذِكر بَعض القِصَص بِأَسَالِيْب مُتَنوّعة مِنَ الإِيْجَاز وَالإِطْنَاب حَسَب مُقْتَضَى الأَسَالِيْب المَرعِيَّة فِي السُّوَر؛ وَلَيْس الغَرض مِنْ تِلْك الأَحْوَال مَعْرِفتَها بِأَنفُسِهَا فَقَط، وَلَيْس مِنْ وَظِيْفة القُرْآن اسْتِيعَاب القِصَص وَسَرد الوَقَائِع؛ كَمَا هُوَ هَدف الأَخْبَارِي.

(الفوز الكبير ملخصا)

وَالحِكْمَةُ فِيْ ذٰلِكَ: أَنَّ العَوَامَّ إِذَا سَمِعُوْا قِصَّةً نَادِرَةً غَايَةَ النُّدْرَة، أَوْ ذُكِرَتِ القِصَّةُ عِنْدَهُمْ بِجَمِيْعِ خُصُوْصِيَّاتِهَا وَتَفَاصِيْلِهَا؛ فَإِنَّ طِبَاعَهُمْ تَمِيْلُ إِلىٰ نَفْس القِصَّة، وَيَفُوْتُهُمْ الغَرَضُ الأَسَاسِيّ الَّذِيْ هُوَ التَّذَكُّرُ(١).

وَمِثَال ذٰلِكَ مَا قَالَهُ بَعْض العَارِفِيْنَ(٢): "إِنَّ النَّاسَ لَمَّا حَفِظُوْا قَوَاعِد التَّجْوِيْدِ شُغِلُوْا عَنِ الخُشُوْعِ فِي التِّلَاوَة"، "وَلَمَّا بَدَأَ المُفَسِّرُوْنَ يَتَكَلَّمُوْنَ فِي الوُجُوْهِ البَعِيْدَة فِي التَّفْسِيْرِ أَصْبَحَ عِلْمُ التَّفْسِيْرِ نَادِرًا، كَالمَعْدُوْم".

القِصَصُ المُتَكَرِّرَةُ(٣) فِي القُرْآن:

وَمِمَّا تَكَرَّرَ مِنَ القِصَصِ(٤) فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ:

---

(١) قَوْله: (التَّذَكُّرُ): اعلمْ! أَنَّ القُرْآن الكرِيْم يشتَمِلُ عَلىٰ كَثِيْرٍ مِنَ القِصَص الَّتِيْ تَكَرَّر فِي غَيْر مَوْضِع، فَالقِصَّة الوَاحِدَة يَتَعَدَّد ذِكْرُها فِي القُرْآن، وتُعْرَض فِي صُوَر مُخْتَلِفَة فِي التَّقْدِيْم والتَّأْخِيْر، والإِيْجَاز والإِطْنَاب، ومَا شَابَهَ ذٰلِكَ.

وَمِنْ حِكْمَتِها:

١- الاهتِمَام بشَأْنِ القِصَّة لتَمْكِيْن عِبَرِها فِيْ النَّفس؛ لأَنَّ التَّكْرَار مِنْ طُرُق التَّأْكِيْد، وأَمَارَات الاهْتِمَام، كمَا فِيْ قِصَّة مُوْسىٰ مَعَ فِرْعَوْن.

٢- قُوّة الإِعْجَاز، لأَنَّ إِيْرَاد المَعْنَى الوَاحِد فِي صُوَر مُتَعَدِّدَة -مَعَ عِجْزِ العرَبِ عنِ الإِتْيَان بصُوْرة واحِدَةٍ مِنْها- عَيْنُ الإِعْجَاز، وأَبْلَغُ فِي التَّحَدِّي.

٣- بَلَاغَة القُرْآن فِي بَيَان هٰذِه القِصَص بأَسَالِيْب مُتَنَوِّعة مِن الإِيجازِ والإِطْنَاب حَسَب مُقْتَضَى الأَسَالِيْب المَرْعِيَّة فِي السُّوَر.

٤- وَالغرَض الأَسَاسِيُّ: هوَ التَّذَكُّر، وذٰلِكَ؛ لأَنَّ اللهَ سُبْحَانهُ وتَعَالىٰ انْتَزَع مِن القِصَص المَشْهُورَةِ أُمُوْرًا تَنْفَعُ فِي التَّذْكِيْرِ والمَوْعِظة؛ ولذٰلكَ لمْ يَسْرُد القِصَص بتَمَامِها مَعَ جمِيْع خُصُوْصِيَّاتِها. (رَوح القدير)

(٢) قَوْله: (بَعْض العَارِفِيْنَ): المُرادُ مِنْه الحَسَن البَصْري غَالبًا. (الفوز العظيم)

(٣) قَوْله: (القِصَصُ المُتَكَرِّرَةُ): وفِيْه إِشَارةٌ إِلىٰ قاعِدة: "التَّكْرِيْرُ يَدُلُّ عَلىٰ الْاِعْتِنَاءِ". [قواعد: ١٧٤].

المَلحُوْظَة: واعْلَمْ! أَنّ العرَب لاتؤكِّد إلا ما تَهتمُّ به، فكلَّمَا عَظُم الاهتِمَام كثُرَ التاكِيْد، وكلَّمَا خفَّ خفَّ التاكِيْدُ؛ فَـ:

تَكرِيْر صِفات اللهِ دالّ عَلى الاعتِنَاء بمعْرِفتِها، والعَمَلِ بمُوْجَبِها. =

قِصَّةُ خَلْقِ آدَمَ مِنَ الطِّيْنِ، وَسُجُوْدِ المَلائِكَةِ لَهُ، وَاسْتِكْبَارِ الشَّيْطَان عَنْه، وَكَوْنِه مَلْعُوْنًا، وَسَعْيِه بَعْدَ ذٰلِكَ فِيْ إِضْلالِ بَنِيْ آدَمَ[1].

وَقِصَصُ مُحَاجَّةِ نُوْحٍ وَهُوْدٍ وَصَالِحٍ وَإِبْرَاهِيْمَ وَلُوْطٍ وَشُعَيْبٍ -عَلَيْهِمُ الصَّلوٰة وَالسَّلام- مَعَ شُعُوْبِهِمْ وَأَقْوَامِهِمْ فِيْ تَوْحِيْدِ اللهِ تَعَالىٰ، وَالأَمْرِ بِالمَعْرُوْف وَالنَّهْي

= وَتَكْرِيْر القِصَص دَالّ عَلى الاهتِمَام بالوَعْظ للإيْقاظ وَالاعْتِبَار.

وَتَكْرِير الوَعْد يدلّ عَلى الاهْتِمَام بفِعْل الطَّاعات تَرْغِيْبا فيْ ثوابِها، وتكريرُ الوَعِيْد يَدُلُّ عَلى الاهتِمَام بتَرْك المخالَفات ترْهيبًا مِن عِقابِها.

وَتَكْرِيْر القِرَان بينَ الوَعْد والوَعِيْد يدلّ عَلى الاهتِمَام بوُقوْف العِباد بينَ الخوْف والرَّجاء؛ فلا يقْنَطُوا منْ رحمةِ الله، ولا يَغترُّوا بحِلمِه وإمْهالِه.

وَتَكْرِيْر الأحْكام يَدُلُّ عَلى الاعتِنَاء بفعْل الطَّاعات واجْتِناب المخالَفات.

وَتَكْرِيْر الأمْثَال يَدُلُّ عَلى الاعتِنَاء بالإيْضاح والبَيَان.

وَتَكْرِيْر تذْكيْر نِعَم الله يَدُلُّ عَلى الاعتِنَاء بشُكْرِها.

قَال تَعَالىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ②﴾ [التكاثر]، والمَعْنىٰ: ألْهَاكُمْ التَّكاثُر بالأمْوَال والأوْلاد عنِ الاستِعْداد للمَعاد، ثم زَجَرهم عنِ التَّكاثُر بقَوْله: ﴿كَلَّا﴾، ثمَّ هدّدهم بقَوْله: ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ ثمّ أكّد الزّجر الأوّل بـ﴿كَلَّا﴾ الثّانية، ثمَّ أكّد التّهدِيْد بـ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾؛ ثمَّ أكّد الزّجْر بـ﴿كَلَّا﴾ الثّالثة؛ فزَجَرهم للاهتِمام بالاستِعْداد للمَعاد. (قواعد:٧٠٩)

(٤) قَوْله: (تَكَرَّرَ مِنَ القِصَصِ): وَمِنْ حِكَم تَكْرَار القصَص: أنّه اخْتَار فِيْ أكْثَر الْأحْوَال تَكْرَار المَطالِب بِعبَارَة طَرِيّة وَأسْلُوْب جَدِيْد لِيَكُوْن أوْقَع فِي النُّفُوْس؛ وَمِنْها: زِيَادَة شَيْء لَمْ يذْكَر فِي الَّذِي قَبْلَه، وَمِنْهَا: إِبْدَال كَلمَة بِأُخْرى لِنكْتَة؛ وَمِنْهَا: إِبْرَاز الْكَلام الْوَاحِد فِي فنُوْن كَثِيْرَة وَتَعَابِيْر مُخْتلِفَة وَأَسَالِيْب مُتنَوّعَة لِجَلْب النُّفوْس؛ لِأنَّهَا جُبِلتْ عَلى التَّنقُّل فِي الْأشْيَاء الْمُتجدِّدَة وَاسْتِلْذَاذهَا بِهَا؛ وَمِنْها: الإِيضَاح غَايَة الْوضُوْح، وَمِنْهَا: الْإِعْلَام بِأَن النَّاس عَاجزُوْن عَنِ الْإِتْيَان بِمثْلِهِ بِأَيّ نَظْم جَاءُوا، وَبِأَيّ عِبَارَة عَبّرُوْا.(رَوح القدير)

الفَائِدة الجلِيْلة: قدْ حَكى القُرآن الكريْم عنْ مُوسىٰ وفِرْعون وغيرِهمَا مَضمُوْن كلامِهِمْ بألفَاظٍ غَيرِ ألفاظِهم، وأُسلُوبٍ غَيرِ أسْلُوْبِهم؛ وهٰذِه هيَ صَنعَة "الاقتِدَار" المَذكُوْرَة فِيْ كتُب البَلاغَة.(مُحَمَّدْ إلْيَاس)

(١) قَوْله: (فِيْ إِضْلَال بَنِيْ آدَم): فهٰذِه الواقِعات مَذكورَة فِي سُورَة البَقرة: ٣٠- ٣٩، وسُورَة الأعْرَاف: ١١- ٢٥، وفِي سُورَة الإسْراء: ٦١- ٦٥، وفِيْ سُورَة الكهْف: ٥٠، وفِي سُورَة طٰهٰ: ١١٦- ١٢٣، وفِي سُورَة صٓ: ٧١- ٨٥، وفِي سُورَة الحِجْر: ٢٦- ٤٤.

عَنِ المُنْكَر، وَاسْتِكْبَارِ الأَقْوَامِ عَنِ الإِيْمَان، وَإِدْلائِهِمْ[١] بِشُبْهَاتٍ رَكِيْكَةٍ وَرُدُوْدِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهَا، وَابْتِلاءِ الأَقْوَام بِالعُقُوْبَة الإِلٰهِيَّة، وَظُهُوْرِ نُصْرَة الله تَعَالىٰ فِيْ حَقِّ الأَنْبِيَاء وَأَتْبَاعِهِمْ[٢].

وَقِصَصُ مُوْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ: فِرْعَوْنَ، وَمَلأهِ، وَمَعَ سُفَهَاءِ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ؛ وَمُكَابَرَتِهِمْ مَعَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعِقَابِ اللهِ تَعَالىٰ لأُوْلٰئِكَ الأَشْقِيَاء، وَظُهُوْرِ نُصْرَةِ اللهِ تَعَالىٰ مُتَتَالِيَةً لِنَجِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ [٣].

وَقِصَصُ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَخِلافَتِهِمَا، وَآيَاتِهِمَا، وَكَرَامَاتِهِمَا[٤].

وَقِصَصُ مِحْنَة[٥] أَيُّوب وَيُوْنُس عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَظُهُوْرِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالىٰ لَهُمَا[٦].

وَقِصَّةُ دُعَاء زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاسْتِجَابَةِ اللهِ تَعَالىٰ إِيَّاهُ[٧].

وَقِصَصُ سَيِّدِنَا عِيْسىٰ العَجِيْبَةُ مِنْ: وِلادَتِه مِنْ غَيْرِ أَبٍ، وَتَكَلُّمِهِ فِي المَهْد، وَظُهُوْرِ الخَوَارِق عَلىٰ يَدِهِ[٨]؛ فَذُكِرَتْ هٰذِهِ القِصَصُ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ بِأَسَالِيْبَ

(١) قَوْله: (وَإِدْلائِهِمْ): أَدْلىٰ المُتَّهَم بِحُجَجِه: قَدَّمَها واحْتَجَّ بِهَا؛ يُدْلِيْ بِرَأْيِه فِيْ كُلِّ مُنَاسَبة: يُعَبِّر عنْ رَأْيِه. (مُعْجَم الغَني)

(٢) قَوْله: (وَأَتْبَاعِهِمْ): وهٰذِه الواقِعات مَذكُورَة فِي سُورَة الأَعْراف: ٥٩- ٩٣؛ وفِيْ سُورة هُوْد: ٢٥- ٩٥؛ وفِيْ سُورَة الحِجْر: ٥١- ٨٤؛ وفِيْ سُورَة الشُّعَراء: ٦٩- ١٩١، وفِي سُورَة الذَّارِيَات: ٢٤- ٤٦، وفِي سُورَة القَمَر: ٩- ٤٠.

(٣) قَوْله: (لِنَجِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَام): هٰذِه الواقِعات مَذكورَة فِي سُورة البقرة: ٤٩- ٧٣، وفِي سُورة الأَعْراف: ١٠٣- ١٦٢، وفِي سُورَة الشُّعَراء: ١٠- ٦٨، وفِي سُورَة القَصص: ٣- ٦.

(٤) قَوْله: (وَكَرَامَاتِهِمَا): هٰذِه الواقِعات مَذكُوْرة فِي سُورة النَّمل: ١٥- ٤٤؛ وفِي سُورة السَّبأ: ١٠- ١٤، وفِي سُورة صٓ: ١٧- ٤٠.

(٥) قَوْله: (مِحْنَة): المِحْنَة: البَلاء والشِّدَّة، ج: مِحَنٌ. (المعرَّب)

(٦) قَوْله: (لَهُمَا): هٰذِه الواقِعات مَذكورة فِي سُورَة الأَنبِيَاء: ٨٣- ٨٨؛ وفِي سُورَة صٰفّٰت: ١٣٩- ١٤٨.

(٧) قَوْله: (إسْتِجَابَة الله تَعَالىٰ إِيَّاهُ): هٰذِه القِصَّة مَذكورَة فِي سُورَة آل عِمْران: ٣٨- ٤١؛ وفِي سُورَة مَرِيم: ٢- ١١، وفِي سُورة الأَنبِيَاء: ٨٩- ٩٠.

(٨) قَوْله: (عَلىٰ يَدِه): هٰذِه الواقِعات مَذكُوْرَة فِي سُورَة آل عِمْران: ٤٥- ٥١؛ وفِي سُورة مَرْيم: =

مُتَنَوِّعَةٍ(١) مِنَ الإيْجَازِ وَالإِطْنَابِ حَسَبَ مُقْتَضَى الأَسَالِيْبِ المَرْعِيَّةِ(٢) فِي السُّوَرِ.

= ١٦- ٣٦، وفي سُورة الأنبيَاء: ٩١.

(١) قَوْله: (أَسَالِيْبَ مُتَنَوِّعَةٍ): وفيْه قاعِدة: أَنَّ "مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ حِكَايَةً عَنْ غَيْرِ أَهْلِ اللِّسَانِ مِنَ الْقُرُوْنِ الْخَالِيَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ مَّعْرُوْفِ مَعَانِيْهِمْ، وَلَيْس بِحَقِيْقَةِ أَلْفَاظِهِمْ". [قواعد: ١٩٢].

(٢) قَوْله: (الأَسَالِيْبِ المَرْعِيَّةِ): كقوله تعالىٰ فِي خَلْق آدَم مَرّة: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ [آل عِمْران ٥٩]، ومرَّة قَال: ﴿مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝﴾ [الحِجر]، ومرَّة قَال: ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝﴾ [الصُّفّت]، ومرَّة قَال: ﴿مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝﴾ [الرحمٰن]؛ فالصَّلْصَال والحَمَأ والطِّيْن كلُّها أحْوال دُرجَت مِن التُّراب الذِي خُلق مِنه آدم.

حِكَم القِصَص فِي القُرْآن كثِيْرَةٌ، مِنْها:

١- بَيَان حِكْمَة اللهِ -تَعَالىٰ- الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا هٰذِهِ القِصَصُ؛ كما قَالَ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝﴾ [القمر].

٢- وَتَسْلِيَة النَّبِيِّ ﷺ عَمَّا أَصَابهُ مِن المكذِّبِيْن؛ كما قَالَ تعالىٰ: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝﴾ [فاطر].

٣- وَتَثْبِيتُ قَلْبِ رَسُوْل اللهِ ﷺ وَقُلُوْب الأُمَّةِ عَلىٰ دِيْن اللهِ، وَتَقْوِيَةُ ثِقَة المُؤْمِنِيْن بِنُصْرَة الحَقِّ، وَتَرْغِيبُ المُؤْمِنِيْن فِي الإِيْمَان بالثَّبَات عَلَيْه؛ كَمَا قَالَ تعالىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [هود].

٤- والازْدِيَادُ مِنْه، إِذْ عَلِمُوْا نَجَاة المُؤْمِنِيْن السَّابِقِيْن، وَانْتِصَارُ مَنْ أُمِرُوا بالجِهَاد، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الأنبياء]، وقَوْله تَعالىٰ: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الروم].

٥- وَبَيَان فَضْلِه تَعَالىٰ بِمَثُوْبَة المُؤْمِنِيْن، كما قَالَ تعالىٰ: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ۝ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ۝﴾ [القمر].

٦- وَتَحْذِيْرُ الكَافِرِيْن مِنَ الاسْتِمْرَار فِي كُفْرِهِم، كما قَالَ تعالىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ۝﴾ [محمد].

٧- وَبَيَان عَدْلِهِ تَعَالىٰ بِعُقُوْبَة المُكَذِّبِيْن، كما قَالَ تعالىٰ: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَۖ﴾ [هود١٠١].

٨- ومُقَارَعَةُ أَهْل الكِتَاب بالحُجَّة فِيْمَا كَتَمُوْه مِن البَيِّنَات وَالهُدٰى، وَتَحَدِّيْه لهُمْ بِمَا كَان فِي كُتُبِهِمْ قَبْلَ التَّحْرِيْف والتَّبْدِيْل، كما قَالَ تعالىٰ: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُۚ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝﴾ [آل عمران]. =

مَا ذُكِرَتْ مِنَ القِصَصِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ فَقَطْ:

وَأَمَّا القِصَص الَّتِيْ لَمْ تَتَكَرَّرْ فِي القُرْآن، بَلْ وَرَدَتْ فِيْ مَوْضِع أَوْ مَوْضِعَيْنِ فَحَسْبُ، فهي:

قِصَّةُ رَفْعِ سَيِّدِنَا إِدْرِيْس عَلَيْهِ السَّلَامُ مَكَانًا عَلِيًّا(١)؛ قِصَّةُ مُحَاجَّةِ سَيِّدنَا إِبْرَاهِيْم عَلَيْهِ السَّلَامُ لِنَمْرُوْدَ، وَمُشَاهَدَتِه لِإِحْيَاءِ الطَّيْر(٢)، وَقِصَّةُ ذَبْحِ وَلَدِهِ الوَحِيْد(٣)؛ وَقِصَّةُ سَيِّدِنَا يُوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٤).

وَقِصَّةُ وِلادَةِ سَيِّدِنَا مُوْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِلْقَاءِهِ فِي اليَمّ وَقَتْلِهِ القِبْطِيّ، وَتَوَجُّهِهِ إِلىٰ مَدْيَن، وَتَزَوُّجِهِ هُنَاكَ، وَرُؤْيَتِهِ النَّار عَلَى الشَّجَرَة، وسَمَاعِ الكَلَامِ مِنْهَا(٥)؛ وَقِصَّةُ ذَبْحِ البَقَرَةِ(٦)؛ وَقِصَّةُ لِقَاءِ مُوْسىٰ مَعَ الخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٧).

= ٩- وإظهَار صِدْق مُحَمَّدٍ ﷺ فِي دَعْوَتِه بِمَا أَخبَرَ بِهِ عَنْ أَحْوَال المَاضِيْن؛ فإنَّ أَخبَارَ الأُمَمِ المَاضِيَة لَا يَعْلَمُهَا إلاَّ الله؛ كما قَالَ تعالىٰ: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [هود]، وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [ابراهيم ۝].

وَغَيْرِهَا مِنَ الحِكَمِ الَّتِيْ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا الحَكِيْم الخَبِيْر.

(روح القدير ملخصا من: مباحث،أصول في التفسير)

(١) قَوْله: (مَكَانًا عَلِيًّا): وذٰلِك فِي سُورة مَريَم: ٥٧، والصَّحِيح فِي مَعناه: أنَّه شرَف النُّبوَّة والزُّلفىٰ عِند الله تعَالىٰ، وعُلوُّ المَرتَبَة بالذِّكر الجَمِيْل فِي الدُّنيا؛ قالهُ ابنُ كثِيْر فِي تارِيخِه [١: ١٠٠]؛ ومَا رُوي مِن رَفعِه إِلَى السَّماء الرَّابعَة فهُوَ مِن أَخبَار كعْبِ الأحبَار الإسْرائِيْليَّات، قالَه ابنُ كثِيْر فِي تفْسِيْره [٣: ١٢٦] (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (لإحْيَاء الطَّيْر): وذٰلكَ فِي سُورة البَقرَة: ٢٥٨- ٢٦٠.

(٣/ ١) قَوْله: (الوَحِيْد): المُنْفَرِد بنَفْسِه، وهِيَ وَحِيْدَة؛ (اكلوتا)ـ (مُعجَم الوسِيْط)

(٣/ ٢) قَوْله: (وَقِصَّة ذَبْحِ وَلَدِهِ الوَحِيْد): وذٰلِك فِي سُورَة الصَّافَّات: ١٠١- ١٠٧.

(٤) قَوْله: (وَقِصَّة سَيِّدِنَا يُوْسُف): وذٰلِك فِيْ سُورة يُوْسف.

(٥) قَوْله: (وسَمَاعِ الكَلَام مِنهَا): وذٰلِك فِي سُورَة القَصَص: ١- ٤٢؛ وفِي سُورَة طٰهٰ: ٩- ٩٧.

(٦) قَوْله: (قِصَّةُ ذَبْحِ البَقَرَةِ): وذٰلكَ فِي سُورَة البَقرَة: ٦٧- ٧١.

(٧) قَوْله: (مَعَ الخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلَام): وذٰلِك فِي سُورَة الكَهْف: ٦٠- ٨٢.

وَقِصَّةُ طَالُوْتَ وَجَالُوْتَ[١]؛ وَقِصَّةُ بِلْقِيْسَ[٢]؛ وَقِصَّة ذِي القَرْنَيْنِ[٣]؛ وَقِصَّةُ أَصْحَابِ الكَهْفِ[٤]؛ وَقِصَّةُ الرَّجُلَيْنِ المُتَحَاوِرَيْن[٥]؛ وَقِصَّةُ أَصْحَابِ الجَنَّة[٦].

وَقِصَّةُ الرُّسُل الثَّلاثَة الَّذِيْن بَعَثَهُمْ عِيْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِدَعْوَة الدِّيْن؛ وَقِصَّةُ المُؤْمِن الَّذِيْ قَتَلَهُ الكُفَّار شَهِيْدًا[٧]؛ وَقِصَّةُ أَصْحَابِ الفِيْل[٨].

فَلَيْسَ الغَرَضُ مِنْ سَرْد هٰذِهِ القِصَص فِي القُرْآن الكَرِيْم مَعْرِفَتَهَا بِأَنْفُسِهَا[٩]، بَلِ الغَرَض الأَسَاسِيّ: هُوَ أَنْ يَنْتَقِل ذِهْنُ القَارِئ وَالسَّامِع إِلىٰ: شَنَاعَةِ الشِّرْك وَالمَعَاصِيْ[١٠]، وَمُعَاقَبَةِ اللهِ تَعَالىٰ عَلَيْهَا؛ وَاطْمِئْنَانِ المُؤْمِنِيْن بِنُصْرَة الله تَعَالىٰ وَتَأْيِيْده، وَظُهُوْرِ أَلْطَافه وَأَفْضَالِهِ تَعَالىٰ فِيْ حَقِّ عِبَاده المُخْلِصِيْنَ[١١].

---

(١) قَوْله: (وَجَالُوْت): وذٰلكَ فِي سُورَة البَقرة: ٢٤٦- ٢٥٢.

(٢) قَوْله: (بِلْقِيْس): هِيَ مَلِكة سَبَأ، وقصتُها فِي سُورَة النَّمْل: ١٧- ٤٤. (المعرِّب بزيادة)

(٣) قَوْله: (وَقِصَّة ذِي القَرْنَيْن): وذٰلك فِي سُوْرَة الكَهْف: ٨٣- ٩٨.

(٤) قَوْله: (وَقِصَّة أَصْحَاب الكَهْف): وذٰلك فِي سُورَة الكَهْف: ٩- ٢٦.

(٥) قَوْله: (المُتَحَاوِرَيْن): وذٰلكَ فِي سُورَة الكَهْف: ٣٢- ٤٤.

(٦) قَوْله: (أَصْحَاب الجَنَّة): الجَنَّة: الحَدِيْقَة، وقِصَّتُها فِي سُورة القَلَم: ١٧- ٣٣ (المعرِّب)

(٧) قَوْله: (شَهِيْدًا): وذٰلك فِي سُورَة يٰسٓ: ١٣- ٣٢.

(٨) قَوْله: (وَقِصَّة أَصْحَاب الفِيْل): وذٰلك فِي سُورَة فِيْل.

(٩) قَوْله: (بِأَنْفُسِهَا): أَيْ: الاطِّلاع عَلَيْها، والتَّعرُّف عَلىٰ جزئيَّاتها فحَسْب. (المعرِّب)

(١٠) قَوْله: (شَنَاعَةِ الشِّرْك وَالمَعَاصِيْ): الغرَض مِن عِلْم التذْكِير: أَنْ يتحَوَّل الإنسَان مِن الحَيَاة الشَّهَوانيَّة إِلَى الحَيَاة العَفِيْفة، ومِن المُجْتَمع الحَيَواني إِلَى المُجتَمع الإنسَاني، ومِن البِيْئَة الجَاهِليَّة إِلَى البِيئة الإيمَانيَّة. (نفحات)

(١١) قَوْله: (المُخْلِصِيْن): قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ... لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف: ١١٠، ١١١]، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿أَفَلَمۡ يَهۡدِ لَهُمۡ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ يَمۡشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ١٢٨﴾ [طٰه]؛ وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [حٰمٓ السجدة: ٣٠]

الفَصْلُ الرَّابِعُ فِيْ بَيَانِ التَّذْكِيْر بَالْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ

وَقَدْ ذكَرَ -جَلَّ شَأْنُه- مِنَ المَوْت وَمَا بَعْدَهُ: كَيْفِيَّةَ الإنْسَان عِنْدَ مَوْتِهِ، وَعَجْزِهِ فِيْ تِلْكَ السَّاعَة(١)؛ وَعَرضَ الجَنَّة وَالنَّار عَلَيْه بَعْدَ المَوْت(٢)، وَظُهُوْرَ مَلائِكَةِ العَذَاب أَمَامَه(٣).

وَأشْرَاطَ السَّاعَة مِنْ: نُزُوْلِ سَيِّدنَا عِيْسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٤)، وَخُرُوْجِ الدَّجَّال(٥)، وَخُرُوْجِ دَابَّة الأرْض(٦)، وَخُرُوْج يَأْجُوْج وَمَأْجُوْج(٧)، وَنَفْخَةِ الصَّعْق، وَنَفْخَةِ القِيَام(٨).

وَالحَشْرَ وَالنَّشْر(٩)، وَالسُّؤَالَ وَالجَوَاب(١٠)، وَالمِيْزَانَ(١١)، وَأَخْذَ صَحَائِف

---

(١) قَوْله: (فِيْ تِلْكَ السَّاعَة): وذٰلك فِي سُوْرة القِيامَة:٢٦- ٣٠؛ ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝﴾ [الواقعة]

(٢) قَوْله: (بَعْد المَوْت): وَذٰلِك فِيْ سُوْرة مُؤْمِن:٤٦، وَذكر الجَنَّة ضِمْنًا.

(٣) قَوْله: (أَمَامَه): وذٰلكَ فِي سُوْرَة الأَنْفَال:٥٠.

(٤) قَوْله: (عِيْسىٰ عَلَيْه السَّلَام): جاءَ ذِكرُه فِي سُورَة الزُّخْرُف:٦١، فِي قَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾. (المعرّب)

(٥) قَوْله: (خُرُوْج الدَّجَّال): يَنزِل المَسِيْح -عَلَيْه السَّلامُ- بَعد خُرُوْج الدَّجَّال، فيَقتُله اللهُ تعَالىٰ عَلىٰ يَدَيه؛ ولَيْس لخُروجِه ذِكرٌ فِي القُرآن أَصْرَحُ مِن هٰذا. (المعرّب)

(٦) قَوْله: (دَابَّة الأَرْض): جَاء ذِكرُها فِي سُورَة النَّمْل: ٨٢، ولَيْس فِي الأَصْل الفَارِسِيْ ذِكر خُروج دابَّة الأَرْض. (المعرّب)

(٧) قَوْله: (مَأْجُوْج): وذٰلِكَ فِي سُوْرَة الأنبياء: ٩٦.

(٨) قَوْله: (وَنَفخَةِ القِيَام): وذٰلِكَ فِي سُوْرَة زُمَر: ٦٨.

(٩) قَوْله: (وَالحَشر وَالنَّشر): وذٰلِكَ فِي سُوْرَة يُونُس: ٢٨- ٤٥.

(١٠) قَوْله: (وَالسُّؤَال وَالجَوَاب): وذٰلِكَ فِي سُوْرَة أَنعَام: ٢٢- ٢٣.

(١١) قَوْله: (وَالمِيْزَان): وذٰلِكَ فِي سُوْرَة أَعْرَاف: ٨، والأَنبِيَاء: ٤٧.

الأَعْمَال بِالأَيْمَان وَالشَّمَائِل[١]، وَدُخُوْلَ المُؤْمِنِيْن الجَنَّة، وَدُخُوْلَ الكُفَّار النَّارَ[٢]؛ وَتَخَاصُمَ أَهْل النَّار مِنَ: التَّابِعِيْنَ وَالمَتْبُوْعِيْن فِيْمَا بَيْنَهُمْ، وَإِنْكَارَ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وَلَعْنَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا[٣]؛ وَاخْتِصَاصَ المُؤْمِنِيْنَ بِرُؤْيَة الله تَعَالَى[٤].

وَأَنْوَاعَ العَذَابِ مِنَ: السَّلاسِلِ، وَالأَغْلالِ[٥]، وَالحَمِيْم، وَالغَسَّاقِ[٦] وَالزَّقُّوْم[٧]؛ وَأَنْوَاعَ النِّعَم مِنَ: الحُوْر[٨]، وَالقُصُوْر[٩]، وَالأَنْهَار[١٠]، وَالمَطَاعِم[١١] الهَنِيْئَة،

(١) قَوْله: (وَالشَّمَائِل): وذٰلِكَ فِي سُوْرَة الحَاقَّة والانشِقَاق.

(٢) قَوْله: (النَّار): وذٰلِكَ فِي سُوَر مُتعدِّدة.

(٣) قَوْله: (بَعْضا): وذٰلِكَ فِي سُوْرَة الأَعْرَاف: ٣٨- ٣٩.

(٤) قَوْله: (بِرُؤْيَة الله تَعَالَى): وذٰلِكَ فِي سُوْرَة القِيامَة:٢٢- ٢٣؛ قَالَ الزجَاج: فِي الآيَة دَليلٌ عَلَى أَنَّ المؤمِنِيْن يَرَوْن رَبَّهم، وإِلَّا لايَكُوْن التَّخصِيْص مُفِيْدا. (مدارك)

(٥) قَوْله: (الأَغْلَال): ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝ فِى ٱلْحَمِيمِ﴾ [المؤمن]

(٦) قَوْله: (وَالغَسَّاق): ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۝﴾ [صٓ]

(٧/ ١) قَوْله: (وَالزَّقُّوْم): السَّلاسِل جَمْع السِّلْسِلة: حَبْل الحَدِيْد، وحَلقَات مِن حَدِيْد يَتَّصِل بَعضُها ببَعضِها الآخَر: زنجير؛ والأَغلال جَمعُ الغُلِّ: طَوْق مِن حَدِيْد أَوْ جِلْد يُجعَل فِي اليَد والعُنُق فِي الأَسْر والحَبْس: ہتھکڑی یا طوق؛ والحَمِيْم: مِن الأَضْداد: المَاء الحَارُّ والمَاء البَارد؛ والغَسَّاق: البَارِد أَوِ المُنْتِن أَوْ مَا يَسِيل مِن صَدِيْد أَهْل النَّار؛ والزَّقُّوْم: شَجَرَة ذَاتُ شَوْكة تَنْبُت فِي أَصْل الجَحِيْم: تھوہڑ. (المعرَّب بزيادة)

(٧/ ٢) قَوْله: (وَالزَّقُّوْم): قَالَ الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝﴾ [الدخان]

(٨) قَوْله: (الحُوْر): قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝﴾ [الرحمٰن]

(٩) قَوْله: (القُصُوْر) قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ [الزمر۝]

(١٠) قَوْله: (الأَنْهَار): قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝﴾ [الصف]

(١١) قَوْله: (المَطَاعِم): قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ۝ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝﴾ [الواقعة]

وَالمَلابِس(١) النَّاعِمَة(٢)، وَالنِّسَاء الجَمِيْلات(٣)، وَمَجَالِس أَهْل الجَنَّة(٤) الفَكِهَة الطَّيِّبَة المُفرِّحَة لِلْقُلُوْب.

فَفرَّق -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هٰذِهِ المَطَالِبَ فِيْ مُخْتَلِف السُّوَر بِالإجْمَال وَالتَّفْصِيْل، مُرَاعِيًا أَسَالِيْبَهَا الخَاصَّةَ.

الفَصْلُ الخَامِسُ فِي عِلْمِ الأَحْكَام

[دَوْرُ التَّشرِيْع الإسْلَامِيّ فِيْ إِصْلَاحِ المِلَّةِ الحَنِيْفِيَّةِ]

وَالقَاعِدَةُ الكُلِّيَّة فِيْ مَبَاحِثِ الأَحْكَام: أَنَّ سَيِّدنَا رَسُوْلَ الله ﷺ قَدْ بُعِثَ بِالمِلَّة الإِبْرَاهِيْمِيَّة الحَنِيْفِيَّة، فَلَزِمَ إِبْقَاء شَرَائِع تِلْكَ المِلَّة، وَأَن لا يُحْدَث أَيُّ تَغَيُّرٍ فِيْ أُمَّهَات مَسَائِلِهَا؛ اللهُمَّ إِلاَّ تَخْصِيْصًا لِعُمُوْمَاتِهَا، وَزِيَادَةً لِلتَّوْقِيْتَات وَالتَّحْدِيْدَات فِيْهَا، وَأَمْثَالَ ذٰلِكَ(٥).

وَلَمَّا أَرَادَ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنْ يُزَكِّي العَرَبَ بِنَبِيِّنَا عَلَيهِ الصَّلاةُ وَالسَّلَام، وَيُزَكِّي

---

(١) قَوْله:(المَلَابِس): قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾ [الدهر٢١]

(٢) قَوْله: (النَّاعِمَة): الحُوْر جَمعُ الحَوْرَاء، حَوِرَتْ عَيْنُه: كانَت حَوراءُ، أيْ: شَدِيْدةُ بَيَاضُ بَيَاضِها وشَدِيدةُ سَوادُ سَوادِها، والقُصُوْر جمعُ القَصْر: المَكان المُرتَفِع، والهَنِيْئَة: المَرغُوْبَة، والنَّاعِمَة: اللَّيِّنَة. (معجم الوسيط، الرائد، المعرّب)

(٣) قَوْله: (الجَمِيْلَات) قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ٧٠﴾ [الرحمٰن]

(٤) قَوْله: (أَهْل الجَنَّة): قَالَ اللهُ تَعَالَى:﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ١٧ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ١٨ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ١٩ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ٢١﴾ [الواقعة]

(٥) قَوْله: (وَأَمْثَال ذٰلِكَ): كَمَا فِي تَخصِيص تَوقِيْت الصَّلَوَات، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ [النساء]؛ وَتَحدِيْد الزَّوجَات بِالأَرْبَع، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ [النساء٣]

سَائِرَ الأَقَالِيْمِ(١) بِالعَرَبِ؛ لَزِمَ أَنْ تَتَكَوَّنَ مَادَّةُ شَرِيْعَتِه(٢) ﷺ مِنْ: رُسُوْمِ العَرَبِ، وَعَادَاتِهِمْ(٣).

فَإِذَا أَمْعَنْتَ النَّظَرَ فِيْ مَجْمُوْعِ شَرَائِعِ المِلَّةِ الحَنِيْفِيَّةِ، وَلاحَظْتَ عَادَاتِ العَرَبِ(٤) وَرُسُوْمَهُمْ(٥)، وَتَأَمَّلتَ فِيْ تَشْرِيْعِه ﷺ -الَّذِيْ هُوَ بِمَنْزِلَةِ الإِصْلَاحِ

---

(١) قَوْله: (سَائِر الأَقَالِيْم): قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿وَهَـٰذَا كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢] فقَوْله: ﴿أُمَّ ٱلْقُرَىٰ﴾ وَالمُرَاد بِهَا مَكَّة المُكَرَّمة، وَقَوْله: ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، أيْ: مِنْ أَهْلِ المَدَرِ وَالوَبَرِ في المَشارِقِ وَالمَغَارِبِ لِعُمُوْمِ بِعْثَته ﷺ الصَّادِعِ بِهَا القُرْآنُ فِيْ غَيْرِ آيَة، وَاللَّفظ لَايَأْبى هٰذَا الحَمْلَ؛ فَلامُتَمَسَّك بِالآيَة لِطَائِفَةٍ مِنَ اليَهوْدِ، زَعمُوْا: أنَّه ﷺ مُرْسَل لِلعَرَب خَاصَّة؛ عَلىٰ أنَّه يُمكِن أَنْ يُقَال: خَصَّ أُولٰئِك بِالذِّكْرِ، لأَنَّهُم أَحَقُّ بِإِنْذاره عَلَيْه الصَّلَاة وَالسَّلَام، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء]، وَلِذَا أَنْزَلَ كِتَابَ كُلِّ رَسوْلٍ بِلِسَان قَوْمه. (روح المعاني)

(٢) قَوْله: (مَادَّةُ شَرِيْعَتِهِ): مَادَّة الشَّيء: أُصُوْله وعَنَاصِرُه الَّتِيْ مِنْها يَتَكَوَّن، حِسِّيَّةً كانتْ أَو مَعْنوِيّة، كمادَّة الخَشَب، ومادَّة البَحْث العِلْمِيّ؛ والجَمْع مَوَادّ، وَمَوَادُّ اللُّغَة: أَلفاظُها، وَمَوَادُّ العِلْم: مَبَاحِثُه، وَمَوَادُّ القَانُوْن: الجُمَل الَّتِيْ تَتَضَمَّن أَحْكامَه. (الوسيط)

(٣) قَوْله: (عَادَاتِهِمْ): أيْ: ممَّا تَوارَثُوها مِن المِلَّة الحَنِيْفِيَّة، وانحَرَفُوْا عنْ جَادَّتِها فِيْ كَثِيْرٍ مِنْها. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (عَادَاتِ العَرَب): قَالَ ابْن عَبَّاس: كانَ ذُو المَجَاز وعُكَاظ مَتْجَرَ النَّاس فِيْ الجَاهليّة، فلمَّا جَاء الإِسْلَام كأَنَّهم كَرِهُوْا ذٰلِك، حَتىٰ نَزَلَتْ ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ فِي مَواسِم الحج. [البخاري: ١٧٧٠].

المَلحُوْظة: وإنَّمَا اعتُبِر فِيْ تَشْرِيعه ﷺ رُسُوم العَرَب وعَاداتُهم، لأَنَّ الله سُبحانَه وتعَالىٰ أَرَاد أَنْ يُزَكِّيَ سَائر الأَقَالِيْم بِتَزكِيَة العَرَب بوَاسِطة نَبِيِّنا ﷺ.

(٥) قَوْله: (وَرُسُوْمَهُمْ): قَالَ عُرْوَة: ١- كانَ النَّاس يَطُوْفون في الجاهليَّة عُراةً إلا الحُمْسَ -والحُمسُ: قُرَيْشٌ ومَا وَلَدت-، وكانَت الحُمْسُ يَحْتَسِبُوْن علَى النَّاس -يُعْطِي الرَّجُلُ الرَّجُلَ الثِّيَابَ يَطُوف فِيْها، وتُعْطِي المَرْأَةُ المَرْأَة الثِّيَابَ تَطُوْفُ فِيها؛ فمَنْ لَمْ يُعطِه الحُمسُ طَافَ بالبَيْت عُرْيَانا-؛ وكانَ يُفِيْض جَمَاعَةُ النَّاس مِن عَرَفاتٍ ويُفِيْض الحُمْسُ مِن جَمْع؛ ٢- قَال: وأَخْبَرَني أَبِيْ عنْ عائِشَة: أَنَّ هٰذِه الآيَة نَزلتْ فِيْ الحُمْس: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة١٩٩]؛ قَال: وكانُوْا يُفِيْضُون مِنْ جَمْع فَدُفِعُوا -أيْ:=

وَالتَّهْذِيْبِ لَهَا[١]-؛ عَلِمْتَ: أنّ لِكُلِّ حُكْمٍ سَبَبًا، وَفَهِمْتَ: أنّ لِكُلِّ أمْرٍ وَنَهْيٍ مَصْلَحَةً! وَتَفْصِيلُ ذٰلِكَ يَطُوْلُ.

- **الأَحْكَامَاتُ المُخْتَلَّةُ، وَإِصْلَاحُ المِلَّةِ الحَنِيْفِيَّةِ المُحَرَّفَةِ:**

وَبِالجُمْلَة:

١- فَقَد كَانَ تَطَرَّق إِلَى العِبَادَات -مِنَ: الطَّهَارَةِ، وَالصَّلاةِ، وَالصَّوْم، وَالزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَالذِّكْر- فُتُوْرٌ عَظِيْمٌ مِنْ جِهَةِ: التَسَاهُلِ فِيْ إِقَامَتهَا، وَاخْتِلافِ النَّاس فِيْهَا بِسَبَب عَدَمِ مَعْرِفَة أَكْثَرِهَا، وَتَسَرُّبِ التَّحْرِيْفَات الجَاهِلِيَّة إِلَيْهَا؛ فَأَصْلَحَ القُرْآنُ العَظِيْمُ ذٰلِكَ الاخْتِلال كُلَّه وَسَوَّاهَا، حَتّٰى اسْتَقَامَ أَمْرُهَا[٢].

٢- وَأَمَّا تَدْبِيْر المنْزِل[٣] فَقَدْ كَانَتْ حَدثَتْ فِيْه رُسُوْم ضَارَّة، وَأَنْوَاع تَعَدٍّ

= أمِرُوْا أَنْ يَتَوَجَّهوا- إِلى عَرَفات. (البخاري: ١٦٦٥)

فَالأَوّل مِثَال مِنْ رُسُوْم العَرَب، وَالثَّانِي مِثَال لما تَطرّق إِلَى العِبادَات مِنَ الفُتوْر العَظِيْم.

(١) قَوْله: (وَالتَّهْذِيْب لَهَا): أَيْ: لعَادَات العَرَب وَرُسُوْمِهم. (المعرِّب)

كَمَا رُوِي: أَنَّ عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَأَل النَّبِيّ ﷺ، قَالَ: كُنتُ نَذرْتُ في الجَاهلِيَّة أَنْ اعْتَكِف لَيْلَة في المَسْجِد الحَرَام؛ قَالَ: فَأَوْف بِنَذْرك. (البخاري: ٢٠٣٢)

(٢) قَوْله: (اسْتَقَامَ أَمْرُهَا): كَمَا وَقَع الأَمْر فِي السَّعْي بَيْن الصَّفَا وَالمَرْوَة حَيْث قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ﴾ [البقرة١٥٨]

قَالَ القَاضِي فِي المَظهَري: "وَسَبَب نُزوْل هٰذِه الآيَة: ١- أَنَّه كَانَ عَلَى الصَّفا وَالمَرْوَة صَنَمَان: إِسَاف وَنَائلَة، وَكَان أَكْثَر أَهْل الجاهلِيَّة يَطوْفُوْن بَينَهُما تَعظِيْما لِلصَّنمَيْن، وَيَتَمَسَّحوْن بِهِمَا؛ فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلام وَكُسِرَت الأَصْنَام كَانَ المُسلِموْن يَتحَرَّجوْن عَنِ السَّعْي بَيْن الصَّفَا وَالمَرْوَة لأَجَل الصَّنمَيْن. ٢- وَكَانَت الأَنْصَار قَبْل الإِسْلام يَعبُدوْن المَنَاة وَيُهلُّوْن لَهَا، وَكَانَ مَنْ أَهَلَّ لَهَا يَتحَرّج أَنْ يَطوّف مِنَ الصَّفَا وَالمَرْوَة؛ فَلَمَّا أَسْلمُوا سَأَلُوا رَسُوْل الله ﷺ عَنْ ذٰلِكَ وَقَالُوا: كُنَّا نَتحَرّج أَنْ نَّطوّف بِالصَّفا وَالمَرْوَة. فَنَزلَت الآيَة فِي الفَرِيْقَيْن".

فَأَصْلَح الإِسْلام مَا تَسَرّب مِنَ التَّحرِيفَات الجَاهلِيّة، وَأَخْبَر بِأَنَّهمَا مِنْ شَعَائِر الله.

(تعليق البخاري: ٤٤٩٥ بزيادة)

(٣) قَوْله: (تَدْبِيْر المَنْزِل): أَي: الحَيَاة العَائِلِيَّة. (المعرِّب)

وَعُتُوٍّ؛ وَهٰكَذَا اِخْتَلَّت أحْكَام السِّيَاسَة المَدَنِيَّة؛ فَضَبط القُرْآن العَظِيْم لَهُمَا أصُوْلا، وَحَدَّدَ لَهُمَا حُدُوْدا[١]، وَذكر مِنْ هٰذَا البَاب[٢] أنْوَاعا مِنَ الكَبَائِر، وَكَثِيْرا مِنَ الصَّغَائِر، لتَحْتَرِز الأمَّة عَنْهَا[٣].

- آيَاتُ الأحْكَامِ[٤]:

١- وَذَكَرَ مَسَائِل الصَّلاة إجْمالا، وَاسْتعْمل فِيْهَا لَفْظ "إقَامَة الصَّلاة"، فَفَصَّلَهَا رَسُوْل الله ﷺ بِالأذَان، وَبِنَاءِ المَسَاجِد، وَالجَمَاعَةِ، وَالأوْقَات؛ وَكَذٰلِك ذَكَرَ مَسَائِل الزَّكاة بِالاخْتِصَار، وَفَصَّلَهَا رَسُوْل الله ﷺ أيَّمَا تَفْصِيْلٍ؛ وَذَكَرَ الصَّوْمَ فِيْ سُوْرَة البَقَرَة[٥]؛ وَذَكَرَ الحَجّ[٦] أيْضا فِيْهَا، وَفِيْ سُوْرَة الحَجّ.

٢- وَذَكَرَ الجِهَاد فِيْ: سُوْرَة البَقَرَة[٧]، وَالأنْفَال، وَفِيْ مَوَاضِع مُتَفَرِّقَة أخْرٰى؛

(١) قَوْله: (حَدَّدَ لَهُمَا حُدُوْدًا): كَمَا قَالَت عَائشَة رَضِي الله عَنْهَا: أنَّ النِّكَاح فِي الجَاهِلِيَّة كَانَ عَلىٰ أرْبعَة أنْحَاء: فَنِكَاحٌ مِّنها نِكَاحُ النَّاس اليَوْمَ...، وَنِكَاحٌ آخَرُ ... نِكَاحُ الاسْتِبْضَاع ...؛ فَلَمَّا بُعِث مُحَمَّد ﷺ هَدَم نِكَاح الجَاهِلِيَّة كُلَّه إلَّا نِكَاحَ النَّاس اليَوْمَ. (البخاري: ٥١٢٧)

(٢) قَوْله: (هٰذَا البَاب): أي: مِن بَابِ تَدْبِيْر المَنْزِل والسِّيَاسَة المَدَنِيَّة. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (لتَحْتَرِز الأمَّة عَنْهَا): وفِيْه إشَارةٌ إلىٰ قاعِدة: "القُرْآنُ مُشْتَمِلٌ عَلىٰ أصُوْلِ الدِّيْن: دَلَائِلِهِ وَمَسَائِلِهِ، أمَّا تَعْرِيْفُهُ لِلأحْكَامِ فَأكْثَرُهُ كُلِّيٌّ لاجُزْئِيٌّ". [قواعد: ١٦٣].

(٤) قَوْله: (آيَاتُ الأحْكَامِ): أمَّا الآيَات المُصَرَّحة بالأحْكَام فهِيَ خَمسُ مِأة، كمَا فِي التَّفْسِيرات الأحْمَدِيَّة، وأمَّا الآيَات التِيْ تُستَنْبَط مِنها الأحكَام، فغَيرُ مَحصُوْرة؛ ومُعظَم آيِ القُرآن لاتَخْلوْ عنْ أحْكَام مُشتَمِلة علىٰ آدَاب حسَنَة وأخْلاق جمِيْلة.

(٥) قَوْله: (ذَكَرَ الصَّوْمَ إلخ): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة]

(٦) قَوْله: (ذَكَرَ الحَجَّ): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ﴾ [البقرة١٩٧]؛ ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧﴾ [الحج]

(٧) قَوْله: (ذَكَرَ الجِهَاد إلخ): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ [البقرة١٩٠]؛ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥﴾ [الأنفال]

وَذَكَرَ الحُدُوْد(١) فِي: المَائِدَة، وَالنُّوْر.

٣- وَذَكَرَ المَوَارِيْثَ(٢) فِيْ سُوْرَةِ النِّسَاء؛ وَبَيَّنَ أَحْكَامَ النِّكَاح(٣) وَالطَّلاق(٤) فِيْ سُوْرَة: البَقَرَة، وَالنِّسَاء، وَالطَّلاق وَغَيْرِهَا مِنَ السُّوَر(٥).

---

(١) قَوْله: (ذَكَرَ الحُدُوْد): قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [المائدة ٣٣]؛ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ [النور٢]

(٢) قَوْله: (ذَكَرَ المَوَارِيْث): قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء١١]

(٣) قَوْله: (أَحْكَام النِّكَاح): قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ﴾ [البقرة٢٢١]؛ ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ﴾ [النساء٣]

المُلاحَظَة: فَالأَحْكَام المَذْكُوْرَة فِي القِسْم الثَّانِي تَتعَلّق بِالسِّيَاسَة المَدنِيّة، وَالأَحْكَام المَذْكُوْرَة فِي القِسْم الثَّالِث تَتعلّق بِتَدبِيْر المَنزِل.

(٤) قَوْله: (وَالطَّلَاق): قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖۚ﴾ [البقرة٢٢٨]؛ ﴿وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٢٠﴾ [النساء]؛ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ﴾ [الطلاق١]

(٥) قَوْله: (وَغَيْرِهَا مِنَ السُّوَر): واعْلَمْ! أنّ الأَوَامِر الشَّرْعِيّة ونَواهِيها عَلىٰ قِسْمَين:

١- قِسْمٌ لايَطْرَأُ عَلَيْه التَّغيُّر -كالصَّلاة والصِّيام والحجّ مِن المأمُوْرات، وكالزّنا والخَمْر والميْتة مِن المنهيّات-، فهٰذِه الأَشْيَاء لايتغَيَّر حكمُها بحسَب الزّمان والمكانِ والأَحْوال، بلْ هي لازِمة للأوّلين والآخِرِيْن.

٢- وقسْمٌ لهُ تعلُّق بالعُرْف والعَادة، -كالأكْل والشُّرْب، واللبَاس والمُعَاشرة-؛ فهٰذِه الأشْيَاء تختَلِف بحسَب الزّمان والمكانِ والأحْوال، قَال تَعَالَىٰ: ﴿وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء٢٣]، فلمْ يُحدِّد نوْعا مِن الإحسَان، ليَعُمّ الأقوالَ والأفعال، ويشْمَل أيْضا ما تجَدَّد مِن الأوْصاف والأحْوال؛ إذْ قدْ يَكُوْن الإحْسَانُ إلَيْهم فِيْ وقتٍ غيرَ الإحسَان فِيْ وَقْتٍ آخَر؛ وقَال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال٦٠]، فلَمْ يختَصّ نوْعا بعَيْنه، فهٰذَا يتناوَل كُلَّ مُسْتَطاع مِن القوّة فِيْ كلِّ وَقْت بحسَبه.

(قواعد: ٧٧١ بتصرف)

[التَّعْرِيْضَات المُتَعَلِّقَةُ بِأَسْبَابِ النُّزُوْلِ](١)

وَإِذَا عَرَفْتَ هٰذَا القِسْمَ الَّذِيْ تَعُمُّ فَائِدَتُه جَمِيْعَ الأُمَّةِ(٢)! فَهٰهُنَا قِسْم آخر(٣)، وَهُوَ:

١- أَنَّهُ كَانَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ ﷺ سؤَالٌ، فَيُجِيْبُ عَنْهُ(٤)؛

٢- أَوْ تَقَعُ حَادِثَةٌ يَجُوْدُ فِيْهَا المُؤْمِنُوْن بِأَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَيُمْسِكُ المُنَافِقُوْن وَيَتَّبِعُوْن الهَوٰى؛ فَيَمْدَح الله تَعَالىٰ المُؤمِنِيْن، وَيَذُمّ المُنَافِقِيْنَ وَيَتَوَعَّدُهُمْ(٥).

٣- أَوْ تَقَعُ حَادِثَةٌ مِنْ قَبِيْلِ الغَلَبَةِ عَلَى الأَعْدَاء، وَكَفِّ ضَرَرِهِمْ؛ فَيَمُنُّ اللهُ

---

(١) قَوْله: (بِأَسْبَابِ النُّزُوْلِ): وهٰذِه الأَسْبَاب هِيَ التَّعْرِيْضات الَّتِيْ تَحْتَاج إِلَى البَيان، وهيَ المُرَاد مِن قَولِهِم: "نَزَلَتْ فِيْ كَذا" عِنْد المُتأخِّرِين؛ وأَمَّا مَعْنَاه الآخَر عِنْدَ المُتقدِّمِين فسَيَأْتِيْ بَيانه فِي الفَصْل الثَّالث فِيْ مَعرِفة أَسْبَاب النُّزُوْل مِن البَاب الثَّانِي. (مُحَمَّدْ إِلْيَاس)

(٢) قَوْله: (جَمِيْعَ الأُمَّةِ): أي: عَرَفْتَ القِسْم الَّذِيْ فِيه خِطابٌ عَامٌّ، ولا يَحْتَاج إِلىٰ مَعرِفة شَأن نُزُوْله. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (فَهٰهُنَا قِسْم آخَر): كَأَنَّ الإِمَام أَشَار إِلىٰ قِسْمي أَسْبَاب النُّزُوْل؛ لأَنَّ آيَاتِ الْقُرْآن بِحَسَب أَسْبَابِ النُّزُوْل عَلىٰ قِسْمَيْن: السَّبَبُ الْعَامّ، وَالسَّبَبُ الخَاصُّ.

١-السَّبَب الْعَامّ: وَهُوَ قِسْمٌ نَزَل ابْتِدَاءً، لَاعَلَاقَة لَه بِسَبَب خَاصّ، كَسُؤَال أَوْ حَادِثَة.

المَلحُوْظَة: وهٰذَا القِسْم هُوَ الَّذِيْ بَيَّنَها الإِمَام بالتَّفْصِيْل؛ وأَمَّا الآنَ فَذَكَر القِسْم الثَّانِيْ مِن أَسْبَاب النُّزُوْل، وهُوَ السَبَب الخَاصّ.

٢- السَّبَب الخَاصّ: وَهُوَ قِسْمٌ نَزَل عَقِب حَادِثَةٍ وَقَعَتْ فِيْ زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَوْ سُؤَالٍ وُجِّهَ إِلَيْه؛ فَنزلَت الآية بِسَبَب مُتَضمِّنَة لَه، مُبَيِّنة حُكْمَه، حَيْث وَقَعَت الإِشَارَة وَالتَّعرِيْض فِي الآيَات إِلَى تِلْك الحَادِثَة، وَيعْرِض لِلسَّامِع الانْتِظَار، وَلايَزُوْل ذٰلِكَ إِلا بِبَسْط الْقِصَّة؛ فَلَزِم لَهَا مَعْرِفَة سَبَب النُّزُوْل؛ وَهٰذَا هُوَ الْمُرَاد مِنْ قَوْلِهِمْ: "نَزَلَتْ فِيْ كَذَا" عِنْد المُتَأخِّرِيْن. (رَوح القدير)

(٤) قَوْله: (فَيُجِيْبُ عَنْهُ): كَمَا سَأَلُوْا: عنِ الأَهِلَّة، وعنِ القِتَال فِيْ الأَشْهُر الحُرُم، وعنِ الكَلالَة؛ فأُجِيْب عَنْه فِيْ القُرْآن. (المعرِّب)

(٥) قَوْله: (وَيَتَوَعَّدُهُمْ): كَمَا وَقَع ذٰلِك فِي غَزْوَة تَبُوْك كَمَا فِي البَرَاءَة: ٥٢. (المعرِّب)

تَعَالىٰ بِذٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِيْنَ(١)، وَيُذَكِّرهُمْ بِتِلْكَ النِّعْمَة(٢).

٤- أَوْ تَحْدُثُ حَالَةٌ تَحْتَاجُ إِلَىٰ: تَنْبِيْهٍ، أَوْ زَجْرٍ(٣)، أَوْ إِشَارَةٍ، أَوْ إِيْمَاءٍ(٤)، أَوْ أَمْرٍ،

---

(١) قَوْله: (فَيَمُنُّ اللهُ إلخ): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة]، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ﴾ [آل عمران١٢٣].

وفِيْه قاعِدة: "لاَيُمْتَنُّ بِمَمْنُوْعٍ" [قواعد: ٢٠٨]؛ واعْلمْ! أَنَّ كُلَّ مَا امتَنَّ الله به عَلىٰ عِبَاده فهُوَ مُبَاح لهمْ، قَال تَعَالىٰ: ﴿أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ﴿٦٥﴾﴾ [الواقعة]، وقَدْ ذَكَر البُخارِي -رحِمَه اللهُ- فِيْ صَحِيْحِه هٰذِه الآيَة فِيْ صَدْر البَاب الأوّل مِن كتَاب الحرْث والمزارَعَة؛ وقَال الحَافِظ رحمه الله عَليْه: "ولاشكَّ أَنَّ الآيَة تدلُّ عَلىٰ إباحَة الزَّرْع مِن جِهَة الامتِنَان به"؛ وقَال ابنُ المنيّر: "أشارَ البُخاريُّ إلىٰ إباحَة الزَّرْع؛ وأَنَّ مَن نهىٰ عنه -كمَا وَرَد عن عمَر- فمحَلُّه: إذا شَغَل الحرْث ونحوُه عنْ الأمُوْر المطلُوْبة". (قواعد:٨٤٠)

(٢) قَوْله: (يُذَكِّرهُمْ): كمَا وَقَع ذٰلِك فِي غَزْوَة الأحْزَاب، قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ -إلىٰ قوله تعالىٰ:- وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ﴿٢٧﴾﴾ [الأحزاب]. (المعرّب بزيادة)

وفِيهِ قاعِدَة: "وَقَدْ يَتقدَّم النُّزُوْل عَلَى الحُكْم أوِ الحَادِثَة"، نَحْوُ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴿٤٥﴾﴾ [القمر]، نَزَل بِمَكّة؛ قَالَ عُمَر بنُ الخَطّاب كُنْت لاأدْرِي: أيّ الجمع يُهزَم؟ فلمَّا كَانَ يَوْم بَدْر رَأيْت رَسُوْل اللهﷺ يَقُوْلُ: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴿٤٥﴾﴾؛ ومِنْه قَوْله تعَالىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الأعلىٰ] فقَالَ بَعْضُهم: لاأدْرِي مَا وَجْهُ هٰذَا التَّأوِيْل؟ لأنَّ هٰذِه السُّوْرَة مَكيَّة، ولمْ يَكُن بمَكّة عِيْد ولازَكَاة! فأجِيْب بأنَّه يجُوْز أنْ يَكُوْن النُّزُوْل سَابِقا عَلَى الحُكْم. (مباحث)

(٣/ ١) قَوْله: (تَنْبِيْه، أَوْ زَجْرٍ): وفِيْه إشَارةٌ إلىٰ قاعِدة: "تَقْدِيْمُ الْعِتَابِ عَلَى الْفِعْلِ مِنَ اللهِ تَعَالىٰ لاَيَدُلُّ عَلىٰ تَحْرِيْمِهِ". [قواعد: ٢٠٧]

وَاعْلَم! أَنَّ المعاتَبة الوارِدة فِيْ القُرْآن عَلىٰ أمْر مِن الأمُوْر تدُلُّ بِلا شَكٍّ عَلىٰ: أنّ مَا وقَع العِتابُ بسَبَبِه كَانَ خِلافا للأوْلىٰ، -وهُوَ المكْرُوْه فِيْ إطْلاق المتقدّمِيْن-، والمعَاتبةُ تدُلُّ قطْعًا عَلىٰ هٰذَا القدْر؛ أمَّا التَّحرِيْمُ فلايعْرَف بمُجَرَّد المعَاتبَة، بلْ إنَّما يعْرَف التَّحرِيْم بأمُوْر أخْرىٰ.

قَالَ ابْنُ القيِّم رحمه الله: "وقدْ عاتَب اللهُ نبيَّه فِيْ خمسَة مواضِع منْ كتَابه: فِيْ الأنْفال، وبَراءَة، والأحْزاب، وسورةِ التَّحْرِيْم، وسورةِ عبَس"؛ قَال تَعَالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي =

أَوْ نَهْيٍ[(١)]؛ فَيُنَزِّلُ اللهُ -تَعَالَىٰ- فِيْ ذٰلِكَ البَاب.

"فَمَا كَانَ مِنْ هٰذَا القَبِيْلِ، فَلابُدّ لِلمُفَسّر مِنْ ذِكْر تِلْكَ القِصَصِ بِطَرِيْق الإِجْمَال".

- **أَمْثِلَةُ التَّعْرِيْضَاتِ:**

وَقَدْ وَرَدَت التَّعْرِيْضَاتُ بِقِصَّة غَزْوَةِ بَدْرٍ[(٢)] فِيْ: سُوْرَة الأَنْفَال، وَبِقِصَّة غَزْوَة

= ﴿ٱلْأَرْضِۚ﴾ [الانفال٦٧]، فتَنْزِيلُ العِتاب مِن الله عَلَى الفِداء -مِن أَسَارَى بدْر- لايدُلّ عَلىٰ تحْرِيمه، وكذَا الحَالُ فِي البَواقِي؛ قَال تَعَالىٰ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ﴾ [براءة٤٣]، وقَال تَعَالىٰ: ﴿وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ﴾ [الاحزاب٣٧]، وقَال تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ﴾ [التحريم١]؛ وقَال تَعَالىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١﴾ [عبس]. (قواعد: ٨٠٤)

(٣/ ٢) قَوْله: (أَوْ زَجْرٍ): لَمَّا خَرَج النَّبِيُّﷺ إِلىٰ أُحُد، رَجَع نَاسٌ مِمَّن خرَج معَهُ، وكانَ أَصْحَاب محَمَّدﷺ فِرقَتَيْن: فِرْقَة تَقُوْل: نُقَاتِلُهُم، وفِرْقَة تَقُوْل: لانُقَاتِلُهُم، فنَزَلت: ﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ٨٨﴾ [النساء]؛ وقال النبيﷺ: "إِنَّها طَيبَة تنْفِي الذُّنوْب كَمَا تنْفِي النَّار خَبَث الفضة".

[البخاري عن زيد بن ثابت: ٤٠٥٠]

(٤/ ١) قَوْله: (إِيْمَاء): الإيماء: هُوَ الإشارة الدقيقة. (المعرّب)

(٤/ ٢) قَوْله: (أَوْ إِيْمَاء): قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾ [آل عمران١٥٢]؛ قَال الطَّبْري: وَالوَعْد الذِيْ كانَ وَعَدَهُم عَلى لِسَانِه بأحُد قَوْلُه للرُّمَاة: "اثبُتُوْا مَكانَكُمْ ولاتَبْرَحُوْا! وإنْ رَأَيْتُمُوْنا قَد هَزَمْنَاهُم فإنَّا لنْ نَزَال غَالِبِيْن مَا ثَبَتُّمْ مَكانَكم"، وكانَ وَعدَهم رَسُول اللهِﷺ النَّصْر يَومَئِذ إنْ انتهوا إلىٰ أَمْره. (جامع البيان)

(١) قَوْله: (أَوْ نَهْيٍ): قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ﴾ [المائدة٨٧]؛ قَالَ الطَّبْري: يَعْني بـ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ اللّذِيْذات التِيْ تَشْتهيْها النُّفُوْس وتَمِيلُ إلَيْها القُلوبُ، فتَمنَعُوها إيَّاها، كالذِيْ فَعَله القِسّيسُوْن والرُّهْبَان؛ فحَرَّمُوا عَلى أنفُسِهم النّسَاء والمَطاعِم الطَّيِّبَة والمَشارِب اللَّذِيْذة، وحَبَس فِيْ الصَّوَامِع بَعضُهم أنفُسَهم، وسَاح فِيْ الأَرضِ بَعضُهم.

يَقُول تعَالىٰ ذِكرُه: فَلا تَفْعَلوا أَيُّها المؤمِنُوْن، كَمَا فعَل أُولٰئك، ولا تَعْتَدُوْا حدَّ اللهِ الذِي حَدَّ لَكُم فِيْمَا أَحَلَّ لَكُمْ وفِيْمَا حرَّم عَلَيْكم؛ فتَجَاوَزوا حدَّه، فتُخَالِفوا بذٰلِك طاعَتَه؛ فإنَّ اللهَ لايُحِبُّ مَن =

أحُدٍ(١) فِيْ: سُوْرَةِ آلِ عِمْرَان، وَبِقِصَّةِ غَزْوَةِ الخَنْدَق(٢) فِيْ: سُوْرَةِ الأحْزَاب، وَبِقِصَّةِ صُلْحِ الحُدَيْبِيَّة(٣) فِيْ: سُوْرَةِ الفَتْحِ، وَبِغَزْوَةِ بَنِي النَّضِيْر(٤) فِيْ: سُوْرَةِ الحَشْر.
وَجَاءَ الحَثُّ وَالتَّحْرِيْضُ عَلَىٰ: فَتْحِ مَكَّةَ(٥) وَغَزْوَةِ تَبُوْك(٦) فِيْ سُوْرَةِ البَرَاءَة.

= اعتدى حدّه الذي حَدَّه لخلقِه فيْمَا أحلَّ لهُمْ وحَرَّم عَلَيْهم. (جامع البيان)

(٢) قَوْله: (غَزْوَة بَدْر): قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۞ -إلى قوله تعالى:- إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ۞﴾ [الأنفال]

(١) قَوْله: (غَزْوَة أحُد): قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ -إلى قوله تعالى:- إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ۞﴾ [آل عمران]

(٢) قَوْله: (غَزْوَة خَنْدَق): قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۞ -إلى قوله تعالى:- وَأَوۡرَثَكُمۡ أَرۡضَهُمۡ وَدِيَٰرَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُمۡ وَأَرۡضٗا لَّمۡ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٗا ۞﴾ [الأحزاب]

(٣) قَوْله: (صُلْح الحُدَيْبِيَّة): قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۞ -إلى قوله تعالى:- لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ۞﴾ [الفتح]

(٤) قَوْله: (وَبِغَزْوَة بَنِي النَّضِيْر): قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ۞ -إلى قوله تعالى:- لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ۞﴾ [الحشر]

(٥) قَوْله: (فَتْح مَكَّة): قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ۞﴾ [البراءة]؛ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾ [القصص۞]، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا ۞﴾ [بنى اسرائيل]

(٦) قَوْله: (غَزْوَة تَبُوْك): قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي=

وَوَرَدَتِ الإشَارَة إلىٰ حَجَّة الوَدَاع فِيْ: سُوْرَةِ المَائِدَة[١]، وَجَاءَتِ الإشَارَة إلىٰ قِصَّة زَوَاج زَيْنَب -رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا- فِيْ: سُوْرَة الأحْزَاب[٢]، وَإلىٰ تَحْرِيْم السُّرِّيَّة[٣] فِيْ: سُوْرَة التَّحْرِيْم، وَإلىٰ قِصَّة الإفْك[٤] فِيْ: سُوْرَة النُّوْر.

وَجَاءَ ذِكْر[٥] اسْتِمَاع وَفْد الجِنّ تِلاوَة النَّبِيّ ﷺ فِيْ: سُوْرَة الجِنّ وَالأحْقَاف،

= سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ [التوبة]

(١) قَوْله: (حَجَّة الوَدَاع إلخ): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾﴾ [المائدة]

(٢) قَوْله: (زَوَاج زَيْنَب إلخ): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ﴿٣٦﴾ -إلىٰ قوله تعالىٰ:- فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب]

(٣/ ١) قَوْله: (السُّرِّيَّة): السُّرِّيَّة: الجَارِيَة المَمْلُوْكَة، والجَمْع سَرَارِيّ؛ والأغلب أن اشتقاقها من السرّ. (المعرَّب بزيادة)

(٣/ ٢) قَوْله: (إلىٰ تَحْرِيْم السُّرِّيَّة): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾﴾ [التحريم]؛ واختلَف أهلُ العِلْم فِيْ الحَلال الذِيْ كانَ اللهُ جلّ ثَناؤه أحلَّه لرَسُوْلهِ ﷺ، فحرَّمه علىٰ نفسِه ابتغاء مَرْضَاة أزْواجِه، فقال بعضُهم: كانَ ذٰلكَ مَارِيَة مَمْلُوْكَته القِبْطيَّة، حرَّمها علىٰ نفْسِه بيَمِيْنٍ: أنّه لايقْرُبها طَلَبًا بذٰلِك رِضَا حَفْصَة بنتِ عُمَر -زوجَتِه-، لأنّها كانَت غارَتْ بأنْ خَلا بِهَا رَسولُ اللهِ ﷺ فِيْ يَوْمِها وفِيْ حُجْرتِها. (جامع البيان)

(٤) قَوْله: (وَإلىٰ قِصَّة الإفْك): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ -إلىٰ قَولِهِ تعالىٰ:- ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٢٦﴾﴾ [النور]

(٥) قَوْله: (وَجَاءَ ذِكْر اسْتِمَاع وَفْد الجِنّ تِلاوَة النَّبِيّ ﷺ): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ﴿١﴾﴾ [الجن]؛ ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ -إلىٰ قَولِهِ تعالىٰ:- أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَلَمۡ يَعۡيَ بِخَلۡقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰۚ بَلَىٰٓۚ إِنَّهُۥ =

وَذُكِرَتْ قِصَّة مَسْجِد الضِّرَار فِيْ: سُوْرَةِ البَرَاءَة[1]، وَأُشِيْر إِلىٰ قِصَّة الإِسْرَاء فِيْ: أَوَّل سُوْرَة بَنِيْ إِسْرَائِيْل[2].

- **مَلْحُوْظَةٌ فِيْ آيَاتِ التَّعْرِيْضِ:**

وَهٰذَا القِسْمُ مِنَ الآيَاتِ الكَرِيْمَةِ فِيْ الحَقِيْقَةِ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاع "التَّذْكِيْر بِأَيَّام الله"؛ وَلٰكِنْ لَمَّا كَانَ حلُّ الإِشَارَاتِ فِيْهَا مُتَوَقِّفًا عَلىٰ سَمَاعِ القِصَّةِ مُيِّزَتْ عَنْ سَائِرِ أَقْسَامِهَا.

= عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ [الأحقاف]

(١) قَوْله: (مَسْجِد الضِّرَار إلخ): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ [التوبة]

(٢) قَوْله: (قِصَّة الإِسْرَاء): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ [بنى اسرائيل]

البَابُ الثَّانِيْ

البَابُ الثَّانِيْ: فِيْ بَيَانِ وُجُوْهِ الخَفَاءِ

فِيْ مَعَانِيْ نَظْمِ القُرْآنِ بِالنِّسْبَةِ إِلىٰ أَهْلِ هٰذَا العَصْرِ، وَإِزَالَةِ ذٰلِكَ الخَفَاءِ بِأَوْضَحِ بَيَانٍ

لِيُعْلَمْ أَنَّ القُرْآنَ العَظِيْمَ قَدْ نَزَلَ فِيْ لُغَةِ العَرَبِ القُحَّة(١) المُبَيِّنَة الوَاضِحَة، وَفَهِمَ العَرَبُ مَعْنٰى مَنْطُوْقِهِ بِسَلِيْقَتِهِم الَّتِيْ جُبِلُوْا عَلَيْهَا(٢)، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾ [الزخرف]، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا(٣) لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف]، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود](٤).

(١) قَوْله: (القُحَّة): القُحَّة تأنيثُ القُحّ: الخَالِص الخَالِيْ مِن الشَّوائِب الغَرِيْبة. (المعرّب)

(٢) قَوْله: (جُبِلُوْا عَلَيْهَا): لأَنَّ "جَمِيْع ظَوَاهِر نُصُوص القُرآن مَفْهُوْمَةٌ لَدَى المُخَاطِبِيْن"، [...]؛ وهٰذَا مِن المُسَلَّمَات.

(٣) قَوْله: (عَرَبِيًّا): مَنْسُوْبٌ إِلَى العَرَب، والعَرَب: أُمَّةٌ مِن النَّاس سَامِيَة الأَصْل، كانَ مَنْشَؤها شِبْهَ جَزِيْرة العَرَب.

أَمَّا المُعَرَّبُ: هُو اللَّفظُ الأَعْجمِيُّ الذيْ دخلَ اللغةَ العَرَبيَّةَ، وَأَصبَحَ مِن أَلفاظِها بعدَ تغيِيْرِهِ غالبًا، بالزِّيادةِ أَوْ النَّقْصِ أَوِ القَلْبِ.

وَالدَّخِيْلُ: هُوَ اللفظُ الذِيْ دَخَلَ العَرَبِيَّةَ دُونَ تغيِيْرٍ، كالتليفُون.

الملحوظة: اعْلَمْ! أَنَّه لَيْس فِي الْقُرْآن كَلام مُرَكَّب عَلىٰ أَسَالِيْب غَيْر الْعَرَب بِاتِّفَاق مِنَ الْعُلَمَاء، وَأَمَّا الْكَلِمَات الْعَجمِيَّة مِنْ نَحْو اِسرَائِيل وَجِبرِيْل وَإِبْرَاهِيْم وَاسْمَاعِيْل وَغيْرِ ذٰلِكَ، فَذَهَب بَعْضُهمْ إِلىٰ: أَنَّهَا مُعَرّبَة عَرّبتهَا الْعَرَب، وَبعْد التَّغْيِيْر وَالتَّخْفِيْف اسْتَعْمَلتهَا فِي الْأَشْعَار وَالْمُحاوَرَات، حَتّٰى جَرَت مَجْرى الْعَرَبِي الصَّحِيْح، وَوَقَع بِهَا الْبَيَان وَنَزَل بِهَا الْقُرْآن، كَمَا قَال تَعَالىٰ: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾ [الشعراء]

وَقَالَ بَعْض العُلَمَاء: كُلُّ هٰذِهِ الأَلفَاظِ عَرَبِيَّة صِرْفَةٌ، ولٰكِنْ لُغَة العَرَب مُتَّسِعَة جِدًّا، وَلايَبْعُد أَنْ تَخْفىٰ عَلىٰ الأَكَابِرِ الأَجِلَّة، كَمَا خَفِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- مَعْنىٰ فَاطِر وَفَاتِح؛ وَلِذَا قَالَ الشَّافِعِيُّ فِيْ الرِّسَالَة: "لايُحِيْط بِاللُّغَةِ إِلا نَبِيٌّ".

(شرح المقدمة، موسوعة النحو والصرف، مقدمة معجم الوسيط، رَوح القدير) =

- **مَنْهَجُ الرَّسُوْلِ فِيْ التَّفْسِيْرِ**

وَكَانَ مِنْ مَرْضِيِّ الشَّارِعِ الحَكِيْمِ عَدَمُ الخَوْضِ[1] فِيْ تَأْوِيْلِ المُتَشَابِهَات القُرْآنِيَّةِ[2]، وَتَصْوِيْرِ حقَائِقِ الصِّفَات الإِلٰهِيَّةِ، وَتَسْمِيَةِ المُبْهَمِ[3]، وَاسْتِقْصَاءِ القِصَصِ، وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِك؛ وَلِذٰلِكَ قَلَّمَا كَانُوْا يَسْئَلُوْنَهُ[4] -ﷺ- عَنْ مِثْلِ ذٰلِكَ؛

= (٤) قَوْله: (ثُمَّ فُصِّلَتْ إلخ): وفِيْه قاعِدة: "غَيْرُ جَائِزٍ أَنْ تُخَاطِبَ العَرَبُ فِيْ صِفَة شَيْءٍ إِلاَّ بِمِثْل مَا تَفْهَمُ عَمَّنْ خَاطَبَها". [قواعد:٤٠]

(١) قَوْله: (عَدَمُ الخَوْض): وَسَيَأْتِي تفصِيْله فِي الفَصْل الثَّانِي مِنَ البَاب الرَّابِع على ص:٣٢٤

(٢) قَوْله: (المُتَشَابِهَات القُرْآنِيَّةِ): قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران٧]؛ قَالَ يَحْيىٰ بن يَحْيىٰ: كُنَّا عِنْد مَالِك بن أَنَس فَجَاء رَجُل فَقَال: يَا أَبَا عَبْد الله ﴿الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوٰى﴾ فَكَيْف اسْتَوٰى؟ قَالَ، فَأَطْرَقَ مَالِك رَأْسَه حَتّىٰ عَلاه الرُّحضاءُ (العَرَقُ الكَثيرُ) ثُمَّ قَالَ: "الاسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُوْل، وَالكَيْفُ غَيْر مَعقُوْل، وَالإِيْمَان بِهِ وَاجِب، وَالسُّؤَال عَنْه بِدْعَة". (رواه البيهقي في الأسماء والصفات)

المَلحُوْظة: سَيأْتِي تَفصِيْل بَحْث المُحكَم وَالمُتَشابِه فِي الفَصْل الخَامِس مِنَ البَاب الثَّانِي علىٰ ص:٢٢٢

(٣/ ١) قَوْله: (وَتَسْمِيَةِ المُبْهَم): وفِيْه قواعِد: "الأَصْلُ أَنَّ مَا أُبْهِمَ فِي القُرْآنِ فَلاَ طَائِلَ فِيْ مَعْرِفَتِهِ" [١٧٧]؛ "لاَ يُبْحَثُ عَنْ مُبْهَمٍ أَخْبَرَ اللهُ بِاسْتِئْثَارِهِ بِعِلْمِهِ" [١٧٨]؛ وَ"عِلْمُ المُبْهَمَاتِ مَوْقُوْفٌ عَلىٰ النَّقْلِ المَحْضِ، وَلاَ مَجَالَ لِلرَّأْيِ فِيْهِ" [١٧٩]. (قواعد)

(٣/ ٢) قَوْله: (وَتَسْمِيَةِ المُبْهَم): اعْلَمْ أَنّ المبْهَمات التِيْ لَمْ يُفْصِح القُرْآنُ عنْها فِيْ موضِعه ولا فِيْ موضِع آخَر، ولَمْ يُبيّنها النبيُّ ﷺ، ولَمْ يثبُتْ فِيْ بَيانها شَيءٌ؛ فهٰذا مما لاطائِل تحتَه، ولا فائِدة فِيْ البَحْث عنْه، كَمَا قَالَ تعالىٰ في عدّة أَصْحاب الكَهْف: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ٢٢﴾ [الكهف]

قَالَ الشنقِيطي رحِمه الله عِنْد تَفسِير قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَكَلۡبُهُم بَٰسِطٞ ذِرَاعَيۡهِ بِٱلۡوَصِيدِۚ﴾ [الكهف١٨]، وكثِيْرٌ مِنَ المفسِّرِيْن يُطنِبُون فِيْ ذِكر الأقْوال فيْها (أي: فِيْ اسْم كلْبِهم) بدُوْن عِلم ولاجَدوَى، ونحْن نُعرِض عنْ مِثْل ذٰلك دائِما، كلَوْنِ كَلْبِ أَصْحاب الكهْف واسْمِه، وكالبَعْض الذِي ضُرِب به القتِيْلُ منْ بقرَة بنِيْ اسْرائيل، وكاسْم الغُلام الذِي قتَله الخضِر، وأَنْكرَ عَلَيْه موسىٰ قتْلَه، وكخَشَب سفِيْنة نوح مِن أيِّ شجَر هوَ، وكَمْ طُوْل السَّفِيْنة وعرْضُها، وكَمْ فيْها مِنَ الطَبَقات إِلىٰ غَيْر ذٰلك ممَّا لافائِدة فِيْ البَحْث عنْه، ولا دَلِيْل عَلىٰ التَّحقِيْق فيْه. (قواعد: ٧١٩ بحذف وزيادة)

(٤) قَوْله: (كَانُوْا يَسْئَلُوْنَهُ): رَوىٰ سَعِيْد بنُ جُبَيْر عن ابْنِ عَبَّاس أَنَّه قَال: مَا رَأَيْتُ قَوْمًا كَانُوْا=

وَلِهٰذَا لَمْ يُرْفَع فِيْ هٰذَا البَابِ مِنَ الأَحَادِيْثِ إِلاَّ شَيْءٌ قَلِيْلٌ[1].

- **التَّفْسِيْرُ فِيْ عُصُوْرِ التَّدْوِيْن:**

وَلٰـكِنْ لَمَّا مَضَتْ[2] تِلْكَ الطَّبَقَة، وَتَدَخَّلَ العَجَمُ، وَتُرِكَتْ تِلْكَ اللُّغَة

= خَيْرًا مِنْ أَصْحَاب رَسُوْل اللهِ ﷺ، مَا سَأَلُوْه إِلَّا عَنْ ثَلاث عَشَرَة مسْئَلة حَتّٰى قُبِضَ، كُلُّهُنَّ فِيْ القُرْآن، مِنْها: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾. (التفسير الكبير)

(١) قَوْله: (إِلاَّ شَيْءٌ قَلِيْلٌ): أَمَّا منْهَج الرَّسُوْل فِي التَّفسِيْر: فَلَمْ يَكُن النَّبِيﷺ يُطنِب فِيْ تَفسِيْر الْآيَة، وَلَم يَخْرُج إِلىٰ مَا لافَائِدَة فِي مَعْرفَته؛ فَلِذٰلِك لَمْ يُفسِّر لأَصْحَابه كُل آيَات الْقُرْآن الْكَرِيْم؛ بَل جُلُّ تَفسِيْرهﷺ كَانَ بَيَانا لِمُجمَل، أَوْ تَوضِيْحًا لِمُشْكِل، أَوْ تَخْصِيْصًا لِعَامّ، أَوْ تَقْيِيْدا لِمُطلَق، أَوْ بَيَانا لِمَعْنىٰ لَفظ أَوْ مُتعَلِّقِه.

وَمَنْهج الصَّحَابَة فِي التَّفسِيْر عَلىٰ أَرْبَعَة أَنْوَاع: تَفسِيْر الْقُرْآن بِالْقُرْآن؛ تَفسِيْر الْقُرْآن بِالسُّنَّة النَّبَوِيَّة؛ تفسِيْر القُرْآن بِاللُّغَة العَرَبِيَّة؛ تفسِيْر الْقُرْآن بِالاجْتِهَاد وَالاسْتِنْبَاط، وَكَانُوْا فِيْه عَلىٰ تَفَاوُت.

وَهُم قَلِيْل الْأَخذ بِالإِسْرَائِيْلِيّات، وَلا يَتعمّقوْن فِي التَّفسِيْر تَعَمّقا مَذْمُوْمًا، وَلا يتكلّفُوْن؛ فَلايَشْمُل تَفسِيْرُهُم الْقُرْآنَ كُلّه.

مَنهَج التَّابِعِيْن فِي التَّفسِيْر عَلىٰ ستَّة أَنْوَاع: تَفسِيْر الْقُرْآن بِالْقُرْآن؛ وَتَفسِيْر الْقُرْآن بِالسُّنة النَّبَوِيَّة؛ وَتَفسِيْر الْقُرْآن بِأَقْوَال الصَّحَابَة؛ وَتَفْسِيْر القُرْآن بِاللُّغَة العَرَبِيَّة؛ وَالفَهْم وَالاجْتِهَاد؛ وَمَرْوِيَّات أَهْل الْكِتَاب مِن الْيَهوْد وَالنَّصَارىٰ. (رَوح القدير)

(٢) قَوْله: (لَمَّا مَضَتْ): طَرِيقَة التَّفسِيْر فِيْ عَهْد النَّبِيّﷺ والصَّحَابَة والتَّابِعِيْن:

التَّفسِير فِيْ عَهْد النَّبِيّ ﷺ

وَالنَّبِيُّ بُعِث لأَجْل تَعْلِيْم الْقُرْآن وَتفسِيْره، فَهٰذَا هُوَ مَنصِبه الجَلِيْل وَوظِيْفَته الْعظِيْمَة حَيْث فَسَّر الْقُرْآن حَسَب مَا شَاءَ الله مِنْ كَلَامه وَآيَاته، إِمَّا: عَنْ طَرِيْق مَا أَفَاضَه الله تَعَالىٰ مِنْ بَرَكَات وَثَمَرَات الْوَحْي، وَإِمَّا مِن طَرِيْق مَا مَنَحَه الله تَعَالىٰ إِيَّاه مِنَ: الْعَمَل الْكَامِل، وَالفَهْم البَالِغ، وَالعُلُوْم العَالِيَة، وَالمَعَارِف الشَّرِيْفَة.

بَيْدَ أَنَّ التَّفاسِيْر المَنقوْلَة عَنِ النَّبِيﷺ لَمْ تُدوّن وَلَم تُرتّب، لأَنَّ أَدوَات الْكِتَابَة لَمْ تَكُن مَيْسوْرَة لَدَيْهِمْ فِي ذٰلِكَ العَهْد؛ وَلٰكِنَّها مَحْفوْظَة فِي صُدُوْر الصَّحَابَة بِوَاسِطَة قُوَّة الحِفْظ.

التَّفْسِيْر فِي عَهْد الصَّحَابَة

ثُمَّ بَعْد غُرُوْب شَمْس النُّبُوّة يَجِيْء عَهْد الصَّحَابَة، وَهُم أَعْرَف بِالقُرْآن وَمَعَانِيه وَمُرَادَاته مِمَّن جَاءَ بَعْدَهُمْ؛ وَلٰكِنَّهُم مَعَ هٰذَا كَانُوْا يَتفاوَتُوْن فِي الْفَهْم، وَتَتفَاوَت مَرَاتِبهُم، وَتَتَبَايَن دَرَجَاتهم؛ فَهٰذَا أَمِيْر الْمُؤمِنِيْن=

الأَصِيْلَةُ؛ وَاسْتَعْصٰى فَهْمُ المُرَادِ فِيْ بَعْضِ المَوَاضِعِ، وَمَسَّتِ الحَاجَةُ إِلىٰ تَفْتِيْشِ اللُّغَةِ وَالنَّحْوِ، وَجَرَتِ الأَسْئِلَةُ وَالأَجْوِبَةُ فِيْمَا بَيْنَ النَّاسِ، وَصُنِّفَتْ كُتُبُ التَّفْسِيْرِ؛ لَزِمَ أَنْ: تَذْكُرَ هٰذِهِ المَوَاضِعَ الصَّعْبَةَ إِجْمَالًا وَنُوْرِدَ لَهَا أَمْثِلَةً، حَتّٰى لا يَحْتَاجَ المُفَسِّرُ عِنْدَ الخَوْضِ فِيْهَا إِلىٰ زِيَادَةِ بَيَانٍ، وَلا يَضْطَرَّ إِلَى المُبَالَغَةِ فِيْ الكَشْفِ عَنْهَا وَشَرْحِهَا(١).

=عُمَرَ بْن الخَطَّاب يَقُوْم عَلى المِنبَر، وَيَقْرأ ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝﴾ [عبس]، ثُمّ يَقُوْل: مَا الأَبُّ؟ -أيْ: لا أَدْرِي!-، ثمَّ قالَ: مَا كلِّفْنَا هٰذَا. [البخاري]؛ وَهٰذَا ابْن عَبّاس مُفسِّر القُرْآن يَقُوْل: كُنت لاأدْرِي مَا ﴿فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ﴾؟ حَتّٰى أَتَانِيْ الأَعْرَابيّان يَختصِمَان فِيْ بِئْر، فَقَال أَحدهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، وَالآخر يقوْل: ابْتَدَأتُها.

فَعُلِم أَنَّ الصَّحَابَة كَانُوا مُحْتَاجِيْن إِلى النَّبِي ﷺ فِيْمَا يَشكل عَلَيْهِم مِنَ الْقُرْآن؛ لٰكِنهُمْ غَيْر مُحْتاجِيْن إِلى تَفسِيْر جَمِيْع الْقُرْآن؛ وَلِذٰلِكَ إِنَّهُمْ لَا يَرْجِعُوْن إِلَى النَّبِي ﷺ إلَّا فِي الْمَوَاضِع الصَّعْبَة فَقَط، وَإِنَّمَا فُسِّر جَمِيْع الْقُرْآن بَعْد زَمَانِهِمْ.(رَوح القدير)

التَّفْسِير فِي عهْد التَّابِعِيْن

وَبعْد اِنْصِرَام عَهْد الصَّحابَة جَاءَ عَصْر التَّابِعِيْن الَّذيْن أَخَذُوا التَّفْسِيْر وَالْحدِيْث وَالْفِقْه وَسَائِر الْعُلُوْم الدِّيْنِيَّة عَنِ الصَّحَابَة، فَهُم أفْضَل مِمَّن جَاءَ بَعْدهُمْ عِلْما وَفَهْما، وَصِدْقا وَأَمَانَة، وَوَرْعا وَزُهْدا؛ وَلهٰذَا قَالَ النَّبِيﷺ فِي شَأنِهِمْ: خَيْرُكُمْ قَرْنِيْ، ثُمَّ الَّذِيْن يَلُوْنَهُمْ، ثُمَّ الَّذِيْن يَلُوْنَهُمْ.

وَاشْتَهَر بَعْض أعْلَام التَّابِعِيْن بِالتَّفسِيْر، كَمَا اشْتَهَر بَعْض أعْلَام الصَّحَابَة؛ فَتَكَلَّمُوا فِيْه وَفِيْ عُلوْمه، وَأَوْضَحُوا مَا خَفِي وَغَمَض مِن مَعَانِي الْقُرْآن وَمَعَارِفه؛ وَلٰكِنّ التَّفْسِيْر لَمْ يَكُن مُدَوَّنا وَلا مُرَتَّبا فِي كُتُب وَصَحَائِف فِيْ عَهْد التَّابِعِيْن أَيْضًا، نَعَم! هُنَاكَ أَجْزَاء مَنْسُوْبَة إِلَى التَّابِعِيْن -الَّتِي رَوَوْها عَن الصَّحَابَة-، غَيْرُ الشَّامِلَة لجَمِيْع القُرْآن، وَلذٰلِكَ لَمْ يُعَدّ هٰذَا الْعَمَل تدوِيْنا مُسْتقِلًا؛ إِنَّمَا التَّدوِيْن المُسْتَقِل بَعْد عَصْرِهِمْ. (رَوح القدير)

(١) قَوْله: (فِيْ الكَشْفِ عَنْهَا وَشَرْحِهَا): القَاعِدَةُ: سَبْعَةُ أُمُوْرٍ يَنْدَفِعُ بِهَا الْإِشْكَالُ عَنِ التَّفْسِيْرِ: ١- رَدُّ الْكَلِمَةِ لِضِدِّهَا، ٢- رَدُّهَا إِلَى نَظِيْرِهَا، ٣- النَّظَرُ فِيْمَا يَتَّصِلُ بِهِ مِنْ: خَبَرٍ أَوْ شَرْطٍ أَوْ إِيْضَاحٍ فِيْ مَعْنًى آخَرَ، ٤- دَلَالَةُ السِّيَاقِ، ٥- مُلَاحَظَةُ النَّقْلِ عَنِ الْمَعْنَىٰ الْأَصْلِيِّ، ٦- مَعْرِفَةُ النُّزُوْلِ، ٧- السَّلَامَةُ مِنَ التَّدَافُعِ.

يَعْنِي: ينْدَفع الإشْكال عنْد تَفْسِير آيَة مِن كتَاب الله بأمُوْر متعَدِّدَة، وهِي:

١- ردُّ الكلمَة لضدِّها، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ۝﴾ [الدهر]، فيُرَدّ النَّهي الوارِد فِيْ الآيَة إلى الأمْر، هٰكذا: "أَطِعْ آثِمًا أوْ كَفُوْرا"، ومعْناه: "أطِعْ واحِدًا منْهُما"؛ وعَلَيْه يَكُوْن المَعْنى فِيْ النَّهي: "لاتُطِعْ واحِدا منهُمَا".

٢- ردُّ الكلمَة إلىٰ نظِيْرها، لأنَّها قدْ تُوْجَد نَظائر هٰذِه الآيَة فِيْ مَوْضِع مطلَقَةً، وفِيْ آخر مقيَّدة؛ أو =

= في موضِع عامّةً، وفي آخَر مقيَّدة؛ كَما تكوْن في مَوضِع مُجْمَلة، وفي آخر مُفصَّلة.

٣- النَّظرُ فيْما يتَّصِل به، بأن يَكوْن أوّل الآيَة محتَمِلا لمعَان عديْدة، لكنّ الجزْء الأخِيْر منْها يبيِّن المطلُوْب؛ وقدْ يعرَف المَعْنى مِن آيَة أُخرى، أوْ مِن الحديْث، قَال تَعَالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة١٨٧]، فهٰذَا القدْر مِن الآيَة قدْ يشكِل المَعْنى؛ لكنْ قَوْله بعدَ ذٰلك ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ يبيِّن المطلوْبَ، وقَال تَعَالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام٨٢]، فهٰذِه الآيَة ممَّا يتَّضِح معْناه بدَليْل آخَر، وهُوَ تَفسِير النَّبِي ﷺ للظُّلْم فيْها بالشِّرْك.

٤- ودَلالَة السِّياق، حيْث يحصُل به بَيان المجْمَل، وتخصِيْص العامّ وتقيِيْد المطلَق، قَال تَعَالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ ... "ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ۝"﴾ [الدخان]، فالسِّياق هنَا يَدُلُّ عَلىٰ أنَّه الذَّليلُ الحقِير.

٥- مُلاحظة النَّقْل عنِ المَعْنى الأصْلي، لأنَّ اللفْظة قدْ تُستعار لمَعْنى مُشابِه، ثمَّ تُستَعار مِن المشابَه لمُشابَه المشابه، ويَتباعَد ذٰلك عنِ المسَمّٰى الحقِيْقي، كمَا أنَّ أصْل كلمَة: "دُوْن" للمَكان الذِي أنْزَلُ مِن مَكان غيْرِه؛ ثمَّ استُعِيْر هٰذَا اللَّفْظ للتعْبِيْر به عَن التَّفاوُت في الأحْوال والرُّتَب، فقيْل: "زيدٌ دُوْنَ عمْرٍو في العِلْم والشَّرَف"؛ ثمّ اتُّسِع فيْه، فاستُعِيْر هُو في كلِّ شَيء يتَجاوَز حدًّا إلىٰ حدٍّ ويَتَخَطّٰى حُكمًا إلىٰ حكْم آخر، كَمَا في قَوْله تَعَالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران٢٨]، فالمَعْنى: لا تتجاوَزُوا وَلاية المؤمِنِيْن إلىٰ ولايةِ الكافِرِين.

٦- ومعْرِفة سبَب النُّزُول، وهُوَ مِن أعظَم الأمُوْر المُعِيْنة عَلىٰ فهْم المَعْنى وإزالةِ الإشْكال. وقد ذكرناه في "رَوْح القَدِيْر" بالبَسْط. (محمَّد إليَاس)

٧- والسَّلامة عَن التَّدافُع، بأنْ كانَ اللفْظ يحتَمِل مَعْنَيَيْن: يلزَم مِن أحَدِهما معارَضة دَلِيْل آخَر، ولايوجَد للمَعْنى الآخَر معارِضٌ؛ فالمَعْنى الثّاني يقدَّم في هٰذه الحالة، كقَوْله تَعَالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة١٢٢]، وقَوْله تَعَالى: ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ۝﴾ [النساء]؛ فالثّانية تقتَضِي إمّا: طلَب الجمِيْع بالنَّفِير، أو إباحَته؛ فهِي معارَضةٌ للأولىٰ. (قواعد:٧٧٩ بتصرف، رَوح القدير)

أَسْبَابُ الصُّعُوْبَةِ

[أَسْبَابُ الصُعُوْبَةِ](١)

فَنَقُوْلُ: إِنَّ عَدَمَ الوُصُوْلِ إِلَى المُرَادِ مِنَ اللَّفْظِ يَكُوْنُ:

١- أَحْيَانًا بِسَبَبِ اسْتِعْمَالِ "لَفْظٍ غَرِيْبٍ"؛ وَعِلاجُه: نَقْلُ مَعْنَى اللَّفْظِ عَنِ الصَّحَابَةِ، وَالتَّابِعِيْنَ، وَسَائِرِ أَهْلِ المَعَانِي(٢).

---

(١) قَوْله: (أَسْبَابُ الصُعُوْبَةِ): اعْلَمْ! أَنَّ أَسْبَاب الصُعُوْبة التِيْ ذَكرَها المُحدِّث الشَّاه وليُّ الله -قُدِّس سرُّه- فَأكثَرُها هيَ التِيْ ذَكرَها الأُصُوْلِيُّون فِي ضِمْن "أَسْبَاب الخِلاف الوَاقِع بَيْن المُفَسِّرِيْن"؛ فمِنْ أَسْبَاب الخِلاف الوَاقِع بَيْن المُفَسِّرِيْن:

اختِلاف القِراءَات، واختِلاف وُجُوْه الإعرَاب، واختِلاف اللُّغوِيِّين فِي مَعْنى الكلمَة، واشتِرَاك اللَّفظ بَيْن مَعْنَيَين فَأكثَر، واحتِمَال الإطْلاق والتَّقْيِيْد، واحتِمَال العُمُوْم والخُصُوْص، واحتِمَال الحَقِيْقة والمَجَاز، واحتِمَالُ زِيَادَة الكَلمَة، واحتِمَال الكَلام: التَّرْتِيْب أو التَّقْدِيْم والتَّأْخِيْر، واحتِمَالُ أنْ يَكُوْن الحُكْم مَنْسُوْخا أوْ مُحْكَما، واختِلاف الرِّوَايَة فِي التَّفْسِير عنِ النَّبِيِّ ﷺ وعَنِ السَّلَف رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

وأيْضًا احتِمال الإضْمَار والاسْتِقْلال -كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة٩]، فالمُخادَعة تَقْتَضِيْ المُشَارَكة، وَاللهُ سُبْحانه مُنَزَّه عنْ ذٰلِكَ؛ فأُجِيْب بأَنّه مِن بَاب إضْمَار المُضَاف، أيْ: يُخَادِعُون رَسُوْل اللهِ؛ أوْ هُوَ مِن بَاب الاسْتِقْلال، والمُفاعَلةُ لَيْسَت عَلىٰ بَابِها؛ فإنّ "فاعَل" قَد يأْتِيْ بمَعْنى "فَعَل"، مِثل: عَافَانِيَ اللهُ، و قَاتَلهُمُ اللهُ. (أصول وقواعد بتقديم)

المَلْحُوْظَة: ويُمْكِن أنْ تَحْصِر تِلْك الأسْبَاب فِي أقسَامٍ ثلاثة: ١- أَسْبَاب صُعُوْبة فهم القرْآن المتعلِّقة بالعبَارَة، وَفِيْهِ سِتَّةُ مَبَاحِثَ؛ ٢- الأَسْبَاب المُتعَلِّقة بالمعَاني، وَفِيْهِ سَبْعَةُ مَبَاحِثَ؛ ٣-الأَسْبَاب المتعلِّقة باخْتِلافِ الاصْطِلاح؛ وذِكْرِ تَفْصِيله فِيْ كِتَابِنا "رَوح القدير أُصُوْل التَّفْسِيْر".

(٢/ ١) قَوْله: (نَقْلُ مَعْنَى اللَّفْظِ عَنِ الصَّحَابَة إلخ): وَمِن المَعْلُوْم أَنّ كَلَام الْعَرَبِي يَشْتمِل عَلىٰ الْحَقِيْقَة وَالْمَجَاز، وَالتَّصرِيْح وَالْكِنَايَة، وَالإِيْجَاز وَالإطْنَاب، وَالإجْمَال وَالتَّفْصِيْل، وَالإبْهَام وَالتَّبيِيْن، وَمَا أَشْبَه ذٰلِكَ مِن أَصْنَاف الْكَلَام، وَأَسَالِيْب الْبَيَان؛ فَالقُرْآن الْكَرِيْم أَيْضًا يَحْتَوِي عَلىٰ كُلّ ذٰلِكَ مِن صُنُوْف الْكَلَام وَأَسَالِيْب الْبَيَان؛ بَلِ القُرْآن يَعْلوْ وَيَفُوْق غَيْرَه بِوُجُوْه إعْجَازِيّة ذَكَرهَا الْعُلَمَاء فِيْ مَوْضِعها.

وَكَان الْقَوْم عَرَبا خُلَّصًا يَفْهمُوْن الْقُرْآن الْكَرِيْم بِمُقْتَضَى السَّلِيْقَة الْعَرَبِيَّة، غَيْرَ أَنَّ القُرْآن يَعْلُو عَلىٰ سَائِر كَلَام الْعَرَب بِأَلْفَاظه وَأَسَالِيْبه اللُّغَوِيّة وَالبَلَاغِيّة فَضْلا عَنْ مَعَانِيْه؛ وَمَعَ ذٰلِكَ أَنَّ الصَّحَابَة كَانُوْا مُتَفَاوِتِيْن فِي فَهْمه وَإِدْرَاكه بِحَسَب تَفَاوُتِهم فِي: مُلَازَمَة الرَّسُوْلِ ﷺ، وَمَعْرِفَة أَسْبَاب النُّزُوْل، وَالْعِلْم الشَّرْعِي؛ وَبِحَسَب تَفَاوُتِهم فِي أَدَوَات الفَهْم كَالعِلْم بِاللُّغَة؛ فَمَسَّت الحَاجَة لِفَهْم الْقُرْآن إِلىٰ =

٢- وَأَحْيَانًا لِقِلَّةِ الاطِّلاعِ عَلَى "النَّاسِخِ وَالمَنْسُوْخِ".

٣- وَأَحْيَانًا لِلغَفْلَة عَنْ "أَسْبَابِ النُّزُوْل".

٤- وَأَحْيَانًا بِسَبَبِ "حَذْفِ المُضَافِ أَوِ المَوْصُوْف" أَوْ غَيْرِهِمَا.

٥- وَأَحْيَانًا لِـ"إِبْدَالِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ"، أَوْ إِبْدَالِ حَرْفٍ بِحَرْفٍ، أَوْ اسْمٍ بِاسْمٍ، أَوْ فِعْلٍ بِفِعْلٍ؛ أَوْ لِـ"ذِكْرِ الجَمْعِ مَكَانَ المُفْرَد"، أَوْ بِالعَكْس؛ أَوْ للـ"الْتِفَاتِ مِنَ الخِطَاب إِلَى الغَيْبَة".

٦- وَأَحْيَانًا لِـ"تَقْدِيْمِ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيْرُ"، أَوْ بِالعَكْسِ.

٧- وَأَحْيَانًا بِسَبَبِ "اِنْتِشَارِ الضَّمَائِرِ"، أَوْ "تَعَدُّدِ المُرَاد مِنَ اللَّفْظَة الوَاحِدَةِ".

٨- وَأَحْيَانًا بِسَبَبِ "التَّكْرَارِ، وَالإِطْنَابِ".

٩- وَأَحْيَانًا بِسَبَبِ "الاخْتِصَارِ، وَالإِيْجَازِ"[1].

١٠- وَأَحْيَانًا بِسَبَبِ اسْتِعْمَالِ "الكِنَايَةِ، وَالتَّعْرِيْضِ، وَالمُتَشَابِهِ، وَالمَجَازِ العَقْلِيّ".

فَيَنْبَغِيْ لِلإِخْوَةِ السُّعَدَاءِ أَنْ يَطلِعُوا فِيْ مَبْدَأِ الكَلامِ[2]: عَلىٰ حَقِيْقَةِ هٰذِهِ الأُمُوْر، وَعَلىٰ شَيْءٍ مِنْ أَمْثِلَتهَا؛ وَيَكْتَفُوْا بِالرَّمْزِ وَالإِشَارَة فِيْ مَوَاضِعِ التَّفْصِيْل.

=تفسِيْر وَمُفسَّر يُفَسِّره. (رَوح القدير)

(٢/ ٢) قَوْله: (نَقْلُ مَعْنَى اللَّفْظِ عَنِ الصَّحَابَة): أَهْلُ المَعَاني: هُمُ الذِيْن لَهُمْ بَاعٌ طَوِيْل وقَدَم رَاسِخ فِيْ بَيَان مَعْنى اللَّفْظ القُرْآني، كالزُّجَاج والفَرَّاء وغَيْرِهما. (المعرِّب)

(١) قَوْله: (الاخْتِصَار وَالإِيْجَاز) إِعْلَم! أَنَّ الإِيْجَاز وَالاخْتِصَار بِمَعْنى وَاحِد عِنْد البُلغَاء، وَهُوَ: الجَمْعُ لِلمَعَانِي الكَثِيْرَة بِالأَلْفَاظ القَليْلَة؛ وَقَالَ ابْن سِيْده: بَيْن الإِيْجَاز وَالاخْتِصَار فَرْق مَنطِقيٌّ، فَالإِيْجَاز: تَجرِيْد المَعْنى مِنْ غَيْر رِعَايَة لِلفظ الأَصْل بِلَفْظ يَسيْر، وَالاخْتِصَار: تَجرِيدُ اللَّفظ اليَسِيْر مِنَ اللَّفْظ الكَثِيْر مَعَ بَقَاء المَعْنىٰ. (الحيوان للجاحظ، موصل الاعراب)

(٢) قَوْله: (الكَلَام): يَعْنِيْ: الكلامُ فِيْ تَفسِيْر القُرْآن الكَرِيْم. (المعرِّب)

[الفَصْل الأوَّل: فِيْ السَّبَبِ الأوَّل مِنْ أَسْبَاب الصُّعُوْبَة]

شَرح غَرِيْب القُرْآن(١)

وَأَحْسَنُ الطُّرُق(٢) فِيْ شَرح الغَرِيْبِ:

١- مَا صَحَّ عَنْ تَرْجُمَانِ القُرْآنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- (٣): عَنْ طَرِيْقِ

---

(١) قَوْله: (غَرِيْب القُرْآن): اعلَمْ! أنَّ فِي القُرآن ألفاظاً اصطلَح العُلماء عَلىٰ تَسْمِيتهَا بـ"الغرائب"، ولَيْس المُراد بغَرابتِها: أنّها مُنْكرة أو نافِرة أو شَاذّة، فإنَّ القُرآن مُنَزَّه عنْ هٰذا؛ وإنّما اللَّفْظة الغريْبَة هنَا: هيَ الَّتِيْ تَكُوْن حسَنَة مُسْتَغرَبة فِي التَّأويْل بِسَبَب تَرْك الاستِعْمَال، أو قِلَّتِه، بحَيْث لايَتَسَاوى فِي العِلْم بهَا أَهْلُها وسَائر النَّاس. (أصول وقواعد بزيادة)

(٢) قَوْله: (أَحْسَنُ الطُّرُق): أَمَّا شَرْح غَرِيْب الْقُرْآن فَهٰذَا مِمَّا يَنبَغِيْ الْاعْتِنَاء بِه، وَعَدَم الخَوْض بِالظَّنِّ؛ فَهٰذِه الصَّحَابَة -هُمُ الْعَرَب العَرَباء، وَأَصْحَاب اللُّغَة الْفُصْحىٰ، وَمنْ نَزَل الْقُرْآن فِيْهِمْ، وبِلُغَتهم- تَوَقَّفُوا فِي أَلْفَاظ لَمْ يعْرفُوا مَعْناهَا، فَلَم يَقولُوْا فِيْها شَيْئاً؛ وَقَد رُوِيَ عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: "أعْرِبُوا الْقُرْآن، وَالْتَمِسُوْا غَرَائِبَه"؛ فَعُلِمَ: أنَّ مَرْجِع مَعْرفَة الغَرِيْب هُوَ النَّقْلُ.

وَمَنْشَأ الغَرَابَة فِيْما عَدُّوه مِنَ الْغَرِيْب: أَنْ يَكُوْن ذٰلِك مِنْ لُغَاتٍ مُتفَرِّقة، أَوْ تَكُوْنَ مُسْتعْمَلَة عَلى وَجْهٍ مِنْ وُجُوْه الوَضْع، أَوْ سِيَاق الأَلْفَاظ قَدْ دَلّ بِالقَرِيْنة عَلىٰ مَعْنًى غَيْرِ الَّذِي يُفْهَم مِنْ ذَات الأَلْفَاظ؛ وَمِنْ أَلْفَاظ الْغَرَائِب: مَا يُسَمِّيْه أَهْلُ اللُّغَة بِالوُجُوْه وَالنَّظَائِر وَالأَفْرَاد.(رَوح القدير)

أَمَّا تَعرِيْف الوُجُوْه وَالنَّظائِر وَأَمْثِلتُهُمَا وَبَيَان الأَفْرَاد فَسَيأْتِي فِي "السَّبَب الثَّامِن مِنْ أَسْبَاب الصّعُوبَة" مِنْ هٰذَا البَاب.

المَلْحُوظَة: الأُصُوْلِيُّون يَذْكرُوْن فِي ضِمْن الغَرِيْب بَحْث المُتَرَادِفَة والمُتوارِدَة؛ فَالمترادِفَة هِيَ الَّتِيْ يُقَام مِنها لفْظ مَقَام لفْظٍ لمَعَانٍ مُتَقارِبة يجمَعُها مَعْنى واحِدٌ، كمَا يُقَال: أَصْلَحَ الفاسِدَ، ولَمَّ الشَّعَثَ، ورَتَقَ الفَتْقَ، ورأَبَ الصَّدْعَ؛ والمُتَوَارِدَةُ: هيَ كمَا يُسَمّٰى "الأَسَدُ" لَيْثًا وضِرْغاما.

الفَائِدة الجَلِيْلَة: أنَّه لَيْس فِي القُرآن الكَرِيْم مِن الألفَاظ المُتَرادِفة، أو المُتوارِدة، إِلَّا وفِي كلِّ مَعنًى مَقْصودٌ يُدرِكه مَن كانَ ضَلِيعًا فِي فِقْه اللُّغَة وأَسْرار العَرَبية. وهلْ وقَع التَّرَادُف فِي القُرآن؟ ففِيْه بعضُ التَّفصِيْل، ذَكَرْتُه فِي كتَاب: "فُصُوْل فِيْ أُصُوْل التَّفْسِير" عِنْد بَحْث "التَّرَادُف" ضِمْن القِسْم الثَّاني فِي قَوَاعِد التفسير. (أصول وقواعد)

(٣) قَوْله: (عَبْد الله بْن عَبَّاس): هُوَ صَحابِيٌّ جَلِيْل، حِبْرُ هٰذِه الأمَّة؛ وُلِد بمَكَّة سَنَة: ٣، ق هـ، وتُوُفِّي بالطَّائِف سنَة: ٦٨هـ. (المعرِّب)

ابْنِ أَبِيْ طَلْحَة[١]، وَاعْتَمَدَ عَلَيْهِ البُخَارِيُّ[٢] فِيْ صَحِيْحِهِ غَالِبًا؛ ثُمَّ طَرِيْقُ الضَّحَّاكِ[٣] عَنِ ابْنِ عَبَّاس؛ وَأَجْوِبَةُ ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنْ سُوَالاتِ نَافِعِ بْنِ الأَزْرَقِ[٤]؛ وَقَدْ ذَكَرَ السُّيُوْطِي[٥] هٰذِهِ الطُّرقَ الثَّلاثَ فِيْ كِتَابه: "الإِتْقَان فِيْ عُلُوْم القُرْآن"[٦].

٢- ثُمَّ مَا نَقَلَهُ البُخَارِيُّ مِنْ شَرْحِ الغَرِيْبِ عَنْ أَئِمّة التَّفْسِيْر[٧].

٣- ثُمَّ مَا رَوَاهُ سَائِرُ المُفَسِّرِيْن عَنِ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِيْن وَأَتْبَاعِهِم -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- مِنْ شَرْحِ غَرِيْب القُرْآن[٨].

---

(١) قَوْله: (ابْن أَبِيْ طَلْحَة): هُوَ عَلِيُّ بنُ أَبِيْ طَلْحَة سَالِم بنُ المُخَارِق الهَاشِمِي وَلاء، ولمْ يَصِلنا عنْ نَشأته وحَيَاته شَيء. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (البُخَارِي): هُوَ أَبُوْ عَبْد اللهِ مُحَمَّدُ بنُ اسْمَاعِيل البُخارِي إِمَام الدُّنْيا وجَبَل الحِفْظ، صَاحِب الصَّحِيْح؛ وُلدَ سنَة: ١٩٤هـ، وتُوُفِّيَ سنَة: ٢٥٦هـ. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (الضَّحَّاك): هُوَ ضَحَّاك بنُ مُزَاحِم الهِلالِيّ وَلاءً، البَلْخِيُّ الخُرَاسَاني، أَبُوْ القَاسِم: مُفسِّر؛ مَات سنَة: ١٠٥هـ. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (نَافِع بْن الأَزْرَق): نافِع بنُ الأَزْرَق الحَرُوْرِي مِنْ رُؤُوْس الخَوارِج؛ قُتِل سنَة: ٦٥هـ. (المعرِّب)؛ كَمَا ذَكَر البُخارِي نُبْذَة مِنْ أَسْئِلَة طُرِحَتْ عَلىٰ ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْه فِي الصَّحِيْح فِي كِتَاب التَّفسِيْر حٰمٓ السَّجْدَة.

(٥) قَوْله: (السُّيُوْطِي): هُوَ عَبدُ الرَّحْمٰن بن أَبِيْ بَكْر السُّيُوطِي جَلال الدِّيْن، إِمَامٌ حَافِظ؛ وُلد سنَة: ٨٤٩هـ، وتُوُفِي سنَة: ٩١١هـ؛ لهُ نحو: ٦٠٠ مصنَّف. (المعرِّب)

(٦) قَوْله: (الإِتْقَان فِيْ عُلُوْم القُرْآن): كِتَاب ماتِعٌ جَامِع مَطْبُوْع، وَضَعَه السُّيُوطِيّ كمُقدِّمة لتفسيْره، ذَكَر فِيْه عُلُوْم القُرْآن فِيْ ثَمَانِين نَوْعًا، وشَرْح الغَرِيْب فِي النَّوع: ٣٦. (المعرِّب)

(٧) قَوْله: (أَئِمَّة التَّفْسِيْر): كمُجَاهِد والحَسَن وقَتادة وغيرِهم. (المعرِّب)

(٨) قَوْله: (مِنْ شَرْح غَرِيْب القُرْآن): أَمَّا شَرْح غَرِيْب القُرْآن فَهٰذا مِمَّا يَنبَغِيْ الْاعْتِنَاء بِه، وَعَدَم الخَوْض بِالظَّنِّ؛ فَهٰؤُلَاء الصَّحَابَة -هُمُ الْعَرَب العَرباء، وَأَصْحَاب اللُّغَة الْفُصْحىٰ، وَمنْ نَزَل الْقُرْآن فِيْهِمْ، وَبِلُغَتهم- تَوَقَّفُوا فِي أَلْفَاظ لَمْ يعْرِفُوا مَعْناهَا، فَلَم يَقولُوْا فِيْها شَيْئًا؛ وَقَد رُوِيَ عَنْ أَبِيْ هُرَيْرَة عَنِ النَّبِي ﷺ: "أَعْرِبُوا الْقُرْآن، وَالْتَمِسُوْا غَرَائِبَه"؛ فَعُلِمَ: أَنَّ مَرْجِع مَعْرِفَة الغَرِيْب هُوَ النَّقْل.

المُلاحَظَة: قَال الإِمَام فِيْ آخِر الكِتَاب: وَمَبْنَاهُ: عَلىٰ تَتَبُّع لُغَةِ العَرَبِ، أَوِ التَّفَطُّن بِسِيَاقِ الآيَةِ وَسِبَاقِهَا، وَمَعْرِفَةِ مُنَاسَبَةِ اللَّفْظِ بِأَجْزَاءِ الجُمْلَةِ الَّتِي وَقَعَ هُوَ فِيْهَا؛ فَهٰهُنَا أَيْضًا لِلعَقْلِ مَدْخَلٌ، وَللاخْتِلافِ مَجَالٌ؛ لأَنَّ=

وَأَرَى مِنَ المُنَاسِبِ: أَنْ أَجْمَعَ فِي "البَابِ الخَامِس" مِنْ هٰذِهِ الرِّسَالَة جُمْلَةً صَالِحَةً[١] مِنْ شَرْحِ غَرِيْبِ القُرْآنِ مَعَ بَيَانِ أَسْبَابِ النُّزُوْل، وَأَجْعَلَهَا رِسَالَةً مُسْتَقِلَّةً[٢]؛ فَمَنْ شَاءَ ضَمَّهَا إِلَى هٰذِهِ الرِّسَالَة، وَمَنْ شَاءَ أَفْرَدَهَا عَلَى حِدَةٍ[٣].

"وَلِلنَّاسِ فِيْمَا يَعْشَقُوْنَ مَذَاهِبُ"

- **مَبْحَثُ طَرِيْقِ السَّلَفِ[٤] فِيْ شَرْحِ الغَرِيْب:**

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ هُنَا: أَنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِيْن -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- رُبَمَا يُفَسِّرُوْن

= الكَلِمَةَ الوَاحِدَةَ تَأْتِيْ فِيْ لُغَةِ العَرَب لِمَعَانٍ شَتَّى، وَتَخْتَلِف العُقُوْل فِي تَتَبُّع اِسْتِعْمَالاتِ العَرَب، وَالتَّفَطُّنِ بِمُنَاسَبَةِ السَّابِقِ وَاللاَّحِق؛ وَلِهٰذَا اخْتَلَفَتْ أَقْوَالُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْن فِيْ هٰذَا البَاب، وَسَلَكَ كُلٌّ مِنْهُمْ مَسْلَكًا؛ فَلابُدّ لِلْمُفَسِّر المُنْصِفِ: أَنْ يَزِنَ شَرْحَ الغَرِيْبِ مَرَّتَيْن: مَرَّةً فِيْ اسْتِعْمَالاتِ العَرَبِ، حَتَّى يَعْرِفَ: أَيُّ وَجْهٍ مِنْ وُجُوْهِهَا أَقْوَى وَأَرْجَحُ؛ وَمَرَّةً أُخْرَى فِيْ مُنَاسَبَةِ السَّابِقِ وَاللاَّحِق، حَتَّى يَعْلَمَ: أَيُّ الوَجْهَيْنِ أَوْلَى وَأَقْعَدُ بَعْد إِحْكَامِ المُقَدِّمَات، وَتَتَبُّعِ مَوَارِدِ الاسْتِعْمَال، وَتَفَحُّصِ الآثَار.

(١) قَوْله: (جُمْلَة صَالِحَة): أَيْ: مِقْدَارًا كَافِيا. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (رِسَالَة مُسْتَقِلَّة): سَمَّاها الإِمَام المُصَنِّف بـ"فَتْحُ الخَبِيْر بِمَا لابُدَّ مِنْ حِفْظِه فِيْ عِلْمِ التَّفْسِيْر".

(٣) قَوْله: (عَلَى حِدَةٍ): لَمْ نَضُمّ فَتْحَ الخَبِيْر مَعَ الفَوْزِ الكَبِيْر فِيْ طَبْعِنا هٰذَا، لِعَدَم شُمُوله فِيْ الدَّرْس فِيْ المَدَارِس الإِسْلامِيَّة بالهِنْد. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (طَرِيْقِ السَّلَفِ): اعْلَمْ أَنَّ لِلسَّلَف فِي تَفْسِيْرِهِمْ طُرُقًا وَتَعَابِيْر يَسْتَعْمِلُوْنها عِنْد تَفْسِيْر القُرْآن؛ فَهِيَ:

١- تَفْسِيْر اللَّفْظ بِالْمَعْنى المُطَابِقِي، أَيْ: بِالمَعْنَى الَّذِيْ وُضِع اللَّفْظُ لَه، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكِتَـٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ [الطور]؛ قَالَ قَتَادَة وَالضَّحَّاك: ﴿مَسْطُورٍ﴾ مَكْتُوْب.

٢-تَفْسِيْر اللَّفْظ بِالمَعْنى التَّضَمُّنِيّ، أَيْ: بِجُزْء مَعْنَاه، كَمَا فِي تَفْسِيْر قَوْله تَعَالَى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم۝٣١]؛ قَالَ ابْنُ القَيِّم: "﴿مُبَارَكًا﴾: مُعَلِّما لِلخَيْر أَيْنَما كنْتُ، وهٰذَا جُزْءُ مُسَمَّى المُبَارَك؛ فَالمُبَارَك: كَثِيْر الخَيْر فِيْ نفسِه الَّذِيْ يُحَصِّلُه لغَيْره تَعْلِيْما، أَو نُصْحا وإِرَادَة واجْتِهَادا...".

٣- تَفْسِيْر اللَّفْظ بِالمَعْنى اللاَّزِم، عَقْلا كَانَ ذٰلِكَ اللُّزُوْم أَوْ عُرْفًا، كَمَا فِيْ تَفْسِيْر قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ۝٦٥﴾ [الواقعة]؛ قِيْل: مَعناه: تَنْدَمُوْن، وهٰذَا تَفْسِيرٌ بِاللاَّزِم؛ وإِنَّمَا الحَقِيقَة: تُزِيْلُوْن عَنْكُم التَّفَكُّه، وإِذَا زَال التَّفَكُّه خَلَفَه ضِدُّه.(فصول)

٤- تَفْسِيْر اللَّفْظ بِالمِثَال، ومِن أَمْثِلَتِه قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَـٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود۝١١٤]؛ =

اللَّفْظ بِلازِمِ مَعْنَاهُ(١)؛ وَقَدْ يَتَعَقَّبُ المُفَسِّرُوْنَ المُتَأَخِّرُوْنَ ذٰلِكَ التَّفْسِيْرَ القَدِيْمَ(٢) مِنْ: جِهَةِ تَتَبُّعِ اللُّغَةِ(٣)، وَتَفَحُّصِ مَوَارِدِ الاسْتِعْمَالِ(٤).

= قِيْل: ﴿ٱلْحَسَنَٰتِ﴾: الصَّلَوَات، وقِيْل: قَوْل الرَّجُل: "سُبْحَان اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، ولَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ"؛ قَالَ ابنُ عطِيَّة: "هٰذَا كُلُّه عَلىٰ جِهَة المِثَال فِي الحَسَنات"؛ فَلَيْس هٰذَا بِخِلَاف بَيْنَهم.

٥- تفسِيْر اللَّفْظ بِالاعْتِبَار وَالْقِيَاس، ومِن أَمثِلتِه قَوْله تَعَالىٰ: ﴿لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء٤٣]؛ فقَدْ رُوِي عنْ ابْنِ عبَّاس فِي مَعْنى ﴿سُكَٰرَىٰ﴾: أَنَّه النُّعَاس؛ ورُوِي عنِ الضَّحَّاك أَنَّه قَال: "لمْ يَعْنِ الخَمْر، وإِنَّمَا عَنَى بِهِ سُكرَ النَّوْم".

قَالَ العَلَّامَة ابنُ تَيْمِية مُعَلِّقا عَلىٰ قَول ضَحَّاك: "وهٰذَا إِذَا قِيْل: إِنَّ الآيَة دَلَّت عَليهِ بطَرِيق الاعتِبَار -أَيِ: القِيَاس-، أو شُمُوْل مَعْنى اللَّفْظ العَامّ؛ وإِلَّا فَلارَيْب: أَنَّ سَبَب نُزُوْل الآيَة كانَ السُّكْر مِن الخَمْر، واللَّفْظ صَرِيْح فِي ذٰلِك، والمَعْنى الآخَر صَحِيْح أَيْضًا"؛ فصَحَّح ابنُ تَيْمِية دُخُولَ السُّكْر مِن النَّوم، أَو النُّعاس فِي مَعْنى الآيَة للمُقَايَسة بَينَهما، والعِلَّةُ هيَ عدَم الإِفَاقة.

٦- تَفسِيْر اللَّفْظ بِالإِشَارَة، وقَالَ العَلَّامة ابنُ تَيمِية: "تِلْكَ الإِشَارَات هيَ مِن بَاب الاعتِبَار والقِيَاس، وإِلحَاقِ مَا لَيْس بمَنْصُوْص بالمَنْصُوْص، مِثْلُ الاعتِبَار والقِيَاس الَّذِيْ يَسْتَعمُله الفُقَهاء فِيْ الأَحْكَام". وقَالَ فِي مَوضِع: "وهٰذَا -أَيِ التَّفسِيْر بالإِشَارَات- حَقٌّ إِذَا كَانَ قِيَاسًا صَحِيْحا، لا فَاسِدا؛ واعتِبَارا مُسْتَقِيْما، لا مُنْحَرِفا". (فتاوىٰ شيخ الإسلام بإحالة فصول فِي أصول التفسير: ٨٤)

(١) قَوْله: (بِلازِمِ مَعْنَاهُ): كتَفسِيْرِهم لـ﴿الوَدُوْد﴾ بأنَّه "المُحِبُّ لأَوْلِيَائِه" فِي قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ١٤﴾ [البروج]؛ فهٰذَا تفسِيْر بالمُطَابَقَة؛ وأَمَّا تَفسِير ﴿الوَدُوْد﴾ بـ"المَحبُوْب مِن أَوْلِيائِه" فتَفسِيْر باللَّازِم؛ لأَنَّ المُحِبّ لأَولِيَائه يَلزمُه مَحَبَّة أَولِيَائِه لهُ؛ ومِنْه قَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ٦٥﴾ [الواقعة]، قِيْل: مَعنَاه تَنْدَمُوْن، وهٰذَا أَيْضًا تفسِيْر باللازِم؛ لأَنَّ مَعْناه الحَقِيْقِي: تُزِيْلون عَنكُم التَّفَكُّه، وإِذَا زَال التَّفَكُّه خَلَفَه ضِدُّه. (فصول)

(٢) قَوْله: (التَّفسِيْرَ القَدِيْم): وفِيْه إِشَارَةٌ إِلىٰ قاعِدة: "لايَجُوْزُ حَمْلُ أَلْفَاظِ الكِتَاب عَلىٰ اصْطِلاح حَادِثٍ". [قواعد: ٢٥]

(٣) قَوْله: (تَتَبُّع اللُّغَةِ): معَ أَنَّ تعْقِيبهمْ غيرُ مُلائِم؛ قَال العَلَّامَةُ ابن تَيْمِية: وَقَد يَقَع فِي عِبارَاتِهم تَبَاينٌ فِي الأَلْفَاظ، يَحْسبُهَا من لا عِلمَ عِنْدَه اخْتِلَافا، وَلَيْس كَذٰلِك! فَإِنّ مِنهُم: مَنْ يُعبِّر عَنِ الشَّيْء بِلَازِمِه أَوْ نَظِيْره، وَمِنْهم مَنْ يَنص عَلَى الشَّيْء بِعَيْنه؛ وَيُرْجَع إِلىٰ لُغَة الْقُرْآن، أَوِ السُّنَّة، أَوْ لُغَة الْعَرَب؛ وَمَنْ تَكَلّم بِما يَعْلَم مِنْ ذٰلِكَ لُغَةً وَشرْعًا، فَلاحَرجَ عَلَيْه؛ وَيَحرُم بِمُجَرّد الرَّأْي. (رَوح القدير)

(٤) قَوْله: (مَوَارِدِ الاسْتِعْمَال): فمِثَاله قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الانبياء٤٧]؛ قَال فيْ أَضْواء البَيان: "وظَاهِر القُرْآن تعدُّد الموازِيْن لكُلّ شخْص، لقَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَمَن =

وَالغَرَضُ المَطْلُوْبُ فِيْ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ(١): سَرْدُ تَفْسِيْرَاتِ السَّلَفِ بِعَيْنِهَا، وَلِنَقْدِهَا وَتَنْقِيْحِهَا مَوْضِعٌ آخَرُ غَيْرُ هٰذَا المَوْضِعِ(٢)؛ فَـ"لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالٌ، وَلِكُلِّ نُكْتَةٍ مَجَالٌ".

= ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون]"؛ فظاهِر القُرْآن يَدُلُّ عَلىٰ أَنَّ للعامِل الواحِد موازِيْن يُوْزَن بكُلِّ واحِد منها صِنفٌ مِن أعمَالِه؛ والقاعِدة المقرَّرة فِيْ الأُصُوْل: "أَنَّ ظاهِر القُرْآن لايَجُوْز العُدُوْل عنه إلا بدَلِيْل يجِبُ الرُّجوْع إليه". (قواعد: ٨٤٣ ملخصا)

وفيهِ قاعِدة: "الأَصْلُ حَمْلُ نُصُوصِ الْوَحْيِ عَلىٰ ظَوَاهِرِهَا إِلاَّ لِدَلِيْلٍ" [قواعد: ٢٠٩]؛ والمرادُ بالظَّاهر هنَا:

١- هُوَ مَا يتَبَادَر إلى الذِّهْن مِن المعَاني -وهُوَ يختلِف بحسَب السِّيَاق ومَا يُضَافُ إليْه الكلام-؛ فالكلِمَة الواحِدة يَكُوْن لها مَعْنى فِيْ سِيَاقٍ ومَعْنىً آخَر فِيْ سِيَاقٍ آخر، وكذا تَرْكِيْب الكلام يفِيْد مَعْنىً عَلىٰ وجْه، ومَعْنى آخَر عَلىٰ وجْه.

٢- أَنَّ الأَصْل فِيْ نصُوْص الكتَاب والسُّنَّة: إِجْراؤُها عَلىٰ ظواهِرِها، دُوْن تعرُّض لها بتَحْرِيْف أو تعطِيْل ونحوِها؛ وينْبَغِيْ أَنْ يُعتقَد: أَنَّ ظاهِرها مطابِق لمرادِ المتكلِّم بها، لاسِيَّما فيْمَا يتعَلَّق بأُصُوْل الدِّيْن والإِيْمَان؛ إذ لامجَال فيْها للرَّأي.

٣- وفِيْ هٰذه القاعِدة ردّ عَلىٰ كثيْر مِن الطَّوائف، كالباطنيَّة الذِيْن زعَمُوا: أَنَّ للقُرْآن باطِنا يعرِفه الخَواصُّ؛ وفيْها ردّ عَلى الجهْمِيَّة -فِيْ كلامِهم عَلى الصِّفات-، وعَلىٰ المُرْجِئَة الذين زعَمُوا بأَنَّ المُرادَ بالآيات والأَخْبار الظاهِرة فِيْ تعذِيْب عُصَاة المؤمنِيْن الترهِيْبُ فقَط.

(١) قَوْله: (هٰذِهِ الرِّسَالَة): يَعْنِيْ فَتْح الخَبِيْر. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (غَيْرَ هٰذَا المَوْضِع): وَيُرْجَع إِلىٰ لُغَة الْقُرْآن، أَوِ السُّنَّة، أَوْ لُغَة الْعَرَب؛ وَمَنْ تَكَلَّم بِما يَعْلَم مِنْ ذٰلِكَ لُغَةً وَشرْعًا، فَلاحَرَجَ عَلَيْه؛ وَيَحرُم بِمُجَرَّد الرَّأْي.

أَمَّا الاحتِجَاج بالشِّعْر الجاهِلِي فمُخْتَلف فِيْه، فمِنْ زاعِم يَزْعم: أنَّه لايَجُوْز الاحْتِجَاج بهِ عَلى القُرْآن الكَرِيْم؛ لأَنَّه وَرَد ذَمُّه فِيْ القُرْآن والحدِيْث؛ والجُمْهُوْر مِن الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن ومَن بَعدَهم يُجِيزون التَّفسِيْر بالشِّعر، ونَرَى جَمْعا مِنَ الصَّحابَة يَسْتَشْهِدون فِيْ تفْسِيْر القُرآن بالشِّعْر الجاهِلِي؛ وممَّن يُعرَف بكَثْرة استِشْهاده بالشِّعر ابنُ عبَّاس؛ لأَنَّ الأَشْعَار الجاهِلِيَّة هِيَ وِعاء لهٰذِه اللُّغَة، ولهٰذَا قَالَ ابنُ عبَّاس: إِذَا سَأَلْتُمُوْنِي عَن غَرِيْب القُرْآن، فَالتَمِسُوْه فِي الشِّعْر؛ فــ"إِنَّ الشِّعْر دِيْوان العَرَب".

فَالْاسْتِشْهَاد بِالشِّعْر الجَاهِلِي فِي التَّفسِيْر جَائِز عِنْد جُمْهُوْر الصَّحَابَة وَالتَّابِعِيْن؛ وَإِنَّمَا قَدْ ذُمَّ الشِّعْر مِن نَاحِيَة الْمَعْنى -لِمَا فِيْه مِن: الْعَصَبِيَّة وَالْحَمِيَّة وَالتَّشبِيْب وَالتَّغزُّل وَالْحَمَاسَة وَالْهِجَاء-؛ لَا مِنْ =

الفَصْل الثَّانِيْ: فِيْ السَّبَبِ الثَّانِيْ مِنْ أَسْبَابِ الصُّعُوْبَةِ

مَعْرِفَةِ النَّاسِخِ وَالمَنْسُوْخِ(١)

مِنَ المَوَاضِعِ الصَّعْبَةِ فِيْ عِلْمِ التَّفْسِيْرِ -الَّتِيْ مَبَاحِثُهَا كَثِيْرَةٌ وَالاخْتِلافُ فِيْهَا

= ناحِيَة اللَّفْظ؛ فَإذا استشهَدنَا عَلى غَرِيْب القُرْآن بِالشِعْر، فَهُو مِنْ نَاحيَة اللَّفْظ فَقَطْ، وَمِثَاله: قَالَ نافِع لابْن عَبَّاس أَخْبِرْنِي عَنْ قَولِهِ تَعَالى: ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة٤٨]، قَالَ: الشِرْعَةُ الدِّيْنُ، وَالْمِنهَاجُ الطَّرِيْقُ. (رَوح القدير)

واستَشْهَد عَلَيْه ابنُ عبَّاس بقَوْل سُفْيان بنِ الحارِث بنِ عَبدِ المُطَّلب:

لَقَدْ نَطق المَأْمُوْن بالصِّدْق وَالهُدٰى * وَبَيَّن للإسْلام دِيْنًا ومَنْهَجًا

(١) قَوْله: (النَّاسِخ وَالمَنْسُوخ): وَأَمَّا أَقْسَام النَّسْخ بِاعْتبَار النَّاسِخ فَأَرْبَعَة:

١- أَمَّا نَسْخ الْقُرْآن بِالْقُرْآن، فَهُو جَائِز بِاتِّفَاق مَنْ يُعتَدّ بِه، نَحوُ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ﴾ [البقرة٢٤٠]؛ وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ﴾ [البقرة٢٣٤]؛ فَالأَوَّل مَنْسُوْخ بالثَّانِيْ.

٢- وأمَّا نَسْخ السُّنَّة بِالْقُرْآن، فَهُو أَيْضًا جَائِز عِنْد الجُمْهُوْر، كَوجُوْب صَوْم عَاشُوْرَاء مَنْسُوْخ بِقَوْله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾.

٣- وَأَمَّا نَسْخ الْقُرْآن بِالسُّنَّة، فَفِيْه خِلَاف وَتَفْصِيْل.

تَفْصِيْله: إِنْ كَانَ نَسْخ الْقُرْآن بالسُّنَّة الآحَاد، فَالجُمْهُور عَلىٰ عَدَم جَوازِه؛ وإِنْ كَانَ بالسُّنَّة المُتَوَاتِرة، فقَدْ أَجَازَه مَالِك وأَبُوْ حَنِيْفة وأَحْمَدُ فِي رِوايَةٍ، لقَوْلِه تَعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤﴾ [النجم]؛ ومَنَعَه الشَّافِعِي وأَحمَد فِيْ رِوايَة وأَهْلُ الظَّاهِر، لقَوْله تَعَالىٰ: ﴿مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ﴾ [البقرة١٠٦] مُسْتَدِلِّيْن بأَنَّ السُّنَّة لَيْسَت خَيْرا مِن القُرْآن وَلا مِثْله.

المَلْحوظة: أَمَّا الإِجْمَاع والقِيَاس فَلايَجُوْز بِهِمَا نَسْخ القُرْآن والحَدِيْث؛ نَعَم! قَدْ يُعْلَم النَّسْخ مِن الإِجْمَاع، فحِيْنَئِذ الإِجْمَاع دَالٌ عَلى النَّسْخ، لاهُوَ ناسِخ.

٤- وَأَمَّا نَسْخ السُّنَّة بِالسُّنَّة، فَهُو عَلىٰ أَرْبَعَة أَنْوَاع: نَسْخ الْمُتَواتِر بِالْمُتَواتِر، وَنَسْخ الآحَاد بِالآحَاد، وَنَسْخ الآحَاد بِالْمُتَوَاتِر، وَنَسْخ المُتَواتِر بِالآحَاد؛ فَالثَّلَاثَة الأُوْلىٰ جَائِزَة، وَفِي الرَّابِع خِلَاف كَمَا فِيْ "نَسْخ الْقُرْآن بِالآحَاد"، وَالجُمْهُوْر عَلىٰ عَدَم جَوَازه. =

وَاسِعٌ-: مَعْرِفَةُ النَّاسِخِ وَالمَنْسُوْخِ(١)؛ وَمِنْ أَقْوَى وُجُوْهِ الصُّعُوْبَة: إخْتِلافُ اصْطِلاحِ المُتَقَدِّمِيْن وَالمُتَأَخِّرِيْن.

- **مَا هُوَ مَعْنَى النَّسْخِ عِنْدَ المُتَقَدِّمِيْنَ:**

وَالَّذِيْ وَضَحَ لَنَا بِاسْتِقْرَاءِ(٢) كَلامِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنَ: أَنَّهُمْ كَانُوْا يَسْتَعْمِلُوْن

= وأمَّا النَّسْخ باعْتِبَار المَنْسُوْخ فَهُو عَلىٰ ثَلثَة أنْوَاع، الأول: مَا نُسِخَت تِلاوَتُه وَحُكْمه جَمِيْعًا؛ الثَّاني: مَانُسِخت تِلَاوَتُه، وَبَقِيَ حُكْمُه؛ الثَّالِث: مَانُسِخ حُكْمُه، وَبَقِيَتْ تِلَاوَته؛ وَالآيَاتُ المَنْسُوْخَةُ مِنْ هٰذَا القَبِيْل.

الملحوظة: وَاعْلَمْ! أنّ النَّسْخ بِاعْتِبَار التَّصْرِيْح وَعَدَمه يَنْقسِم إلىٰ نَوْعَيْن: صَرِيْح إنْ نَصَّ الشَّارِع عَلىٰ إبْطَال التَّشرِيْع السَّابِق، نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ (إلىٰ قَوْله:) ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ﴾ [الأنفال٦٦]؛ وَضِمْنِيٌّ إنْ لَمْ يَنُصّ الشَّارِع، كَما فِي الْآيَات الْمَنْسُوخَة الأُخرىٰ. (رَوح القدير)

(١) قَوْله: (مَعْرِفة النَّاسِخ وَالمَنْسُوْخ): واعْلَمْ! أنَّ النَّسْخ لايَكُوْن إلا فِي الْأَوَامِر وَالنَّوَاهِي -سَوَاءٌ أَكَانَت صَرِيحَة فِي الطَّلَب، أوْ كَانَت بِلَفْظ الخَبَر الَّذِي بِمَعْنى الْأَمْر وَالنَّهْي-، غَيْرَ مُتَعلِّق بـ:الاعْتقَادَات، أوِ الآدَاب الخُلُقيَّة، أوْ أُصُوْل الْعبَادَات وَالْمُعامَلَات. (رَوح القدير)

وذٰلِك؛ لأنَّ المُرَاد بِالنَّسْخ رَفعُ حُكمٍ ثَابِت سَابِقا، والأحْكَام تَكُوْن فِيْ الأوَامِر والنَّوَاهِيْ؛ ولايَكُوْن النَّسْخ فِي الأخْبَار المَاضِيَة؛ لأنَّه يَلزَم مِن رَفْع الخَبَر: أنْ يَكُوْن خَبَر اللهِ كاذِبا! واللهُ سُبْحانهُ وتعَالىٰ مُنَزَّه عنْ ذٰلِك.(شرح مقدمة التفسير)

وفِيه قاعِدة: "لايَقَعُ النَّسْخُ إلاَّ فِيْ الأمْرِ وَالنَّهْي، وَلَوْ بِلَفْظِ الخَبَرِ" [قواعد: ١٨١]؛ وَاعْلَمْ! أنّ الأخْبار المحْضَة لايتطرَّق إلَيْها النَّسْخ، لأنّ دُخُوْل النَّسْخ فيْها تكْذِيْب لقَائِلِهَا، وَاللهُ تعالىٰ مُنَزَّه عَنْ ذٰلِك؛ ويَدْخُل فِي هٰذَا القِسْم: القِصَص، والوَعْد والوَعِيْد، وجمِيعُ مَا أخْبَر الله تعالىٰ بِهِ عنْ نفسِه مِنْ: صِفات الكَمَال، وأفْعَاله الدَّالَّة عَلىٰ عَظمته، وكذا جمِيْعُ مَا أخبَرَ الله بِهِ عنِ: الملائِكة واليَوْم الآخِر وخَلْق السَّمَاوات والأرْض.

أمَّا الأمْر والنَّهْي فيَقَعُ علَيْهمَا النَّسْخ وإنْ كانَا بلَفْظ الخبَر، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾ [الأنفال: ٦٥]، مَنْسُوْخة بالآيَة الَّتِيْ بَعْدَها، وَهِيَ: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾؛ فَالمَنْسُوْخ هنَا خَبرٌ، ولٰكِنّ المُرادَ بِهِ الأمرُ. (قواعد، شرح مقدمة التفسير، الفوز الكبير)

(٢) قَوْله: (بِاسْتِقْرَاء): اسْتَقرَأَ الأمُوْر: تَتَبُّعهَا لمَعْرفَة أحْوَالها وخَواصِّها: جائزہ لینا۔ (المعرَّب)

"النَّسْخ" فِيْ مَعْنَاهُ اللُّغَوِيِّ الَّذِيْ هُوَ "إِزَالَةُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ"، لا بِمَعْنَىٰ مُصْطَلَحِ الأُصُوْلِيِّيْن(١)؛ فَمَعْنَى النَّسْخِ عِنْدَهُمْ: "إِزَالَةُ بَعْضِ أَوْصَافِ الآيَةِ بِآيَةٍ أُخْرىٰ"(٢)؛ سَوَاءٌ كَانَ ذٰلِكَ:

١- بِبَيَانِ انْتِهَاءِ مُدَّةِ العَمَلِ(٣).

٢- أَوْ بِصَرْفِ الكَلَامِ عَنِ المَعْنىٰ المُتَبَادِرِ إِلىٰ غَيْرِ المُتَبَادِرِ(٤).

---

(١) قَوْله: (الأُصُوْلِيِّيْنَ): النَّسخ عِند الأُصُوْليِّيْن بَيانُ انتِهاءِ حُكْم شَرْعِيٍّ بطَرِيْق شَرْعِي مُتَرَاخٍ عَنْه، حَتّى لايَجُوْز امْتِثَاله، وبعِبارة أُخْرىٰ: إنّه الخِطاب الدَّالُّ عَلَى ارْتِفَاع الحُكْم الثَّابِت بالخِطاب المُتَقَدِّم، عَلى وجهٍ لَوْلاه لَكان ثَابِتًا بِهِ، مَعَ تَرَاخِيْه عَنْه، ومَغْزَى الحَدَّيْن: أَنَّ المَنْسُوْخ لايَبْقى حُكْمُه فِيْ وَجْهٍ مِن الوُجُوْه، ولايَكُوْن لهُ مَحِيل مِن المَحَامِل، ولايَجُوْز امْتِثَالهُ فِيْ وَقتٍ مِن الأَوْقَات. (المعرّب)

المَلْحُوْظة: اعْلَمْ! أَنَّ حَقِيْقَة النَّسْخ إِظْهار مُدَّة الحُكْم للعِبَاد؛ فَالنَّسْخ إِلىٰ عِلْم اللهِ تعَالىٰ وَالوَاقِع بَيَانٌ، وبِالنِّسْبَة إِلَيْنا تَبْدِيْل. (النامي)

(٢) قَوْله: (بِآيَةٍ أُخْرىٰ): فَالنَّسخ عِند المُتَقَدِّمِيْن مُطْلَق التَّغْيِيْر الَّذِيْ يَطْرَء عَلىٰ بَعْض الأَحْكام. (المعرّب)

(٣) قَوْله: (انْتِهَاءِ مُدَّةِ العَمَل): كَآيَة النِّسَاء: ﴿وَٱلَّـٰتِي يَأْتِينَ ٱلْفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ ..... حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾﴾ منسوخة بآية النور: ٢ ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾؛ فَعِند نُزُوْل الثَّانِية قَال رَسُوْل اللهِ ﷺ -كَمَا رُوِي عنْ عُبادَة بنِ الصَّامِت رَضِيَ الله تَعَالىٰ عَنه-: "خُذُوْا عَنِّيْ! فَقَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيْلًا" [الترمذي: ١٤٣٤].

(٤/ ١) قَوْله: (صَرْفِ الكَلامِ): كَآيَة المَائِدَة: ١٠٦ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، أَيْ: مِنْ غَيْر مِلَّتِكُمْ؛ فهٰذه مَنْسُوْخة بآيَة الطَّلاق: ٢ ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، أَيْ: مِن أَهْلِ العَدَالَة والاستِقَامَة مِمَّن يثِقُوْن فِيْ دِيْنِهما وأَمَانتِهِمَا. (جلالين، صفوة)

(٤/ ٢) قَوْله: (إِلىٰ غَيْر المتبَادِر): كقَوْله تعَالىٰ: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة١٨٧]، مَنْسُوخَة -عِندَ المتَقدِّمِين، كَمَا ادَّعى الطَّحاوِي وَالدَّاوُدِي: أَنَّه مِنْ بَاب النَّسْخ، وَأَنَّ الحُكْم أَوّلا عَلىٰ ظَاهِره المَفهُوْم مِنَ الخَيْطَيْن، وَاسْتَدلَّ عَلىٰ ذٰلِكَ بِمَا نُقِلَ عَنْ حُذيْفَة وَغَيْرِه مِنْ جَوَاز الأَكْل إِلَى الإسْفَار، قَالَ: ثُمَّ نُسِخَ بَعْد ذٰلِكَ بِقَوْله تَعَالىٰ: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾.

المَلْحُوْظَة: أَمَّا عَدِيّ فَكَأَنّه لَمْ يَكُنْ فِيْ لُغَة قَوْمه اسْتِعارَة الخَيْط لِلصُّبْح، وَحَمَل قَوْلَه: ﴿مِنَ =

٣- أَوْ بِبَيَانِ كَوْنِ القَيْدِ إِتِّفَاقِيًّا(١).

٤- أَوْ بِتَخْصِيْصِ عَامٍّ(٢).

٥- أَوْ بِبَيَانِ الفَارِقِ بَيْنَ المَنْصُوْصِ، وَبَيْنَ مَا قِيْسَ عَلَيْهِ ظَاهِرًا(٣).

= ﴿ٱلْفَجْرِ﴾ عَلَى السَّببِيَّة، فَظَنَّ: أَنَّ الغَايَة تَنتَهِي إِلَى أَنْ يَظْهَر تَمييْز أَحَد الخَطَّيْن مِنَ الآخَر بِضِيَاء الفَجْر؛ وَهٰذِه الاسْتعَارَة مَعرُوْفَة عِنْد العَرَب؛ وَقَدْ أَخْرَج قَوْله: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ مِنَ الاسْتِعَارَة إِلَى التَّشْبِيْه؛ كَمَا أَنَّ قَوْلهمْ: "رَأَيْت أَسَدًا" مَجَاز، فَإِذَا ذُكِرَت فِيْه "مِنْ فُلَان" رَجَع تَشْبِيْها. (بخاري: ١٩١٧، فتح الباري)

(١/ ١) قَوْله: (كَوْنِ القَيْدِ إلخ): كَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣]، الرَّبِيْبَة: بِنْت امْرَأة الرَّجُل مِنْ غَيْرِه؛ قَالَ ابْن عَطِيَّة: "قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ ذَكَر الأَغْلَبَ فِي هٰذِه الأُمُوْر، إِذْ هِيَ حَالَة الرَّبِيْبَة فِي الأَكْثَر، وَهِيَ مُحَرَّمَة وَإِنْ كَانَت فِي غَيْر الحِجْر"؛ فَعُلِم مِنْه: أَنَّ قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ قَيْد اتِّفَاقِي، لَا لِلاحْتِرَاز.

المَلْحُوظَة: وقَدْ يُذْكَرُ لَفظٌ لبَيَان الحَالة الَّتِيْ كَانَ النَّاسُ عَلَيْها في الجَاهِليَّة، كقَوْله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]، فقوله: ﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ لَيْسَ قَيْدا للاحْتِراز، ولاللشَّرْط؛ بلْ لبَيَان الحَالة والتَّشْنِيْع عَليْهِم. (صفوة ملخصا)

(١/ ٢) قَوْله: (كَوْنِ القَيْدِ إلخ): وَكَآيَة النِّسَاء: ١٠١ ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾ [النساء: ١٠١]، فسَأَل عُمَر رضي الله عنه عَنْ قَيْد ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾، فقَالَ رَسُوْل اللهِ ﷺ: "صَدَقَةٌ تَصَدَّق اللهُ بِهَا عَلَيْكم، فَاقْبَلُوْا صَدَقَتَه"؛ فعُلِم: أَنَّ هٰذَا القَيْد اتِّفَاقِيٌّ، يَعْني أَنَّ هٰذا القَيْد لَيْس للشَّرْط، وإِنَّمَا خَرَج مَخْرَج الغَالِب؛ إِذَا كَانَ الغَالِب عَلَى المُسْلِمِيْن الخَوْف فِيْ الأَسْفَار.

المَلْحُوظَة: واعْلَمْ! أَنَّ المُرَاد بالقَيْد هنَا هُوَ مُصْطَلَح البُلَغَاء، أَيْ: مَا زَاد عَلَى الرُّكْنَيْن -مِن المُسْنَد وَالمُسْنَد إِلَيْه- فهُوَ قَيْدٌ، ويُؤتَى فِيْ الكَلام بالقَيْد لأَغْرَاض مُخْتَلِفة، مِنْها: التَّوْشِيْح والتَّتْمِيْم والإِيْغَال والاحْتِرَاس أو التَّكْمِيْل وغَيْرُها. والتَّفصِيْل فِيْ كتُب البَلاغة.

(٢) قَوْله: (بِتَخْصِيْصِ عَامٍّ): التَّخْصِيْص: هُوَ قَصْر العَامِّ عَلَى بَعْض أَفْرَادِه، كَآيَة البَقَرَة: ٢٨٤ ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ مَنْسُوخَة -عِنْد المُتَقَدِّمِينَ- بِآيَة البَقَرَة: ٢٨٦ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾؛ مَعَ أَنَّ المُرَاد فِي الأُوْلَى: مَا فِيْ أَنفُسِكُم مِن الإِخْلَاص والنِّفَاق، لا مِنْ أَحَادِيْث النَّفْسِ الَّتِيْ لَا اخْتِيَار فِيْهَا.

(٣) قَوْله: (مَا قِيْسَ عَلَيْهِ إلخ): كقَوْلِهِ تعَالى حَاكيًا عنِ المُشْرِكِيْن: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]؛ هٰذَا منْ أَقْيِسَتهم الفَاسِدة، فنَسَخه اللهُ تعَالَى بِبَيانِ الفَارِق بَيْنَهما بقَوْله: ﴿وَأَحَلَّ =

٦- أَوْ بِإِزَالَةِ عَادَةٍ مِنَ العَادَاتِ الجَاهِلِيَّةِ[1].

٧- أَوْ بِرَفْعِ شَرِيْعَةٍ[2] مِنَ الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ[3].

- **الآيَاتُ المَنْسُوْخَةُ عِنْدَ المُتَقَدِّمِيْنَ:**

فَاتَّسَعَ بَابُ النَّسْخِ عِنْدَهُمْ، وَكَثُرَ جَوْلانُ العَقْلِ فِيْهِ، وَاتَّسَعَتْ دَائِرَةُ الاخْتِلافِ لَدَيْهِمْ؛ وَلِذٰلِكَ بَلَغَتِ الآيَاتُ المَنْسُوْخَةُ عِنْدَهُمْ إِلَى خَمْسِ مِأَةِ آيَةٍ؛ بَلْ

= ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥].

وَكَآية آل عمران: ١٠٢ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾، قيل منسوخة بآية التغابن: ١٦ ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾، كَمَا قَالَ المحَلِّي فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ بأَنْ يُطاع فلايُعصى، ويُشكَر فلايُكفَر، ويُذكر فلايُنسى؛ فقالوا: يارَسولَ الله! ومَن يَقْوى علىٰ هٰذا؟ فنُسِخ بقَوْله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

(١) قَوْله: (مِنَ العَادَاتِ الجَاهِلِيَّةِ): كَتَحْدِيْد عَدَد الزَّوْجَات بِأَرْبَع، قَال الله تعَالىٰ: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء:٣]؛ ذَكَر جَماعَة: أَنَّ هٰذِه الآيَة نَاسِخة لِمَا كانُوْا عَليه فِي الجاهِلِيَّة، كانَ لرَجُل أَنْ يتزوّج ما شَاء مِن عِدَّة نسَاء؛ فنسَخ الله ذٰلكَ بهٰذه الآية، وجَعَل أَقصىٰ مَا يَجُوْز للرَّجل أَنْ يتزوَّج أربَعًا. (ناسخ القرآن ومنسوخه، مباحث)؛ وَقَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١]؛ لأَنَّ أَهلَ الجَاهِلِيَّة كَانُوْا يَطُوْفُوْن بالبَيْت عُرْيانًا.

(٢) قَوْله: (بِرَفْعِ شَرِيْعَةٍ): الشَّرِيْعَة: الطَّرِيْقَة، وَهِيَ مَا شَرَعَه اللهُ لعِبَادِه مِنَ العَقَائِد وَالأَحْكَام.

(الوسيط)

(٣) قَوْله: (مِنَ الشَّرَائِع السَّابِقَة): ومِثَاله مَا أَخْرَجَه البُخارِي، عنْ ابنِ عبَّاس قالَ: "كانَ فِيْ بَنِيْ إِسْرَائِيْل القِصَاص، وَلَمْ تَكُن فِيْهِم الدِّيَة، فقَالَ الله تعَالىٰ لهٰذِه الأُمَّة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ [البقرة:١٧٨]، فالعَفْو: أَنْ يَقْبَل الدِّيَة فِيْ العَمْد، ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ﴾ [البُخاري: ٤٤٩٨]؛ وزَادَ النَّسَائي: بَعْد قَوْله: ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ﴾ "ممَّا كُتِب علىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم إِنَّمَا هوَ القِصَاص لَيْس الدِّيَة" [النسائي: ٤٧٨١]؛ فهٰذِه نَاسِخة لِمَا كانَ عَلَيْه بَنُوْا إِسْرَائِيْل مِن القِصَاص بِغَيْرِ الدِّيَة. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

وَكَآية البَقرة: ١٨٣ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾، فمُقْتَضَاها المُوَافَقة فِيْما كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ تَحْرِيْم الأَكْل وَالوَطْء بَعْد النَّوْم؛ فَهِيَ مَنْسُوْخة بآيَة البَقَرة: ١٨٧ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ﴾.

إِذَا حَقَّقْتَ النَّظَرَ تَجِدُهَا غَيْرَ مَحْصُوْرَةٍ(١)؛ وَأَمَّا المَنْسُوْخُ حَسَبَ اصْطِلاحِ المُتَأَخِّرِيْنَ فَلايَتَجَاوَزُ العَدَدَ القَلِيْلَ(٢)، لاسِيَّمَا حَسَبَ مَا اخْتَرْنَاهُ مِنَ التَّوْجِيْهِ.

[عَدَدُ الآيَاتِ المَنْسُوْخَةِ عِنْد المُتَأَخِّرِيْن]

وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ جَلالُ الدِّيْنِ السُّيُوْطِيُّ فِيْ "الإتْقَان" -عَنْ بَعْضِ العُلَمَاء- مَا ذَكَرْنَاهُ آنِفًا بِتَقْرِيرٍ مَبْسُوْطٍ، كَمَا يَنْبَغِيْ؛ ثُمَّ حَرَّرَ(٣) المَنْسُوْخَ طَبْقَ رَأْيِ المُتَأَخِّرِيْن -مُوَافِقًا لِرَأْيِ الشَّيْخِ ابْنِ العَرَبِيِّ(٤)-، فَعَدَّهُ قَرِيْبًا مِنْ عِشْرِيْنَ آيَةً؛ وَلِلفَقِيْرِ فِيْ أَكْثَرِهَا نَظَرٌ(٥)! فَلْنُوْرِدْ كَلامَهُ مَعَ التَّعْقِيْبِ(٦).

(١) قَوْله: (غَيْرَ مَحْصُوْرَة): إِذْ لَوْ عُدَّ مِثلُ ذٰلِك فِيْ النَّاسِخ والمَنْسُوخ لعُدَّ جَمِيْع القُرْآن مِنه؛ إذْ كُلُّهُ أَوْ أَكثَرُه تَغْيِيْر لمَا كانَ عَلَيْه المُشْرِكون وأَهْلُ الكِتَاب مِنْ قَبْل. (المعرَّب)

(٢) قَوْله: (العَدَدَ القَلِيْل): فَما أُمِرَ به بِسَبَبٍ، ثمَّ زَال ذٰلكَ السَّبَب فَارتَفَع الحُكْم بِزَوَال سَبَبِه، فَلَيْس هٰذَا بنَسْخ؛ فَكَثِيْر مِن الآيَات الَّتِيْ تَأمُر فِيْ حَال الضُّعْف والقِلَّة بالصَّبْر وبالمَغفِرة لِلَّذِين لايَرْجُوْن أَيَّامَ الله، ونَحوِ ذٰلِكَ مِمَّا هوَ مَعرُوْف فِيْ كِتَاب الله -وهِيَ مِأة وأَربَعٌ وعِشرُوْن آيَة- لَيسَت بمنْسُوْخة بآيَةِ السَّيْف؛ وقدْ زَعَم جَماعَة مِن المفسِّرِيْن: أنّ ذٰلكَ كُلَّه مَنسُوْخ بآيَة السَّيْف؛ ولَيْسَ هٰذَا بصَحِيْح؛ بَل الجمِيْع مُحْكَم، لٰكِنْ يَنبَغِي أَنْ يُنزَّل كُلّ نَوْع مِنْ تِلْك النُّصُوْص عَلَى الحَال الَّتِيْ تُناسِبُه؛ فالصَّبْر والعَفْو فِي حالِ الضُّعْف، والقَتلُ والإثْخَان فِيْ حَال القُوَّة. (قواعد: ٧٤٠ بتقديم)

(٣) قَوْله: (حَرَّرَ): حَرَّر الكِتَاب: قَوَّمَه وَحَسَّنَه وَجَوَّد خَطَّه. (الرائِد)

(٤) قَوْله: (ابْن العَرَبِي): هُوَ أَبُوْ بَكْر محمَّد بنُ عَبْد اللهِ القَاضِيْ المَالِكِي، المَعْرُوْف بابْن العَرَبِي المَعافِرِي الأَنْدُلُسِي؛ صَاحِب عَارِضَة الأَحْوَذِي وأَحْكَام القُرْآن؛ وُلِد سنَة: ٤٦٨هـ، وتُوُفِّيَ سنَة: ٥٤٣هـ؛ وهُوَ غَيْر الشَّيْخ ابْن عَرَبِي الصُّوْفِي، هُوَ مُحْيِ الدِّيْن محمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ محمَّد بْنِ أَحْمَد؛ صَاحِب الفُتُوْحَاتُ المَكِّيَّة وفُصُوْص الحِكَم؛ وُلِد سنَة: ٥٦٠هـ، وتُوُفِّيَ سنَة: ٦٣٨هـ. (المعرَّب بزيادة)

(٥) قَوْله: (فِيْ أَكْثَرِهَا نَظَرٌ): وفِيْ بابِ النسخ قواعِدُ: "الأَصْلُ عَدَمُ النَّسْخ" [١٨٢]؛ "النَّسْخُ لايَثْبُتُ مَعَ الاحْتِمَالِ" [١٨٠]؛ "نَسْخُ جُزْءِ الحُكْمِ أَوْ شَرْطِهِ لايَكُوْنُ نَسْخًا لأَصْلِهِ" [١٨٣]؛ "كُلُّ مَا وَجَبَ امْتِثَالُهُ فِيْ وَقْتٍ مَّا لِعِلَّةٍ تَقْتَضِيْ ذٰلِكَ الحُكْمَ، ثُمَّ يُنْتَقَلُ بانْتِقَالِهَا إِلىٰ حُكْمٍ آخَرَ؛ فَلَيْسَ بِنَسْخٍ"، [١٨٤]؛ "كُلُّ حُكْمٍ: وَرَدَ فِيْ خِطَابٍ مُشْعِرٍ بِالتَّوْقِيْت، أَوْ رُبِطَ بِغَايَةٍ مَجْهُوْلَةٍ، ثُمَّ انْقَضَى بانْقِضَائِهَا؛ فَلَيْسَ بِنَسْخٍ" [١٨٥]. (قواعد) =

فَمِنَ البَقَرَة:

* ١- قَوْلُهُ تَعَالىٰ[1]: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾[البقرة١٨٠] الآيَةَ[2]، مَنْسُوْخَةٌ، قِيْلَ: بِآيَةِ المَوَارِيْثِ[3]، وَقِيْلَ: بِحَدِيْثِ: "لَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ[4]"،

= (٦) قَوْله: (مَعَ التَّعْقِيْب): التَّعْقِيْب عَلَى الكَلَام: التَّعْلِيْق عَلَيْه وتَفْسِيْره تَأْيِيْدًا أَوْ مُعَارَضَة. (مُعجَم الغني)

المَلْحُوْظَة: اعْلَمْ! أنّه لابدّ في النَّسْخ مِن دليْلٍ يدلّ عليْه، سَواء كانَ مِن الآية نفْسِها -كقَوْله تعالىٰ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾ [المجادلة]-، أو بواسِطة النَّقل الصَّريْح عنْ رسُوْل اللهِ ﷺ، أو عَن الصَّحابة أو إجْماع الأمَّة، أو عَن طرِيْق وُقُوْع التَّعارُض الحقِيْقي مَعَ معرِفة التَّارِيْخ -لأنّه دَليْل عَلى النَّسْخ-، كقَوْله تَعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ﴾ [البقرة٢٣٤]، فهٰذه الآية ناسِخة لقوْله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ﴾ [البقرة٢٤٠].

(١) قَوْله: (* قَوْلُهُ تَعَالىٰ): فَمَا أَشَرْنَا فِيْ بِدايَة الآيَة بـ(*) فَهِيَ مِمَّا قَالَ المُصنِّف فِيْها بِالنَّسْخ.

(٢/ ١) قَوْله: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ إلخ): وتَمَام الآيَة: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِيْنَ بِٱلْمَعْرُوْفِ، حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِيْنَ﴾. (المعرِّب)

(٢/ ٢) قَوْله: (كُتِبَ عَلَيْكُمْ): قَالَ الفَرَّاء: ﴿كُتِبَ﴾ فِيْ القُرْآن بمَعْنىٰ "فُرِضَ"؛ وهٰذِه القَاعِدَة مِن قَبِيْل كُلِّيَّات القُرْآن: وذَكَرْت عدَّة مِنَ كُلِّيَّات القُرْآن فِيْ آخِر كتَابِنا "رَوح القدير فِي أصول التفسير".

(٣) قَوْله: (مَنْسُوْخَةٌ قِيْلَ بِآيَةِ المَوارِيْث): وَهُوَ قَوْلُ ابنِ عُمَر وعِكْرِمة ومُجاهِد وقَتَادة وشُرَيْح ومَالِك والشَّافعي، وهٰذا القَوْلُ رَاجِحٌ؛ والمُرَادُ بآيَةِ المَوارِيْث قَوْله تَعَالىٰ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ﴾ الآيَاتُ مِنْ سُوْرة النِّسَاء: ١٠ - ١٤.

(٤/ ١) قَوْله: (لَاوَصِيَّةَ لِوَارِثٍ): رَوَاهُ عَشَرة مِنَ الصَّحابَة، وخَرَّجه أصْحاب السُّنَن غيرَ النَّسَائي عنْ أَبِيْ أمَامة، وغَيْر أبِيْ داوُد عَنْ عَمْرو بْنِ خَارِجَة، وقَالَ التِّرمِذي: حَدِيثٌ حَسَنٌ صحِيْح (انتهىٰ)؛ وتَلَقَّتْه الأئمَّة بالقَبول. (المعرِّب)

(٤/ ٢) قَوْله: (لَاوَصِيَّةَ لِوَارِثٍ): اعْلَمْ! أَنَّ الوَصِيَّة واجِبَة للوَالِدَين والأقْرَبِيْن قَبلَ المَوارِيْث، لأَنَّهُم كانُوْا يُوْصُوْن للأبْعَدِيْن طَلَبًا للفَخْر والشَّرَف، ويَتْرُكُوْن الأقَارِب فِيْ الفَقْر والمَسْكَنَة؛ فَأَوْجَب اللهُ تعَالىٰ فِيْ أوَّل الإسْلَام الوَصِيَّة لهٰؤلاء مَنْعا للقَوْم عمَّا كانُوْا اعتَادُوْه، وجَعَل اللهُ الخِيَار إِلَى المُوْصِي فِيْ مَالِه، وأَلْزَمَه: أنْ لايَتَعدَّى فِيْ إخْراجِه مَالَه بَعدَ مَوْته عنِ الوَالِدَين والأقْرَبِين، فَيَكون واصِلا إلَيْهم بتَمْلِيْكه=

وَقِيْل بِالإِجْمَاع[1]؛ حَكَاهُ ابْنُ العَرَبِيِّ.

قُلْتُ[2]: بَلْ هِيَ مَنْسُوْخَةٌ بِآيَةِ: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ﴾ [النساء:١١]؛ وَحَدِيْثُ: "لا وَصِيَّةَ.." مُبيِّنٌ لِلنَّسْخ[3].

٢- قَوْلُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ طَعَامُ مِسۡكِينٍۖ﴾ [البقرة:١٨٤]، قِيْلَ: مَنْسُوْخَةٌ[4] بِقَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة:١٨٥]؛ وَقِيْلَ:

= واختيَاره؛ ولٰكِنْ لمَّا نَزلت آيَة المَوارِيْث قَال عَلَيْه الصَّلوٰة والسَّلام: "إنَّ اللهَ قدْ أعْطىٰ كُلَّ ذِيْ حَقٍّ حَقَّه، فَلا وَصِيَّة لوَارِث"؛ فبَيَّن: أنَّ مَا تَقَدَّم كَانَ واصِلا إلَيْهم بوَصِيَّة المُوْصِي، فأمَّا الآنَ فاللهُ تعَالىٰ قَدَّر لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حقَّه، وأنَّ عَطيَّة اللهِ أوْلىٰ مِن عَطيَّة المُوصِي؛ وإذَا كَان كَذٰلك فَـ"لَا وَصِيَّة لِوَارِث" البَتَّة. (الرازي ملخصا)

المَلحُوْظة: اعْلَمْ! مِن قَبِيْل تَفْسِيرِ القُرْآن بالسُّنَّة: تَخْصِيْصُ العَامِّ، وتَقْيِيْد المُطْلَق، والتَّعْرِيْف بالمُبْهَم، وبيَان المُجْمَل، وبَيَان الأَلْفَاظ، وتَفْصِيْل القِصَص، وبَيَان النَّسْخ؛ ولمَّا كَانَتْ أَحَادِيث البَاب تَلَقَّتْها الأمَّة بالقَبُوْل انتَظَمَتْ فِيْ سِلْك المُتَواتِر في صِحَّة النَّسْخ بها.

وَهٰذا مِنْ قَبِيل نَسْخِ الْقُرْآن بِالسُّنَّة، وَقَدْ أَجَازَه مَالِك وَأَبُوْ حَنِيْفَة وَأَحْمَد فِيْ رِوَايَة، وَمنَعه الشَّافِعِي وَأَحْمَد فِي رِوايَة وَأَهْل الظَّاهِر؛ وقَدْ مرَّ تَفْصِيله في بِدايَة هٰذا الفَصل.

(١) قَوْله: (وَقِيْلَ بِالإجْمَاع): أَيْ: بإجْمَاع الصَّحَابَة عَلَيْه، وَالإجْمَاع حُجَّة؛ وَاعْلَمْ! أَنَّ الإجْمَاع وَالقِيَاس لا يَجُوْز بِهِمَا نَسْخ القُرْآن وَالحَدِيْث؛ نَعَمْ! قَدْ يُعْلَم النَّسْخ مِنَ الإجْمَاع، فَحِيْنَئِذ الإِجْمَاع دَالّ عَلى النَّسْخ، لا هُوَ نَاسِخ.

(٢) قَوْله: (قُلْتُ): هٰذِه الآيَة أَوَّل آيَة مِن الآيَات الخَمس التِيْ أَقرَّها الإمَامُ عَلىٰ نَسْخِها.

(٣) قَوْله: (مُبَيِّن لِلنَّسْخ) قَالَ الشَّيْخ سَعِيْد أَحْمَد البَالنْبُوْري: "عِنْدي وَجْه آخَر، وَهُو: أَنَّ الآيَة مَعمُولَة فِيْ بَعْض الوُجوْه، أَيْ: إِذَا خَافَ المُوْرث أَنَّ أَوْلادَه لا يُقسِّمُوْن المِيرَاثَ حَسبَ مَا أَمَر الله تَعَالىٰ، وَيَظُنُّ: أَنَّ بَعْضهُم يَظلِمُون بَعْضا بَعْد مَوْته فَحِينَئِذ يَجِب عَلَيْه الوَصِيَّةُ بِجَمِيْع الوَرَثة حَسبَ مَا قَدَّر الله أَنْصِبَائهُم، وَيُشْهد عَلىٰ وَصِيَّته ذٰلِكَ؛ بَلْ يُسجّله فِي مَحكَمَة القَضَاء، لِئَلا يظْلم بَعضُهم بَعْضا بَعْد مَوْته. وَعَلىٰ هٰذَا فَلاتعَارض بَيْن هٰذِه الآيَة وَآيَة المَوَارِيث". (عون الكبير شرح الفوز الكبير)

(٤) قَوْله: (مَنْسُوْخَة): عَنْ سَلَمَة بنِ الأَكْوَع قَال: "لَمَّا نَزَلت هٰذِه الآيَة ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ طَعَامُ مِسۡكِينٍۖ﴾ [البقرة:١٨٤] كَان مَنْ أَرَادَ مِنَّا أَنْ يُفطِر ويَفتَدِي فَعَل، حَتىٰ نَزلَتْ الآيَة التِيْ بَعدَها فنَسَخَتْها". [أَبو داوُد: ٢٣١٥]؛ وذٰلك قَوْله تعَالىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة:١٨٥]؛ =

مُحْكَمَةٌ(١)، وَ"لَا" مُقَدَّرَةٌ(٢).

قُلْت: عِنْدِيْ وَجْهٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنَّ المَعْنٰى: "وَعَلَى الَّذِيْن يُطِيْقُوْن الطَّعَام(٣) فِدْيَةٌ، هِيَ طَعَامُ مِسْكِيْنٍ"(٤)؛ فَأُضْمِرَ قَبْلَ الذِّكْرِ لِأَنَّهُ مُتَقَدِّمٌ رُتْبَةً؛ وَذَكَّرَ الضَّمِيْرَ، لِأَنَّ المُرَادَ مِنَ الفِدْيَةِ هُوَ الطَّعَامُ؛ وَالمُرَادُ مِنْهُ: صَدَقَةُ الفِطْرِ، عَقَّبَ اللهُ تَعَالٰى الأَمْرَ بِالصِّيَامِ فِيْ هٰذِهِ الآيَةِ بِصَدَقَةِ الفِطْرِ، كَمَا عَقَّبَ الآيَةَ الثَّانِيَةَ بِتَكْبِيْرَاتِ العِيْد.

= وَعقد عَلَيْه البُخَارِي بَابا بِقَوْله: "بَاب: بَيَان قَوْله تَعَالٰى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ﴾ بِقَوْله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾".

(١) قَوْله: (مُحْكَمَة): قَال ابنُ عبَّاس وغيرُه: نزَلتْ فِيْ الكَبِيْر والمَرِيْض الذَيْن لا يَقْدِران عَلَى الصَّوْم، فهِيَ عِنْده مُحْكَمَة؛ لٰكِنْ المَرِيْض يَقْضِيْ إِذَا بَرِئ؛ وأَكثَرُ العُلَماء: أنَّه لا إطْعَام عَلَى المَرِيْض. (فتح الباري)

قَالَ الشَّيْخ ظفَر أحمَد التَّهانَوي: إنْ فسِّرت الآيَة: ١- بسَلْب الطَّاقة، فهِيَ باقِيَة غيرُ منسُوْخة، ومحلُّها الشَّيْخ والشَّيْخة الغيرُ المُطِيقَيْن؛ وهوَ حاصِل قَول ابنِ عبَّاس: "أَنَّ الآيَة نَزَلت فِيْ الشَّيْخ الهَرِم والعَجُوز الكبِيْرة الهَرِمة"، كمَا رَواه البُخاري وأَبُوْداوُد وغيرُهما؛ ٢- وإنْ فسِّرتْ الآيَة بالطَّاقة بالتَّكلُّف -أيِ: القُدرَة معَ الجَهْد والمَشَقَّة- كانتِ الآيَة خاصَّة بالشَّيْخ والشَّيْخة المُطِيقَين بالتَّكلُّف، وكذَا الحُبْلٰى والمُرْضِع، فتكُوْن مَنْسُوْخة؛ وَهوَ حاصِل قَولِ ابنِ عبَّاس: "كانَت رُخْصَة للشَّيْخ الكبِيْر والمَرْأة الكبِيْرة -وهمَا يُطِيْقان الصِّيَام-، أنْ يُفْطِرا ويُطْعِما مَكان كلِّ يَوْم مِسْكِيْنًا والحُبْلٰى والمُرْضع إذَا خافَتا"؛ كمَا رَواه أَبُوْداوُد؛ ٣- وإنْ فسِّرَت بمُطْلق الطَّاقة كانتِ الآيَة عامَّة للجَمِيْع، ثمَّ تكُوْن مَنْسُوْخة، وهوَ حاصِل قَول سَلَمة ومُعَاذ بنِ جبَل؛ فارْتَفَع الاختِلاف وَحصَل الإِيْتِلاف. (إعلاء السنن)

(٢) قَوْله: (مُقَدَّرَة): والآيَة للشَّيْخ الفَانِيْ، وضَمِيْر ﴿يُطِيْقُوْنَهُ﴾ يَرجِع إِلَى الصَّوْم. (المعرَّب)

(٣) قَوْله: (الطَّعَام): أيْ: يُطِيْقُوْن الإِطْعَام، لِكوْنِهم أَصْحَاب نُصُب بقُدْرَة ممكِّنة. (المعرَّب)؛ وَتَقدِيْره: "فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسكِيْن عَلَى الَّذِيْن يُطيقُوْنه"؛ فَالضَّمِيْر رَاجِع عَلٰى "فِدْيَةٌ طَعَام"، لأنَّه مُقدَّم رُتْبَة.

(٤) قَوْله: (طَعَام مِسكِيْن): يَعْنِيْ: أَمَر اللهُ تَعَالٰى أَوّلا بِالصِّيَام فِيْ قَوْله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة١٨٣]، ثُمّ أَمَر بِصدقَة الفِطْر فِيْ قَوْله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ [البقرة١٨٤]، ثُمّ أَمَر بِصَلاة العِيْد فِي قَوْله: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة١٨٥]؛ وَهٰكذَا التَّرتِيْب فِيْ نَفْس الأَمْر، فَإنَّا نصوم أَوّلا، ثُمّ نُؤَدِّي صَدقَة الفِطْر قَبْل الرَّوَاح إِلٰى صَلَاة العِيْد، ثُمَّ نُؤَدِّي الصَّلَاة. (العون الكبير ملخصا)

٣- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ﴾ [البقرة١٨٧] نَاسِخَةٌ لقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ [البقرة١٨٣]؛ لأَنَّ مُقْتَضَاهَا(١) المُوَافَقَةُ فِيْمَا كَانَ عَلَيْهِمْ مِنْ تَحْرِيْمِ الأَكْلِ وَالوَطْءِ بَعْدَ النَّوْمِ(٢)؛ ذَكَرَهُ ابْنُ العَرَبِيِّ، وَحَكَىٰ قَوْلاً آخَرَ: أَنَّهُ نَسْخٌ لِمَا كَانَ بِالسُّنَّة(٣).

قُلْتُ: مَعْنَىٰ ﴿كَمَا كُتِبَ﴾ التَّشْبِيْهُ فِيْ نَفْسِ الوُجُوْبِ، فَلَا نَسْخَ؛ إِنَّمَا هُوَ(٤) تَغْيِيْرٌ لِمَا كَانَ عِنْدَهُمْ قَبْلَ الشَّرْعِ، وَلَمْ نَجِدْ دَلِيْلًا عَلَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ -ﷺ- شَرَعَ لَهُمْ ذٰلِك، وَلَوْ سُلِّمَ، فَإِنَّمَا كَانَ ذٰلِكَ بِالسُّنَّةِ(٥).

٤- قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقرة٢١٧] الآيَةَ(٦) مَنْسُوْخَةٌ بِقَوْلِه تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً﴾(٧) [التوبة٣٦] الآيةَ(٨)، أَخْرَجَهُ ابْنُ جَرِيْرٍ(٩) عَنْ عَطَاءِ بْنِ مَيْسَرَة.

---

(١) قَوْله: (مُقْتَضَاهَا): أي: مُقْتَضَى الآيَة الثَّانِيَة. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (بَعْد النَّوْمِ): فعَنْ البَراء بنِ عَازِب: "كانَ أَصْحَاب مُحَمَّد ﷺ إذَا كانَ الرَّجُل صَائِمًا فحَضَر الإفْطارُ فنَام قَبْل أَنْ يُفْطِر لَمْ يَأكُل لَيْلَته ولايَومَه حَتّى يُمْسِيَ". [البخاري: ١٩١٥]

(٣) قَوْله: (بِالسُّنَّةِ): أي: أنَّه نَسْخٌ لِمَا كانَ مَعْمُوْلا -عِندَهم- وثَابتًا بالسُّنَّة. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (هُوَ): يَعْنِي قَوْلَه تَعَالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ الآيَة. (المعرِّب)

(٥) قَوْله: (بِالسُّنَّةِ): فقَوْله تَعَالَى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ﴾ ناسِخ للحُكْم الَّذِيْ كانَ ثابِتا بالسُّنَّة، ولَيْس بنَاسِخ لقَوْله تَعَالَى: ﴿كَمَا كُتِبَ﴾. (المعرِّب)

(٦) قَوْله: (يَسْئَلُوْنَكَ إلخ): وتَمَام الآيَة: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾ [البقرة٢١٧]. (المعرِّب)

(٧) قَوْله: (كَافَّةً): أَكثَر العُلَماء أَنَّ هٰذِه الآيَة مَنْسُوْخة؛ لأَنَّ الله عظَّم القِتَال فِيْ الشَّهْر الحَرَام، ثمَّ نَسَخ ذٰلك فِيْ بَراءَة بقَوْله تَعَالَى: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة٥]، وبِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة٢٩]؛ فَأَباحَ قتْلَهم وقِتَالهم فِيْ كُلِّ مَوضِع وفِيْ =

قُلْتُ: هٰذِهِ الآيَةُ لاتَدُلُّ عَلىٰ تَحْرِيْمِ القِتَالِ، بَلْ تَدُلُّ عَلىٰ تَجْوِيْزِهِ، وَهِيَ مِنْ قَبِيْلِ تَسْلِيْمِ العِلَّة وَإِظْهَارِ المَانِع(١)؛ فَالمَعْنىٰ: أَنَّ القِتَال فِيْ الشَّهْرِ الحَرَام كَبِيْرٌ شَدِيْدٌ، وَلٰكِنَّ الفِتْنَةَ أَشَدُّ مِنْهُ، فَجَازَ فِيْ مُقَابَلَتِهَا؛ وَهٰذَا التَّوْجِيْهُ ظَاهِرٌ مِنْ سِيَاقِهَا، كَمَا لايَخْفىٰ(٢).

* ٥- قَوْلُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ -إلىٰ قوله- مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ﴾ [البقرة٢٤٠]

= كُلَّ وَقتٍ مِن شَهْر حَرَام وغَيرِه، وهوَ قَولُ ابنِ عَبَّاس وقتَادَة والضَّحَّاك والأَوْزاعي وابنِ المسيَّب؛ وقَال عَطاء ومجَاهِد: الآيَةُ مُحكمَةٌ، ولا يَجُوز القِتال فِيْ الأَشْهر الحُرُم؛ والجَمَاعَة علىٰ خِلاف ذٰلك. (الإيْضَاح)

(٨) قَوْله: (وَقَاتِلُوا المُشْرِكِيْنَ إلخ): وَالآيَة بِتَمَامِهَا: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةًۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٣٦﴾ [التوبة]. (المعرّب)

(٩) قَوْله: (أَخْرَجَهُ ابن جَرِيْر): أَخْرَجَه ابْن جَرِيْر وَابْن أَبِيْ حَاتِم وَالطَّبرَانِي فِي الكَبِيْر وَالبَيهَقِي فِيْ سُنَنه عَنْ جُنْدُب بْن عَبْد الله: أَنَّ رَسُوْل الله ﷺ بَعَث رَهْطًا، وَبَعَث عَلَيْهِم عَبْد الله بْن جَحْش، فَلَقوا ابْن الحَضرَمِي فَقَتلُوه، وَلَمْ يَدْرُوا أَنَّ ذٰلِكَ مِنْ رَجَب أَوْ جُمَادَى....؛ فَقَالَ المُشرِكُوْن لِلمُسلِمِيْن: قَتلْتُم فِي الشَّهْر الحَرَام! فَأَنْزَل الله تَعَالىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ﴾ [البقرة٢١٧]. (بيان القرآن)

وَعَنِ الزُّهْرِي قَالَ: بعَث رَسُول اللهِ ﷺ عبدَ الله بنَ جَحْش ومعَه نَفَرٌ مِن المُهاجِرِين، فقتَل عَبدُ اللهِ بنُ واقِد اللَّيْثِي عَمْرو بنَ الحضرَمي فِيْ آخِرِ يَوْمٍ مِن رَجَب، وأَسَرُوْا رَجُلَين واستَاقوا العِيرَ، فوَقَف عَلىٰ ذٰلِك النَّبيُّ ﷺ، وقَال: "لَمْ آمُرْكمْ بالقِتَال فِيْ الشَّهْر الحَرَام"؛ فقَالتْ قُرَيْش: استَحَلَّ محَمَّدٌ الشَّهْر الحَرَام، فنَزَلت: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ إلىٰ قَولِهِ: ﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ﴾، أَيْ: قَدْ كَانُوْا يَفتِنُونَكم وأَنْتُم فِيْ حَرَم اللهِ بَعد إِيْمَانِكم، وهٰذَا أَكبَرُ عِند اللهِ مِن أَنْ تقتُلوْهُم فِيْ الشَّهْر الحَرَام معَ كُفرِكم بالله. (أسباب نزول القرآن للواحدي)

(١) قَوْله: (مِنْ قَبِيْل تَسلِيْم العِلّة إلخ): فِيْه إِشارَة إِلىٰ طَرِيْق لِلرَّدّ مِنْ طُرُق الرَّدّ عَلَى العِلَل الطَّرديَّة المُسَمّٰى بـ"المُمانَعَة فِيْ نَفْس الحُكْم" عِنْد الأُصُوْلِيّيْن.

(٢) قَوْله: (كَمَا لَا يَخْفىٰ): وَالمُرَاد: أَنَّ مَا فَعَلَه المُشرِكُوْن مِنَ الصَّدّ عَنْ سَبِيْل الله وَالكُفْر بِالله وَصَدّ النَّاس عَنِ المَسْجِد الحَرَام وَإِخْرَاج أَهْله المُؤْمِنِيْن مِنه أَعْظَم مِنْ هٰذَا الخَطأ الَّذِي وَقَع مِنْ بَعْض الصَّحابَة بِاجتِهَاد مِنهُم. وَالله أَعْلَم (مُحَمَّدإِلْيَاس)

الآيَة[1] مَنْسُوْخَةٌ بِآيَة: ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[2] [البقرة: ٢٣٤]؛ وَالوَصِيَّةُ مَنْسُوْخَةٌ بِالمِيْرَاثِ؛ وَالسُّكْنى ثَابِتَة عِنْد قَوْم[3]، مَنْسُوْخَة عِنْد آخرِيْن[4] بِحَدِيْث: "وَلاسُكْنىٰ"[5].

---

(١) قَوْله: (وَالَّذِيْنَ يُتَوَفَّوْنَ إلخ): والآية بتمامها: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٤٠﴾ [البقرة]. (المعرِّب)

قَالَ الجصَّاص: قَدْ تَضمَّنَت هٰذِه الآيَة أَرْبَعَة أَحْكَام، أَحَدهَا: الحَوْل، وَقَد نُسِخ مَا زَادَ عَلىٰ أَرْبَعَة أَشْهُر وَعَشر؛ وَالثَّانِي: نَفَقَتهَا وَسُكنَاهَا فِي مَال الزَّوْج مَا دَامَت مُعْتَدَّة بِقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ﴾، فَقَد نَسَخ بِالمِيرَاث عَلىٰ مَا رُوِي عَنِ ابْن عَبَّاس وَغَيْره، لأَنَّ الله تَعَالىٰ أَوْجَبَها لَهَا عَلىٰ وَجْه الوَصيَّة لأَزْوَاجِهِم، كَمَا كَانَت الوَصِيَّةُ وَاجِبةً لِلوَالدَيْن وَالأَقْربِيْن، فنُسِخَت بِالمِيرَاث وَقَوْل النَّبِي "لاوَصِيّةَ لِوَارِث".

وَمِنْهَا: الإحْدَاد الَّذِي دَلَّت عَلَيْه الدَّلالَةُ مِنَ الآيَة، لأَنَّ التَّرَبُّص هُوَ الانْتِظار، وَمُتعلَّقُه ثَلاثَة أَشْيَاء: النِّكَاحُ وَالطِّيب وَالتَّنظُّفُ؛ فَحُكْمُه بَاقٍ بِسُنَّة رَسُوْل الله ﷺ؛ وَمِنْهَا: اِنتِقَالُها عَنْ بَيْت زَوْجهَا، فَحُكْمُه بَاقٍ فِيْ حَظْره؛ فَنُسِخ مِنَ الآيَة حُكْمَان، وَبَقِي حُكْمَان. (احكام القرآن بزيادة يسير)

(٢) قَوْله: (أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ إلخ): وَالآيَة بِتَمَامِهَا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًاۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٢٣٤﴾ [البقرة]. (المعرِّب)

المَلْحوْظَة: وَعِدّة الحَوْل وَإِنْ كَانَت مُتَأَخِّرَة فِي التِّلاوَة فَهِي مُتقَدمَة فِي التَّنزِيْل، وَعِدّة الشُّهوْر مُتأَخِّرَة عَنْها نَاسِخَة لَهَا؛ لأَنَّ نِظَام التِّلاوَة لَيْس هُوَ عَلىٰ نِظَام التَّنزِيْل وَتَرتِيْبه، وَاتَّفَقَ أَهْل العِلْم عَلىٰ: أَنَّ عِدَة الحَوْل مَنسُوخَة بِعِدّة الشُّهُوْر. (أحكام القرآن للجصاص)

(٣) قَوْله: (عِنْد قَوْم): وَالمُراد بالقَوْم: عُمَر وَعُثْمَان وَابنُ مَسْعُوْد وأُمُّ سَلَمَة وَهُوَ قَوْل الأَئمَّة الثَّلاثَة؛ وقَال الشَّافعيْ -فِيْ المُتَوَفَّى عَنْها زَوْجُها- قَوْلَيْن: أَحَدُهمَا: لَهَا النَّفَقة والسُّكنىٰ، والآخَر: لانَفَقَة لَهَا ولَاسُكنىٰ. (أحكام القرآن للجصاص بزيادة)

(٤) قَوْله: (آخرِيْن): وهُمْ: عليٌّ وابنُ عبَّاس وأُمُّ المؤمِنِيْن عَائشَة وهُوَ قَوْل أَبِيْ حنِيْفة، فمَجْمُوْع القُرآن والسُّنَّة عِنْدَهم ناسِخ للوَصيَّة بالنَّفقة والسُّكنىٰ. (الفوز العظيم)

(٥) قَوْله: (ولا سُكنىٰ): لَمْ أَجِد هٰذَا اللَّفظ فِيْ حَدِيْث مَرْفُوْع، إنَّما هُوَ قَوْل عَطاء فِيْ البُخاري. (٢: ٨٠٤) (المعرِّب)

قُلْتُ[١]: هِيَ كَمَا قَالَ مَنْسُوْخَةٌ عِنْدَ جُمْهُوْرِ المُفَسِّرِيْنَ؛ وَيُمْكِنُ أَنْ يُّقَالَ: يُسْتَحَبُّ[٢] أَوْ يَجُوْزُ لِلمَيّت الوَصِيَّةُ، وَلايَجِبُ عَلَى المَرْأَة أَنْ تَسْكُن فِيْ وَصِيَّتِهِ، وَعَلَيْه ابْن عَبَّاس؛ وَهٰذَا التَّوْجِيْهُ ظَاهِر مِنَ الآيَة[٣].

٦- قَوْلُهُ تَعَالىٰ: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:٢٨٤] الآيَةَ مَنْسُوْخَة بِقَوْله بَعْدَه: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٤] [البقرة:٢٨٦].

---

(١) قَوْله: (قُلْتُ): هٰذِه الآيَة مِن الآيَات الخَمْس الَّتِيْ أقرَّهَا الإمَامُ عَلىٰ نَسْخِها.

(٢) قَوْله: (يُسْتَحَبُّ .... الوَصِيَّة): عَنْ مُجَاهِد: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة:٢٣٤]، قَالَ: كَانَت هٰذِه العِدَّة تَعْتدُّ عِنْد أَهْل زَوْجها وَاجِب، فَأنْزَل الله ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا "وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم" مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾﴾ [البقرة]، قَالَ: جَعَل الله لَهَا -(أيْ: لِلمُعْتَدة المَذكُوْرَة فِي الآيَة الأوْلىٰ)- تَمَام السَّنَة، -سَبْعَة أشْهُر وَعِشرِيْن لَيْلة "وَصِيَّة"، إنْ شَاءَت سَكَنَتْ فِي وَصِيَّتها وَإنْ شَاءَت خَرجَتْ، وَهُوَ قَوْل الله تَعَالىٰ: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾؛ فَالعِدَّة كَمَا هِيَ وَاجِب عَليْهَا. (البخاري: ٤٥٣١)

(٣) قَوْله: (هٰذَا التَّوْجِيْهُ ظَاهِر إلخ): قَالَ الشَّيْخ البَالنبُوْري: يُمْكِن أنْ تَكُوْن الآيَة مَعمُولًا بِهَا إمَّا سُنَّةً مُوسَّعَة وَإمَّا وُجُوْبا فِيْ حَالٍ مِنَ الأحْوَال حِيْن مَا تَكوْن المَرْأة بَائسَة لا مَأوىٰ لَهَا وَلا قَرابَة وَلا مِيْرَاث، وَالنِّكَاح بِزَوج آخَر لا يَتيَسَّر عَلىٰ فَوْر انْقضَاء العِدَّة؛ فَفِي مِثْل هٰذِه الحَالَة أوْجَب الشَّرْع عَلَى الزَّوْج الإيْصَاءَ لَهَا إلىٰ تَمَام الحَوْل، فَهِي تَتَربَّص بِأرْبعَة أشْهُر وَعَشْرًا، ثُمَّ تَتهَيَّأ لِلزَّوَاج؛ فَهِي مُخَيَّرة فِي الأشْهُر البَاقِيَة؛ إنْ شَاءَت سَكَنَت فِيْ هٰذَا البَيْت، وَإنْ شَاءَت خَرَجتْ؛ ثُمَّ إنِ اخْتارَتْ أنْ تَمْكُثَ فِي البَيْتِ حَتّٰى تَتِمَّ حَوْلا كَامِلا، فَلايَجُوْز لِلوَرَثَة أنْ يُخرِجُوْها إلىٰ مُدَّتهَا.

وَبِالجُملَة فَالنَّسْخ لَيْس بِمُتعَيّن. (العون الكبير)

(٤) قَوْله: (إلَّا وُسْعَهَا): عنْ أبِيْ هُرَيْرة قَالَ: لَمَّا نَزَلت عَلى رَسُوْل اللهِ ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البقرة]؛ قَالَ: فاشْتَدَّ ذٰلك عَلىٰ أصْحَاب رَسُوْل اللهِ ﷺ، فَأتَوْا رَسولَ اللهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكوا عَلَى الرُّكَب، فَقَالوْا: أيْ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ! كُلِّفْنَا مِن الأعْمَال مَا نُطِيْق الصَّلاة والصِّيامَ والجِهادَ والصَّدقة؛ وقَدْ أُنزِلتْ عَليْك هٰذِه الآيَة، ولا نُطيْقُها؛ قَال رَسُوْل اللهِ ﷺ: أ تُرِيْدُون أنْ تقُوْلوا كَمَا قَالَ أهلُ الكتَابَيْن مِن قبْلِكم: سَمِعْنا وعَصَيْنا؟ بَلْ قُوْلُوْا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ =

قُلْتُ: هُوَ مِنْ بَاب تَخْصِيْص العَامّ، بينتِ الآيَةُ المُتَأَخِّرَة أَنَّ المُرَاد: مَا فِيْ أَنْفُسِكُم مِنَ الإخْلاص وَالنِّفَاق، لا مِنْ أَحَادِيْث النَّفْسِ الَّتِيْ لا اخْتِيَار فِيْهَا؛ فَإِنَّ التَّكْلِيْف لا يَكُوْن إِلاَّ فِيْمَا هُوَ فِيْ وُسْع الإنْسَان.

وَمِنْ آل عِمْرَان:

٧- قَوْلهُ تَعَالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران١٠٢](1)، قِيْلَ: إِنَّهُ مَنْسُوْخَةٌ بِقَوْله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن١٦]؛ وَقِيْلَ: لا، بَلْ هُوَ مُحْكَمٌ(2).

= ﴿ٱلْمَصِيرُ ٢٨٥﴾ [البقرة]؛ فلمَّا فَعَلوا ذٰلِك نَسَخهَا اللهُ تعَالى، وَأنزَل اللهُ عزَّوجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة٢٨٦] [مسلم: ٢٦١].

(١) قَوْله: (حَقَّ تُقَاتِهِ): عنْ ابنِ مَسْعُود فِيْ قَوْله تعَالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران١٠٢] قَالَ: هوَ أَنْ يُطَاعَ فَلا يُعصىٰ، ويُشْكَر فَلا يُكْفَر، ويُذْكَرَ فَلا يُنْسىٰ. (ابن كثير)

(٢) قَوْله: (بَلْ هُوَ مُحْكَمٌ): فِي هٰذه الآية ثَلاثة مَذاهِب:

١- قال قَتادة هٰذِه الآية مَنسُوخة بقَوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن١٦]، وهُوَ قَول قَتادة والرَّبيع بن أَنَس وابنِ زيد؛ قَال مُقاتل: ولَيْس في آل عِمْران مِن المَنسُوخ شَيء إِلَّا هٰذه الآية. (القرطبي، الإيضاح)

٢- قَال أكثَر العُلماء: أنَّه مُحكَم، لا نَسْخ فِيْه، لأنَّ الأَمْر بتَقوى الله لا يُنسَخ؛ وهُوَ مَذهَب ابنِ عبَّاس، ومِثله مَا رَواه أَبو جَعْفر عَن عَلي بن أَبِيْ طَلحة عنِ ابنِ عبَّاس قَوْله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾، قَال: أَنْ يجاهِدوا فِي اللهِ حقَّ جِهاده، ولا يَأْخُذهم فِي اللهِ لَوْمةُ لائِم، ويَقُوْموا بالقِسْط ولَوْ عَلىٰ أَنفُسِهم وآبائِهم وأَبْنائِهم. (روح المعاني، الإيضاح)

قَالَ أَبُو محمد: وهٰذا القَول حَسنٌ، لأَنَّ مَعنى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ اتَّقُوه بغَاية الطَّاقة، فهُوَ قولُه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن١٦]؛ إِذْ لا جَائز أَنْ يُكلِّف اللهُ أَحَدا مَا لا يُطيق؛ وتَقْوى اللهِ بغَاية الطَّاقة واجِب فرضٌ، فلا يجوزُ نَسخُه، لأَنَّ في نَسْخه إجَازة التَّقصير مِن الطاقَة في التَّقْوى، وهٰذا لا يَجوز. (الإيضاح)

٣- إنها مُحكَمَة، والمُراد بالتَّقْوى في قولِه: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ العَقائدُ -مِن الكُفْر والشِّرْك- كَمَا رُوِي عن مُعاذ بنِ جَبل عنِ النَّبِيﷺ قَال: يا مُعاذ! أَتَدْري مَا حقُّ الله عَلى العِباد؟ قَالَ: اللهُ ورَسولُه أَعلمُ؛ قَالَ: أَنْ يُعبد الله ولا يُشرَك به شَيء، قال: أَتَدرِي مَا حقُّهم عَليه إذا فَعَلوا ذٰلك؟ فقالَ: اللهُ ورَسولُه أعلم! قال: أَنْ لا يُعذِّبَهم. [مسلم: ٣٠]؛ وَإِلَيْه جَنَح المُصنِّف حَيْث قَالَ: قُلْتُ: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ فِي الشِّرْك إلخ.

وَلَيْسَ فِيْهَا آيَةٌ يَصِحّ فِيْهَا دَعْوَى النَّسْخ غَيْرَ هٰذِهِ الآيَة.

قُلْتُ: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ فِي الشِّرْكِ وَالكُفْر وَمَا يَرْجِعُ إِلَى الاعْتِقَاد؛ ﴿مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ فِي الأَعْمَال: مَنْ لَمْ يَسْتَطِع الوُضُوْء يَتَيَمَّمُ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِع القِيَام يُصَلِّي قَاعِدًا؛ وَهٰذَا التَّوْجِيْهُ ظَاهِر مِنْ سِيَاق الآيَة، وَهُوَ قَوْله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عمران].

وَمِنَ النِّسَاء:

٨- قَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [النساء﴿٣٣﴾] الآيَةَ مَنْسُوْخَةٌ بِقَوْله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال﴿٧٥﴾ والأحزاب﴿٦﴾][1].

---

(١) قَوْله: (وَأولُوا الأَرْحَام إلخ): أَمَّا آيَة ﴿أُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾ فَمَذكُورة فِي مَوضِعيْن: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾﴾ [الأنفال]؛ وَ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾ [الأحزاب]؛ وَلٰكِن النَّاسِخ هُنَا آيَة الأَحْزَاب، لا الأَنْفَال، كَمَا هُوَ مَنقُوْل عَنْ قَتَادة. وَالتَّفصِيْل فِيْ بَيَان القُرْآن لِلتَّهانوِي.

قَالَ ابْن عَبَّاس: كَانَ المُهاجِروْن لَمَّا قَدِمُوْا المَدِيْنَة يَرِث المُهَاجِريّ الأَنْصَاريَّ دُوْن ذَوِي رَحِمِه للأُخُوَّة الَّتِيْ آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا نَزلَتْ: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ [النساء﴿٣٣﴾] نُسِخَتْ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾: مِنَ النَّصْر وَالرِّفَادَة (الإِعَانَة) وَالنَّصِيْحَة، وَقَدْ ذَهَبَ المِيْرَاث، وَيُوْصِيْ لَهُ. (البخاري: ٤٥٨٠)

قَالَ ابْن عُيَيْنَة: أَنَّ مَعْنى الحِلْف فِي الجَاهِلِيَّة مَعْنَى الأُخُوَّة فِي الإِسْلَام، لٰكِنَّه فِي الإِسْلَام جَارٍ عَلىٰ أَحْكَام الدِّيْن وَحُدوْده، وَحِلْف الجَاهِلِيَّة جَرَى عَلىٰ مَا كَانُوا يَتَوَاضَعوْن بَيْنَهُم بِآرَائِهِم؛ فَبَطَل مَا خَالَف الإِسْلَام، وَبَقِي مَا لَمْ يُبْطِله القُرْآن وَهُوَ التَّعَاوُن عَلَى الحَقّ وَالنَّصْر وَالأَخْذ عَلىٰ يَدِ الظَّالِم.

قَالَ الحَسَن: كَانَ التَّوارُث بِالحِلْف، فَنُسِخَ بِآيَة المَوارِيْث؛ وَقَالَ الطَّبْرِي: مَنْسُوْخ بِقَوْله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾. (فتح الباري، نووي)

قُلْتُ: ظَاهِر الآيَة: أَنَّ المِيْرَاثَ لِلمَوَالِي(١)، وَالبِرُّ وَالصِّلَة لِمَوْلَى المُوَالاة(٢)؛ فَلا نَسْخَ(٣).

٩- قَوْله تَعَالى ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ [النساء٨](٤) الآيَةَ قِيْلَ مَنْسُوْخَةٌ(٥)، وَقِيْلَ: لا، وَلٰكِنْ تَهَاوَنَ النَّاس فِي العَمَل بِهَا.

قُلْتُ: قَالَ ابْن عَبَّاس هِيَ مُحْكَمَةٌ، وَالأَمْر لِلاسْتِحْبَاب(٦)؛ وَهٰذَا أَظْهَر.

---

(١) قَوْله: (لِلْمَوَالِي): جَمْع المَوْلَى، وَهُوَ كُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرًا وَقَامَ بِهِ؛ والمَوْلَى هُنا: بمَعْنَى القَرِيْب، أي: المِيْرَاث للأَقْرباء. (المعرِّب بزيادة)

(٢) قَوْله: (مَوْلَى المُوَالَاة): إِذَا أَسْلَم رَجُل عَلَى يَدِ رَجُل، وتَعَاقَدا عَلَى أَنْ يَرِثَه ويَعْقِل عَنه صَحَّ، وهُوَ مَوْلَى المُوَالاة. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (فَلَا نَسْخَ): قَال ابنُ عبَّاس فِيْ مَعنىٰ هٰذِه الآيَة: كَانَ المُهاجِرُون حِيْن قَدِموا المَدِيْنة يَرِثُوْن الأَنْصَارَ دُوْن ذَوِي الأَرْحَام مِنهم للأُخُوَّة والصَّداقة الَّتِيْ بَيْنَهم، فهُوَ كقَوْله: ﴿فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾ [النساء٣٣]؛ أُمِرُوْا بإتْمَام مَا عَقَدوا بَيْنَهم؛ ثُمَّ نَسَخ اللهُ ذٰلِك بآيَة المَوارِيْث وبِقَوْله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال٧٥]؛ وهوَ قَوْل ابنِ جُبَيْر ومُجاهِد وقَتادَة.

وقِيْل: الآيَة مُحكَمَة غَيْرُ مَنْسُوخَة، ومَعْناه: وفُّوا لَهُمْ بِمَا قَدْ عَاقَدْتُمُوْهم عَلَيْه مِن النَّصْر والمَعُوْنة والرِّفد. (الإيضاح مقتصرا)

(٤) قَوْله: (وَإِذَا حَضَرَ القِسْمَةَ إلخ): والآيَة بتَمامِهَا: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ٨﴾. (المعرِّب)

(٥) قَوْله: (مَنْسُوْخَة): أيْ بِآيَاتِ المَوارِيْث، كَمَا ذَكَر ابنُ جريرٍ عنْ سَعِيْد بنِ المُسَيَّب قَال: هِيَ مَنْسُوْخة؛ وأَخرَج ابنُ أَبِي شَيْبة عنْ أَبِيْ مالِك قَال: نَسَخَتْها آيَةُ المِيْرَاث؛ وبِه قَالَ الأَئِمَّة الأَرْبَعة، كَمَا قالَ ابنُ حَجَر. (الدر المنثور، فتح الباري)

(٦) قَوْله: (لِلْاسْتِحْبَابِ): عنْ سَعِيد بنِ جُبَيْر عنْ ابْن عبَّاس قَال: إِنَّ نَاسًا يَزْعُمُوْن أَنَّ هٰذِه الآيَة نُسِخَت: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ﴾ الآيَةَ، وَلَا وَاللهِ مَا نُسِخَتْ، ولٰكِنَّه ممَّا تَهاوَن بِهِ النَّاس؛ وَأَخْرَج البُخارِي مِن طَرِيْق عِكْرِمة عنْ ابنِ عبَّاس قَالَ: هِيَ مُحْكَمَة وَلَيْسَت بمَنْسُوْخة. [البخاري: ٤٥٧٦]؛ وأَخْرَج سَعِيْد بنُ مَنْصُور وابنُ جَرِيْر وابنُ المُنْذِر عَنْ يحيىٰ بن يَعْمر قَال: ثَلاثُ آيَاتٍ مَدَنيَّات مُحْكمَاتٍ ضَيَّعهُنَّ كثِيْر مِن النَّاس: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ﴾ الآيَة، وَآيَةُ الاسْتِيْذان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾ [النور٥٨]، وَقولُه:=

١٠- قَوْله تَعالىٰ: ﴿وَٱلَّـٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَـٰحِشَةَ﴾ [النساء١٥](١) الآيَةَ مَنْسُوْخَة بِآيَة النُّوْر(٢).

قُلْتُ: لانَسْخَ فِيْ ذٰلِكَ، بَلْ هُوَ مُمْتَدٌّ إِلَى الغَايَه، فَلَمَّا جَاءَتِ الغَايَة بَيَّنَ النَّبِيّ ﷺ "أَنَّ السَّبِيْلَ المَوْعُوْدَ كَذَا وَكَذَا"(٣)؛ فَلانَسْخَ(٤).

وَمِنَ المَائِدَة:

١١- قَوْله تَعالىٰ: ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ [المائدة٢](٥) الآيَةَ مَنْسُوْخَةٌ بِإِبَاحَة

=﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات١٣]. (الدر المنثور ملخصا)

(١) قَوْله: (والّتِي يأتين إلخ): والآية بتَمَامِها: ﴿وَٱلَّـٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَـٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا١٥﴾ [النساء]. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (بِآيَة النُّوْرِ): أيْ بآيَة الجَلْد، كمَا رُوي مِنْ طرِيْق مُجاهِد عنِ ابْن عبَّاس فيْ قولِه: ﴿وَٱلَّـٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَـٰحِشَةَ﴾ الآيةَ [النساء١٥]، قَال: كانَتِ المَرأة إذَا فَجَرَت حُبِستْ في البيُوت، فَإنْ ماتتْ مَاتتْ، وإنْ عاشَتْ عاشَتْ؛ حتّٰى نَزَلتْ الآيةُ فيْ سُوْرة النُّوْر: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ [النور٢]، فجَعَل اللهُ لهُنَّ سَبِيْلا؛ فمَنْ عَمِل شَيْئا جُلِد وأُرْسِل. (الدر المنثور)

(٣) قَوْله: (وَكَذَا): رَواهُ مُسْلم، مِشْكوٰة: كِتَابُ الحُدُوْد، الفَصْل الأَوَّل، رَقْم الحَدِيْث: ٣٥٥٨. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (فَلانَسْخَ): وَفِيْه قَاعِدَة: "كُلُّ حُكْم: وَرَدَ فِيْ خِطَابٍ مُشْعِرٍ بِالتَّوْقِيْت، أَوْ رُبِطَ بِغَايَةٍ مَجْهُوْلَةٍ، ثُمَّ انْقَضٰى بانْقِضَائِهَا؛ فَلَيْسَ بِنَسْخٍ" [قواعد: ١٨٥]؛ كوُرُوْد الأَمْر بالقِتال لَيْسَ ناسِخا لقَوله تَعالىٰ: ﴿فَاعْفُوْا وَاصْفَحُوْا حَتّٰى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهٖ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وأَمْثالِها؛ لأنّ هٰذا بيَانٌ، لا نسْخٌ. (قواعد: ٧٤١ ملخصا)

(٥/ ١) قَوْله: (وَلَا الشَّهْرَ الحَرَامَ إلخ): وتَمَام الآيَة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَـٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ﴾. (المعرِّب)

وأَخْرَج عَبْد الرَّزَّاق وابنُ جَرِيْر عنْ قَتادَة فيْ قَوْله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ﴾ الآيَةَ [المائدة٢]، قَال: مَنْسُوْخ نَسَخَها قَولُهُ: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة٥]. (الدر المنثور)؛ وَقَدْ حَكى الإمَام أَبُوْ جَعْفَر الإجْمَاع عَلىٰ أَنَّ اللهَ قَدْ أَحَلَّ قِتَال أَهْل الشِّرْك فِي الأَشْهُر الحُرُم وغَيْرها مِنْ شُهُوْر السَّنَة. (ابن كثير)

(٥/ ٢) قَوْله: (ولا الشهر الحرام): أَيْ: لايُحِلُّوه بِأَن تُقَاتِلُوا فِيْه أَعْدَاءَكُم مِنَ المُشْرِكِيْن، كَمَا =

القِتَال فِيْه.

قُلْتُ: لا نَجِدُ: فِي القُرْآن نَاسِخًا لَهُ، وَلا فِي السُّنّة الصَّحِيْحَة؛ وَلٰكِنَّ المَعْنى: أَنَّ القِتَالَ المُحَرَّم يَكُوْن فِي الشَّهْر الحَرَام أَشَدُّ تَغْلِيْظًا، كَمَا قَالَ النَّبِيّ ﷺ فِي الخُطْبَة: "إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُم حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَة يَوْمِكُمْ هٰذَا، فِيْ شَهْرِكُمْ هٰذَا، فِيْ بَلَدِكُمْ هٰذَا"(١).

١٢- قَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ﴾ [المائدة ٤٢](٢) الآيَةَ مَنْسُوْخَةٌ بِقَوْله: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة٤٩](٣).

= رُوِي عَنِ ابْن عَبَّاس وَقَتَادَة.

قَالَ مَكِّي بْن أَبِيْ طَالِب فِي الإِيْضَاح: أَكْثَر العُلَمَاء على أَنَّ هٰذِه الآيَة مَنسُوخَة، لأَنَّ الله تَعَالىٰ عَظّم القِتَالَ فِي الشَّهْر الحَرَام ثُمَّ نُسِخَ ذٰلِكَ فِي بَرَاءَة بِقَوْله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ [التوبة٥]، وَبِقَوْله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [التوبة٢٩]؛ فَأَبَاحَ قَتلَهُم وَقِتَالهُم فِيْ كُلّ مَوضِع وَفِي كُلّ وَقْتٍ مِنْ شَهْر حَرَام وَغَيْره، وَهُوَ قَوْل ابْن عَبّاس وَقَتَادَة وَالضَّحَّاك وَالأَوْزَاعِي وَابْن المُسَيّب.

وَقَالَ عَطَاء وَمُجَاهِد: الآيَة مُحْكَمَةٌ وَلا يَجُوْز القِتَال فِي الأَشْهُر الحُرُم. (الإيضاح)

وَقَدْ مَرّ تَفصِيْله فِي الآيَة الرَّابِعَة؛ وَلَعَلَّ المُصنِّف أَشَارَ إِلَيْه بِقَوْله ﷺ: "فَإِنَّ دِمَائكُمْ"، أَيْ: لَيْس لِبَعضِكُم أَنْ يَتَعرَّض لِبَعْض، فَيرِيْق دَمه أَوْ يَسْلُب مَالَه، كَحُرْمة التَّعرّض لَهُمَا فِيْ يَوْم عَرفَة. (مُحَمَّدْ إِلْيَاس)

(١) قَوْله: (إِنَّ دِمَاءَكُمْ إلخ): أَخْرجَه مُسْلم بهذا اللَّفْظ عَنْ جابِر بنِ عَبْد الله: ١٢١٨؛ وأَخْرجَه البُخاري بزِيادَة "وأَعْراضكم" بَعْد قَولِه: "دِمَائكُمْ وأَمْوَالَكُمْ" [١٧٤٢،]، وبِلَفْظ: "عَلَيْكُمْ حَرَام" في مَواضِع عَديْدة.

(٢) قَوْله: (فَإِنْ جَاءُوْكَ إلخ): وَتَمَام الآيَة: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢﴾ [المائدة٤٢]. (المعرّب)

(٣- ١) قَوْله: (وَأَنِ احْكُمْ إلخ): وَتَمَام الآيَة: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾ [المائدة٤٩]. (المعرّب)

(٣- ٢) قَوْله: (وَأَنِ احْكُمْ إلخ): خَيَّر اللهُ نبيَّه ﷺ فِيْ ظَاهِر هٰذِه الآيَة فِيْ الحُكْم بَيْن أَهْل الكِتَاب إِذَا أَتَوْا لِذَلكَ أَوْ تَرْكِه؛ وَقَال ابنُ عبَّاس: هٰذا مَنْسُوْخ بقَوْله: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ =

قُلْتُ: مَعْنَاه: "إِنِ اخْتَرْتَ الحُكْم فَاحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ"؛ فَالحَاصِلُ أَنَّهُ لَنَا: أَنْ نَّتْرُكَ أَهْلَ الذِّمَّة أَنْ يَّرْفَعُوا القَضِيَّةَ إِلَى زُعَمَاءِهِم، فَيَحْكُمُوْا بِمَا عِنْدَهُمْ؛ وَلَنَا: أَنْ نَّحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ الله عَلَيْنَا.

١٣- قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة١٠٦][1] مَنْسُوْخَةٌ بِقَوْله:

= وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة٤٨]، وبقَوْله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة٤٩]؛ فَلَيْس للإمَام ردُّهم إلى حُكَّامِهم إذَا جَاؤوا ليَحكُم بَينَهم، وَهو قَول مُجاهِد وقَتادة وعَطاء الخُرَاسَاني وعِكرِمة والزُّهري، وهوَ قَول عُمَر بنِ عَبدِ العَزيز، وبِه قَالَ الكوْفِيُّون، وَهو أحَد قَولِي الشَّافعي.

وقَال جَماعَة مِن العُلمَاء: الآيَة مُحكمَة غَير مَنسُوخة، والإمَام مخيَّرٌ في الحُكم وتَركه إذَا جَاؤوا ليَحكُم بينَهم، وَهو قَول عَطاء بنِ أبِي رَباح والحسَن ومَالك والشَّعبي والنَّخعيْ، وهوَ أحَد قَوْلي الشَّافعيْ؛ ورَجَّحه الإمَام لأنَّ النَّاسِخ لايَكُوْن مُرتَبِطا بالمَنسُوْخ ومَعطُوْفا عَليه، فالتَّخْيِيْر للنَّبيﷺ في ذٰلكَ مُحكَم غَيْر منسُوْخ. (الإيضاح بزيادة يسيرة)

(٨/ ١) قَوْله: (أَوْ آخَرَانِ إلخ): وَالآيَة بتَمَامِها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ١٠٦﴾[المائدة]. (المعرِّب)

(٨/ ٢) قَوْله: (أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ): اختُلِف فِيها أوّلا في نسْخِه وإحْكامِه، ثمَّ اختَلَف القَائِلوْن بأنَّها مُحكمَة غيْرُ منسُوْخة في مَعْنىٰ قَوْله: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾؛ فَفِيْه ثَلاثَة أقْوال:

١- أنَّها منسُوْخة، ومَعْنى ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: مِن غَيْر أَهْل مِلَّتِكم، -لأنَّه تعَالىٰ استَفْتَح الآيَة بقَوْله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ثمَّ قَال: ﴿أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾، ولَا غَيْر لأهْل الإيْمَان إلَّا أَهْل الكُفْر-؛ وهوَ مَنسُوْخ بقَولِه: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾ [البقرة٢٨٢]، وبقَوْله: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق٢]؛ وهٰذِه الأَحْكام كلُّها منسُوْخَة بمَا نَسَخ بِهِ جَواز شَهادَة أَهْل الكتَاب؛ وَهوَ قَوْل زَيْد بنِ أَسْلَمَ ومَالك والشَّافعي وأَبِيْ حنِيْفة.

٢- أنَّها مُحْكمَة غَيْر مَنسُوْخة، ومَعْنى ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: مِنْ غيْرِ مِلَّتِكم؛ وشَهادَتُهم عَلَى الوَصيَّة -خاصَّةً فيْ السَّفر- جَائِزة عِنْد فقْدِ المُسْلِمِيْن للضَّرُوْرَة؛ وهوَ قَوْل أَبِيْ مُوْسى الأشْعَري والشَّعْبي وابنِ سِيْرِيْن ومُجاهِد وابنِ جُبَير وابنُ المُسيَّب وشُرَيْح والنَّخعيْ والأَوْزاعي، وهوَ مَرويٌّ عنِ ابنِ عبَّاس وعائشَة.

٣- أنَّها مُحكمَة غَيْرُ منسُوْخة، ومَعْنى ﴿مِنْ غَيْرِكُمْ﴾: مِنْ غَيرِ قَبِيْلَتِكم مِن المؤْمِنِيْن، والقِصَّة كلُّها مُحكمَة مَعْمُول بهَا؛ واستَدَلُّوا علىٰ ذٰلك بقَوْله: ﴿تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾، فدَلَّ علىٰ أنَّهمَا مِن=

﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [الطلاق٢](١).

قُلْتُ: قَالَ أَحْمَدُ بِظَاهِرِ الآيَة(٢)؛ وَمَعْنَاهَا عِنْدَ غَيْرِه: "أَوْ آخَرَان مِنْ غَيْر أَقَارِبِكُم"، فَيَكُوْنَان مِنْ سَائِرِ المُسْلِمِيْن.

وَمِنَ الأَنْفَال:

* ١٤- قَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ [الأنفال٦٥](٣) الآيَة مَنْسُوْخَةٌ بِالآيَة بَعْدَهَا(٤).

قُلْتُ(٥): هِيَ كَمَا قَالَ مَنْسُوْخَة(٦).

= أَهْل الصَّلاة، ولايُطلَق علىٰ أَهْل الكِتَاب اسْمُ "أَهْل الصَّلاة"؛ وهوَ قَوْل الحسَن وعِكرِمة، وأضَافه بعضُ الرُّواة إلىٰ مالِك والشَّافعي؛ وإلَيْه جَنَح الإمَام. (الإيضاح ملخصا)

(١) قَوْله: (وَأَشْهِدُوْا إلخ): والآيَة بتَمامِها: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ٢﴾ [الطلاق]. (المعرّب)

(٢) قَوْله: (بِظَاهِرِ الآيَة): أي: يجُوْز عِنْد أحمَد -رَحمَه اللهُ- فيْ أَرْض الغُرْبة إذَا لمْ يجِد مسْلِمِيْن: أنْ يُشْهِد كافِرِيْن. (المعرّب)

(٣) قَوْله: (إِنْ يَّكُنْ إلخ): وتمَام الآيَة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ٦٥﴾ [الأنفال٦٥]. (المعرّب)

(٤) قَوْله: (بَعْدَهَا): وهيَ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٦٦﴾ [الأنفال] (المعرّب)

(٥/ ١) قَوْله: (قُلْتُ): هٰذِه الآيَة مِن الآيَات الخَمْس التِيْ أقرّها الإمَامُ علىٰ نَسْخها.

(٥/ ٢) قَوْله: (قُلْتُ): أَخرَج البُخَاريْ عنْ ابْنِ عبّاس قَال: لمّا نَزلَتْ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾، شَقَّ ذٰلِك علَى المُسْلِمِيْن حِيْن فُرِض عَليْهم: أنْ لَا يفِرَّ واحِدٌ مِن عَشَرة، فجَاء التَّخفِيْف فقَال: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ﴾؛ قَال: فلمّا خفَّف اللهُ عَنهم مِن العِدَّة نَقَص مِن الصَّبْر بقَدْر مَا خَفَّف اللهُ عَنهم. (البخاري: ٤٦٥٣)؛ فكَتَب بالآيَة الأوْلىٰ: أنْ لايَفِرَّ واحِد مِنْ عَشَرة وأنْ لايفِرَّ عِشْرُوْن مِن مِاَتيْن، ثمّ =

وَمِنَ البَرَاءَة:

١٥- قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾ [التوبة٤١](١) مَنْسُوْخَةٌ بِآيَات العُذْر، وَهِيَ: قَوْلهُ تَعَالىٰ: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾ [النور٦١] الآيَةَ، وَقَوْلُه تَعَالىٰ: ﴿لَّيۡسَ

= كتَب بالأخرىٰ: أنْ لايَفِرَّ رجُل مِن رَجُلَيْن وأنْ لايفِرَّ مِأة مِن مِأتَين. (الإيضاح بحذف)

(٦) قَوْله: (هِيَ كَمَا قَالَ إلخ): قَالَ الشَّيْخ البَالَنْبُوْرِي: كَانَ المَطْلُوْب مِنَ المُسلِمِيْن فِيْ أَوَّل الأَمْر أَنْ يَّقِفُوا فِيْ وَجْه عَدُوِّهِم وَهُم أَكْثَر مِنهُم عَشر مَرَّات، ثُمَّ كَانَ التَّيسِيْر وَالمُسامَحَة، فَطَلَبَ مِنهُمْ أَنْ يُّقَاوِمُوهُم فِي وُجُوهِهِم وَهُمْ ضِعفَهُم؛ فَإنْ عَادَ حَال الإسْلام -لا قَدَّر الله لَهُ ذٰلِكَ- إلَى الغُرْبَة كَمَا كَانَ فِي الأَمْر يَكُوْن المَطْلُوْب مِنَ المُسلِمِيْن حِيْن ذَاكَ أَنْ يَّقِفُوا فِيْ وَجْه عَدوِّهِم وَهُم أَكْثَر مِنهُم عَشر مَرَّات؛ فَالحَاصِل: أَنَّ النَّسْخ لَيْس بِمُتعَيِّن. (العون الكبير)

وَفِيْه قاعِدة: "نَسْخُ جُزْءِ الحُكْمِ أَوْ شَرْطِهِ لايَكُوْنُ نَسْخًا لأَصْلِهِ"، [قواعد: ١٨٣]؛ يعْنِي لَمَّا أَسْقِط مِن الحُكم جزءُه أَو شرْطُه فلايعَدُّ هٰذَا نَسْخا لأَصْل الحُكم، فقَوْله تعَالىٰ: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ إلخ [الأنفال٦٦]، وإنْ كان ناسِخا للجُزْء الذِي ورَد فِي قوْله تعالىٰ: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ [الأنفال٦٥]؛ لٰكِنْ لايَكوْن ناسِخا لأُصْل حُكم القِتال الذِيْ ورَد فِي الآيَة الأُوْلىٰ؛ ومثَال نَسْخ الشَّرْط استِقْبال بَيْت المقدِس لأنّه كانَ شرْطا فِي صِحَّة الصَّلاة، فنُسِخ هٰذَا الشَّرْط، فلمْ يَكُن نسْخُه نَسْخا لأَصْل حُكم الصَّلاة. (قواعد: ٧٣٩ بزيادة)

(١/ ١) قَوْله: (إِنْفِرُوْا إلخ): وتمَام الآيَة: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٤١﴾[التوبة]. (المعرِّب)

(١/ ٢) قَوْله: (خِفَافًا وَثِقَالًا) عَمَّ اللهُ بالأَمْر بالتَّفِيْر الجَمِيْع، ثمَّ نُسِخ ذٰلِك بقَوْله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ﴾ [التوبة١٢٢]؛ وهٰذَا القَوْل مَروِيٌّ عنِ ابْنِ عبَّاس، وقَال عِكرِمَة: أَوَّل آيَة نَزَلتْ مِن بَراءَة ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾، ونَسَخَها بقَوْله: ﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ﴾؛ ويُروَىٰ: أَنَّ ابنَ أمِّ مَكتُوْم جَاء إلَى النَّبِيِّ ﷺ فقَال: أ عَلَيَّ أَنْ أنفِر؟ فقَال: نَعَمْ! حَتَّى أنْزَل اللهُ عزَّ وجَلَّ: ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ﴾ [الفتح١٧]. (الإيضاح، معاني القرآن للزجاج)

المَلحُوْظَة: قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿خِفَافٗا وَثِقَالٗا﴾، قِيْلَ: خِفَافًا وَّثِقَالاً، أَيْ: مُوْسِرِيْن ومُعْسِرِيْن، وقِيْلَ: رُكْبَانًا ومُشَاةً، وقِيْل: شَبابًا وشُيُوْخًا، وقِيْل: نِشَاطًا وغيرَ نِشاطٍ. فعَلَيْه أَنَّ هٰذِه الآيَة شامِلة للأغنِيَاء والمَسَاكِيْن، وللشُّبَّانِ والشُّيُوْخ، والمَرِيْض والصَّحِيْح والمَشْغُول؛ فالآيَة منْسُوْخة بآيَات العُذْر. (معاني القرآن للزجاج)

عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ﴾ [التوبة٩١ ٩٢] الآيَتَيْنِ، وَبِقَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً﴾ [التوبة١٢٢].

قُلْتُ: ﴿خِفَافًا﴾، أَيْ: مَعَ أَقَلِّ مَا يَتَأَتَّى بِهِ الجِهَاد مِنْ مَرْكُوْب وَعَبْدٍ لِلْخِدْمَة، وَنَفَقَةٍ يُقْنَعُ بِهَا؛ وَ﴿ثِقَالًا﴾، أَيْ: مَعَ الخَدَم الكَثِيْرِيْن، وَالمَرَاكِب الكَثِيْرَة، فَلانَسْخَ؛ أَوْ نَقُوْل: لَيْسَ النَّسْخُ مُتَعَيِّنًا(١).

وَمِنَ النُّوْرِ:

١٦- قَوْله تَعَالَى: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً﴾ [النور٣](٢) الآيَةَ مَنْسُوْخَةٌ بِقَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور٣٢].

(١/ ١) قَوْله: (لَيْسَ النَّسْخُ مُتَعَيِّنًا): بَلْ يَجِب عَلَيْه العَمَل عِنْد هُجُوْم العَدُو. (المعرِّب)

المَلحُوْظَة: قَال الطَّبْري: فإذْ كانَ قدْ يدخُل فِيْ الخِفاف والثِّقال مَنْ وصَفْنا مِن أَهْل الصِّفات الَّتِيْ ذَكَرْنا، ولمْ يَكُن اللهُ -جلَّ ثَناؤه- خَصَّ مِن ذٰلك صِنْفا دُوْن صِنف فِيْ الكتاب، ولا عَلى لسَان الرَّسُوْلﷺ، ولا نَصَب عَلىٰ خُصُوْصِه دَلِيْلا وَجَب أَنْ يُقال: إنَّ الله -جلَّ ثَناؤه- أَمَرَ المؤمِنِيْن مِن أَصْحاب رَسُوْله بالنَّفِيْر للجِهاد في سَبِيْله خِفافا مَعَ رَسُولهﷺ عَلىٰ كلِّ حَال مِن أَحْوال الخِفَّة والثِّقل.

وقَال أَبُوْ بَكر الجَصَّاص: كلُّ هٰذِه الوُجُوْه يحتَمِله اللَّفْظ، فالوَاجِب أَنْ يعُمَّها إذْ لمْ تقُمْ دَلالَةُ التَّخْصِيْص؛ وقولُه: ﴿وَجَاهِدُوْا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِيْ سَبِيْلِ اللهِ﴾ [التوبة٤١] فَأَوجَب فَرْض الجِهاد بالمَال والنَّفْس جَمِيعًا، فمَنْ كانَ لهُ مالٌ وهوَ مَرِيْض أو مُقْعَد أَوْ ضَعِيْف لا يَصْلُح للقِتال فعَليْه الجِهاد بمَاله بأَنْ يُعْطِيَه غيرَه فيَغزُوَ بهِ. (معاني القرآن للزجاج، جامع البيان)

(١/ ٢) قَوْله: (لَيْسَ النَّسْخُ مُتَعَيِّنًا): لأنَّ "الأَصْلُ عَدَمُ النَّسْخ" [١٨٢]؛ يعْنِي: لمَّا كانَ النَّسْخ لايثبتُ معَ الاحتِمَالات، ولابدَّ للقَوْل بالنَّسْخ منْ شُرُوْط؛ فتَكوْن دَعوَى النَّسْخ -بدُوْن شرائِطه المعتَبَرة- مردُوْدَة بهٰذِه القاعِدة. (قواعد:٧٣٣ بتقديم)

(٢) قَوْله: (الزَّانِيْ إلخ): والآيَة بتَمامِها: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ [النور]. (المعرِّب)

قَال ابنُ المُسَيَّب: يَزعُمُون أنَّها نُسِخَت بقَوْله تعَالَى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٣٢﴾ [النور]، فدَخَلتْ الزَّانِيَة فِيْ أَيَامَى المُسْلِمِيْن؛ وعَلىٰ هٰذا القَوْل جَماعَة مِن العُلمَاء. (الإيضاح)

قُلْتُ: قَالَ أَحْمَد بِظَاهِرِ الآيَة؛ وَمَعْنَاهَا عِنْد غَيْرِه: أَنّ مُرْتَكِب الكَبِيْرَة[1] لَيْسَ بِكُفْءٍ إِلاَّ لِلزَّانِيَة، أَوْ: لايستَحبُّ لَهُ[2] اِخْتِيَار الزَّانِيَة؛ وَقَوْلُهُ: ﴿وَحُرِّمَ

---

(١) قَوْله: (الكَبِيْرَة): يَعْنِي الوَقَاح والزِّنا؛ والكَبِيْرَة: الإِثْمُ المَنْهِيُّ عَنه شَرْعًا، كقَتْل النَّفس؛ والجَمْعُ: كَبَائِرُ. (المعرّب بزيادة)

(٢/ ١) قَوْله: (لَايُسْتَحَبّ لَهُ): أَي: للمُسْلِم العَفِيْف. (المعرِّب)

(٢/ ٢) قَوْله: (لَايُسْتَحَبّ لَهُ): قَال الشَّنْقِيْطي: اعْلم! أَنَّ العُلَماء اختَلفُوا فِيْ جَوازِ نِكَاح العَفِيْفِ الزَّانيةَ، ونِكَاح العَفيفةِ الزَّانيَ؛ فذَهب جماعَة مِن أَهْل العِلم -مِنهم الأَئِمَّة الثَّلاثة- إِلىٰ جَوازِ نِكاح الزَّانيَة -معَ الكراهَة التَّنْزِيهيَّة عِنْد مالِك وأَصْحابِه ومَن وافَقهم-؛ واحْتجَّ أَهْل هٰذا القَول بأَدِلَّة: منها عُمُوْم قولِه: ﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ﴾ [النساء٢٤]، وهوَ شَامِل بعُمُوْمه الزَّانيةَ والعَفِيْفَةَ؛ وعُمُوْم قولِه تعَالىٰ: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ الآية [النور٣٢]، وهوَ شامِل بعُمُوْمه الزَّانية أيضًا والعَفيفةَ.

ثم اعْلم! أَنَّ الذِيْن قالوْا بجَواز تَزوِيْج الزَّانية والزَّاني أَجَابُوا عنِ الاستِدلال بالآيَة الَّتِيْ نَحْن بصَدَدها، وهوَ قولُه تعَالىٰ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ٣﴾ [النور] مِن وَجهَين:

الأَوّل: أَنَّ المُرَاد بالنِّكاح فِيْ الآيَة هوَ الوَطْءُ الذِي هوَ الزِّنىٰ بعَينِه، قَالُوْا والمُرادُ بالآية: تَقبِيْح الزِّنىٰ وشِدّة التَّنفِيْر مِنه؛ وعَلىٰ هٰذَا القَول فالإِشارَة فِيْ قوله تعَالىٰ: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ راجِعَة إِلىٰ الوَطء هوَ الزِّنىٰ -أَعَاذَنا اللهُ وإِخوانَنا المُسلِمِيْن منه-؛ وعَلى هٰذا القَول فَلا إِشْكال فِيْ ذِكر المُشرِكة والمشرِك. وعنْ ابنِ عبَّاس قالَ: "لَيس هٰذَا بالنِّكاح، إِنمَا هوَ الجِمَاع، لا يَزْني بهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِك" وهٰذا اسْنَاد صَحيح عَنْه. (أَضواء البيان)

المَلحُوظَة: فعَلى هٰذا قولُه: ﴿لَا يَنكِحُ﴾ خَبرٌ لفظًا ومعْنًى، والمَعْنى: أَنَّه لا يَلِيْق بهِ أَنْ يَنْكِح، كَمَا يقَال: السُّلْطان لا يَكْذِب، أَيْ: لايَلِيْق بهِ أَنْ يكذِب؛ والنَّسْخ لا يجْرِي فِيْ الخبَر؛ فهٰذِه الآيَة مُحكمَة، والَيْه جنَح الإِمَام المصنِّف، ومَعْنىٰ قولِه: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أَيْ: حُرِّم الزِّنا. (مُحَمَّدإِلْيَاس)

الوَجْه الثَّاني: هوَ قولُهم إِنَّ المرادَ بالنِّكاح فِيْ الآيَة التَّزوِيْج، إِلَّا أَنَّ هٰذِه الآيَة التِي قولُه تعَالىٰ: ﴿ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ الآية منسُوْخَة بقَوْله تعَالىٰ: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٣٢﴾ [النور]؛ وممَّن ذهَب إِلى نسْخِها بهَا: سَعيْد بنُ المسيَّب والشَّافعي. (أَضواء البيان)

المَلحُوظَة: وعَلى هٰذا قولُه: ﴿لَا يَنكِحُ﴾ إِنشَاء مَعْنًى، ونُسِخ بقَوْله: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾، فقَوْله: ﴿لَا يَنكِحُ﴾ منسُوْخ؛ وقَال مُجاهِد: نَزَلتْ في نسَاء بأَعْيَانِهِنَّ مِن الزَّوَاني، فتَكون الآيَة مُحْكَمَة =

ذَٰلِكَ﴾ إِشَارَة إِلَى الزِّنَا وَالشِّرْك، فَلانَسْخ؛ وَأَمَّا قَوْلُه: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾ فَعَامٌّ، لايَنْسَخُ الخَاصَّ.

١٧- قَوْله تَعَالىٰ: ﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النور٥٨](١) الآيَة؛

= مخصُوْصَة فِيْ شَيءٍ بعَيْنه ثمَّ نسِخَت بقَولِهِ: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ﴾. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

وقَال ابنُ كَثِيْر فِي تفْسِيْر هٰذِه الآيَة مَا نصُّه: هٰذا خَبرٌ مِن اللهِ تعَالىٰ بأنَّ الزَّاني لايَطأ إلَّا زانِيَة أو مُشْرِكة، أيْ: لايُطاوِعه علىٰ مُرادِه مِن الزِّنا إلَّا زانِيَة عاصِيَة أو مشْرِكة لا تَرى حُرْمة ذٰلك، وكذٰلك الزَّانيَة لا يَنْكحُها إلَّا زانٍ -أيْ عاصٍ بزِنَاه- أو مشْرِك لا يَعْتَقِد تحرِيْمَه.

وَقَالَت جَمَاعَة أُخرَى مِن أَهْل العِلْم: لا يجُوْز تَزوِيْج الزَّاني لعَفِيْفة ولا عَكسُه، وهوَ مَذْهَب الإمَام أَحْمَد، وقدْ رُوِي عنِ الحسَن وقتَادة؛ واستَدلَّ أهْل هٰذَا القَوْل بآيَات وأحَادِيث؛ فمِن الآيَات الَّتِيْ استَدَلُّوا بهَا هٰذِه الآيَة التِيْ نحْن بصَدَدها، وهِيَ قولُه تعَالىٰ: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [النور]؛ قَالوا: المُرَاد بالنِّكَاح فِيْ هٰذِه الآيَة التَّزوِيْج، وقدْ نصَّ اللهُ عَلى تحرِيْمه فِيْ قولِه: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾، قَالُوْا: وَالإشَارة بِقَوْله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ راجِعَة إِلَى تَزوِيْج الزَّانِيْ بغَيْر الزَّانِيَة أوْ المُشْرِكة، وهوَ نصٌّ قُرْآنِي فِيْ تحْرِيْم نِكَاح الزَّاني العَفِيْفَةَ. (أضواء البيان)

المَلحُوظَة: وعَلى هٰذا قَولُه: ﴿لَا يَنكِحُ﴾ وإنْ كانَ إِنْشاءَ لٰكنَّه مُحكَم غَيرُ منْسُوْخ، ومَعْنىٰ قَولِه: ﴿وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ﴾ أيْ: حُرِّم النِّكَاح، فحُرِّم عَلى المؤمِنِين أنْ يَتَزَوَّجوا الزَّواني المُسَافِحات العَالِنَات زِناهنَّ. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(١/١) قَوْله: (لِيَسْتَأذِنْكُم إلخ): والآيَة بتَمَامِها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝﴾ [النور]. (المعرّب)

(١/ ٢) قَوْله: (لِيَسْتَأذِنْكُمُ الَّذِيْن): رُوِي عنْ ابنِ المُسَيَّب أَنّه قالَ: هِيَ منْسُوْخة، ولَمْ يَذكرْ مَا نَسَخَها؛ وسُئِل عنِ ابنِ عبَّاس عنْ هٰذِه الآيَة فقَال: لايُعْمَل بِها؛ وذٰلِك: أنَّ القَوْم كانُوْا لاسُتْرة لهُمْ، فرُبَّما دخَل عَليهِم الخدَم والوَلَد وهمْ فِي حَال جِمَاع؛ فأمَر اللهُ -جلَّ ذِكرُه- بالاستِيْذان فِيْ الأوْقات المَذكُوْرَة، ثمَّ جاءَ اللهُ بالسِّتْر وبُسِط الرِّزْق، فاتَّخَذ النَّاسُ الأبْوابَ والسُّتُوْر؛ فرَأى النَاسُ: أنَّ ذٰلِك قدْ كفَاهم مِن الاستِيْذان الذِي أمِرُوا بِه؛ وكذٰلِك قَال مَالكٌ إذْ سُئِل عنِ الآية.

وقَال أبُوْ محمَّد: فعَلىٰ هٰذا القَوْل يَكُوْن هٰذا ممَّا نَزل وفُرِض لعِلَّة، فلمَّا زالَتْ تِلْك العِلة زالَ=

قِيلَ: مَنْسُوْخَةٌ، وَقِيلَ: لَا، وَلٰكِنْ تَهَاوَنَ النَّاس فِي العَمَل بِهَا.

قُلْتُ: مَذْهَبُ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهَا لَيْسَتْ بِمَنْسُوْخَة؛ وَهٰذَا أَوْجَهُ وَأَوْلَى بِالاعْتِمَاد.

وَمِنَ الأَحْزَاب:

* ١٨- قَوْله تَعَالَى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الأحزاب٥٢] (١) الآيَة مَنْسُوْخَةٌ بِقَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ﴾ [الأحزاب٥٠] (٢) الآيَة.

قُلْتُ (٣): يَحْتَمِل أَنْ يَكُوْنَ النَّاسِخ مُقَدَّمًا فِي التِّلَاوَة، وَهُوَ الأَظْهَر عِنْدِيْ (٤).

= الحُكم، وبَقِي اللَّفظ مَتلوًّا، كآخِر سُورَة المُمتَحِنة؛ وعَنْ أَبِيْ قِلابة أنَّه قَال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ﴾ [النور٥٨]، وقولُه: ﴿وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة٢٨٢]؛ إنَّمَا أُمِرُوا بهذا عَلى طَرِيْق الحَضِّ والنَّدْب، ولَيْس بوَاجِب.

وأَكثَرُ العُلَماء علىٰ: أنَّ الآيَة مُحكَمَة، وحُكمُها باقٍ، والاستِيْذان فيْ هٰذِه الأَوْقات الثَّلاثة واجِب؛ قَال الشَّعْبِي: ليْسَت هٰذِه الآيَة منْسُوْخة، فقِيْل لهُ: إنَّ النَّاس لايَعْمَلون بهَا؛ فقَال: وَاللهُ المُسْتَعان! وقَد رُوِي عنِ ابنِ عبَّاس أنَّه قَال: ثَلاث آيَات مِن كتَاب اللهِ، لا أَرَى أَحَدا مِن النَّاس يَعْمل بهِنَّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍ﴾ [النور٥٨]؛ ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ٨﴾ [النساء] الآيَة، وَقولُه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ١٣﴾ [الحجرات]. (الإيضاح)

(١) قَوْله: (لَا يَحِلُّ لَكَ إلخ): وتَمَام الآيَة: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ -وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ- إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ٥٢﴾ [الأحزاب]. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (إنَّا أَحْلَلْنَا إلخ): وَتَمَام الآيَة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٥٠﴾ [الأحزاب]. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (قُلْتُ): هٰذِه الآيَة مِن الآيَات الخَمْس الَّتِيْ أَقرَّ الإمَامُ علىٰ نَسْخها.

(١/٤) قَوْله: (وَهُو الأَظْهَرُ عِنْدِيْ) قال الطَّبْري: وَأَوْلَى الأَقْوال عندي بالصِّحة قَول مَن قَال: مَعْنَى ذٰلك: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَ=

وَمِنَ المُجَادَلَة:

* ١٩- قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟﴾ [المجادلة١٢](1) الآيَةَ مَنْسُوْخَةٌ بِالآيَةِ بَعْدَهَا(2). قُلْتُ(3): هٰذَا كَمَا قَالَ.

= يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ۝﴾ [الأحزاب]، المسمَّيات اللَّواتي أحللتُهن لكَ بقَوْلي: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ... وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾ [الأحزاب٥٠]. (جامع البيان)

فَعُلِم مِنه: أنَّ النَّسخ لَيس بِمُتعيّن. وَقَدْ ذَكَر فِيْه الطَّبْري ثَلاثَة أقْوال، فَمَن شَاءَ فَليُرَاجِع جَامِع البَيَان.

(٤/ ٢) قَوْله: (وَهُوَ الأَظْهر عِنْدِي): لَيْس في القُرآن ناسِخٌ إلا والمَنْسُوخُ قبلَه في التَّرْتيْب، إلا في آيتَيْن: الآيَة الأوْلى قَوْله تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ﴾ [البقرة٢٣٤]، فهيَ ناسِخة للآيَة التي بعْدَها في الترْتِيْب، وهيَ ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ﴾ [البقرة٢٤٠]، والآيةُ الثَّانِيَة: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ، وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ، وَبَنَاتِ عَمِّكَ، وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ، وَبَنَاتِ خَالِكَ، وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ، وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا؛ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ﴾ [الأحزاب٥٠]، فَهِي ناسِخة -علىٰ قولٍ- لقَوله تعَالى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الأحزاب٥٢]. (قواعد: ٧٢٨)

(١) قَوْله: (إِذَا نَاجَيْتُم إلخ): والآيَة بتَمامِها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝﴾ [المجادلة]. (المعرَّب)

(٢/ ١) قَوْله: (بَعْدهَا): وهيَ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ ۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٣﴾ [المجادلة] (المعرَّب)

(٢/٢) قَوْله: (بَعْدهَا): أكثَر النَّاس علىٰ أنَّ هٰذا منسُوخ بقَوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟﴾ [المجادلة١٣]؛ وهٰذَا ممَّا نُسِخ قبْل العَمل، وقَال عَلي: إنَّ فيْ كِتَاب اللهِ لآيَةً مَا عمِل بهَا أَحَدٌ قَبلي ولا يَعمَل بها أَحَد بعْدي: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ﴾، قال: فُرِضَت ثمَّ نسِخَت. (الإيضاح، جامع البيان)

(٣) قَوْله: (قُلْتُ): هٰذِه الآيَة مِن الآيَات الخَمْس الَّتِيْ أقرَّ الإمَامُ علىٰ نَسْخِها.

قَالَ الشَّيْخ البَالنبُورِي: كَانَ تَقدِيْم الصَّدقَة وَاجِبا بِمُقْتَضى أوْلىٰ الآيَتَيْن، ثُم خَيّر بَيْن تَقدِيْم الصَّدقَة وَعَدَمه؛ فَصَار الأَمْر لِلنَّدْب، فَفِيْه تَغيِيْر لِلوَصْف فَقَط، فَلانَسْخ! (العون الكبير)

وَمِنَ المُمْتَحِنَة:

٢٠- قَوْله تَعَالَىٰ ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ [الممتحنة⑪](١)؛ قِيْلَ: مَنْسُوْخٌ بِآيَة السَّيْفِ(٢)، وَقِيْلَ: بِآيَةِ الغَنِيْمَة(٣)؛ وَقِيْلَ: مُحْكَمٌ(٤).

---

(١) قَوْله: (فَآتُوا الَّذِيْنَ إلخ): وتمام الآيَة: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ⑪﴾ [الممتحنة]. (المعرِّب)

اعْلم! أَنَّ النَّبِيﷺ لَمَّا عاهَد كفَّار قُرَيْش يَوم الحُدَيْبِية، جاءَه نِسَاءٌ مُؤْمِناتٌ مُهاجِراتٍ يَوْمَئذ -وكَانَتْ أَمَّ كُلثُوم بِنتُ عُقْبة بنِ أَبِي مُعَيْط ممَّن خَرَج إلىٰ رَسُول اللهِﷺ يومئِذ-، فأَنْزل اللهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ﴾ [الممتحنة⑩]، ونقض اللهُ العَهْد بينَه وبَيْنَ المُشرِكين خاصَّة فِيْ النِّسَاء، وأَنزَل اللهُ آيَة الامتِحان؛ فَأَمسَك رَسُول الله ﷺ النِّسَاء بَعد الامتِحان وردَّ الرِّجال؛ وقَوْلُه تعَالىٰ: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ﴾ [الممتحنة⑩]، يَعْني: أَزْواج المُهاجِرات مِن المُشْركِين ادْفعُوا إِلَيْهِم الذِي غَرِمُوه عَلَيْهِنَّ مِن الأَصْدِقة.

وحرَّم الله سُبحانه وتعَالىٰ عَلىٰ عِبَاده المؤمِنِيْن نِكاح المُشركات، والاستِمرارِ مَعَهنَّ بقَوله: ﴿وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ [الممتحنة⑩]، فطَلَّق عُمَر يومَئِذ امْرأَتَيْن كانَتا لهُ فِيْ الشِّرك؛ ثمَّ قالَ اللهُ سبْحَانه وتعَالىٰ: ﴿وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ [الممتحنة⑩]، أَيْ: وَطالِبُوا بِمَا أَنفَقْتم عَلىٰ أَزْواجِكم اللَّاتي يَذْهَبْن إِلَى الكفَّار إِنْ ذَهبْن، ولْيُطالِبوا بمَا أَنفقُوا عَلى أَزْواجِهم اللَّاتي هَاجَرْن إِلَى المُسْلمِيْن، وهٰذا فِيْ صُلْح كان بَين قُرَيْش وبَين محمَّدﷺ؛ ثمَّ قالَ الله تعَالىٰ فِيْمن أَبىٰ مِن المشرِكِين: أَنْ يُقِرُّوا بحُكْم اللهِ فِيْما فرَض عَلَيْهم مِن أَدَاء نفَقات المُسلِمِين، فقَال للمُؤمِنِيْن بهِ: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ﴾ [الممتحنة⑪]، وقَال مجاهِد وقتَادة: هٰذَا فِيْ الكفَّار الذِيْن ليْسَ بينَكُم وبينَهمْ عَهْد؛ ﴿فَعَاقَبْتُمْ﴾، أَيْ: أَصَبْتُمْ غَنِيْمَة مِن قُرَيْش أَو غَيْرِهم، ﴿فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْۚ﴾ [الممتحنة⑪] صَدقاتِهن عِوَضا؛ فَأَمَر لهُ رَسُول اللهﷺ أَنَّه يُعْطىٰ مِن الغنِيْمة مِثْل مَا أَنفق. (البخاري، ابن كثير، الدر المنثور ملخصا)

(٢) قَوْله: (بِآيَةِ السَّيْف): يَعْنِيْ بآيَة السَّيْف قَوْله تعَالىٰ: ﴿وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةًۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ㊱﴾ [التوبة]. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (بِآيَةِ الغَنِيْمَة): يَعْنِيْ بآيَة الغَنِيْمة قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الآية [الأنفال㊶]. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (مُحْكَمٌ): وجَنَح إِلَيْه أَكثَرُ المفَسِّرِيْن حَيْث لمْ يَتكلَّمُوا عَلىٰ نَسْخ هٰذِه الآيَة. (مُحَمَّدإِلْيَاس)

قُلْتُ: الأَظْهر أنَّهَا مُحْكَمَةٌ، وَلٰكِنّ الحُكْم فِي المُهَادَنَة[1] عِنْد قُوَّة الكُفَّار.

وَمِنَ المُزَّمِّل:

٢١- قَوْله تَعَالىٰ: ﴿قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ [المزمل] مَنْسُوْخٌ بِأخِرِ السُّوْرَة[2]، ثُمَّ نُسِخ الآخِرُ بِالصَّلَوَات الخَمْس.

قُلْتُ: دَعْوَى النَّسْخ بِالصَّلَوَات الخَمْس غَيْرُ مُتَّجِهَة[3]؛ بَلِ الحَقُّ: أَنَّ أَوَّلَ السُّوْرَة فِيْ تَاكِيْد النُّدُب إِلىٰ قِيَام اللَّيْل، وَآخِرَهَا: فِيْ نَسْخِ التَّأْكِيْد إِلىٰ مُجَرَّد النُّدُب.

قَالَ السِّيُوْطِي مُوَافِقا لابْن العَرَبِيّ: فَهٰذِه إِحْدٰى وَعِشْرُوْنَ آيَةً مَنْسُوْخَةٌ، عَلىٰ خِلافٍ فِيْ بَعْضِهَا، وَلايَصِح دَعْوَى النَّسْخ فِيْ غَيْرِهَا؛ وَالأَصَحُّ فِيْ آيَتِي الاسْتِئْذَان

(١/١) قَوْله: (فِي المُهَادَنَة): المُهادَنة: المُصالحة، هَادَنَه مُهَادَنة: صَالحه ووَادَعَه. (المعرِّب)

(١/٢) قَوْله: (وَلٰكِنّ الحُكْم فِي المُهَادَنَة): وفيهِ إِشَارَةٌ إِلى قاعدة: "كُلُّ مَا وَجَبَ امْتِثَالُهُ فِيْ وَقْتٍ مَّا لِعِلَّةٍ تَقْتَضِيْ ذٰلِكَ الحُكْمَ، ثُمَّ يُنْتَقَلُ بانْتِقَالِهَا إِلىٰ حُكْمٍ آخَرَ؛ فَلَيْسَ بِنَسْخٍ" [قواعد: ١٨٤].

يَعْنِي: أنَّ ما أُمِرَ به بسَبَبٍ، ثمَّ زال ذٰلكَ السَّبَب فارتَفَع الحكْم بزَوال سبَبِه، فلَيس هٰذَا بنَسْخ؛ فكَثِيْر مِن الآيَات الَّتِيْ تَأمُر فِي حَال الضُّعْف والقِلَّة بالصَّبْر وبالمغْفِرة للَّذِين لايَرْجُون أَيَّامَ الله، ونَحوِ ذٰلك ممَّا هوَ معرُوْف فِي كتَاب الله -وهيَ مِاَة وأَربَعٌ وعِشرُوْن آيَة- لَيْسَت بمنْسُوْخة مِن آية السَّيْف؛ وقدْ زعَم جماعَة مِن المفسِّرِيْن: أنّ ذٰلك كلَّه منسُوْخ بآيَة السَّيْف؛ وليْسَ هٰذَا بصَحِيْح؛ بل الجمِيْع مُحْكَم، لٰكنْ ينبَغِي أنْ يُنَزَّل كلُّ نَوْع منْ تلك النُّصُوْص علَى الحَال الَّتِي تُناسِبُه؛ فالصَّبْر والعَفْو فِي حالِ الضُّعْف، والقَتْلُ والإثْخَان فِي حال القوَّة. (قواعد: ٧٤٠ بتقديم)

(٢) قَوْله: (بِأخِر السُّوْرَة): أيْ بقَوْله: تعالىٰ: ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ [المزمل٢٠] (المعرِّب)

فقَوْلُه تعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾ [المزمل] الآيَة مَنسُوخ بقَوله: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ﴾ [المزمِّل٢٠]، وكانَ النَّبِيﷺ وأَصْحابُه يقُوْمُوْن اللَّيْل حتّٰى تفَطَّرتْ أَقْدامُهم؛ وقَال ابنُ زَيد: أَوَّل مَا فَرَض اللهُ عَلىٰ رَسولِه وعَلى المؤْمِنِيْن صَلاةُ اللَّيْل، ثمَّ نَسَخ ذٰلكَ عَنهم بقَوْله: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ﴾، فصارَ قِيَام الليْل تطَوُّعا؛ وقَدْ قِيْل عنْ ابنِ عبَّاس وغَيرِه: إنَّ قيَام اللَّيْل بَقِيَ فرْضا علَى النَّبِيِّﷺ وحْدَه. (الإيضاح)

(٣) قَوْله: (غَيْرُ مُتَّجِهَة): غَيْر مُتَّجِهة، أيْ: غيرُ مُوجَّهٍ. (المعرِّب)

وَالقِسْمَةَ(١): الإِحْكَامُ وَعَدَمُ النَّسْخِ، فَصارَتْ تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً.

وَعَلَىٰ مَا حَرَّرْنَا لا يَتَعَيَّنُ النَّسْخُ إِلاَّ فِيْ خَمْسِ آيَاتٍ(٢).

[الفَصْلُ الثَّالِثُ: فِيْ السَّبَبِ الثَّالِثِ مِنْ أَسْبَابِ الصُّعُوْبَةِ]

مَعْرِفَةُ أَسْبَابِ النُّزُوْلِ

وَمِنَ المَوَاضِعِ الصَّعْبَةِ أَيْضًا مَعْرِفَةُ أَسْبَابِ النُّزُوْلِ(٣)، وَوَجْهُ الصُّعُوْبَةِ أَيْضًا اخْتِلافُ اصْطِلاحِ المُتَقَدِّمِيْنَ وَالمُتَأَخِّرِيْنَ(٤).

---

(١) قَوْله: (وَالقِسْمَةَ): آيَة الاستِئْذان هيَ الآيَة السَّابعة عَشْرة؛ وآيَة القِسْمَة هيَ الآيَة التَّاسِعة. (المعرِّب)

(٢/ ١) قَوْله: (فِيْ خَمْسِ آيَاتٍ): وَهِيَ الآيَة الأُوْلىٰ، والخامِسَةُ، والرَّابِعَة عَشْرَة، والثَّامِنَة عَشْرة والتَّاسِعة عَشْرة. (المعرِّب)

(٢/ ٢) قَوْله: (فِيْ خَمْسِ آيَاتٍ): وَهِيَ الَّتِيْ رُمِز قبْلَها في التَّعْليق بـ[*]، بِخِلاف غَيرِها.

(٣) قَوْله: (مَعْرِفَة أَسْبَابِ النُّزُوْلِ): اعْلَمْ! أَنّ أسبابَ النُّزول علىٰ قسْمَين: الأوّل الصَّريح، وهُوَ ما صَرّح فيه الصَّحابي بقوله: "سَبَب نُزُوْل هٰذِه الآيَة كذا"، أوْ ذَكَرَ واقِعة، أوْ سؤالا ثمّ عقَّب ذٰلكَ بقوله: "فنزَلت، أو نَزَلت، أو ثمّ نَزلتْ، أو فأوْحىٰ اللهُ إلىٰ نبيّه"؛ ومِثال الصَّريح مَا أَخْرَجه الشَّيْخان عنِ البَراء بنِ عازِب فيْ قَوْله تَعالىٰ: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ [البقرة١٨٩]، قال: نزَلت هٰذِه الآيَةُ فيْنا؛ كانَت الأَنْصار إذَا حَجُّوا فجَاؤا؛ لَمْ يَدخُلوا مِن قِبل أَبْوَاب بُيُوْتهم، ولٰكِن مِن ظُهورِها؛ فجَاء رَجُل مِن الأنصَار، فدَخَل مِن قِبَل بابِه، فكأنَّه عُيِّر، فنزَلت: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ...﴾ [البقرة١٧٧]؛ والثَّاني غَيرُ صَريْح، وهُوَ أَنْ يَقُوْل: "نزَلت هٰذِه الآيَة في كذَا"، ونَحو ذٰلِك؛ فهٰذَا يحتَمل أَنْ يَكون سَبَبا فِيْ النُّزُوْل، كَمَا يحتَمل أَنْ يَكون مِن قَبِيْل التَّفسِير.

فالقِسْم الأوَّل لهُ حُكم الرَّفْع، ووقَع الخِلاف فيْ الثَّاني في أنّه: هلْ يجْرِي مجْرَى المُسْنَد (أي: المَرْفوع)، أو يجْرِي مجْرَى التَّفْسير مِنْه؟ والبُخاري يُدخِله في المُسْند، وغَيرُه لايُدْخِله في المُسنَد؛ وهٰذَا بخِلاف مَا إذا ذَكَر الصحابيُّ سببًا نزَلت عقِبه، فإنَّهم يُدخِلون مِثْل هٰذَا فِي المسنَد. (قواعد:٥٤)

(٤) قَوْله: (اصْطِلاحِ المُتَقَدِّمِيْنَ وَالمُتَأَخِّرِيْنَ): وقَدْ مرَّ تفصِيْله مَعَ تقْسِيْم سَبَب النُّزُول إلىٰ: السَّبَب العَامّ والسَّبَب الخاصّ فيْ ابتِدَاء البَاب الأوّل، وفي بحْثِ "التَّعْرِيْضات المُتعَلِّقة بأَسْبَاب النُّزُوْل" أيضًا.

[مَعْنى: نَزَلَتْ فِيْ كَذَا[1] عِنْدَ المُتَقَدِّمِيْنَ]

وَالَّذِيْ يَظْهَر مِنْ اِسْتِقْرَاءِ كَلَام الصَّحَابَة وَالتَّابِعِيْن -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِيْنَ-: أَنَّهُمْ كَانُوْا لايَسْتَعْمِلُوْن: "نَزَلَتْ فِيْ كَذَا" لِمُجَرَّد بَيَان الحَادِث الَّذِيْ وَقَعَ فِيْ زَمَنه ﷺ، وَكَانَ سَبَبا لِنُزُوْل الآيَة، بَلْ:

١- رُبَمَا يَذْكُرُوْن بَعْض مَا صَدَقَتْ عَلَيْهِ الآيَةُ مِمَّا حَدَث فِيْ زَمَنه ﷺ[2]، أَوْ

---

(١) قَوْله: (نَزَلَتْ فِيْ كَذَا): حُكْم قَولِهِم "نَزَلَتْ فِيْ كَذا":

اعلمْ! أَنَّ مَا رُوِيَ: مِنْ سَبَب النُّزُوْل صَرَاحَة عَن الصَّحَابِي، فَإِنَّه فِي حُكْم الْمَرْفوْع الْمُسْند عِنْد جمْهُوْر الْمُحدِّثِيْن؛ وَمِنْ أَشْهر الصِّيَغ فِي أَسْبَاب النُّزُوْل: أوّلا فَنَزَلَت أَوْ فَأَنْزَل -بَعْد فَاء السَّبَبِيَّة-؛ وَثَانِيا قَوْلهُمْ: "نزلَت فِي كَذَا"، أَوْ "أُنْزِل فِيْ كَذَا"، أَوْ "ثُمّ نَزَلَتْ"، أَوْ "فَأَوْحىَ اللهُ إِلىٰ نَبِيِّه"؛ وَمَا يَرِد بَعْد الْفَاء يَكُوْنُ لِبَيَان سَبَب النُّزُوْل غَالِبًا، وَلِهٰذَا جُعل مِنْ قَبِيْل الْمَرْفوْع؛ بِخِلاف الثَّانِيَة، لأَنَّ إِرَادَة التَّفسِيْر فِيْها أَكْثَر، وَإِرَادَة سَبَب النُّزُوْل الْمُبَاشِر فِيْها قَلِيْل.

وَمَا رُوِي مِن سَبَب النُّزُوْل صَرَاحَة عَن تَابِعِي، فَهُو أَيْضًا فِي حُكْم الْمَرْفوْع؛ لأَنَّه لَا مَجَال فِيْه لِلرَّأْي؛ لٰكِنَّه يُعدّ مِنَ الْمُرْسَل لِكَوْن اسْم الصَّحَابِي سَاقِطًا؛ وَحُكْمه: أَنْ لايقْبَل إِلا إِذَا صَحّ، أَو اعْتُضِد بِمُرْسَل آخَر، وَكَان الرَّاوِي لَه مِن أَئِمَّة التَّفسِيْر الَّذيْن كَانُوْا يَأْخُذُوْن عَنِ الصَّحَابَة، كَمُجاهِد وَعِكْرِمَة وَسعِيْد بْن جُبَيْر وَغَيْرِهِم. (رَوح القدير)

وَمَعْنَى الصَّراحَة: أَنْ صَرّح فِيه الصَّحَابِي بقَوْله: "سببُ نزُولِ الآيَة كذَا"، أو ذَكَر واقعَة، أوسُؤَالا، ثمَّ عقَّب ذٰلِكِ بقَوله: فنزَلت، أَو نزَلت، أو ثمَّ نزَلتْ، أو فأَوْحىَ الله إِلىٰ نبيِّه. (قواعد:٥٤)

وَما رُوِي مِنْ غَيرِ تَصرِيْح -بِأَنْ يُقَال: نَزَلَت هٰذِه الآيَةُ فِي كَذَا، وَنَحوِ ذٰلِك- فَهٰذَا مُحْتَمَلٌ بَيْن كَوْنه سَبَبًا فِي النُّزُوْل، وَكَوْنه مِن قَبِيْل التَّفْسِيْر؛ وَفِي هٰذا القِسْم مِنْ سَبَبِ النُّزُوْل خِلافٌ بَين الأئمَّة؛ فالإمَام البُخاري يُدخِله فِي المسْنَد، والجمْهُوْر مِن المحدِّثِيْن لمْ يعُدّوه مِن المسْنَد المرْفُوْع لاحتِمَال أَنْ يَكُوْن ذٰلك مِنهُمْ استِنْباطا واستِدْلالا؛ لأَنَّ النَّبِيﷺ والصَّحابَة والتَّابِعين كانُوا يُطلِقون "نزلت فِي كذا"، ولايُرِيْدُون: أنَّه هُوَ سَبَب نُزُوْل الآيَة. (المحرر، فصول، قواعد)

(٢) قَوْله: (مِمَّا حَدَث فِيْ زَمَنهﷺ): ومثَالُه ما أَخْرجه التِّرمذي مِن حديْث أَبِيْ سعيد قال: "لَمَّا كانَ يومُ بذْر ظهَرت الرُّومُ عَلىٰ فارِس (الترمذي: ٢٩٣٥)، فأَعجَب ذٰلك المؤْمِنِيْن، فنزَلتْ: ﴿الٓمٓ ۞ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۞ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۞ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۞﴾ [الروم]، ففَرِح المؤْمِنُون بظُهور الرُّوم عَلىٰ فارس"؛ فهٰذَا يَدلّ عَلىٰ أنها =

حَدَثَ بَعْدَهُ ﷺ[1]؛ فَيَقُوْلُوْن: "نَزَلَتْ فِيْ كَذَا"، وَلايَلْزَمُ فِيْ هٰذِهِ الصُّوْرَة انْطِبَاق جَمِيْع القُيُوْدِ المَذْكُوْرَة فِي الآيَة؛ بَلْ يَكْفِيْ انْطِبَاقُ أَصْل الحُكْمِ فَحَسْبُ.

٢- وَقَدْ يُبَيِّنُوْنَ: سُؤَالًا سُئِلَ عَنْهُ رَسُوْل الله ﷺ، أَوْ حَادِثَةً حَدَثَتْ فِيْ عَهْد النَّبِيّ ﷺ، وَاسْتَنْبَطَ ﷺ حُكْمَهَا مِنَ الآيَة[2]، وَتَلاهَا عَلَيْهِمْ فِيْ ذٰلِكَ البَاب؛ فَيَقُوْلُوْنَ: "نَزَلَتْ فِيْ كَذَا".

٣- وَرُبَمَا يَقُوْلُوْنَ فِيْ هٰذِهِ الصُّوَر: "فَأَنْزَلَ الله تَعَالىٰ قَوْلَهُ كَذَا"، أَوْ "فَنُزِّلَتْ".

وَكَأَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلىٰ: أَنَّ اِسْتِنْبَاطَهُ ﷺ ذٰلِكَ الحُكْمَ مِنَ الآيَة وَإِلْقَاءَهَا فِيْ تِلْكَ السَّاعَة[3] فِيْ خَاطِرِهِ المُبَارَك أَيْضًا نَوْعٌ مِنَ: الوَحْي وَالنَّفْثِ فِي الرُّوع[4]؛ فَلِذٰلِكَ

= نَزَلت بالمدِينة بعد الهجْرة؛ وأَخرج مِن حَديث ابن عباس مَا يدلُّ عَلىٰ أَنَّها نازِلة بمَكة، وذٰلك فِي قصة الرِّهَان المشهورة التِيْ وقعَتْ بَين أَبِيْ بَكر وبينَ المشركِين(الترمذي: ٣١٩٤)؛ وهٰذَا صَريح فِيْ أَنَّها نَزَلت بمَكة قبْل الهجْرة؛ وقدْ كان بَين النُّزولَيْن سِنون؛ معَ أَنَّهما خَبران صحِيْحان، والعِبارة فيْهمَا صَرِيحةٌ فِي سَبَب النزول؛ فهٰذَا محمُولٌ عَلىٰ تعدُّد النزول. (قواعد:٦٢ ملخصا)

(١) قَوْله: (حَدَثَ بَعْدَهُ ﷺ): وفيه قاعدة: أَنَّ "نُزُوْل القُرْآنِ تارَةً يَكُوْنُ مَعَ تَقْرِيرِ الحُكْمِ، وَتَارَةً يَكُوْنُ قَبْلَهُ، وَالعَكْسُ" [قواعد: ٣].

(٢) قَوْله: (وَاسْتَنْبَطَ حُكْمَهَا إلخ): أَخْرج البُخاري عنْ أَبِي هرَيْرة: أَنَّ رسُوْل الله ﷺ قال: "الخَيل: لرجُلٍ أَجْرٌ، ولِرجُل سِترٌ، وعَلىٰ رجُل وِزرٌ...."؛ وسُئل عنِ الحُمُر، فقَال: "ما أُنزِل عليَّ فيْها شيءٌ إِلَّا هٰذه الآيةُ الجامِعة الفاذّة (أيْ: قليْلة النَّظيْر فيْ معنَاها): ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾" [الزلزال]. (البخاري: ٢٣٧١)؛ فعُلم: أَنَّ حُكْم الخاصِّ -وهُوَ الحُمُر- دَاخِل تَحت حُكْم العامِّ، فمَن ربَطها فِي سَبيل اللهِ فهوَ عامِل للخَير، يَرى جزاءَه خَيرا؛ ومَن ربَطها فخْرًا ورِياءً فهوَ عامِل للشَّر، يَرى جزاءَه شرًّا.

(٣) قَوْله: (وَإِلْقَاءَهَا فِيْ تِلْكَ السَّاعَة): ومِثَاله: عنْ عَبْد اللهِ قَال: لَمَّا نزَلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٨٢﴾ [الأنعام]، شَقَّ ذٰلك على المسْلِميْن، فقَالوا يَا رَسُوْل الله! وأَيُّنا لايَظلِم نفْسَه؟ قال: لَيْس ذٰلِك! إنمَا هُوَ الشِّرك، أَلمْ تسْمَعُوا مَا قَال لقمَان لابْنِه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ۝١٣﴾ [لقمان]. هٰذَا حَديْث حسَن صحِيْح.

(ترمذي، أبواب التفسير، سورة الأنعام) =

يُمْكِنُ أَنْ يُّقَالَ: "فَأَنْزِلَت".

المَلْحُوْظَة: وَلَوْ عَبَّرَ أَحَدٌ عَنْ ذٰلِكَ بِـ"تَكْرَار نُزُوْلِ الآيَة"(١) لَكَانَ لَه مَسَاغٌ أَيْضًا(٢).

= (٤)قوله: (النَّفثُ فِي الرَّوْعِ) اعلَم! أنَّ النَّفثَ فِي الرَّوعِ هُو أَحَدُ أَنوَاعِ الوَحيِ، فإنَّ الوَحيَ سِتة أَنوَاعٍ: أحدُها: كَان يَأتِيهِ كَصَلصَلَةِ الجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّ، الثَّاني: يَتمثَّلُ لَه المَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُهُ، الثالث: النَّومِي، الرابع: الإلقَاءُ فِي القَلبِ -وهو النَّفثُ في الرَّوعِ-، الخامس: يَأتيهِ جِبرَئيلُ فِي صُورَتِه الأَصْلِيَّةِ، لَه سِتُّ مِأَةِ جَناحٍ، السَّادسُ: يُكَلِّمُه اللهُ كَمَا كَلَّمَه لَيلَةَ الإسرَاءِ وَهو أَسْمىٰ دَرَجَاتِه. (مُحَمَّدْإلْيَاس)

(١) قَوْله: (تَكْرَار نُزُوْلِ الآيَة): عنْ ابنِ مسْعُود ﷺ قَالَ: بَينا أَنَا امْشِيْ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِيْ خَرِبِ المَدِيْنَة، وَهُو يَتَوَكَّأُ عَلىٰ عَسِيْب مَعَه، فَمَرَّ بِنَفرٍ مِنَ اليَهُوْد، فَقَال بَعْضهُم لِبَعْض: سَلُوْه عَنِ الرُّوْح، وَقَالَ بَعْضهُم: لاتَسألُوْه! لايَجِيْء فِيْه بِشَيْء تَكرَهوْنَه، فَقَالَ بَعْضهُم لَنَسْئَلَنَّه، فَقَامَ رَجُل مِنهُم فَقَال: يَا أَبَا القاسم! مَا الرُّوْح؟ فَسَكَت، فَقُلْت: إِنّه يُوْحىٰ إِلَيْه فَقُمْت، فَلَمّا انْجَلىٰ عَنْه فَقَالَ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء] قَالَ الأَعْمَش: هٰكَذَا فِيْ قِرائَتِنا. (بخاري: ١٢٥)

وَقَدْ أَخرَج التِّرمِذِي وَصَححَه عَن ابْنِ عَبَّاس قَالَ: قَالَتْ قُرَيش لِليَهود "أَعْطُونا شَيئا نَسْأَل هٰذا الرَّجُل؛ فسَأَلوه عنِ الرُّوح، فأنزَل اللهُ تعالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء]". [الترمذي: ٣١٤٠]، وَرِجَالُه رِجَال مسْلم؛ فَهٰذه الرِّوايَة تَقتَضِيْ أَنَّها نَزلَتْ بِمَكَّة، وَالرِّوايَة الأُولىٰ تَقتَضِيْ أَنَّها نَزلَت بِالمَدِيْنَة.

وَيُمكِن الجمعُ بتعدُّد النُّزُوْل بِأَنْ يَّكوْن النُّزوْل فِي المَرّة الأُوْلىٰ بِمكَّة وَالمَرَّة الثَّانيَة بِالمَدِيْنَة؛ وَأَمَّا سُكوْته ﷺ فِي المَرّة الثَّانِيَة فَهُو عَلىٰ توقُّع مَزِيد بَيان فِي ذٰلك. (مُحَمَّدْإلْيَاس)

وفيه قواعد: "الأَصْلُ عَدَمُ تَكَرُّرِ النُّزُوْلِ" [قواعد: ٤]؛ "قَدْ يَكُوْنُ سَبَبُ النُّزُوْلِ وَاحِدًا وَالآيَاتُ النَّازِلَةُ مُتَفَرِّقَةً وَالْعَكْسُ" [قواعد: ٥]

(٢) قَوْله: (لَكَانَ لَه مَسَاغٌ): وَإِنْ ذَكَر وَاحِدٌ سَبَب نُزُوْلها صَرَاحَة، وَالآخَر يَختَلِف بِقوْلِه: "نزلَت فِي كَذَا"، فَالْقَوْل قَوْل مَنْ صَرَّحَ، وَيُحْمَل قَوْل الآخَر عَلىٰ الاسْتنْبَاط؛ وَإِنْ صَرّح كُل مِّنهُمَا بِسَبَب النُّزُوْل، وَإِسْنَاد أَحَدهِمَا صَحِيْح دُوْن الآخَر، فَالمُعْتَمَد هُوَ الصَّحِيْح؛ وَإِنْ كَانَ حَدِيْث كُل مِّنْهُما صَحِيْحًا، فَالاعْتِمَاد بِالتَّرجِيْح إِذَا كَانَ أَحدهُمَا أَصَح أَوْ يُذْكَر فِي أَحَدهِمَا المُشَاهَدَة؛ وَإِنِ اسْتَوَيا فِي الصِّحَّة، وَلامُرَجّح لأَحَدهِمَا، فَإِنْ أَمْكَن الجَمْعُ بَيْنهُمَا بِأَنْ نُزلَتْ بَعْد السَّبَبَيْن أَوِ الأَسْبَاب لِتَقَارُب الزَّمَن بَيْنَهُمَا، فَيحْمِل عَلَيْه؛ وَإِلَّا فَيُحْمَل عَلىٰ تَكْرَار النُّزُوْل. =

[الرِوَايَاتُ الَّتِيْ لَيْسَ لَهَا مَدْخَلٌ فِيْ كَوْنِهَا أسْبَاب النُّزُوْل]

وَيَذْكُرُ المُحَدِّثُوْن تَحْتَ آيَاتِ القُرْآنِ الكَرِيْم كَثِيْرًا مِنَ الأشْيَاء، لَيْسَتْ هِيَ فِي الحَقِيْقَة مِنْ قِسْمِ سَبَب النُّزُوْل، مِثْلُ:

١- اسْتِشْهَادِ(١) الصَّحَابَةِ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ أجْمَعِيْنَ- فِيْ مُنَاظَرَاتهِمْ بِآيَةٍ(٢)، أوْ تَمَثُّلِهِمْ بِهَا(٣).

= أمَّا أمْثِلة كلِّ صُوْرة مِن الصُّوَر المَذكُوْرَة فمَذكُوْرة فِيْ كِتَابِنا "روح القدير في أصُوْل التَّفْسير".

المَلحُوْظة الهامَّة فِيْ تَعَدُّد النُّزُوْل وَتَقَدُّمِه: ١- اعْلَمْ! أنه قَدْ يَتَعَدَّد نُزُوْل الْآيَات فِي وَاقِعَة، كَمَا سَأَلَت أمّ سَلَمَة النَّبِيَّ ﷺ عَلى عَدَم ذِكْر النِّسَاء فِي الْقُرْآن؟ فَأنْزَل الله: ﴿أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ﴾ الآية [آل عمران١٩٥]، أخرَجَه الحَاكِم وَالتِّرْمذِيْ؛ وَأخْرَج أحْمَد وَالنَّسَائي عَنْ أمّ سَلَمَة، فَأنْزَل الله ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ . . . أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا ٣٥﴾ [الأحزاب]؛ وَأخْرَج الحَاكِم أيْضًا عَنْ أمّ سَلَمَة، فَأنْزَلَ الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ [النساء٣٢]. (رَوح القدير)

٢- وَقَدْ يَتقدَّم النُّزُوْل عَلى الحُكْم أوِ الحَادِثَة، نَحْو قَوْله تَعَالى: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾ [القمر]، نَزَل بِمَكَّة؛ وقَالَ عُمَر بن الخَطَّاب كنتُ لاأدْرِي: أيّ الجَمْع يُهزَم؟ فلمَّا كانَ يَوم بدْر رَأيْت رَسُوْل اللهِ ﷺ يَقُوْل: ﴿سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ٤٥﴾؛ ومِنه قَوله تعَالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤﴾ [الأعلى] فقَالَ بعضُهم: لاأدرِي ما وَجه هٰذَا التأوِيْل؟ لأنَّ هٰذِه السُّورَة مَكيَّة، ولمْ يَكنْ بمَكَّة عِيْد ولازَكوٰة! فأجِيْب بأنَّه يَجُوْز أنْ يكُوْن النُّزُوْل سَابقا عَلى الحُكْم. (مباحث، رَوح القدير)

(١) قَوْله: (اسْتِشْهَاد): الاسْتِشْهَاد: هُوَ إقَامَة الدَّليْل عَلَى الدَّعْوٰى بِالآيَة أوْ بِالحَديْث.

(٢/ ١) قَوْله: (فِيْ مُنَاظَرَاتهِمْ بِآيَةٍ): المُناظرة: مُجادَلة أدَبِيَّة أوْ سِيَاسِيَّة أوْ نَحوُ ذٰلك تَدُوْر بَيْن شَخْصَين بحُضُوْر المُستَمِعيْن؛ والمُرادُ هٰهُنا: المُبَاحَثة العِلْمِيَّة. (مُحَمَّدإلْيَاس)

(٢/ ٢) قَوْله: (فِيْ مُنَاظَرَاتهِمْ بِآيَةٍ): نَحْو قَوْله تَعَالى: ﴿وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ﴾ [الأنفال٧]؛ عنْ ابنِ عبَّاس قالَ: لمَّا فرَغ رسولُ اللهِ ﷺ مِن بدْرٍ، قِيل لهُ عَليْك العِيرَ! لَيْس دُونَها شَيءٌ، قَالَ فنَاداه العبَّاس -وهُوَ فِي وَثَاقه-: "لايَصْلُحُ"! وقَال: لأنَّ اللهَ تعَالى وعَدَك إحْدَى الطائِفَتَيْن، وقدْ أعْطاك مَا وعَدَك، قالَ: صَدقْتَ. هٰذَا حديث حسن. (الترمذي، أبواب التفسير)

(٣/ ١) قَوْله: (تَمَثُّلِهِمْ بِهَا): تَمَثَّل بالشَّيْء: ضَرَبَه مَثَلاً، وَتَمَثَّل بِهِ: تَشَبَّه بِه، اِتَّخَذَه مِثَالا. (المعرِّب)=

٢- أَوْ تِلاوَتِهِ ﷺ آيَةً لِلاسْتِشْهَادِ فِيْ كَلامِه الشَّرِيْف(١)،

٣- أَوْ رِوَايَةِ حَدِيْثٍ يُوَافِق الآيَةَ فِيْ أَصْل الغَرَض(٢)،

٤- أَوْ تَعْيِيْنِ مَوْضِع النُّزُوْل(٣)،

= (٣/ ٢) قَوْله: (تَمَثُّلِهِمْ بِهَا): يعْنِيْ: تَمثُّلهمْ بِها بَعْد ذِكْرِ مَا: حَدثَ فِي زَمَنه ﷺ أَوْ بَعْد زَمَانه من الحوادثات والواقعات، وَصَدَقتْ عَلَيْه الآيَة؛ وَيريْدوْن: أنَّ هٰذِه القِصَّة أيْضًا مِصدَاقُ هٰذِه الآيَة، وَيقْصدُوْن بِهٰذه المَصَادِيْق إِظْهَارَ تِلْك الصُّوْرَة فَقَطْ، وَلَايَقْصِدُوْنَ بِهَا خُصُوْص تِلْكَ الْقِصَّة. وَلذٰلِك تَخْتلِف أَقْوَالهُم فِيْها، وَلَا يَنْطبِق جَمِيْع القُيوْد الْمَذكُوْرَة فِي الآيَة عَلىٰ تِلْك الصُّوْرَة.

قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ [الحجر]، أيْ: ولقَدْ عَلمْنا المُستقْدِمين مِن الأمَم والمُستأخِرِيْن مِن أُمَّة مُحمَّد ﷺ؛ أوْ المُستقْدِمين مِنْكم فِي الخَيْر والمستأخِريْن عنه؛ فعَنْ ابنِ عبَّاس قَال: كانَت امْرأة تُصَلِّي خَلْف رَسول الله ﷺ حَسْناءَ مِن أَحسَن النَّاس، فكانَ بَعْض القَوْم يَتقَدَّم حتّٰى يَكون فِيْ الصَّفِّ الأَوَّل لئَلاَّ يَراها، ويسْتَأخِر بعضُهم حتّٰى يَكون فِيْ الصَّفِّ المُؤَخَّر؛ فإذا رَكع نَظر مِن تَحْت إبْطَيه، فأنزَل اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ﴾ [الحجر] [الترمذي: ٣١٢٢].

(١) قَوْله: (لِلاسْتِشْهَادِ فِيْ كَلامِه الشَّرِيْف): أخرَجَ البُخاريُّ عنْ حُسَين بنِ عليٍّ أنَّ عليًّا بنَ أبِي طالِب أخبَره، أنَّ رَسولَ الله ﷺ طَرَقه وفاطمةَ بنتَ رسولِ اللهِ ﷺ ليلةً، فقَال لَهُمْ: أَلَا تُصَلُّوْنَ؟ قَال عَليٌّ: فقُلتُ يَا رَسُوْل الله ﷺ! إِنَّمَا أَنْفُسنا بِيَد اللهِ، فإذَا شَاء أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا؛ فَانْصَرَفَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ حِيْنَ قُلْتُ ذٰلِكَ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا، ثُمَّ سَمِعْتُهُ، وَهُوَ مُدبِرٌ يَضْرِب فَخِذَه، وَيَقُوْل: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف]. [البخاري: ٧٣٤٧]

وعنْ أَبِي سَعيد قَال، قَالَ رسولُ الله ﷺ: إِذَا رَأَيتُم الرَّجُل يَعتَاد المَسْجد فاشْهَدوا له بالإيْمَان، قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [التوبة]

(الترمذي: ٣٠٩٣، وأحمد: ١١٦٥١، ١١٧٢٥، وابن ماجه: ٨٠٢)

(٢) قَوْله: (فِيْ أَصْل الغَرَض): مِثالُهُ مَا أَخرَجَ البُخاري عنِ البَراءِ بنِ عازِب عنِ النَّبي ﷺ قَال: "إِذَا أُقْعِدَ المُؤمِنُ فِيْ قَبرِه أُتِيَ، ثُمَّ شَهِد: أنْ لَا إلٰه إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحمَّدا رسُوْل اللهِ"، فذٰلِك قولُه: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [ابراهيم]؛ حدَّثنا مُحمَّد بنُ بشَّار حدَّثنا غُنْدَر حدَّثنا شُعْبة بهٰذَا وزَاد ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ نَزَلتْ فِيْ عَذابِ القَبْر. (البخاري: ١٣٦٩)

(٣) قَوْله: (تَعْيِيْن مَوْضِع النُّزُوْل): عَنِ ابْن عَبَّاس: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء]، قَالَ: نَزلَت بِمَكَّة. (الترمذي: ٣١٤٥)

٥- أَوْ تَعْيِيْنِ أَسْمَاء المَذْكُوْرِيْن فِي الآيَة بِطَرِيْق الإِبْهَام[١]،

٦- أَوْ بَيَانِ طَرِيْق التَّلَفُّظ بِكَلِمَة قُرْآنِيَّةٍ[٢]،

٧- أَوْ فَضْلِ سُوَرٍ وَآيَاتٍ مِّنَ القُرْآن[٣]،

٨- أَوْ بَيَانِ طَرِيْقَة امْتِثَاله ﷺ بِأَمْرٍ مِنْ أَوَامِرِ القُرْآن الكَرِيْم[٤]؛ فَـ"لَيْسَ شَيْء مِنْ هٰذَا فِي الحَقِيْقَةِ مِنْ أَسْبَابِ النُّزُوْل، وَلَيْسَ مِنْ شُرُوْط المُفَسِّر الإِحَاطَةُ بِهَا".

شَرْطُ المُفَسِّر فِيْ بَابِ أَسْبَاب النُّزُوْل:

إِنَّمَا شَرْطُ المُفَسِّر مَعْرِفَةُ أَمْرَيْن: الأَوَّل: مَعْرِفَة تِلْكَ القِصَص الَّتِيْ

---

(١) قَوْله: (بِطَرِيْق الإِبْهَام): وَمِثَاله: مَا رَوَاه البُخَارِي عَنْ سَعِيْد بْن جُبَيْر عَنِ ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء٥٩]، قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَبْد الله بْن حُذَافَة بْن قَيْس بْن عَدِيّ إِذْ بَعَثَه النَّبِيّ فِي سَرِيَّة. (البخاري: ٤٥٨٤)

وَأخرَج التِّرمذِي عنْ أَبِيْ سَعِيْد عنِ النَّبيّ ﷺ فِيْ قَولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام١٥٨]، قَال: طُلوْع الشَّمْس مِن مَغْرِبها. (الترمذي: ٣٠٧١، أحمد: ١١٢٦٦)

(٢) قَوْله: (طَرِيْق التَّلَفُّظ إلخ): عنْ أمِّ سَلَمَة قَالَتْ: كَانَ رَسُوْل اللهِ ﷺ يُقَطِّع قِرائَته يَقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞﴾ ثمَّ يَقِف، ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞﴾ ثمَّ يَقِف، وكَانَ يَقرأها ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۞﴾ [الفاتحة]. (الترمذي: ٢٩٢٧، أبوداوُد: ٤٠٠١)

(٣) قَوْله: (فَضْل سُوَرٍ إلخ): عَنْ أَبِيْ الدَّرْدَاء أَنَّ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: مَنْ حَفِظ عَشَر آيَاتٍ مِنْ أَوَّل سُورَة الكَهْف عُصِم مِنَ الدَّجَّال. (المسلم: ٨٠٩)

(٤) قَوْله: (بِأَمْرٍ مِنْ أَوَامِرِ القُرْآن): عنْ عائشَة قَالتْ: مَا صَلَّى النَّبيّ ﷺ صَلاة بَعْد أَنْ نَزَلتْ عَلَيْه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۞﴾ [النصر] إِلَّا يَقُوْل فِيها: سُبْحَانَك رَبَّنا وبِحَمْدِك، اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيْ؛ وفِي رِوايَة عنْ عَائشَة: أَنَّ النَّبيّ ﷺ كانَ يُكثِر أَنْ يَقُوْل فِيْ رُكوعِه وسُجُوْده: سُبْحَانَك اللّٰهُمَّ رَبَّنا وبِحَمْدِك، اللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيْ؛ يَتأوَّل القُرْآن. (البخاري)

وَعنْ جابِرِ بنِ عَبْد اللهِ قَال: سمِعْت رَسُوْل اللهِ ﷺ حِيْن قدِم مَكَّة طَافَ بالبَيْت سَبْعا، فقَرأ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة١٢٥] فَصلَّى خَلْف المَقَام، ثمَّ أَتَى الحَجَر فَاسْتَلمَه، ثمَّ قال: نَبدأ بمَا بَدأ اللهُ، وقَرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة١٥٨]. (الترمذي: ٢٩٦٧)

تُعَرِّضُ[١] الآيَاتُ لَهَا؛ فَإِنَّه لايَتَيَسَّرُ فَهْمُ إِيْمَاءِ الآيَاتِ إِلاَّ بِمَعْرِفَتِهَا[٢]. وَالثَّانِيْ: مَعْرِفَةُ تِلْكَ القِصَّة الَّتِيْ تُخَصِّصُ العَامَّ[٣]، أَوْ نَحْوِ ذٰلِكَ مِنْ وُجُوْه صَرْفِ الكَلام عَنِ الظَّاهِرِ[٤]؛ فَإِنَّه لايَتَأَتَّى فَهْمُ المَقْصُوْدِ مِنَ الآيَات بِدُوْنِهَا.

- حُكْمُ الإسْرَائِيْلِيَّات:

وَمِمَّا يَنْبَغِيْ أَنْ يُعْلَمَ هُنَا: أَنَّ قِصَصَ الأَنْبِيَاء السَّابِقِيْنَ لَمْ تُذْكَر فِي الأَحَادِيْث إِلاَّ قَلِيْلا؛ فَالقِصَص الطَوِيْلَةُ العَرِيْضَة -الَّتِيْ يَتَجَشَّمُ[٥] المُفَسِّرُوْن رِوَايَتَهَا[٦]-

---

(١) قَوْله: (تُعَرِّضُ): مِن التَّعْرِيْض، عرَّض لهُ بالقَوْل، وهِيَ الإِشَارة؛ قَالَ قَوْلا وَهُوَ بعَيْنِه ويُرِيْده، ولٰكِنْ لمْ يُصَرِّح بهِ ولمْ يبيِّنه. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (فَهْمُ إِيْمَاءِ الآيَاتِ إلخ): ومِنْه قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران١٢١]؛ وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال٤٢]. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(٣) قَوْله: (الَّتِيْ تُخَصِّصُ العَامَّ): كَمَا رُوي أَنَّ مَرْوَان أَرْسَل بوّابه إلىٰ ابنِ عبَّاس، وقَال: قُلْ له: "لئِنْ كانَ كُلُّ امْرِئٍ فرِح بمَا أُوْتِيَ، وأَحَبَّ أَنْ يحمَد بمَا لمْ يَفعَل مُعذّبا، لنُعَذَّبن أَجْمَعُوْن؟ فقَالَ ابنُ عبَّاس: "مَا لَكُمْ، وهٰذِه الآيَة؟" إنمَا دَعا النَّبِيُّ ﷺ يهُوْدَ، فسَألهُم عنْ شَيءٍ، فكتَمُوْه إِيَّاه، وأَخبَرُوه بغَيْرِه، فأَروه: أَنْ قدْ استَحْمَدوا إِلَيْه بمَا أَخبَرُوه عَنْه فيْمَا سَألهم، وفرِحُوا بمَا أُوتُوْا مِن كتْمَانِهم؛ ثُمَّ قرَأَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ١٨٧ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٨٨﴾ [آل عمران]؛ فهٰذَا السَبَب بيَّن أَنَّ المَقصُوْد مِن الآيَة غيرُ مَا ظهَر لمَرْوان. (أصول وقواعد:٤)

(٤) قَوْله: (صَرْفِ الكَلام عَنِ الظَّاهِرِ): ومِنْه قَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٢٣﴾ [النور]؛ نَزَلت بألفَاظ عامَّة في قصَّة عائشَة خاصَّةً؛ فَالجُمْهورُ علىٰ تَعْدِيَة الحُكم اعتِبارا بعُمُوْم اللَّفْظ؛ وذهَب البَعضُ إلىٰ عدَم تَعْدِيتِها اعتِبارا بخُصُوْص السَّبَب؛ وَسَيَأْتِي تَفْصِيْله فِيْ ضِمْن "العِبْرة بعُمُوْم اللَّفْظ، لا بخُصُوْص السَّبَب".

(٥) قَوْله: (الَّتِيْ يَتَجَشَّمُ المُفَسِّرُوْن): تجَشَّم الأَمر: تكلَّفه علىٰ مشقة. (المعرِّب)

(٦) قَوْله: (رِوَايَتَهَا): اعْلَمْ! أَنَّ القُرآن الكرِيْم شَارَكَ التَّوراة والإنجِيْل فِيْ إِيْراد كثِيْر مِن القِصَص، لٰكِنَّ القُرآن سَلَكَ فِي ذٰلِك مَسْلك الإيجَاز والاختِصَار وُصُوْلا إِلَى العِظَات والحِكَم؛ وأمَّا التَّوْراة=

كُلُّهَا مَنْقُوْلَةٌ عَنْ عُلَمَاء أَهْل الكِتَاب، إِلاَّ مَا شَاءَ الله تَعَالى(١)، وَقَدْ جَاءَ فِيْ صَحِيْح البُخَارِي مَرْفُوْعا: "لاتُصَدِّقُوْا أَهْل الكِتَاب، وَلاتُكَذِّبُوْهُمْ"(٢).

= والإنجيل فقدْ سَلك مَسْلك البَسْط في القِصَص وتَاريخ الأنبِياء السَّابقِين؛ فلِذٰلك بَعضُ المُسلِمِين لمْ يقْنَع بمَا وَرَد في القُرآن مِن قِصَص، بلْ أخَذ يسْأل مَن كان مِن أهْل الكتاب عنْ تفْصِيْلات أغْفَلها القُرآن عنْ حكمَة؛ فأدخَل هٰذِه الإسْرائِيْليَّات في تفْسِير القُرآن الكرِيْم ومُدوَّنات عُلوم الإسْلام.(معجم علوم القرآن)

(١) قَوْله: (إلاَّ مَا شَاءَ الله تَعَالى): كقِصَّة مُوسىٰ والخَضِر عليْهمَا السَّلامُ المَروِيَّة في صَحِيْح البُخاري.

(٢/ ١) قَوْله: (لاتُصَدِّقُوْا أهْل الكِتَاب إلخ): أخْرَج البخاري عن أبيْ هرَيرَة فِي التفسير: ٤٤٨٥، وفي الاعتصام: ٧٣٦٢، وفي التوحيد: ٧٥٤٢.

(٢/ ٢) قَوْله: (لاتُصَدِّقُوْا أهْل الكِتَاب): اعْلَمْ! أنَّ الاسْرَائِيْلِيَّات: فَمَا عُلِمَتْ صحَّتُه بأنْ يُوافِق شرْعَنا، فَلَا كَلَام فِي جَوَاز الْأَخْذ بِه، وَالتَّحدِيْثِ بِه لِلاسْتِشْهَاد؛ إِلَّا أَنَّه لَا حَاجَة لَنَا إِلَيْه؛ وَمَا يُصَادِم شَرْعَنا، فَلايَجُوْز الْأَخْذ بِه، وَلا التَّحَدِيْثُ بِه، وَلا حِكَايَته؛ وَمَا لَايُخالِف شَرْعَنَا وَلا يُوَافِقُه، فَلانُصدِّق بِه وَلَانكَذِّبه، وَتجُوْز حِكَايَته.

وَالأَسْلَم: أنْ لايُدخَل فِي التَّفسِيْر مِنْها مَا لاطَائِل تَحْتها؛ وَمَا فِيْهَا فَائدَة تُنَاسِب التَّعْرِيْض، فَلابُدّ أنْ يُقْتَصر عَلَى الْمقَام، وَلايَعْدُو إلىٰ مَا عَدَاه؛ لأن الضَّرُوْرِيَّ يَتَقَدّر بقَدْر الضَّرُوْرَة.

الملحوظة: أمَّا رُجُوْع الصَّحَابة إلىٰ مَرْوِيَّات أهْل الكِتَاب، وَرِوَايَتها فِي التَّفسِيْر، فَلايَلْزَم مِنْ ذِكْرهِم لِهٰذِه المَرْوِيّات قبُوْلهُم لَهَا. (رَوح القدير)

أَنْوَاع شَرائِع مَنْ قَبْلنا مِمَّا

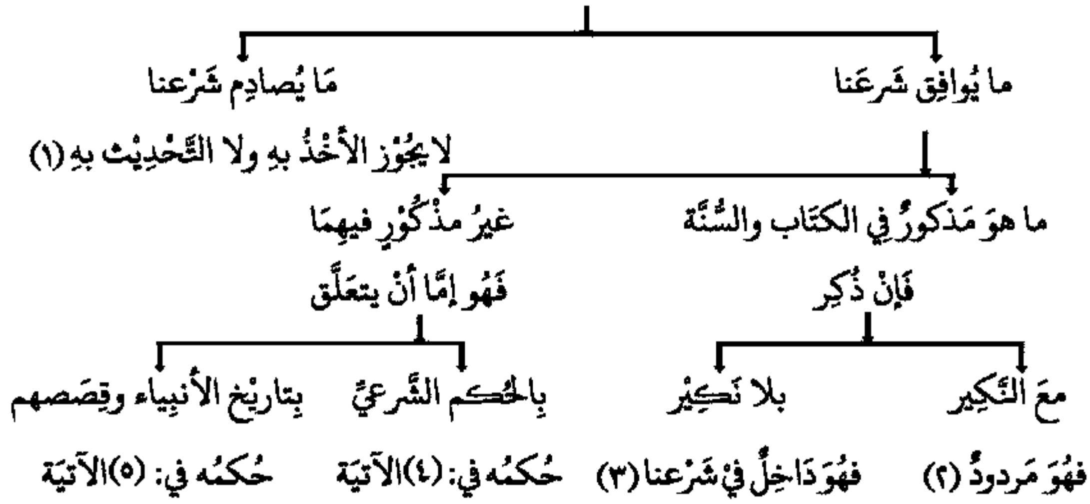

الأمْثلة والأحكام المتعلقة بالأقسام المذكورة

١- كَمَا رُوي عن معاوية حين ذكر كعْب الأحبَار، فقال: "إنْ كان مِن أصدَق هٰؤلاء المحدِّثين =

- **العِبْرَةُ بِعُمُوْمِ اللَّفْظِ، لابِخُصُوْصِ السَّبَبِ**(١):

وَلْيُعْلَمْ أَيْضا: أَنَّ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِيْن كَانُوْا يَذْكُرُوْن قِصَصًا جُزْئِيَّةً لِبَيَان مَذَاهِب المُشْرِكِيْن وَاليَهُوْد، وَعَادَاتِهِم الجَاهِلِيَّة، لِتَتَّضِحَ بِهَا عَقَائِدُهُمْ وَتَقَالِيْدُهُمْ، وَيَقُوْلُوْنَ: "نَزَلَتِ الآيَة فِيْ كَذَا"، وَيُرِيْدُوْنَ بِذٰلِكَ:

= الذين يحدِّثون عنْ أهل الكتاب، وإنْ كنَّا مع ذٰلك لنبلو (أي: نمتحِن) عليه الكِذْب"؛ أيْ مع أنَّ كعْبا مِن أخيَار الأحبار. [البخاري باب قول النبي: لاتسئلوا أهل الكتاب]

٢- قَالَ الله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ۝٧٩﴾ [البقرة٧٩].

٣- قَالَ الله تعالىٰ: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ﴾ [يونس٩٤]، وَالمُرادُ بهِ: مَنْ آمَنَ مِنهُم، وَالنَّهْيُ إنَّمَا هوَ عَنْ سُوالِ مَنْ لَمْ يُؤمِن مِنهُم؛ وحُكْم الأخْذِ فِيْما يتعلَّق بالتَّوحِيْد والرِّسَالة المحَمَّديَّة؛ فيَجوز التَّحدِيْث بهِ للاسْتِشْهاد، كحَدِيْث حَمْل السَّماواتِ والأرْض علىٰ إصْبَع. [البخاري: ٤٨١١].

وَدَليْلُه: مَا رَوَاه البُخارِي: أنَّ مجَاهِدًا سَأل ابْنَ عبَّاس: أفيْ سُوْرَة "صَادْ" سَجْدَة؟ فَقَال: نَعَم! ثُمَّ تَلا ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ ...۝٨٤ ... أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ ...۝٩٠﴾ [الأنعام: ٩٠]، ثُمَّ قَالَ: "نَبِيُّكُمْ مِمَّنْ أمِرَ أنْ يَقْتَدِي بهِمْ" (البخاري: ٤٦٣٢)؛ وَالمُرادُ مِنه: الاقتِداء فِيْ أصُوْل الدِّين ومَكارِمِ الأخْلاق وَالصِّفَات الحَمِيْدة المَشْهُوْرة عَنْ كلِّ واحِدٍ مِنْ هؤلاءِ الأنْبِيَاء.

القَائِدة المُهمَّة: وهٰذا دَلِيْل أيْضًا عَلى كَوْنه ﷺ أفْضَل الأنْبِيَاء؛ لأنَّه قدْ اجْتَمَع فِيْه جَمِيْع فَضَائِلهم وأخْلاقِهِمْ المُتفرِّقة، لأنَّ اللهَ سُبْحانَه وتَعالىٰ أمَرَه بالاقْتِداء بهُداهمْ. (ملخص من شروح البخاري)

٤- هٰذَا مِن قَبِيْل: "لاتَسْئلوا أهْل الكِتَاب عَنْ شَيء" [البخاري: ٧٣٦٣]، فضْلًا عنْ أنْ يُصدَّق أو يُكَذَّب؛ لأنَّ شَرعَنا مُكتَفٍ بِنَفسِهِ، فإذَا لَم يُوجَد فِيه نَصٌّ فَفِي النَّظَرِ وَالاستِدْلَال غِنًى عَن سُوَّالِهِم؛ والعَمَلُ حِيْنئِذ بقَوْله تَعَالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ﴾ [النساء٥٩]؛ وقولِه تعالىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورىٰ: ٣٨].

٥- هٰذَا مِنْ قَبِيْل: "لاتُصَدِّقوا أهْلَ الكِتَاب، ولاتُكَذِّبُوهم"[البخاري: ٧٣٦٢]؛ وقَالَ عَلَيْه السَّلام: "حَدِّثُوْا عَنْ بَنِيْ إسْرَائِيْل ولاحَرَج".[البخاري: ٣٤٦١، أبوداوٗد: ٣٦٦٢]؛ قَالَ الحَافظ ابنُ حَجَر: فِيْه جَوازُ التَّحْدِيْث عَنْ بَنِيْ إِسْرَائِيْل بمِثْل مَا وَرَد فِيْ القُرآن والحَدِيْث وإنْ كانَ فِيْه نَوْع انقِطاع، لتَعَذُّر الاتِّصَال. (فتح الباري)

المَلحُوْظَة: هٰذَا ممَّا ظَهَر لِيْ بَعْد تفحُّص الآثَارِ وأقوَالِ السَّلَف؛ فإنْ كَانَ حقًّا فمِنَ اللهِ العَزِيْز العَلام، وإلَّا فمِنِّي ومِن الشَّيطان! (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(١) قَوْله: (العِبْرَةُ إلخ): وَدَليْله: مَا رُوِيَ عَنْ عَبْد الله بْن مَعقِل، قَالَ: قَعدْت إلىٰ كَعْب رَضِي =

"أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيْ مِثْل هٰذِهِ"، سَوَاءٌ كَانَتْ تِلْكَ بِعَيْنِهَا، أَوْ مَا شَابَهَهَا، أَوْ مَا قَارَبَهَا؛ وَيَقْصِدُوْن: إِظْهَارَ تِلْكَ الصُّوْرَة، لاخُصُوْصَ القِصَص؛ بَلْ يَذْكُرُوْنَهَا لأَجْلِ: أَنَّ هٰذِه صُوْرَةٌ صَادِقَةٌ لِتِلْكَ الأُمُوْرِ الكُلِّيَّة(١)؛ وَلِهٰذَا تَخْتَلِفُ أَقْوَالُهُمْ فِيْ كَثِيْرٍ مِنَ المَوَاضِع، وَكُلٌّ يَجُرُّ الكَلام إِلىٰ جَانِبِهِ، وَقَصْدُهُمْ فِي الحَقِيْقَة وَاحِدٌ(٢)؛ وَإِلىٰ هٰذِهِ النُّكْتَة أَشَارَ أَبُو الدَّرْدَاء -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- حَيْثُ قَالَ: "لا يَكُوْن الرَّجُل فَقِيْها حَتّٰى يَحْمِل الآيَةَ الوَاحِدَةَ عَلىٰ مَحَامِلَ مُتَعَدِّدَة"(٣).

= الله عَنْه -وهُوَ فِي المَسْجِد-، فَسَأَلَه عَنْ هٰذِه الآيَة: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة١٩٦]، فَقَال كَعْب رَضِيَ الله عَنْه: "نَزَلَتْ فِيَّ"؛ كَان بِي أَذًى مِنْ رَأْسِي، فَحُمِلْتُ إِلىٰ رَسُوْل الله ﷺ -وَالقَمْل يَتَنَاثَر عَلىٰ وَجْهِي-، فَقَال: "مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ الجَهْد بَلَغ مِنْك مَا أَرَى، أَتَجِدُ شَاة؟" فَقُلْتُ: لَا! فَنَزَلت هٰذِه الآيَة: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾، قَالَ: "صَوْم ثَلاثة أَيَّام، أَوْ إِطعَام سِتَّة مَسَاكِيْن: نِصْف صَاع طَعَاما لِكُلّ مِسْكِيْن"؛ قَالَ: "فَنَزَلَت فِيَّ خَاصَّة، وَهِي لَكُمْ عَامَّة". (مسلم: ١٢٠١)

فَفِيْه إِشَارة إِلىٰ قولِهِ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ [البقرة١٩٦]، وفِيْ قَوْل كَعْب بنِ عُجْرة "نزلت فِيَّ خاصَّة وهِيَ لكُمْ عامَّة" إِشَارَة إِلىٰ قَاعِدة: "العِبْرَة بعُمُوْم اللَّفْظ لا بخُصُوْص السَّبَب". [القاعدة: ١٤٦]

(١) قَوْله: (لِتِلْك الأُمُوْر الكُلِّيَّة): وَالمُفَسِّرُوْن كَثِيْرا مَّا يَذْكُرُوْن لِنزُوْل الآيَة أَسْبَابا مُتَعَدِّدَة، فَإِنْ عَبَّرُوْا بِقَوْلِهِمْ: "نزلَت فِي كَذَا"، وَذَكَرُوا أُمُوْرا مُخْتَلِفَة فَلامُنَافَاة بَيْنَهُمْ؛ لأَنَّهُم يُرِيدُوْن بِهٰذَا التَّعبِيْر: أَنَّ الآيَة تَتَضَمَّن هٰذَا الحُكْم أَيْضا، يَعْنِي: أَنَّ هٰذِه الأَسْبَاب كَالأَمْثِلَة الَّتِيْ تَدْخُل فِيْ حُكْم الآيَة. (رَوح القدير)

(٢/ ١) قَوْله: (وَقَصْدُهُمْ فِي الحَقِيْقَة وَاحِدٌ): كَمَا فِيْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة٢٢٣]، فقَالَ ابنُ عمَر "نزلت فِيْ إِتْيَان النِّسَاء فِيْ أَدْبَارهن"؛ وقَالَ جَابِر: كَانَت اليَهُوْد تَقُوْل: إِذَا أَتَى الرَّجُل امْرَأَته مِن خَلْفِها فِيْ قُبُلها جَاء الوَلد أَحْوَل، فنَزَلتْ: ﴿نِسَآؤُكُمْ...﴾؛ فقَولُ جَابِر هُوَ المُعتَمَد، لأَنَّه نصٌّ وصَرِيْح، ويُحمَل قولُ ابنِ عمَر عَلَى الاستِنْبَاط. (مباحث فِي علوم القرآن)

(٢/ ٢) قَوْله: (وَقَصْدُهُمْ إلخ): وهُوَ إِظْهَار تِلْك الصُّوْرَة، فمَا رُوِي مِنْ غَيرِ تَصرِيْح -بِأَنْ يُقَال: نَزَلَت هٰذِه الآيَة فِي كَذَا، وَنَحوِ ذٰلِك- فَهُوَ مُحْتَمَلٌ بَيْن كَوْنه سَبَبًا فِي النُّزُوْل، وَكَوْنه مِن قَبِيْل التَّفسِيْر. (رَوح القدير)

(٣/ ١) قَوْله: (عَلىٰ مَحَامِلَ مُتَعَدِّدَة): قَدْ أَخْرَج ابن عَسَاكِر فِي تَارِيْخه عَن أَبِي قِلَابَة عَن أَبِي الدَّرْدَاء قَالَ: "إِنَّك لَنْ تفقه كُل الفِقْه حَتّٰى تَرَى لِلْقُرْآن وُجُوْها".

أَمَّا الوُجُوْه وَالنَّظَائِر فَهِي إِطلَاق اللَّفْظ عَلىٰ مَا يَدُل تَحْته أَوْ يُشَابِهه أَوْ يُشَاكِله فِي المَعَانِي. (الزيادة والإحسان: ٥ - ٢١٩)؛ فَعَلَيْنَا أَنْ لا نَقْتَصِر عَلَى التَّفسِيْر الظَّاهِر؛ بَلْ نَستَعْمِل الإِشَارَات البَاطِنِيَّة.

(٣/ ٢) قَوْله: (عَلىٰ مَحَامِلَ مُتَعَدِّدَة): وهٰذَا مَعْنىٰ قَوْلهم: العِبْرَة بِعُمُوْم اللَّفْظ لا بِخُصُوْص السَّبَب؛ =

[الأَصْلُ: إِبْقَاءُ المُطْلَقِ عَلىٰ إِطْلَاقِهِ]

- **مَا هِيَ مِنْ قَبِيْل أَسْبَابِ النُّزُوْلِ العَامَّةِ(١):**

وَعَلىٰ هٰذَا الأُسْلُوْب كَثِيْرا مَّا يُذْكَر فِي القُرْآن العَظِيْم صُوْرَتَان: صُوْرَةُ سَعِيْدٍ، وَيُذْكَرُ فِيْهَا بَعْضُ أَوْصَاف السَّعَادَة؛ وَصُوْرَةُ شَقِيٍّ، وَيُذْكَرُ فِيْهَا بَعْضُ أَوْصَاف

= يعْنِيْ: أَنَّ الآيَة التِيْ نَزَلت فِيْ واقِعة مخْصُوْصة ولها سَبَبٌ، فهِيَ تَنْقَسِم مِن حَيْث العُمُوْم والخُصُوْص إِلىٰ أَرْبَعَة أَقْسَام:

الأَوَّل: مَا كَانَ السَبَب فِيْها خاصًّا ونَزَلت باسْم شَخْص مَع التَّصْرِيْح، وحُكْمُها: أَنَّها تخْتَصُّ بمَنْ نَزَلت فيْه، ولايَدخل فِيْ حكمِها غيرُه بالإجْمَاع، نحْوُ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [اللهب].

الثَّانِيْ: مَا كَانَ السَّبَب فِيْها خاصًّا ونَزَلت بصِفات فَرْدٍ أو جَماعَة أو أَمْرٍ بغَيْر تصْرِيح باسمِ مَن نَزَلَتْ فِيْهم؛ وحُكْمُها: أنّها تختَصُّ بتِلك الأفرَاد أو الجمَاعات أو بتِلْك الأمُوْر إجمَاعا، فَلايَدْخل غيرُهم فيْ حُكمِها وإنْ وُجِدت فيْها تِلك الصِّفات، نحوُ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨﴾ [الليل]؛ فإنّها نَزَلت في أبِيْ بَكْر، والأَتْقىٰ أَفْعَل التَّفضِيْل مَقْرُون بـ "أل" العَهْدية، فتُختَصُّ بمَن نَزَلتْ فيه.

الثَّالث: مَا كَانَ السَّبَب فِيْها خاصًّا ونَزَلت بأَلفَاظ عامَّة معَ دَليلٍ يَدُل عَلى العُمُوْم؛ وحُكْمُها: تَعْدِيَة هٰذِه الآيَة إِلىٰ غَيرِها بالإِجْمَاع، كنُزُوْل آيَة الظِّهار في سَلمَة بنِ صَخْر.

الرَّابع: مَاكانَ السَّبَب فِيْها خاصًّا ونَزَلتْ بألفَاظ عامَّة بغَيْر دَليلٍ يدلُّ عَلى العُمُوم؛ وحُكْمُها: مختَلَف فِيْه، فذَهب البَعْض إِلىٰ أَنَّ العِبْرة بخُصُوْص السَّبَب لابعُمُوْم اللَّفْظ، فلَفْظ الآيَة يَكُوْن مَقْصُورا عَلى الحادِثة التِيْ نَزَلت لها؛ وأَمَّا أَشْباهُها فلايُؤخَذ حُكْمُها مِن نصِّ الآيَة، وإنمَا يُعْلم بدَليل مُسْتأنِف آخَر؛ وقَالَ الجُمهُور: إِنَّ العِبْرة بعُمُوْم الأَلفَاظ، فلَفْظ الآيَة يَتَنَاول كُلَّ أَفْرَاد اللَّفظ سَواء كانَ مِنْ أَفرَاد السَّبَب أومِن غَيرِه، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦﴾ [النور] نَزَل في حادِثة قَذْف هلال بنِ أُمَيَّة، فالسَّبَب خاصٌّ واللَّفْظ عامٌّ، ولَيْس فيهِ دَليلٌ يدُلُّ عَلى العُمُوْم؛ فالجُمْهور عَلىٰ تعْدِيَة الحُكم فِيْ غَيْر هِلال، بخِلاف البَعْض فإنَّهم يحكُمُون في غيرِ هِلال بطَريق القِياس، لا بهٰذَا النَّص.(أصول وقواعد)

(١) قَوْله: (أَسْبَابِ النُّزُوْلِ العَامَّةِ): وَهٰذَا غالِبُ آياتِ القُرآن حَيْث خَاطَب القُرآنُ النَّاسَ كلَّهم، وعَرَض عَلَيْهم مَعالِم الحَقِّ وأَسْبَاب الصَّلاح فِي الدُّنيا والآخِرة، كمَا فِيْ القِصص وأَخْبار الأُمَم المَاضيَة، وكآيات دَلائل التَّوحِيْد؛ فحِينَئِذ لانحتَاج إِلىٰ أَنْ نلتَمِس لكلِّ آيةٍ سَبَبًا؛ لأَنَّ أكثَر القُرآن لمْ يَكنْ نُزُوله وَفقًا عَلى الحَوادِث والوَقائع، أو عَلى السُّؤال والاستِفسار؛ بلْ أكثَرُه يتَنزَّل ابتِداء بعَقائد الإيمَان وواجِبَات الإسْلام، وشَرائع الله تعَالىٰ فِيْ حيَاة الفَرد وحَياة الجَماعة.

الشَّقَاوَة[1]؛ وَيَكُوْن الغَرَض مِنْ ذٰلِكَ بَيَانَ أَحْكَام تِلْكَ الأَوْصَاف وَالأَعْمَالِ، لَا التَّعْرِيْض بِشَخْصٍ مُعَيَّن، كَمَا قَالَ سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف١٥]، ثُمَّ ذَكَر صُوْرَتَيْنِ: صُوْرَة سَعِيْدٍ وَصُوْرَة شَقِيّ؛ وَكَذٰلِكَ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم: مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوٓا: أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٢٤﴾ [النحل]، وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا: مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا ۗ﴾ [النحل٣٠].

وَعَلىٰ مِثْل هٰذَا تُحْمَل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا[2] قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً﴾ [النحل١١٢]، وَقَوْلهُ تَعَالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا﴾ الآيَةَ [الأعراف١٨٩]، وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون]، وَقَوْله تَعَالىٰ:

---

(١) قَوْله: (بَعْض أَوْصَاف الشَّقَاوَة): كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٧٦﴾ [النحل] قَالَ الْبَيضَاوِي: وَإِنَّمَا قَابل تِلْك الصِّفَات بِهٰذيْن الوَصفَيْن، لأَنَّهُمَا كَمَالُ مَا يُقابِلهَا، وَهٰذَا تَمثِيْل ثَانٍ ضَرَبه الله تَعَالىٰ لِنَفْسه وَلِلأَصْنَام لإِبْطَال المُشارَكَة بَيْنه وَبَيْنهَا، أَوْ لِلمُؤمِن وَالكَافِر. (بيضاوي)

وفَذْلكة الكَلَام: أَنَّ سَبَب النُّزُوْل إِنْ كَانَ خَاصًّا، فَإِنْ نَزَلَت بِاسْم فَرْد مُعَيَّن أَوْ بِصِفَاته، أَوْ بِصِفَات جَمَاعَة أَوْ أَمْر؛ فَكُلّ منْهُما يَخْتَصّ بِمَن نَزَل فِيْهِمْ؛ وَإِنْ نَزَلَت بِأَلْفَاظ عَامَّة فَإِنْ كَانَ مَع ذٰلِكَ دَلِيْل يَدُلّ عَلى الْعُمُوْم فهِي مُتعدِّيَة إِلىٰ غَيْرهَا بِالْإِجْمَاع، وَإِن لم يَكُن هناك دلِيْلٌ على الْعمُوْم فهِي أَيْضًا مُتعدِّيَة عِنْد الجُمْهُوْر "اعْتِبَارا بِعُموْم اللَّفْظ، لَا بِخُصُوْص السَّبَب"؛ وَعِنْد البَعْض: "العِبْرَة بِخُصُوْصِ السَّبَب، لا بِعُمُوْم اللَّفْظ"؛ وَمَا نَزَل ابْتِداءً -بِأَن كَانَ سَبَبُ النُّزُوْل عَامًّا- فَهُوَ عَلىٰ عمُوْمِيَّته. (رَوح القدير)

(٢) قَوْله: (ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً): وَأَمْثَال الْقُرْآن تُلْحَق بِالتشْبِيْه أَوِ الاسْتِعَارَة؛ وَقَدْ يُطْلَق الْمَثل عَلى الحَال أَوِ الصِّفَة أَوِ القِصّة الْعجِيْبَة الشَّأن إِذَا كَانَ فِيهَا غَرَابَة، وَبِهٰذَا الْمَعْنىٰ فُسِّر لَفْظ الْمَثَل فِيْ كَثِيْر مِن الْآيَات. وَسَيَأْتِي تَفْصِيْله فِي الفَصْل الخَامِس مِنْ هٰذَا البَاب تَحْت عُنْوَان "الاسْتِعَارَة المَكْنِيَّة".

(رَوح القدير)

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝﴾ [القلم].

وَلايَلْزَمُ فِيْ هٰذِهِ الصُّوَر: أَنْ تَتَوَفَّر تِلْكَ الخُصُوْصِيَّات بِعَيْنِهَا فِيْ شَخْصٍ، كَمَا لايَلْزَمُ فِيْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة۝] أَنْ تُوْجَدَ حَبَّةٌ بِهٰذِه الصِّفَة؛ إِنَّمَا المَقْصُوْدُ: تَصْوِيْرُ زِيَادَة الأَجْر لا غَيْرَ؛ فَإِنْ وُجِدَتْ صُوْرَةٌ تَوَافِقُ ذٰلِكَ فِيْ أَكْثَر الخُصُوْصِيَّات، أَوْ فِيْ كُلِّهَا، كَانَ ذٰلِكَ مِنْ قَبِيْل: "لُزُوْم مَا لَمْ يَلْتَزِمْ"(١).

[مِنْ مَنَاهِجِ الصَّحَابَةِ فِيْ التَّفْسِيْر]

قَدْ يَفْرُضُوْنَ السُّؤَالَ وَالجَوَابَ فِي التَّفْسِيْر:

١- وَفِيْ بَعْض الأَحْيَان: يُرَدُّ فِي القُرْآن عَلىٰ شُبْهَة ظَاهِرَة الوُرُوْد(٢)، أَوْ يُجَاب

(١) قَوْله: (لُزُومُ مَا لمْ يَلتَزِم): هوَ أَنْ يَجِيْءَ النَّاثِر أَوِ النَّاظِم قَبْل حَرْفِ الرَّوِيْ أَوْ مَا فِيْ مَعْنَاه مِنَ الفَاصِلَة بمَا لَيْسَ بِلازِمٍ فِيْ التَّقْفِيَة، ويَلتَزِم فِيْ فَاصِلتَيْن وأَكْثَرَ مِن النَّثْر، أَو فِيْ بَيْتَيْن وأَكْثَرَ مِن النَّظْم، نحْوُ قَولِهِ تعَالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝﴾ [الضحىٰ]، حَيْث لايَلْزَم فِيْه لرِعايَة الفَواصِل التِزَام حَرْف الهَاء. (مُحَمَّدإِلْيَاس)

(٢/ ١) قَوْله: (عَلىٰ شُبْهَة ظَاهِرَة الوُرُوْد): الشُّبْهة: هيَ القَضِيَّة التيْ فِيْهَا التِبَاسٌ، وَالمَعْنىٰ -وَاللهُ أَعْلَمُ-: الشُّبْهة الوَارِدة فِيْ بَادِئ النَّظَر، كمَا أَخْرَج البُخارِي عَنْ سَهْل بنِ سَعْد، قَالَ أُنْزِلَت: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾ [البقرة۝]، وَلمْ يُنْزل ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فَكانَ رِجال إِذَا أَرَادوا الصَّوْم رَبَط أَحدُهم فِيْ رِجْله الخَيْط الأَبْيَض وَالخَيْط الأَسْوَد، ولمْ يَزَل يَأْكُل حتّٰى يَتَبَيَّن لَهُ رُؤْيَتُهمَا، فأَنْزَل اللهُ بعدُ: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، فعَلِموا: أَنَّه إِنَّمَا يَعْنِي اللَّيْل والنَّهَار. (البخاري: ١٩١٧، ٤٥٠٩)

(٢/ ٢) قَوْله: (شُبْهَة ظَاهِرَة الوُرُوْد): أَخْرَج البُخَاري عَنْ أَبِيْ إِسْحَاق، قَال: سَمِعْت البَرَاء بنِ عَازِب يقُوْل: لمَّا نَزَلت: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء۝]، دَعا رَسُول اللهِ ﷺ زَيْدا، فجَاء بِكَتِف فَكتَبَها، وشَكا ابنُ أُمِّ مَكتُوْم ضَرارَتَه، فنَزَلتْ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾، (البخاري: ٢٨٣١)؛ وفِي رِوايَة كِتَاب فَضَائل القُرآن: "ثُمَّ قَالﷺ: اُكْتُبْ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ﴾، وخَلْفَ ظَهر النَّبِيِّﷺ عَمْرو بنُ أُمِّ مَكتُوْم الأَعْمىٰ، قَال: يَا رَسُولَ اللهِ! فَمَا تأْمُرني؟ فإِنِّيْ رَجُلٌ ضَرِيْر البَصَر"، فنَزَلَتْ مَكانَها: "﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾". [٤٩٩٠]. =

عَنْ سُؤَال مَطْوِيّ مَفْهُوْم بِسَهُوْلَة، لِقَصْد إِيْضَاح الكَلام السَّابِق[1]، لَا لأَجْل أَنَّ أَحَدًا وَجَّهَ هٰذَا السُّؤَال بِعَيْنِه، أَوْ أَوْرَدَ هٰذِهِ الشُّبْهَة بِعَيْنِهَا؛ وَكَثِيْرًا مَّا يَفْتَرِضُ[2] الصَّحَابَة فِيْ تَقْرِيْر ذٰلِكَ المَقَام سُؤَالًا، وَيَشْرَحُوْن الكَلام فِيْ صُوْرَة السُّؤَال وَالجَوَاب؛ وَلٰكِنْ لَوْ نَظَرْنَا بِإِمْعَان النَّظَر، فَالكُلّ: كَلامٌ وَاحِدٌ مُنَسَّقٌ، لا يَحْتَمِلُ نُزُوْلَ بَعْضٍ عَقِيْبَ بَعْضٍ[3]، وَجُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ مُنْتَظِمَةٌ[4] لا تُفَكُّ قُيُوْدُهَا عَلىٰ أَصْلٍ

= وأَخْرَج البُخارِي عنْ سَعِيْد بن جُبَير، قَالَ أَمَرَني عَبدُ الرَّحمان بنُ أَبْزَى، قَال: سَلْ ابْنَ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عنْ هَاتَيْن الآيَتَيْن، مَا أَمْرُهُمَا: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان٦٨]، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء٩٣]؛ فسَألتُ ابنَ عبَّاس، فقَال: لمَّا أُنزلت التِيْ في الفُرْقَان، قَالَ مُشْرِكو أَهْلِ مَكَةَ: "فقَدْ قتلنَا النَّفْس التِيْ حرَّم الله، ودَعَونا معَ اللهِ إلٰهًا آخرَ، وقَدْ أَتَيْنَا الفَوَاحِش"؛ فَأَنزَل الله ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٧٠﴾ [الفرقان]، فهٰذِه لأُولٰئِك؛ وأَمَّا التِيْ فِيْ النِّسَاء: الرَّجُلُ إِذَا عَرَفَ الإِسْلامَ وشَرائعَه، ثمَّ قَتَل فجَزاؤُهُ جهنَّمُ. فذَكَرْتُه لمُجاهِدٍ، فقَال: إِلَّا مَنْ نَدِم. [البخاري:٣٨٥٥]؛ وَفِيْ رِوايَة مُسلِم: فَقَال المُشرِكُوْن: وَمَا يُغْنِي عَنَّا الإِسْلامُ وَقَدْ عَدَلْنَا بِالله! وَقَدْ قَتَلْنَا النَّفْس الَّتِي حَرَّم الله وَأَتَيْنَا الفَوَاحِش؛ فأَنْزَل الله........ (مسلم: ٣٠٢٣)

(١) قَوْله: (لِقَصْد إِيْضَاحِ الْكَلام إلخ): كَمَا فِيْ المُوَطَّا عنْ هشَام بن عُرْوة بن الزُّبَيْر عن أَبِيْه، أَنَّه قالَ: قُلتُ لعَائشة أمِّ المؤمِنِيْن -وأَنَا يومَئِذ حَدِيث السِّنّ-: أرأيتِ قولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [البقرة١٥٨]؛ فمَا عَلَى الرَّجُل شَيءٌ أَنْ لَايَطَّوّف بهِمَا؟ -وَلَفْظ البُخَاري: "وَمَا أرى عَلىٰ أحَدٍ شيئًا أَنْ لَأيَطَّوَّف بهِمَا"-؛ قالَتْ عائِشَة: كَلَّا! لوْ كَانَ كَمَا تَقُوْل لكَانَتْ: "فَلَاجُنَاح عَلَيْه أَنْ لايَطوّف بهِمَا"؛ إِنَّمَا نَزَلت هٰذِه الآيَة فِيْ الأَنْصَار، كانُوْا يُهِلُّوْن لمَنَاة -وَكَانَت مَنَاةُ حَذوَ قُدَيد......-، وكانُوْا يَتحَرَّجُون أَنْ يَطَّوَّفوا بَين الصَّفَا والمَروَة، فلمَّا جَاء الإِسْلام سَأَلوا رَسولَ اللهِ ﷺ عنْ ذٰلِك؛ فأَنْزَل اللهُ تعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ﴾ إلخ [البخاري: ٤٤٩٥، المؤطا لمالك: ١٠٩٢]. (أصول وقواعد)

(٢) قَوْله: (يَفْتَرِضُ): افْتَرَض البَاحِثُ: اتَّخذ فَرْضًا لِيَصِل إلىٰ حَلّ مَسْئَلة: فرض كرنا. (المعرَّب)

(٣) قَوْله: (نُزُوْلَ بَعْضٍ عَقِيْبَ بَعْضٍ): كَمَا عُلِم مِن الآيَتَيْن السَّابقَتَيْن.

(٤) قَوْله: (مُنْتَظِمَة): انتَظمَ الشَّيْء: تَألّف واتَّسَق؛ انتَظمَ الأَشياءَ: جَمعَها وضمَّ بعضَها إلىٰ بَعْض. (المعرَّب بزيادة)

مِنَ الأُصُوْلِ(١).

قَدْ يُرِيْدُوْنَ التَّقَدُّمَ وَالتَّأَخُّر الرُّتْبي لا الزَّمَانِي:

٢- وَقَدْ يَذْكُرُ الصَّحَابَة التَّقَدُّم وَالتَّأَخُّر، وَيُرِيْدُوْن بِذٰلِكَ: التَّقَدُّم وَالتَّأَخر الرُّتْبي، لا الزَّمَانِي؛ كَمَا قَالَ ابْن عُمَر فِيْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ(٢) يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ﴾ [التوبة٣٤]: "إِنَّمَا كَانَ هٰذَا قَبْلَ أَنْ تُنْزَلَ الزَّكوٰة، فَلَمَّا أُنْزِلَتْ جعَلَهَا اللهُ طُهْرًا لِلأَمْوَال"(٣)؛ وَمِنَ المَعْلُوْم: أَنَّ سُوْرَةَ البَرَاءَة: آخِرُ سُوْرَةٍ نَزَلَتْ، وَهٰذِه الآيَةُ: فِيْ تَضَاعِيْفِ القِصَصِ المُتَأَخِّرَة، وَقَدْ كَانَتْ فَرْضِيَّةُ الزَّكوٰةِ مُتَقَدِّمَةً(٤) عَلَيْهَا بِأَعْوَامٍ؛ وَلٰكِن مُرَادُ ابْنِ عُمَر: تَقَدُّم الإِجْمَالِ عَلَى التَّفْصِيْلِ بِالرُّتْبَة(٥).

---

(١) قَوْله: (عَلىٰ أَصْلٍ مِنَ الأُصُوْل): وفيه قاعدة: "المُحْتَرَزَاتُ فِي القُرْآنِ تَقَعُ فِيْ كُلِّ المَوَاضِعِ عِنْدَ الحَاجَةِ إِلَيْهَا" [١٩٠]. اعْلمْ! أنّه مَا مِن موضِع يسُوْق اللهُ فيْه حُكمًا مِن الأحْكام أو خبَرًا مِن الأخبَار فيَتشوَّف الذّهن فيْه إلىٰ خِلاف المقْصُوْد، إلا وقدْ قرَن بهِ ذٰلك الأمْر الذِي تَطلَّع إليْه الذّهنُ، وبيَّنه بأحسَن بَيان وأتيه، قَال تَعَالىٰ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء٧٩]، ولمَّا كانَ هٰذَا الموضِع ممَّا يَتوَهَّم السَّامِعُ منْه الحطَّ مِن قدْر داوُد عَليْه السَّلام، فقَال تَعَالىٰ: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء٧٩].

وقَال تَعَالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء٩٥]، ولمَّا كانَ هٰذَا يُوهِم: أنَّ المساواة منْفِيَّة حتّٰى مَعَ أهْل الأعْذار، فأزَال هٰذَا الوهْم، بقَوْله: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾ [النساء٩٥]. (قواعد: ٧٥٦ بحذف)

(٢) قَوْله: (وَالَّذِيْنَ يَكْنِزُوْنَ): الاسْم المَوصُوْل هُنَا يُفِيْد عِلِّيَّة الحُكْم الآتِيْ، وَهُوَ قولهُ تعَالىٰ: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣٤﴾ [التوبة٣٤]؛ وَكَذَا قولُه تعَالىٰ: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ﴾ [يونس٥٢] وقَالَ تعَالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ١٢﴾ [آل عمران١٢]، فعِلَّة الأوّلِ الظُّلمُ، وعَلَّةُ الثَّاني الكُفرُ.

(٣) قَوْله: (طُهْرًا لِلأَمْوَال): رَواهُ البُخارِي فِيْ كِتَاب الزَّكوٰة: ١٤٠٤، وفِي كِتَاب التَّفْسِيْر: ٤٦٦١. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (فَرْضِيَّةُ الزَّكوٰةِ مُتقَدِّمَةً) أَيْ: آيَة الزَّكوٰة مُفصَّلة وَآيَة البَرَاءَة مُجْمَلة؛ والإجْمَال يَكُوْن مُقدَّمًا علَى التَّفْصِيْل فِي الرُّتبَة، وَإِنْ كَانَتْ آيَة البَراءَة مُتَأخِّرَة.

(٥) قَوْله: (تَقدُّمُ ... بِالرُّتْبَة): والتَقدُّم عَلىٰ خَمْسَة أنْوَاع: التَّقدُّم بالزّمَان، كَتَقدُّم مُوسىٰ علىٰ عِيسىٰ؛ وَالتَّقدُّم بالعِلَّة، كَتقدُّم طُلوْع الشَّمْس عَلىٰ وُجُوْد النَّهار؛ وَالتَّقدُّمُ بالطَّبْع، كَتَقدُّم الوَاحِد علَى الاثْنَيْن؛ وَالتَّقدُّمُ بالوَضْع، كتَقدُّم الصَّفِّ الأوَّل -بالنِّسْبَة إِلَى المِحْرَاب- عَلَى الصَّفِّ الثَّانِي؛ وَالتَّقدُّم=

- **فَذْلَكَةُ الكَلَامِ:**

وَبِالجُمْلَة: فَالَّذِيْ يُشْتَرَطُ عَلَى المُفَسِّر فِيْ هٰذَا البَابِ لايَزِيْد عَلىٰ أَمْرَيْن، الأَوّل: مَعْرِفَةُ قِصَصِ الغَزَوَاتِ وَغَيْرِهَا مِمَّا وَقَعَ فِي الآيَاتِ الإِيْمَاءُ إِلىٰ خُصُوْصِيَّاتِهَا، فَمَا لَمْ تُعْلَمْ تِلْكَ القِصَصُ لايَتَأَتّٰى فَهْمُ حَقِيْقَتِهَا.

وَالثَّانِيْ: الاطِّلاعُ عَلىٰ فَوَائِدِ بَعْض القُيُوْد، وَكَذَا أَسْبَابُ التَّشْدِيْد -فِيْ بَعْض المَوَاضِع(١)-؛ تَتَوَقَّفُ مَعْرِفَتُهَا عَلىٰ أَسْبَابِ النُّزُوْل.

= بالشَّرَف، وَهُوَ فِي الحَقِيْقَة الرُّجحَان بالشَّرَف، كَتَقَدُّم أَبِي بَكر الصِّدِّيْق عَلىٰ عُمَر الفَارُوْق رَضِي الله عنهُمَا. (دستور العلماء ملخصًا)؛ وَالمُرَاد بِالرُّتبِيّ فِي الكِتَاب هُوَ التَّقدُّم بِالشَّرَف.

(١) قَوْله: (أَسْبَابُ التَّشْدِيْد إلخ): كَمَا رُوِي عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ قَوْم يَسْأَلُوْن رَسُوْل الله ﷺ اسْتِهْزَاءً، فَيَقُوْل الرَّجُل: مَنْ أَبِيْ؟ وَيقُوْل الرَّجلُ تَضِلُّ نَاقتُه: أَيْن نَاقَتِيْ؟ فَأَنْزَل الله فِيهِمْ هٰذِه الآيَة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة١٠١] حَتّٰى فَرَغَ مِنَ الآيَة كُلِّهَا (البخاري: ٤٦٢٢)؛ قَالَ ابْن حَجَر: وَالحَاصِل أَنَّهَا نَزَلَتْ بِسبَب كَثْرَة المَسَائِل: إِمَّا عَلىٰ سَبِيْل الاسْتِهزَاء أَوِ الامْتِحَان، وَإِمَّا عَلىٰ سَبِيْل التَّعَنُّت عَنِ الشَّيْءِ الَّذِي لَوْ لَمْ يُسْئَل عَنْه لَكَان عَلَى الإِبَاحَة.

وَكحُكْم ذَبْح البَقرة لبَنِيْ إِسْرائِيْل فِيْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُواْ بَقَرَةًۖ ...٦٧ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَۖ ...٦٨ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ ...٦٩ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ...٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ٧١﴾[البقرة]؛ وفِيْ الحديث: "لَوْ ذَبَحُوْا أَيَّ بَقرةٍ كَانَتْ لأَجْزَأَتْهم، ولٰكِن شدَّدوا عَلىٰ أنفسِهم، فشدَّد اللهُ عَليْهم".

(قواعد، تفسير الجلالين)

[فَنٌّ مِنْ فُنُوْنِ التَّوْجِيْهِ(١)]

- **مَا هُوَ مَوْقِفُ المُفَسِّرِ عِنْدَ التَّعَارُضِ بَيْنَ الآيَاتِ(٢):**

وَهٰذَا المَبْحَث الأَخِيْرُ(٣) فِي الحَقِيْقَة فَنٌّ مِنْ فُنُوْنِ التَّوْجِيْه؛ وَمَعْنَى التَّوْجِيْه: بَيَانُ وَجْهِ الكَلام؛ وَحَاصِلُ هٰذِهِ الكَلِمَةِ(٤)، أَنَّه:

١- قَدْ تَقَع فِي الآيَةِ شُبْهَةٌ ظَاهِرَةٌ: لاسْتِبْعَادِ الصُّوْرَة الَّتِيْ هِيَ مَدْلُوْلُ الآيَة(٥)،

---

(١) قَوْله: (التَّوْجِيْه): وَسَيَأْتِي تفصِيْله بِالبَسْط فِي الفَصْل الثَّانِي مِنَ البَاب الرَّابِع عَلى ص: ٣١٨

(٢) قَوْله: (التَّعَارُض بَيْن الآيَاتِ): وَقَدْ يَقَع مَا يُوْهِم التَّعَارُض وَالاخْتِلاف فِي كَلام الله تَعَالىٰ لِمَن: لَيس لَه مَعْرِفَة صَحِيْحَة، وَذَوْق سَلِيْم، وَنَظَر دَقِيْق؛ وَكَلام الله تَعَالىٰ مُنَزَّه عَنْ ذٰلِكَ، كَمَا قَال تَعَالىٰ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء]؛ فَعَلى المُفَسِّر أَنْ يَّدْفعَه بِطُرُق عَدِيْدَة:

أَمَّا طُرُق دَفْع التَّعَارُض فَمِنْهَا: الحَمْل عَلى النَّسْخ عَلى حَسَب شَرَائِطه؛ وَالحَمْل عَلى اخْتِلاف الأَشْخَاص؛ وَالحَمْل عَلى اخْتِلاف المَوَاضِع؛ وَالحَمْل عَلى اخْتِلاف الأَوْقَات؛ وَالحَمْل عَلى اخْتِلاف الأَحْوَال؛ وَالحَمْل عَلى اخْتِلاف جِهَتَي الفِعْل؛ وَالحَمْل عَلى الاخْتِلَاف فِي الحَقِيْقَة وَالمَجَاز؛ وَالحَمْل عَلى اخْتِلاف المَعْنى؛ وَالحَمْل عَلى اخْتِلاف الشَّرْط؛ وَالحَمْل عَلى اخْتِلاف الاعْتِبَار؛ وَالحَمْل عَلى الاخْتِلَاف فِي الإِجْمَال وَالتَّفْصِيْل. (رَوح القدير)

المَلحُوْظة: أَمَّا أَمْثِلة كُلٍّ مِن الصُّوَر المَذكورَة هنَا فمَذكوْرَة فِي الفَصْل الثَّانِي مِن البَاب الرَّابِع.

(٣) قَوْله: (المَبْحَث الأَخِيْر): يعْنِي مَبْحث مَا يحتَاج إِلَيْه المُفسِّر. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (هٰذِهِ الكَلِمَةِ): اعْلَمْ! أَنَّه لايُمْكِن أَنْ يَقَع التَّعارُض -وهُوَ تَقَابُل الآيتَيْن بحَيْث يمْنَع مَدلولُ إِحْدٰهمَا مَدْلولَ الأُخْرىٰ- بيْن آيتَيْن مَدلُوْلُهمَا خَبَرِيٌّ؛ لأَنَّه يَلزَم أَنْ يَكُوْن أَحَدُهما كذِبًا! وهُوَ مُحَالٌ فِي أَخْبَار اللهِ تعَالىٰ، قَالَ تعَالىٰ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾﴾ [النساء]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء]؛ فإِذَا رَأَيت مَا يُوهِم التَّعارُض فعَلَيْك بالجَمْع بينَهُما؛ وإِنْ لمْ يتَبَيَّن لكَ وجَب عَلَيْك التَّوَقُّف والرُّجُوْع إِلىٰ عَالم. (أُصول ملخصا)

(٥) قَوْله: (هِيَ مَدْلُوْلُ الآيَة): كمَا قَالَ -عَلَيْه السَّلامُ- عنْ قَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة﴿٣١﴾]، "أَمَا إِنَّهمْ لمْ يَكُوْنوا يَعبُدونَهم؛ ولٰكنَّهم كانُوْا إِذَا أَحلُّوا لهُمْ استَحَلُّوه، وإِذَا حَرَّموا عَليهِمْ شَيْئًا حَرَّموه". (الترمذي: ٣٠٩٥)

٢- أَوْ لِلتَّنَاقُض بَيْنَ الآيَتَيْن(١)،

٣- أَوْ يَصْعُبُ فَهْمُ مَدْلُوْلِ الآيَةِ عَلىٰ ذِهْنِ المُبْتَدِئ(٢)،

٤- أَوْ لا تَسْتَقِرُّ فِيْ ذِهْنِهِ فَائِدَةُ قَيْدٍ مِنَ القُيُوْد(٣)؛

فَإِذَا قَامَ المُفَسِّر بِحَلِّ هٰذِهِ الإِشْكَالات سُمِّيَ ذٰلِكَ "تَوْجِيْهًا".

أُمْثِلَة التَّوْجِيْه:

١- كَمَا فِيْ آيَةِ: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم٢٨]، فَقَدْ سَأَلُوْا: أَنَّ المُدَّةَ بَيْنَ مُوْسىٰ وَعِيْسىٰ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ- طَوِيْلَةٌ، فَكَيْفَ يَكُوْنُ هَارُوْنُ أَخًا لِمَرْيَمَ! كَأَنَّ السَّائِلَ

---

(١) قَوْله: (لِلتَّنَاقُض إلخ): كَمَا سَأَلوا ابنَ عبَّاس عنْ وَجْه التَّطْبِيق بَيْن قولِه تعَالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون]، وبَيْن قَوْله تعَالىٰ: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧﴾ [الصّٰفّٰت]؛ فقالَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: أَمَّا قَوْله ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ فَذٰلِك فِي النَّفخَة الأُوْلىٰ، فَلا يَبْقىٰ عَلَى الأَرْض شَيْء ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾؛ وَأَمَّا قَوْله: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧﴾ فَإِنهُم لَمَّا دَخلُوا الجَنَّة ﴿أَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧﴾ [الصّٰفّٰت]. (جامع البيان للطبري)

(٢) قَوْله: (فَهْمُ مَدْلُوْلِ الآيَةِ إلخ): كَمَا فِيْ آيَة ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم٢٨]، عنِ المُغِيْرة بنِ شُعْبة قَالَ: لمَّا قَدِمتُ نَجْران، سَأَلوْنِي، فقَالُوا: إنَّكُم تَقرَؤوْن: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم٢٨]، ومُوْسىٰ قَبْل عِيْسىٰ بِكَذا وكذَا؟ فلَمَّا قَدِمتُ عَلىٰ رَسُول اللهِ ﷺ سَأَلتُه عنْ ذٰلِك، فقَال: إنَّهمْ كانُوْا يُسَمُّون بأَنبِيَائهم والصَّالِحِيْن قَبْلهم. (مسلم والترمذي)

(٣) قَوْله: (فَائِدَةُ قَيْدٍ إلخ): كَمَا سَأَل عُمَر مَا مَعْنى قَيْد ﴿إنْ خِفْتُمْ﴾، كَمَا أَخْرَج مُسلِم عَن يَعْلى بْن أُمَيَّة قَالَ: قُلْتُ لِعُمَر بنِ الخَطَّاب: ﴿فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ "إِنۡ خِفۡتُمۡ": أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ١٠١﴾ [النساء]؛ فَقَدْ أَمِن النَّاسُ؟ فَقَالَ: عَجِبْتُ ممَّا عَجِبْتَ مِنْه! فَسَأَلتُ رَسُوْل الله ﷺ عَنْ ذٰلِك، فقَالَ ﷺ: صَدَقةٌ تَصَدَّق اللهُ بهَا عَلَيْكم، فاقْبَلوا صَدَقتَه. (مسلم: ٦٨٦)

المَلحُوْظة: وقَدْ يُذْكَرُ لفظٌ لبَيَان الحَالة الَّتِيْ كانَ النَّاسُ عَلَيْها فِي الجَاهِلِيَّة، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾ [آل عمران١٣٠]، فقَوْله: ﴿أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗ﴾ لَيْسَ قَيْدا للاحْتِرَاز، ولا للشَّرْط؛ بلْ لبَيَان الحَالة والتَّشْنِيْع عليهم. (صفوة ملخصا)

أَضْمَرَ فِيْ خَاطِرِهِ: أَنَّ هَارُوْنَ هٰذَا هُوَ هَارُوْنُ أَخُوْ مُوْسىٰ -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-؛ فَأَجَابَ ﷺ بِـ:أَنّ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ كَانُوْا يُسَمُّوْنَ بِأَسْمَاءِ الصَّالِحِيْنَ قَبْلَهُمْ(١).

٢- وَكَمَا سَأَلُوْا: كَيْفَ يَمْشِي الإِنْسَانُ يَوْمَ الحَشْرِ عَلىٰ وَجْهِه! فَقَالَ: "إِنَّ الَّذِيْ أَمْشَاهُ فِي الدُّنْيَا عَلىٰ رِجْلَيْهِ لَقَادِرٌ عَلىٰ أَنْ يُمْشِيَهُ عَلىٰ وَجْهِهِ"(٢).

٣- وَكَمَا سَأَلُوْا ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ وَجْهِ التَّطْبِيْقِ بَيْنَ قَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون]، وَبَيْنَ آيَةٍ أُخْرىٰ: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات]؛ فَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: "عَدَمُ التَّسَاؤُلِ يَوْمَ الحَشْرِ، وَالتَّسَاؤُلُ بَعْدَ دُخُوْلِ الجَنَّة"(٣).

٤- وَكَمَا سَأَلُوْا عَائِشَة، فَقَالُوْا: إِنْ كَانَ السَّعْيُ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ وَاجِبًا، فَلِمَاذَا قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ الآيَةَ [البقرة﴿١٥٨﴾]! فَأَجَابَتْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بِـ:أَنّ قَوْمًا كَانُوْا يَتَجَنَّبُوْنَهُ وَيَتَحَرَّجُوْنَ مِنْهُ؛ فَلِذٰلِكَ قَالَ اللهُ تَعَالىٰ: ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾(٤).

٥- وَكَمَا سَأَلَ عُمَرُ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ: مَا مَعْنىٰ قَيْدِ ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ [النساء﴿١٠١﴾]!

---

(١) قَوْله: (قَبْلَهُمْ): أخرَجَه مُسلِم عَنِ المُغِيْرَة بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: لَمَّا قَدِمْتُ نَجْرَانَ سَأَلُونِي فَقَالُوا: إِنَّكُم تَقْرَءُوْن ﴿يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾ [مريم]، وَمُوْسىٰ قَبْلَ عِيْسىٰ بِكَذَا وَكَذَا؟ فَلَمَّا قَدِمْتُ عَلىٰ رَسُوْل الله ﷺ سَأَلتُه عَنْ ذٰلِكَ، فَقَالَ: "إِنَّهُم كَانُوا يُسَمُّوْن بِأَنْبِيَائِهِم وَالصَّالِحِيْنَ قَبْلَهُم". (مسلم: ٢١٣٥)

المَلحُوْظَة: هٰذَا ممَّا يَصْعبُ فهمُ مَدْلُول الآيَة فِيْه عَلىٰ ذِهْن المُبْتَدِي.

(٢) قَوْله: (إِنَّ الَّذِيْ إلخ): رَواه الشَّيْخان، مِشْكوٰة: ٥٥٣٧. (المعرِّب)

المَلحُوْظَة: هٰذَا ممَّا تَقع فِيْه شُبْهة ظاهِرة لاستِبْعَاد الصُّوْرَة الَّتِيْ هيَ مَدْلول الآيَة.

(٣) قَوْله: (دُخُوْل الجَنَّة): أخْرَجَه الحَاكِم وابنُ جَرِيْر، كَمَا فِي الدُّرِّ المنْثُور: ٥: ١٥. (المعرِّب)

المَلحُوْظَة: هٰذَا ممَّا يَظْهَر فِيْه التَّعَارُض والتَّنَاقُض بَيْنَ الآيَتَيْن.

(٤) قَوْله: (لَاجُنَاحَ): هٰذَا ممَّا لايَسْتَقِرُّ فِيْه فِي ذِهْن المبْتَدِي فائِدة قَيْد مِن القُيُود؛ وَقَدْ مَرَّ مِثَاله قُبَيْل هٰذَا مِنَ البُخارِي: ٤٤٩٥، والمؤطا: ١٠٩٢ فِي ضِمْن شَرْح قَوْله: "لِقَصْد إِيضَاح الكَلَام السَّابِق" على ص: ١٦٢.

فَقَالَ ﷺ: "صَدَقَةٌ تَصَدَّقَ اللهُ بِهَا عَلَيْكُمْ، فَاقْبَلُوْا صَدَقَتَهُ"(١)، أيْ: إِنَّ الكُرَمَاءَ لايُضَايِقُوْن فِي الصَّدَقَة، فَكَذٰلِكَ لَمْ يَذْكُر اللهُ سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ هٰذَا القَيْد لِلتَّضْيِيْق، بَلِ القَيْد إِتِّفَاقِيٌّ.

وَأَمْثِلَة التَّوْجِيْه كَثِيْرَة، وَالغَرَضُ هُنَا التَّنْبِيْه عَلىٰ مَعْنَاه.

[مَلْحُوْظَةٌ فِيْ ذِكْرِ شَرْحِ الغَرِيْبِ وَأَسْبَابِ النُّزُوْل]

وَأَرَى مِنَ المُنَاسِب أَنْ أَذْكُرَ فِي البَاب الخَامِس مَا نَقَلَ: البُخَارِيُّ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالحَاكِمُ فِيْ تَفَاسِيْرِهِمْ مِنْ: أَسْبَابِ النُّزُوْلِ وَتَوْجِيْهِ المُشْكِل بِسَنَدٍ جَيِّدٍ إِلَى الصَّحَابَة أَوْ إِلىٰ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ مَعَ التَّنْقِيْح وَالاخْتِصَار لِفَائِدَتَيْن:

الأُوْلىٰ: أَنَّ اسْتِحْضَار هٰذَا القَدْرِ مِنَ الآثَار لا بُدَّ مِنْهُ لِلمُفَسِّر، كَمَا لا بُدَّ لَهُ مِنْ حِفْظِ القَدْرِ الَّذِيْ ذَكَرْنَاهُ فِيْ ذٰلِكَ البَابِ مِنْ شَرْحِ غَرِيْبِ القُرْآن.

وَالثَّانِيَة: أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ لا دَخَلَ لأَكْثَرِ مَا يُرْوىٰ مِنْ أَسْبَاب النُّزُوْل فِيْ فَهْمِ مَعَانِي الآيَات الكَرِيْمَة؛ اللهُمَّ إلاَّ شَيْءٌ قَلِيْلٌ مِنَ القِصَص الَّتِيْ ذُكِرَتْ فِيْ هٰذِهِ التَّفَاسِيْر الثَّلاثَةِ الَّتِيْ هِيَ أَصَحُّ التَّفَاسِيْر عِنْدَ المُحَدِّثِيْنَ.

- **إِفْرَاطُ بَعْضِ المُفَسِّرِيْنَ فِيْ هٰذَا البَابِ:**

وَأَمَّا إِفْرَاطُ مُحَمَّد بْنِ اسْحَاق(٢) وَالوَاقِدِيِّ(٣) وَالكَلْبِيِّ(٤)، وَمَا ذَكَرُوْا تَحْت كُلِّ

---

(١) قَوْله: (صَدَقَة إلخ): رَواه مُسْلم فِيْ كتَاب المَساجِد: ٦٨٦، وأبوداوُد فِيْ كتَاب الصَّلاة: ١١٩٩، والترْمِذِي في التفسِيْر: ٣٠٣٤. (مُحَمَّدْ إلْيَاس)

(٢) قَوْله: (مُحَمَّد بن اِسْحَاق): هُوَ محمَّد بنُ اسْحاق المُطَّلِبِيُّ المَدَني: مِن أقدَم مُؤرِّخِي العَرَب، تُوفي سنة: ١٥١هـ. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (الوَاقِدِيّ): هُوَ محمَّد بن عُمَر الواقِدِي المَدَني: مِن أقدَم مُؤرخِي الإسْلام وأشهرِهم؛ وُلد سنة: ١٣٠هـ، وتوُفي ببَغداد سَنة: ٢٠٧هـ. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (الكَلْبِيّ): هُوَ محمَّد بنُ السَّائِب الكَلْبِيُّ: نسَّابة، راوِيَة، عَالمٌ بالتَّفسِير والأخْبار وَأيَّام العَرب؛ توُفي بالكوْفة سَنة: ١٤٦هـ. (المعرِّب)

آيَة مِنْ قِصَّة؛ فَأَكْثَرُهُ غَيْر صَحِيْح عِنْد المُحَدِّثِيْن، وَفِيْ إِسْنَاده نَظَرٌ[١]! وَمِنَ الخَطَأ البَيِّنِ: أَنْ يُعَدَّ ذٰلِكَ مِنْ شُرُوْط التَّفْسِيْر[٢].

وَمَنْ يَرٰى: أَنَّ تَدَبُّرَ كِتَابِ اللهِ يَتَوَقَّفُ عَلَى الإحَاطَةِ بِهَا، فَقَدْ فَاتَ حَظُّهُ مِنْ كِتَاب الله؛ وَمَا تَوْفِيْقِيْ إِلاَّ بِالله، عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ، وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيْم!.

[الفَصْل الرَّابِع فِي بَقِيَّة مَبَاحِثِ البَابِ الثَّانِيْ]

مِمَّا يُوْجِب الخَفَاء: حَذْفُ بَعْضِ الأَجْزَاء، أَوْ أَدَوَاتِ الكَلام؛ وَإِبْدَالُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ؛ وَتَقْدِيْمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيْرُ، وَتَأْخِيْرُ مَا حَقُّهُ التَّقْدِيْم؛ وَاسْتِعْمَالُ المُتَشَابِهَات وَالتَّعْرِيْضَاتِ وَالكِنَايَات -لاسِيَّمَا تَصْوِيْرُ المَعْنَى المُرَادِ بِالصُّوْرَة المَحْسُوْسَةِ الَّتِيْ تَكُوْنُ مِنْ لَوَازِمِ ذٰلِكَ المَعْنٰى عَادَةً[٣]- وَاسْتِعْمَالُ الاسْتِعَارَةِ المَكْنِيَّةِ، وَالمَجَازِ العَقْلِيّ؛ فَلْنَذْكُر شَيْئًا مِنَ الأَمْثِلَة لِهٰذِه الأَشْيَاء بِاخْتِصَار، لِتَكُوْنَ عَلٰى بَصِيْرَةٍ.

[السَّبَبُ الرَّابِعُ مِنْ أَسْبَابِ الصُّعُوْبَةِ الحَذْفُ[٤]]

أَمَّا الحَذْفُ فَعَلٰى أَقْسَام[٥]: حَذْفُ المُضَافِ، وَالمَوْصُوْفِ، وَالمُتَعَلِّقِ وَغَيْرِ

---

(١) قَوْله: (نَظَرٌ): الضَّميرُ في قَوله: "أَكْثَرُهُ"، وكذَا فِيْ: "إِسْنَادِهِ"، يَرجِعان إِلىٰ كلمَة "مَا" في قَوله: "مَا ذَكَرُوْا". (المعرّب)

(٢) قَوْله: (وَمِنَ الخَطَأ البَيِّنِ إلخ): وفيه إِشَارَة إِلىٰ قاعِدة: "التَّفْسِيْرُ إِمَّا بِنَقْلٍ ثَابِتٍ، أَوْ رَأْيٍ صَائِبٍ؛ وَمَا سِوَاهُمَا فَبَاطِلٌ"، [قواعد: ١٥].

(٣) قَوْله: (عَادَة): وهٰذَا أَيْضًا مِن بَاب الكِنَايَات. (المعرّب)

(٤/ ١) قَوْله: (الحَذْفُ): مِن المَعْلوم: أَنَّ الحذْف قِسْم مِن الإِيجاز، وهُوَ واقِع في القُرآن الكريم.

(٤/ ٢) قَوْله: (الحَذْفُ): قَالَ ابن هشام: إِنَّما يشتَرط الدَّليل فيما إذا كان المحذوفُ -الجمْلَةَ بِأسْرِها أو أحدَ ركنَيها أو يفِيْد معْنىً فيها- هيَ مَبْنِيَّة عَليه، نَحْو: ﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف٨٥]، أَصلُه: "لاتفتَؤا"، والدَّلِيْل عَليه: أَنّه لوْ كان الجواب مثبَتًا دخَلَت اللام والنُّون، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء٥٧] (الإتقان:٨٧) =

= المُلاحَظات: ١- اعْلَمْ! "أنّ الحذْف خِلاف الأصْل"، ويُبنى علىٰ ذٰلك أمْران: الألفُ: إذا دارَ الأمرُ بين الحذْف وعدمِه كانَ الحملُ علىٰ عدَم الحذْف أولىٰ؛ لأنّ الأصْل عَدمُ التَّغيِيْر. البَاء: وإذا دارَ الأمْر بينَ قلةِ المحْذُوف وكثْرتِه، كانَ الحَمْل علىٰ قلتِه أوْلىٰ.

٢- مهْما تردَّد المحذوفُ بين الحَسَن والأحْسَن، وجبَ تقدِيْر الأحسَن؛ لأنّ اللهَ وصَف كتابه بـ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر٢٣]، فليكُنْ محذوفُه أحسنَ المحذوفات، كمَا أنّ ملفوظَه أحسن الملفوظات.

٣- مفعوْل المشَيْئة والإرَادة لايُذكر إلا إذا كانَ غريْبا أو عظيْما؛ وإذا حُذف مفعولُ المشيئة والإرادةِ بعد "لَوْ"، فهُوَ المذْكور فيْ جوابِها أبَدًا.

٤- قد يُحذف مِن الأوّل لدلالة الثانيْ عليْه، وقد يُعْكَس، وقدْ يَحتمِل الأمرَين. (قواعد: ٣٦٢)

(٥) قَوْله: (فَعَلىٰ أقْسَام): فمِنْ أنواعُ الحذف:

حذْف المضَاف، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة١٧٧]، أي: لٰكِنَّ البِرَّ بِرُّ مَنْ أمَنَ مِنهُمْ؛ ومنْه حذْف الموصُوْف، ﴿وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ﴾ [الإسراء٥٩]، آيَةً مُبْصِرَةً؛ ومِنه حَذف المضَاف الأوّل ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَ﴾ [البقرة١٠٢]، عَلَى عَهْدِ مُلْكِ سُلَيْمٰنَ؛ ومنْهُ حَذْف مَرجع المَفعُول: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ [القدر]، أي: أنْزَلْنَا القُرْآنَ؛ ومنْه حَذف الفِعل: ﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنفال٥]، كَمَا أخْرَجَكَ رَبُّكَ امْضِ؛ وَمِنه حَذْف مَرجع الفَاعِل ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ٣٢﴾ [ص]، حَتّٰى تَوَارَتِ الشَّمْسُ بِالحِجَابِ؛ ومنْه حذْف المفْعُول بِه: ﴿فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام]، فَلَوْ شَآءَ هِدَايَتَكُمْ لَهَدَاكُمْ؛ ومنه حذْف المفعُول الثّاني: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢﴾ [الأعراف]، إنَّ الَّذِيْنَ اتَّخَذُوْا العِجْلَ إلٰهًا.

ومنْه حذْف حرْف النَّفي، ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف٨٥]، لاتَفْتَؤ تَذْكُرُ؛ ومنه حذْف حرْفِ الجرّ، ﴿أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾ [هود٦٠]، كَفَرُوْا بِرَبِّهِمْ؛ ومنْه حذْف القَوْل، ﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ٦٦﴾ [الواقعة]، تَقُوْلُوْنَ إنَّا لَمُغْرَمُوْنَ.

وَمِنْه حَذف المبْتَدأ في جَواب الاستِفهام، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ٦﴾ [الهمزة]، هيَ نارُ اللهِ؛ ومنْه حذْف الخَبَر، ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ﴾ [الرعد٣٥]، وظلُّها دَائِم؛ ومنْه حذْف الجزاء، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ٤٥﴾ [يس]، إذَا قِيْلَ لَهُمُ اتَّقُوْا مَا بَيْنَ أيْدِيْكُمْ وَمَا خَلْفَكُم، أعْرَضُوْا؛ ومنْه حَذْف الموصُوْل، ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ=

ذٰلِكَ،[1] مِثْلُ:

قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ﴾ [البقرة١٧٧]، أَيْ: بِرُّ مَنْ آمَنَ.[2]

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء٥٩]، أَيْ: آيَةً مُبْصِرَةً،[3] لا أَنَّهَا مُبْصِرَةٌ غَيْرَ عَمْيَاء.

= أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت]، وبالَّذِيْ أنزل إليكم؛ ومنه حذف صِفة، ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾ [الكهف]، سفِيْنة صالحة؛ ومِنه حذف المعْطُوف، ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحديد]، مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَمنْ أنْفَقَ بعدَه؛ ومنه حذف المعْطُوف عَليه، ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [البقرة٦٠]، فضَرَب فانفجَرت؛ ومنه حذف التَّمْييْز، ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر]، تسْعَة عشر مَلَكًا.

وَمِنْه حَذْف حَرْف النِّداء، ﴿أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ﴾ [الدخان١٨]، يا عِبَاد الله؛ ومنْه حَذْف جَواب القَسَم، ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾﴾ [النازعات]، أي: لتُبْعَثن؛ ومنه حَذْف الشَّرْط، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ ﴿فَاتَّبِعُوْنِيْ يُحْبِبْكُمُ اللهُ، وَيَغْفِرْلَكُمْ﴾ [آل عمران٣١]، فإنْ تتَّبِعوني يُحبِبْكم اللهُ. (الزيادة والاحسان، جلالين، آسان اصول تفسير)

(١) قَوْله: (وَغَيْرِ ذٰلِكَ): وفيه قواعِد: "الْعِبْرَةُ بِعُمُوْمِ اللَّفْظِ، لابِخُصُوْصِ السَّبَبِ" [١٤٨]؛ "حَذْفُ المتَعَلَّقِ يُفِيْدُ العُمُوْمَ النِّسْبِيَّ" [١٤٩]؛ "كُلُّ فِعْلٍ لِلّٰهِ تَعَالىٰ مَذْكُوْرٍ فِي الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يَصِحُّ فِيْهِ إِضْمَارُ لَفْظِ الجَلاَلَةِ "الله" وَإِنْ لَمْ يَسْبِقْ ذِكْرُهُ لِتَعَيُّنِهِ فِي الْعُقُوْلِ"، [٦٥]. (قواعد)

(٢/ ١) قَوْله: (ولٰكِن البر إلخ): وفِيه حَذْف المُضَاف، كَمَا قَال بِهِ الزُّجاج. (المعرّب بزيادة)

(٢/ ٢) قَوْله: (أَيْ: بِرُّ مَنْ آمَنَ): أَيْ: ولٰكنَّ البِرَّ بِرُّ مَنْ آمَنَ؛ وفي مِثل هٰذِه المَواضِع يُعمَل عَلىٰ قاعِدة: "لاَيُقَدَّرُ مِنَ الْمَحْذُوْفَاتِ إِلاَّ أَفْصَحُهَا أَوْ أَشَدُّهَا مُوَافَقَةً لِلْغَرَضِ"، [٦٩]؛ "يُقَلَّلُ الْمُقَدَّرُ مَهْمَا أَمْكَنَ لِتَقِلَّ مُخَالَفَةُ الْأَصْلِ" [٧٠]. (قواعد)

(٣) قَوْله: (مُبْصِرَةً): أَيْ: نَاقَة مُبصِرَة؛ وفيهِ حَذْف المَوْصُوف، كما رُوي عنْ مجاهد؛ وَفي قَوله: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء٥٩] المَجاز العَقلي لمَا كَانتِ النَّاقةُ سَبَبًا فِي الإبْصَار؛ فَفِيْه مَجَازٌ عَقْلِي عَلاقَته: السَّببية. (الطبري، الجدول في إعراب القرآن)

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ [البقرة٩٣]، أيْ: حُبَّ العِجْل. (١)

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف٧٤]، أيْ: بِغَيْرِ قَتْلِ نَفْسٍ(٢).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿أَوْ فَسَادٍ﴾ [المائدة٣٢]، أيْ: بِغَيْرِ فَسَادٍ.(٣)

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الرحمٰن٢٩]، أيْ: مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْض(٤)؛ لا أَنَّ شَيْئًا وَاحِدًا هُوَ فِي السَّمَاوَات وَالأَرْضِ.

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء٧٥]، أيْ: ضِعْفِ عَذَابِ الحَيٰوةِ، وَضِعْفَ عَذَابِ الْمَمَاتِ(٥).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف٨٢]، أيْ: أَهْلَ القَرْيَةِ(٦).

---

(١) قَوْله: (العِجْل): أي: حُبَّ العِجْل؛ وفَيْه حَذْف المُضاف؛ أيْ: أشْرِبوا حُبَّ العِجل بكُفْرِهم، كمَا رَوى الطبْري عنْ قتادَة، وأَبِي العَالية، والربيع.(الطبري)

(٢) قَوْله: (بِغَيْر قَتْلِ نَفْس): أي: بغَيْر قَتل نفْسٍ يُوجِب القِصاص، كمَا قَال البَيضاوي. (البيضاوي)؛ وفيْه حَذْف المُضاف.

(٣) قَوْله: (بِغَيْرِ فَسَادٍ): أي: بغَير فسَاد، كمَا فسَّره البَيضاوي؛ وفيْه حَذْف المضَاف، وهُوَ الجار والمَجرُور. (المعرَّب بزيادة)

وتَمام الآيَة: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المائدة٣٢].

(٤/ ١) قَوْله: (مَنْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْض): أيْ: وَمَنْ في الأَرْض؛ جَاء فِي التَّنْزِيل فِي تسْعة مَوَاضِع، كَمَا فِي سُورَة الرَّحمٰن: ٢٩؛ وفيْه حَذف المَوصُول.(المعرَّب)

(٤/ ٢) وتَمام الآيَة: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ٢٩﴾ [الرحمٰن]

(٥/ ١) قَوْله: (ضِعْفَ الحَيَاةِ وَضِعْف المَمَات إلخ): أيْ: ضِعْف عَذَاب الحيَاة وَضِعْف عَذَاب المَمَات، كمَا رُوي عنْ ابنِ عبَّاس ومجاهِد، قتادَة والضَّحاك؛ وفيْه حذْف المَضاف. (طبري، المعرَّب)

(٥/ ٢) وتَمام الآيَة: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ٧٤ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ٧٥﴾ [الإسراء]؛ اللّٰهُمَّ! لاتكِلْنِيْ إِلىٰ نَفْسِيْ طَرْفَةَ عَيْن.

=

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [ابراهيم٢٨]، أيْ: فَعَلُوْا مَكَانَ شُكْرِ نِعْمَةِ اللهِ كُفْرًا(١).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء٩]، أيْ: لِلْخَصْلَةِ الَّتِيْ هِيَ أَقْوَمُ(٢).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [حٰم السجدة٣٤]، أيْ: بِالخَصْلَةِ الَّتِيْ هِيَ أَحْسَنُ(٣).

= (٦) قَوْله: (وَاسْئَلِ القَرْيَة): أيْ: أَهْل القَرْيَة؛ قال مُحيُ الدِّين دُرْوِيْش: في قَوْله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف٨٢] مجاز مُرسَل، إذِ المُراد أهْلُها، والعَلاقة محليَّة؛ ففِيه حذْف المضَاف وإقامَة المضَاف إلَيه مَقامَه. (إعراب القرآن، المعرَّب)

وتَمام الآيَة: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [يوسف]

(١) قَوْله: (مَكَانَ شُكْرِ نِعْمَةِ الله): وفِيه حذْف المضَاف والمضَاف إلَيْه معًا؛ وقَالَ الطَّبري: غَيَّروا مَا أنعَم اللهُ بِهِ عَلَيْهم مِن نِعمِه، فجَعلوها كفْرا بِه، وهُمْ كفَّار قُريش. (جامع البيان، معرّب)

وتَمام الآيَة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ [إبراهيم]

(٢) قَوْله: (يَهْدِيْ لِلَّتِيْ هِيَ أَقْوَمُ): قَال الرَّازي: قولُه: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء٩] نعْت لمَوصُوْف محذُوْف، والتَّقْدير: يَهدِي للمِلَّة أو الشَّرِيْعة أو الطَّرِيْقة التِيْ هيَ أقوَم المِلَل والشَّرائع والطُّرق، ومِثل هٰذِه الكنَاية كثِيرة الاستِعْمال في القُرآن، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون٩٦]، أي: بالخَصْلة التِيْ هيَ أحسَن؛ ففِيه حذْف الموصُوْف. (مفاتيح الغيب، المعرَّب)

وتَمام الآيَة: ﴿إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسراء]

(٣) قَوْله: (بِالَّتِيْ هِيَ أَحْسَن): أي: بِالخَصْلة التِيْ هيَ أقوَم، كمَا فسَّر به الزَّمخشري؛ ففِيه حذْف الموصُوْف. (معرّب، الزمخشري)

وتَمَام الآيَة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [حٰم السجدة]

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ [الأنبياء١٠١]، أيْ: الكَلِمَةُ الحُسْنىٰ وَالعِدَةُ الحُسْنىٰ(١).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة١٠٢]، أيْ: عَلىٰ عَهْدِ مُلْك سُلَيْمَان(٢).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران١٩٤]، أيْ: عَلىٰ أَلْسِنَةِ رُسُلِكَ(٣).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ١﴾ [القدر]، أيْ: أَنْزَلْنَا القُرْآن؛ وَإِنْ لَّمْ يَسْبِقْ لَهُ ذِكْر(٤).

وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ٣٢﴾ [ص٣٢]، أيْ: تَوَارَتِ الشَّمْسُ(٥).

---

(١) قَوْله: (الحُسْنى): العِدة مَصْدر وَعَدَ، وفيهِ حذْف الموصُوْف؛ وقَال الآلوسِي قيْل الحُسْنىٰ: الكلمَة الحُسْنىٰ، وهيَ المُتضَمِّنة للبِشارة بثَوابِهم وشَكر أعمَالهم، والمُراد منْ سَبَقَ ذُلك: تقدُّمُه في قَوله تعَالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ٩٤﴾ [الأنبياء].
(روح المعاني، المعرّب)

وتَمَام الآيَة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا (جهنم) مُبْعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء]

(٢) قَوْله: (عَلىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ): قَال النَّسَفي: ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة١٠٢]، أي: عَلىٰ عهْد مُلكِه وفي زَمانه؛ وفيْه حذْف المُضَاف الأوَّل. (المعرّب بزيادة)

وتَمَام الآيَة: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة١٠٢]

(٣) قَوْله: (وَعَدْتَّنَا عَلىٰ رُسُلِكَ): ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ [آل عمران١٩٤]، أيْ: عَلىٰ ألْسِنَة رُسُلك؛ قال: الرَّازي: فيْه حذْف المُضَاف. (مفاتيح الغيب)

وتَمَام الآيَة: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ١٩٤﴾ [آل عمران].

(٤) قَوْله: (إِنَّآ أَنْزَلْنٰهُ فِيْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ إلخ): قَال الرَّازي: أجمَع المفَسِّرون علىٰ أَنَّ المُراد: "إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ فِيْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ"، وفيهِ حذْف مَرجَع الضَّمِير؛ وإنَّما جاءَ بضَميره دُون اسمِه الظاهِر شَهادة لهُ بالنَّباهَة والاستِغْناء عنِ التَّصريْح. (مفاتيح الغيب، معرّب)

(٥/ ١) قَوْله: (حَتّٰى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ إلخ): قَال ابنُ عَطيَّة: والضَّمِير فيْ ﴿تَوَارَتْ﴾ [ص٣٢] للشَّمْس وإنْ لمْ يَجْرِ لَها ذِكر صَريْح، إلَّا أنَّ المَعنىٰ يقْتَضِيْها مَذكورةً ويتضمَّنُها؛ لأنَّ العَشِي يقْتَضي لَها ذِكرا إذْ هوَ مُقدَّر متوَهَّم بهَا؛ وفيهِ حذْف مَرجع الضَّمير. (المعرّب) =

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ [حٰم السجدة٣٥]، أيْ: خَصْلَةُ الصَّبْرِ(١).

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة٦٠]، -فِيْمَنْ قَرَأَ بِالنَّصَب- أيْ: جَعَلَ مِنْهُمْ مَنْ عَبَدَ الطَّاغُوْتَ(٢).

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗاۗ﴾ [الفرقان٥٤]، أيْ: جَعَلَ لَهُ نَسَبًا وَّصِهْرًا(٣).

= وَفِيْه قَاعِدَة: "العَرَبُ تَحْذِفُ مَا كَفَىٰ مِنْهُ الظَّاهِرُ فِي الْكَلَامِ إِذَا لَمْ تَشُكَّ فِيْ مَعْرِفَةِ السَّامِعِ مَكَانَ الحَذْفِ" [قواعد: ٦٢].

وتَمَام الآيَة: ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ۝ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ۝﴾ [ص]

(١) قَوْله: (وَمَا يُلَقَّاهَا إلخ): قَال الآلوسِيْ: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ [حم السجدة٣٥]، أي: مَا يُلَقَّى ويُؤتى هٰذِه الفِعْلة والخَصْلة الشَّريفة التِيْ هيَ الدَّفع بالتِيْ هي أحسَن ﴿إِلَّا الَّذِيْنَ صَبَرُوْا﴾، أي: الذِين فِيْهم طَبِيْعة الصَّبر وشأنُهم ذٰلك؛ ففِيْه حذْف مَرجع الضمِيْر. (روح المعاني، المعرّب)

وتَمَام الآيَة: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ۝﴾ [حٰم السجدة]

(٢) قَوْله: (وَعَبَدَ الطَّاغُوْتَ): قَال الرَّازي: ذَكَر صَاحِب الكشَّاف فِيْ قوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾ [المائدة٦٠] أنْواعًا مِن القِرَاءَات: وَذَكَر مِنْها: "عُبِدَ الطَّاغُوتُ" عَلَى البِنَاء لِلمَفعُوْل، وَحذِف الرَّاجِعُ بمَعنىٰ: وعُبِد الطاغوتُ فيهم أو بينَهم؛ ومِنْها: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتُۚ﴾ بمَعنىٰ: صَار الطَّاغوتُ مَعبُوْدا مِنْ دُوْن الله؛ وَمِنْها: قراءَة حمزة ﴿وَعَبُدَ ٱلطَّٰغُوتِۚ﴾؛ ومِنْها: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ﴾، قَال الفَراء: تأويْله وجَعل مِنهم القِردة ومَنْ عَبَد الطاغوتَ، فعَلىٰ هٰذا: الموصُوْل محذُوْف. (الرازي بحذف)

وتَمَام الآيَة: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ وَأَنَّ أَكۡثَرَكُمۡ فَٰسِقُونَ ۝ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝﴾ [المائدة]

(٣) قَوْله: (فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَّصِهْرًا): وفِيه حَذْف الجَار، ثمَّ إيصَال الفِعل إلَى المَجْرُوْر؛ وهوَ المعَبَّر عنهُ بـ"المنصُوْب بِنَزْع الخافِض". (المعرّب بزيادة)

المَلحُوْظة: قَد يحذَف حَرفُ الجَرّ، فيُنْصَب المَجرُورُ بَعْدَ حَذْفِه تَشْبِيهًا لَهُ بِالمَفعُوْل بِهِ، وَيُسَمّٰى "المَنصُوْب بِنَزْع الخَافِض"؛ وَالخَافِض هُوَ حَرْفُ الجَرّ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَاْ كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ﴾ [هود٦٨]، أيْ: كَفرُوا بِرَبهِم؛ وَيُسَمىٰ هٰذَا بِـ"الحَذْف وَالإيْصَال" أيْضا، أيْ: حَذْف الجَارّ وَإِيصَال الفِعْل إِلَى المَفعُوْل بِنَفسه بِلاوَاسِطَة. (مُحَمَّدإِلْيَاس) =

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ﴾[الأعراف١٥٥]، أيْ: مِنْ قَوْمِهِ(١).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾ [هود٦٠]، أيْ: كَفَرُوْا نِعْمَةَ رَبِّهِمْ، أوْ: كَفَرُوْا بِرَبِّهِم؛ بِنَزْعِ الخَافِض(٢).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿تَفْتَؤُاْ﴾[يوسف٨٥]، أيْ: لا تَفْتَؤ، ومَعْنَاه: لا تَزَالُ(٣).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[الزمر٣]، أيْ: يَقُوْلُوْنَ: مَانَعْبُدُهُمْ(٤).

= وتَمَام الآيَة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ٥٤﴾ [الفرقان]

(١) قَوْله: (وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ إلخ): قَال الآلُوْسِي: ﴿وَٱخْتَارَ﴾ يَتعدَّى إلى اِثنَيْن ثانيْهما مجرُوْر بـ"مِنْ"، وقدْ حذِفَت هُنا، وأوْصِل الفِعْل؛ والأصْل: مِنْ قومِه؛ ففِيه أيضًا حَذْف الجَار، ثمَّ الإيصَال.

(روح المعاني، المعرَّب)

وتَمَام الآيَة: ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ﴾ [الأعراف١٥٥]

(٢) قَوْله: (ألا إنَّ عَادًا كَفَرُوْا رَبَّهُمْ إلخ): قَال الآلوسِي: ﴿أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ﴾ [هود٦٠]، أي: برَبِّهم، أو كَفَروا نِعمَتَه؛ ففِيْه: إمَّا حذْف الجَار، ثمَّ الإيصَال؛ أوْ حَذْف المُضَاف الأوَّل.

(روح المعاني، المعرَّب)

وتَمَام الآيَة: ﴿وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُواْ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ٦٠﴾ [هود]

(٣) قَوْله: (تَفْتَؤا إلخ): قَال مُحي الدِّين دُروِيْش: اشتَرط النُّحاة في إعمَال زَال -ماضِي-، يَزال، لايَزال، وفَتِئ، وبَرِح، وانْفَكَّ: أنْ يتَقدَّمها نفيٌ أو نَهيٌ أو دُعاء بـ"لا" خاصَّة في المَاضي أو بلنْ في المضَارع؛ وقدْ يحذَف حرْف النَّفي كالآيةِ الكريْمَة ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف٨٥] علىٰ أنَّ حذْف النَّافي لايُقَاس إلا بثَلاثة شُروْط: وهيَ كونُه مُضارِعا، وكونُه جَواب قَسم، وكَوْن النَّافي "لا"؛ ففِيْه حذْف حرْف النَّفي. (إعراب القرآن)

وتَمَام الآيَة: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ٨٥﴾ [يوسف]

(٤) قَوْله: (مَا نَعْبُدُهُمْ إلخ): قَال الرَّازي: "وتَقدِير الكَلام: والذِيْن اتَّخذوا مِن دُوْنه أوْلِيَاء، يَقولوْن: مَا نَعبُدهم إلَّا ليُقرِّبُونا إلَى الله زُلفىٰ"، وعلىٰ هٰذَا التَّقدِير فخَبر ﴿الذِيْن﴾ محذُوف، وهوَ قَوْله:=

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ﴾ [الأعراف١٥٢]، أي: الَّذِيْنَ اتَّخَذُوا العِجْلَ إِلٰهًا(١).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ٢٨﴾ [الصافات](٢)، أيْ: وَعَنِ الشِّمَال(٣).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ٦٦﴾ [الواقعة]، أيْ: تَقُوْلُوْنَ: إِنَّا لَمُغْرَمُوْنَ(٤).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً﴾ [الزخرف٦٠]، أيْ: بَدَلًا

= "يَقُوْلون"؛ ففِيْه حذْف القَول. (مفاتيح الغيب)

وتَمَام الآيَة: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ (يَقُوْلُوْن) مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر٣]

(١) قَوْله: (إِنَّ الَّذِيْنَ اتَّخذُوا الْعِجْلَ إلخ): قَال النَّسَفي: "اتَّخذُوا العِجْل إِلٰهًا"؛ ففِيْه حَذْف المفْعُول الثَّاني. (مدارك التنزيل، المعرِّب)

وتَمَام الآيَة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢﴾ [الأعراف]

(٢) قَوْله: (تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ) وتَمَام الآيَة: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٢٧ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ٢٨ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ٣٠﴾ [صافات]

(٣) قَوْله: (الشِّمَال): لعَلَّه أشَار إلىٰ قاعِدة أنَّه: "قَدْ يَقْتَضِي الْمَقَامُ ذِكْرَ شَيْئَيْنِ بَيْنَهُمَا تَلاَزُمٌ وَارْتِبَاطٌ، فَيُكْتَفَى بِأَحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ" [قواعد:٦٨]؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل٨١]، أيْ: سَرابيْل تَقيْكم الحرَّ والبَرْد، للمُلازمَة بينَهما؛ وقوله تعَالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة٣]، أي: "يُؤمِنُون بِالغَيْب والشَّهادة"، وآثَر الغيْبَ لأنَّه أعظمُ؛ وفِيْه حذْف بعضِ أجزَاء الجمْلة. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(٤) قَوْله: (فَظَلْتُمْ إلخ): قَال الرَّازي: قَوْله: ﴿إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ٦٦﴾ [الواقعة]، ففِيْه وجْهَان: أمَّا علَى الوَجه الأوَّل: كأنمَا هوَ كلام مُقدَّر عَنهم، كأنَّه يقُوْل: وَ"حِينَئِذ يحِقُّ أنْ تَقُوْلوا: إنَّا لمُعذَّبُوْن دائِمُوْن فِيْ العَذاب"، وأمَّا علَى الوَجه الثَّاني: "فيَقولُوْن: إنَّا لَمُعَذَّبوْن ومَحرُوْمون عنْ إعادة الزَّرْع مَرَّة أُخْرىٰ"؛ فَفِيْه حَذْف القَوْل. (مفاتيح الغيب، المعرِّب)

وتَمَام الآيَة: ﴿ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ٦٤ لَوۡ نَشَآءُ لَجَعَلۡنَٰهُ حُطَٰمٗا فَظَلۡتُمۡ تَفَكَّهُونَ ٦٥ إِنَّا لَمُغۡرَمُونَ ٦٦ بَلۡ نَحۡنُ مَحۡرُومُونَ ٦٧﴾ [الواقعة]

مِنْكُمْ(١).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ﴾ [الأنفال٥]، أيْ: امْضِ(٢).

[الأدَوَاتُ الَّتِيْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا المُفَسِّرُ فِيْ بَابِ الحَذْف]

وَلِيُعْلَمْ أَنَّ حَذْفَ خَبَرِ إِنَّ، أَوْ حَذْفَ جَزَاء الشَّرْط، أَوْ مَفْعُوْلِ الفِعْل، أَوْ مُبْتَدَأِ الجُمْلَة، وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ مُطَّرِدٌ(٣) فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ إِذَا كَانَ فِيْمَا بَعْدَهُ دَلَالَةٌ عَلىٰ حَذْفِهِ(٤)، نَحْوُ: قَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿فَلَوْ شَآءَ(٥) لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ١٤٩﴾ [الأنعام]، أيْ: لَوْ

(١) قَوْله: (لَوْ نَشَآءُ إلخ): قال الطَّبْري: "يقُوْل اللهُ تعَالىٰ ذِكره: ولوْ نشَاء مَعْشَر بنِيْ آدَم! أهْلكنَاكمْ فأفنَيْنا جميْعَكم، وجَعَلْنا بدلًا مِنكُم في الأرْض مَلائِكةً يخلُفُونَكم فيْهَا يَعبُدُونَنيْ"، ففِيْه حذْف مَفْعول المَشِيْئة. (جامع البيان)

وتَمَام الآيَة: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِي ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٦١﴾ [الزخرف]

(٢) قَوْله: (كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ إلخ): كمَا قَال سَعْد بنُ عُبَادة لرَسُول اللهﷺ: "انْظُر أمْرَك فامْضِ فِيْه"، وقالَ مِقْداد بنُ عَمْرُو لهﷺ: "امْضِ لِمَا أمَرك اللهُ" حِين استَشَار النَّبيﷺ أصْحابَه في عِير قُرَيْش، كمَا ذكر البَيضاوِي؛ ففِيْه حذْف الفعل. (المعرّب)

وتَمَام الآيَة: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ (إلَى البَدْر) مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ٥﴾ [الأنفال]

(٣) قَوْله: (مُطَّرِدٌ): مُطَّرِد، أي: عامٌّ، لاشُذُوْذ فِيْه. (المعرّب)

(٤) قَوْله: (دَلَالَةٌ عَلىٰ حَذْفِهِ): ومِن شُروط الحذْف: الأوَّل: وجُوْد دَليل حاليٍّ أو مَقالي، فمِثال الأوَّل: قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ [يوسف٨٢]، أيْ: أهْل القَريَة؛ ومِثَال الثَّاني: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾ [هود٦٩]، أي: سلَّمْنا سَلامًا؛ والشَّرط الثَّاني: أنْ لايَكون المحْذُوف كالجُزْء (فيْ كونِه مَقصُودا)، ومَن ثَمَّ: لمْ يحْذَف الفاعِل، ولا نائِبُه، ولا اسمُ كان وأخوَاتها؛ والثالث: أنْ لايَكون مُؤكَدًا، لأنَّ الحذْف مبنيٌّ عَلى الاختِصَار، والتَّاكيدُ مَبنيٌّ على الإطنَاب؛ والرَّابع: أنْ لايؤدي حَذفُه إلىٰ اختِصَار المختَصَر، ومِن ثمَّ لمْ يحذَف اسمُ الفاعِل، لأنَّه اختِصارٌ للفِعل؛ والخامِس: أنْ لايَكون عامِلا ضَعِيفا، فلايحذَف الجارُّ والجازِم والناصِب للفِعل إلا فيْ مَواضِع الدَّلالة؛ والسَّادس: أنْ لايَكون المَحذُوف عِوَضا عَن شَيْءٍ؛ والسَّابع: أنْ لايؤدي حَذفُه إلىٰ تهْيئة =

شَاءَ هِدَايَتَكُمْ لَهَدَاكُمْ.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [البقرة١٤٧]، أيْ: هٰذَا الحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ[1].

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم: مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ﴾ [الحديد١٠]، أيْ: لا يَسْتَوِيْ مَنْ أنْفَقَ مِنْ قَبْل الفَتْح، وَمَنْ أنْفَقَ مِنْ بَعْد الفَتْح[2]؛ فَحُذِفَ الثَّانِيْ لِدَلالَة قَوْله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ﴾ [الحديد١٠][3].

وقَوْلِه تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ، لَعَلَّكُمْ

=العامِل القَوي. (أصول التفسير وقواعده: ٢٧٢)

(٥/ ١) قَوْله: (فَلَوْ شَاءَ إلخ): مَفعوْل المشيْئة والإرَادة لايُذْكر إلَّا إذا كانَ غَريْبا أو عَظيْما، وإذا حُذف مَفعُولُ المشِيْئة والإرَادةِ بعْد "لَوْ" فهُوَ المذْكور فيْ جوابِها أبدًا، وفيه حذْف المفْعُول. (قواعد التفسير)

(٥/ ٢) قَوْله: (لَوْ شَاءَ): حَذْف مَفعوْل المشيْئة والإرَادة مِنْ قَبِيْل "الإيْضَاح بَعْد الإبْهَام"، فَإنَّهم لا يَكادُوْن يَذْكُرُوْنه، كَمَا فِيْ المِثَال المَذْكوْر، والتَّقْدِيْر فِيْ مِثْل هٰذِه المَوَاضِع: لَوْ شَاءَ اللهُ أنْ يَفْعَل ذٰلِك لَفَعَل.

(١) قَوْله: (هٰذَا الحَقُّ): قالَ الرَّازي: يحتَمِل أنْ يَكون ﴿الحَقُّ﴾ خَبرَ مُبتدإٍ محذُوْف، أي: هوَ الحَقُّ؛ ويجُوْز أيضًا أنْ يَكُوْن مُبْتدأ، خبرُه: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ١٤٧﴾ [البقرة].

(مفاتيح الغيب)

ولعَلَّه أشَار إلىٰ قاعِدة: "مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ أنْ يُضْمِرُوْا لِكُلِّ مُعَايَنٍ -نَكِرَةً كَانَ أوْ مَعْرِفَةً- هٰذَا وَ هٰذِهِ" [قواعد: ٥٥]

(٢) قَوْله: (مِنْ بَعْد الفَتْح): قال الطَّبْري قَال قتَادة: "كانَ قِتالان أحَدُهما أفضَل مِن الآخَر، وكانَت نفَقَتَان إحْداهما أفضَل مِن الأُخرىٰ؛ كانتْ النَّفَقة والقِتال مِن قَبل الفَتح -فَتْح مَكة- أفضَل مِن النَّفقَة والقِتَال بَعْد ذٰلك". (جامع البيان) وفيه قاعدة: "قَدْ يَقْتَضِي الْمَقَامُ ذِكْرَ شَيْئَيْنِ بَيْنَهُمَا تَلَازُمٌ وَارْتِبَاطٌ، فَيُكْتَفىٰ بِأحَدِهِمَا عَنِ الْآخَرِ" [قواعد:٦٨].

(٣) قَوْله: (أولٰئِكَ إلخ): والآيَة بتَمامِها: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١٠﴾ [الحديد]؛ وفِيْه حَذْف بَعْض أجْزاء الجمْلة. (المعرِّب)

تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [يس][1]، أَيْ: إِذَا قِيْلَ لَهُمْ: اتَّقُوْا مَا بَيْنَ أَيْدِيْكُمْ، وَمَا خَلْفَكُمْ أَعْرَضُوْا[2].

- **اِسْتِعْمَالُ كَلِمَةِ إِذْ فِيْ مَعْنَى التَّخْوِيْفِ وَالتَّهْوِيْل:**

وَلْيُعْلَمْ أَيْضا: أَنَّ الأَصْل فِيْ مِثْل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة٣٠]، وَقَوْله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ [البقرة٥٤]، أَنْ تَكُوْنَ كَلِمَة "إِذْ" ظَرْفا لِفِعْل مِنَ الأَفْعَال، وَلٰكِنَّهَا نُقِلَتْ هٰهُنَا إِلىٰ مَعْنى التَّخْوِيْف وَالتَّهْوِيْل، كَمَثَل الَّذِيْ يَذْكُر المَوَاضِع الهَائِلَة أَوِ الوَقَائِع العَظِيْمَة عَلىٰ سَبِيْل التَّعْدَاد، مِنْ دُوْن تَرْكِيْب لِلجُمَل، وَمِنْ غَيْر وُقُوْع الكَلِمَات فِيْ حَيِّز الإِعْرَاب؛ بَلِ المَقْصُوْد ذِكْرُهَا بِأَعيُنِهَا، حَتّٰى تَرْتَسِمَ صُوْرَتُهَا فِيْ ذِهْن المُخَاطَب، وَيَسْتَوْلِيَ الخَوْف مِنْهَا عَلىٰ قَلْبِهِ[3].

فَالتَّحْقِيْق: أَنَّهُ لا يَلْزَم فِيْ أَمْثَال هٰذِهِ المَوَاضِع تَفْتِيْش العَامِل[4]. وَالله أَعْلَم!

---

(١) قَوْله: (وَإِذَا قِيْلَ الخ): وَفِيْه حَذْف جَزَاء الشَّرط. (المعرّب)

(٢) قَوْله: (أَعْرَضُوْا): هٰكذا فسَّر ابن جرير الطبري؛ وفيه قاعدة: "إِذَا كَانَ ثُبُوْتُ شَيْءٍ أَوْ نَفْيُهُ يَدُلُّ عَلىٰ ثُبُوْتِ آخَرَ أَوْ نَفْيِهِ، فَالأَوْلىٰ الاِقْتِصَارُ عَلَى الدَّالِّ مِنهُمَا، فَإِنْ ذُكِرَا فَالأَوْلىٰ تَأْخِيْرُ الدَّالِّ"، (٦٥).

(٣) قَوْله: (حَتّٰى تَرْتَسِمَ): وفيه قواعد: "حَيْثُ وَقَعَتْ (إِذْ) بَعْدَ (وَاذْكُرْ)، فَالْمُرَادُ بِهِ الْأَمْرُ بِالنَّظَرِ إِلىٰ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ ذٰلِكَ الزَّمَانُ لِغَرَابَةِ مَا وَقَعَ فِيْهِ، فَهُوَ جَدِيْرٌ بِأَنْ يُنْظَرَ فِيْهِ"، (القاعِدة: ٧٥)؛ "العَرَبُ تَحْذِفُ مَا كَفىٰ مِنْهُ الظَّاهِرُ فِي الْكَلَامِ إِذَا لَمْ تَشُكَّ فِيْ مَعْرِفَةِ السَّامِعِ مَكَانَ الْحَذْفِ"، (القاعِدة: ٦٢) "الغَالِبُ فِي الْقُرْآنِ وَفِيْ كَلَامِ الْعَرَبِ أَنَّ الْجَوَابَ الْمَحْذُوْفَ يُذْكَرُ قَبْلَهُ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ" (القاعِدة: ٦٣)؛ "مَتىٰ جَاءَتْ (بَلىٰ) أَوْ (نَعَمْ) بَعْدَ كَلَامٍ يَتَعَلَّقُ بِهَا تَعَلُّقَ الْجَوَابِ وَلَيْسَ قَبْلَهَا مَا يَصْلَحُ أَنْ يَكُوْنَ جَوَابًا لَهُ، فَاعْلَمْ أَنَّ هُنَاكَ سُؤَالاً مُقَدَّرًا، لَفْظُهُ لَفْظُ الْجَوَابِ"؛ (القاعِدة: ٦٤). (قواعد)

(٤) قَوْله: (تَفْتِيْش العَامِل): اعْلَم! أَنَّ في إِعْراب كَلِمَة ﴿إِذْ﴾ فِيْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة٣٠] تِسْعَة أَوْجهٍ، مِنْها: إِمَّا أَنَّه مَنصوب بـ"اُذْكُر" مُقَدَّرا؛ أَوْ منصُوْب بِفِعْلٍ لائق، تقدِيره: ابتِداء خَلقِكم وَقت قَوله ذٰلك؛ أَوْ منصوبٌ بـ﴿فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة٢٨]؛ أَوْ أَنَّه زائِد -ويُعْزَى لأَبِيْ عُبَيْدة-، أو بمَعنىٰ قَدْ. (اللباب ملخصًا)

=

حَذْف الجَار

وَلِيُعْلَمْ أَيْضا: أَنَّ حَذْف الجَارِّ مِن "أَنْ" المَصْدَرِيَّة[1] مُطَّرِدٍ فِيْ كَلام العَرَب؛ وَالمَعْنىٰ: لأَنْ، أَوْ: بِأَنْ.

- **حَذْفُ جَوَابِ الشَّرْطِ فِيْ مَقَامَ التَّعَجُّبِ:**

وَلِيُعْلَمْ أَيْضًا: أَنَّ الأَصْل فِيْ مِثْل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام٩٣]، وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ﴾ [البقرة١٦٥]: أَنْ يَكُوْنَ جَوَابُ الشَّرْط مَحْذُوْفًا[2]، إِلاَّ أَنَّهُمْ نَقَلُوْا هٰذَا التَّرْكِيْبَ إِلىٰ مَعْنَى التَّعَجُّب؛ فَلاحَاجَةَ إِلىٰ تَفْتِيْشِ المَحْذُوْف. وَاللهُ أَعْلَمُ!

= وَقَالَ البُخارِي: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة١١٦] "إِذْ هٰهُنَا صِلَةٌ"؛ قَالَ السِّنـدِهي: "أَيْ: زَائِدَة". (تَفسِيرِ المَائِدَة، بَاب مَا جَعَلَ الله مِن بَحِيْرَة)؛ فَلَعَلَّ الإِمَام جَنَح إِلىٰ قَوْل أَبِيْ عُبَيْدَة وَالبُخَارِي.

قال المبرِّد: إذا جاء "إِذْ" مع المُستقْبل كانَ معْناه مَاضيا، كقَوله: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾ [الأنفال٣٠]، يُريد: إذْ مَكروا؛ وإذا جَاء مع الماضِي كانَ معْنَاه مُسْتقْبلا، كقَوله تعَالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ [المائدة١١٦]؛ وقدْ يَبقىٰ علىٰ مُضِيِّه كهٰذِه الآية. (اللباب)

(١) قَوْله: (حَذْف الجَارّ إلخ): كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ٢﴾ [عبس:١-٢]، أَيْ: لأَنْ جَاءَه. (النسفي)؛ وقالَ تَعَالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ [آل عمران١٨٣]، أَيْ: عَهِدَ إِلَيْنا بِأَنْ لاَنُؤمِن لِرَسُوْل. (النحو القرآني: ٣٠٣)

(٢) قَوْله: (جَوَابُ الشَّرْط مَحْذُوْفًا): وفيه إِشارة إِلىٰ قاعدة: "حَذْفُ جَوَابِ الشَّرْطِ يَدُلُّ عَلىٰ تَعْظِيْمِ الأَمْرِ وَشِدَّتِه فِيْ مَقَامَاتِ الْوَعِيْدِ"؛ [قواعد:٦٦] قال الله تعَالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام٣٠]، وجوابُه: "لَرَأَيْتَ أمرًا عظيْما" ونحوُ ذٰلِك؛ وكذٰلك قَوْلهُ تَعَالىٰ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [السجدة١٢].

[السَّبَبُ الخَامِسُ مِنْ أَسْبَابِ الصُّعُوْبَةِ]

إِبْدَالُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ

أَمَّا الإِبْدَال(١)، فَإِنَّهُ تَصَرُّفٌ كَثِيْرُ الفُنُوْن.

- **مِنْ قَبِيْلِ إِخْلَالِ(٢) فِعْلٍ مَحَلَّ فِعْلٍ آخَرَ:**

قَدْ يَذْكُرُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فِعْلًا مَكَانَ فِعْلٍ لأَغْرَاضٍ شَتَّىٰ، وَلَيْسَ اسْتِقْصَاءُ

---

(١) قَوْله: (الإِبْدَال): وهٰذَا هُوَ البَحث الَّذِيْ يسمّٰى بالإخْلال أيضًا، وهُوَ مِن أَلْوَان الفَواصِل المُعْجِزة، وفِيْ بَعْض أَمْثِلة هٰذَا البَحْث إِشَارة إِلىٰ بَعْض أَنْواع "الإِيْثَار" أَيْضًا، وقَدْ يَذْكُر سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ كَلِمَةً أَوْ جمْلَةً مَكَان أُخْرىٰ -عَلىٰ أَسْلُوب الإِخْلال والإِيثار- لِأَغْرَاض وَحِكَم تُعْرفُ بِالمُرَاجعَة إِلىٰ كُتُب التَّفسِيْر، وقدْ أشارَ الإمامُ إلىٰ كلِّ نوعٍ من هٰذِه الأنواع، وبسطَها بأمْثِلَة عَديدَة تحْتَ عُنوانِ "الإبدال".

(٢) قَوْله: (الإخْلَال) واعْلَم! أَنَّ الإخْلَال مِنْ أَلْوَان الفَواصِل المُعجِزَة؛ وَهُوَ مُختَصّ بـ"مَا كَان قِيَاسه كَذَا، وَلٰكِنَّه جَاء عَلىٰ غَيْر ذٰلِك"؛ وَهٰذَا اللَّوْن لَمْ يَجمَعْه البَلاغِيُّوْن وَالنُّحَاة تَحْت مَبْحَث وَاحِد، وَإنما سَمَّوا كُلّ حَالَة باسْمهَا كَقَولهِم: اسْتِعْمال فَاعِل مَكَان مَفعُوْل، أَوْ مَفعُوْل مَكَان فَاعِل، أَوْ إِجْرَاء غَيْر العَاقِل مَجرى العَاقِل؛ وَقَدْ أَشَار إِلَيْه الإِمَام الشَّاه الدّهْلَوي فِيْ ضِمْن الإِبْدَال.

الإِخْلالِ والإِيْثَار

فَالإِخْلال: هُوَ مَا كَانَ قِيَاسُه كَذَا، وَلٰكِنّه جَاءَ عَلىٰ غَيْر ذٰلِكَ، مِثْل: اسْتعمَال اسْم الفَاعِل مَكَان اسْم المَفعُوْل، وَوَضع الخَبَر مَوْضِع الإِنْشَاء، وَغَيْر ذٰلِك، والإِيْثَار: هُوَ أَنْ يُؤثَر مَا هُوَ قَلِيْلُ الاسْتعْمَال عَلىٰ غَيْره مِمَّا هُوَ شَائِع مُستَعْمل فِي القُرْآن الكَرِيْم أَوْ لُغَة العَرَب.

الملحوظة: هٰذَا الإخْلَال لَيْس خُرُوْجا عَلىٰ قَوَاعِد اللُّغَة بَلْ إِنَّه جَاءِ فِي كُلّ حَالَة مُراعِيا لِلسِّيَاق وَالدّلالَة المُرادَة؛ وَلَمْ يَكُنْ يَقَع فِي الفَواصِل فَحَسب، وَلٰكِنه فِيْها أَكْثَر لِحَاجَة الإِيْقَاع وَالتَّرنُّم إِلَيْه.

فَمِن صُوَر الإِخْلَال فِي الفَواصِل القُرآنِيَّة:

١-إِخْلَال صِيغَة فَاعلٌ مَحَل صِيْغة مَفعُوْلٌ؛ كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾ [الطارق]، قَالُوْا: إِنْ دَافَقا هُنَا بِمَعْنىٰ "مَدفُوْق"، وَاللَّفْظ بِهٰذِه الصِّيْغة وَافَق زِنَة الفَوَاصِل بَعْدَه ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ لَقَادِرٌ ۝٨ ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ لِوُجُوْد حَرْف المَدِّ قَبْل آخِر حَرفَيْن مِنَ الفَاصلَة فِي الكَلمَات الأَرْبَع؛ وَفيْه أَيْضا: أَنّه إِذَا خَرَج بِغيْر دِفْق لَايعدّ مَنِيًا بَل يُسَمّى الوَدِيّ، وَلَيْس مِنْه الغُسْل.

٢- إِخْلَال صِيغَة مَفعُوْل مَحَل فَاعِل؛ كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ =

= لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ [الإسراء]، أيْ: سَاتِرا، وَالفَواصِل فِي هٰذَا المَوْضع ﴿غَفُورًا ﴿٤٤﴾ مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾، فَلَفظ المَفعُوْل يحقّق التَّوَافُق الإيْقَاعِي فِي الفَوَاصِل، وَلَوْ كَانَ اللَّفظ "سَاتِرا" لَذَهَب ذٰلِكَ الإيْقَاع المُحَقِّق بِثَلَاثَة أحْرُف مُكَرَّرة، وَفِيْه أيْضا نَوْع مِنَ البَلَاغَة وَهِيَ: إذَا كَانَ الحِجَاب نَفسه مَسْتُوْرا، كَانَ منْ وَرَائه أشَدّ سِتْرا.

٣- إحْلَال المُفرَد مَحَل المُثنّى؛ كَقَوْله تَعَالىٰ حِكَايَة: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾ [طٰهٰ] مَعَ أنَّ الخِطَاب فِي هٰذَا المَوْضِع وَمَا سَبَقه مُوَجّه إلىٰ مُوْسىٰ وَهَارُوْن، وَإِنَّما أُفْرِدَ لِرِعَايَة الفَواصِل. وَفِيْه: أنَّ مُوْسىٰ هُوَ حَامِل العَصَا وَصَاحِب اليَد الَّتِيْ يَضعهَا فِي جَيْبه فَتَخرجُ بَيْضَاء، وَإِنَّما كَانَ هَارُوْن مَعَه رِدْءً مُصَدِّقًا.

٤- إحْلَال المُثنّى مَحَلّ المُفرَد؛ كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمٰن]؛ وَإِنَّمَا ثَنَاهَا لِأَجْل الفَاصِلَة رِعَايَة لِلَّتِي قَبْلهَا وَالَّتِيْ بَعْدَهَا عَلىٰ هٰذَا الوَزْن؛ ((وَالقَوافِي تحْتَملُ فِي الزِّيَادَة وَالنُّقصَان مَا لا يحْتمِله سَائِر الكَلَام)).

وَفِيْه: زِيَادَة فِي البَيَان وَالإكْرَام مَعَ تَلوِيْن الكَلَام حَيْث يَستَوْفِي ذِكْر الجَنَّة صُور اللَّفظ الثَّلَاث: الوَاحِد وَالتَّثْنِيَة وَالجَمْع فِي القُرْآن.

٥- إحْلَال الجَمْع مَحَل المُثنىٰ؛ قَالَ تَعَالىٰ حِكَايَة: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ [حم السجدة]، لِأَنَّ الفَوَاصِل هُنَا: "لِلسَّائِلِيْن، طَائِعِيْن، العَلِيْم" فَالمَدّ مَوجُوْد فِيْها جَمِيْعا، فَيَتَحقَّق الإيْقَاع بِلَفْظ الجَمْع "طَائِعِيْن" الَّذِي وَقَع حَالًا لِلمُثنّى.

٦- إحْلَال صِيغَة العَاقِل مَحَل صِيغة لِغَيْر العَاقِل؛ كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف]، فَقِيَاسه: "سَاجِدَات"، لٰكِنّ الإيْقَاع لا يَتَحقّق إلَّا بِلَفظ جَمْع المُذَكّر السَّالِم، لِأَنَّ الفَوَاصِل نُوْنِية.

وَفِيْه إجْرَاء غَيْر العَاقِلِيْن مَجْرى العُقَلَاء لِوَصْفهَا بِمَا هُوَ خَاصّ بِالعُقَلَاء وَهُو السُّجُوْد؛ وَأيْضا: لما كَانَ مَآل الرُّؤيَا: أنْ يَكُوْن السَّاجِدُوْن هُمْ إخْوَته وَأبَوَيْه، فَنَاسَب مَجِيْء لَفظ العَاقِل.

٧- إحْلَال المُفرَد مَحَل الجَمْع؛ كَقَوْله تَعَالىٰ حِكَايَة: ﴿وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾﴾ [الكهف]؛ وَإِنَّمَا أُفْرِد لِيَعدِل رُؤُوْس الآي بِالإفْرَاد، وَالفَوَاصِل فِي الأَوَّل ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ... بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾؛ فَلَوْ جَاءَت الفَاصِلَة جَمْعا لَذَهَب ذٰلِكَ الإيْقَاع.

وَفِيْه: أنَّ المُضِلِّيْن كَأنَّهُم شَخْص وَاحِد لاتِّحَاد المَنْهَج وَالسُّلُوْك.

٨- إحْلَال المُؤنّث مَحَلّ المُذَكّر؛ كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [القيامة]، حَيْثُ جَاء الخَبَر المُؤنَّث لِلمُبتَدَأ المُذكّر لِأنَّ الفَواصِل فِي ذٰلِكَ المَوْضِع "هاء".

وَفِيْه نَوْع بَلاغَة لأنَّ الهَاء فِيْها لِلمُبالَغَة كَالعَلَامَة؛ وَأيْضا فِيْه إشَارَة إلىٰ: أنَّ الحَامِل هِيَ النَّفس. =

تِلْكَ الأَغْرَاضِ مِنْ وَظِيْفَة هٰذَا الكِتَابِ، نَحْو قَوْلِه تَعَالىٰ: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾[الأنبياء٣٦]، أَيْ: يَسُبّ آلِهَتَكُمْ؛[1] وَكَانَ أَصْلُ الكَلام: أَ هٰذَا الَّذِيْ يَسُبُّ، وَلٰكِنْ كَرِهَ ذِكْرَ السَّبّ، فَأَبْدَلَ بِالذِّكْرِ.

وَمِنْ هٰذَا القَبِيْل مَا يُقَال فِي العُرْفِ[2]: "أُصِيْبَ أَعْدَاءُ فُلانٍ بِمَرَضٍ" أَوْ: "شَرَّفَنَا بِالمَجِيْءِ عَبِيْدُ الحَضْرَة" أَوْ: "عَبِيْدُ الجَنَابِ العَالِيْ مُطَّلِعُوْنَ عَلىٰ هٰذِهِ

= ٩- إِحْلَال المُذَكَّر مَحَلّ المُؤَنَّث، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ١٢﴾ [التحريم]، بَدَلا مِنَ القَانِتَات، لِأَنَّ الفَوَاصِل قَبْلَهَا نُوْنِية ﴿مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ١٠ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١١ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ١٢﴾.

وَفِيْه: إِيْحَاء خَاصّ، وَهُو إِدْخَالهَا مَعَ الرِّجَال لِتشَبُّهِهَا بِهِم فِي الطَّاعَة وَكَثْرَة العِبَادَة وَالقُنُوْت، فَهِي كَامِلَة فِي الدِّيْن وَالعَقْل مِثْل كَثِيْر مِنَ الرِّجَال.

١٠- اسْتِعْمَال حَرْف جَرّ مَكَان آخَر لِتقَارُب المَعَانِي، وَيُعْتَمَد عَلَى السِّيَاق فِيْ فَهْم ذٰلِكَ؛ كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ٥﴾ [الزلزال]، وَهُوَ مِنْ إِيْقَاع حَرْف مَكَان غَيْره؛ وَفِي القُرْآن اسْتِعْمَال فِعْل "أَوْحىٰ" مُتَعَدِّيا بِنَفْسه مَرَّات، وَمُتَعَدِّيا بِإِلىٰ كَثِيْرا، وَوَرَد مُتَعَدِّيا بِلَام الجَرّ فِي مَوْضِع وَاحِد. لِأَنَّ الفَوَاصِل: ﴿زِلْزَالَهَا ١ أَثْقَالَهَا ٢ مَا لَهَا٣﴾؛ فَالفَاصِلَة فِي ذٰلِك المَوْضِع لَاتَحْتَمِل "إِلَيْها" حَتّٰى لَاينْكَسر الإِيْقَاع الجَمِيْل المُتَكَرّر فِي الآيَات. (فواصل لخضر:١١٠- ١١٩ ملخصا)

أنواع الإيثار

الملحوظة: وَمِنْ هٰذا القَبِيْل الإِيْثَار، وَيدْخلُ فِيْه:

١- إِيْثَار بَعْض صِيَغ المُبَالَغَة عَلىٰ بَعْض، ٢- وَإِيْثَار اسْم التَّفضِيْل عَلىٰ صِيغَة المُبالَغة، ٣- وَإِيْثَار جَمْع تَكسِيْر عَلىٰ آخَر، ٤- وَإِيْثَار اسْم الفَاعِل عَلَى الاسْم المَوصُوْل، ٥- وَإِيْثَار مَصْدَر مُؤَكّد غَيْر مَصْدَر الفِعْل المَوْجُوْد بِالجُمْلَة، ٦- وَإِيْثَار صِيْغَة المُضَارِع عَلَى المَاضِيْ، ٧- وَالاسْتِغْنَاء بِصِفَة الشَّيْء عَنْ اسْمه، ٨- وَإِيْثَار أَغْرَب اللَّفْظَيْن لِغَرَابَة المَعْنى، ٩- وَإِيْثَار المظْهَر عَلَى المُضْمَر.

(١) قَوْله: (يَسُبُّ آلِهَتَكُمْ): قَالَ الطَّبَرِي: والعَرَب تَضَع "الذِّكر" مَوْضِع المَدح والذَّمّ، فيَقُوْلون: "سَمِعْنا فُلانا يَذْكر فُلانا"، وهمْ يُرِيْدون: سَمعناهُ يَذكرُه بقَبِيْح ويُعيّبه؛ وقَالَ البَيضاوي: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ﴾ [الأنبياء٣٦]، أَيْ: بسُوْء، وإِنَّمَا أَطْلقَه لدَلالة الحَال، فإِنَّ ذِكر العَدُوّ لايَكُوْن إِلَّا بسُوْء. (بيضاوي، جامع البيان)

(٢) قَوْله: (فِي العُرْف): عِنْد مُخَاطَبتهم سَادَتَهم أَوْ مُكَرّمِيْهم، أَي: يَنسِبون الأَمْر إِلىٰ مَا يُلابِسُهم أَو إِلىٰ مُتعَلِّقِيهم. (المعرّب)

المُقَدَّمَةِ"(١)؛ وَالمُرَادُ: قَدْ مَرِضَ فُلانٌ، وَقَدِمَ سَعَادَةُ فُلانٍ، وَاطَّلَعَ سُمُوُّ فُلانٍ.

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء٤٣](٢)، أَيْ: مِنَّا لا يُنْصَرُوْنَ(٣)؛ لَمَّا كَانَتِ النُّصْرَة لاتُتَصَوَّرُ بِدُوْن الاجْتِمَاعِ وَالصُّحْبَةِ أَبْدَلَ "يُنْصَرُوْن" بِـ﴿يُصْحَبُونَ﴾.

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف١٨٧](٤)، أَيْ: خَفِيَتْ؛ لأَنَّ الشَّيْء إِذَا خَفِيَ عِلْمُه ثَقُلَ عَلىٰ أَهْل السَّمٰوَات وَالأَرْض(٥).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا﴾ [النساء٤](٦)، أَيْ: عَفَوْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْ طِيْبَةِ أَنْفُسِهِنَّ(٧).

---

(١) قَوْله: (المقَدَّمَة): هٰذِه كُلُّها تَغْيِيْرات فارِسِيَّة، كانُوْا يَتَكَلَّمُون بهَا أَو بمِثْلها عِنْد سَادَتهم وكُبَرائهم. (المعرَّب)

(٢) قَوْله: (مِنَّا يُصْحَبُوْن): وتَمَامُ الآيَة: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ۝٤٢ أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ۝٤٣﴾ [الأنبياء]

(٣) قَوْله: (مِنَّا لا يُنْصَرُوْن): أَخرَجَ ابنُ جَرير عنِ ابْنِ عبَّاس، فيْ قَوْله: ﴿وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ۝٤٣﴾ [الأنبياء]، قَالَ: لا يُنْصَرون. (الدرُّ المنثور)

(٤) قَوْله: (ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ) وتَمَامُ الآيَة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٧﴾ [الأعراف]

(٥) قَوْله: (أَيْ: خَفِيَتْ إلخ): قال السُّدِّي: ﴿ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، أَيْ: خَفِيت في السَّماوات والأَرْض، فَلَمْ يَعْلم قِيامَها -مَتى تَقُوْم- مَلَكٌ مقرَّبٌ ولا نَبِيٌّ مُرسَلٌ؛ فثَقُلت السَّاعة في السَّمٰوات والأَرْض عَلىٰ أَهلهَا: أَنْ يَعرِفوا وقتَها وقِيامها لخَفائهَا عَنْهم وَاستِئثارِ اللهِ بعلمها. (الطبري بزيادة)

(٦) قَوْله: (فَإِن طِبْنَ لَكُمْ) وتَمَامُ الآيَة: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤﴾ [النساء]

(٧) قَوْله: (أَيْ: عَفَوْنَ لَكُمْ): وكلمَة ﴿طِبْنَ﴾ مِن قَبِيْل التَّنكِيْت فيْ الكلام: وهُوَ عِنْد البُلغاء: أَنْ يَقصُد المتَكلِّم إِلىٰ شَيء بالذِّكر دُوْن غَيرِه ممَّا يَسُدّ مَسَدّه لأَجْل نُكتة فيْ المَذكور؛ ففِي قَوْله تَعالىٰ=

- مِنْ قَبِيْلِ إِحْلَالِ اسْمٍ مَحَلَّ اسْمٍ آخَرَ:

وَقَدْ يَذْكُرُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ اسْمًا مَكَانَ اسْمٍ، نَحْو قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ [الشعراء](1)، أَيْ: خَاضِعَةً(2).

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾ [التحريم]، أَيْ: مِنَ القَانِتَات(3).

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٢﴾ [آل عمران]، أَيْ: مِنْ نَاصِرٍ(4).

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة]، أَي: حَاجِزًا(5).

= ﴿طِبْنَ﴾: دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ المعتَبَر فِيْ تَحْلِيْل ذٰلك مِنهنَّ إِنَّما هُوَ طِيْبَة النَّفْس، لا مجرَّد ما يَصدُر مِنْها مِن الألفَاظ. (فتح القدير بزيادة)

(١) قَوْله: (فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ)، وتَمَامُ الآيَة: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ [الشعراء]

(٢) قَوْله: (أَيْ: خَاضِعَةً): قالَ مُجاهِد: فِيْ قَوله تعَالَىٰ: ﴿فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾، قال: فظَلُّوا خاضِعةً أعنَاقُهم لها. (جامع البيان)

(٣) قَوْله: (مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ): قال الشَّنقِيطي لا يَخفَىٰ ما يَسْبق إِلَى الذِّهن مِن: أَنَّ المَرأة لَيْست مِن الرِّجال، وهوَ تعالَىٰ لمْ يقُل: "مِنَ القَانِتَات"؛ والجَواب: هوَ إِطْبَاق أَهْل العِلْم عَلَىٰ تَغْلِيب الذَّكَر عَلَى الأُنْثىٰ فِيْ الجَمْع، فلمَّا أَرادَ أَنْ يُبيِّن: أَنَّ مَريَم مِن عِباد اللهِ القَانِتِيْن، وكانَ مِنْهم ذُكُور وإِنَاث غلَّب الذُّكورَ -كمَا هوَ الواجِب فِيْ اللُّغة العَرَبيَّة-؛ ونظِيْره قولُه تعَالَىٰ: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ۝٢٩﴾ [يوسف]. (أضواء البيان)

وتَمَامُ الآيَة: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ۝١٢﴾ [التحريم]

(٤) قَوْله: (مِنْ نَّاصِرِيْن): قال النَّسَفي: جُمِع بوِفق رُؤُوس الآي، وإِلَّا فَالواحِد النَّكِرة في النَّفْي يَعمُّ. (مدارك التنزيل)

وتَمَامُ الآيَة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٢﴾ [آل عمران]

(٥) قَوْله: (أَيْ: حَاجِزًا): هٰكَذا فسَّر البقَاعي بقَوله: ﴿حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ أَيْ: حَاجِزاً، وإِنَّمَا جُمِع ليَكون مُطابِقا لرُؤُوس الآي؛ وقالَ الشَّوكاني: قولُه: ﴿عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة] صِفة لأَحَد، أَوْ خَبَر=

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [العصر]، أي: أَفْرَادَ بَنِي آدَم؛ أَفْرِدَ اللَّفْظُ لأَنَّهُ اسْمُ جِنْس.(١)

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا﴾ [الانشقاق۝٦] المَعْنَى: "يَا بَنِيْ آدَمَ إِنَّكُمْ"(٢)؛ أَفْرِدَ اللَّفْظُ لأَنَّهُ اسْمُ جِنْسٍ.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ [الأحزاب۝٧٢](٣) يَعْنِيْ: أَفْرَادَ الإِنْسَان.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝١٠٥﴾ [الشعراء](٤)، أَيْ: نُوْحًا وَحْدَهُ.

= لـ"مَا" الحِجازيَّة؛ وقَال الفَرَّاء والزَّجاج: إنمَا قالَ ﴿حَاجِزِيْنَ﴾ فِيْ صِفة أَحَد، لأنَّ أَحَدا هنَا فِيْ مَعْنى الجَمْع، لأنَّه اسْمٌ يَقَع فِيْ النَّفي العَامِّ مُسْتويا فِيْه الوَاحد والجَمْع، والمُذكَّر والمُؤنَّث.

(نظم الدرر، فتح القدير، مفاتيح الغيب)

وتَمَامُ الآيَة: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة]

(١) قَوْله: (لأَنَّهُ اسْمُ جِنْس) قَال السُّيُوطي في قَوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ [العصر]، قَال: النَّاسُ كلُّهمْ لَفِيْ خُسْرٍ، ثمَّ استَثْنَىٰ فقَال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾؛ وقَال ابنُ عطِيَّة: ﴿ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ اسْمُ جِنْس، و﴿خُسۡرٍ﴾: النُّقْصَان وسُوء الحَال. (المحرر الوجيز)

(٢) قَوْله: (يَٰٓأَيُّهَا الإِنْسَانُ - يَا بَنِيْ آدَمَ) قَال القُرطُبِي: المُراد بالإنسَان الجِنْس، أَيْ: يَا ابنَ آدَمَ! انتهَىٰ؛ وكذَا رَوَىٰ سَعيدٌ عَن قتَادة: يَا ابنَ آدَم. (الجامع لأحكام القرآن)

وتَمَامُ الآيَة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨﴾ [الانشقاق]

(٣) قَوْله: (وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ - أَفْرَادَ الإِنْسَان) قَال الحسَن: المُرادُ الكافِر والمُنافِق؛ إنَّه كانَ ظَلُوْمًا لنَفسِه، جَهُولا برَبِّه. (الجامع لأحكام القرآن)

وتَمَامُ الآيَة: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ۝٧٢﴾ [الأحزاب]

(٤) قَوْله: (ٱلۡمُرۡسَلِينَ - أَيْ: نُوْحًا وَحْدَهُ): قَال الآلُوْسِي: وتَكذِيْبهم المُرسَلِيْن بِاعْتِبار إجْماع الكلِّ علَى التَّوحِيْد وأُصُول الشَّرائِع الَّتِيْ لا تَختَلف باختِلاف الأزْمِنة والأعصَار؛ وجوِّز أنْ يُراد بـ﴿ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ نُوح -عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ- بجَعْل اللَّام للجِنْس، فهُوَ نَظِير قَولِك: فلانٌ يَركب الدَّوابَّ ويَلبس البُرود، ومَا لهُ إلَّا دابَّةٌ واحِدة وبُرْد واحدٌ. (روح المعاني) =

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ [الفتح①][1]، أيْ: إِنِّي فَتَحْتُ لَكَ.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ⑩﴾ [المعارج][2]، أيْ: إِنِّي لَقَادِر.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ﴾ [الحشر⑥]، أيْ: يُسَلِّطُ مُحَمَّدًا ﷺ[3].

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران⑰][4]، أيْ: عُرْوَةُ الثَّقَفِيُّ وَحْدَه.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ﴾ [النحل⑪][5]، أيْ: طُعْمَ الجُوْعِ؛

= وتَمَامُ الآيَة: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ⑩ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ⑩ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ⑩ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ⑩﴾ [الشعراء]

(١) قَوْله: (إِنَّا فَتَحْنَا) هٰذا الخَبَر وأمثالُه بحسَب قاعِدة: "العَرَبُ إِذَا افْتَخَرَتْ قَدْ تُخْرِجُ الخَبَرَ مَخْرَجَ الخَبَرِ عَنِ الجَمَاعَةِ، وَإِنْ كَانَ مَا افْتَخَرَتْ بِهِ مِنْ فِعْلِ وَاحِدٍ مِنْهُمْ". (٤٧)

وتَمَامُ الآيَة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ②﴾ [الفتح]

(٢) قَوْله: (إِنَّا لَقَٰدِرُوْنَ): وتَمَامُ الآيَة: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ⑩ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ⑩ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ⑩ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ⑩ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ⑩ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ⑩﴾ [المعارج]

(٣) قَوْله: (يُسَلِّطُ رُسُلَهُ – أيْ: يُسَلِّطُ مُحَمَّداﷺ)، قَال الآلُوسي: وقدْ سَلَّط رَسُوله محمَّداﷺ عَلىٰ هٰؤلاء -أيْ: بَنِيْ النَّضِير- مِن غَير أنْ تَقْتَحِمُوا مَضايِق الخُطُوْب وتُقاسوا شَدائِد الحُروب؛ فَلا حقَّ لَكم فيْ أَموالهم، ويَكون أمرُها مُفوَّضا إلَيهﷺ، وقَال القُرطُبي: وفيْ هٰذا بَيان: أنَّ تِلك الأَموال كانت خاصَّة لرَسول اللهﷺ دُوْن أصْحابه. (روح المعاني، قرطبي)

وتَمَامُ الآيَة: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ⑥﴾ [الحشر]

(٤) قَوْله: (ٱلَّذِيْنَ قَالَ لَهُمُ): وتَمامُ الآيَة: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ⑩ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ⑩﴾ [آل عمران]

(٥) قَوْله: وتَمامُ الآيَة: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ⑪﴾ [النحل]

أَبْدِلَ الطُّعْمُ بِاللِّبَاس إِيْذَانًا بِأَنَّ الجُوْع لَهُ أَثَرٌ مِنَ النُّحُوْل وَالذُّبُوْل مَا يَعُمُّ البَدَنَ كُلّه وَيَشْمُلُهُ، كَاللِّبَاس.

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة١٣٨](١)، أَيْ: دِيْنَ الله(٢)؛ أَبْدِلَ بِالصِّبْغَة إِيْذَانًا بِأَنَّهُ كَالصِّبْغ تَتَلَوَّنُ بِهِ النَّفْسُ؛ أَوْ مُشَاكَلَةً بِقَوْلِ النَّصَارٰى فِي المَعْمُوْدِيَّة(٣).

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝﴾ [التين]، أَيْ: طُوْرِ سَيْنَاء؛ وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ

---

(١) قَوْله: (صِبْغَةَ اللهِ): أي: عَلَيْكم صِبغةَ الله، أو اِتَّبِعُوا صِبْغة الله، يَعْني: دِينَه؛ وقَال تعَالىٰ: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ [الروم٦]، أي: اِرتَقِبوا وعْدَ الله بغَلَبة الرُّوْم وفَتْح المُؤمِنِيْن؛ وقَال تعَالىٰ: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ﴾ [الروم٣٠]، أي: اْلزِمُوا دِينَ الله؛ وكلُّ هٰذَا تَفْخِيْم لهٰذِه الجُمَل بتعقُّبِها بهٰذِه المَصَادِر؛ وفِيه قاعِدة: "التَّعْقِيْبُ بِالْمَصْدَرِ يُفِيْدُ التَّعْظِيْمَ أَوِ الذَّمَّ"، (٣٠)؛ (قواعد: ٢٦٤)

وتَمامُ الآيَة: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝١٣٧ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ۝١٣٨﴾ [البقرة]

(٢) قَوْله: (صِبْغَةَ ٱللَّهِ - أَيْ: دِيْنِ الله): عن ابنِ عبَّاس وقتَادة قالَا: ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾: دِينُ الله، هٰكذَا فسَّر عَطيَّة والسُّدِّي؛ وكذَا فسَّره أَبُوْالعَالية، ثمَّ قَال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ﴾: وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ دِيْنا؛ وقال قتادة: الصبغة: الفطرة. (جامع البيان)

(٣/ ١) قَوْله: (مُشَاكَلَةً بِقَوْلِ النَّصَارٰى): قَال الآلُوْسي: عَبَّر بِهَا عنِ التطهِيْر بالإيمانِ، لأَنَّه ظَهَر أثرُه علَيْهم ظُهوْرَ الصَّبْغ عَلى المَصبوْغ، وتَداخَل فِيْ قُلوْبِهِمْ تَداخُلَه فِيْهِ، وصَارَ حِلْيَةً لهُمْ؛ فهُنَاكَ اِسْتعارَة تَحْقيقِيَّة تصْريحيَّةٌ، والقرِيْنةُ: الإِضَافةُ؛ وقِيل: "لِلْمُشَاكلة التَّقدِيْرِيَّة" كَمَا سيجِيْءُ. (روح المعاني)

والمُشَاكَلةُ: ذِكرُ المَعْنىٰ بلَفْظ غَيْرِه، أو بِلَفْظٍ مُضادٍّ للفْظ الغَيْر، أو مُناسِب لَهُ؛ لوُقوعه فِي صُحبَته تَحقِيْقًا أَو تَقْدِيْرا، نَحوَ قولِه تعَالىٰ: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ﴾ [الشورىٰ٤٠]، فَالمُراد بالسَّيِّئة الثَّانِيَة: المُجازَاة والعِقَاب، وقَد ذكرَ هٰذَا المَعْنىٰ بلَفْظ السَّيِّئة لوُقوعِه فِي صُحْبة الـ﴿سَيِّئَة﴾ الأوْلىٰ؛ ومنهُ قولُه تعَالىٰ: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ۝﴾ [الأنفال]؛ وقولُه تعَالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [البقرة١٩٤]. (بديع القرآن: ١٥٩ ملخصًا)

(٣/ ٢) قَوْله: (مُشَاكَلَةً بِقَوْلِ النَّصَارٰى): كَانَ النَّصارىٰ يَصبُغون أَوْلادَهم بمَاءٍ أَصْفَر، يُسمُّونَه المَعْمُوْدِيَّة، يَزعُمُوْن: أنَّه المَاءُ الَّذِيْ وُلد فِيْه عِيسىٰ عَليه السَّلام، ويَعتقِدون: أنَّه تَطهِيْر للمَولُوْد؛ والمَعْمُوْدِيَّة: لَفْظ سُرْياني الأَصْل، أو مُوَلَّد مَأخوْذ مِن العَمِيد بمَعْنى البَلَل، يُقال مَكانٌ عمِيدٌ: مُبَلَّلٌ بالمَطَر. (معجم الغني، المعرَّب)

عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ﴿١٣٠﴾ ﴾ [الصافات][1]، أيْ: عَلىٰ إِلْيَاسَ؛ قُلِّبَ الاسمَان لِلازْدِوَاج[2].

- مِنْ قَبِيْلِ إِحْلَالِ حَرْفٍ مَحَلَّ حَرْفٍ آخَرَ لِتَقَارُبِ المَعْنىٰ:

وَقَدْ يَذْكُرُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ حَرْفًا مَكَانَ حَرْفٍ[3]، نَحْوُ:

قَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف﴿١٤٣﴾][4]، أيْ: عَلَى الجَبَل، كَمَا

---

(١) قَوْله: (سَلٰمٌ عَلىٰ إِلْيَاسِيْن): إِذَا اطّرَدت القَواصِل أثّرت في النّفس تَأثِيْرا عظِيْما، ولذٰلك يخْرُج الكَلام، ومِنْها: تَغْيِيْر بِنْيَة بَعْض الكَلِمَات بَعْد التَّغْيِيْر لأجْل الإيْقَاع، وهُوَ -عَلىٰ قِلَّته- دَلِيل عَلىٰ اهتِمَام القَواصِل، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ ﴿٣﴾﴾ [التين]، فطُوْرِ سِيْنِيْن هُوَ طُوْرُ سَيْنَاء، وهُوَ نفسُه وَارِد فِيْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَشَجَرَةٗ تَخۡرُجُ مِن طُورِ سَيۡنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ﴿٢٠﴾﴾ [المؤمنون]؛ ففي سُوْرة التِّيْن جَاء فاصِلة مَسْبُوْقة ومُتْبعَة بفَواصِل النُّوْن المُسْبُوقة بحَرْف المَدّ، ولذَا غُيِّرت بِنْيَة الكلمَة مِنْ ﴿سَيۡنَآءَ﴾ إلىٰ ﴿سِينِينَ ﴿٢﴾﴾ لمُوافَقة الإيْقَاع.

وكذَا إنَّ ﴿إِلۡيَاسَ﴾ هُوَ ﴿إِلۡ يَاسِينَ﴾ نفسُه المَذْكور فِيْ آخِر القِصَّة، ولٰكِنْ غيّر بِنَاء الكلمَة ليُنَاسِب القَواصِل. (فواصل الآيات ملخصا)

وتَمامُ الآيَة: ﴿وَإِنَّ إِلۡيَاسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدۡعُونَ بَعۡلٗا وَتَذَرُونَ أَحۡسَنَ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلۡ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴿١٣٢﴾﴾ [الصافات] (محمدإلياس)

(٢) قَوْله: (قُلِّبَ الاسمَان لِلازْدِوَاج): والازْدِوَاجُ: هوَ كُلُّ لفْظَين مُتبايِنَين فِيْ المَعنىٰ، لايختَلف نُطقُهُما إلَّا فِي صَوْتٍ واحِد؛ وَكِلاهمَا يُدعىٰ زَوْجا. (الموسوعة)؛ فالازْدِواج مِن: ازْدَوَج الكَلامُ، أشبَه بَعْضُه بَعْضًا فِيْ السَّجْع أو الوَزْن. (المعرّب)

(٣) قَوْله: (حَرْفًا مَكَانَ حَرْفٍ): وَفِيْه قَاعِدَتَان: "كُلُّ حَرْفٍ لَهُ مَعْنًى مُتَبَادِرٌ ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِيْ غَيْرِهِ فَإِنَّهُ لَايَنْسَلِخُ مِنْ مَعْنَاهُ الْأَوَّلِ بِالْكُلِّيَّةِ، بَلْ يَبْقىٰ فِيْهِ رَائِحَةٌ مِنْهُ وَيُلَاحَظُ مَعَهُ" (٧٣)؛ "لِكُلِّ حَرْفٍ مِّنْ حُرُوْفِ الْمَعَانِيْ وَجْهٌ هُوَ أَوْلىٰ بِهِ مِنْ غَيْرِهِ، فَلَايَجُوْزُ تَحْوِيْلُ ذٰلِكَ عَنْهُ إِلىٰ غَيْرِهِ إِلاَّ بِحُجَّةٍ"؛ (٧٤).

(٤) قَوْله: (لِلْجَبَلِ - أيْ: عَلَى الجَبَل): وتَمامُ الآيَة: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف]

تَجَلَّىٰ فِي المَرَّةِ الأُوْلَىٰ عَلَى الشَّجَرَةِ.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون](1)، أَيْ: إِلَيْهَا سَابِقُوْنَ.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ... ١١﴾ [النمل](2)، أَيْ: لَٰكِن مَنْ ظَلَمَ؛ فَهُوَ اِسْتِيْنَاف.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه٧١](3)، أَيْ: عَلَىٰ جُذُوْعِ النَّخْلِ.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور٣٨](4)، أَيْ: يَسْتَمِعُوْنَ عَلَيْهِ.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل١٨](5)، أَيْ: مُنْفَطِرٌ فِيْه.

---

(١) قَوْله: (لَهَا سٰبِقُوْنَ – أَيْ: إِلَيْهَا سَابِقُوْنَ) قَال الطَّبْري: وكَانَ بَعضُهم يَتأَوَّل ذٰلِك بمَعنىٰ: "وَهُمْ إِلَيْهَا سَابِقُوْن"، وَتأَوَّله آخَرُون: "وَهُمْ مِنْ أَجْلِها سَابِقُون". (جامع البيان)

وتَمامُ الآيَة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ٦١﴾ [المؤمنون]

(٢) قَوْله: (إِلَّا مَنْ ظَلَمَ – أَيْ: لٰكِن)، أَيْ: لٰكِن مَنْ ظَلَمَ مِن غَيْرِهم، لأَنَّ الأنبياء لايَظلِمُون؛ أو لٰكِن مَن ظَلَم مِنْهم مَن زَلَّ مِن المُرسَلِين، فجَاء غيرَ ما أُذِنتُ لهُ ممَّا يجُوْز علَى الأنبِيَاء، كمَا فرَّط آدَم ويُونُس وداوُد وسُلَيْمان عَلَيْهِم السَّلام. (مدارك التنزيل)

وتَمامُ الآيَة: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١١﴾ [النمل]

(٣) قَوْله: (فِيْ جُذُوْعِ النَّخْلِ)، وتَمامُ الآيَة: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ٧١﴾ [طه]

(٤) قَوْله: (يَسْتَمِعُوْنَ فِيْهِ – أَيْ: يَسْتَمِعُوْنَ عَلَيْهِ) قَال البَغوي: ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ [الطور٣٨]، أَيْ: يَسْتَمِعُوْنَ عَلَيْهِ الوَحْي، كقَوله تعَالىٰ: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ ... ٧١﴾ [طه]

وتَمامُ الآيَة: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ٣٧ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٣٨﴾ [الطور]

(٥) قَوْله: (مُنْفَطِرٌ بِهِ – أَيْ: مُنْفَطِرٌ فِيْه) قَال الآلُوْسي: وحُمِل البَاء فِيْ ﴿بِهِۦ﴾ علَى الآلَة، وَهُوَ =

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ﴾ [المؤمنون٦٧][1]، أَيْ: عَنْه.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة٢٠٦][2]، أَيْ: حَمَلَتْهُ العِزَّةُ عَلَى الإِثْمِ.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ [الفرقان][3]، أَيْ: فَاسْأَلْ عَنْه.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء٢][4]، أَيْ: مَعَ أَمْوَالِكُمْ.

= الأَوْفق لتَهْوِيل أَمْر ذٰلكَ اليَوْم؛ وجُوِّز حملُها عَلَى الظَّرْفية، أَيْ: مُنْفَطِرٌ فِيْه. (روح المعاني)

وتَمامُ الآيَة: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩﴾ [المزمل]

(١) قَوْله: (مُسْتَكْبِرِيْنَ بِهِ - أَيْ: عَنْه)، اسْتَكْبَر، أَيْ: امْتَنَع عنْ قَبُوْل الحقِّ مُعَانَدة وتَكَبُّرًا؛ ورَوى الطبري عنِ ابنِ عبَّاس يَقُول: المُسْتَكبِرين بحَرَم البَيْت، ويقُوْلون: لا يَظهر عَلينا فِيْه أَحَدٌ؛ لأَنَّا أَهْل الحَرَم. (جامع البيان)

وتَمامُ الآيَة: ﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ۝٦٦ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ۝٦٧﴾ [المؤمنون]

(٢) قَوْله: (أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ - أَيْ: حَمَلَتْهُ العِزَّةُ عَلَى الإِثْمِ) قَال البَيضاوي: ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة٢٠٦]: حَمَلتْه الأَنَفَة وحمِيَّةُ الجاهِليَّة عَلى الإثْم الذِي يؤمَر بإتقانه لَجَاجًا؛ مِن قَولك: أَخَذتُه بكذَا، إذا حَمَلتُه عَليه وأَلْزَمْتَه إِيَّاه. (بيضاوي)

وتَمامُ الآيَة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝٢٠٦﴾ [البقرة]

(٣) قَوْله: (فَسْئَلْ بِهِ خَبِيْرًا): أَيْ: فَاسْأَلْ عَنْه مَن يُخبِرك مِن أَهْل الكِتَاب ليَعرِفوا مَجِيءَ مَا يُرادِفُه في كتُبهم. (بيضاوي)

وتَمامُ الآيَة: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٥٧ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ [الفرقان]

(٤) قَوْله: (إِلَى أَمْوَالِكُمْ): قَال مجاهِد: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ [النساء]، قال: لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَالَهُمْ مَعَ أَمْوَالِكُمْ، تخلِطونَها فتأْكُلونَها جمِيْعًا؛ وكذَا روِي عنْ قتَادة أيضًا. (الدر المنثور)

وتَمامُ الآيَة: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۝٢﴾ [النساء]

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ [المائدة٦] (١)، أَيْ: مَعَ المَرَافِقِ.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الدهر٦] (٢)، أَيْ: يَشْرَبُ مِنْهَا.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام٩١] (٣)، أَيْ: أَنْ قَالُوْا.

- **مِنْ قَبِيْلِ إِحْلَالِ جُمْلَةٍ مَحَلَّ جُمْلَةٍ أُخْرَى** (٤):

وَقَدْ يُوْرِدِ جُمْلَةً مَكَانَ جُمْلَة -مَثَلًا- إِذَا دَلَّتْ جُمْلَةٌ عَلَىٰ حَاصِلِ مَضْمُوْنِ جُمْلَةٍ أُخْرَىٰ، وَسَبَبِ وُجُوْدِهَا؛ فَتُبَدَّل بِتِلْكَ الجُمْلَة، نَحْو:

قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [البقرة٢٢٠]، أَيْ: إِنْ تُخَالِطُوْهُمْ فَلا بَأْسَ بِذٰلِكَ، (٥) لأَنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ؛ وَشَأْنُ الأَخِ أَنْ يُخَالِط أَخَاهُ.

---

(١) قَوْله: (وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ - أَيْ: مَعَ المَرَافِق): قالَ البَيْضاوي: الجُمهُوْر عَلىٰ دُخُوْل المِرفقَين في المَغسُول، ولذٰلك قِيْل: ﴿إِلَىٰ﴾ بمعنىٰ: مَعَ، كقَوله تعَالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود٥٢]. (بيضاوي)

وتَمامُ الآيَة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة٦]

(٢) قَوْله: (يَشْرَبُ بِهَا): قال النَّسَفي: أَيْ: مِنها؛ وقَال البَيْضاوي: أَيْ: مُلْتَذًّا بهَا أَوْ مَمزُوْجًا بهَا؛ وقِيْل: البَاء مَزِيْدة، أَوْ: بمَعْنىٰ: مِنْ، لأَنَّ الشُّرْب مُبتَدأ مِنها كمَا هوَ. (مدارك، بيضاوي)

وتَمامُ الآيَة: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا۝٦﴾ [الدهر]

(٣) قَوْله: (إِذْ قَالُوْا): وتَمامُ الآيَة: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ۝٩١﴾ [الأنعام]

(٤) قَوْله: (إِحْلَالِ جُمْلَةٍ مَحَلَّ جُمْلَةٍ أُخْرَى): فمِن الإِحْلال والإِبْدال: المَجاز المركَّب المُرْسل، والاستِعارة التَّمثِيْلية أيضًا.

(٥) قَوْله: (إِنْ تُخَالِطُوْهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ): قَال ابنُ كثِيْر، أَيْ: وإِنْ خَلَطْتُمْ طعَامَكم بطعَامِهِم وشَرابَكم بشَرابِهِم، فَلا بَأْس عَلَيْكم؛ لأَنَّهم إِخوانُكم في الدِّين؛ ولهٰذا قَال: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ =

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [البقرة١٠٣]، أَيْ: لَوَجَدُوْا ثَوَابًا؛ وَمَثُوْبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَيْرٌ[1].

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف٧٧][2]، أَيْ: إِنْ سَرَقَ فَلا عَجبَ! لأَنَّه قَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ.

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة٩٧][3]، أَيْ: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيْل فَإِنّ اللهَ عَدُوٌّ لَه، -فَإِنَّه نَزَّلَه عَلىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِهِ-؛ فَعَدُوُّه يَسْتَحِقُّ أَنْ يُّعَادِيَهُ اللهُ تَعَالىٰ؛ فَحُذِفَ: "فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لَه" بِدَلِيْل الآيَةِ التَّالِيَةِ؛ وَأُبْدِلَ مِنه: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾.

= مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة ٢٢٠]، أي: يَعلم مَنْ قصدُه ونيَّتُه الإفسَادَ أوِ الإصْلاحَ. (ابن كثير)

وتَمامُ الآيَة: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٠﴾ [البقرة]

(١) قَوْله: (لَمَثُوْبَةٌ - أَيْ: لَوَجَدُوْا ثَوَابًا): هٰذا جوابُ ﴿لَوْ﴾، وأَصْلُه: لأُثِيبُوْا مَثُوْبَةً مِن عِندِ الله خَيرًا ممَّا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهم، فحُذِف الفِعلُ ورُكِّب الباقِي جملةً اسمية لتَدلَّ علىٰ ثَبات المَثوبة والجَزمِ بخَيريَّتها -لِمَا فِيها مِن الدَّلالة علىٰ ثَبات المَثُوبة واستِقرارها-؛ وحذِف المفضَّلُ عَليه إجْلالًا للمفضَّل مِن أَنْ يُنسَب إِلَيْه؛ وتنكيرُ المَثُوبة، لأَنَّ المعنىٰ: لشَيءٌ مِن الثَّواب خيرٌ؛ وقِيْل: ﴿لَوْ﴾ بمَعْنى التَّمَنِي، كأنَّه قِيل: وَلَيْتَهُمْ آمَنُوا، ثمَّ ابْتدَأ بقَوْله: ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ﴾ [البقرة١٠٣]. (بيضاوي، نسفي)

وتَمامُ الآيَة: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ١٠٣﴾ [البقرة]

(٢) قَوْله: (إِنْ يَّسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ): وتَمامُ الآيَة: ﴿قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ٧٧﴾ [يوسف]

(٣) قَوْله: (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيْلَ - أَيْ: مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيْل فَإِنّ اللهَ عَدُوٌّ لَهُ): قَال ابنُ عطيَّة: فيهِ وَعيدٌ وذمٌّ لِمُعادي جِبْرِيل -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، وإعْلامٌ أَنَّ عداوةَ البعْضِ تَقْتضِيْ عَداوةَ الله لَهُمْ؛ وعَداوةُ العبدِ لله: هِيَ معْصيتُه، واجتِنابُ طاعَتِه، ومُعاداةُ أولِيائِه؛ وعَداوةُ الله للعَبد: تعذيبُه، وإظهارُ أثرِ العَداوةِ عليه؛ وقال البَيضاويْ: فالسَّبَب فِيْ عَداوتِه: أنَّه نزَّله عَليك، وقِيْل: جَوابُ الشَّرط محذُوْف، مِثل: فَلْيَمُتْ غَيْظًا، أَوْ: فهُوَ عَدُوٌّ لِي وأنا عَدُوٌّ لَهُ. (المحرر الوجيز، بيضاوي)

وتَمامُ الآيَة: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ٩٧﴾ [البقرة]

- **مِنْ قَبِيْلِ إِحْلَالِ التَّعْرِيْفِ مَحَلَّ التَّنْكِيْرِ:**

وَقَدْ يَقْتَضِيْ أَصْلُ الكَلامِ التَّنْكِيْرَ، فَيُتَصَرَّفُ فِيْهِ بِإِدْخَالِ اللَّامِ وَالإِضَافَةِ؛ وَيَبْقَى المَعْنىٰ عَلَى التَّنْكِيْرِ الأَوّلِ(١)، نَحْو:

قَوْلِه تَعَالىٰ: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ [الزخرف٨٨]، أَيْ: قِيْلٍ لَهُ: يَا رَبِّ؛ فَأَبْدَلَ بِقِيْله، لأَنّه أَخْصَرُ فِي اللَّفْظ(٢).

---

(١) قَوْله: (التَّنْكِيْر الأَوّل): يَعْنِي أَنَّ المعْرِفة إذا قَام فِيْها دَلِيْل عَلى انتِفَاء تَخصِيْصها فهيَ عَلى عُمُوْمِيَّتها، كمَا إذَا كانَ اللَّفظ عامًّا فيْ الأشْخاص، كقَوله تعَالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة٥]، أيْ: اقتُلوا كلَّ مُشرِك عَلىٰ أيِّ حالٍ وفيْ أيِّ زَمانٍ ومَكانٍ.
(مُحَمَّدْ إِلْيَاس)

وكذَا إذَا عَلَّق الشَّارِعُ حُكمًا عَلىٰ عِلَّةٍ، فَإنَّهُ يُوجَد حَيْثُ وُجِدَتْ، كقَوله تعَالىٰ: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة٣٨]؛ وقَال تعَالىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور٢]؛ فالحكم فيْ المثالَيْن مُرتّب عَلى العِلَّة، فحَيْثُما وُجِد الزِّنَا وُجِد الحُكمُ الذِي هُوَ الجَلْد، وحيثُما وُجدَت السَّرِقة وُجد الحكم الذي هُوَ القَطْع.
(قواعد التفسير)

(٢/ ١) قَوْله: (وَقِيْلِهِ يَارَبِّ): بالجَرِّ مَعْطُوف عَلَى ﴿السَّاعَة﴾، أي: عِندَه تعَالىٰ: عِلمُ الساعةِ وعِلمُ قَول الرَّسُوْل عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا ربِّ! إنَّ هٰؤلاء قَومٌ لايُؤمِنُون؛ والقَوْلُ والقِيْل والقَال والمَقالةُ كلُّها مَصادِرُ بمَعنى واحِدٍ. (المعرّب)

(٢/ ٢) قَوْله: (وَقِيْلِهِ يَارَبِّ) قَالَ قتَادة: قولُه ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ٨٨﴾، قَال: "هٰذَا قَولُ نبيِّكم -عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ- يَشكُوْ قومَه إلىٰ ربِّه"؛ وقَالَ الطَّبري: تأوِيْلُ الكلام: وَقَالَ مُحَمَّدٌ قِيلَهُ شَاكيًا إلىٰ ربِّه -تَبارَك وتعَالىٰ- قومَه -الَّذِيْن كذَّبُوْه ومَا يَلقىٰ مِنهمْ-: يَا ربِّ! إنَّ هٰؤلاءِ -الذِيْن أمرْتَني بإنْذارِهم وأرسلتَني إلَيْهم لدُعاءِهم إلَيْك- قَوْمٌ لايُؤمِنُون. (جامع البيان)

وقَال النَّسَفِي: ويجُوْز أنْ يَكُون الجرُّ والنَّصْب علىٰ إضْمَار حرْف القَسَم وحذْفِه، وجَوابُ القَسمِ: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ٨٨﴾، كأنّه قِيل: وأُقْسِمُ بقِيْله: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ٨٨﴾؛ وإقسَام الله بقِيْله رَفعٌ مِنه وتَعْظيمٌ لدُعائه والتِجائهِ إلَيْه. (مدارك)

وتَمامُ الآيَة: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٨٧ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ٨٨ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٨٩﴾ [الزخرف]

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝٩٥﴾ [الواقعة]، أيْ: حَقٌّ يَقِيْنٌ؛ أُضِيْفَ لِيَكُوْن أيْسَرَ فِي اللَّفْظ[1].

- مِنْ قَبِيْلِ إِحْلَالِ المُذَكَّرِ أوِ المُؤنَّث مَحَلَّ الآخَرِ:

وَقَدْ يَقْتَضِي سَنَنُ الكَلام الطَّبِيْعِيّ: تَذْكِيْرَ الضَّمِيْر، أَوْ تَأنِيْثَه، أَوْ إِفْرَادَهُ؛ فَيُخْرِجُه -سُبْحَانَه وَتَعَالَىٰ- عَنْ ذٰلِكَ السَّنَن الطَّبِيْعِي وَيَذْكُرُ المُؤنَّثَ مَقَام المُذَكّر، وَبِالعَكْس؛ وَيَأْتِي بِالجَمْعِ مَكَان المُفْرَد رِعَايَةً لِلمَعْنى، نَحْو:

قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً، قَالَ: هَٰذَا رَبِّي، هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ [الأنعام۝٧٨][2].

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٨﴾ [المؤمنون][3].

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ

---

(١) قَوْله: (حَقّ اليَقِيْن): وفِيْه إضَافة المَوصُوْف إلى صِفتِه، أيْ: حَقُّ الخَبَرِ اليَقِيْنِ: برحق خبر (المعرَّب) وتَمامُ الآيَة: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ۝ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝﴾ [الواقعة]

(٢) قَوْله: (هٰذَا رَبِّيْ): إنَّما عبَّر هُنا بقَوْله: ﴿هَٰذَا﴾ مَكان قَوْله: "هٰذه"، فقالَ البَيْضاوي: ذِكر اِسْم الإشَارة لتَذْكير الخَبرِ وصِيانةً للرَّبِّ عنْ شُبْهة التأنيث، وقَوْله: ﴿هَٰذَآ أَكْبَرُ﴾ كِبَرُه استِدْلالًا أوْ إظْهارًا لشُبْهة الخَصْم. (بيضاوي)

وتَمامُ الآيَة: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ۝٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ۝٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ۝٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ۝٧٨﴾ [الأنعام]

(٣) قَوْله: (القَوْمِ الظَّلِمِيْنَ): أيْ: القَوْم الظَّالِمِ؛ عَبَّرَها بِالجَمْع رِعايَة الفَواصِل بِحَرْف النُّوْن، ﴿مُّغْرَقُونَ ۝٢٧ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٨ ٱلْمُنزِلِينَ ۝٢٩ لَمُبْتَلِينَ ۝٣٠ ءَاخَرِينَ ۝٣١﴾ [المؤمنون].

وتَمامُ الآيَة: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۝٢٧ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٨﴾ [المؤمنون]

ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ [البقرة١٧][1].

- ## مِنْ قَبِيْلِ إِخْلَالِ المُفْرَد مَحَلَّ التَّثْنِيَة:

وَقَدْ يُوْرِد المُفْرَد مَكَان التَّثْنِيَة، نَحْو: قَوْلِه تَعَالَى: ﴿وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنۡ أَغۡنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضۡلِهِۦۚ﴾ [التوبة٧٤][2].

وقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي، وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِهِۦ؛ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ [هود٢٨]، وَالأَصْلُ: "فَعُمِّيَتَا"،[3] فَأَفْرَدَ، لأَنَّهُمَا كَشَيْءٍ وَاحِدٍ؛ وَمِثْلُهُ: "اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ"[4].

---

(١) قَوْله: (مَثَلُهُمْ إلخ): أفرَد الضَّمِير فِيْ ﴿ٱسۡتَوۡقَدَ﴾ مُراعاةً للَفْظ المَوصُوْل، وجُمِع في قَوله: ﴿بِنُورِهِمۡ﴾ [البقرة: ١٧] مُراعاةً لمَعْنى ﴿ٱلَّذِى﴾. (المعرِّب)

وتَمامُ الآيَة: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبۡصِرُونَ ١٧﴾[البقرة]

(٢) قَوْله: (أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُوْلُهُ مِنْ فَضْلِهِ): أفرَد الضَّمِيْر، لأنَّ الفَضْل هنَا بمَعْنَى الرِّزْق، وهُوَ لايَكُوْن إِلَّا مِن اللهِ تعالَى. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (وَالأَصْلُ: فَعُمِّيَتَا): قال الزَّمخشَري: ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أخْبِروني ﴿إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ علَى برهانٍ ﴿مِّن رَّبِّي﴾، وشَاهدٌ مِنه يَشْهَد بصِحَّة دَعواي ﴿وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِهِۦ﴾ [هود: ٢٨] بإيْتَاء البَيِّنة -علَى أَنَّ البَيِّنة فِيْ نفسِها هيَ الرَّحمةُ-؛ ويَجوزُ أنْ يُراد بالبَيِّنَة: المُعجِزَة، وبالرَّحْمة: النُّبُوَّة؛ ولَمَّا كانَ المُراد بهِمَا شَيءٌ واحِد أفرد. (الكشاف، اللباب)

وتَمامُ الآيَة: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةً مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ٢٨﴾

(٤) قَوْله: (اللهُ وَرَسُوْلُهُ أَعْلَمُ): والأَصْل: أَعْلَمَان؛ وأَفرِد لأنَّ عِلْم الرَّسُوْل هُوَ مَا علَّمَه اللهُ تعالَى إيَّاه، فهُما كشَيءٍ واحِد. (المعرِّب)

وهٰذَا من قَبِيْل إخلال التَّثْنية محلَّ الجَمْع، كَقَوله تَعالَى حِكَايَة: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ٤٩﴾ [طٰه] مَعَ أَنَّ الخِطَاب فِي هٰذَا المَوْضِع وَمَا سَبَقه مُوجَّهٌ إِلَى مُوْسَى وَهَارُوْن؛ وَإنَّما أُفْرِدَ لِرعَايَة القَواصِل. وَفِيْه: أَنَّ مُوْسَى هُوَ حَامِل العَصَا وَصَاحِب اليَد الَّتِيْ يَضعهَا فِي جَيْبه فَتخرجُ بَيْضَاء، وَإِنَّما كَانَ هَارُوْنُ مَعَه رِدْءً مُصَدِّقًا.

• مِنْ قَبِيْلِ إخْلَالِ الشَّرْط وَالجَزَاء وَجَوَابِ القَسْم مَحَلَّ جُمْلَةٍ مُسْتَقِلَّة[1]:

وَقَدْ تَقْتَضِيْ طَبِيْعَةُ الكَلامِ أَنْ يُذْكَرَ: الجَزَاءُ فِيْ صُوْرَةِ الجَزَاء، وَالشَّرْطُ فِيْ صُوْرَةِ الشَّرْط، وَجَوَابُ القَسَم فِيْ صُوْرَةِ جَوَابِ القَسَم؛ فَيَتَصَرَّفُ -سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ- فِي الكَلام، وَيَجْعَلُ ذٰلِكَ الجُزْء مِنَ الكَلام جُمْلَةً مُسْتَقِلَّة مُسْتَأنَفَةً لِتَنْتَظِمَ بِالمَعْنىٰ[2]، وَيُقِيْمُ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَيْه بِوَجْهٍ مِنَ الوُجُوْه، نَحْوُ قَوْلِه تَعَالىٰ: ﴿وَٱلنَّـٰزِعَـٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ۝٢ وَٱلسَّـٰبِحَـٰتِ سَبْحًا ۝٣ فَٱلسَّـٰبِقَـٰتِ سَبْقًا ۝٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا[3] ۝٥ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾ [النازعات]، المَعْنىٰ: البَعْثُ وَالحَشْرُ

---

(١) قَوْله: (مَحَلّ جُمْلَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ): نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء١١٠]، وَكَانَ أَصْل الكَلَام: "أَيّامًا تَدعُوا فَهُو حَسَن"، فَوُضِع مَوْضِعه ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ لِلمُبالَغَة وَالدَّلَالَة عَلىٰ مَا هُوَ الدَّلِيْل عَلَيْه؛ وَكَوْنها "حُسْنىٰ" لِدَلالَتها عَلىٰ صِفَات الجَلَال وَالإِكْرَام. (قسطلاني)

(٢) قَوْله: (لِتَنْتَظِمَ): انتَظَم الشَّيْءُ: تَأَلَّف واتَّسَق. (المعرّب)

(٣) قَوْله: (وَالنَّازِعَات إلخ): أي: لَتبْعَثن، وَهٰذَا جَوَاب القَسم؛ ثُمّ تَصَرّف سُبحانَه وَتَعَالىٰ وَجَعَل ذٰلِكَ الجُزْء مِنَ الكَلَام جُمْلةً مُستقِلةً، وَهو "البَعْث وَالحشر حَقّ"؛ ثُمَّ حَذَفه وَأَقَام قَوْلَه: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات] الَّذِي يَدُلّ عَلَى المَحذُوْف مَقَامَه. وَقِسْ عَلَيْه الأَمْثلَة الآتِيَة.

اعلَم! أَنَّ القَسَم: هُوَ تَاكِيْدُ الشَّيْء وَتَحْقِيْقُه بِذِكْرِ مُعَظَّم عِنْدَ الحَالِف حَقِيْقَةً أَوْ اِعْتِقَادًا؛ وَالله سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ يُقْسِم بِنَفْسِه المُقَدَّسَة المَوْصُوْفَةِ بِصِفَاته، وَبِآيَاتِهِ المُسْتَلْزِمَة لِذَاتِه وَصِفَاته؛ ثُمَّ يُقسِم: تَارَة عَلىٰ أَنَّ القُرْآن حَقٌّ، وَتَارَة عَلىٰ أَنَّ الرَّسُوْلَ ﷺ حَقٌّ، وَتَارَةً عَلى أُصُوْل الإِيْمَان مِنَ: الجَزَاء، وَالوَعْد وَالوَعِيْد، وَتَارَة عَلى حَالِ الإِنْسَان.

وَالمُقْسَمُ عَلَيْه -أَيْ: جَوَاب القَسَم-: يذْكَرُ تَارَةً -وَهُوَ الغَالِب- وَيُحْذَفُ تَارَة؛ وَهٰذَا مِنْ أَحْسَن الأَسَالِيْب، لأَنَّه يَدُلّ عَلَى التَّعْظِيْم وَالتَّفْخِيْم، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾، فَجَوابُ القسَم محذوفٌ، دلَّ عَليه قَوْلُه تَعَالىٰ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣﴾ [القيامة]، والتَّقْدِيْر: لتُبْعَثُن ولتُحاسَبُنّ. (مباحث، أصول، شرح مقدمة)

المَلحُوْظة: وَأَقْسَم اللهُ سبْحانه وتَعَالىٰ باسِيه المُعَظم فِيْ سَبْعة مَواضع، كَمَا أَقسَم ببَعْض مَخلوْقاتِه، كالتِّيْن، والزَّيتُون، والطُّوْر، والصَّافَّات، والشَّمس، واللَّيْل، والضُّحىٰ وغَيْرِ ذٰلك ممَّا أَقسَم اللهُ=

حَقٌّ؛ يَدُلّ عَلَيْه قَوْله تَعَالىٰ: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝﴾.

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾ [البروج]، المَعْنىٰ: المُجَازَاةُ عَلَى الأَعْمَالِ حَقٌّ.

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ... ۝٦﴾ [الانشقاق]، المَعْنىٰ: الحِسَابُ وَالجَزَاءُ كَائِنٌ(١).

- **مِنْ قَبِيْلِ إِحْلَالِ الخِطَاب مَحَلَّ الغَيْبَة:**

وَقَدْ يُقَلِّب الله تَعَالىٰ أُسْلُوْبَ الكَلَام، بِأَنْ يَقْتَضِي الأَسْلُوْبُ الخِطَابَ؛ فَيَأْتِي بِالغَائِب، نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس۝٢٢](٢).

= تَعَالىٰ به؛ وإقسامه تَعَالىٰ بشَيءٍ مِن مَخْلُوْقاته دَلِيْلٌ عَلىٰ عِظَم مَنزِلة المَقسَم بِهِ، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين]؛ وقَالَ تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١﴾ [النجم]؛ وقَالَ تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى]

(١) قَوْله: (وَالجَزَاءُ كَائِنٌ): قَال الطَّبْري: والصَّوابُ أَنَّ جَوابَه مَحذُوْف، تُرِك استِغْناء بمَعْرِفة المُخاطَبِيْن بِهِ بمَعْناه؛ ومَعْنى الكَلام: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾ [الانشقاق] رَأى الإنْسَانُ مَا قدَّمَ مِنْ خَيرٍ أَوْ شرٍّ، وقدْ بيَّن ذُلكَ قولُه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ۝٦﴾ [الانشقاق] والآياتُ بَعدَها. (جامع البيان)

وقَالَ الزمخشري: حُذِف جَواب ﴿إِذَا﴾ ليَذهَب المُقدِّر كُلَّ مَذْهَب، أو اكتِفَاءً بمَا عُلِم فيْ مِثْلها مِن سُورتَيِ التَّكوِيْر والانفِطَار، وهُوَ قولُه: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ ... عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾ [التكوير]؛ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ ... عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ [الانفطار] إلخ؛ وقَالَ الفَرَّاء: أَيْ: فيَوْمَئِذٍ يُلاقِيْ حِسَابه. (البرهان:٣/ ١٩٤)

(٢/ ١) قَوْله: (حَتَّى إِذَا كُنتُمْ إلخ): والأَصْل: "بِكُم". (المعرِّب)

(٢/ ٢) قَوْله: (نَحْو قَوْله تَعَالىٰ): ومِن الالتِفات: التِفَات مِن التَّكلُّم الَى الخِطاب، ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢٢﴾ [يٰس]؛ والتِفاتٌ مِن التَّكلُّم إِلَى الغَيْبُوْبة، ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ =

- مِنْ قَبِيْلِ إحْلَالِ الإخْبَارِ مَحَلَّ الإنْشَاء، وَبِالعَكْس:

وَقَدْ يَذْكُرُ -سُبْحَانَه وَتَعَالَى- الإنْشَاءَ مَكَانَ الإخْبَارِ، وَالإخْبَارَ مَكَانَ الإنْشَاء(١)، نَحْو: قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك١٥]، أيْ: لِتَمْشُوْا(٢).

= "لِرَبِّكَ" وَٱنْحَرْ ②﴾ [الكوثر]؛ والتِفاتٌ مِن الخِطاب إلَى التَّكلُّم، ﴿وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ٩٠﴾ [هود]؛ والتِفاتٌ مِن الخِطاب إلَى الغَيْبة، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ [يونس]، أيْ: وجَرَيْن بِكُم؛ والتِفاتٌ مِن الغَيْبة إلَى التَّكلُّم، ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ٩﴾ [فاطر]؛ والتِفاتٌ مِن الغَيبة إلَى الخِطاب، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ② ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ③ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤﴾ [الفاتحة].

المَلْحُوْظَة: وَمِنَ الالتِفات: الانتِقالُ مِن خِطاب الواحِد أو الاثْنَين أو الجَمْع إلى خِطاب الآخَر، كقَوْله تَعالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ [الطلاق١]؛ ومنه أيْضا الالتِفات عَن المَاضِي أو المضارع أو الأمْر إلى الآخَر، كقَوْله تَعالَى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ﴾ [فاطر٩]، ففِيْه اِلتفاتٌ مِن الغَيْبُوبة إلى التَّكلُّم.

والتفاتٌ مِن المَاضِيْ إلَى المُضارِع أيضًا، وقَالَ تعالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ① لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح١]، فيهِ التِفاتٌ مِن التَّكلُّم إلَى الغَيْبُوبة، لأنّ أسْمَاء الظَّواهِر كلَّها غُيَّبٌ؛ وقَالَ الله تعَالَى: ﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ "تُرْجَعُونَ" ٢٢﴾ [يٰس]، فيه التِفاتٌ مِن التَّكلُّم إلَى الخِطاب؛ ومِنه التفاتُ الضَّمائر أيْضًا، كقَوْله تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُۥ -أي الإنْسَان- عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧﴾ [العاديات].

وَفِيْه قَاعِدَة: "مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ أنْ تَبْتَدِيَ الْكَلَامَ فِيْ أُسْلُوْبٍ، ثُمَّ تنتقل إلى أسلوب آخَرَ تَطْرِيَةً للسَّامِعِ، وَإِيْقَاظًا للإصْغَاء، وَتَجْدِيْدًا لِنَشَاطِهِ، وَذٰلِكَ يُسَمَّى: اِلْتِفَاتًا" [قوَاعِد: ٣٢].

(١) قَوْله: (وَالإخْبَار مَكَان الإنْشَاء): أمْثِلة وَضْع الخَبَر مَوضِع الإنشاء كثِيْرة مِنْها: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة٢٢٨]، ومِنْها: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة٢٣٤].

(٢) قَوْله: (فَامْشُوْا فِيْ مَنَاكِبِهَا): قوْلُه تعالَى: ﴿فَٱمْشُواْ﴾ صِيغَة أمْرٍ وَ"تَمْشُوْا" فِعْلُ مُضَارِع، فأبْدِل الإخْبَار بالإنْشَاء. (المعرِّب)

وَتَمَام الآيَة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ١٥﴾ [الملك].

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩١﴾ [البقرة](١)، أَيْ: إِيْمَانُكُمْ يَقْتَضِيْ هٰذَا!.

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ، كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة۝٣٢]، المَعْنَى: عَلىٰ قِيَاسِ حَالِ ابْنِ آدَمَ كَتَبْنَا، أَوْ: عَلىٰ مِثَالِ حَالِ ابْنِ آدَم؛ فَأَبْدَلَ مِنْه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾(٢)؛ لأَنَّ القِيَاس لايَكُوْن إِلاَّ بِمُلاحَظَة العِلَّة؛ فَكَأَنّ القِيَاس نَوْعٌ مِنَ التَّعْلِيْل.(٣)

---

(١) قَوْله: (إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْن): وَتَمَام الآيَة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ ... ۝٩١ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ... ۝٩٢ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْۖ قَالُواْ "سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا" ...، قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٩٣﴾ [البقرة]؛ وَتَقدِيْره: إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِيْن بِالتَّوْرَاة (شرط) "فَلَمْ يَأْمُرُكُم إِيمَانُكُم بِهَا بِهٰذِه القَبَائِح". (جزاء)؛ فَقوْلنَا: "فَلَمْ يَأْمُرُكُم إلخ" خَبَر وُضِع فِيْ مَوْضِع الإنْشَاء، أَيْ: "هَلْ إِيْمانكُم يَقتَضِي هٰذَا؟". (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(٢) قَوْله: (مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ): فَقَوْله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾ قَالَ البَيضَاوِي: بِسَبَب ذٰلِك، وَبِعِلَّته؛ وَ ﴿ذَٰلِكَ﴾ إِشَارَة إِلَى القَتْل المَذْكُوْر.

قِيْل: هُوَ مُتَّصِلٌ بِالآيَة الأوْلىٰ فَيُوْقَف عَلى ﴿ذَٰلِكَ﴾، أَيْ: "فَأَصْبَح مِنَ النَّادِمِيْن لأَجْل حَمْلِه وَلأَجْل قَتْله"؛ وَقِيْلَ: هُوَ مُسْتَأنَف، وَالوَقْفُ عَلَى ﴿ٱلنَّٰدِمِينَ﴾، وَقَوْله: ﴿مِنْ أَجْلِ﴾ يَتَعَلّق بِـ﴿كَتَبْنَا﴾، لا بِـ﴿ٱلنَّٰدِمِينَ﴾. (البَيْضَاوِي)، وَإِلَى الأَوَّل مَالَ المُصَنِّف العَلاَّم؛ وَتَمَام الآيَة: ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ۝٣١ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾ [المائدة].

(٣) قَوْله: (القِيَاس نَوْعٌ مِنَ التَّعْلِيْل): قَال الرَّازِي قَال القَائِلون بالقِيَاس: دَلَّت الآيَة عَلىٰ أَنَّ أَحْكَام اللهِ تعَالىٰ قدْ تَكُوْن مُعَلَّلة بالعِلَل، وذلكَ لأَنَّه تعَالىٰ قَال: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ كذَا وكذَا، وهٰذا تَصْرِيحٌ بأَنَّ كتبَة تِلك الأَحْكَام مُعلَّلَة بِتِلْكَ المَعَاني المُشَارِ إِلَيْها بقَوْله: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ﴾؛ والمُعتزِلةُ أيضًا قَالوا: دلَّت هٰذِه الآيَةُ عَلى: أَنَّ أَحْكَام الله تعَالىٰ مُعَلَّلة بمَصالِح العِباد. (الرازي)؛ وإِلىٰ جَوازِه مَال المُصنِّف العَلام، كَمَا ذَهَبَتِ المَاتُرِيْدِيَّةُ إِلَى: "القَوْلِ بِلُزُوْمِ الحِكْمَةِ فِيْ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالىٰ، وَأَنَّهُ لَايَجُوْزُ أَنْ تَنفَكَّ عَنهَا مُطْلَقًا"؛ بِخِلافِ الأَشَاعِرة، فإِنَّهمْ ذَهبُوْا إِلىٰ: "نَفْيِ الحِكْمَةِ وَالتَّعْلِيْلِ فِيْ أَفْعَالِ اللهِ تَعَالىٰ"؛ وَقَالُوْا: "إِنَّ أَفْعَالَهُ لَيْسَتْ مُعَلَّلَةً بِالأَغْرَاضِ"، وَلَا يَجُوْزُ تَعْلِيْلُ أَفْعَالِهِ تَعَالىٰ بِشَيْءٍ مِنَ الأَغْرَاضِ وَالعِلَلِ وَالغَائِيَّةِ. (الماتريدية، تعليقات محمد علي)

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ [الماعون①][1]، هُوَ فِي الأَصْل بِمَعْنى الاسْتِفْهَام -مِنَ الرُّؤْيَة-، وَلٰكِنْ نُقِلَ هُنَا لِيَكُوْنَ تَنْبِيْهًا[2] عَلىٰ اسْتِمَاعِ الكَلَامِ الآتِيْ بَعْدَهُ، كَمَا يُقَالُ فِي العُرْف: تَرَىٰ شَيْئًا! تَسْمَعُ شَيْئًا!

[السَّبَبُ السَّادِسُ مِنْ أَسْبَابِ الصُّعُوْبَةِ]

التَّقْدِيْمُ وَالتَّأْخِيْر، وَالتَّعَلُّقُ بِالبَعِيْد وَمَا شَابَهَهُمَا

وَقَدْ يُوْجِبُ التَّقْدِيْمُ وَالتَّأْخِيْرُ[3] أَيْضًا صُعُوْبَةً فِيْ فَهْمِ المُرَاد[4]، كَمَا فِي الشِّعْر

---

(١) قَوْله: (أَرَأَيْتَ): فِيْ غَيرِ مَوْضِع، كَمَا فِي أَوَّلِ سُورة المَاعُون؛ فقَوْله: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ إنشاءٌ بمعْنىٰ: "أَخْبِرْنِي" عندَ عامَّة المفسِّرِيْن؛ وأمَّا عندَ المصنِّف فهوَ بمعْنىٰ: "أنَا أُنَبِّهُك".

وَفِيْه قَاعِدَة: إِذَا دَخَلَتْ هَمْزَةُ الْاِسْتِفْهَامِ عَلىٰ "رَأَيت" إِمْتَنَعَ أَنْ تَكُوْنَ مِنْ رُؤْيَةِ الْبَصَرِ أَوْ رُؤْيَةِ الْقَلْبِ، وَصَارَ بِمَعْنىٰ: "أَخْبِرْنِيْ"، (١٣٥)؛ قَالَ تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۞﴾ [الفرقان]، أي: أخبِرْنِي عَمَّن اتَّخذ إِلٰهُهُ هوَاهُ إلخ؛ وقَالَ تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ۞﴾ [الشعراء]، أي: أَخْبِرني إنْ مَتَّعنَاهم سِنِيْن إلخ. (قواعد)

(٢) قَوْله: (ليَكُوْنَ تَنبِيْهًا): إِعْلَمْ! أنَّه يَجْرِي "أَرَأَيْت" مَجْرَى "أَخْبَرِنِي" فَيدْخُل عَلَيْه الكَافُ وَيُتْرَك التَّاءُ عَلىٰ حَالَته فِي التَّثنِيَة وَالجَمْع وَالتَّأنِيْث، وَيُسَلَّط التَّغيِيرُ عَلَى الكَاف مِنْ دُوْن التَّاءِ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا۞﴾ [الإسراء]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞﴾ [الأنعام].

وَأَمَّا قَوْله: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۞﴾ [العلق]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞﴾ [الأحقاف]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۞﴾ [القصص]؛ كُلُّ ذٰلك فِيْه مَعْنىٰ التَّنبِيْه.

(معجم تفسير مفردات القرآن)

(٣) قَوْله: (التَّقْدِيْم وَالتَّأْخِيْر): وفِيْه قاعِدَة: "العَرَبُ لاَيُقَدِّمُوْنَ إلاَّ مَا يَعْتَنُوْنَ بِهِ غَالِبًا"، (٧٢)؛ قَالَ الله تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة۞]، فبدأ بالصَّلوٰة لأنَّها أهمّ؛ وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء۞]، قدَّم الوَصِيَّة مَعَ أَنَّ الدَّيْن=

المَشْهُوْر:

بُثَيْنَةُ شَأْنُهَا سَلَبَتْ فُؤَادِيْ * بِلَا جُرْمٍ أَتَيْتُ بِهِ سَلَامَا(١)

= مُقدّم علَيْها شَرْعا، حثًّا علَيْها وحذْرا منَ التهاوُن بها.(قواعد: ٣٧٩)

(٤) قَوْله: (صُعُوْبَةٌ فِيْ فَهْمِ المُرَاد): كقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝﴾ [طٰهٰ]؛ أخَّر الفاعِل -أي: مُوسىٰ- لرِعايَة الفَواصِل والتَّشْويْق إِلَيه؛ ومِنه قوله تعَالىٰ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ۝﴾ [طٰهٰ] والمَعْنىٰ: وَلَوْلا كلمَةٌ سَبَقت مِن ربِّك -فِيْ تَأْخير العَذاب- وأجَلٌ مُسَمًّى لكان العَذاب لِزاما؛ ولٰكنَّه قدَّم وأخَّر لتَشابُك رُؤوسُ الآي.

وفِيْه قاعِدة: "التَّقَدُّمُ فِي الذِّكْرِ لاَ يَعْنِيْ التَّقَدُّمَ فِي الْوُقُوْعِ وَالْحُكْمِ" (٧١)؛ قَالَ الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب۝]، فَقَدْ قَدّم ذِكر النبيِّ ﷺ عَلىٰ نوْحٍ وإبراهِيْم وموْسىٰ وعيْسىٰ مَعَ أَنَّهم قدْ بُعِثوا قبلَه؛ فَلا يلْزَم مِن تقدُّم ذكْرِه تقدُّمُ زمَنهِ ﷺ؛ وقَوْله تَعالىٰ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ [آل عمران۝]، فَإذَا حَمَلنَا الوَفَاةَ هُنَا عَلى الموتِ الحقيقي فمَعلومٌ: أنّ الرفعَ قدْ وقَع قبْل المؤت. (قواعد:٣٧٩ بزيادة)

(١) قَوْله: (سَلَامَا): هٰذا الشِّعْر مِن دِيوانِ جَميل؛ وقيلَ فِي تقْدِيره: ١- سَلَبَتْ بُثَيْنَةُ فُؤَادِيْ بِلَا جُرْمٍ أَتَيْتُ بِهِ، شَأْنُهَا سَلَامَا؛ ٢- وقيلَ: بُثَيْنَةُ -شَأْنُهَا سَلَبَتْ فُؤَادِيْ بِلَا جُرْمٍ أَتَيْتُ بِهِ- سَلَامَا؛ ٣- بُثَيْنَةُ -شَأْنُهَا (هٰذا)- سَلَبَتْ فُؤَادِيْ بِلَا جُرْمٍ أَتَيْتُ بِهِ سَلَامَا؛ ٤- وقيل: سَلَا بُثَيْنَةَ! مَا شَأْنُهَا: سَلَبَتْ فُؤَادِيْ بِلَا جُرْمٍ أَتَيْتُ بِهِ؛ فمَن شَاء فليَطلُب تفصيلهُ فِيْ المكتَبة الشَّامِلة الحدِيثية. وتَرْكِيْباتِه:

الأول: سَلَبَتْ (فِعْل ماضٍ) بُثَيْنَةُ (فاعِلٌ مِن الفِعل المَذكور) فُؤَادِيْ (مَفعُول للفِعْل) بِلَا (مُتعلِّق بـ"سَلَبتْ") جُرْمٍ (مَجْرُورٌ لِمَا قبلَه، ومَوْصُوف لِمَا بَعدَه) أَتَيْتُ بِهِ (صِفة) شَأْنُهَا (مُبتدأ، وخَبرُه محذُوْف، تقْديرُه: أُسَلِّم عَليْها سَلاما) سَلَامَا.

والثاني: بُثَيْنَةُ (مُبتدأ) شَأْنُهَا (مُبتدأ ثانٍ) سَلَبَتْ (فِيْ محلّ رفعٍ، خبرٌ للمُبتَدأ الثَّاني؛ والمبْتَدأ الثَّاني مَع خَبرِه حَال لبُثَيْنَة) فُؤَادِيْ (مَفْعُول بِهِ)؛ بِلَا (مُتعلّق بـ"سَلبَت") جُرْمٍ (مجرُوْر لمَا قبلَه، ومَوصوفٌ لمَا بَعدَه) أَتَيْتُ بِهِ (صِفةٌ) سَلَامَا (وخَبر بُثينة محذُوْف، تقْدِيره: أُسلِّم عَلَيْها سَلاما).

والثَّالث: بُثَيْنَةُ (مُبتدأ محذُوْف الخَبر) -شَأْنُهَا (خَبر لمبْتَدأ محذُوْف، تقْدِيْره: هٰذا شَأْنُها، والجُمْلة مُعتَرِضة)- سَلَبَتْ (في محلّ رفعٍ، خَبر لبُثينة) فُؤَادِيْ (مَفعول بِه)؛ بِلَا (مُتعلّق بـ"سَلبَت") جُرْمٍ (مجرُوْر لمَا قَبلَه، ومَوصُوف لمَا بَعدهُ) أَتَيْتُ بِهِ (صِفة) سَلَامَا (وخبرُ بثَيْنة محذُوْف، تقْدِيره: أُسَلِّم عَليْها سَلاما).

والرَّابع: سَلَا (فِعْل أمرٍ مَبْنِي مُثنّى عَلى حَذف النُّوْن) بُثَيْنَةَ (مَنصوب للفِعْل "سَلا") مَا (اسمُ =

• وَالتَّعَلُّق بِالبَعِيْد أَيْضا مِمَّا يُوْجِبُ الصُّعُوْبَة فِي الكَلام(١)، وَكَذٰلِكَ مَا يَكُوْنُ مِنْ هٰذَا القَبِيْل، نَحْوُ:

١- قَوْلِه تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ﴾ [الحجر](٢)، أَدْخَلَ الاسْتِثْنَاءَ عَلَى الاسْتِثْنَاء فَصَعُب.

٢- وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝﴾ [التين]، مُتَّصِل بِقَوْله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝﴾ [التين](٣).

٣- وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ﴾ [الحج۝](٤)، أَيْ: يَدْعُوْ

= الاستِفهام) شَأْنُهَا (خَبَرٌ لاسْم الاستِفهام) سَلَبَتْ (فِعلٌ ماضٍ مع الفَاعل) فُؤَادِيْ (مَفْعول بِهِ)؛ بِلَا (مُتعلِّق بـ"سَلبت") جُرْم (مجرُور لما قبلَه، ومَوصوفٌ لمَا بعدَه) أَتَيْتُ بِهِ (صِفة).

(١) قَوْله: (وَالتَّعَلُّق بِالبَعِيْد): ومنهُ قاعِدة: "إِذَا اسْتُدِلَّ بِالْفِعْلِ لِشَيْئَيْنِ وَهُوَ فِي الْحَقِيْقَةِ لِأَحَدِهِمَا فَهَلْ يُضمَرُ لِلآخَرِ فِعْلٌ يُنَاسِبُهُ عَلَى الأَصَحِّ"، (٥٧)؛ قَالَ تعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو "ٱلدَّارَ" وَ"ٱلْإِيمَٰنَ" مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝﴾ [الحشر]، ففِي مِثل هٰذِه المواضِع خِلافٌ -وإِلَيْه أَشَار صَاحِب قَواعِد التَّفْسِير بكلمَة الاستِفهَام-؛ فقَالَ بَعضُهم تقْدِيْره: أَيْ تبوَّؤا الدَّار، واعْتَقَدُوا الإِيْمَان؛ فهٰذَا يَكُوْن مِن قبِيْل عَطْف الجُمَل بتقدِيْر فِعْلٍ آخر مِن بابِ: عَلَّفْتُهَا تِبْنًا وَمَاءً، أَيْ: عَلَّفْتُهَا تِبْنًا وَسَقيتُها مَاءً، أو قَدَّمتُها مَاءً؛ وقَالَ بَعضُهم: فيْه تضمِيْنٌ، وضُمِّن "تَبوّؤا" مَعْنى: "لَزِمُوا"، أَي: "لَزِمُوا الدَّارَ والإِيْمَانَ"؛ فحينَئِذٍ يَكوْن هٰذَا المثَال مِن قبِيْل التَّضمِيْن، لا التَّقْدِيْر. (قواعد بزيادة)

(٢) قَوْله: (إِلَّا آلَ لُوْط) وَتَمَام الآيَة: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝﴾ [الحجر].

(٣) قَوْله: (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ) هٰذِه الآيَة وَمَا قَبلهَا مِنْ قَبيْل التَّعلّق بِالبَعِيْد، كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْه بِالرُّمُوْز فيمَا يلِي: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ -ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝- فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝﴾ [التين].

(٤) قَوْله: (يَدْعُوْا إلخ): وتمَام الآيَة: ﴿يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ۝﴾ [الحج]؛ قال الطَّبري: ذُكِر أَنَّ ابنَ مَسعُود كانَ يَقرَؤه: "يَدْعُوْ مَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ"؛ فَعُلِمَ مِنْه: أَنَّ اللَّام فِيْه زَائدَة، تفصِيْل بَيْن الفِعْل وَالمَفعُوْل بِهِ. (الطبري، المعرِّب)

مَنْ ضَرُّه.

٤- وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص٧٦]، أَيْ: لَتَنُوْأُ[1] العُصْبَةُ بِهَا.

٥- وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ﴾ [المائدة٦]، أَيْ: اغْسِلُوْا أَرْجُلَكُمْ[2].

٦- وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى[3] ١٢٩﴾ [طه]، أَيْ: وَلَوْلا كَلِمَةٌ -سَبَقَتْ- وَأَجَلٌ مُّسَمًّى لَكَانَ لِزَامًا.

٧- وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ﴾[4] مُتَّصِلٌ بِقَوْله: ﴿فَعَلَيْكُمُ

---

(١) قَوْله: (لَتَنُوْأُ) اِعْلَم! أَنَّ كَلِمَة "ناءَ" مِنَ النَّوْءِ تسْتَعمل تَارَة مُتعَدّية وَأُخرى لازِمة، فَعَلَى التَّقدِيْر الأَوّل يَكُوْن مِنْ قَبِيْل: نَاءَ بِه الحِمْلُ، أَيْ: نَاءَ الحِمْلُ حَامِلَه، بِمَعْنىٰ: اثقَلَه؛ فَمَعْنى قَوْله: ﴿ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ﴾ [القصص٧٦]: لتُثْقِل مَفاتِحُه بِالعُصبَة أولِي القُوَّة، وَإليْه جَنَح ابْن عَبَّاس؛ وَعَلَى التَّقدِيْر الثَّانِي يَكُوْن مِن قَبِيْل: نَاءَ بِالحِمْل، بِمَعنى: ثَقُل وَنَهَض بِهِ مُثقَلا، فَالمَعْنىٰ حِينَئِذ: لتَثقُل العُصْبَةُ بِالمَفاتِيح، -بِحَيْثُ لايَرْفعُها العُصْبةُ منَ الرِّجالِ أوْلِي القوَّة-؛ فَفِيْه قَلْب الإِسْنَاد بِحَيْث أَدْخلت البَاء عَلَى الفَاعِل، كَمَا يَكُوْن فِيْ قَوْله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ١٢﴾ [القصص]، أَيْ: حَرَّمْنَاه عَلَى المَرَاضِع؛ وَلَعَلَّ المُصنِّف جَنَح إِلَى هٰذَا التَّقدِيْر. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(٢) قَوْله: (أَيْ: اغْسِلُوْا أَرْجُلَكُمْ): وَتَمام الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ -وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ- وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة٦]؛ قال البَيضاوي قولُه: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ نَصبَه نافع وابنُ عمَرَ وحفْصٌ والكِسَائِي ويعقوبُ عَطْفًا عَلَىٰ ﴿وُجُوهَكُمْ﴾، ويؤيِّده السُّنَّةُ الشَّائعَة وعملُ الصحابةِ وقولُ أكثَر الأئمة والتحديدُ، إِذِ المسْحُ لَمْ يُحَدّ؛ وجَرَّه البَاقونَ عَلى الجِوَارِ، ونَظِيره كثِيْرٌ فِيْ القُرآن والشِّعْرِ، كقَوله تعَالىٰ: ﴿عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ٢٦﴾ [هود]، ﴿وَحُورٌ عِينٌ ٢٢﴾ [الواقعة] بالجرِّ فِيْ قِراءَة حَمزَة والكِسَائِي؛ وإنَّما أُخِّر ذِكر الأَرْجُل مُراعاةً لتَّرتِيْب طَبعيٍّ، معَ أَنَّ التَّقْدير: إغسِلوا أرجُلَكم؛ هٰذا المِثَال مِنْ قَبِيْل التَّعلُّق بِالبَعِيْد. (بيضاوي بزيادة)

(٣) قَوْله: (وَأَجَلٌ مُّسَمًّى): وهٰذَا مِثَال التَّقْديم والتَّأْخِير؛ فقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ١٢٩﴾ [طه]، أُخِّر لأَجْل الفَاصِلة. (المعرَّب بزيادة) =

ٱلنَّصۡرُ﴾ [الأنفال٧٣].

٨- وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ مُتَّصِل بِقَوْلِهِ: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾[1] [الممتحنة٤].

٩- وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنۡهَاۖ﴾ [الأعراف١٨٧]، أيْ: يَسْئَلُوْنَكَ عَنْهَا كَأَنَّكَ حَفِيٌّ[2].

= (٤) قَوْله: (إِلاَّ تَفْعَلُوْهُ): وتمَام الآيَة: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوْكُمْ فِيْ الدِّيْنِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ -إِلَّا عَلٰى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيْثَاقٌ، وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُوْنَ بَصِيْرٌ۝ وَالَّذِيْنَ كَفَرُوْا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ-، إِلَّا تَفْعَلُوْهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِيْ الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيْرٌ۝﴾

فَفِيْه فَصْل بَيْن الحُكْم وَالوَعِيْد عِنْد عَدَم امتِثَال الحُكْم.

(١) قَوْله: (إِلاَّ قَوْلَ إِبْرَاهِيْمَ): وَتَمَام الآيَة: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤﴾ [الممتحنة]

فَفِيْه فَصْل بَيْن المُسْتَثْنىٰ وَالمُستَثْنىٰ مِنه.

(٢) قَوْله: (يَسْئَلُوْنَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا): قَال البَيضاوي: إنَّ قُرَيشًا قَالوا لهُ: إنَّ بَينَنا وبَينَك قَرابةً، فقُل لنَا: مَتى السَّاعةُ! والمَعْنى: يَسْألونَك عَنها كأنَّك حَفِيٌّ تَتَحَفَّى بِهِم، فتَخُصُّهم لأجْلِ قرابَتِهم بتَعْليم وقتِها؛ ففِيْه أيْضًا تقدِيم وتأخِير. (بيضاوي، المعرَّب)

[السَّبَبُ السَّابعُ مِنْ أَسْبَابِ الصُّعُوْبَة: الإِطْنَابُ وَالتَّكْرَار]

صُوَرُ الإِطْنَابِ بِالزِّيَادَةِ(١)

وَالزِّيَادَةُ(٢) عَلَى السَّنَن الطَبِيْعِيِّ(٣) أَيْضًا عَلىٰ أَقْسَامٍ:

(١/ ١) قَوْله: (صُوَرُ الإِطْنَابِ بِالزِّيَادَةِ): فِيْه لَفٌّ وَنَشْرٌ مُشَوّش، حَيْث أُخّر "الإِطْنَاب" مِنْ "انْتِشَار الضَّمَائِر" عِنْد الإجْمَال، وقَدَّم بَحْث الإِطْنَاب عِنْد التَّفْصِيل.

(١/ ٢) قَوْله: (صُوَرُ الإِطْنَابِ بِالزِّيَادَةِ): وَاعْلَم! أَنّ الإِطْنَاب قِسْمَان:

الأَوّلُ إِطْنَابُ بَسْطٍ، وَهُو الإِطْنَاب بِتَكْثِيْر الجُمَل، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة]؛ فقَدْ أَطنَب فِي التَّوحِيد أَبْلغ إطنَاب لكَوْن الخِطاب للثَّقلَين، ولكلّ عَصْرٍ وحِين، للعَالم مِنْهُمْ والجاهِل، والمُوافِق مِنْهُمْ والمُنافِق.

وَالثَّانِي: إطْنَاب الزِّيَادَة، وَهُوَ يَكُوْن: بِدُخُوْل حَرْف فَأَكْثَر مِنْ حُرُوْف التَّاكِيْد وَالْقَسَم وَالتَّنبِيْه، وَبِدُخوْل الأَحْرُفِ الزَّائِدَة؛ وَبِالتَّاكِيْد، وَالتَّكْرَار، وَالصِّفَة، وَالبَدَل، وَعَطف البَيَان؛ وَبِعَطف الخَاصّ عَلَى الْعَامّ، عَطف العَامّ عَلى الخَاصّ؛ وَالإِيْضَاح بَعْد الإِبْهَام، وَالتَّفسِيْر. ((أصول وقواعد، روح القدير)

الملحوظة: أَمَّا الكَلمَات وَالآيَات الَّتِي تَكَرَّرت لِفَائدَة مِنَ الْفَوائِد فإِنْ كَان الْمُرَاد بِهَا مَا أُرِيْد بِالأَوْلىٰ فَهُو "تكرَار"، وَهٰذَا مِنْ مَحَاسِن الْفَصَاحَة وَالْبَلاغَة؛ وَإِنْ أُرِيْد بِالثَّانِيَة غَيْر مَا أُرِيْد بِالأَوْلىٰ فَهُو "التَّرْدِيْد"، وَهٰذَا مِنْ أَنْوَاع الْبَدِيْع؛ وَإِطْنَاب الْكَلَام بِالتَّكْرَار الْمُشْتَمل عَلَى الْفَوائِد مُسْتَحْسَن؛ بَلِ الذَّوْق السَّلِيْم يَذُوْق مِنْه حَلَاوَته وَلَطافَتهُ. (رَوح القدير)

(٢) قَوْله: (وَالزِّيَادَة): اعْلَم! أَنَّ إِطْلَاقَ الزِّيَادَةِ عَلىٰ نَوْعَيْن: الأَوَّل الزِّيَادَةُ عَلىٰ "مَا لافَائِدَةَ لَهُ"، أَيْ: عَدِيْم الفَائِدَة؛ وَهٰذَا مِمَّا يُنَزَّه عَنه القُرْآنُ، لأَنَّه لَيْسَ فِيْه حَشْوٌ؛ والثَّانِيْ: إِطْلَاق الزِّيَادَة عَلَى الكَلِمَة الَّتِيْ وُجُوْدُها وعَدَمُها لايُخِلُّ بِالمَعْنَى الأَصْلِيِّ وإِنْ كَانَ لَها فَائِدَةٌ أُخْرىٰ؛ وَيَصِحُّ إِطْلاقُهَا مِنْ جِهَة المَعْنىٰ، لٰكِنْ يَنْبَغِيْ مُجَانَبَة إِطْلاقِ لَفْظ "الزِّيَادَة"، لِمَا فِيْه مِنْ إِيْهَامٍ؛ ولِهٰذَا قَيَّدَ "الزِّيَادَة" بالسَّنَن الطَّبعِيْ.

(٣) قَوْله: (عَلَى السَّنَن الطَبِيْعِيِّ): وفيها قواعد: "لَازَائِدَ فِي الْقُرْآنِ"، (٥٨)؛ "زِيَادَةُ الْمَبْنَى تَدُلُّ عَلىٰ زِيَادَةِ الْمَعْنىٰ"، أَيْ: قُوَّةُ اللَّفْظِ لِقُوَّةِ الْمَعْنىٰ؛ (٥٩)؛ "يَحْصُلُ بِمَجْمُوْعِ الْمُتَرَادِفَيْنِ مَعْنىً لَايُوْجَدُ عِنْدَ اِنْفِرَادِهِمَا" (٦٠).

- **إِطْنَابُ الزِّيَادَةِ بِالصِّفَة(١):**

قَدْ تَكُوْنُ الزِّيَادَة فِي الكَلام بِالصِّفَة، نَحْوُ قَوْلِه تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ [الأنعام٣٨]؛ وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ٢١﴾ [المعارج](٢).

- **إِطْنَابُ الزِّيَادَةِ بِالبَدَل:**

وَقَدْ تَكُوْنُ بِالإِبْدَال، نَحْو قَوْله تَعَالَىٰ(٣): ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف٧٥].

- **إِطْنَابُ الزِّيَادَةِ بِالعَطْف التَّفْسِيْرِي(٤):**

وَقَدْ تَكُوْن بِالعَطْف التَّفْسِيْرِي، نَحْو قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ

---

(١) قَوْله: (بِالصِّفَة): أيْ: وَقَد يُطْنبُ بِالصِّفَة لِقَصْد الجِنْس وَإِرَادَة التَّعمِيْم، كَمَا فِيْ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام٣٨]؛ قَالَ الزَّمَخْشَرِي: فَإِنْ قُلْت: هَلَّا قِيْل "وَمَا مِن دَابّة وَلاطَائِرٍ إِلاَّ أَمَم أمْثَالكُم"؟ وَمَا مَعْنىٰ زِيَادَة قَوْله: ﴿فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وَ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾؟ قُلْتُ: مَعْنى ذٰلِكَ زِيَادَة التَّعمِيْم وَالإحَاطَة، كأنَّه قِيْل: وَمَا مِنْ دَابَّة قَطّ فِي جَمِيْع الأرَضِيْن السَّبع وَمَا مِنْ طَائِر قَطّ فِي جَوّ السَّمَاء مِنْ جَمِيْع مَا يَطِيْر بِجَناحَيْه إلاَّ أمَم أمْثَالكُم، محْفُوْظَة أحْوَالهَا غَيْرُ مُهْمَل أمْرُهَا.

وَقَالَ النَّسَفِي: قَيَّد الطَّيَرَان بِالجَناحَيْن لِنَفْي المَجَاز؛ لأنَّ غَيْر الطَّائِر قَدْ يُقَال فِيْه "طَار" إِذَا أسْرَع.

(٢) قَوْله: (هَلُوْعًا، إِذَا مَسَّهُ إلخ): هٰذَا المثَال من قَبِيْل التفْسِير عِندَ عُلمَاءِ البَيان؛ والتَّفسِير عِندَهم: مَتى يَكُوْن فِيْ الكَلام لُبْس وخَفاء، فيُؤْتىٰ بِمَا يُزِيلُه ويُفسِّره، كقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ٢١﴾ [المعارج]؛ فقَولُه: ﴿إِذَا مَسَّهُ...﴾ تَفسِيْر للهَلُوْع. (مُحَمَّدإلْيَاس)

(٣) قَوْله: (بِالإِبْدَال): قَالَ صَاحِب فَتْح البَيان: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ﴾، أي: الرُّؤَسَاء المُتَكبّرون مِن قَوْم صَالِح الذِيْن تَعَظَّموا عنِ الإِيْمَان بِه، -والسِّيْن زَائِدة- ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾، أي: المَسَاكِين الذِيْن استَضْعَفَهم المُتكبِّرُون، -واللام للتبليغ-؛ ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأعراف٧٥] بدَلٌ مِن المَوْصول بإعَادة العامِل بَدَلُ الكُلّ.

(٤) قَوْله: (العَطْف التَّفْسِيْرِي): هُوَ عَطْف المُترادِفَين، نحْوُ قَول الشَّاعِر: فَأَلْفَيْتُ قَوْلَهَا كَذِبًا =

أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ﴾ [الأحقاف١٥][1].

- **إِطْنَابُ الزِّيَادَةِ بِالتَّكْرَار[2]:**

وَقَدْ تَكُوْنُ بِالتَّكْرَار[3]، نَحْو: قَوْلِه تَعَالىٰ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ [يونس٦٦]، أَصْلُ الكَلام: وَمَا يَتَّبِعُ -الَّذِيْنَ يَدْعُوْن

= وَمَيْنًا؛ فَالكذِب هُوَ المَيْن نفسُه. قَالَ القُرطُبي: قَالَ الحسَن: الأشدُّ: هُوَ بُلُوْغ الأربَعِين؛ وفِيه أَقْوال أُخَر؛ لٰكِن جَنَح الإمام إلىٰ قَول الحسَن، وجعَله مِن قَبِيْل العَطْف التَّفسِيري.

قَالَ البُخَارِي: "﴿تُطَهِّرُهُمْ (بِهَا) وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة١٠٣] وَنَحْوهَا كَثِيْر"، يَعنِي: عَطْف قَوْله: ﴿وَتُزَكِّيهِم﴾ مِنْ قَبِيْل العَطْف التَّفسِيْري، وَنَحْوهَا كَثِيْر فِي القُرْآن وَلُغَة العَرَب.

(بخاري بَاب قَوْله: ﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللهِ﴾، ارشاد الساري، الخير الجاري).

وَفِي عَطْف المُتَرَادفَين قَاعِدَةٌ: "المَعْنَى الحَاصِلُ مِنْ مَجْمُوْع المُتَرَادِفَيْنِ لايُوْجَدُ عِنْدَ انفِرَادِ أَحَدِهِمَا"، (١٠٨)؛ يعْني: إذَا كانتْ كَثْرة الحُرُوْف تفِيْد زِيادةً فِيْ المَعْنى فَكَثْرةُ الألفَاظ أَوْلىٰ أَنْ تُفِيدَ زِيادَة فِيْ المَعْنى؛ وفِيْ هٰذه القاعِدة رفعٌ لتوهُّم التَّكرَار عِنْد عَطْف أحدِ المُتَرادِفَين عَلى الآخر، لأنّ التَّرْكيب يُحدِث مَعْنًى زائِدا، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨﴾ [المدثر]، وقَال تَعَالىٰ: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ ٣٥﴾ [الفاطر]

(١) قَوْله: (نَحْو قَوْله تَعَالىٰ إلخ): ومِن أَنْوَاع الزِّيادة: دُخُوْل حُرُوْف التَّاكِيد، ومِنْ قواعِد التَّوكِيد: "التَّوْكِيْدُ يَنْفِيْ إِحْتِمَالَ الْمَجَازِ" (١٠٤)، "كُلَّمَا عَظُمَ الإِهْتِمَامُ كَثُرَ التَّاكِيْدُ"، (١٠٥).

(٢) قَوْله: (الزِّيَادَةِ بِالتَّكْرَار): أَمَّا الكَلِمَات وَالْآيَات الَّتِي تَكَرَّرت لِفَائدَة مِنَ الْفَوائِد فإنْ كَان الْمُرَاد بِهَا مَا أُرِيْد بِالأوْلىٰ فَهُو "تكرَار"، وَهٰذَا مِنْ مَحَاسِنِ الْفصَاحَة وَالْبَلاغَة؛ وَإنْ أُرِيْد بِالثَّانِيَة غَيْر مَا أُرِيْد بِالأَوْلىٰ فَهُو "التَّرديْد"، وَهٰذَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَدِيْع؛ وَإطْنَاب الْكَلَام بِالتَّكْرَار الْمُشْتمل عَلَى الْفَوائِد مُسْتحْسَن؛ بَلِ الذَّوْق السَّلِيْم يَذُوْق مِنْه حَلاوَته وَلَطَافَتهُ. (رَوح القدير)

(٣) قَوْله: (التَّكْرَار): وَمِنْ فَوَائِد تَكْرَار الْكَلَام:

التَّقْرِيْر، لِأَنَّ الْكَلَام إِذَا تَكَرّر تقرَّر، كَمَا فِي الْقَصَص؛ وَالتَّذْكِيْر؛ وَاسْتِمَالَة الْمُخاطَب فِي قُبُوْل النُّصح وَالْإِرْشَاد؛ وَالتَّاكِيْد، وَهُو فِي الْقُرْآن كَثِيْر؛ وَالْحَثُّ عَلَى التَّدَبُّر وَالْعِبْرَة؛ وَالتَّجرِيْد لِطوْل الْكَلَام؛ وَالتَّعْظِيْم وَالتَّهوِيْل؛ وَالْوَعِيْد وَالتَّهدِيْد؛ وَالتَّعجُّب؛ وَالتَّرْدِيْد لِلتَّذكِيْر بِنِعَم الله الَّتِيْ لَاتُحْصى، وَلَاتُعَدّ؛ وَالْمُبَالَغَة فِيْ التَّحذِيْر وَالتَّنفِيْر؛ وأَمثلة كلٍّ منها مذكورة فِي "رَوح القدير فِي أُصول التفسير وقواعده".

مِنْ دُوْنِ اللهِ شُرَكَاءَ- إِلاَّ الظَّنّ[١].

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ "فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ" كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة٨٩][٢].

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿"وَلْيَخْشَ" ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ "فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ"﴾ [النساء٩].

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ[٣] لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة١٨٩]، أَيْ: هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاس -بِاعْتِبَارِ: أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ شَرَعَ لَهُمُ التَّوْقِيْتَ بِهَا- وَالْحَجّ[٤] -بِاعْتِبَار: أَنّ التَّوْقِيْت بِهَا حَاصِل لِلحَجّ-؛ وَلَوْ قِيْلَ: "هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ فِيْ حَجِّهِمْ" لَكَانَ أَخْصَر؛ وَلٰكِنْ أَطْنَبَ[٥].

(١) قَوْله: (إِلَّا الظَّنّ): وَفِيْه قَاعِدَةٌ: "إِعَادَةُ الظَّاهِرِ بِمَعْنَاهُ أَحْسَنُ مِنْ إِعَادَتِه بِلَفْظِه، وَإِعَادَتُهُ ظَاهِرًا بَعْدَ الطُّوْلِ أَحْسَنُ مِنَ الْإِضْمَارِ". قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ١٧٠﴾ [الأعراف]، مقام قَوْله: "إنا لانُضِيْع أَجْرَ الذيْن يُمسِكُوْن بالكِتَاب......"؛ وقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ "إِنَّ رَبَّكَ" مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ١١٠﴾ [النحل]

(٢) قَوْله: (جَاءَهُمْ مَّا عَرَفُوْا): فإِعادَة الفَاعِل ثَانيًا بصُورَة: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم "مَّا عَرَفُواْ"﴾ بَعدَ قَوله تعَالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة٨٩] مِن قَبيل: "إِعَادَةُ الظَّاهِرِ بِمَعْنَاهُ أَحْسَنُ مِنْ إِعَادَتِه بِلَفْظِه، وَإِعَادَتُهُ ظَاهِرًا بَعْدَ الطُّوْلِ أَحْسَنُ مِنَ الْإِضْمَارِ" (٥٤).

(٣) قَوْله: (مَوَاقِيْت): مَواقِيْت، مُفرده مِيقَات، وَهُو الوَقْت المُحَدّد لِفِعْل مَّا.

(٤) قَوْله: (وَالحَجّ): هٰكَذا فِيْ النُّسْخَة الفَارِسِيَّة، وأَمَّا فِيْ نُسْخَة الشَّيْخ البَالَن بُوري فهُوَ: "للحَجّ".

(٥) قَوْله: (أَطْنَب): قَالَ البَيضَاوِي: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ سَأَلَه مَعَاذ بْن جَبَل وَثَعْلَبةُ بْن غَنَم فَقَالا: مَا بَالُ الهِلَال يَبْدُو دَقيْقا كالخَيْط ثُمّ يَزيْد حَتّى يَسْتوِيَ، ثُمّ لايَزَال يَنقُص حَتّى يَعُوْد كَمَا بَدَأَ ﴿قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة١٨٩]؛ فَإِنّهُم سَألُوا عَنِ الحِكمَة فِي اخْتِلاف حَال القَمَر وَتَبدّل أَمْره، فَأَمَرَه الله أَنْ يُجِيْب: بِأَنّ الحِكمَة الظَّاهِرَة فِي ذٰلِكَ أَنْ تَكُوْن مَعَالِمَ لِلنَّاس يُوَقِّتُوْنَ بِهَا أُمُوْرَهُم، وَمَعَالِم لِلعِبَادَات المُوَقَّتَة يُعْرَفُ بِها أَوْقَاتها؛ وَخُصُوْصا الحَجّ، فَإِنّ الوَقْت مُرَاعًى فِيْه أَدَاءً وَقَضَاءً. (بيضاوي) =

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا، وَ"تُنذِرَ" يَوْمَ ٱلْجَمْعِ﴾ [الشورىٰ٧]، أيْ: تُنْذِر أمَّ القُرٰى يَوْمَ الجَمْع.

وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ "تَحْسَبُهَا" جَامِدَةً﴾ [النمل٨٨]، أيْ: تَرَى الجِبَالَ جَامِدَةً؛ أدْخَل "الحِسْبَان" لأنّ "الرُّؤيَة[1]" تَجِيء لِمَعَانٍ، وَالمُرَادُ بِهَا هٰهُنَا مَعْنَى "الحِسْبَان"[2].

= وَحَاصِل كَلَام المُصنّف أنَّ التَّقدِير هُوَ: "هِيَ مَوَاقِيْت لِلنَّاس -مِنْ حَيْث إنَّه مِنْ مَعَالِم الأوْقَات- وَمَوَاقِيْت لِلحَجّ -مِنْ حَيْث إنَّه مِنَ العِبادَات المُوقَّتَة-، فَكَأنَّه قَالَ سُبحَانَه وَتَعَالىٰ: هِيَ مَوَاقِيْت لِلنَّاس وَمَوَاقِيْت لِلحَجّ"؛ فَفِيْه إطْنَاب بِالمَوَاقِيْت، لأنَّ العَاطِف يَكُوْن بِمَنْزِلَة العَامِل، وَلَمْ يَقُل: "هِيَ مَوَاقِيْت لِلنَّاس فِيْ حَجّهِم" مَعَ أنَّه أخْصَر لِبَيَان أهَمِيَّة الحَجّ بِأنَّه مُوَقَّت، وَتَوقِيْته أيْضا مَوْقُوْف عَلَى الأهِلَّة.

(مُحَمَّدْإلْيَاس)

(١) قَوْله: (الرُّوْيَة): الرُّؤيَة: إدرَاك المَرْئِيّ، وَذٰلِك عَلىٰ أضْرُب بِحَسَب قُوَى النَّفس، الأوَّل بِالحَاسّة وَمَا يَجرِي مَجْرَاهَا، نَحْو: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾ [التكاثر]؛ وَقَوْله: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة١٠٥] فَمَا اجْرِي مَجْرى الرُّؤيَة، فَإنّ إطلَاق الحَاسَّة لايَصِحّ عَلَى الله؛ الثَّانِي: بِالوَهْم وَالتَّخَيُّل، نَحْو قَوْله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ۝٥٠﴾ [الأنفال]؛ وَالثَّالِث: بِالتَّفكُّر، نَحْو: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ۝٤٨﴾ [الأنفال]؛ وَالرَّابِع: بِالعَقْل، نَحْو: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١﴾ [النجم]

وَإذَا عُدّي رَأى إلىٰ مَفعُولَيْن اقْتَضى مَعْنى العِلْم، نَحْو: ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝٣٩﴾ [الكهف]. (معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن)

وَتَمَام الآيَة: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ۝٨٧﴾ [النمل]

(٢) قَوْله: (مَعْنَى الحِسْبَان): فَقَوْله: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ...۝٨٨﴾ عَطف عَلىٰ قَوْله: ﴿يُنفَخُ...۝٨٧﴾، وَ﴿وَتَرَى﴾ مِن رُؤْيَة العَيْن، وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨]، أيْ: ثَابِتةً فِي أمَاكنِهَا لاتَتحرّك؛ إمَّا حَال مِن فَاعل ﴿وَتَرَى﴾ أوْ مِنْ مَفعُوْله، وَجوّز أنْ يَكُوْن بَدَلا مِنْ سَابِقه؛ وَإلَيْه جَنَح المُصنِّف حَيْث جَعَله مِنْ قَبيْل بَدَل البَعْض. (روح المعاني بزيادة)

وفِي هٰذَا المِثَال وفِي المِثَال الآتِيْ قاعِدةٌ: "المَعْنَى الحَاصِلُ مِنْ مَجْمُوْع المُتَرَادِفَيْنِ لايُوْجَدُ عِنْدَ انْفِرَادِ أحَدِهِمَا"، (١٠٨).

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة]، أَدْخَل: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ[1] إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ فِيْ تَضَاعِيْف الكَلام المُنْتَظم بَعْضُه بِبَعْضٍ بَيانًا لِضَمِيْر "﴿ٱخْتَلَفُوا۟﴾"، وَإِيْذانًا بِأَنّ المُرَاد مِنَ "الاخْتِلاف" هٰهُنَا: هُوَ الاخْتِلافُ الوَاقِع فِيْ أُمَّةِ الدَّعْوَة بَعْدَ نُزُوْل الكِتَاب: بِأن آمَنَ بَعْضٌ وَكَفَرَ بَعْض.

- **الإطْنَابُ بالأَحْرُفِ الزَّائِدَةِ، ومنها: حَرْفُ الجَرّ**

وَقَدْ يَزِيْدُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- حَرْفَ الجَرِّ[2] عَلَى الفَاعِل، أوِ المَفْعُوْل بِهِ؛ وَيَجْعَلُه مَعْمُوْلا لِلفِعْل بِوَاسِطَة حَرْفِ الجَرِّ، لِتَأكِيْد الاتِّصال، نَحْوُ قَوْلِه تَعَالَىٰ:

---

(١) قَوْله: (وَمَا اخْتَلَفَ فِيْه): فَفِي قَوْله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ تَوضِيْح لِلمُبهَم وَهُم أَهْل الكِتَاب، بِحَيْث أَبْهَم فِيْ قَوْله: ﴿فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة ٢١٣].

فإعادَة الاخْتِلاف بَعْد الطُّوْل مِن قَبِيْل الشقّ الثَّانِي مِن قاعِدة: "إِعَادَةُ الظَّاهِرِ بِمَعْنَاهُ أَحْسَنُ مِنْ إِعَادَتِه بِلَفْظِه، وَإِعَادَتُهُ ظَاهِرًا بَعْدَ الطُّوْلِ أَحْسَنُ مِنَ الْإِضْمَارِ"، (٥٤). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾﴾ [الأعراف]، مقام قَوْله: "إنا لانُضِيْع أَجْرَ الذيْن يُمسِكُوْن بالكِتَاب ..."؛ وَقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ "إِنَّ رَبَّكَ" مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾﴾ [النحل]

(٢) قَوْله: (حَرْفَ الجَرِّ): وَفِيْه قَاعِدَة: "إِذَا جَاءَتْ (مِنْ) قَبْلَ الْمُبْتَدَإِ أَوِ الْفَاعِلِ أَوِ الْمَفْعُوْلِ، فَهِيَ: لِتَاكِيْدِ النَّفْيِ، وَزِيَادَةِ التَّنْكِيْرِ، وَالتَّنْصِيْصِ فِي الْعُمُوْمِ"، (قواعد: ٧٦)؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ﴾ [الانعام ٣٨]؛ وقال تعالىٰ: ﴿أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ﴾ [المائدة ١٩]؛ وقال تعالىٰ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم].

﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ [التوبة٣٥]، أَيْ: تُحْمَىٰ هِيَ(١).

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة٤٦]، أَيْ: قَفَّيْنَاهُمْ بِعِيْسَى ابْنِ مَرْيَم(٢).

- الإِطْنَابُ بِالتَّأْكِيْدِ، وَمِنْهَا: وَاوُ الاتِّصَال(٣):

وَيَنْبَغِيْ أَنْ يُعْلَمَ هُنَا نُكْتَةٌ، وَهِيَ أَنَّ "الوَاوَ" تُسْتَعْمَلُ فِيْ مَوَاضِع كَثِيْرَةٍ

---

(١) قَوْله: (أَيْ: تُحْمىٰ هِيَ): قَالَ القَسطلانِي: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾ تقدِيْره: تُحْمىٰ النَّارُ عَلَيها، فَلَمَّا حُذِف الفَاعِلُ ذَهَبَتْ عَلامَةُ التَّأْنِيْث لِذهَابِه، كَقَوْلكَ: "رُفعَت القِصَّة إِلَى الأَمِيْر"، ثُمَّ تَقوْل: "رُفِع إِلَى الأَمِيْر". (ارشاد الساري)

قَالَ الشَّوكَانِيْ: وَمَعْنىٰ ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة٣٥]: أَنَّ النَّارَ تُوْقَدُ عليها، وَهِيَ -أَي النَّار- ذَات حِمًى وَحرٍّ شَدِيْد؛ وَلَوْ قَالَ: يَوْمَ تُحْمىٰ، أَي: الكنوزُ، لم يُعطِ هٰذَا المعنىٰ؛ فجَعَل الإِحْماء لِلنَّار مُبالَغةً، ثُم حَذَف النارَ، وأَسندَ الفِعْل إِلى الجارِّ؛ كَمَا تَقُوْل: رفعْتُ القِصَّةَ إِلَى الأَمِيْر، فَإِنْ لَمْ تذكر "القصَّة" قلتَ: رُفِع إِلى الأَمير. (فتح القدير)

وتَمام الآية: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ٣٥﴾

(٢) قَوْله: (أَيْ: قَفَّيْنَاهُمْ بِعِيْسَى): أَي أَتْبَعْنا عِيْسىٰ بْنَ مَرْيم عَلىٰ آثَار النَّبِيِّيْن الَّذِيْن أَسْلَمُوا مِنْ قَبْلك؛ قَالَ الشَّوكَانِي: هٰذَا شُرُوْع فِي بَيَان حُكْم الإِنجيل بَعْد بَيَان حُكْم التَّوراة، أَيْ: جَعلْنَا عِيْسىٰ بْنَ مَريمَ يَقْفُوا آثارَ النَّبِيِّين الَّذِيْن أَسْلَمُوا مِنْ بَنِي اسرائِيْل؛ يُقَال: قَفَّيته بِفُلَان وَعقَّبْته بِه، فيَتعدَّى إِلَى الثَّانِي بِالبَاء، وَالمَفعُوْل الأَوَّل مَحْذُوْف اسْتِغْناءً عَنْه بِالظَّرْف، وَهُوَ ﴿عَلىٰ آثارهم﴾؛ لأَنَّه إِذَا قَفَّى بِه عَلىٰ أَثَره فَقَد قَفَّى بِه إِيَّاه. (فتح القدير)

فَعُلِم مِنْ هٰذَا التَّقرِيْر: أَنَّ المُصنِّف العَلاَّم أَظْهَر المَفعُوْل الأَوَّل بِقَوْله "هُمْ"، وَأَشَار إِلىٰ زِيادَة حَرْف البَاء عَلَى المَفعُوْل الثَّانِي بِقَوْله: "بِعِيْسى ابْن مَريَم".

(٣) قَوْله: (وَاوُ الاتِّصَال): اعْلَمْ! أَنَّ الجُملَة إِذا وَقَعتْ صِفةً للنَّكِرة جَاز أَنْ يَدخُلهَا الوَاوُ لِتأْكِيْد لُصُوْق الصِّفَة بِالمَوصُوْف، فإِنَّ للصِّفَة نَوْعَ اتِّصالٍ بِالمَوصُوْف؛ فَإِذا أُرِيْد تَأْكِيدُ ذٰلِك الاتِّصَال وَاللُّصوقِ وُسِّط بَيْنهُمَا هٰذِه الوَاو لِتؤذِن: أَنَّ هٰذِه الصِّفةَ غَيرُ مُنفَكَّة عَنِ المَوصُوْف، لَازِمةٌ لَهُ، غَيرُ مُفَارِقَةٍ عَنْه، كَمَا تتوَسَّطُ بَيْن الجُمْلَة الوَاقِعَة حَالا وَبَينَ ذِيْ الحَال تَأْكِيْدًا لِمَا بَينَهمَا مِنَ اللُّصُوْق وَالاتِّصَال، وَتَنبِيْهًا عَلَى اللُّصُوق وَالاتِّصَال؛ فَلمَّا توسَّطت الوَاوُ بَيْنَ الجُمْلَة وَالمَعرِفة الَّتِي قَبْلَها لِمُجرَّد الرَّبْط وَتَأْكِيد =

لِتَوْكِيْد الاتِّصَال، لَا لِلعَطْف[1]، نَحْو: قَوْلِه تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾ -إِلَىٰ قَوْله تَعَالَىٰ- ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧﴾ [الواقعة].

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر۝٧٣][2].

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [آل عمران۝١٤١][3].

= الاتِّصَال، توسَّطَتْ بَيْن الجُمْلة وَالنَّكِرة أَيْضًا لِذٰلك.

وَمَا قِيْل مِنْ: أَنَّ دُخُولَ الواوِ بَيْن الصِّفة وَالمَوصُوْف غَيرُ مُسْتقِيْم لاتِّحاد الصِّفَة وَالمَوْصُوفِ ذَاتًا وَحُكْمًا، وَتَأْكِيدُ اللُّصُوْق يقتَضِيْ شَيْئَيْن مُتغايِرَين؛ فهٰذَا المَنْعُ مبنِيٌّ عَلىٰ أَنْ تكونَ الواوُ فِي مِثل هٰذَا الموضِع عَاطِفة مُقتَضِية لِلمُغايرة، وَلَيستْ كَذٰلك؛ بل هِيَ فَجَرَّدت لِمَحْض الجَمْعيَّة وَاللُّصُوْق، فَإنَّ وَاو العَطْف تَقْتَضِيْ المُغايَرة وَتتَضمَّن مَعنَى الجَمْعيَّة أَيْضًا، فَإِذَا أُرِيْدَ مِنْها مَعنَى الجمعيَّة دُونَ المُغايَرة كَانَ مِنْ بَاب "إِطْلَاق اسْمِ الكُلّ عَلَى الجُزْء". (شيخ زاده ملخصا)

المَلحُوْظَة: وَعُلِم مِن هٰذَا التَّقرِير الفَرْق بَيْن وَاو العَطْف وَوَاو الاتِّصَال: أَنّ وَاو العَطْف تَقتَضِي المُغايَرة وَتَتَضمَّن مَعْنى الجمعيّة أَيْضا، وَوَاو الاتِّصَال تَقتَضِي مَعْنى الجَمعِيَّة وَتَتَضمَّن مَعْنى الاتِّصَال بِحَسَب المُرَاد، وَإِنْ كَانَ هُنَاك شَيْء مِنَ المُغَايَرة بِحَسَب الوَاقِع. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(١) قَوْله: (لا لِلعَطْف)، والمَعْنى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١﴾ أَيْ قَامَت القِيَامَة؛ ﴿فَكَانَتْ﴾ الجِبَال ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ فِي النَّفخَة الأُولىٰ، ﴿وَكُنتُمْ﴾ فِي القِيامَة عِنْد النَّفخَة الثَّانيَة ﴿أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧﴾؛ فَأُدْخِلَت الوَاو هُنَا بَيْن جُملَتَي الجَزَاء لِتَأْكِيْد الجَمْع واللُّصُوْق وَالاتِّصَال؛ فَكَأنَّه لَيْس بَيْن وُقوْعهمَا مُغايَرَة. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(٢) قَوْله: (وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا): الوَاو هُنَا لِلحَال، وَالحِكمَة فِي زِيادَة الوَاو هُنا دُوْن الَّتِي قَبلهَا: أَنَّ أَبْوَاب السِّجْنِ مُغلقَة إِلىٰ أَنْ يَّجِيْئهَا صَاحِبُ الجَرِيْمَة، فَتُفْتَحُ لَهُ ثُمّ تُغلَق عَلَيْه؛ فَنَاسَب ذٰلِك عَدَمُ الوَاو فِيهَا، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر۝٧١]، بِخِلاف أَبْوَاب السُّرور وَالفَرَح، فَإنها تُفتَح اِنتِظَارا لِمَن يَّدخُلهَا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿جَنَّـٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَابُ ۝٥٠﴾ [ص]؛ ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر۝٧٣]، فَأُدخِلَت الوَاو هُنَا لِتَأكِيْد اللُّصوْق وَالاتِّصَال بَيْن الحَال وَذِي الحَال فِي جُملَة الشَّرْط.

(حاشية الصاوي، النسفي بزيادة)

(٣) قَوْله: (وَلِيُمَحِّصَ): لِيَعْلَم الله -أَيْ: لِيَمْتَحِن اللهُ- مَا فِي صُدوْر المُؤْمِنِيْن مِنَ الإخْلَاص، وَيُمَحِّص مَا فِيْ قُلوْبهِم مِنْ وَسَاوِس الشَّيْطَان، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْۚ﴾ [آل عمران۝١٥٤]. =

وَكَذٰلِكَ تُزَاد "الفَاءُ"[١]؛

• **أَقْوَالُ المُحَقِّقِين فِيْ وَاوِ الاتِّصَال[٢]:**

قَالَ القَسْطَلانِي فِيْ شَرْح كِتَاب الحَجّ، فِيْ "بَاب المُعْتَمِر إِذَا طَافَ طَوَاف العُمْرَة ثُمّ خَرَجَ، هَلْ يُجْزِيْه مِنْ طَوَاف الوَدَاع[٣]":

وَيَجُوْز تَوَسُّط العَاطِف بَيْن الصِّفَةِ وَالمَوْصُوْف لِتَأْكِيْد لُصُوْقِهَا بِالمَوْصُوْف،

= وتمَام الآية: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ، وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ -وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾- وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران].

فَقَوْله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾ مَعطُوف عَلىٰ "لِيَتعِظُوا" المَحْذُوْف، وقَوْله: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ مَعطُوْف عَلىٰ قَوْله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ﴾، وَجُملَة ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ مُعتَرِضَة، وَقَوْله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ﴾ مَعطُوْف عَلَى المَصْدَر المُؤوَّل السَّابِق ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾. (مُحَمَّدْ إِلْيَاس)

وَقَوْله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ تَمحيصُ الذُّنوب: هُو تطْهِير ذُنُوْب المُؤمِنِين وَتَصْفيتُهم إِنْ حَصَلت الغَلَبة لِلكافِرِين، ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ أي: يُهلِكَهم إِنْ حَصَلت الغَلبَة لِلمُؤمِنِيْن؛ يَعنِي: إِنْ كَانتِ الدَّوْلةُ عَلىٰ المؤمِنيْن فَللتَّمْيِيْز وَالاستِشْهاد وَالتَّمحِيْص، وَإِنْ كَانَت عَلىٰ الكَافرِيْن فَلِمَحقِهم وَمَحْوِ آثَارهِمْ؛ فَكَأنّ الإِمَام أَشَارَ إِلىٰ أَنَّ التَّمحِيْص قَدْ حَصَل عِنْد التَّمييْز وَالاستِشْهَاد، وَإِنَّما عُطِف لِزِيادَة الاتِّصَال فَقَطْ، وَيَكُوْن حَاصِل الآيَة بِحَسَب الرُّمُوْز هٰكَذَا ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ -وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟- وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ (مفاتيح الغيب، نسفي)؛ وهٰذه الآيَة مِن قَبِيْل "الفَرائِد" عَلىٰ اصطِلاح البُلغاء.

(١) قَوْله: (تُزَادُ الفَاء): كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ (أَيْ: الفَضْل وَالرَّحمَة) فَلْيَفْرَحُوا۟﴾، [يونس: ٥٨]؛ قَالَ المَظهَرِي: وَالفَاءُ فِيْ قَوْله: ﴿فَبِذَٰلِكَ﴾ لِلرَّبْط بِمَا قَبلَهَا.

(٢) قَوْله: (وَاو الاتِّصَال): اِعلَم! أَنَّ الزَّمخشَري يُجِيْز تَوسّط العَاطِف -وَهُو وَاو الاتِّصَال- بَيْن الصِّفَة وَالمَوصُوْف فَقَطْ؛ وَأَمَّا المُصَنّف فَهُو يُجِيْز تَوسُّطه مُطْلقًا، سَوَاء كَانَ ذٰلِك التَّرْكِيْب تَوصِيْفيًا أَمْ غَيْره، كَمَا هُوَ وَاضِح مِنَ الأَمْثِلَة.

(٣) قَوْله: (هَلْ يُجْزِيْه): وَأَخرَج البُخَارِي فِي أَبْوَاب العُمرَة عَنْ عَائشَة:...... فَنَادَىٰ بِالرَّحِيْل فِيْ أَصْحَابه، فَارْتَحَلَ "النَّاسُ وَمَنْ طَافَ بِالبَيْت" قَبْل صَلَاة الصُّبْح، ثُمّ خَرَجَ مُوَجِّها إِلَى المَدِيْنَة.

(البخاري: ١٧٨٨)

نَحْو: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [الأنفال٤٩]، قَالَ سِيْبَوَيْه: هُوَ مِثْلُ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ وَصَاحِبِكَ، إِذَا أَرَدْتَ بِصَاحِبِكَ زَيْدًا.

وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيْ فِيْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ۝٤﴾ [الحجر]، جُمْلَةٌ وَاقِعَةٌ صِفَةً لِقَرْيَةٍ؛ وَالقِيَاسُ أَنْ لا تَتَوَسَّط الوَاوُ بَيْنَهُمَا، كَمَا فِيْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ۝٢٠٨﴾ [الشعراء]؛ وَإِنَّمَا تَوَسَّطَتْ لِتَأْكِيْد لُصُوْقِ الصِّفَة بِالمَوْصُوْف، كَمَا يُقَالُ فِي الحَال: جَاءَنِي زَيْدٌ عَلَيْه ثَوْبٌ، وَجَاءَنِيْ زَيْد وَعَلَيْه ثَوْب. (انتهىٰ)[1]

[السَّبَبُ الثَّامِنُ مِنْ أَسْبَابِ الصُّعُوْبَة]

انْتِشَارُ الضَّمَائِر، وَتَعَدُّدُ المُرَادِ مِنَ اللَّفْظَةِ الوَاحِدَة[2]

وَرُبَمَا تَكُوْنُ الصُّعُوْبَة فِيْ فَهْمِ المُرَاد لانْتِشَار الضَّمَائِر[3]، وَإِرَادَةِ المَعْنَيَيْن مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَة، نَحْوَ: قَوْلِه تَعَالىٰ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ

(١) قَوْله: (انتهىٰ): أيْ انتهىٰ كَلامُ الزَّمَخْشَرِي، وبِه انتهىٰ النَّقل مِن القَسْطلاني ٣: ٣٢٩. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (وَتَعَدُّدُ المُرَادِ إلخ): هٰذَا النشرُ عَلىٰ غَير طَرِيْق اللَّفّ، حيثُ ذَكَرَه إجمالا فِيْ المَرتبة السَّابعة، وذَكَر تفصيلَه فِي المَرتبة الثامنة. (مُحَمَّدإلْيَاس)

(٣) قَوْله: (لانْتِشَار الضَّمَائِر): وَهٰذَا القِسْم يُسمىٰ: بِالتِفَات الضَّمَائِر؛ وَالْتِفَاتُ الضَّمائِر: هوَ أن يقدِّم المتكلِّم في كلامه مذكورَين مرتَّبَين، ثم يخْبِر عَنِ الأوّل مِنهمَا، وَيَنصَرف عَن الإخبَار عَنْه إلى الإخْبَار عَن الثَّاني، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الإخْبَار عَنِ الأوّل، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾ [العاديات]؛ فَقَدْ انْصَرَف عَن الإخبَار عَن الإنْسَان إِلَى الإخبَار عَنْ رَبِّه تَعَالىٰ -عَلىٰ قَوْل مَن يُرجع الضَّمير فِيْ قَوْله: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ [العاديات] عَلىٰ الربّ-؛ ثمّ قَالَ مُنْصَرِفا عَن الإخْبَار عَنْ رِبِّه تَعَالىٰ إِلَى الإخبَارِ عنِ الإنْسَان: ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨﴾ [العاديات]. (قواعد التفسير:٢٧٩)

الملحوظة: واعلَمْ! أنَّ الضَّمِيْر وُضِع للاختِصَار، لأنَّه يُغْنِي عنْ ذِكْر أَلْفَاظ كَثِيْرَة، كقَوْله تَعالىٰ: ﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَـ"هُم" مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ۝٣٥﴾ [الأحزاب]؛ وَضَمِيْر المُتَكَلِّم والمُخَاطَب يُفَسِّرُهمَا المُشَاهَدةُ، وضَمِيْر الغَائِب عَارٍ عَنْ هٰذَا الوَجْه.(روح القدير)

﴿أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۝٣٧﴾ [الزخرف]، يَعْنِيْ: أَنَّ الشَّيَاطِيْن لَيَصُدُّوْنَ النَّاسَ[1] عَنِ السَّبِيْلِ، وَيَحْسَبُ النَّاسُ: أَنَّهُم مُهْتَدُوْنَ.

- **تَعَدُّدُ المُرَادِ مِنْ اللَّفْظَةِ الوَاحِدَة، وَمَا هُوَ مِنْ قَبِيْلِ الوُجُوْه وَالنَّظَائِر[2]:**

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ [ق۝٢٣ ۝٢٧][3]، المُرَادُ بِهِ: الشَّيْطَانُ فِيْ مَوْضِعٍ وَاحِد،

(١) قَوْله: (يَعْنِيْ: أَنَّ الشَّيَاطِيْن لَيَصُدُّوْنَ النَّاسَ): وَفِيْه قَاعِدَة: "إِذَا تَعَاقَبَتِ الضَّمَائِرُ فَالْأَصْلُ أَنْ يَتَّحِدَ مَرْجِعُهَا"، (٨٨)، فَفِيْه: مُخَالفَة بَيْن الضَّمَائِرِ فِي المَرْجع حَذرًا مِنَ التَّنَافُرِ؛ وَمِنْ هٰذَا القَبِيْل قاعدة: "قَدْ يَرِدُ اللَّفْظُ فِي القُرْآنِ مُتَّصِلًا بِالْآخَرِ، وَالْمَعْنَىٰ عَلَىٰ خِلَافه"، (٤٦). (قواعد)

(٢) قَوْله: (الوُجُوْه وَالنَّظَائِر): اعْلَم! أَنَّ المُصنِّف سَيُشِيْر إِلَىٰ بَعْض الأَمْثِلَة المُتعَلّقَة بِعِلْم الوُجُوْه وَالنَّظَائِر؛ وَعِلْم الوُجُوْه وَالنَّظَائِر: هُوَ عِلْم يَبحَث فِيْ كُلّ لَفْظ فِي القُرْآن وَرَدَ فِي أَكْثَر مِنْ آيَة، وَكَانَ دَلالَته عَلىٰ مَعنَاه فِيْ كُلّ وَاحِدَة مِنْهَا غَيْر مَعْنَاه فِي الآيَات الأُخْرَىٰ؛ فــ:

الوُجُوْه: اللَّفْظ المُشْتَرَك الَّذِي يسْتَعْمَلُ فِيْ عِدَة مَعَان، كَاللَّفْظَة "قرء" بِمَعْنَىٰ حَيْض وَطُهْر، وَكَلمَة ﴿قَسْوَرَةٍ ۝﴾ [المدثر] بِمَعْنى الأَسَد وَالرَّامِي.

النَّظَائِر: كَالأَلْفَاظ المُتَوَاطِئَة، وَهِي أَنْ يُوجَد اللَّفْظ، لَهُ مَعْنىً وَاحِدٌ، وَلَه أَفْرَاد كَثِيْرُوْن كَالإِنْسَان؛ فَإِنَّهَا تصدق عَلىٰ زَيْد وَعَلِي وَصَالِح.

فَمِثَال الوُجُوْه فِي القُرْآن كَلمَة "السوْء"، يَأْتِي عَلىٰ أَوْجُه: الشِّدَّة فِي ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [البقرة۝]، وَالعَقْر فِي: ﴿وَيَـٰقَوْمِ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ﴾ [هود۝]، وَالزِّنىٰ فِيْ: ﴿يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ﴾ [مريم۝]، وَالبَرَص فِي: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ۝٢٢﴾ [طه]، وَالعَذَاب فِي: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٢٧﴾ [النحل].

وَمِثَال النَّظائِر لَفْظَة ﴿قَرْيَة﴾، حَيْث تَكَرَّرَت فِي القُرْآن فِيْ أَكْثَر مِنْ خَمسِيْن مَوْضعًا، وَفِيْ كُلّ هٰذِه المَوَاضِع مَعْنى القَريَة وَاحِد، لٰكِن المُرَاد مِنْهَا مُختَلِف؛ فَالمُرَاد مِنَ القَريَة مَثَلا فِي قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة۝]: أَرِيْحا أَوِ القُدْس؛ وَفِي قَوْله تَعَالىٰ: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء۝]: مَكَّة؛ وَفِيْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ۝٨٢﴾ [يوسف]: مِصْر؛ فَمَعْنى القَريَة فِي هٰذِه المَوَاضِع وَاحِد، وَالمُرَاد فِي كُلّ مَوضِع مُختَلِف عَنِ الآخَر.

أَمَّا الأَفْرَاد: فَهِي الأَلْفَاظ الَّتِي لانَظِيْر لَهَا، فَهِي مُتَوَحِّدَة فِيمَا تَدُلّ عَلَيْه مِنْ مَعْنىً، وَمِثَاله كَمَا =

وَفِي المَوْضِع الآخَر المَلَكُ[1].

وقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ [البقرة٢١٥]، وَقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ: ٱلْعَفْوَۗ﴾ [البقرة٢١٩]؛ فَالأَوّل مَعْنَاه: أَيَّ إِنْفَاقٍ يُنْفِقُوْنَ؟ وَأَيَّ نَوْعٍ مِنَ الإِنْفَاقِ يُنْفِقُوْن؟، وَهُوَ صَادِقٌ بِالسُّوَال عَنِ المَصْرَف، لأَنّ الإِنْفَاقَ يَصِيْر بِاِعْتِبَار المَصَارِف أَنْوَاعًا؛ وَالثَّانِيْ مَعْنَاه: أَيَّ مَالٍ يُنْفِقُوْن[2]؟

- **مَا هِيَ مِنْ قَبِيْلِ تَعَدُّدِ المُرَادِ مِنْ اللَّفْظَةِ الوَاحِدَة:**

وَمِنْ هٰذَا القَبِيْل[3] مَجِيْءُ لَفْظِ جَعَلَ[4] وشَيْءٌ[5] وَنَحْوِهِمَا لمَعَانٍ شَتَّى[6]: قَدْ

=قَالَ ابْن فَارِس: كُلّ مَا فِي القُرْآن مِنْ ذِكْر البَرّ وَالبَحْر فَالمُرَاد بِالبَحْر المَاءُ وَبِالبَرّ التُّرَابُ اليَابِسُ إِلاَّ ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم٤١]، فَالمُرَاد بِهِ: البَرِيَّة وَالعُمْرَان.

(٣) قَوْله: (قَالَ قَرِيْنُه): ذَكَرَه اللهُ سُبحَانه وتعَالىٰ في سُورَة ق فِيْ مَوْضِعَين: الآيَةُ الأُولىٰ: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ٢٣﴾ [ق]، وَهو المَلَك الموكَّل، والآيَةُ الثَّانيَة: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ٢٧﴾ [ق]، وهو الشَّيطانُ المُقَيَّضُ لهُ. (بيضاوي، المعرَّب)؛ فهٰذَا المِثَال مِنْ قَبِيْل الوُجُوْه.

(١) قَوْله: (وَفِي المَوْضِع الآخَر المَلَكُ): فَهٰذَا المِثَال مِنْ قَبِيْل الوُجُوْه.

(٢) قَوْله: (أَيَّ مَال يُنفقُوْن): قُلِ العَفْو، أيْ: أَنْفقُوْا مِمَّا فَضُل وَزَاد عَن قَدْر الحَاجَة مِنْ أَمْوَالكُم؛ وَلَيْس المُرَاد بِالعَفْو التَّجَاوزُ وَالمَغفرَة؛ فهٰذَا المِثَال مِنْ قَبِيْل النَّظَائِر.

فَفِيْ الآيَة الأُولىٰ: عَنِ ابْن عَبَّاس رَضِيَ الله عَنهُمَا أَنَّ عَمْرو بن الجَمُوْح الأَنْصَارِي كَانَ شَيْخا هَرِما ذَا مَال عَظِيْم، فَقَالَ يَارَسُوْل الله ﷺ! مَا ذَا نُنفِق مِنْ أَموالنَا؟ وَأَيْن نَضَعهَا، فَنَزلَتْ: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِۗ﴾ [البقرة٢١٥]؛ سُئِل عَنِ المُنفَق فَأُجِيْب بِبَيَان المَصْرَف لأَنَّه أهمّ فَإِنَّ اعْتدَاد النَّفَقَة بِاعْتبَاره؛ وَلأَنَّه كَانَ فِيْ سُؤَال عَمْرو وَإِنْ لَّمْ يَكُنْ مَذْكُوْرا فِي الآيَة، وَاقْتَصَر فِيْ بَيَان المُنْفَق عَلىٰ مَا تَضَمَّنه قَوْله ﴿مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ...﴾[البقرة٢١٥]. وَفِي الآيَة الثَّانيَة: قِيْل سَائِله أَيْضا عَمْرو بْن الجَمُوْح، سَأَل أَوَّلا عَنِ المُنفَق وَالمَصْرَف، ثُمَّ سَأَل عَنْ كَيفِيَّة الإِنْفَاق، فَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلِ ٱلْعَفْوَۗ﴾ [البقرة٢١٩] وَهُوَ أَنْ يُّنفِق مَا تَيَسَّر لَهُ بَذْلُه وَلا يَبْلُغ مِنه الجُهْدَ. (بيضاوي)

(٣) قَوْله: (هٰذَا القَبِيْل): أَيْ مِن قَبِيْل إِرادَة المَعْنيَيْن مِن كَلِمَة وَاحِدَة. (المعرَّب) =

يَجِيْء "جَعَلَ" بِمَعْنىٰ خَلَقَ، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿جَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام١]؛ وَقَدْ يَكُوْنُ بِمَعْنىٰ اعْتَقَدَ، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ [الأنعام١٣٦].

وَيَجِيْء "شَيْء" مَكَان الفَاعِل، وَالمَفْعُوْلِ بِهِ، وَالمَفْعُوْلِ المُطْلَقِ وَغَيْرِهَا، نَحْو: قَوْله تَعَالىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ [الطور٣٥]، أَيْ: مِنْ غَيْرِ خَالِقٍ(١)، وقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ﴾ [الكهف٧٠]، أَيْ: عَنْ شَيْءٍ مِمَّا تَتَوَقَّفُ فِيْه مِنْ أَمْرِيْ.

= (٤) قَوْله: (جَعَلَ): تَأْتِي كَلِمَة "جَعَلَ" بِثَلاثة مَعَان فِي القُرْآن، بِمَعْنىٰ: اعْتَقَد، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ [الزخرف١٩]؛ بِمَعْنىٰ: صَيَّر، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ١٥﴾ [الأنبياء]؛ بِمَعْنىٰ خَلَق، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام١]. (ملتقى أهل الحديث)؛ فَكَلِمَة "جَعَلَ" مِنْ قَبِيْل الوُجُوْه.

(٥) قَوْله: (شَيْء): الشَّيْءُ: قِيْل هُو الَّذِي يَصِحّ أَنْ يُعْلَم وَيُخْبَرَ عَنْه؛ وَعِنْد كَثِيْر مِنَ المُتَكَلِّمِيْن: هُوَ اسْم مُشْتَرِكُ المَعْنىٰ، إِذِ اسْتُعمِل فِي الله وَفِي غَيْرِه، وَيَقعُ عَلَى المَوجُوْد وَالمَعدُوْم؛ وَعِنْد بَعْضِهِم: الشَّيءُ عِبارَة عَنِ المَوجُوْد.

وَأَصْله: مَصْدرُ شَاءَ، وَإِذَا وُصِف بِهِ تَعَالىٰ فَمَعنَاه: "الشَّائِي"، وإذَا وُصِف بِهِ غَيْرُه فَمَعنَاه: "المَشِيْءُ"؛ فَعَلَى الأَوَّل يَكُوْن المَصْدَر (أَيْ: الشَّيءُ) بِمَعْنى الفَاعِل، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلْ أَىُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً﴾ [الأنعام١٩]، وَعَلَى الثَّانِي يَكُوْن المَصْدَر بِمَعْنَى المَفْعُوْل، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ١٦﴾ [الرعد] (معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ملخصا)؛ وَاسْتَدَلّ بِهِ البُخارِي رَحِمَهُ الله عَلىٰ جَوازِ تَسمِيَة الله بِـ"الشَّيْء".

(٦) قَوْله: (لِمَعَانٍ شَتّىٰ): وَمِن هٰذَا القَبِيْل قواعِد: "عَامَّةُ أَلفَاظِ القُرْآنِ تَدُلُّ عَلىٰ مَعْنَيَيْنِ فَأَكْثَر"، (١٩٨)؛ "الكَلِمَةُ إِذَا احْتَمَلَتْ وُجُوْهًا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ صَرْفُ مَعْنَاهَا إِلىٰ بَعْضِ وُجُوْهِها دُوْنَ بَعْضٍ إِلاَّ بِحُجَّةٍ"، (١٩٩)؛ وَيَدْخُلُ فِيْ قَوْلِهِ: "إِلاَّ بِحُجَّةٍ" ثَلاثُ قَوَاعِدَ الآتِيَة:

١- "قَدْ يَحْتَمِلُ اللَّفْظ عِدَّةَ مَعَانٍ، وَيَكُوْنُ أَحَدُهُمَا هُوَ الْغَالِبُ إِسْتِعْمَالاً فِي الْقُرْآنِ، فَيُقَدَّمُ"، (٢٠٠)؛ "قَدْ يَكُوْنُ اللَّفْظ مُحْتَمِلاً لِمَعْنَيَيْنِ فِيْ مَوْضِعٍ، وَيُعَيَّنُ فِيْ مَوْضِعٍ آخَرَ"، (٢٠١)؛ "تُحْمَلُ الآيَةُ عَلَى الْمَعْنَى الَّذِيْ إِسْتَفَاضَ النَّقلُ فِيْهِ عَنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرُهُ مُحْتَمَلاً"، (٢٠٢)؛ "إِذَا احْتَمَلَ اللَّفْظ عِدَّةَ مَعَانٍ وَلَمْ يَمْتَنِعْ إِرَادَةُ الْجَمِيْعِ حُمِلَ عَلَيْهَا"؛ (٢٠٣). (قواعد)

(١) قَوْله: (مِنْ غَيْر خَالِق): أَيْ: مِنْ غَيْر شَاءٍ، فَالشَّيْء هُنَا بِمَعْنىٰ اسْم الفَاعِل.

وَقَدْ يُرِيْدُ بِالأَمْر[١] وَالنَّبأ وَالخَطْب المُخْبَر عَنْه، نَحْوَ: قَوْلِه تَعَالَى: ﴿نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [ص]، أَيْ: قِصَّةٌ عَجِيْبَةٌ؛ وَكَذٰلِكَ: كَلِمَتا الخَيْر[٢] وَالشَّرّ، وَمَا فِيْ مَعْنَاهُمَا؛ يَخْتَلِف المُرَاد مِنْهُمَا حَسَبَ اخْتِلافِ المَوَاضِع[٣].

---

(١) قَوْله: (الأَمْر وَالنَّبأ وَالخَطب): الأَمْر: الشَّأْنُ، وَجَمْعُه: أُمُورٌ؛ وَهُوَ لَفْظ عَام لِلأَفْعَال وَالأَقْوَال كُلِّها، وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود﴿١٢٣﴾]، وَقَوْله تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ [آل عمران﴿١٥٤﴾]؛ وَيُقَال لِلإِبْدَاع "أَمْرٌ"، نَحْو: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف﴿٥٤﴾]، وَيَخْتَص ذٰلِك بِالله تَعَالَى مِنْ دُوْن الخَلائِق، وَعَلَى هٰذَا حُمِل قَوْله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء﴿٨٥﴾]. (معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن)

النَّبأ: خَبَرٌ ذُو فَائِدَة عَظِيْمَة يَحْصُل بِهِ عِلمٌ أو ظَنٌ، وَلايُقَال لِلخَبَر نَبأٌ حَتى يَتضَمَّن هٰذِهِ الأشْيَاء الثَّلاثَة؛ وَحَقُّ النَّبأ أَنْ يَتعَرَّى عَنِ الكِذْب كَالتَّواتُر، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [ص]

الخَطب: الأَمْر العَظِيْم الَّذِي يَكثُر فِيه التَّخاطُب، قَالَ تَعَالَى حَاكِيا: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴿٥٧﴾﴾ [الحجر]، وَقَالَ: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾﴾ [طٰهٰ] (أيضا)

(٢) قَوْله: (الخَيْر): الخَيْر: أُطْلِق فِي القُرْآن كَلمَة الخَيْر عَلىٰ مَعَان، مِنهَا: المَال، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ [البقرة]؛ الطَّعَام، قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص]؛ القُوَّة، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان﴿٣٧﴾]؛ العِبادَة وَالطَّاعَة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [الأنبياء﴿٧٣﴾]؛ القُرْآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا﴾ [النحل﴿٣٠﴾] (إسلام ويب)

(٣)قَوْله: (حَسَبَ اخْتِلافِ المَوَاضِع) وفيه إشارة إلىٰ قاعِدة: "إِذَا كَانَ لِلْاِسْمِ الْوَاحِدِ عِدَّةُ مَعَانٍ حُمِلَ فِيْ كُلِّ مَوْضِعٍ عَلىٰ مَا يَقْتَضِيْهِ ذٰلِكَ السِّيَاقُ"، [قواعد:٨٩]

أَمَّا التَّرادُف فقَدْ ذَهَب بَعْض أَهْلِ العِلْم إلىٰ مَنْع وُقُوْع التَّرادُف فِيْ اللُّغَة، وَذَهَب آخَرُوْن إلىٰ وُقُوْعِهِ فِيْها، لٰكِنْ مَنَعُوْا وُقُوْعَه فِيْ القُرْآن الكَرِيْم؛ وَالأَرْجَح: أنَّهُ وَاقِعٌ فِيْ اللُّغَة وَمَوْجُودٌ فِيْ القُرْآنِ بِحَسَب المَعَاني الأَصْلِيَّة؛ لابِحَسَب المَعَانِيْ الثَّانَوِيَّة التَّكْمِيْلِيَّة. (رَوح القدير)

الخلافُ في وُقوع الترادُف فِيْ القرآن

ذَهَب المُحققُون مِنَ العُلَمَاء إلىٰ وُقُوْع التَّرادُف فِي القرآن، وإليْه أَشَار المبرِّدُ فِيْ تَفْسِير قَوْله تَعَالَى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة﴿٤٨﴾]، حَيثُ قَال: "ويُعطَف الشَّيءُ عَلى الشَّيءِ وإنْ كَانَا يَرجِعَان إلىٰ شَيءٍ وَاحِد إِذَا كَانَ فِيْ أَحدَهما خِلافٌ للآخر؛ فأمَّا إنْ أُرِيْد بالثَّاني مَا أُرِيْد بالأَوّل فعَطفُ=

- انْتِشَارُ الآيَاتِ:

وَمِنْ هٰذَا القَبِيْلِ[1] انْتِشَارُ الآيَاتِ:

١- قَدْ يُبَادِر إِلىٰ آيَةٍ مَقَامُهَا الأَصْلِيُّ بَعْدَ إِيْرَاد القِصَّةِ، فَيَذْكُرُهَا قَبْلَ تَمَامِ القِصَّةِ، ثُمّ يَعُوْدُ إِلَى القِصَّة، فَيُتِمُّهَا[2].

٢- وقَدْ تَكُوْنُ الآيَةُ مُتَقَدِّمَةً فِي النُّزُوْل مُتَأَخِّرَةً فِي التِّلاوَة، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ[3]﴾ [البقرة١٤٤]، مُقَدَّمَةٌ فِي النُّزُوْل؛ وَقَوْلُه تَعَالىٰ: ﴿سَيَقُولُ

= أحدِهمَا عَلى الآخر خَطأً"؛ وَذَهَب بَعْض أهل العِلْم إلىٰ مَنْع وُقوع التَّرادُف فِيْ اللُّغة؛ وَذَهَب آخَرُوْن إلىٰ وُقُوْعه فِيْها، لٰكِنْ مَنَعُوا وُقوْعه فِيْ القُرْآن الكَرِيْم.

والأَرْجَحُ: أنَّه واقعٌ فِيْ اللُّغة ومَوْجُود فِيْ القُرْآن بِحَسَب المَعَاني الأَصْلِيَّة؛ أَمّا التَّرادُف بِحَسَب المَعَاني الثانَوِيَّة التكمِيْلِيَّة التي يسمُّوْنها بـ"المَعَاني الخادِمة"، فلاشكَّ أنه غَيْرُ واقع فِيْ اللُّغَة العرَبيَّة والقرآن؛ لأنّ كلَّ لفْظ يَدُلُّ عَلى المَعَاني الدَّقِيْقة التي لاتُوْجَد مجتمِعةً فِيْ لفْظٍ آخر؛ فمَنْ مَنَع وُقوعَ التَّرادُف فهُوَ بحسَب الثانويَّةِ الزائِدة التِيْ تخُصُّها ويميِّزُها عنْ غَيرِهَا، وَمنْ قَال بِوُقوْع التَّرادُف فهُوَ بِحَسَب المَعَاني الأَصليَّة. (روح القدير)

(١) قَوْله: (مِنْ هٰذَا القَبِيْل): أيْ مِن قَبِيْل انتِشَار الضَّمائِر. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (ثُمّ يَعُوْدُ إِلَى القِصَّة): وَمِنْ هٰذَا القبيْل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝٦٧ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ ...۝٦٨ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ ...۝٦٩ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ...۝٧٠ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ:...۝٧١ "وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ" ۝٧٢ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٧٣﴾ [البقرة].

(مُحَمّدْإِلْيَاس)

كَمَا فِيْ سُوْرَة الحِجر: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ "إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ" ۝٦٠ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٦١ -إلىٰ قوله تعالىٰ-: فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ۝٧٤ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝٧٦ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾ [الحجر] (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (قَدْ نَرى تَقَلُّب): وَفِيْه قَاعِدَة: "إِذَا دَخَلَتْ قَدْ عَلَى الْمُضَارِعِ الْمُسْنَدِ إِلَى اللهِ تَعَالىٰ فَهِيَ لِلتَّحْقِيْقِ دَائِمًا"، (قواعد: ٧٧).

ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة١٤٢]، مُتَأَخِّرَةٌ؛ وَفِي التِّلاوَة بِالعَكْس.

٣- وَقَدْ يُدْرَج الجَوَابُ فِيْ تَضَاعِيْفِ أَقْوَالِ الكُفَّار، نَحْوَ قَوْلِه تَعَالىٰ: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ﴾ [آل عمران٧٣][1].

وَبِالجُمْلَة: فَهٰذِه المَبَاحِث تَحْتَاج إِلىٰ تَفْصِيْلٍ كَثِيْرٍ، وَفِيْمَا ذَكَرْنَاهُ كِفَايَةٌ؛ وَمَنْ قَرَأَ القُرْآن الكَرِيْم مِنْ أَهْل السَّعَادَة، وَاسْتَحْضَرَ هٰذِهِ الأُمُوْر عِنْدَ تِلاوَته؛ أَدْرَك بِأَدْنىٰ تَأَمُّلٍ غَرَض الكَلام وَمَغْزَاه، وَيَقِيْسُ غَيْرَ المَذْكُوْر عَلَى المَذْكُوْر، وَيَنْتَقِلُ مِنْ مِثَالٍ إِلىٰ أَمْثِلَةٍ أُخْرَىٰ.

[الفَصْلُ الخَامِسُ: فِيْ السَّبَبِ التَّاسِعِ مِنْ أَسْبَابِ الصُّعُوْبَة]

المُحْكَم، وَالمُتَشَابِه[2]

- مَلْحُوْظَةٌ فِيْ المُحْكَم:

لِيُعْلَم أَنَّ المُحْكَمَ[3]: هُوَ مَا لا يُدْرِك العَارِف بِاللُّغَة مِنْ ذٰلِكَ الكَلام إِلاَّ مَعْنىً

---

(١) قَوْله: (قَدْ يُدْرَجُ الجَوَاب إلخ): قدْ تَكُوْن الحِكَايةُ مُشتَمِلةً عَلىٰ حقٍّ وبَاطل، فيُبيِّنُ الله الحقَّ ويُبْطِل الباطِل؛ قَال تَعالىٰ عن المنافِقِين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾ [المنافقون]، فَلمَّا كَانَت مَقالتُهم تِلك مَمْزُوْجةً بالحقِّ والبَاطل، إذْ ظَاهِرها حَقٌّ، وباطنُها كَذِب -منْ حيْث كانَ إخْبارا عَن المُعتَقَد، وهُوَ غَيْرُ مطابِق-؛ فأقرَّ الحقَّ بقَوْله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾، تَصْحِيْحا لظَاهِر القَوْل، ثمَّ قال: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ١﴾ [المنافقون]، إبْطالا لِمَا قَصَدُوْه من التَّظاهُر بالإيْمان. (قواعد: ٧٦١)

(٢) قَوْله: (المُحكَم وَالمُتَشَابِه): لمَّا كانَ الإيجازُ والاختِصار مَذكورًا في بَيان الحذْف تَركَهما الشَّيْخ عِندَ النَّشْر، وذَكر فِيْ السَّبَب التاسع الكنَاية والتَّعرِيْض وغيرَهما. (مُحَمّدْإلْيَاس)

(٣) قَوْله: (المُحكَم): أي: المُحكَم المَخصُوْص بِبَعْض القُرْآن؛ وَاعْلَم! أنَّ القُرْآن يَتنَوَّع بِاعْتِبَار الإحْكَام وَالتَّشابُه إِلىٰ أَرْبَعَة أَنْوَاع: =

وَاحِدًا. وَالمُعْتَبَرُ: فَهْمُ العَرَب الأَوَّلِيْن(١)، لَا فَهْمُ مُدَقِّقِي زَمَانِنَا الَّذِيْنَ يَشُقُّوْن الشَّعْرَة؛ فَإِنَّ التَّدْقِيْق الفَارِغ دَاءٌ عُضَالٌ يَجْعَل: المُحْكَمَ مُتَشَابِهًا، وَالمَعْلُوْمَ مَجْهُوْلا.

المُتَشَابِهُ(٢)

- **مَلْحُوْظَةٌ فِيْ المُتَشَابِهِ:**

وَالمُتَشَابِهَ: هُوَ مَا يَحْتَمِل مَعْنَيَيْن(٣):

= ١- المُحكَم العَامُّ: وَهُو الَّذِي وُصِف بِه جَمِيْع القُرْآن، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝﴾ [هود]؛ وَمَعْنى هٰذَا الإحْكَام: الإتقان وَالجودَة فِي أَلْفَاظه وَمَعَانيْه بِحَيْث لاتَعارُض فِيْه ولا تَنَاقُض.

٢- المُتشَابه العَامُّ: وَهُو الَّذي وُصِف بِه جَمِيْع القُرْآن، كَما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [الزمر٢٣]؛ وَمَعْنى هٰذا التَّشابُه: تَشَابه البَعْض بِالبَعْض فِي الكَمَال وَالجوْدَة وَالغَايَات الحَمِيْدَة.

٣- المُحكَم المَخصُوْص بِبعْض القُرْآن، كَمَا قَال تَعالَىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ﴾ [آل عمران٧]؛ وَمَعْنى هٰذَا الإحْكَام: أَنْ يَّكُوْن مَعْنى الآيَة وَاضِحا جَليًّا لاخفاء فِيْه، نَحْو قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة]

٤- المُتشَابِه المَخصُوْص بِبَعْض القُرْآن، كَمَا فِي قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران٧]، وَمَعْنىٰ هٰذَا التَّشابُه: أَنْ يَّكُوْن مَعْنى الآيَة مُشْتبِها خفيًّا بِحَيْث يتوهَّم الوَاهِم مَا لايَليْق بِالله تَعالىٰ، أَوْ بِكِتَابه، أَوْ بِرسُوْله؛ وَيفهمُ مِنْه العَالِم الرَّاسِخ فِي العِلْم خِلافَ ذٰلِك مِنَ التَّفويض أَوِ التَّأوِيْل وَالتَّفسِيْر، كَما يتوهَّم أَحَد: أَنّ لِله يَديْن مُماثِلتَين لأَيدِي المَخلُوقيْن مِنْ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة٦٤] (أصول في التفسير ملخصا)

(١) قَوْله: (فَهْمُ العَرَب الأَوَّلِيْن): وَفِيْه إِشَارَة إِلىٰ قَاعِدَة: "جَمِيْعُ ظَوَاهِرِ نُصُوْصِ القُرْآنِ مَفْهُوْمَةٌ لَدَى المُخَاطَبِيْنَ"، (قواعد: ١٦٢).

(٢) قَوْله: (المُتَشَابِهُ): التَّشابُه الوَاقِع فِيْ القُرآن نَوْعان: التَّشابُه الحَقِيقِيُّ: وهُوَ مَا لايُمْكِن أَنْ يَعلَمه البَشر، كتَصْوِيْر حَقائق صِفات الله عزَّوجلّ، فإنَّنا وإِنْ كنَّا نعْلَم مَعانيها اللُّغوية، ولٰكنَّنا لانُدرِك حقائقها وكَيفياتِها، لقَوْله تَعالَىٰ: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ۝١١٠﴾ [طٰه]؛ =

١- لاحْتِمَال رُجُوْع الضَّمِيْر إِلَى المَرْجِعَيْن، كَمَا قَالَ رَجُلٌ: أَمَا إِنَّ الأَمِيْرَ أَمَرَنِيْ: أَنْ أَلْعَنَ فُلانًا، "لَعَنَهُ الله!".

٢- أَوْ لاشْتِرَاكِ الكَلِمَة فِيْ مَعْنَيَيْن، نَحْوَ قَوْلِه تَعَالَى: ﴿لَـٰمَسْتُمُ﴾ [المائدة٦، النساء٤٣][1]، فِي الجِمَاعِ وَاللَّمْسِ بِاليَد.

٣- أَوْ لاحْتِمَال العَطْف عَلَى القَرِيْبِ وَالبَعِيْد، نَحْوَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ﴾ [المائدة٦][2]، فِيْ قِرَاءَة الكَسْر[3].

٤- أَوْ لاحْتِمَال العَطْفِ وَالاسْتِئْنَاف، نَحْوَ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ[4]، وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ[5]﴾ [آل عمران٧].

= وحُكم هٰذَا المتَشابه: لايُسأَل عنْ حَقيقتِه، لتعذُّر الوُصول إليه.

والتَّشابه النِسْبِي: وهُوَ ما يَكون مُشْتبِها عَلىٰ بَعض النَّاس دُون بَعْض، فيَكُوْن مَعْلُوْما للرَّاسِخين فيْ العِلم دُون غَيرهم؛ وحُكْم هٰذَا النَّوْع: يُسْأَل عنْ حَقيقته لإمْكان الوُصول إلَيه، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ١٣٨﴾ [آل عمران]؛ ومنْه قَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ٣٩﴾ [الرحمٰن]، مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ٢٤﴾ [الصّافات]. (رَوح القدير)

(٣) قَوْله: (مَا يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْن): كَأَنّ المُصَنِّف أَشَارَ بِهٰذَا التَّعرِيْف إِلَى المُتشَابِه المَخصُوْص ببِعْض القُرْآن، كَمَا ذَكَرْنَاه آنِفا؛ وَلِلّٰه دَرّ المُصنِّف حَيْث ذَكَر الأَسْبَاب الأَرْبعَة لِهٰذَا التَّشابُه.

(١) قَوْله: (لَامَسْتُمْ): قَال البَيضاوي: أَوْ مَاسَسْتُم بَشَرَهُنَّ بِبَشَرَتِكُمْ، وبِهِ استَدلَّ الشَّافعيْ عَلىٰ أَنَّ اللَّمْس يَنقُض الوُضوْء؛ وقيل: أَوْ جامَعْتُموْهنَّ، وقرأ حمزة والكِسائي هُنا وفي المائِدة ﴿لَمَسْتُمْ﴾ [النساء٤٣]؛ وَاستِعْمالُه كِنايَةً عَنِ الجِمَاع أقلُّ مِنَ المُلامَسَة. (بيضاوي)

(٢) قَوْله: (وَامْسَحُوْا إلخ): وأَمَّا في قِراءة النَّصب فيَتعيَّن العَطف عَلى البَعِيْد. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (فِيْ قِرَاءَة الكَسْر): وَقَد مَرَّ تَفصِيْله فِي السَّبَب السَّادِس مِنْ أَسْبَاب الصّعُوْبَة عَلىٰ ص: ٢٠٧

(٤) قَوْله: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيْلَهُ إِلاَّ الله): فلَوْ وُصِل قولهُ تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران٧] بمَا بَعْدَه -وهُوَ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾- لتَغَيّر المَعْنىٰ؛ مَعَ أَنَّ الوقْف فيْ كِلا المَوضِعَين صحِيْح؛ والمَعْنىٰ: عنْد الوقْف عَلىٰ لفْظ الجَلاَلة "أَنّ المَتشابِه لايَعْلمُه إلا الله"، وهُوَ محْمُوْل عَلىٰ كُنْه المتَشابِهات وكَيْفيَّتِها، -كَما يكوْن في المَتشابه الحقيقي-؛ وعَلى الوَصْل يكُوْن: "الرَّاسِخُون فيْ العِلْم يَعلَمُون تأويلَه"، وهُوَ محْمُوْل عَلى العِلْم بالمَعْنىٰ، كما يكون في المتشابه النِّسْبي. (قواعد: ٦٩٣ بزيادة)=

= (٥) قَوْله: (وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ): فَالمُرَاد عِنْد العَطْف هُوَ التَّشَابُه النِّسْبِيُّ، وَأَمَّا عِنْد الاسْتِئْنَاف فَالمُرَاد مِنْه التَّشَابُه الحَقِيْقِي؛ فَذَهَب القَائِلون بجَواز الخَوْض في تَأوِيْل المُتَشَابِهات إِلَى العَطْف، وهِيَ طَائِفة يَسِيرة؛ وذَهب المانِعون -وهمُ الأَكثَرُون- إِلى الاسْتِئْنَاف.

الجدول فيما وصف به القرآن

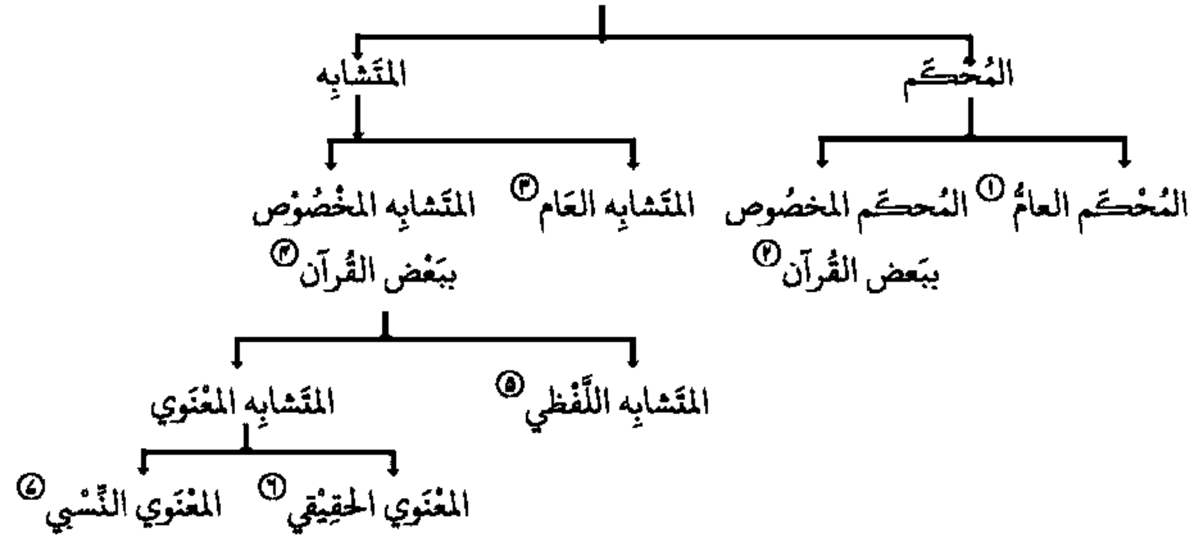

١- هُوَ الَّذِيْ وضحَ مَعْناه؛ وَهٰذَا مِمَّا وُصِف بِهِ جَمِيْع القُرْآن، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ①﴾ [هود]

٢- هُوَ الَّذِيْ لا يحتَمل منَ التأويْل إلا وَجْهًا واحدًا؛ وَهٰذَا مِمَّا وُصِف بِهِ بَعْض القُرْآن، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ [آل عمران⑦]

٣- هُوَ تَشَابه البَعض بالبَعْض فِي الكَمَال والجَودة؛ وهٰذَا مما وُصف به جَميع القُرآن، كما قَالَ تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر㉓]

٤- هُوَ ما خَفِي معْنَاه بحَيث يَكون مُشْتبها عَلىٰ بَعْض دُون بعضٍ، والرَّاسخ في العِلم يَعلم تأوِيْله؛ وهٰذَا مما وُصف بِهِ بَعض القُرآن، كما قَالَ تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ [آل عمران⑦]

٥- هُوَ تشَابه الآيات في الأَلفَاظ والمعَاني، كما في القِصص؛ وفِي هٰذَا التنوُّع والتردِيْد إظهَار لمزيَّة كلام الله عَلىٰ كلام البَشر.

٦- هُوَ ما لايُمكِن أنْ يَعلَمه البَشر كتَأوِيْل المُتشَابهَات القُرآنيَّة وَتَصْوِيْر حَقائِق الصِّفَات الإلٰهيَّة كَمَا فِي صِفَات المُتَشَابِهات، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة㉔]؛ وَفِيْ أَوْصَاف البَارِي.

٧- هُوَ ما خَفِي مَعناه بحَيث يَكُون مُشتَبِها عَلىٰ بَعض دُون بَعْض، فيُسأَل عنْ حَقيقته لإمكان الوُصول إِلَيه؛ نَحو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون]؛ مع قَوْله تَعالىٰ: =

أَنْوَاعٌ مِنَ المُتَشَابِهَاتِ النِّسْبِيَّة

- مِنَ المُتَشَابِهَاتِ النِّسْبِيَّةِ: الكِنَايَةُ(١):

وَالكِنَايَةُ هِيَ أَنْ يُثْبِتَ حُكْمًا مِنَ الأَحْكَام، وَلايَقْصُدَ بِهِ ثُبُوْتَ ذٰلِكَ الأَمْر

= ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۞﴾ [الصافات]؛ فالأوّل فِيْ مَوقف القِيامة، والثّاني في الجنّة.

الملحوظة الهامة: اعلمْ! أنّ الاسْتِعارَة وَالمَجَاز وَالكنَايَة وَالتّعريْض أيْضًا مِن المُتَشابِهات النِّسْبِيَّة -الَّتِيْ تَكُون مُشْتَبِهَة عَلى بَعْض دُوْن بَعْض-، فلِذَا ذَكَرَه المُصَنِّف مِنْ أَسْبَاب الصُّعُوْبة؛ هٰذَا شأْنُ الإمَام! حَيْثُ أَشَار إلىٰ مَا لايَخطرُ فِي البَال! فَجَزَاه اللهُ -سُبحَانه وَتَعَالىٰ- عَنَّا وَعَنْ جَمِيْع المُسْتَفِيدِيْن أَحْسَن الجَزَاء. (مُحَمَّدإلْيَاس)

(١/ ١) قَوْله: (الكِنَايَةُ): اعْلَمْ! أَنَّ الاسْتعَارَة وَالمَجَاز وَالكنَايَة أَلْفَاظ مُترادِفة بحسب العُرْف العَامّ؛ فَمِثَال الإمَام: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ مِن قَبِيْل الكِنَايَة -وَسَيأْتِي تفصِيْله إنْ شَاء الله تَعالىٰ-، وَمِثَاله: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم﴾ [الإسراء:٦٤] مِنْ قَبِيْل الاسْتعَارة المَكنِيَّة؛ وَأَمَّا التَّعريْضَات الوَاقعَة فِي القُرْآن فَأَلْحقهَا الإمَام بِالكِنايَة، كَمَا سَيَأْتِيْ.

(١/ ٢) قَوْله: (وَالكِنَايَةُ): اعْلَمْ! أَنَّ الكِنايَة فِي اصْطِلَاح عُلمَاء البَيَان: لَفْظ أُطْلِقَ وَأُرِيْد بِه لازِم مَعْنَاه، مَعَ جَوَاز إرادَة المَعْنى الأَصْلِي. وَمِنْ أَهَمّ مَقَاصدهَا:

تَجسِيْد المَعَانِي وَإبرازهَا فِيْ صُوَر مَحسُوسَة، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا۞﴾ [الإسراء]، أبْرزت الآيَة مَعْنى البُخْل فِي صُوْرَة اليَد المَشدُوْدَة إلَى العُنق المُقيّدَة بِه، وَهِيَ صُوْرة قَبِيْحَة تنفر مِنهَا النُّفُوْس؛ فَتقبل عَلَى البَذْل وَالعَطاء.

وَيُسْتطَاع بِأسلُوْب الكِنَايَة التَّعبِيْر عَنِ المَعَانِي غَيْر المُستَحْسنَة بِأَلْفاظٍ لَاتعافهَا الأَذْوَاق وَلاتمجهَا الآذَان، وَمِن ذٰلِكَ قَوْله تَعَالىٰ كِنايَة عَن الجِمَاع ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة۞]، وَ فِي الكِنايَة عَنِ الفَرج: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة۞]، وَفِي الكِنَايَة عَنْ قَضَاء الحَاجَة ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء۞].

وَيُستطَاع بِأسلُوْب الكِنَايَة التَّعمِيَة وَالتَّغطِيَة وَإخفاء مَا يود المُتكَلِّم إخفَاؤه كَمَا فِي الكِنَايَة عَنْ أَسْمَاء النِّسَاء وَالأَعْدَاد، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [يوسف۞]، فَقَد كَنىٰ عَن امْرَأة العَزِيْز بِقَوْله: "الَّتِي هُوَ بَيْتِهَا" رَغْبَة عَن ذِكْر اسْمِهَا، مَعَ مَا فِيْه مِنْ عفَّةِ يُوْسُف وَإعْرَاضه عَنْها لأنّه حِينَئِذٍ فِي بَيْتهَا وَهِي مُتمكِّنَة مِنْه.

وَمِن مَحاسِن الكِنايَة تَفخِيْم المَعْنىٰ فِي نُفوْس السَّامعِيْن كالآيَات الكَرِيْمَة الَّتِي كَنى فِيها عَنْ يَوْم=

بِعَيْنِه، بَلْ يَقْصُدُ أَنْ يَنْتَقِل ذِهْنُ المُخَاطَب إِلىٰ لازِمِه بِلُزُوْمٍ عَادِيٍّ أَوْ عَقْلِيٍّ، كَمَا يُفْهَمُ مَعْنىٰ كَثْرَةِ الضِّيَافَة مِنْ قَوْلِهِمْ: "عَظِيْمُ الرَّمَاد"، وَيُفْهَم مَعْنى السَّخَاوَة مِنْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة٦٤](١).

= القِيامَة بِوَصْف مَا يَكُوْن مِنْ أَحْدَاث وَأَهْوَال تفزع القُلوْب وَتزعج النُّفُوْس، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ٣٣﴾ [عبس]، ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٣٤﴾ [النازعات]. (علم البيان ملخصا)

(١/ ١) قَوْله: (يَدَاهُ): وَفِيه قَاعِدَة: "إِذَا أَثْبَتَ اللهُ تَعَالىٰ شَيْئًا فِيْ كِتَابِه، اِمْتَنَعَ نَفْيُهُ"، (قواعد: ٢٠٥)؛ والمقصُوْد مِن هٰذه القاعِدة الرَّدُّ علىٰ ذوِي التَّأْوِيْلات الفاسِدة التِيْ أَنْكرُوْا بِسَبَبِها كثِيْرا مِن الأُمُوْر التِيْ أثبَتَها الله فِيْ كتابِه، كطوائِف الباطِنيَّة الذِيْن نَفَوْا كثِيْرا مِن الحقائق الثَّابِتة، كالجنَّة والنَّار، والبَعْث والمِيْزَان وغَيْر ذٰلك.

وكَذا طَوائف الجهمِيَّة والمتَكلِّمِيْن الذِين نفَوا جمِيْع الصِّفات أو بعضَها بتأويْلات باطِلة بدَعوىٰ "أنَّها مجازات".

الملْحوْظة: هٰذه هِي القَاعِدة التِيْ يحْتاج إليْها أهْل السُّنَّة مِمَّن يَنفُوْن المجَاز ومَن يُثبِتُوْنه؛ ويُمْكنُ لكَ: أنْ تضَع أيَّ نصّ مِن نُصُوْص الصِّفات والمعَاد التي حرَّفها المُبْطِلوْن، وتُطبِّق هٰذِه القاعِدة عليْها، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح١٠]، وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ٢٧﴾ [الرحمٰن]. (قواعد: ٨٣٥)

(١/ ٢) قَوْله: (بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوْطَتَانِ): فَكَأنَّه أَشَارَ إِلىٰ أَنَّ كُل مَا وَرَد فِي الكِتَاب وَالسُّنَة الصَّحِيْحَة مِنَ الصِّفَات المُتشَابِهَات الَّتِيْ توهم مُمَاثلَته تَعَالىٰ لِلحَوادِث فِيْ شَيْءٍ مَا، وَقَامَت الدَّلائِل القَاطعَة عَلىٰ امْتِنَاع ظَاهِرها فِيْ حَقّ الله تَعَالىٰ فَهِي مِنْ قَبِيْل الكِنايَة بِأَنْ يُثبَت لَه هٰذِه الصِّفَات مِنْ غَيْر تَأْوِيل المَجَاز. وَالله أَعْلم، وعلمه أتم.

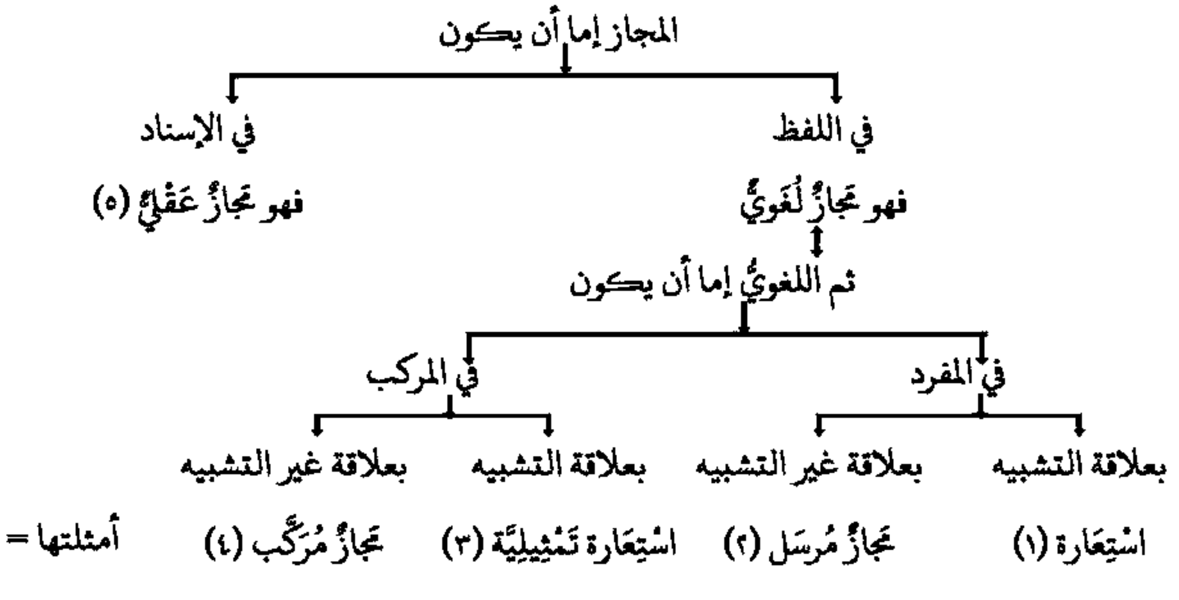

- **مِنَ المُتَشَابِهَاتِ النِّسْبِيَّة: الاسْتِعَارَة التَّمْثِيْلِيَّة:**

وَتَصْوِيْرُ المَعْنَى المُرَادِ بِالصُّوْرَةِ المَحْسُوْسَةِ مِنْ هٰذَا القَبِيْل(١)؛ وَذٰلِكَ بَابٌ وَاسِع فِيْ أَشْعَارِ العَرَب وَخُطَبِهِم؛ وَالقُرْآنُ العَظِيْمُ وَسُنَّةُ نَبِيِّنَا -ﷺ- مَشْحُوْنٌ بِهِ، نَحْوَ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء٦٤]، شَبَّهَ "الشَّيْطَانَ(٢)" بِـ"رَئِيْسِ قُطَّاعِ الطَّرِيْق"؛ حَيْثُ يُنَادِي أَصْحَابَه، فَيَقُوْل: "تَعَالَ مِنْ هٰذِهِ الجِهَة، وَادْخُلْ مِنْ تِلْكَ الجِهَة".

= ١- قَوْله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة١٠]، أي فِيْ قُلُوْبِهِم نِفاقٌ، كَالمَرَض فِي الاسْتِقْرَار وَالاسْتِحْكَام.

٢- قَوْله: ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ﴾ [البقرة١٩]، أَيْ: يَجْعَلُوْن أَنَامِلَهُم الَّتِي هِيِ أَجْزَاء الأَصَابِع.

٣- قَوْله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران١٠٣]، حَيْث شُبِّهتْ حَالُ المُتَمَسِّك بِدِيْن الله وَعَهدِه بِحَال المُعتَمِد عَلىٰ حَبْل قَوِي يَمنَعه مِنَ السُّقُوْط.

٤- قَوْله: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ: رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران٣٦]، خَبرٌ اسْتُعمل لِلإِنْشَاء، لأَنَّه يلْزَم مِنْ إِخبَارهَا بِوَضْع الأُنثىٰ: أَنَّهَا حَزِيْنَةٌ.

٥- قَوْله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ١٦﴾ [البقرة]، أَيْ: فَمَا رَبِحُوْا فِيْ تِجارَتهم، وَإِنَّمَا نُسِبَ الرِّبْح إِلَى التِّجَارة لأَنَّ الرِّبْح يَتعَلَّق بِالتِّجَارَة.

(١) قَوْله: (مِنْ هٰذَا القَبِيْل): أي من قَبِيْل المُتَشَابِهَات النِّسْبِيَّة الاسْتِعَارَة التَّمْثِيْلِيَّة.

(٢) قَوْله: (شَبَّه الشَّيْطان): وَتَمَام الآيَة ﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ٦٢ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ٦٣ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ٦٤﴾ [الإسراء]

جَوَّز بَعْضهُم أَنْ يَكُوْن اسْتِفْزَازُه بِصَوْته وَإِجلابُه بِخَيْل وَرَجِله تَمْثِيْلا لِتَسلُّطه عَلىٰ مَنْ يُغوِيْه، فَكَأَن مِغْوَارا وَقَعَ عَلىٰ قَوْم فَصَوّت بِهم صَوْتا يُزعِجهُم مِنْ أَمَاكِنهِم، وَأَجْلَب عَلَيْهِم بِجُنْدِه مِن خَيَّالة وَرَجَّالَة حَتّى اسْتَأْصَلهُم؛ فَفِيْه اسْتِعَارَة تَمثِيلِيّة. (روح المعاني)

قَالَ الرَّازِيْ: أَنَّ المُرَاد مِنه ضَرْب المَثَل، كَمَا تَقُوْل لِلرَّجُل المُجِدِّ فِي الأَمْر: جِئْتَنَا بِخَيْلك وَرَجِلِكَ، وَهٰذَا الوَجْه أَقْرَب. (مفاتيح الغيب)

وَقَوْلِه تَعَالیٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يٰس۹]؛ وقَوْلِهِ تَعَالیٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ [يٰس۸]، شَبَّهَ "إعْرَاضَهُمْ عَنْ تَدَبُّرِ الآيَاتِ" بِـ"مَن غُلَّتْ يَدَاه، أَوْ بُنِيَ حَوَالَيْه سَدٌّ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ"؛ فَلَمْ يَسْتَطِع النَّظَرَ أَصْلًا.

وقَوْلِه تَعَالیٰ: ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ[1] مِنَ ٱلرَّهْبِ﴾ [القصص۳۲]، يَعْنِيْ: إِجْمَعْ خَاطِرَكَ، وَدَعِ الاضْطِرَابَ وَقَلَقَ البَال.

[نَظِيْرُ الاسْتِعَارَةِ فِي العُرْف][2]

وَنَظِيْرُ ذٰلِكَ[3] فِيْ العُرْفِ: أَنَّهُ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يُّبَيِّن شَجَاعَةَ رَجُلٍ، يُشِيْر بِالسَّيْف[4]: أَنَّه يَضْرِب إِلیٰ هٰذِهِ الجِهَة، وَيَضْرِب إِلیٰ تِلْكَ الجِهَة؛ وَلَيْسَ مَقْصُوْدُه إِلاَّ بَيَانُ غَلَبَتِه أَهْلَ الآفَاق بِصِفَة الشَّجَاعَة، وَلَوْ لَمْ يأْخُذِ السَّيْف بِيَده مَرَّةً مِنَ الدَّهْر. أَوْ يَقُوْلُوْن: فُلانٌ يَقُوْلُ: "لَا أَرَى أَحَدًا عَلیٰ وَجْهِ الأَرْضِ يُبَارِزُنِي"، أَوْ يَقُوْلُوْن:

(١) قَوْله: (جَنَاحَك): فِيْه اسْتِعَارَة مِنْ حَالِ الطَّائِر، فَإِنَّه إِذَا خَافَ نَشَر جَنَاحَيه، وَإِذَا اطْمَأَنَّ ضَمَّهمَا إِلَيْه. (البيضاوي)

(٢) قَوْله: (نَظِيْر الاسْتِعَارَة): أَيْ: كَمَا يَكُوْن فِي الاسْتِعَارَة تَصوِيْر المَعْنى المُرَاد بِالصُّوْرَة المَحسُوْسَة كَذٰلِك قَدْ يَكُوْن تَبيِيْن المَعْنى المُرَاد وَتَوْضِيحه بِالإِشَارَة الحِسِّيَّة، كَمَا فِي الأَمْثِلَة الآتِيَة.

المَلحُوْظَة: حَدَّثَنا المَكيّ بْن ابْرَاهيم، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَنظَلَة بْن أَبِيْ سُفيَان، عَنْ سَالِم، قَالَ: سَمِعْت أَبَا هُرَيْرَة ؓ عَنِ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: "يُقْبَض العِلْم، وَيَظْهَر الجَهْل وَالفِتَن، وَيَكْثُر الهَرَج"، قِيْل: يَارَسُوْل الله! "وَمَا الهَرَج؟" فَقَالَ: هٰكَذَا بِيَده، فَحَرَّفَهَا كَأَنَّه يُرِيْد القَتْل. (البخاري)

(٣) قَوْله: (وَنَظِير ذٰلِكَ): أَيْ نَظِير تَصوِير المعْنى المُرَاد بالصُّوْرَة المَحْسُوسة. (المعرَّب)

(٤) قَوْله: (يُشيْر بِالسَّيْف): كَمَا فِي رِوَايَة عَامِر بْن سَعْد قَالَ، قَالَ سَعْد: "لَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ضَحِك يَوْم الخَنْدَق حَتّى بَدَتْ نَوَاجِذُه"، قَالَ قُلتُ: كَيْف كَان ضِحْكُه؟ قَالَ: كَانَ رَجُل مَعَه تُرْسٌ وَكَانَ سَعدٌ رَامِيا، "وَكَانَ يَقُوْل كَذَا وَكَذَا، بِالتُّرس"، يُغَطِّي جَبْهَته إلخ. (شَمَائل بَاب مَا جَاء فِيْ ضِحْكِ رَسُوْل الله ﷺ)؛ فَعَبَّر سَعد عَنْ تَغطِيَة المُشْرِك جَبْهتَه بِقَوْله: "يَقُوْل كَذَا وَكَذَا"، أَيْ: هُوَ يُشِير بِالتُّرس يَمِينا وَشِمَالا.

"فُلانٌ يَفْعَلُ كَذَا وَكَذَا"؛ وَيُشِيْرُوْن بِهَيْئَةِ أَهْلِ المُبَارَزَة وَقْتَ مُغَالَبَة الخَصْمِ، وَلَوْ لَمْ يَصْدُرْ عَنْهُ هٰذَا القَوْلُ قَطُّ، وَلَمْ يَفْعَلْ هٰذَا الفِعْلَ أَصْلًا؛ أَوْ يَقُوْلُوْن: "فُلان خَنَقَنِي، وَنَزَعَ اللُّقْمَةَ مِنْ فَمِي"[1].

- **وَالتَّعْرِيْضُ أَيْضًا مِنَ المُتَشَابِهَاتِ النِّسْبِيَّة:**

وَالتَّعْرِيْضُ[2] أَنْ يَذْكُرَ اللهُ تَعَالىٰ حُكْمًا عَامًّا أَوْ مُنَكَّرًا، وَيَكُوْنُ الغَرَض مِنْهُ: الإِيْمَاءَ إِلىٰ حَالِ رَجُلٍ خَاصٍّ، أَوِ التَّنْبِيهَ عَلىٰ حَالِ رَجُلٍ مُعَيَّنٍ، وَيأْتِيْ فِيْ غُضُوْنِ الكَلام[3] بَعْضُ خُصُوْصِيَّات ذٰلِكَ الرَّجُل الَّتِيْ تُعَرِّف[4] المُخَاطَب عَلَيْهِ؛ فَيَغْرَق القَارِئُ فِي الفِكْرِ فِيْ مِثْل هٰذَا المَوْضِع، وَيَحْتَاج إِلىٰ تِلْكَ القِصَّة[5].

---

(١) قَوْله: (فَمِيْ): هٰذِه التَّعبِيْرات وأَمْثال هٰذِه كلُّها مِن قَبِيْل تصْوِير المعْنَى المرَاد بالصُّورة المحْسُوْسة. (المعرَّب)

(٢) قَوْله: (وَالتَّعْرِيْض): اعْلَمْ! أنَّ التَّعرِيض مُقابِل للتَّصرِيح، فهُوَ معنًى يُفْهم مِن تَركِيْب الكَلام -لا مِنَ اللَّفظ المُفرد- وسِياقِه وقَرَائنِ أحْوَاله، ومِنْه قَوْله تَعَالىٰ: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ۝﴾ [الأنبياء]؛ ففِيْه تَعْرِيضٌ بخَطأ القَوْم وتَعامِيهِمْ عَنِ الحَقِّ وتَسْفِيه أحْلامِهم حَيْث عَبَدوا هٰذِه الأَوْثان التِيْ لاتَنفَع ولاتَضُرّ.

المَلحُوظة: إنَّ الشَّيْخ الإمَام قدْ جَعل مِن قَبِيْل التَّعرِيض التَّعرِيْضات التِيْ هيَ مِن قَبِيْل أسْباب النُّزُول، وبَسَط الكَلام فِي التَّعْرِيْضات القُرآنية عِنْد اختِتَام البَاب الأَوَّل.

(٣) قَوْله: (غُضُوْن الكَلام): يُقَال: جَاءَ فِي غُضُوْن كَلامِك كَذَا: فِي أثناءه وَطيَّاته. (المعرَّب)

(٤) قَوْله: (تُعَرِّف): عرَّف فُلانا الأمرَ: أعْلَمه إيَّاه، وعَرَّفَ عَلَيْهِم عَرِيْفًا: أقامَه ليَعْرِف مَنْ فيهمْ مِنْ صالِح وطالِح. (الوسيط)

(٥) قَوْله: (وَيَحْتَاج إِلىٰ تِلْكَ القِصَّة): اعْلَمْ! أنَ الآيَة الَّتِي نَزَلَت فِيْ وَاقعَة مَخْصُوْصة، وَلَهَا سَبَب؛ فَهِي تَنقَسم مِنْ حَيْث العُمُوْم وَالخُصُوْص إِلىٰ أَرْبَعة أَقْسَام:

الثَّاني مِنْها: مَا كَان السَّبَب فيهَا خَاصًا، وَنزلتْ بِصفَات فَردٍ أوْ جَماعَة أوْ أمْر بِغَيْر تَصرِيْح بِاسْمِ مَن نَزَلتْ فِيهِمْ؛ وَحُكمهَا: أنَّها تَختَصُّ بِتلْك الأَفرَاد أوِ الجَماعَات أوْ بِتِلْك الأُمُوْر إجمَاعًا؛ فَلايَدخُل غَيرُهُم فِيْ حُكمِهَا وَإنْ وُجِدَت فِيهم تِلْك الصِّفاتُ، نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝﴾ [الليل]؛ فَإنَّها نزلتْ فِيْ أَبِيْ بَكْر، و﴿ٱلْأَتْقَى﴾: أَفْعَل التَّفضِيْل مَقرُوْن بـ"أل" العهديَّة، =

وَكَانَ النَّبِيّ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُنْكِرَ عَلَىٰ شَخْصٍ، يَقُوْلُ: "مَا بَال أَقْوَام يَفْعَلُوْن كَذَا وَكَذَا"؛ وَكَمَا: فِيْ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾ [الأحزاب٣٦] الآيَةَ، تَعْرِيْضٌ لِقِصَّةِ زَيْنَبَ وَأَخِيْه؛ وَفِيْ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾ [النور٢٢] تَعْرِيْضٌ بِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيْق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فَفِيْ هٰذِهِ الصُّوَرِ مَا لَمْ يَطَّلِعُوْا عَلَىٰ تِلْكَ القِصَّة لا يُدْرِكُوْن فَحْوَى الكَلام[1].

- **وَالمَجَاز العَقْلِي[2] أَيْضًا مِنَ المُتَشَابِهَاتِ النِّسْبِيَّة[3]:**

وَالمَجَاز العَقْلِي: هُوَ أَنْ يُسْنَدَ الفِعْلُ إِلىٰ غَيْرِ فَاعِله، أَوْ يُجْعَلَ المَفْعُوْلُ بِهِ مَا لَيْسَ بِمَفْعُوْل بِهِ فِي الحَقِيْقَة، -لِعَلاقَة المُشَابهَة بَيْنَهُمَا-، وَيَدَّعِيَ المُتَكَلِّمُ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيْ عِدَادِهِ، وَفَرْدٌ مِنْ أَفْرَاده، كَمَا يَقُوْلُوْنَ: "بَنَى الأَمِيْر القَصْر"، مَعَ أَنَّ البَانِيَ بَعْضُ البَنَّائِيْن؛ وَكَمَا يَقُوْلُوْن: "أَنْبَتَ الرَّبِيْعُ البَقْلَ" مَعَ أَنَّ المُنْبِتَ هُوَ اللهُ -سُبْحَانَه وَتَعَالَىٰ- فِيْ فَصْلِ الرَّبِيْع. وَاللهُ أَعْلَم بِالصَّوَاب[4].

= فَيَخْتَصُّ بِمَنْ نَزَل فيه.

وَتَفصِيْل هٰذَا البَحْث قَدْ مَرَّ فِيْ ضِمْن "العِبْرَة بِعُمُوْم اللَّفْظ، لا بِخُصُوْص السَّبَب".

(١) قَوْله: (فَحْوى): فَحْوى القَول: مَضمونُه ومَرْمَاه الَّذِيْ يَتَّجِه إِليه القَائلُ، والجمعُ: فحاوٍ وفَحَاوَى. (المعرَّب)

(٢) قَوْله: (المَجَاز العَقْلِي): اعْلَمْ! أَنَّ المَجاز -أي: إِطْلاق الكلمَة أو الكَلام فِي غَير ما وُضعَت له-: إِمَّا أَنْ يَكون فِي اللَّفظ أو فِي النِّسْبة، فالأَوَّل مَجازٌ لُغَوي والثَّاني مجازٌ عَقْلِي؛ مِثال الأَوَّل قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿يَجْعَلُونَ "أَصَٰبِعَهُمْ" فِىٓ ءَاذَانِهِم﴾ [البقرة١٩]، أي: يجعَلونَ أنامِلهم؛ ومِثال الثَّاني قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ "تَنفَعُ" ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [الذاريات]، فالمَجاز هُنَا فِي الإِسْناد، لأَنَّ النَّافِع هُوَ الله تعَالىٰ حَقيقةً، وإِسْنادُ النَّفع هنَا إِلى الذِكرَى بطَريق السَّبَبِيَّة؛ لأَنَّ الله سُبحانَه وتعَالىٰ يَنفع المؤمنين بسَبَب الذِكرىٰ.

(٣) قوله (مِنَ المتَشَابهَات النِّسْبِيَّة): نَحْو قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء٥٩]، أَيْ: آيَةً مُبْصِرَة، لا أَنَّهَا مُبصِرَةٌ غَيْرُ عَمْيَاء؛ وَفِي نِسْبَة الإِبْصَار إِلَى النَّاقَة مَجاز، لِأَنَّ المُبْصِر حَقِيْقَة هُوَ الله تَعَالَىٰ.

(٤) قَوْله: (وَاللهُ أَعْلَم بِالصَّوَاب): قَدْ تمَّت أَسْبَاب صُعوْبَة فَهْم القُرْآن، وَبَقِي مِنْها بَيَان الاخْتِصَار =

= وَالإِيْجَاز.

الْإِيْجَاز نَوعَان: قِصر، وَحَذْف.

إِيْجَاز قِصر: هُوَ الكَلامُ القَلِيْل الذِيْ يُعْطِيْ مَعْنًى أَطْوَل مِنه، يَعْنى: انْدِرَاج الْمَعانِي الْمُتَكَاثِرَة تَحت لَفظ قَلِيْل؛ ويُلْحَق بِه إِيْجَاز التَّقدِيْر وَإِيْجَاز الجَامِع؛ أَمَّا الأَوَّل، فَهُو: أَنْ يقَدّر مَعْنًى زَائِدٌ عَلَى المَنْطُوْق، كَقَوله تَعَالى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة٢٧٥]؛ وَأَمَّا الثَّانِيْ فَهُو أَنْ يَحْتَوِيَ اللَّفظ عَلىٰ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَة، نَحوَ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل٩٠]؛ وقد قَالَ ابْن مَسعُوْد: "مَا فِي القُرْآن آيَة أَجْمع لِلخَيْر وَالشَّر مِن هٰذِه الآيَة"، أَخْرَجَه الحَاكِم فِي الْمُستَدْرك؛ وَلَمَّا سَمِع الْمُغيْرَة بْن الوَلِيْد مِنَ النَّبِيّ ﷺ هٰذِه الآيَة، قَالَ: "وَالله إِنَّ لَه لَحَلاوة، وإِنَّ عَلَيْه لَطَلاوَة؛ وإِنَّ أَسْفَله لَمُغْدِق، وَإِنَّ أَعْلَاه لَمُثْمِرٌ". (رَوح القَدير)

وَمِن فَوائِدِهِ: تَسْهِيْل الْحِفْظ، وَتَقْرِيْب الْفَهْم، وَضِيْقُ الْمَقَام، وَدفْع السَّآمَة، وَالْإِخْفَاء.

إِيْجَاز حَذْف: وَهُوَ الكَلامُ القَلِيْل الذِيْ كَانَ بَعْضًا مِنْ كَلامٍ أَطْوَل مِنْه، وَهُوَ وَاقِع فِي الْقُرْآن الكَرِيْم، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝٢٥﴾ [الذاريات]؛ وَلَهُ شُرُوْط سَبْعَة.

المَلحوظة: وَمِن إِيْجَاز الْقِصر: كَوْنُ الحَصْر فِي الْكَلَام، بَابُ العَطْف، بَابُ النَّائِب عَن الْفَاعِل، بَابُ الضَّمِيْر، كَلمَاتُ التَّثْنِيَة وَالْجَمْع، أَدَوَات الشَّرْط وَالاِسْتِفْهام، الْأَدَوَات الَّتِيْ تَدُلُّ عَلى الْعمُوْم، بَابُ التَّنَازُع، وحَذْف الْمَفْعُوْل. (أصول التفسير وقواعده، رَوح القَدير)

البَابُ الثَّالثُ

الباب الثالث

فِيْ بَيَان لَطَائِف نَظْم القُرْآن، وَشَرْح أَسْلُوْبه البَدِيْع

[الفَصْل الأوّل: نُزُوْلُ القُرْآنِ وَجَمْعُهُ وَتَرْتِيْبُهُ](١)

لَمْ يُجْعَلِ القُرْآنُ مُبَوَّبًا مُفَصَّلًا عَلىٰ مَنْهَجِ المُتُوْن، لِيُذْكَر كُلُّ مَطْلَبٍ مِنْه فِيْ بَابٍ أَوْ فَصْلٍ، بَلْ افْتُرِض القُرْآنُ الكَرِيْم كَمَجْمُوْعَةِ المَكْتُوْبَات(٢)، فَكَمَا يُوَجِّه

(١) قَوْله: (تَرْتِيْبُهُ): اعْلَمْ! أَنَّ تَرتِيْب القُرْآن عَلىٰ ثَلٰثَة أَنْوَاع: تَرتِيْبُ الْكَلِمَات، وَترْتِيْب الآيَات، وَتَرْتِيْبُ السُّوَر.

١- أَمَّا تَرْتِيْب الْكَلِمَات، فَهُو ثَابِت بِالنَّص وَالإِجْمَاع؛ ٢- وَأَمَّا تَرتِيْب الآيَات، فَهُوَ أَيْضًا ثَابِت بِالنَّص وَالإِجْمَاع عَلى القَوْل الرَّاجِح؛ وَتَحْرم مُخَالَفَتُه؛ ٣- وَأَمَّا تَرتِيْب السُّوَر فَهُو وَإِنْ كَانَ ثَابِتا بِالاجْتِهَاد عَلىٰ رَأْيٍ؛ لٰكِنَّه مِمَّا سَنَّهُ الخُلَفَاء الرَّاشِدُوْن؛ فَيَكُوْن وَاجِبًا بِإِجْمَاعِهِم، وَقَدْ دَلّ الحَدِيْثُ عَلىٰ أَنَّ لَهُمْ سُنَّةً يَجِب اتِّبَاعُهَا.

الفَائدة الهَامّة فِي المُنَاسَبَة بَيْن الآيَات والسُّوَر

المُنَاسَبَة فِي اللُّغَة: المُشَاكَلَة وَالمُقَارِبَة؛ وَالمُرَاد مِنْها: وَجْه الارْتِبَاط بَيْن جُمْلَتَي الآيَة، أَوْ بَيْن الآيَتَيْن، أَوْ بَيْن السُّوْرَتَيْن؛ وَمَرْجِعُهَا فِي الآيَات إِلىٰ مَعْنى رَابِط بَيْنَهَا -عَامٌّ أَوْ خَاصّ، عَقْلِيٌّ أَوْ حِسّيّ، أَوْ مِنْ غَيْر ذٰلِكَ مِنَ العَلَاقَات-؛ أَوِ التَّلَازُم الذِّهْنِي، كَالسَّبَب وَالمُسَبَّب، وَالعِلَّة وَالمَعْلُوْل، وَالنَّظِيْرَيْن وَالضِّدَّيْن، وَنَحْوه.

وَفَائِدَتُها: جَعْلُ أَجْزَاء الْكَلَام بَعْضهَا آخِذًا بِأَعْنَاق بَعْض، مُرْتَبطًا بَعْضهَا بِبَعْض، حَتّٰى يَكُوْن كَالكَلِمَة الْوَاحِدَة، مُتّسِقَ الْمَعَانِي، مُنْتَظِمَ الْمَبَانِي.

المَلْحُوْظَة: وَاعْلَم أَنَّ تَرتِيْب الآيَات فِي الْقُرْآن الْكَرِيْم تَوْقِيْفِي عَنْ رَسُوْل الله ﷺ بِالإِجْمَاع؛ وَأَمَّا تَرْتِيْب السُّوَر فَهُو أَيْضًا تَوقِيْفِي بِدَلَالَة إِجْمَاع الصَّحَابَة عَلىٰ تَرْتِيْب مُصْحَف عُثْمَان. (رَوح القدير)

(٢) قَوْله: (كَمَجْمُوْعَةِ المَكْتُوْبَات) وَاخْتَلَف العُلَمَاء فِيْهَا، فَقَال بَعْضهُمْ: المُنَاسَبَة بَيْن الآيَات وَالسُّوَر لاتُوْجَد فِي كُلّ مَوْضِع مِنَ الْقُرْآن، لأَنَّه نَزَل فِيْ نَيِّف وَعِشْرِيْن سَنَة فِي أَحْكَامٍ مُخْتَلِفَة شُرِعَت لأَسْبَاب مُخْتَلِفَة، حَسَب مَا تَقْتَضِيْه الأَحْوَال؛ وَمِثْلُه لايَرْبِط بَعْضَه بَعْضًا. وَقَال بَعْضهُمْ: إِنَّ المُنَاسَبَة بَيْن الآيَات وَالسُّوَر مَوْجُوْدَة، وَهُوَ عِلْم حَسَن شَرِيْف يَنْبَغِيْ الاعْتِنَاء بِه، وَقَلّ اعْتِنَاء المُفَسِّرِيْن بِهِ لِدِقَّته وَإِعْجَازه.

المَلْحُوْظَة: وَمعْرِفَة المُنَاسِبَات وَالرَّبْط لَيْسَت أَمْرًا تَوقِيْفِيًا، لٰكِنَّهَا تَعْتَمد عَلىٰ اجْتِهَاد المُفَسِّر؛ فَإِنْ كَانَت دَقِيْقَة المَعْنى، مُنْسجِمَة مَعَ السِّيَاق، مُتَّفِقَة مَعَ الأُصُوْل اللُّغَوِيَّة فِي عُلُوْم العَرَبِيَّة؛ كَانَت مَقْبوْلَة لَطِيْفَة.

المُلُوْكُ إلىٰ رَعَايَاهُمْ حَسَبَ مُقْتَضَيَاتِ الأحْوَال فَرْمَانًا، وَبَعْدَ زَمَانٍ يَكْتُبُوْنَ فَرْمَانًا آخَرَ، وَهَلُمّ جَرّا؛ حَتّٰى تَجْتَمِع فَرَامِيْنُ كَثِيْرَة، فَيُدَوِّنُهَا شَخْصٌ، وَيَجْعَلُهَا مَجْمُوْعًا مُرَتَّبا؛ كَذٰلِكَ أَنْزَل المَلِكُ عَلَى الإطْلاق -جَلَّ شَأْنُهُ- عَلىٰ نَبِيِّهِ ﷺ لِهِدَايَة عِبَادِه سُوْرَةً بَعْدَ سُوْرَةٍ حَسَبَ مُتَطَلَّبَاتِ الظُّرُوْف(١).

- جَمْعُ القُرْآنِ:

وَقَدْ كَانَتْ كُلُّ سُوْرَةٍ فِيْ عَهْدِ النَّبِيّ -ﷺ- مَحْفُوْظَةً مَضْبُوْطَةً عَلىٰ حِدَةٍ، ثُمَّ دُوِّنَتِ السُّوَر كُلُّهَا فِيْ مُجَلَّدٍ وَاحِدٍ بِتَرْتِيْبٍ خَاصٍّ فِيْ عَهْدِ أَبِيْ بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ وَسُمِّيَ هٰذَا المَجْمُوْعُ بِـ"المُصْحَفِ"(٢).

---

(١) قَوْله: (حَسَبَ مُتَطَلَّبَاتِ الظُّرُوْف): واعْلَمْ! إنْ كَانَ الارْتِبَاط ظَاهِرا بِتَعَلّق الْكَلم بَعْضه بِبَعْض، فَلَاكَلَام فِيْ هٰذَا الْقِسْم؛ وَإنْ لَمْ يَظْهَر الارْتِبَاط؛ بَلْ يَظْهَر أنّ كُلّ جُمْلَة مُسْتَقِلَّة؛ فَإنْ كَانَت الثَّانِيَة مَعْطُوْفَة عَلَى الأوْلىٰ، فَلَابُدَّ أنْ يَكُوْن بَيْنَهُمَا جِهَة جَامِعَة؛ وَإنْ لَمْ تَكُن الثَّانِيَة مَعْطُوْفَة عَلى الأوْلىٰ، فَلَا بُدَّ مِنْ دِعَامَة تُؤْذِن بِاتِّصَال الْكَلَام، وَهِي قَرَائِن مَعْنَوِيَّة تُؤْذِنُ بِالرَّبْط؛ وَلَه أسْبَاب: التَّنْظِيْرُ، والمُضَادَّة، والاسْتِطْرَادُ، وحُسْنُ التَّخَلُّصِ، والانْتِقَالُ (وهوَ الاقْتِضَاب)، وحُسْنُ الطَّلَب.

نَعَمْ! قَدْ تَكُوْن المُنَاسَبَة فِي مُرَاعَاة حَال المُخَاطِبِيْن، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝﴾ [الغاشية]، فَجَمَع بَيْن الإبِل وَالسَّمَاء وَالجِبَال مُرَاعَاة لأهْل البَادِيَة. (رَوح القدير)

(٢) قَوْله: (المُصْحَف): الجَمْع القُرْآني قَدْ مَرّ فِي أطْوَار ثَلَاثَة: الجَمْع النَّبوي لِلقُرْآن، الجَمْع البَكْرِيُّ، وَالجَمْع العُثْمَاني.

١- الجَمْع النَّبَوِي: هُوَ كِتَابَة الْقُرْآن الْكَرِيْم فِيْ عَهْد رَسُوْل اللهﷺ وَفْق الأحْرُف السَّبْعَة المُرَوِّجَة فِي لِخَاف الحِجَارَة وَعُسُبِ النَّخْل وَالأكْتَاف وَالأقْتَاب وَالرِّقَاع وَقِطَع الأدِيْم مِنْ غَيْر ضَمّ فِي مُصْحَف وَاحِد؛ وَالكِتَابَة القُرْآنِيَة هٰذِه بَدَأت فِي أوّل مَرْحلَة مُبْكرَة فِي مَكَّة، كَمَا دَلّ عَلَيْه قِصَّة إسْلَام أبِيْ حَفْص عُمَر.

وَمِنْ قبِيْل جَمْع القُرْآن: تَنَافُس الصَّحَابَة فِي حِفْظ الْقُرْآن، وَعَرْض الصَّحَابَة عَلىٰ رَسُوْل اللهﷺ مَا حَفِظُوْه، وَعَرْض الرَّسُوْل عَلىٰ جِبرِيْل، وَعَرْض جِبْرِيْل عَلَى الرَّسُوْل بِالقُرْآن كُلّ عَام فِيْ رَمَضَان، وَكَوْن هٰذِهِ المُعَارَضَة مَرَّتَيْن فِي الْعَام الَّذِي قُبِض فِيْه رَسُوْل اللهﷺ، وهٰذِه هِيَ "العَرْضَة الأخِيْرة".

٢- الجَمْع البَكْرِيُّ: لَمَّا خَافَ أَبُوْبَكر وَعُمَر عَلى الْقُرْآن حِيْن قُتِل قَرِيْب مِن خَمْس مِأة مِنْ قُرَّاء الْقُرْآن؛ فَأمَر بِالجَمْع زَيْد بْن ثَابِت؛ فَجَعَل يَكْتُب بَعْد الإشْهَاد وَالاسْتِيْثَاق عَلى التَّرْتِيْب وَالضَّبط المُتَلَقّى مِن رَسُوْل=

تَقْسِيْمُ السُّوَر:

وَقَدْ كَانَتِ السُّوَرُ مَقْسُوْمَةً عِنْدَ الصَّحَابَة إِلىٰ أَرْبَعَةِ أَقْسَام:

القِسْم الأَوَّل: السَّبْعُ الطُّوَلُ الَّتِيْ هِيَ أَطْوَلُ السُّوَر؛ وَالقِسْمُ الثَّانِي: المِئُوْن، وَهِيَ: الَّتِيْ تَشْتَمِل كُلّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَلىٰ مِائَةِ آيَةٍ، أَوْ تَزِيْدُ قَلِيْلًا؛ وَالقِسْمُ الثَّالِثُ: المَثَانِي، وَهِيَ: مَا تَقِلُّ آيَاتها عَنِ المِائَة؛ وَالقِسْم الرَّابِع: المُفَصَّل.

وَقَدْ أُدْخِلَتْ سُوْرَتَانِ أَوْ ثَلاثٌ -هِيَ مِنْ عِدَاد المَثَانِي- فِي المِئِيْن، لِمُنَاسَبَة سِيَاقهَا بِسِيَاق المِئِيْن؛ وَهٰكَذَا جَرَى التَّصَرُّفُ فِيْ بَعْض الأَقْسَام الأُخْرىٰ أَيْضًا[1].

=الله ﷺ وفق العرْضَة الأخِيْرَة، فَكُتِب القُرْآن فِي صُحُف، ثُمّ ضُمّت فِي مُصْحَف وَاحِد مَعَ حِفْظ وأَمَانَة.

المُصْحَف: هُوَ جَامِع الصُّحُف الَّتِي كُتِب فِيْها القُرْآن الْكَرِيْم مَعَ تَرتِيْب آيَاته وَسُوَره؛ وَإِنَّما لَمْ يَجْمَعْه رَسُوْلُ الله ﷺ لعَدَم تَمَام النُّزُوْل، وَلِمَا يَترَقَّبه مِنَ النَّسْخ ونَحْوِه.

٣- الجَمْع العُثْمَانِي: لَمَّا تَفَرَّق كِبَار الصَّحَابَة فِي الأَمْصَار بَعْد وَفَاة عُمَر بْن الخَطَّاب، وَكَانَت القِرَاءَات المُخْتلِفَة مَأْلُوفَة لَدَى الصَّحَابَة فِي تَغَايرهَا وَاخْتِلَاف أَدَائهَا؛ فَجَاء المُسْتأْخِرُوْن وَجَعَل كُلّ مِنهمْ يُحَسِّن قِرَاءَته وَيَذمّ قِرَاءَة الآخرِيْن، وَجَعَل بَعْضهُمْ يَعِيْب عَلىٰ بَعْض؛ فَهَرَع حُذَيْفَة بن اليَمَان إِلىٰ خَلِيْفَة المُسلِمِيْن عُثْمَان: "أَنْ أَدْرِك هٰذِه الأُمَّة قَبْل اخْتِلَافهَا عَلىٰ كِتَاب رَبِّهَا"؛ لأَنَّ الصَّحَابة لَمْ يَشْتَرِطُوا فِيْما اكْتَتَبُوْا لأَنْفُسِهِمْ مَا اشْتَرَط أَبُوْبَكْر فِيْ جَمْعِه مِنَ الإِشْهَاد وغَيْره.

فَأَشَارَ عَلَيْه بِكِتَابَة الصُّحُف الَّتِيْ كَتَبَهَا أَبُوْبَكْر نُسَخا أُخرىٰ تُوَزَّعُ عَلَى البُلْدَان؛ فَبَعَث عُثْمَان فِيْ طَلَب الصُّحُف الَّتِي عِند حَفْصَة، وَشَكَّل عُثْمَان لَجْنَةً لِتوْثِيْق المُصْحَف مَرَّة أُخرىٰ، وَجَمَع النَّاس عَلَى القِرَاءَات الثَّابِتَة عَنْ رَسُوْل الله ﷺ وَفْق الْعرْضَة الأخِيْرَة، وَنُسِخَت خَمْسَة أَوْ سَبْعَة مَصَاحِف؛ وَأَمَر عُثْمَان بِتحْرِيْق المَصَاحِف الَّتِي فِي الأَمْصَار، وَأَرْسَل مَعَ كُلّ مُصْحَف عَالِمًا لإِقْرَاء النَّاس القُرْآنَ بِمَا يَحْتمِله رَسْم المُصْحَف.

القَائدَة المُهِمَّة: فَعُلم مِنْ هٰذا التَّقْرِيْر أَنَّ أَبَا بَكْر هُوَ جَامِعُ القُرْآن، وَعُثْمَان هُوَ جَامِعُ النَّاس عَلَى القُرْآن وَفْق العَرْضَة الأَخِيْرَة.

المَلحُوْظَة: فِي هٰذَا البَحْث كَثِيْرٌ مِنَ الفَوائِد الَّتِي لَخَّصْتُهَا -بِفَضْل الله تَعَالىٰ- بَعْد مُطَالَعَة عَشَرَات مِنَ الصَّفْحَات، وَذَكَرتُها فِي صَفَحَات "رَوْح القَدِيْر فِي أُصُوْل التَّفْسِيْر وَقَواعِده".

(١) قَوْله: (جَرَى التَّصَرُّف): قَالَ ابْن عَبَّاس: قُلْتُ لِعُثْمَان بْن عَفَّان: مَا حَمَلَكُم أَنْ عَمَدْتُمْ إِلىٰ بَرَاءَة -وَهِيَ مِنَ المِئِيْن- وَإِلى الأَنْفَال -وَهِي مِنَ المَثَانِي-، فَجَعَلْتُمُوْهُمَا فِي السَّبْع الطِّوَال، وَلَم تَكْتُبُوْا بَينَهمَا سَطَرَ: بِسْم الله الرَّحمٰن الرَّحِيْم؟ قَالَ عُثْمَان: كَانَ النَّبِيّ ﷺ مِمَّا تَنَزَّل عَلَيْه الآيَات فَيَدعُو بَعْض=

- **الجَمْعُ العُثْمَانِي**[1]:

وَقد اسْتَنْسَخَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِدَّةَ نُسَخٍ مِنْ ذٰلِكَ المُصْحَفِ، وَأَرْسَلَهَا إِلَى الآفَاقِ لِيَسْتَفِيْدَ المُسْلِمُوْنَ مِنْهَا، وَلا يمِيْلُوا إِلىٰ تَرْتِيْبٍ آخَرَ.

[أَسَالِيْبُ السُّوَرِ]

- **البَرَاعَةُ المُعْجِزَةُ فِيْ اسْتِهْلَال السُّوَر علىٰ أُسْلُوْبِ الفَرَامِيْن:**

وَلَمَّا كَانَتْ بَيْنَ أُسْلُوْبِ السُّوَرِ وَأُسْلُوْبِ فَرَامِيْن المُلُوْك مُنَاسَبَةٌ تَامَّة، رُوْعِيَ فِي البِدَايَة وَالنِّهَايَة طَرِيْق المَكَاتِيْب[2].

= مَنْ كَانَ يَكتُب لَه وَيقول لَه: ضَعْ هٰذِه الآيَة فِي السُّوْرَة الَّتِي يُذْكَر فِيها كَذَا وَكَذَا، وَتَنْزِلُ عَلَيْه الآيَة أوِ الآيَتَان فَيَقوْل مِثْل ذٰلِكَ، وَكَانَت الأَنفَال مِنْ أَوَّلِ مَا أُنزِل عَلَيْه بِالمَدِيْنَة، وَكَانَت بَراءَة مِنْ آخِرِ مَا نَزَل مِنَ القُرْآن، وَكَانَت قِصَّتهَا شَبِيْهَة بِقِصَّتهَا، فَظَنَنْت أَنَّهَا مِنْها؛ فَمِنْ هُنَاك وَضَعتُهَا فِي السَّبْع الطِّوَال، وَلَمْ أَكْتُبْ بَينَهُمَا سَطر: بِسْم الله الرَّحْمٰن الرَّحِيْم. (ابو داؤد: ٧٨٦)

(١) قَوْله: (الجَمْع العُثْمَانِي): والفَرْق بينَ جَمْع أَبِيْ بَكْر وعُثْمَان:

البَاعِث لَدى أَبِيْ بَكْر لجمْع القُرْآن: خَشْية ذَهَابه بِذَهَاب حَمَلَة الْقُرْآن، وَجَمْع مَا كَان مُفَرَّقا فِي الرِّقَاع وَالأَكْتَاف وَالعَسَب فِي مُصْحَف وَاحِد مُرَتَّبا لِلآيَات مُشْتمِلا عَلَى الأَحْرُف السَّبْعَة الَّتِي نَزَلَ بِهَا القُرْآن.

وَالباعِث لَدى عُثْمَان: كَثْرَة الاختِلَاف فِي وُجُوْه القِرَاءَة، وَجَمْع مَا كَانَ مُفَرّقا فِي المَصَاحِف فِي مُصْحَف وَاحِد مُقْتَصرًا عَلىٰ لُغَة قُرَيْش -مُحْتَجًا بِأَنَّه نَزَلَ بِلُغَتهِم-، مُرَتَّبا لِلسُّوَر، مُشْتَمِلا عَلىٰ حَرْف زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ طِبْقًا للعَرَضة الأَخِيْرَة، دُوْن مَا عَدَاه مِنَ الأَحْرُف الأُخرىٰ. (رَوح القدير)

(٢) قَوْله: (رُوْعِيَ فِي البِدَايَة وَالنِّهَايَة): يَنبَغِي لِلبَلِيْغ أَنْ يَّتأَنَّق مِنْ كَلَامِه فِي ثَلَاثَة مَوَاضِع: فِيْ ابْتِدَاء كَلَامه، فَيُزَيِّنُه بِحُسْن الابْتِدَاء؛ وَعِنْد الانْتِقَال مِنْ مَعْنًى إِلىٰ مَعْنًى آخر، فَيُزَيِّنه بِحُسْن التَّخلُّص، أَوِ الاقْتِضَاب، أَوْ الاسْتِطْرَاد؛ وَعِنْد انْتِهَاء كَلَامِهِ، فَيُزَيِّنه بِحُسْن الانْتِهَاء. (رَوح القدير)

حُسْن الابْتِدَاء: هُوَ انْتِقَاء المُتَكَلِّم لابْتِدَاء كَلَامه الأَلْفَاظ العَذْبة، وَتَخَيْرُه النَّظْم الأَجْوَد، وَإِتْيَانه بِالْمَعْنى الصَّحِيْح المُطَابق لِمُقْتَضى الحَال؛ فَاسْتَهَلَّ الله سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ السُّوَر عَلىٰ أَحْسَن الْوُجُوْه وَأَبْلَغهَا وَأَكْمَلهَا، إِمَّا: بِحَمْده تَعَالىٰ، أَوْ بِالتَّسْبِيْح، أَوْ بِالنِّدَاء، أَوْ بِالقَسَم، أَوْ بِحُرُوْف الْهِجَاء، أَوْ بِبَيَان غَرَض التَّنْزِيْل، أَوْ بِذِكْر الْمُرْسِل وَالْمُرسَل إِلَيْه، أَوْ عَلىٰ أُسْلُوْب الرِّقَاع وَالشِّقَق بِغَيْر عُنْوَان؛ كَمَا أَنَّ المُلُوْك يَبْتدِؤن فَرَامِيْنهُم بِحَمْد الله، أو بِبَيَان غَرَض الإِمْلَاء، أَوْ بِبَيَان اسْم المُرسِل وَالمُرْسَل إِلَيْه. (رَوح القدير)

١- فَكَمَا أَنَّهُمْ يَبْتَدِؤُن بَعْضَهَا: بِحَمْدِ الله تَعَالىٰ، وَبَعْضَهَا: بِبَيَانِ غَرَضِ الإِمْلاء، وَبَعْضَهَا: بِبَيَانِ اسْمِ المُرْسِلِ وَالمُرْسَلِ إِلَيْه؛ وَبَعْضَهَا تَكُوْن رُقْعَةً وَشِقَّةً بِغَيْر عُنْوَان، وَبَعْضَهَا تَكُوْن طَوِيْلَةً وَأُخْرٰى مُخْتَصَرَةً؛ كَذٰلِكَ اسْتَهَلّ الله تَعَالىٰ بَعْضَ السُّوَر بِالحَمْد وَالتَّسْبِيْح،[1] وَبَعْضهَا بِبَيَان غَرَض التَّنْزِيْل، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة]، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا﴾ [النور۝١].

وَهٰذَا القِسْمُ مِنَ السُّوَر يُشبِهُ بِمَا يَكْتُبُوْنَ[2]: "هٰذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ"، وَ"هٰذَا مَا أَوْصٰى بِهِ فُلَانٌ"؛ وَقَدْ كَتَبَ النَّبِيّ ﷺ فِيْ صُلْحِ الحُدَيْبِيَة: "هٰذَا مَا قَاضٰى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ ﷺ"[3].

٢- وَاسْتَهَلّ بَعْضَهَا بِذِكْر المُرْسِلِ وَالمُرْسَلِ إِلَيْه، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿تَنزِيلُ

---

(١) قَوْله: (بالحَمْد والتَّسْبِيْح): مِثَال الحَمْد، قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١﴾ [الكهف]؛ وَمِثَال التَّسبِيْح، قَوْله تَعَالىٰ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١﴾ [الصف]؛ وَمِثَال غَرَض التَّنْزِيْل، قَوْله تَعَالىٰ: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝١﴾ [النور]؛ وَمِثَال ذِكْر المُرسِل وَالمُرْسَل إِلَيْه، قَوْله تَعَالىٰ: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [الأحقاف]؛ وَمِثَال أُسْلُوْب الرقَاع بِغَيْر عُنْوَان، قَوْله تَعَالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة]؛ وَمِثَال النِّدَاء، قَوْله تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١﴾ [التحريم]؛ وَمِثَال القَسَم، قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر]؛ وَمِثَال حُرُوْف الهِجَاء، قَوْله تَعَالىٰ: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢﴾. (روح القدير)

(٢) قَوْله: (بِمَا يَكْتُبُوْنَ): أي: فِي اسْتِهلال الوَثَائِق والمُعاهدات. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (هٰذَا ما قَاضٰى إلخ): أَخْرجَه البُخاري عَنِ البَرَاء بن عَازِب فِي الصُّلح: ٢٦٩٩، وَ فِي الشُّرُوْط: ٢٧٣١، وَ فِي الجِزْيَة: ٣١٨٤، وَ فِي المَغَازِي: ٤٢٥١؛ وَأَخْرجَه مُسْلِم فِي الجِهَاد وَالسِّيَر: ١٧٨٣.

(المعرِّب بزيادة)

ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [الجاثية]، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ(١) خَبِيرٍ ۝١﴾ [هود].

وَهٰذَا القِسْم يُشْبِه بِمَا يَكْتُبُوْن: "صَدَرَ الحُكْمُ مِنَ البَابِ العَالِي"، أَوْ يَكْتُبُوْن: "هٰذَا إِعْلَامٌ مِنْ حَضْرَة الخِلَافَةِ إِلىٰ سُكَّانِ البَلَدِ الفُلَانِي بِأَنَّ إلخ"؛ وَقَدْ كَتَبَ النَّبِيّ ﷺ: "مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُوْلِ اللهِ(٢) إِلىٰ هِرَقْلَ عَظِيْمِ الرُّوْم".

٣- وَاسْتَهَلَّ بَعْضَهَا عَلىٰ أُسْلُوْبِ الرِّقَاع(٣) وَالشِّقَقِ بِغَيْر عُنْوَانٍ(٤)، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ [المنافقون۝١]، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة۝١]، وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ(٥) لِمَ تُحَرِّمُ﴾ [التحريم۝١].

---

(١) قَوْله: (حَكِيْمٍ خَبِيْرٍ): وَيتعَلّق بِهٰذِه الآيَة قَاعِدَة: "الاِقْتِرَانُ الْوَارِدُ فِي الْقُرْآنِ بَيْنَ بَعْضِ الْأَسْمَاءِ الْحُسْنىٰ يَدُلُّ عَلىٰ مَزِيْدٍ مِّنَ الْكَمَالَاتِ"، (قواعد:١٥٩).

(٢) قَوْله: (مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُوْلِ اللهِ إلخ): أَخرَجه البُخاري في كتابهِ ﷺ إلىٰ هِرَقل، عنْ ابنِ عبَّاس: ٤٥٥٣؛ ومُسْلم في الجِهاد والسيَر: ١٧٨٤ في تِلك القِصَّة، وأَخرجَه ثانِيا في الجِهاد والسِّير عنْ أنس في صُلْح الحدَيْبِيَة: ١٧٨٤. (المعرِّب بزيادة)

(٣) قَوْله: (الرِّقَاع): جمعُ الرُّقْعَة؛ قِطعَةٌ مِنَ الوَرق الَّتِيْ يُكتَب عَلَيْها: پرچہ؛ والشِّقَق جمعُ الشِّقَّة: مَا شُقَّ مِن ثَوْب أَوْ وَرَق مُسْتطِيْلا: کپڑے وغیرہ کی لمبی چِٹ۔ (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (بِغَيْر عُنْوَانٍ): نحو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرٗا ۝٢﴾ [الصافات]، وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوٗا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرٗا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرٗا ۝٣﴾ [الذاريات]، وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ [التكوير]. نعَمْ! وقدْ يَكُون صَدْر الكَلام فِيْ بعْضِ السُّوَر عَلىٰ مَنْهج رَسائِل العَرَب بدُوْن رِعَايَة شَيء، مِثْل محاوَرَة النَّاس؛ إِلَّا أَنَّه يُختَم كُل كَلام بشَيءٍ يَكُوْن مَبنِيًّا عَلى الاختِتَام.

(٥) قَوْله: (يٰأيُّها النَّبِيُّ): وَاختُلِف فِي الخطاب الخَاصّ بِالرَّسُوْل، كَقوْله تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝١﴾ [الأحزاب]، فَذهَب قَوْم إِلىٰ: أَنّه يَشْمَل الأُمّة بِاعْتِبَاره قُدْوةً لهَا؛ وَذَهَب آخَرُوْن إِلىٰ: أَنّه لَا يَشْمَلُهَا، لِأَنَّ الصِّيْغَة تَدُل عَلىٰ اخْتِصَاصه بِهَا.

وَفِيْه قَاعِدَة: "الخِطَابَاتُ العَامَّةُ فِيْ القُرْآن تَشْمَل النَّبِيّ ﷺ، كَمَا أَنَّ الخِطَاباتِ المُوَجَّهَةَ إِلَيْهِ -عَلَيْه السَّلَامُ- تَشْمَلُ الأُمّةَ إِلا لِدَلِيْل"، (١٤٣)، واعْلَمْ! أَنَّ أَنْواع الخِطَابات فِيْ القُرْآن الموجَّهة للنَّبِيّ ﷺ ثلاثة: =

٤- مَنْهَجُ القَصَائِدِ فِيْ اسْتِهْلَال بَعْضِ السُّوَر:

وَلَمَّا كَانَتْ فَصَاحَةُ العَرَب تَتَجَلّٰى فِي القَصَائِد[١]، وَكَانَ مِنْ عَادَاتِهِمُ القَدِيْمَةِ فِيْ مَبْدَأ القَصَائِد[٢] "التَّشْبِيْبُ"[٣] بِذِكْر المَوَاضِع العَجِيْبَةِ وَالوَقَائِع الهَائِلَةِ[٤]؛

= الأوّل أنْ يرِد دَلِيْل -متَّصِل أو منفَصِل أو قرِيْنَة- عَلىٰ اختِصَاص الخِطاب به؛ وحُكمُه: أنه يختَصُّ بالنبيِّ ﷺ؛ والثَّاني: مَا فيْه دَلِيْل أو قرِيْنة عَلى التَّعمِيْم، فهٰذَا الخِطاب محْمُوْل عَلى التَّعمِيْم؛ والثَّالث ما ليْسَ فيه دَلِيْل يَدُلُّ عَلى التَّعْمِيْم أو التَّخْصِيْص، فهٰذَا أيضا محَمُوْل عَلى التَّعْمِيم.

فمِثَال الأول قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا "خَالِصَةً لَّكَ" مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب٥٠]؛ ومِثَال الثَّاني قَوْله تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ [الطلاق١]، فالخِطاب فيْ أوّل الآيَة مُوجّه لِلنَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَال بَعدَ ذٰلِكَ ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ﴾ بِصِيغَة الجَمْع، وهٰذه قرِيْنَةٌ عَلىٰ أنّ الخِطاب موَجّه لجمِيْع الأمَّة؛ ومِثَال الثَّالث قَوْله تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ [الأحزاب]. (قواعد:٥٧٨)

(١) قَوْله: (فَصَاحَةُ العَرَب تَتَجَلّٰى): اعْلَم! أنّه قد استعْمَل القُرآن لُغَة القَوم الَّتِيْ اعتزُّوْا بهَا أيّمَا اعتِزَاز، وافتخَرُوا ببيَانِها عَلىٰ غَيْرِهم مِن الأمَم، حَتى صَار كلُّ مَن لايَعرف لغتَهم أعجَمِيًّا، ولوْ كانَ ناطِقا سَوِيًّا؛ فاستعْمَل القُرآن لغَةَ القَوم، لٰكِن بأسْلُوب جمِيْل مُتفرِّد فيْ كلِّ صُوَره وَمَظَاهِره؛ فَجَاء بِكَلام مُعْجِز لايُمْكن المَجِيءُ بمِثْله لفظًا ومَعْنىً. (فواصل الآيات لخضر)

(٢) قَوْله: (القَصَائِد): القَصِيْدَة: هيَ مجْمُوعةٌ منْ سَبعةِ أبياتٍ شِعريَّةٍ فَصَاعدًا، ذاتُ قافِيَةٍ واحدَةٍ، ووَزْنٍ واحِدٍ، وتَفعِيلاتٍ ثابِتَةٍ، لايَتغَيَّرُ عَددُها، تَقومُ عَلىٰ وَحدَةِ البَيتِ، وتَبدَأُ عادَةً ببيتٍ مُصَرَّعٍ.

(المعجم المفصل:٣٧٦)

(٣) قَوْله: (التَّشْبِيْب): شَبَّب الشَّاعِرُ: ذَكَرَ أيَّامَ الشَّبَابِ واللَّهْو، وشَبَّب قَصيدَتَه: حَسَّنها وزَيَّنها بذِكر النِّسَاء، والعَادَة: أنْ يَكونَ التَّشْبيب فيْ مَبدأ قَصائِد المَدح؛ ثُمَّ سمِّي ابتِداء كلِّ أمرٍ تشبِيْبا، وإنْ لمْ يَكُن فِيه ذِكر الشَّباب والنِّساء؛ فَعُلِم: أنّه قَدْ يُطْلَق عَلىٰ إنْشَاد الشِّعْر وَإنْشَائِه، وفي هٰذا المعنىٰ ما رُوِي عن مسروق:

أخرج البُخاري عنْ مسْرُوق قَال: دَخَلْنا علىٰ عائشَة -رضِيَ اللهُ عَنها- وعِندَها حَسَّان بنُ ثابِت يُنْشِدهَا شِعْرا يُشبِّبُ بأبْيَاتٍ له، وقَال: "حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُظَنُّ بِرِيبَةٍ"، "وتُصْبِحُ غَرْثَىٰ مِنْ لُحُوْمِ الغَوَافِلِ"؛ فقَالتْ له عائشَة: لٰكنَّك لَسْتَ كذٰلِك. قَال مَسْرُوقٌ: فقُلتُ لَهَا: لِمَ تأْذَنِيْن لهُ أنْ يدْخُل علَيْكِ، وقدْ قَالَ اللهُ تعَالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝١١﴾ [النور]؟ فقَالَت: أيُّ عَذابٍ أشَدُّ مِن العَمىٰ! =

فَاخْتَارَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هٰذَا الأَسْلُوْبَ فِيْ بَعْضِ السُّوَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ۝٢﴾ [الصافات]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢﴾ [الذاريات]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ [التكوير].

- **البَرَاعَةُ المُعْجِزَةُ فِيْ حُسْنِ الانْتِهَاءِ[1]:**

وَكَمَا أَنّ المُلُوْك يَخْتِمُوْن فَرَامِيْنَهُمْ: بِجَوَامِعِ الكَلِمِ[2]، وَنَوَادِر الوَصَايَا،

= قَالتْ: إنّه كانَ يُنافِحُ أوْ يُهاجِي عنْ رَسولِ اللهِﷺ. [البخاري: ٤١٤٦] (المعرَّب بزيادة)

وَقَوْله: (حَصَانٌ): أي مُحْصَنَة عَفِيْفَة، وَ(رَزانٌ): كَامِلَة العَقْل ذَات وَقَار وَثَبَات وَسُكُوْن، (مَا تُظَنُّ): مَا تُتَّهَمُ، وَ(غَرْثَى): أيْ: جَائِعَة، وَمَعْنى رَجُلٌ غَرْثَانُ وَامْرَأة غَرْثَى: لاتَغْتَاب النَّاس؛ وَ(الغَوَافِل): جَمْع غَافِلَة، وَهِيَ العَفِيْفَة الغَافِلَة عَنِ الشَّرِّ.

وفيْ حَديْث أمِّ مَعبدٍ: "فلمَّا سَمِع حَسَّان شِعْر الهاتِف شَبَّب يُجاوِبُه"، أي: ابْتَدأ في جَوابه، مِنْ: تَشْبِيْب الكتُب، وَهوَ الابْتِدَاءُ بِهَا والأَخْذُ فِيْها، وَلَيسَ مِن تَشْبِيبٍ بالنِّسَاء في الشِّعْر. (لسان العرب)

(٤) قَوْله: (وَالوَقَائِع الهَائِلَةِ): ومِن هٰذَا القَبيل قاعِدة: "التَّفْسِيْرُ بَعْدَ الْإِبْهَامِ يَدُلُّ عَلَى التَّهْوِيْلِ وَالتَّعْظِيْمِ" (قواعد: ١٦٤).

(١) قَوْله: (حُسْنِ الانْتِهَاء): حُسْن الانْتِهَاء: هُوَ إِتْمَام الْكَلَام بِمُرَاعَاة مَا رُوْعِي فِي حُسْن الْابْتِدَاء مِنْ تَخَيُّر الْأَلْفَاظ الْعَذْبة، وَالنَّظْم الجَيِّد، مَعَ صِحَّة الْمَعْنى الْمُشْعِر بِانْتِهَاء الْكَلَام، وَمُطَابَقتِه لمُقْتَضى الْحَال؛ فَخَتَم الله تَعَالَى أَوَاخِر السُّوَر بِجَوَامِع الْكَلِم، وَمَنَابِع الْحِكَم، وَالتَّاكِيْد الْبَلِيْغ وَالتَّهدِيْد الْعَظِيْم، كَمَا أَنّ الْمُلُوْك يَخْتمُوْن فَرَامِيْنَهُمْ بِجَوامِع الْكَلِم وَالتَّاكِيْد الْبَلِيْغ وَالتَّهدِيْد الشَّدِيْد. (رَوح القدير)

(٢) قَوْله: (بِجَوَامِعِ الكَلِم): هِيَ الكَلِمَات القَلِيْلَة الجَامِعَة لِلمَعَانِي الكَثِيْرَة. وَاعلَم! أَنَّ إِيْجَاز القِصَر: هُوَ الكَلامُ القَلِيْل الذِيْ يُعْطِي مَعْنًى أَطْوَل مِنه، يَعْني: اِنْدِرَاج المَعَانِي المُتَكَاثِرَة تَحْت لَفْظ قَلِيْل، وَهٰذَا الاِيْجَاز إِمَّا أَنْ يَكُوْن بِأَنْ يَحْتَوِيَ اللَّفْظ عَلَى مَعَان مُتعَدِّدَة -وَهُوَ إِيجَاز الجَامِع-، نَحْو قَوْله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٩٠﴾ [النحل]؛ أَوْ بِأَنْ يُقدَّر مَعْنًى زَائِد عَلَى المَنطُوْق -وَهُوَ إِيجَاز التَّقْدِيْر- كَقَوْله تَعَالَى: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ﴾ [البقرة٢٧٥]، أَيْ: فَهِيَ لَه، وَلا عَلَيْه، يَعنِي: أَنَّ مَنِ انْتَهَى عَنْ أَكْل الرِّبَا بَعْد التَّحرِيْم فَلَه مَا مَضَى مِنْ أَكْل الرِّبَا، وَلَيْس عَلَيْه رَدُّ مَا سَلَفَ. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

المَلْحُوْظَة: أَمَّا المُنَاسَبَة بَيْن السُّوَر، فَقَالُوْا: إِذَا اعْتَبَرْتَ افْتِتَاحَ كُلّ سُوْرَة وَجَدْتَه فِيْ غَايَة الْمُنَاسَبَة=

وَالتَّأكِيْدِ البَلِيْغ -بِتَمَسُّك الأوَامِر المَذْكُوْرَة-، وَالتَّهْدِيْد الشَّدِيْدِ -لِكُلِّ مَنْ يُّخالفهَا-؛ كَذٰلِكَ خَتَمَ اللهُ تَبارَكَ وَتَعَالىٰ أوَاخِرَ السُّوَر[1]: بِجَوَامِعِ الكَلِم، وَمَنَابِعِ الحِكَم، وَالتَّأْكِيْدِ البَلِيْغ، وَالتَّهْدِيْدِ العَظِيْم[2].

- **البَرَاعَةُ المُعْجِزَةُ فِيْ حُسْنِ التَّخَلُّص**[3]:

وَقَدْ يُؤْتَى فِيْ أثْنَاء السُّوَر بِالكَلام البَلِيْغ العَظِيْم الفَائِدَةِ، البَدِيْع الأسْلُوْبِ

= لِمَا خُتِم بِهِ السُّوْرَة قَبْلَها، ثُمّ هُو يَظْهَر تَارَة وَيَخْفىٰ تَارَة؛ فمِثال الأوَّل: افتِتاح سُورة البَقرة بقَوْله: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدًى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢﴾ [البقرة]، فإنَّه إشَارَة إلىٰ الصِّرَاط المُسْتَقِيم الذِي وَقَعَ فِيْ قَوله تَعَالىٰ: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ مِن سُورَة الفَاتِحَة؛ ومِثال الثَّاني: كسُوْرة الكَوْثر وسُورةِ المَاعُوْن، والمُناسَبة بَيْنَهما عَلىٰ مَا قَال الإمَام الرَّازِي: أنَّ فِي سُوْرة المَاعُوْن وَصَف الله تَعالىٰ المُنافِق بأرْبَعة أمُوْر: البُخْلِ وتَرْك الصَّلاة وَالرِّياء ومَنْع المَاعُوْن؛ وذَكَر فِي الكَوثَر فِي مُقابَلتِها أرْبَعة أمُور: فِي مُقابلة البُخل: ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ وَهُوَ الخَير الكثِيْر، وفِيْ مُقابَلة تَرْك الصَّلاة: ﴿فَصَلِّ﴾، وفِيْ مُقابَلة الرِّياء: ﴿لِرَبِّكَ﴾ أيْ: لرِضاه، وفِي مُقابَلة مَنْع المَاعُوْن: ﴿وَٱنۡحَرۡ﴾ وَأرَاد بِهِ التَّصدُّق بلُحُوْم الأضَاحِي. (ملخص من نفحات العبير)

أمَّا تَرتِيْب السُّوَر بِحَسَب النُّزُوْل مَعَ التَّنْصِيْص فَرُوِيتْ فِيْه رِوَايَات، وَمِنْ أهَمِّهَا: رِوَايَة أبِيْ عَمْرو الدَّانِي بِسَنَده إلىٰ جَابِر بْن زَيْد، وَرِوَايَة عَطاء بْن أبِيْ مُسْلِم الخُرَاسَانِي عَن ابْن عَبَّاس. وَتَفْصِيْله مَذْكُوْر فِيْ مُعْجَم عُلوْم القُرْآن.

(١) قَوْله: (خَتَمَ اللهُ): وفيه قاعدة: "كَثِيْرًا مَّا تُخْتَمُ الآيَاتُ القُرْآنِيَّة بِبَعْضِ الأسْمَاءِ الحُسْنىٰ لِلتَّدْلِيْل عَلىٰ: أنَّ الحُكْمَ المَذْكُوْرَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِذٰلِكَ الاسْمِ الكَرِيْم"، (قواعد: ١٨٦).

(٢) قَوْله: (وَالتَّهْدِيْدِ العَظِيْم): فَخَتَم اللهُ تَعالىٰ السُّوَر بالأدْعِيَة -كَمَا فِيْ البَقَرة-، وبِالوَصَايا -كَمَا فِيْ آل عِمْران-، وبالفَرَائِض -كَمَا فِيْ النِّسَاء-، وبالتَّحْمِيد والوَعْد والوَعِيْد -كَمَا فِي المَائِدة-، وبالتَّحرِيْض عَلىٰ العِبادَة -كَمَا فِيْ الأعْرَاف-، وبالحَضِّ عَلىٰ الجِهاد وصِلَة الأرْحَام -كَمَا فِي الأنْفَال-، وبالتَّهْلِيْل -كَمَا فِي البَرَاءَة-، وبالتَّسْلِيَة -كَمَا فِي يُونُس-، وبِوَصْف القُرْآن، كَمَا فِي يُوْسُف.

مِثَال التَّأكيْد البَلِيْغ، قَوله تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ [الضحىٰ]، ٢- ومِثال التَّهْدِيْد الشَّدِيْد، كقَوله تعَالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التكاثر]، وقَوله تَعالىٰ: ﴿إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾ [الغاشية]، وقَوله تعالىٰ: ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠﴾ [البلد].

(٣) قَوْله: (حُسْنِ التَّخَلُّص): حُسْن التَّخَلُّص: هُوَ الانْتِقَال مِنْ ابْتِدَاء الكَلام إلىٰ غَرَضه مَعَ مُرَاعَاة المُنَاسَبة، كَمَا فِيْ قَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ =

الذِيْ يَشْتَمِلُ عَلىٰ نَوْعٍ مِنَ الحَمْدِ وَالتَّسْبِيْحِ، أَوْ عَلىٰ نَوْعٍ مِنَ النِّعَمِ وَالامْتِنَان، كَمَا:

١- بَدَأَ بَيَان التَّبَايُن بَيْن مَرْتَبَةِ الخَالِقِ وَالمَخْلُوْق بِقَوْله: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ۝﴾ [النمل]، ثُمَّ بَيَّنَ هٰذَا المَوْضُوْعَ فِيْ خَمْسِ آيَاتٍ بِأَبْلَغِ وَجْهٍ وَأَبْدَعِ أُسْلُوْبٍ[1].

- صَنْعَةُ الاسْتِطْرَادِ وَالتَّخَلُّص:

٢- وَبَدَأَ مُخَاصَمَةَ بَنِيْ إِسْرَائِيْلَ فِيْ أَثْنَاءِ سُوْرَةِ البَقَرَة بِقَوْله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

= تَعْقِلُونَ ۝ نَحْنُ نَقُصُّ ...۝ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ...﴾ [يوسف]؛ فَالسُّورَة الكَرِيْمَة مَوضُوْعة لقِصَّة يُوْسُف -عَلَيْه السَّلامُ-، وقَد افتُتِحَتْ بذِكر القُرآن، ثمَّ انتُقل بحُسْن التَّخلُّص مِن الافتِتَاح إلى المَقصُوْد بلا تَكَلُّف. (علم البديع)

واعلمْ! أنَّ المُناسَبة فيْ الكَلام البَليغ قدْ تَكُون بـ"التَّنْظِيْر": وَهوَ إلحاق النَّظِير بالنَّظِير؛ وَ"المُضَادّة": وهوَ التَّضَاد، كمَا بَينَ القَبْض والبَسْط، والنُّزُوْل والعُرُوج؛ وَ"الاسْتِطْراد": وَهوَ الانْتِقَالُ بمَا ابْتُدِئ بِهِ الكَلامُ إلى آخرِ لغَرَضٍ، ثُمَّ العَوْد إلَى الابْتِداء، كمَا بُدِأَ مخَاصَمَة بَني إسْرائِيْل فيْ أثْنَاء سُورة البَقَرة بقَوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ۝﴾ [البقرة]، ثمَّ خَتَمها بنَفس هٰذَا الكَلام تَنْشِيطا للسَّامِع؛ وَ"حُسْنُ التَّخَلُّص": وهوَ الانتِقَال بمَا ابتُدِئ بِهِ الكَلامُ إلَى المَقصُوْد بالكلَيَّة علىٰ وَجهٍ سَهْل بحَيْث لايُشعِر السَّامع بالانتِقَال، كمَا بدَأ المُخاصَمَة معَ أهْل الكتَاب فيْ سُورَة آل عِمْران بقَوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران۝] ليتَّضِح محلُّ النِّزَاع، ويَدُوْر الحِوَار علىٰ ذٰلك المدَّعىٰ؛ وَ"حُسْنُ الطَّلَب": وَهوَ الخُرُوْج إلَى الغَرَض بعدَ تقدُّم الوَسِيْلة، كمَا في: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝﴾؛ والعُنْوان: هوَ عُنْوَان العُلوم بأنْ يُذكَر فِي الكَلام ألفَاظ تَكُوْن مَفَاتيح للعُلوم، نحوَ قولِه تعَالىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝﴾ [الأعراف] الآية، فِيهَا عُنْوان قِصَّة بَلعَام.

(كشاف اصطلاحات الفنون، رَوح القدير)

(١) قَوْله: (فِيْ خَمْسِ آيَاتٍ): وهي: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ... ۝ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ... ۝ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ... ۝ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۝ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝﴾ [النمل]

﴿ٱذۡكُرُواْ﴾ [البقرة: ١٢٢]، ثُمَّ خَتَمَهَا بِنَفْسِ هٰذَا الكَلَامِ؛ فَابْتِدَاءُ المُحَاجَّة بِهٰذِه الكَلِمَة، وَانْتِهَاءُهَا بِهَا يَحْتَلُّ[1] مَكَانًا عَظِيمًا فِي البَلَاغَة.

٣- وَبَدَأَ المُخَاصَمَة مَعَ أَهْل الكِتَاب فِيْ سُوْرَة آل عِمْرَان بِقَوْله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩]، لِيَتَّضِحَ مَحَلُّ النِّزَاع، وَيَدُوْرَ الحِوَار[2] عَلىٰ ذٰلِكَ المُدَّعى. وَاللهُ أَعْلَمُ بِحَقِيْقَة الحَال.

الفَصْلُ الثَّانِيْ

فِيْ: تَقْسِيْمِ السُّوَرِ إِلَى الآيَاتِ، وَأُسْلُوْبِهَا الفَرِيْد

لَقَدْ جَرَتْ سُنَّةُ الله تَعَالىٰ فِيْ أَكْثَرِ السُّوَر[3] بِتَقْسِيْمِهَا إِلَى الآيَات، كَمَا كَانُوْا يُقَسِّمُوْنَ القَصَائِد إِلَى الأَبْيَات.

الفَرْقُ بَيْن الآيَات وَالأَبْيَات[4]:

وَغَايَةُ مَا يُقَالُ فِي الفَرْقِ بَيْنَهُمَا: أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا نَشَائِدُ[5] تُنْشَدُ لالْتِذَاذِ نَفْسِ

---

(١) قَوْله: (يَحْتَلُّ): احْتَلَّ المَكَانَ وبِه: حَلَّه ونَزلَه، واحْتَلَّ مَكانا عَظِيْما فِي البَلاغة: فصاحت میں اس کا بہت اہم مقام ہے۔ (المعرّب)

(٢) قَوْله: (الحِوَار): حديثٌ يجري بينَ شخصَين أوْ أكثرَ في العمَل القِصَصيّ: گفتگو، بات چیت۔ (المعرّب)

(٣) قَوْله: (فِيْ أَكْثَرِ السُّوَر): ستَقِف عَلىٰ فائِدَة التَّقيِيْد بِـ"الأَكثر" في آخِر الفَصْل. (المعرّب)

(٤) قَوْله: (الفَرْق بَيْن الأَبْيَات وَالآيَات): إِعْلَم أَنَّ القَدْر المُشْتَرك بَيْن الآيَات وَالأَبْيَات هُوَ: تَوَافُق أَجْزَاءهما وَالانْسِجَامُ بَيْنهُمَا، لِيَتَحصَّل مِنْها الحَلَاوَة وَالعُذُوْبَة المُسَمّٰى بِـ"التوَافُق التَّقرِيْبِي"؛ وَالفَرْق بَيْنَهُمَا:

١- أَنَّ بِنَاء الأَبْيَات عَلى الأَرْكَان مِنَ الأَسْبَاب وَالأَوْتَاد وَالفَوَاصِل المُسَمّٰى بِالبُحُوْر؛ وَبِنَاء الآيَات عَلَى الْكَلمَات الْمُنسَجِمَة.

٢- أَنّ مَبْنى الأَبْيَات عَلَى الْبُحُوْر الْمُقيَّدَة بِالْعرُوْض وَالقَوَافِي مَعَ تَوَسُّط تِلْك الْقَوَاعِد الْمَخصوْصَة الْمَألُوْفَة الْمُستَحْسَنة عِنْد قَوْم، دُوْن آخَرِيْن؛ وَمَبْنى الآيَات عَلَى الامْتِدَاد النَّفَسِي الْمُتَّصِف بِالوَزْن =

وَقَوَافِيْهِمِ المُتَكَلِّمِ وَالسَّامِعِ؛ إِلاَّ أَنَّ الأَبيَاتِ مُقَيَّدَةٌ بِالعَرُوْض وَالقَوَافِي(١) -الَّتِيْ دَوَّنَهَا الخَلِيْلُ بْنُ أَحْمَدَ(٢)، وَتَلَقَّاهَا مِنْه الشُّعَرَاء-؛ وَبِنَاءُ الآيَاتِ عَلَى الوَزْنِ وَالقَافِيَةِ الإِجْمَالِيَّيْن(٣)، يُشْبِهَانِ أَمْرًا طَبِيْعِيًّا؛ لا عَلَى "أَفَاعِيْلِ" العَرُوْضِيِّيْن وَتَفَاعِيْلِهِم(٤)

= وَالقَافِيَة الإِجْمَالِيَّيْن بِدُوْن تَوَسُّط قَوَاعِد العَرُوْض.

٣- أَنّ لِكُل قَوْم أُسْلُوْباً خَاصًا فِي أَبْيَاتِهِمْ بِحَيْث تَخْتَلِف قَوَانِيْن تَغرِيْدِهُمْ وَأَسَالِيْب تَلْحِيْنِهُمْ عَنْ آخَرِيْن؛ وَأُسْلُوْب الآيَات أُسْلُوْب فِطْرِي عَامّ مُتَّصِف بِالحُسْن الإِجْمَالِي وَالجَمَال الفَنِّي. (رَوح القدير)

(٥) قَوْله: (نَشَائِد): جمع النَّشِيْد والنَّشِيْدة، والنَّشِيْدة: قطعة موسِيْقِيَّة مُغَنَّاةٌ تُنْشِدها جماعةٌ، ومنْها: النشيدُ المَدْرَسِيُّ والنشيدُ الوَطَنِيُّ. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(١) قَوْله: (بِالعَرُوْض وَالقَوَافِي): العَرُوْض: مِيْزانُ الشِّعْر الذِيْ يَظْهَر بِهِ المُتَّزِن مِن المُخْتَلّ؛ والقَافِيَة: آخِر كلمَةٍ فِي البَيْت، أَوْ هِيَ: مِن آخِر سَاكِن فِيْه إِلىٰ أَوَّل سَاكِن يَلِيْه مَع المُتَحَرِّك الذِي قَبْل السَّاكِن؛ فلَوْ قلتَ مَثلاً: "مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عليَ مَنْ لَمْ يَنَمْ"، كانتِ القَافِيَة: "لَمْ يَنَمْ". (المعرّب)

(٢) قَوْله: (الخَلِيْل بنُ أَحْمَد): هوَ خَلِيْل بنُ أَحْمَدَ القَرَاهِيْدي مِن: أَئِمَّة اللُّغَة، والأَدَب، وواضِع عِلم العَرُوْض، وهوَ أُسْتَاذ سِيْبَوَيْه؛ وُلِد سَنَةَ: ١٠٠هـ، وتُوُفِّي سَنة: ١٧٠هـ. (المعرّب)

(٣/ ١) قَوْله: (الوَزْنِ وَالقَافِيَةِ الإِجْمَالِيَّيْن): فإِذَا لاحَظْنا الآية التِيْ عَلى البَحْر الطَّوِيْل -الذِيْ ضَرْبُه مَفَاعِلُنْ- بِدُوْنِ تَكَلُّف، وهُوَ قَوْله تَعَالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف٢٩]، فكُلٌّ مِن العَالِم والعَامِي يستَطِيع أَنْ يَقرأها ويُزيِّنَها بصَوته الفِطري؛ وإِذَا لاحَظْنا وزْنَه المَعْرُوف عِند العَروضِيِّين، فهُو: "فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ، فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ"؛ ومِنه قَول الشَّاعر: سَتُبْدِيْ لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلَنْ؛ وَيَأْتِيْكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِيْ؛ -وتَقْطِيعُه بالرَّمْز: [//☆/☆ - //☆/☆/☆ - //☆/☆ - //☆/☆/☆]- فَلا يَستَطِيع أَنْ يَقرَأه العَامي عَلى قواعِد العَروضِيِّين، فضْلا عَنْ أن يُزيِّنه بصَوته الفِطري.؛ فهٰذَا هُوَ الفَرْق بينَ مِيزان كَلام اللهِ عَزّوَجَلّ ووزْن كلام النَّاس. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

اعْلَمْ! أَنَّ ظاهِرَة "الإِيْقَاع اللَّفْظي" فِيْ القُرْآن الكَرِيْم لَمْ تَلقَ نَصِيْبا كبِيْرا مِن الدِّرَاسَة، كأَخَوَاتها مِن الظَّواهِر اللُّغَوِيَّة الأُخْرىٰ فِي القُرآن؛ رُبَما لتَحَرُّج بعضِ الدَّارِسِيْن مِن المسْأَلة، أَوِ الخَوْفِ مِن اقْتِرانِها بالسَّجْع المَذمُوْم فِي بَعْض أَحْواله. (فواصل لسيد خضر).

(٣/ ٢) قَوْله: (القَافِيَةِ): أَيْ: المَحمُوْدة غَيرُ المتكلِّفة؛ وهِيَ فَوَاصِل الآيْ فِيْ القُرآن. (دراسة: ١١٢)

(٤) قَوْله: (وتفاعيلهم): اعْلمْ! أَنَّ التَّفاعِيل والأَفاعِيْل والأَرْكَانَ أَلفَاظٌ مُترادِفَة؛ والأَفاعِيْل والتَّفاعِيْل: أَمْثِلة الأَجْزَاء التِيْ يَتَأَلَّف مِنْها الشِّعْر، وهِيَ أَرْبَعَة: فَعُوْلُنْ، مُفَاعِلَتُنْ، مَفَاعِيْلُنْ، فَاعِلَاتُنْ؛ وبقيةُ الأَجزاء مأْخوذة منها. (معرّب بزيادة) وَإِلَيْك هٰذَا الجَدْوَل: =

المُعَيَّنَةِ الَّتِيْ هِيَ أَمْرٌ صِنَاعِيّ وَاصْطِلاحِيٌّ(١).

جدْوَل التَّفاعِيْل

الرقم	التَّفاعِيْل	المأْخُوْذَات	الرُّكنُ الأوْلى	الرُّكنُ الثَّانية	الرُّكنُ الرَّابِعة
١	فَعُوْ + لُنْ	مركَّبَة مِن:	وَتِد مجْمُوع	سبَبِ خَفِيْف	.....
.	.....	فَا + عِلُنْ	سبَبِ خَفِيْف	وتِد مجْمُوع	.....
٢	مَفَا + عِيْ + لُنْ	مركَّبَة مِن:	وَتِد مجْمُوع	سبَبِ خَفِيْف	سبَبِ خَفِيْف
.	.....	مُسْ + تَفْ + عِلُنْ	سبَبِ خَفِيْف	سبَبِ خَفِيْف	وَتِد مجْمُوع
.	.....	فَا + عِلَا + تُنْ	سبَبِ خَفِيْف	وَتِد مجْمُوع	سبَبِ خَفِيْف
٣	فَاعِلَاتُنْ	مركَّبَة مِن:	وَتِد مَفْرُوق	سبَبِ خَفِيْف	سبَبِ خَفِيْف
.	.....	مُسْ + تَفْعِ + لُنْ	سبَبِ خَفِيْف	وَتِد مَفْرُوق	سبَبِ خَفِيْف
.	.....	مَفْ + عُوْ + لَاتُ	سبَبِ خَفِيْف	سبَبِ خَفِيْف	وَتِد مَفْرُوق
٤	مُفَاعَلَتُنْ	مركَّبَة مِن:	وَتِد مجْمُوع	سبَبِ ثَقِيل	سبَبِ خَفِيْف
.	.....	مُتَ + فَا + عِلُنْ	سبَبِ ثَقِيل	سبَبِ خَفِيْف	وَتِد مجْمُوع

الملحوظة: أمّا تفْعِيلة "فَعُوْلُنْ" خماسيّة تشتمِل على رُكنَين، والبقِيَّة سُباعيَّة تشتَمِل على ثلاثة أرْكانٍ.

(١)قَوْله: (أَمْرٌ صِنَاعِيٌّ وَاصْطِلَاحِيٌّ): اعْلَمْ أنَّ الوزنَ الشعريّ: أرْكانُ علمِ العَروضِ وأوْزانُهُ وتفاعيْلُه، وهيَ مُتحرِّكَاتٌ وسَكَنَاتٌ مُتَتابِعَةٌ عَلىٰ وَضْعٍ مَعرُوْفٍ يُوْزَنُ بِهَا أَيُّ بَحْرٍ منَ البُحورِ الآتيَةِ؛ والتَّفَاعِيْلُ الَّتِيْ تَتولَّدُ منْ ائْتِلافِ الأَسْبَابِ مَعَ: الأَوْتَادِ، والفَوَاصِلِ عَشْرَةٌ: فَعُوْلُنْ[//+/+]، فَاعِلُنْ[/+//+]، مَفَاعِيْلُنْ[//+/+/+]، مُسْتَفْ عِلُنْ[/+/+//+]، فَاعِلاتُنْ[/+//+/+]، فَاعِلاتُنْ[/+//+/+]، مُسْتَفْعِلُنْ [/+/+//+]، مَفْعُوْلَاتُ[/+/+/+/]، مُفَاعَلَتُنْ [//+///+]، مُتَفَاعِلُنْ[///+//+].

وتَتَرَكَّبُ هٰذهِ الأَوْزانُ منْ ثَلاثَةِ أَشْياءَ: أَسْبَابٌ، وأَوْتادٌ، وفَواصِلُ؛ وهٰذهِ الثَّلاثَةُ تَتكوَّنُ منْ حُرُوْفِ التَّقطِيعِ العَشْرَةِ المَجموْعةِ فِيْ "لَمَعَتْ سُيُوْفُنَا"، وَلاتَتَرَكَّبُ منْ غيرِها أبَدًا.

السَّببُ: عِبارَةٌ عنْ حرْفَيْنِ: فإنْ كانَا مُتحرِّكَيْنِ فهوَ "السَّببُ الثَّقيْلُ"، كقَوْلكَ: لِمَ، بِكَ، لَكَ[//]، وإنْ كانَ الأَوَّلُ مُتحرِّكًا والثانِيْ سَاكِنًا فهوَ "السَّببُ الخَفيفُ"، كقَوْلكَ: هَبْ، لِيْ[/+].

الوَتِدُ: عِبارَةٌ عنْ مَجمُوْعِ ثَلاثَةِ أَحْرُفٍ (اثْنانِ مُتحرِّكانِ وثَالثُهُمَا سَاكِنٌ)، ويُسمّٰى الوَتِدَ المَجموعَ، كقَولكَ: نَعَمْ، غَزَا [//+]؛ أَوْ مُتَحرِّكانِ يَتوسَّطهُمَا حَرفٌ ثالثٌ سَاكِنٌ، كقَولكَ: مَاتَ، نَصْرُ[/+/]، ويُسمّٰى: الوَتِدَ المَفروقَ.

الفَاصِلةُ: ثَلاثةٌ أوْ أَرْبعةُ مُتحرِّكاتٍ تُسمّٰى "الفَاصِلةُ الصُغرىٰ"، كقَوْلكَ: سَكَنُوْا، مُدُنَنْ[///+]؛ وإن كان الساكِنُ بعدَ أَرْبَعَةِ مُتحرِّكاتٍ تُسمّٰى "الفاصِلةُ الكبرىٰ"، كقَوْلكَ: قَتَلَهُمْ، مَلِكُنَا[////+].(ميزان)

- **التَّمَتُّعُ وَالالْتِذَاذُ بِالكَلامِ المُتَوَافِقِ هِيَ الفِطْرَةُ:**

وَأَمّا تَنْقِيحُ الأَمْرِ المُشْتَرَك بَيْنَ الآيَاتِ وَالأَبْيَاتِ -وَنُعَبِّرُ ذٰلِكَ الأَمْرَ العَامَّ بِـ"النَّشَائِدِ"[(١)]-، ثُمّ ضَبْطُ تِلْكَ الأُمُوْرِ الَّتِيْ الْتُزِمَ بِهَا فِي الآيَات -وَذٰلِكَ بِمَنْزِلَة الفَصْلِ-؛ فَكُلُّ ذٰلِكَ يَحْتَاجُ إِلىٰ تَفْصِيْلٍ. وَاللهُ وَلِيُّ التَّوْفِيْقِ!

وَتَفْصِيْلُ هٰذَا الإِجْمَال: أَنَّ الفِطْرَةَ السَّلِيْمَة تُدْرِكُ بِذَوْقِهَا -فِي القَصَائِدِ المَوْزُوْنَةِ المُقَفَّاة، وَالأَرَاجِيْزِ[(٢)] الرَّائِقَة الجَمِيْلَةِ، وَأَمْثَالِهَا- حَلاوَةً وَعُذُوْبَةً.

وَإِذَا تَأَمَّل أَحَدٌ فِيْ سَبَبِ إِدْرَاكِ تِلْكَ الحَلاوَة، وَجَدَ: أَنَّ نَفْسَ المُخَاطَب تَتَذَوَّق لَذَّةً خَاصَّةً فِي الكَلام الَّذِيْ يُوَافِقُ بَعْضُهُ بَعْضًا[(٣)]، وَيَجْعَلُهَا مُنْتَظِرًا إِلىٰ كَلامٍ آخَرَ مِثْلِه[(٤)]؛ فَإِذَا سَمِعَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ البَيْتَ الآخَرَ -مَعَ ذٰلِكَ التَّوافُقِ

---

(١) قَوْله: (بِالنَّشَائِد): وهٰذَا بمَنْزِلة الجِنْس. (المعرّب)؛ وَالنَّشيْد المَدْرَسِيُّ: قِطْعَة شِعْرِيَّةٌ يُغنّيهَا أطْفَالُ المَدَارِس جَمَاعِيا؛ وَالنَّشيْد الوَطَنِيُّ: قِطعَة مُوْسِيقِيَّة مُغَنَّاة فِي حُبِّ الوَطَن وَالتَّعلُّق بِهِ.

(٢) قَوْله: (الأَرَاجِيْز): جَمْعُ: أُرجُوْزَة، قَصَائِد شِعْرِيَّة مِنْ بَحْرِ.

(٣) قَوْله: (يُوَافِقُ بَعْضُهُ بَعْضًا): اعْلَمْ! أَنك تجِد دائِما فِي كلِّ فاصِلة مِن فواصِل الآيَات: أنْ يُختَم الكَلام بمَا يَتنَاسَب مع أَوّله، كقَوْله تَعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ١٠٣﴾ [الأنعام]؛ فقَدْ خُتِمت الآيَة بمَا يُناسِب أوّلهَا، إذِ ﴿ٱللَّطِيفُ﴾ يُلائِم ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ يُلائِم ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾؛ لأنَّ مَن يُدرِك الشَّيءَ يَكُون خَبِيرًا بِه.

(فواصل الآيات:٧٢ ملخصا)

(٤) قَوْله: (إِلىٰ كَلامٍ آخَرَ مِثْلِه): اعْلَمْ! أَنَّ هُناك قِسْما مِنَ الفَوَاصِل، يُسَمِّيْه أهلُ البَلاغَة بِـ"رَدّ الأَعْجَاز عَلَى الصُّدُوْر"، وقدْ قسَّمه ابنُ المُعتَزّ ثلاثَة أقسَام: ١- تَوافُق الفاصِلة أوّلَ كلمَة فِي صَدْر ما قَبْلها، قَالَ تعالىٰ: ﴿وَ"هَبْ" لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ٨﴾ [آل عمران]؛ وقَالَ تعالىٰ: ﴿"قَالَ" إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ١٦٨﴾ [الشعراء].

٢- تَوافُق الفاصِلة بَعضَ كلمَات الصَّدْر، نحوَ قَوْله تَعالىٰ: ﴿وَلَقَدِ "ٱسْتُهْزِئَ" بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ١٠﴾ [الأنعام]؛ وقَالَ تعالىٰ: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ "فَضَّلْنَا" بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ٢١﴾ [الإسراء]. =

وَالانْسِجَامِ(١) بَيْنَ أَجْزَاءِه، وَتَحَقَّقَ الأَمْرُ المُنْتَظَرُ- تَضَاعَفَتِ اللَّذَّةُ عِنْد ذٰلِكَ؛ وَلَمَّا كَانَ البَيْتَانِ مُشْتَرَكَيْنِ فِيْ قَافِيَةٍ وَاحِدَةٍ اِزْدَادَتِ اللَّذَّةُ ثَلاثَةَ أَضْعَافِهَا.

= ٣- توافُق الفاصِلة آخِر كلمَة فِي صَدْر ما قَبْلها، كقَوْله تَعالىٰ: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِـ"ٱلْهُدَىٰ" فَمَا رَبِحَت تِّجَـٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة]؛ وقَالَ تعالىٰ: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ "يَشْهَدُونَ"ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ [النساء].

قَوْله: (تَضاعَفت اللذَّة): وَلاخَفاء فِي أنَّ هٰذِه الآيَات صُدُورها وأعْجازُها -فَوْق مَا تحتَمِل مِن مَعاني التَّقرِيْر والجَزْم- تَتَرَقْرَق فِيْها مَوسِيْقي عَذْبة مُطردَة يأخُذ بعضُها بحُجْز بعضِها؛ حتّٰى إذا بَلغَت مَداها بالفَواصِل وَقعَت عَلىٰ قَرار مَكِين، أضْفى عَلىٰ سامِعِها دِعة ونَشْوة وبَشاشة كانَ يتطلَّبُها ويترَقَّبُها؛ فلَمْ تخلّف ظنُّه فِيها. (فواصل الآيات: ٧٤ بتقديم)

(١) قَوْله: (وَالانْسِجَامِ): والانْسِجام: هُوَ أنْ يَكوْن الكَلام -لِخُلوّه مِنَ العَقادَة- مُنْحَدرا كَتَحدُّر المَاء المُنْسَجِم، وَيَكَاد لسُهُوْلة تَركِيْبه وَعُذُوبَة ألفَاظه أنْ يَسْهل رِقّة؛ وَالقُرْآنُ كلُّه كذٰلك.

وقَالَ أهل البديع: إذا قَوِي الانسِجَام فِي النَّثْر جَاءَت قراءَتُه مَوزُوْنة بلا قَصْد لقُوّة انسِجَامه؛ ومِن ذٰلكَ مَا وَقَع فِي القُرآن مَوزُونا: فمِن: بَحْر الطَّوِيْل: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ [الكهف ٢٩]؛ ومِن المَدِيد: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [هود٣٧]، ومِن البَسِيط: ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَـٰكِنُهُمْۚ﴾ [الأحقاف٢٥]، ومِن الوافِر: ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ١٤﴾ [التوبة]، ومِن الكامِل: ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ [البقرة]، ومِن الهَزَج: ﴿فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا﴾ [يوسف٩٣]، ومِن الرَّجْز: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا﴾ ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا١٤﴾ [الدهر]، ومِن الرَّمل: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍۚ﴾ [سبأ١٣]، ومن السَّرِيع: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة٢٥٩]، ومِن المُنسَرح: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ [الدهر٢]، ومِن الخَفِيف: ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾﴾ [النساء]، ومِن المُضارِع: ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ﴾ [غافر]، ومِن المقتضِب: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [البقرة١٠]، ومِن المُجتَث: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الحجر]، ومِن المتقارِب: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾﴾ [الأعراف].

(الاتقان في علوم القرآن بزيادة يسيرة)

وأمَّا تَعرِيْفات هٰذِه البُحُور فتُذكر فِي كتُب "عِلْم العَرُوْض" فليُنظَر فِيْها، وهِيَ مَذكورَة أيْضا فِي كتَابِنا المسَمّٰى بـ"دَسْتُوْر الطُّلَبَاء"، المَطبُوْع مِن "إدارَة الصِّديق دابِيْل"، غجرات، الهند.

فَالتَّمَتُّع وَالالْتِذَاذُ بِالأَبْيَاتِ -بِهٰذَا السِّرِّ- فِطْرَةٌ قَدِيْمَةٌ فُطِرَ النَّاسُ عَلَيْهَا[1]، وَأَصْحَابُ الأَمْزِجَة السَّلِيْمَةِ مِنْ أَهْلِ الأَقَالِيْمِ المُعْتَدِلَة مُتَّفِقُوْن عَلىٰ ذٰلِكَ[2].

- **المَذَاهِبُ المُخْتَلِفَةُ فِيْ تَوَافُقِ الأَجْزَاءِ:**

ثُمَّ حَدَثَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ مَذَاهِبُ مُخْتَلِفَةٌ وَرُسُوْمٌ مُتَبَايِنَةٌ فِيْ تَوَافُق الأَجْزَاء[3] فِيْ كُل "بَيْتٍ" مِنَ الأَبْيَات، وَكَذَا فِيْ شُرُوْطِ "القَوَافِي المُشْتَرَكَةِ" بَيْن الأَبْيَاتِ.

فَالعَرَب عِنْدَهُمْ ضَوَابِطُ وَأُصُوْلٌ بَيَّنَهَا الخَلِيْلُ، وَالهُنُوْدُ يَتَّبِعُوْنَ قَانُوْنًا يَحْكُمُ بِهِ سَلِيْقَتُهُمُ اللُّغَوِيَّةُ وَقَرِيْحَتُهُمُ الفِطْرِيَّةُ[4]؛ وَهٰكَذَا اخْتَارَ أَهْلُ كُلِّ عَصْرٍ وَضْعًا مِنَ

(١) قَوْله: (فُطِرَ النَّاسُ عَلَيْهَا): اعْلَمْ! أَنَّ مَسئَلة طَرَب العَرَبِي الأَوَل بِحُسْن النَّغْم لَيْسَت خاصَّة به، إنمَا هيَ فِطرَة فِي الإنسَان، بدَلِيْل أَنَّ البَشَرِيَّة التِيْ تَعرِف العَرَبِيَّة ما زَالتْ تَطْرب قدِيْما وحدِيْثا بهٰذَا الوَقْع الصَّوْتي الجمِيْل للُغَة القُرآن الكرِيْم وتَنْفَعِل به، وإنْ كانَ العَرَبي الأَوَل كانَ أَشَدَّ تأَثُّرا بهَا نَظرا لطبِيْعة حيَاتِه.

وَلَمَّا كانَ العَرَب أمَّة مُتكلِّمَة، ولأَسْجَاع الخُطَباء والكُهَّان أَثَر السِّحْر فِي القَوْم، صارتْ أَلوَان الكَلام شُغْلَهم الأَعْظَم؛ ثمَّ جاءَ القُرآن حتّٰى مَلَك أَسْمَاعَهم وعُقُوْلَهم بَيانٌ عالٍ رَفيع، ودانَتْ لهُ الرِّقَاب والأَبْدان؛ وارتَبَطَتْ الأُمَّة بالقُرآن أَشَدَّ ما ارتَبَطَت أُمَّةٌ بكِتاب. (فواصل الآيات ملخصا)

(٢) قَوْله: (مُتَّفِقُوْنَ عَلىٰ ذٰلِكَ): عَنْ جَابِر بْن سَمُرَة قَالَ: جَالَسْت رَسُوْل الله ﷺ أَكْثَر مِنْ مِائَة مَرَّة، وَكَانَ أَصْحَابه يَتَنَاشَدُوْن الشِّعْر وَيَتذاكَرُوْن أَشْيَاء مِنْ أَمْر الجَاهلِيَّة وَهُو سَاكِت وَرُبَمَا تَبَسَّم مَعَهُم. (الشمائل المحمدية)

وَعَنْ عَمْرو بْن الشَّرِيْد عَنْ أَبِيْه قَالَ: كُنْت رَدِيْف رَسُوْل الله ﷺ فَأَنْشَدْتُّه مِائَة قَافِيَة مِنْ قَوْل أُمَيَّة بْن أَبِيْ الصَّلْت كُلَّما أَنْشدتُّه بَيْتًا قَالَ لِي النَّبِيّ ﷺ: هِيْهِ حَتّٰى أَنْشَدْتُّه مِائَة، يَعْنِي بَيْتا، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ: إِنْ كَادَ لَيُسْلِم. (الشمائل المحمدية للترمذي، ماجاء في صفة كلام رسول الله ﷺ في الشعر)

قَوْله: هِيْهِ، هِيَ كَلِمَة تُسْتَعْمل لِلاسْتِزَادَة.

(٣) قَوْله: (الأَجْزَاء): الأَجْزاء: أَرْكانُ الوَزْن. (المعرَّب)

(٤) قَوْله: (وَقَرِيْحَتُهُمْ): القَرِيْحة مِن كلِّ شَيء: أَوَّلُه وباكُوْرَتُه؛ والقَرِيْحَة مِن الإنسَان: طبِيعَتُه التِيْ جُبِل عليْها. (الوسيط، المعرَّب)

الأَوْضَاعِ(١)، وَسَلَكُوْا مَسْلَكًا مِنَ المَسَالِكِ.

- **مُلاحَظَاتٌ فِيْ الكَلامِ المَنْظُوْمِ:**

وَإِذَا أَرَدْنَا: أَنْ نَنْتَزِعَ مِنْ بَيْنِ هٰذِهِ الرُّسُوْمِ وَالمَذَاهِبِ المُخْتَلِفَةِ أَمْرًا جَامِعًا مُشْتَرَكًا، وَتَأَمَّلْنا السِّرَّ المُنْتَشِرَ الشَّامِلَ فِيْهَا؛ وَجَدْنَا: أَنَّه هُوَ "التَّوَافُقُ التَّقْرِيْبِيّ"(٢)، لا غَيْرَ!

- **الشِّعْرُ العَرَبِيُّ وَالتَّغَنُّمُ بِهَا:**

١- لأَنَّ العَرَبَ يَسْتَعْمِلُوْنَ: مَفَاعِيْلٌ(٣) وَمُفْتَعِلُنْ مَكَان مُسْتَفْعِلُنْ، وَيَعْتَبِرُوْنَ: فَعِلَاتُنْ بَدَلَ فَاعِلاتُنْ وَفْقَ القَاعِدَة، وَيَجْعَلُوْنَ: مُوَافَقَةَ "ضَرْبِ بَيْتٍ(٤)" بِضَرْبِ بَيْتٍ آخَر، وَمُوَافَقَةَ "عَرُوْضِ" بَيْتٍ بِعَرُوْضِ بَيْتٍ آخَرَ أَمْرًا مُهِمًّا؛ وَيُجَوِّزُوْن زِحَافَاتٍ(٥) كَثِيْرَةً فِي "الحَشْوِ"(٦)، بِخِلاف شُعَرَاء الفُرْس؛ فَإِنَّ الزِّحَافَاتِ عِنْدَهُمْ

---

(١) قَوْله: (الأَوْضَاع): الوَضْع: هَيئَة الشَّيءِ الَّتِيْ يَكُون عَلَيْها. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (التَّوافُق التَّقرِيْبِي): وَقَدْ مَرّ تَفصِيْله عِنْد الفَرْق بَيْن الآيَات وَالأَبْيَات قُبَيْل هٰذَا فِيْ بِدايَة هٰذَا الفَصْل.

(٣) قَوْله: (مَفَاعِيْل): الإِعْرابُ حِكائي. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (ضَرْبِ بَيْتٍ): البَيْت كَلَام تَامٌّ يَتألَّف مِنْ أَجْزَاء، وَيَنْتَهِي بِقَافيَة؛ وَلِلبَيْت مِصْرَعَان: الأَوّل يُسَمى "صَدْرا"، وَالثَّانِي "عَجزا"؛ وَآخر جُزْء مِنَ الصَّدْر يُسَمّى "عَرُوضا"، وَآخر جُزْء مِنَ العَجُز يُسَمّى "ضَرْبا"، وَمَا عَدَا العَرُوْض وَالضَّرْب فِي البَيْت يُسَمّى "حَشْوًا". (ميزان الذهب، المعرِّب)

(٥) قَوْله: (زِحَافَات): الزحاف: تغيير يَلْحق ثاني السَّبَب الخفيف أو الثقيل. (المعرِّب)

الملحوظة: التفعيلات التي تبدأ بأسباب: فَاعِلُنْ، فَاعِلَاتُنْ، مُسْتَفْع لُنْ، مُسْتَفْعِلُنْ، مُتَفَاعِلُنْ، مَفْعُوْلَاتُ؛ والتفعيلات التي تبدأ بالأوتاد: فَعُوْلُنْ، مَفَاعِيْلُنْ، مُفَاعَلَتُنْ، فَاع لَاتُنْ.

والفرق بين مُسْتَفْع لُنْ، مُسْتَفْعِلُنْ: أن الوتِد يقع بين سببَين خفيفَين في الأولى، وفي الثانية يقع في آخرها بعد سببين خفيفَين. (مُحَمَّدْ إِلْيَاس)

المَلحُوْظَة: أَمَّا الفَرْق بَيْن الزِّحَاف وَالعِلّة فهُوَ مِنْ خَمْسة أَوْجُهٍ، كَمَا يلي: =

مُسْتَهْجَنَةٌ(١).

٢- وَكَذٰلِكَ تَسْتَحْسِنُ العَرَبُ كَوْنَ القَافِيَةِ فِي البَيْتِ "قُبُوْرًا"، وَفِي البَيْتِ الآخَرِ "مُنِيْرًا"؛ بِخِلاف شُعَرَاء العَجَم(٢).

٣- وَهٰكَذَا يَرَى الشُّعَرَاءُ العُرْبُ: أَنَّ "حَاصِلْ"، وَ"دَاخِلْ"، وَ"نَازِلْ" مِنْ قِسْمٍ وَاحِدٍ(٣)، بِخِلافِ الشُّعَرَاء العَجَم.

=

العلّة	الزّحاف
١- تَغْيِيرٌ يَحْدُث فِيْ الأَسْباب والأَوْتاد	١- تَغْيِيرٌ يَحْدُث فِيْ ثَوَانِي الأَسْباب
٢- تَكون بالزّيادة والنّقْص	٢- يَكُون بالنَّقْص: بتَسْكِيْن المتحرِّك أوحَذْفِه أو بحَذْف السّاكِن
٣- تقَع في العَرُوْض والضَّرْب فقط	٣- يَقَع في جَمِيع التّفْعِيْلات
٤- إذا وَقعَتْ لزِمَتْ غالبًا، وإنْ لمْ تَلزَم سُمِّيتْ عِلّة جاريا مَجرَى الزِّحَاف	٤- إذا وَقَع لايَلزَم غَالبًا، وإنْ لَزِم سُمِّيَ زِحَافا جَارِيا مَجرَى العِلَّة
٥- إذا وَقعَتْ لزمَتْ في جمِيْع الأبْيَات	٥- إذا وَقع لا يَلزم في جمِيْع الأبيات

(٦) قَوْله: (الحشو): الحشو: أركان البَحْر الوَاقِعَة بَيْن الصَّدْر وَالعَرُوْض، وَبَيْن الابْتِدَاء وَالضَّرْب. (المعرِّب)

(١) قَوْله: (مُسْتَهْجَنَة): اسْتهْجَنه: اسْتقْبَحه. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (قُبُوْر – مُنِيْر): يَعنِي: أنْ تبَدّل الرّدف -وَهِي الحُرُوْف المَدّة وَاللِّينِيّة -قَبْل حَرْف الرَّوِيّ بِغَيْره غَيْر مَعيْب إذَا كَانَ الرّدف بِالوَاو فِيْ بَيْتٍ وَبِاليَاء فِيْ بَيْت آخر، بِخِلاف الرّدف بِالأَلِف فَإِنّه لَايُجَامعهَا الرّدف بِغَيرِهَا؛ وَمِنْ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝﴾. [الحج]

(٣) قَوْله: (مِنْ قِسْم وَاحِد): يَعنِي: أَنَّ الأَلِف فِيْ هٰذِهِ الكَلِمَات هِيَ حَرْف تَأْسِيْس مِنْ حُرُوْف القَافيَة السِّتَّة؛ وَالتَّأْسِيْس: هِيَ الأَلِف الَّتِي يَفْصِل بَيْنَهَا وَبَيْن الرَّوِيّ حَرْف وَاحِد مُتحَرّك يُسَمّى بِالدَّخِيْل، كَقَوْل الشَّاعِر: ((وَإِذَا أَتَتْك مَذمَّتِي مِنْ نَاقِصٍ))، ((.........فَهِي الشّهَادَةُ لِيْ بِأَنِّي "كَامِلٌ"))؛ فَالقَافيَة فِي هٰذَا البَيْت كَامِل، وَرَوِيُّهَا "اللام"، وَالأَلِف تَأْسِيْس، وَالمِيْم دَخيْل؛ فَالشُّعرَاء العَرَب يفرقُوْن بَيْن القَوَافِي المُؤَسّسَة وَغَيْر المُؤَسّسَة، بِخِلاف العَجم؛ فَإِنَّهُم لايُفرّقوْن بينَهُما. (مُحَمَّدإلْيَاس)

وَيمْكِن أَنْ يكُونَ مُرَادُ المُصَنّف العَلّام: أَنَّ هٰذِه الكَلِمَات مِنْ قَبِيْل الفَوَاصِل المُتَوَازِيَة الَّتِي تَتفِق فِي الوَزْن وَالرَّوِيّ، كَقَوْله تَعَالَى: ﴿مَرْفُوْعَةٌ، مَوْضُوْعَةٌ﴾ وَزنهُما مَفعُوْلة. وَسَيأْتِي تفصِيْله.

٤- وَكَذٰلِكَ وُقُوْعُ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ بَيْنَ شَطْرَي البَيْتِ بِحَيْثُ يَكُوْنُ نِصْفُهَا فِي الصَّدْرِ، وَالنِّصْفُ الآخَرُ فِي العَجُزِ[١] صَحِيْحٌ عِنْدَ العَرَب[٢]، لا عِنْدَ العَجَم.

وَفَذْلَكَةُ القَوْل: أَنَّ الأَمْرَ الجَامِع المُشْتَرَك بَيْن الكَلام المَنْظُوْم العَرَبِيّ وَالفَارِسِيّ هُوَ التَّوَافُق التَّقْرِيْبِيُّ، لا التَّوَافُق التَّحْقِيْقِيُّ.

- **أَشْعَارُ العَجَمِ وَالتَّغَنُّمُ بِهَا:**

١- وَقَدْ وَضَعَ الهُنُوْدُ أَوْزَانَ شِعْرِهِمْ عَلىٰ عَدَد الحُرُوْف بِدُوْنِ مُلاحَظَة الحَرَكَات وَالسَّكَنَات، وَهِيَ أَيْضًا تَمْنَحُ لَذَّةً وَحَلاوَةً؛ وَقَدْ سَمِعْنَا بَعْضَ أَهْلِ البَدَاوَة يَخْتَارُوْن فِيْ تَغْرِيْدَاتِهِم[٣] -الَّتِيْ يَتَلَذَّذُوْنَ بِهَا- كَلامًا مُتَوَافِقًا بِتَوَافُق تَقْرِيْبِي، أَوْ رَدِيْفًا[٤] تَارَةً يَكُوْنُ كَلِمَةً وَاحِدَةً، وَأُخْرىٰ يَزِيْد عَلَيْهَا وَيُنْشِدُوْنَهَا مِثْلَ القَصَائِد، وَيَتَلَذَّذُوْن بِهَا؛ وَلِكُلِّ قَوْمٍ أُسْلُوْبٌ خَاصٌّ فِيْ كَلامِهِم المَنْظُوْم.

وَهٰكَذَا: وَقَعَ اتِّفَاقُ الأُمَمِ عَلَى الالْتِذَاذِ بِأَلْحَانٍ وَنَغَمَاتٍ، وَتَحَقَّقَ اخْتِلافُهُمْ فِيْ قَوَانِيْن تَغْرِيْدهِمْ، وَأَسَالِيْب تَلْحِيْنِهم[٥].

٢- وَقَدْ وَضَعَ اليُوْنَانِيُّوْنَ عَدَدًا مِنَ الأَوْزَان، يُسَمُّوْنَهَا "المَقَامَات"، وَاسْتَنْبَطُوا مِنْهَا أَصْوَاتًا وَشُعَبًا، وَدَوَّنُوا لأَنْفُسِهِم فَنًّا مَبْسُوطًا مُفَصَّلا.

---

(١) قَوْله: (العَجُز): الصَّدر: المِصْراع الأَوَّل مِنَ البَيْت، وَالعَجُز: المِصْرَاع الثَّاني مِنْه. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (صَحِيْح عِنْد العَرَب) وَهٰذَا هُوَ البَيْت المُدوّر، وَهُو: البَيْت الَّذِي اشْتَرَك شَطْرَاه بِكَلمَة وَاحِدَة، أَيْ: جُزْء مِنَ الكَلمَة فِي الشَّطْر الأَوَّل، وَالجُزْء الآخِر فِي الشَّطْر الثَّانِي؛ فَمِن المُدوّر:

مِنَ الهَزَجِ: أَنَا لا أَهْجُرُ المَحْبُوْ * بَ في عُسْرٍ وفي يُسْرِ

وَزْنُه: مَفَاعِيْلُنْ مَفَاعِيلُنْ * مَفَاعِيلُنْ مَفَاعِيْلُنْ

تقْطِيْعُه: //+/+/+، //+/+/+، * //+/+/+، //+/+/+

(٣) قَوْله: (تَغْرِيْدَاتِهِمْ): غرَّد الطَائِر وَالإِنْسَان: رَفَع صَوْته بِالغنَاء وَطَرَّب بِه. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (رَدِيْفًا): وَالرَّدِيْف عِنْد العَجَم: كَلمَة مُستَقِلَّة تَأْتِيْ فِيْ آخِر البَيْت بَعْد القَافِيَة. (المعرِّب)

(٥) قَوْله: (تَلْحِيْنِهِمْ): لحَّن فِي قِراءَته: طَرَّب فِيهَا، وَغَرَّد بِأَلحَان. (المعرِّب)

٣- وَكَذٰلِكَ وَضَعَ الهُنُوْد سِتَّةَ نَغمَاتٍ، وَفَرَّعُوْا مِنْهَا نُغَيمَاتٍ[١]؛ وَقَدْ رَأَيْنَا أَهْلَ البَدَاوَة مِنْهُمْ -الَّذِيْن لايَعْرِفُوْنَه هٰذَيْن المُصْطَلَحَيْن- تَفَطَّنُوْا بِحَسَبِ سَلِيْقَتِهِم لِتَأْلِيْف الكَلامِ وَتَلْحِيْنه، وَتغنَّوْا بِهِ مِنْ دُوْنِ أَنْ يَضْبُطُوْا لَهُ الكُلِّيَّاتِ[٢]، وَيَحْصُرُوا لَهُ الجُزْئِيَّاتِ.

[القُرْآن كَلام مُتوَازِنٌ، لا مَوزُوْنٌ][٣]

• **الأَمْرُ المُشْتَرَكُ هُوَ التَّوَافُقُ التَّقْرِيْبِيُّ:**

وَإِذَا حَكَّمْنَا الحَدْسَ[٤] بَعْدَ هٰذِهِ المُلاحَظَاتِ، لَمْ نَجِدِ الأَمْرَ المُشْتَرَك سِوَى التَّوَافُقِ التَّقْرِيْبِيِّ؛ وَلا غَرَض لِلعَقْلِ إِلاَّ بِذٰلِكَ المُنْتَزَع الإِجْمَالِيِّ، وَلا هَمَّ لَهُ فِيْ تَفَاصِيْل القَوَافِي المُرْدَفَة المَوْصُوْلَة[٥]؛ وَلا يُحِبُّ الذَّوْقُ السَّلِيْم إِلَّا تِلْكَ الحَلاوَة

(١) قَوْله: (نُغَيمَاتٍ): النَّغمة: حُسنُ الصَّوْت فِي القِرَاءة وَغَيرِهَا، الصَّوْتُ الموَقَّعُ: راگ، نُغَيمَة: راگنیاں. (الوسيط، المعرَّب)

(٢) قَوْله: (أَنْ يَضْبُطُوْا لَهُ الكُلِّيَّاتِ): أَيْ: مِنْ غَيْر تَدوِيْن الكُلِّيات، وَمِن غَيْر اسْتِقْرَاء الجُزئِيَّات.

(٣) قَوْله: (مُتَوَازِن): المُتَوَازِن: مِن توازَنَ يتوازَنُ توازُنا فَهو مُتوازِن، وَيُقَال: تَوَازَنَ الشَّيئَان إِذَا اتَّزنا وَتَعادَلا وَتَساوَيا فِي الوَزَن.

وَالمَوزونُ: مَفعُوْل مِن وَزَن يزِن وزْنا وَزِنَة؛ وَوَزْن الشِّعْر: جَعَلَه مُوافِقًا لِبَحرٍ مِنْ بُحُوْر الشِّعْر العَرَبِيّ، وَقَطَّع تَفعِيْلاتِه العُرُوضِيَّة.

فَالقُرْآنُ لَيْس فِيْه مِمَّا هُوَ مَوْزُوْنٌ مَا يُؤَدِّي بَيْت شِعْر كَامِل؛ فَعُلِم: أَنَّ الإِيْقَاع فِي القُرْآن مُتَوَازِن لا مَوْزُوْن؛ وَالإِيْقَاع: فِي اللُّغَة اتِّفَاق الصَّوْت فِي الغِنَاء؛ وَالمُرَاد بِإِيْقَاع القُرْآن: إِحسَاس الأُذُن وَالنَّفس بِتَنَاغُم الصَّوْت الحَاصِل مِنْ قِرَاءَة الآيَات. (فواصل المرسي: ١٦٦ بزيادة)

(٤) قَوْله: (الحَدْس): الحَدْس: سُرْعة الانْتِقَال فِي الفَهْم وَالاسِتِنْتَاج. (المعرَّب)

(٥) قَوْله: (المَوْصُوْلَة): الرَّوِيُّ: الحَرْف الَّذِيْ تُبنى عَلَيْه القَصِيْدة، وإِلَيه تُنْسب؛ يُقَال: قَصِيدة بائيَّة إِذَا كَانَ رَوِيُّها البَاء.

ثُمَّ الرَّوِيُّ: إِنْ كَانَ سَاكِنًا فمُقيَّد، والقَافِيَة مُقَيَّدة؛ وإِلَّا فمُطْلق، والقَافية مُطلقَة؛ فإِنْ سبقَه مَدَّة أَو لِيْن فَرِدْف، والقَافيَة مُرْدَفَة؛ وإِنْ لَحِقَه مَدَّة أَو هاءٌ ساكِنَة بلا فَصْل فوَصْل، والقَافية مَوصُوْلة. =

المَحْضَةَ، وَالعُذُوْبَةَ الخَالِصَة؛ وَلا عَلاقَةَ لَهُ بِطَوِيْل البَحْر وَمَدِيْدِه[1].

- **القَدْرُ المُشْتَرَكُ بَيْنَ الآيَاتِ وَالأَبْيَات:**

وَلَمَّا أَرَاد الخَلَّاقُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-: أَنْ يُخَاطِبَ الإِنْسَانَ المَخْلُوقَ مِنْ قُبْضَةِ طِيْنٍ[2]، نَظَرَ إِلىٰ ذٰلِكَ الحُسْنِ الإجْمَالِيِّ، وَالجَمَالِ المُشْتَرَك فَحَسْبُ[3]؛ وَلَمْ يَنْظُرْ

= فمِثال القَافيَة المُردفَة المَوصُولة: ((وَمِنْ أَيْنَ للوَجْهِ المَلِيْحِ ذُنُوْبُ)) -بالمدِّ-؛ الرِّدْفُ: واوٌ فِي آخِر البَاء، والوَصْل: واوٌ قَبلَ البَاء؛ وكذا: ((وَقُلْنَا: القَوْمُ إِخْوَانُ))، الرِّدْف: واوٌ -بعدَ النُّون-، والوَصْلُ: أَلِفٌ. (محيط الدائرة). (المعرِّب)

(١) قَوْله: (بطَوِيْل البحر وَمَدِيْده): فالبَحْر الطَّوِيل وزْنُه ورَمزُه وتقطِيْعه مَع المِثال هٰكذا، وكذا البَحْر المَدِيْد:

الطَّوِيل:	فَعُوْلُنْ	مَفَاعِيْلُنْ	فَعُوْلُنْ	مَفَاعِيْلُنْ	*	فَعُوْلُنْ	مَفَاعِيْلُنْ	فَعُوْلُنْ	مَفَاعِيْلُنْ
نحو:	سَتُبْدِي	لكَ الْأَيّامُ	مَا كُنْتَ	جَاهِلًا	*	وَيَأْتِيكَ	بِالْأَخْبَارِ	مَنْ	لَمْ تُزَوِّدِ
تقطيعه:	سَتُبْدِيْ،	لَكَلْ أَيْيَا،	مُمَاكُنْ،	تَجَاهِلَنْ	*	وَيَأْتِيْ،	كَبِلْ أَخْبَا،	رِمَنْ لَمْ،	تُزَوْوِدِيْ
وزنه:	فَعُوْلُنْ	مَفَاعِيْلُنْ	فَعُوْلُنْ	مَفَاعِلُنْ	*	فَعُوْلُنْ	مَفَاعِيْلُنْ	فَعُوْلُنْ	مَفَاعِلُنْ
رمزه	//+/+،	//+/+/+،	//+/+،	//+//+	*	//+/+،	//+/+/+،	//+/+،	//+//+
المَدِيد:	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُن	*	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ	فَاعِلَاتُنْ	فَاعِلُنْ
نحو:	إِنَّمَا	الدُّنْيَا	بَلَاءٌ	وَكَدٌّ	*	واكْتِئَابٌ	قَدْ	يَسُوْقُ	اكْتِئَابًا
تقطيعه:	إِنْنَمَدْدُنْ،	يَابَلَا،	ؤُنْ وَكَدْدُنْ		*	وَكْتِئَابُنْ،	قَدْ يَسُوْ،		قُكْتِئَانَنْ
وزنه:	فاعلاتن	فاعلن	فاعلاتن		*	فاعلاتن	فاعلن		فاعلاتن
رمزه:	/+//+/+،	/+//+،	/+//+/+		*	/+//+/+،	/+//+،		/+//+/+

(ميزان الذهب في صناعة شعر العرب: ٣٥)

(٢) قَوْله: (قُبْضَةِ طِيْنٍ): اعْلَمْ! أَنَّ القُرآن استَعْمل لُغَة القَوْم لٰكِن بأسْلُوب جمِيْل مُتفرِّد فِي كلِّ صُوَره ومَظاهِره، فجَاء بكَلام مُعْجِز، لا قِبَل لبَشَر بأنْ يَجِيءَ بمِثْله لفْظا أو مَعنىً؛ وحَرَصْنا عَلىٰ أنْ نَذكر بَعضَ مَظاهره ليَزدَاد مَحبَّتُنا بكَلامه المَجِيد، ونَطَّلِع عَلىٰ بعضِ المَكنُونات التِيْ أشَار إِلَيْها المؤلِّف، متَّعَنا اللهُ بعُلومِه. (آمين)

(٣) قَوْله: (فَحَسْبُ): اعْلَمْ! أَنَّ القَدْر المشتَرك بينَ الآيَات والأبْيَات هُوَ "التَّشَابُه"، وهِيَ بمَنزلة الجِنس؛ والأُمُوْرُ التِيْ التُزِم بهَا فِي الآيَات، وأصُوْلُ القَوافِي وشَرائطُها بمَنزِلة الفَصْل.

إِلَىٰ قَوَالِبَ مُسْتَحْسَنَةٍ عِنْدَ قَوْمٍ دُوْنَ قَوْمٍ.

وَحِيْنَمَا شَاءَ مَالِكُ المُلْكِ: أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَىٰ مَنْهَجِ الآدَمِيِّيْنَ، لاحَظَ ذٰلِكَ الأَصْلَ البَسِيْطَ وَالسِّرَّ المُشْتَرَكَ؛ وَلَمْ يُرَاعِ هٰذِهِ القَوَانِيْنَ المُتَغَيِّرَةَ بِتَغَيُّرِ الأَدْوَارِ وَالأَطْوَارِ(١).

وَمَبْنَى التَّمَسُّكِ بِالقَوَانِيْنِ الاصْطِلاحِيَّةِ هُوَ العَجْزُ وَالجَهْلُ(٢)؛ وَتَحْصِيْلُ ذٰلِكَ الحُسْنِ الإِجْمَالِي وَالجَمَالِ الفَنِّيِّ بِدُوْنِ تَوَسُّطِ تِلْكَ القَوَاعِدِ -بِحَيْثُ لايَتَغَيَّرُ البَيَانُ فِي الوِهَادِ وَالأَنْجَادِ(٣)، وَلايَضِيْعُ الكَلامُ فِي السُّهُوْلِ وَالجِبَالِ- مُعْجِزٌ وَمُفْحِمٌ؛ وَأَنَا

---

(١) قَوْله: (بِتَغَيُّر الأَدْوَار والأَطْوَار): قَالَ الرَّافعي ما مُلخَّصُه: كانَ العَرَب يترسَّلون فِي مَنطِقِهم كَيْفمَا اتَّفق لهُمْ، لايُراعُوْن أكثَرَ مِن تَكْييف الصَّوْت، دُوْن تَكْييْف الحُروف الَّتِيْ هِيَ مادَّة الصَّوت برعايَة مخارِجها وصِفاتِها؛ فلمَّا قُرئ عَليهِمُ القُرآن رَأَوا أَلحانًا لُغَويَّة رائِعَة، كأنَّها لائتِلافِها وتَناسُبِها قِطعةٌ واحِدة، وظهَر أنَّه أمرٌ لا قِبَلَ لهم بِه، وكانَ ذٰلك أبيَنَ في عجْزِهم؛ بلِ القُرآن يَعْلو عَلَى المُوسِيْقي معَ أنَّه -مَع هٰذِه الخاصَّة العَجِيْبة- لَيْس مِن المُوسِيقى.

وأَنْتَ تَتبيَّن ذٰلكَ إذا أنشأْت تُرتِّل قِطعةً من نَثْر فُصَحاء العَرَب أو غَيرِهم عَلىٰ طرِيْقة التِّلاوَة فِي القُرْآن ممَّا تُراعى فِيْه أحْكام القِراءَة وطُرُق الأَداء، فإِنَّك لابدَّ ظاهِر بنَفْسك عَلَى النَّقْص فِي كَلام البُلغاء وانحِطاطه فِي ذٰلك عَنْ مَرْتَبَة القُرآن.

وحَسْبك بهٰذَا اعتِبَارا فِي إعجَاز النَّظْم الموسِيْقي فِي القُرآن، وأنَّه ممَّا لايتعلَّق بِهِ أحدٌ لتَرتِيْب حُرُوْفه باعتِبَارٍ مِن: أصْواتِها ومخارِجهَا ومُناسَبة بَعْض ذٰلكَ لبَعضِه مُناسَبة طَبِيْعيَّة فِي الهَمْس والجَهْر، والشِّدَّة والرَّخاوَة، والتَّفْخِيْم والتَّرْقِيْق، والتَّفَشِّي والتَّكرِيْر وغيرِ ذٰلك. (اعجاز القرآن ملخصا)

(٢) قَوْله: (العِجْز وَالجَهْل): فِيمَّا انفرَد بِهِ القُرآن وبَايَن سَائِرَ الكَلام: أنَّه لايَخْلَق عَلىٰ كَثْرة الرَّدّ وطُوْل التَّكرار، ولاتَمَلُّ مِنْه الإِعادَة؛ رأيتَه غضًّا طَرِيًّا وجَدِيدا مُونِقا، وصادَفتَ مِن نفسِك لهُ نَشَاطا مُسْتأنِفا وحِسًّا مَوْفورا؛ وهٰذَا أمرٌ يَستوِي فيهِ العَالم الَّذِيْ يتذوَّق الحُرُوْف ويَستَمْري تَركِيْبها، والجاهِل الَّذِيْ يَقرأ ولايثْبُت معَه مِن الكَلام إِلَّا أَصْواتُ الحرُوْف.

وَمَن يحبُّ الاسْتزادَة إلىٰ مُطالَعَة هٰذَا السِّفر الخَالد الَّذِيْ لاتَنقَضِي عَجائِبه، وَلاحدَّ لجَمَاله وَدقة إحْكَامه: يرتِّل مَعنا بِإمعَان: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء]

(٣) قَوْله: (فِي الوِهَاد وَالأَنْجَاد): الوهاد: الأَرض المُنْخَفِضَة، والأَنجاد جمع: نَجْد: المكان المرتَفِع. (المعرَّب)

وحاصِل قَول الإِمَام: أنَّ الاحْتِيَاج إلى القَوانِين بعَجز الإِنسَان وجَهلِه، فإنَّه لايقْدِر عَلىٰ تحصِيْل=

أَنْتَزِع -مِنْ جَرَيَان الحَقِّ تَعَالىٰ عَلىٰ ذٰلِكَ السَّنَنِ- أَصْلًا، وَأَضَعُ مِنْه قَاعِدَةً.

وَتِلْكَ القَاعِدَة: أَنَّه تَعَالىٰ قَدْ رَاعىٰ فِيْ أَكْثَرِ السُّوَرِ امْتِدَادَ النَّفَسِ[1]، لا البَحْرَ الطَّوِيْلَ وَالمَدِيْد؛ وَكَذٰلِكَ اعْتَبَرَ فِي الفَوَاصِلِ[2] انْقِطَاعَ النَّفَسِ بِالمَدَّة،

= الحُسْن الإجْمَالي بِكَمَاله بغَيْر توسُّط القَواعِد؛ لٰكِنّ الله تعَالىٰ قادِرٌ عَلىٰ كُلّ شَيءٍ، فلاحَاجة لهُ إلىٰ رِعايَة القَوانِيْن لتَحْصِيل الحُسْن الإجمَالي. (العون)

(١) قَوْله: (امْتِدَاد النَّفَس): النفَس بفتح الفاء، رِيْح تَدْخُل وتَخرُج مِن أنْفِ الحَيِّ وفيه حالة التنفُّس: سانس؛ والجمعُ: أنفاس. (الوسيط، المعرَّب)

اعلم! أنَّ مادَّة الصوت هيَ مظهَر الانفِعال النَّفَسي، وأنَّ هٰذا الانفعال -بطبيعته- إنما هو سببٌ في تنويع الصوت بـ:ما يُخرِّجه فيه مدًّا أو غنَّة أو لِيْنا أو شِدَّة، وبـ:ما يُهَيِّءُ له مِن الحرَكات المختلِفة في اضطِرابه وتَتابعِه علىٰ مَقادِيرَ تُناسِب ما فِيْ النَّفَس مِن أصُوْلها.

فلَوْ اعْتبرْنَا ذٰلك فِي تِلاوَة القُرْآن علىٰ طُرُق الأدَاء الصَّحيحة لرَأيناه أبْلغ مَا تَبْلُغ إلَيْه اللُّغات كلُّهَا فِيْ هَزِّ الشُّعُوْر واستِثَارَتِه مِن أعمَاق النَّفْس، وهوَ مِن هٰذِه الجِهَة يَغْلِبُ بنَظْمه علىٰ كُلِّ طَبْع عَرَبي أو أعْجَمِيٍّ، حتىٰ: إنَّ القاسِيَة قُلوبُهم مِن أهْل الزَّيْغ والإلحَاد، ومَنْ لا يَعرِفُوْن للهِ آيَة فِيْ الآفَاق ولَا فِيْ أنفُسِهم لَتَلِيْن قُلوْبُهم وتَهْتزُّ عِنْد سَماعِه، لأنَّ فِيْهم طَبِيْعة إنسَانيَّة، ولأنَّ تَتابُع الأصْوَات عَلى نِسَب وعَلاقَات مُعَيَّنة بَيْن مَخارِج الحُرُوف المختَلِفة، هوَ بَلاغة اللُّغة الطَّبِيْعِيَّة التِيْ خُلقَت فِيْ نَفْس الإنسَان. (فصول للمرسي)

(٢/ ١) قَوْله: (اعْتُبِرَ فِي الفَوَاصِلِ): اعْلَمْ! أنّ العَرَب قَد أوْلَعُوْا نِهايَة الجُمْلة بِعِنَاية خَاصّة، فَجعَلُوا لَهَا قمّة النّغم الإيْقَاعي فِي القَوافِي وَالأسْجَاع؛ وَعَلىٰ طَريقَتهمْ هٰذِه فِي العِنايَة بِآخِر الجُملَة جَاءَت الفَواصِل القُرْآنيَّة. (فواصل:١٥ بزيادة)

وَمِنْ فَوائِد مَعرفَة فَواصِل الآي: ١- تَمكيْن المُكلَّف مِن الحُصُوْل عَلى الأمْر المَوعُوْد بِه عَلى قِراءَة عَدَد مُعين مِن الآيَات فِي الصَّلوٰة. ٢- صِحَّة الصَّلوٰة. ٣- صِحَّة الخُطْبة عِنْد الشَّافعيَّة لأنَّهمْ نصُّوا علىٰ أنّ الخُطْبَة لاتَصحُّ إلَّا بِقرَاءَة آيَة تَامّة. ٤- العِلْم بِتحْدِيد مَا تُسَنّ قِراءَته بَعْد الفَاتحَة فِي الصَّلوٰة إمَّا بِقرَاءة ثَلَاث آيَاتٍ قِصارٍ أوْ آيَةٍ طَويْلة.

(٢/ ٢) قَوْله: (اعْتَبَرَ فِي الفَوَاصِلِ): وَقَالَ كَمَال الدِّيْن المُرْسِي: الفَاصِلَة: هِي آخِر كَلمَة فِي الآيَة، وَتُجمَع عَلىٰ فَواصِل، وَهِي: حُرُوْف مُتشَاكِلة فِي المَقاطِع، كَما فِي قَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝﴾ [الزلزال]؛ فَالكَلمَات: ﴿زِلْزَالَهَا۝ أَثْقَالَهَا۝ مَا لَهَا۝﴾ فَواصِلُ للآيَات، وَهِيَ أيْضا "رُؤُوْس الآيَات"؛ وَنلَاحظُ أنَّها اشْتركَت جَمِيْعا فِي اتِّفَاق الحُرُوْف =

= الأخِيْرَة مِنْها في: اللَّام وَالهَاء وَالألِف المَمدُوْدة.

وَإنَّما سُمِّيت الفَاصلَة لأنَّ آخِر الآيَة فصّل بَينهَا وَبَيْن مَا بَعدهَا. وَلا يَجوْز تَسمِيَة رُؤوْس الآيَات "قَوافِي" إجْمَاعا. (فواصل الآيات للمرسي)

الفَاصلَة: هِي الكَلمَة الأخِيْرة مِن الفَقرَة أو القَرِيْنَة؛ وَالفَقرَة أو القَرِيْنَة: هِي الجُمْلَة الَّتِي تَنتَهِي بِالفَاصلَة، فَمَثَلا: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ [القمر]، فكلمة ﴿ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ و﴿مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾ "فَواصِل"، وَكُلّ مِن الآيَتَيْن "فَقرَة" أوْ "قَرِيْنَة".

المَلحُوْظة: اعْلَمْ! أنَّ تَواطُؤ الفَاصلَتَيْن أوِ الفَواصِل مِن النَّثْر عَلى حَرْف وَاحِد أوْ عَلى حَرفَيْن مُتقَارِبَيْن أوْ حُرُوْف مُتقَارِبَة هِي "السَّجْع"؛ فَالآيَة المَذكُوْرَة مُزَيَّنَة بِالسَّجْع أيْضا؛ فَعلِم: أنَّ القَاصلَة تختَص بِالنَّثْر، وَالقافِيَة بِالشِّعْر.

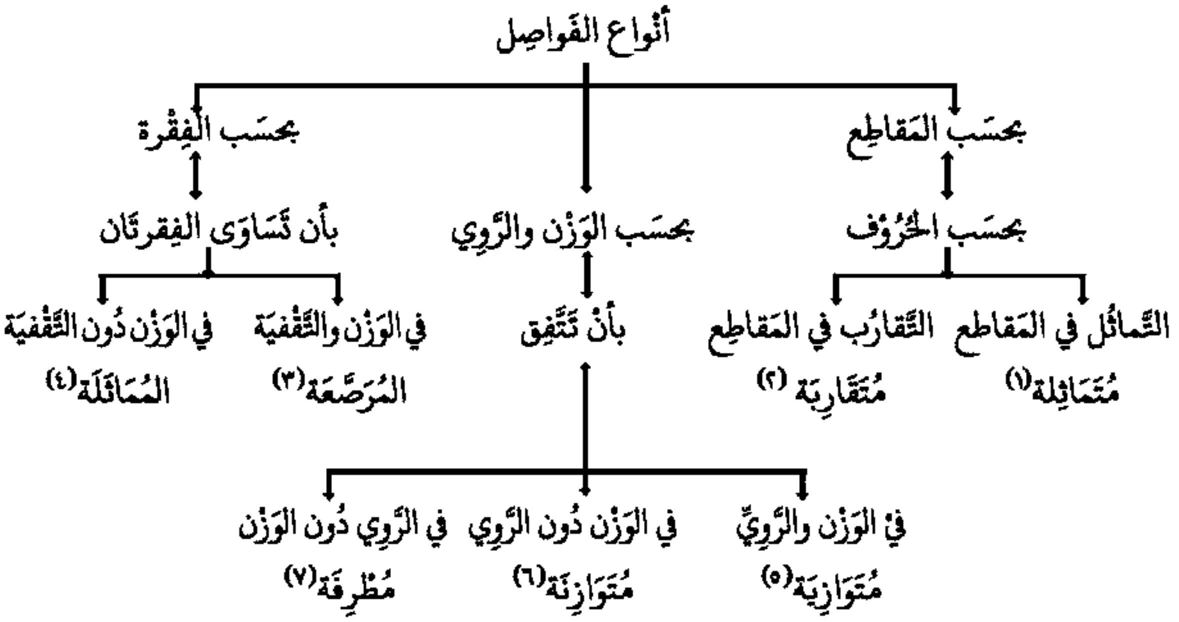

الأمْثِلَة

١- كقَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢﴾ [الطور].

٢- كقَوْله تَعَالَى: ﴿ٱلدِّينِ ۝٤ ... ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة].

٣- كقَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ۝٢٦﴾.

٤- كقَوْله تَعَالَى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ۝١١٧ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١١٨﴾.

٥- كقَوْله تَعَالَى: ﴿مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ ... مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤﴾، وزنهما مفعولة.

٦- كقَوْله تَعَالَى: ﴿مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ ... مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾ [الغاشية]

٧- كقَوْله تَعَالَى: ﴿وَغَسَّاقًا ۝٢٥ جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾. [النبأ]

الملحوظة: القَواصِل المُرصعَة: وَهِي أنْ يَكوْن المُتقَدّم مِنَ الفِقرَتَيْن مُؤلّفا مِنْ كَلمَات مُختَلفَة، =

وَبِمَا تَسْتَقِرّ عَلَيْه المدَّة[١]؛ لا قَوَاعِدَ فَنِّ القَافِيَة[٢].

وَهٰذِهِ الكَلِمَة أَيْضا تَقْتَضِيْ بَسْطًا وَتَفْصِيْلًا، فَلْيُلْقِ القَارِئُ السَّمْعَ لِمَا يُذْكَرُ بِالتَّالِي:

[إِبْدَاعُ الفَوَاصِلِ -عِنْدَ الامْتِدَادِ النَّفَسِيِّ- هُوَ الوَزنُ فِي القُرْآن][٣]

اعْلَمْ أَنّ دُخُوْل النَّفَس فِي الحُلْقُوْم وَخُرُوْجه مِنْه أَمْر طَبِيْعِيّ فِي الإِنْسَان، وَإِنْ

= وَالثَّانِي مِثْلهَا فِي ثَلَاثَة أَشْيَاء: الوَزن وَالتَّقفِيَة وَتَقَابل القَرائِن، كَقَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم۝﴾ [الغاشية]

الفَوَاصِل المُتَمَاثلَة: وَهِيَ أَنْ تَتسَاوِي الفِقرَتَان فِي الوَزن دُوْن التَّقفِيَة، وَتكُوْن أَفْرَاد الأُوْلى مُقَابِلَة لما فِي الثَّانِيَة؛ وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ۝ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝﴾ [الصَّافَات]؛ فَالكِتَاب وَالصِّرَاط يتَوَازنَان، وَكَذا المُستَبِيْن وَالمُستَقيْم، وَاختلفَا فِي الحَرْف الأَخِيْر.

(١) قَوْله: (انْقِطَاع النَّفَس): اعْلَمْ! أَنَّ تَلَاؤُم الحُرُوْف أَمْر مُستَحَب، وَلِذَا فَضَل البُلَغَاء -عَلَى الدَّوَام- الكَلِمَاتِ السَّهْلَة فَاسْتَعْمَلُوا الطَّوِيْل مَكَان "العَشَنَّق" وَتَرَكُوا الأَلْفَاظ الصَّعْبَة، وَهٰذِهِ الصَّعُوْبَة تَرْجِع إِلى: عَدَم تَلاؤُم الحُرُوْف، وَمِنْ ثُمَّ جَاءَ القُرْآن مُرَاعِيا تَلاؤُم الحُرُوْف وَتَلاؤُم الأَصْوَات فِي الكَلِمَة أَيْضا، وَهِيَ الجُمَل المُتشَابهَة فِي النِّهَايَات الصَّوتِيَّة.

(٢) قَوْله: (لا قَوَاعِدَ فَنِّ القَافِيَة): الفَرْق بَيْن السَّجْع وَالفَوَاصِل: أَنَّ السَّجع هُوَ الَّذِيْ يُقصَد فِي نَفْسه، ثُمَّ يُحْمل المَعنىٰ عَلَيْه. وَالفَوَاصِلُ: الَّتِي تَتْبَع المَعَانِي، وَلاتكُوْن مَقصُوْدَةً فِي أَنْفُسها؛ حَتّٰى قَالَ عَلِيّ بْن عِيْسىٰ الرّمَانِي: "إِنَّ الفَوَاصِلَ بلاغةٌ، وَالسَّجْع عَيبٌ".

(٣) قَوْله: (الوَزنُ فِي القُرْآن): الوزن العَرُوْضي والوزنُ الشعريُّ: هي أَرْكَانُ علمِ العَروضِ وأَوْزانُهُ وتَفاعيْلُه، وهِيَ مُتحرِّكَاتٌ وسَكَنَاتٌ مُتَتابعَةٌ عَلىٰ وَضْعٍ مَعروْفٍ يُوزَنُ بِهَا، وتَتركَّبُ هٰذِهِ الأَوْزانُ من ثَلَاثَةِ أَشْياءَ: أَسْبَابٌ، وأَوْتادٌ، وفَواصِلُ. وَقَدْ مَرَّ تَفصِيْله

مُصْطَلَحاتُ هٰذَا البَاب

١- الفِقْرة أو القَرِيْنة: هِيَ الجُمْلة التِيْ تَنْتَهِيْ بالفَاصِلة، فَمَثلا: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝﴾ [القمر]؛ فكَلِمَة ﴿ٱلْقَمَرُ ۝﴾ و﴿مُّسْتَمِرٌّ ۝﴾: فَوَاصِل، وكُلٌّ مِن الآيَتَيْن: فِقرةٌ أَوْ قَرِيْنةٌ.

المَلْحُوْظَة: اعْلَم! أَنَّ الفِقْرَة أَعَمُّ مِن القَرِيْنة، فَهي قِطْعَة عِنِ الكَلَام مِن غَير اشْتِرَاط المُقارَنَة؛ واعْلَمْ! أَنّه إِنْ اشْتُرِط فِيْ الفِقْرة مُقارنَتُها للأُخْرىٰ فهِيَ مِثل القَرِيْنة، وإِنْ لَمْ يُشتَرَط فِيْها بالمُقارَنة =

كَانَ تَمْدِيْده وَتَقْصِيْره مِنْ مَقْدُوْره، وَلٰكِنَّه إِذَا تُرِكَ عَلىٰ سَجِيَّته فَلا بُدَّ لَهُ مِنِ امْتِدَاد مَحْدُوْد؛ وَالإِنْسَان حِيْنَمَا يَتَنَفَّس يَجِد النَّشَاط(١)، ثُمّ يَضْمَحِل ذٰلِكَ

= فتَكوْن الفِقْرة أعمَّ مِن القَرِيْنَة. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

وَالقَرِيْنَة: هِيَ قِطْعَة مِن الكَلام، جُعِلَتْ مُزَاوِجَة -أَيْ: مُنَاظِرَة- للأُخرىٰ؛ أَوْ: هِيَ الجُمْلة الَّتِيْ تَنْتَهِيْ بالفَاصِلة، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝﴾ [الم نشرح]؛ وسُمِّيتْ قَرِينة لمُقارَنتِها لأخرىٰ مماثلة، كمَا فِي قولِهِمْ: مَا أَبْعدَ مَا فَات، ومَا أَقْرَبَ مَا هُوَ آتٍ. (دراسة لعبد الجواد)

٢- الفَاصِلة: هِيَ الكلِمَة الأخِيْرة مِن الفِقْرة أو القَرِيْنَة، مِثْل: ﴿صَدْرَكَ ۝ وِزْرَكَ ۝﴾ فِيْ المِثَال السَّابِق.

الملحُوْظَة: وقَالَ بَعضُهُم: إنَّ التَّوَافُق اللَّفْظِي الوَاقِع فِيْ أَوَاخِر الجُمَل إِنْ وَقَع فِيْ كَلام اللهِ، فَهِيَ "الفَاصِلَة"؛ وإِنْ وَقَعَ فِيْ كَلام النَّاسِ فَهِيَ "القَافِيَة"؛ والحَرْف الأَخِيْر الَّذِيْ يُبنىٰ عَلَيْه القَصِيْدة فَهُو "الرَّوِيُّ".

٣- القَافِيَة: آخِر كَلمَةٍ فِيْ البَيْت، أَوْ هِيَ: مِن آخِر سَاكِنٍ فِيْه إِلىٰ أَوَّل سَاكِنٍ يَلِيْه مَعَ المُتَحَرِّك الَّذِيْ قَبْل السَّاكِن، فَلَوْ قُلْتَ مَثَلاً: "مَا أَطْوَلَ اللَّيْلَ عَلىٰ مَنْ لَمْ يَنَمْ" كانَتِ القَافِية "لَمْ يَنَمْ"؛ وأَمَّا رَأْسُ الآيَة: فهُوَ الكلمَة الأخِيْرة مِنْها.

الملحُوْظَة: الفَرْق بَيْن الفَاصِلة ورُؤُوْسِ الآيَة: أَنَّ كلَّ رَأْس آيَة فَاصِلةٌ، ولَيْسَت كلُّ فَاصِلة رَأْسَ آيَةٍ؛ وذٰلِك لأَنَّ الفَاصِلة هِيَ الكلِمَة التِيْ يَنْفَصِل عِنْدَها الكَلامَان، سَواءٌ أكانَت تِلْك الكلِمَة رَأْس آيَةٍ أَمْ كانَتْ وَقْفًا فِيْ الآيَة نَفْسِها؛ وأَمَّا رَأْسُ الآيَة: فهُوَ الكلمَة الأخِيْرة مِنْها؛ ومِنْ أَجْل ذٰلِك وجَدْنا سِيبوَيْه أَطْلَق عَلىٰ ﴿نَبْغِ﴾ -فِي قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِۚ﴾ [الكهف٦٤]-، وعَلىٰ ﴿يَأْتِ﴾ -فِي قَوْله تَعَالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ﴾ [هود١٠٥]- فاصِلةً، كمَا أَطْلق عَلىٰ ﴿يَسْرِ﴾ فِي ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝﴾ [الفجر] فاصِلةً أيضًا لانفِصَال الكَلامَيْن عِنْد كلٍّ مِنْهما. (دراسة: ١١٢)

٤- المَقاطِع: ومَقاطع القُرآن: هِيَ مَوَاضِع الوُقوف مِن القُرآن؛ ومَقاطع السُّوَرَة: هِيَ مَوَاضِع الوُقوف مِن السُّورة. (معجم علوم القرآن)

٥- الرَّوِيُّ: هُوَ كلُّ حَرْفٍ يَقَعُ فِيْ آخِر البَيْت، إِلَّا مَا استُثْنِيَ مِنه مِن: التَّنوِين، أو بَدلٍ مِن التَّنوِيْن، أو حَرْفِ إِشْبَاعٍ مَجْلُوْب لبَيَان الحَرَكة، ومَا إِلىٰ ذٰلِك.

٦- السَّجْع: هُوَ تَواطُؤ الفَاصِلَتَيْن مِن النَّثْر عَلىٰ حَرفٍ واحِد فِيْ الآخِر، أَوْ: هُوَ مُوالاة الكَلام عَلىٰ رَوِيٍّ واحِد؛ وقدْ تَشابَهَت مُعْظَم فَواصِل الآيَات مَعَ السَّجْع.

(١) قَوْله: (يَجِد النَّشَاط): هٰذَا كَمَا قَالَ المرْسِي فِي القَواصِل: القَواصِل قَدْ تُرِيْح نَفَس القَارِي مِن البَهْر، وَتُرشِده إِلى إجَادَة الوَقْف وَتَلوِيْن الصَّوت بِحَيْث أَمَدَّت القُرَّاء بِأَلوَان مِنَ التَّنغِيْم المؤثِّر الأخاذ، =

النَّشَاط تَدْرِيْجا، حَتى يَنْقَطِع كُلّيا فِيْ آخِر الأَمْر، وَيُضْطَرّ إِلىٰ أَخْذ النَّفَس الجَدِيْد الطَّازِج(١).

= كَمَا فِي سُوْرة الرَّحْمٰن؛ وَقَالَ فِيْ مَوْضع: مُراعَاة الفَواصِل مِن خَصائِص القُرْآن، فَمثْل هٰذَا البَيَان الرَّائع وَالجَرْس العَذْب يَسرِي فِي النَّفس سَرَيَان الرُّوح فِي الجَسَد؛ قَالَه الصَّابوْنِي. (فواصل للمرسي: ٨٣، ٧٦)؛ فعُلِمَ: أَنَّ إِبْدَاعَ الفَوَاصِلِ عَنْدَ الامْتِدَادِ النَّفَسِي الطَّبِيْعِيْ هُوَ الوَزنُ فِي القُرْآن.

الفَرْق بَيْن الكَلَام المَنظُوْم وَالمَنثُوْر

قَالَ القُرطُبِي: "الفَواصِل حِليَة وَزِينَةٌ لِلكَلام المَنظُوْم، وَلَوْلاهَا لَمْ يَتَبَيَّن المَنظُوْمُ مِنَ المَنثُوْر، وَلا خَفَاء: أَنَّ الكَلَام المَنظُوْم أَحْسنُ؛ فَثَبَت بِذٰلِك: أَنَّ الفَوَاصِل مِنْ مَحَاسِن الكَلَام المَنظُوْم؛ فَمَن أَظْهَر فَوَاصِله بِالوُقُوْف علَيْها فَقَدْ أَبْدى مَحَاسنَه، وَتَركُ الوُقوْف يُخفِي تِلْك المَحَاسِن، وَيُشْبه المَنثُوْر بِالمَنظُوْم، وَذٰلِك إِخْلال بِحَق المَقرُوْء".

(١) قَوْله: (أَخْذ النَّفَس الجَدِيْد الطَّازِج): اعْلَمْ! أَنَّ الفَاصلَة تَقَع عِند الاسْتِرَاحَة فِي الخِطَاب لِتحسِيْن الكَلَام بِهَا؛ وَهِي الطَّرِيْقَة الَّتِيْ يُبَاين القُرْآن بِهَا سَائرَ الكَلام، وَيُسمّى "فَوَاصِل" قَالَ تَعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [حم السجدة٣]؛ وَإِنَّما سُمّي بِهَا لأَنَّه يَنفَصلُ عِندهَا الكَلامَان، وَذٰلِك أَنَّ آخِر الآيَة فصَل بَيْنها وَبَيْن مَا بَعدهَا. (فواصل للمرسي:٩)

مُلَاحَظَات فِي مُحَسِّنَات الفَوَاصِل

١- الفَاصِلَة تَقَع عِنْد الاسْتِرَاحَة فِي الخِطَاب لِتَحْسِيْن الكَلَام بِهَا. (فواصل للمرسي:٩)

٢- الفَوَاصِل قَدْ تُرِيْح نَفْس القَارِي مِنَ البُهْر (وَالاضْمِحْلَال)، وَتُرْشِدُه إِلى إِجَادَة الوَقْف وَتَلوِيْن الصَّوْت بِحَيْث أَمَدَّتِ القُرَّاء بِأَلْوَان مِنَ التَّنْغِيْم المُؤثِّر الأَخَّاذ، كَمَا فِيْ سُوْرَة الرَّحْمٰن. (فواصل للمرسي: ٧٦)

٣- قَدْ كَثُرَ فِي القُرْآن الكَرِيْم خَتْم كَلِمَة المَقْطَع مِنَ القَاصِلَة بِحُرُوْف المَدّ وَاللِّيْن وَإِلحَاق النُّوْن، وَحِكْمَته وُجُوْد التَّمَكُّن مِنَ التَّطْرِيْب بِذٰلِكَ. (دراسة:١٨)

٤- إِنَّ اتِّفَاق النَّغم فِيْ أَوَاخِر الفَوَاصِل القُرْآنِيَّة يَجْعَلُهَا أَكْثَر تَأْثِيْرا وَأَقْوى إِيْقَاعا فِي الإِحْسَاس بِالمَعْنى؛ وَلِذٰلِكَ حَكىٰ أَنَس بْن مَالِك عَنْ قِرَاءَة النَّبِيّ ﷺ فَقَالَ: "كَانَ يَمُدّ مَدًّا". [البخاري: ٥٠٤٥]

(دراسة:١٦ ملخصا)

٥- الفَوَاصِل القُرْآنِيَّة تَجْمَع: حُسْن النَّظْم مَعَ عُذُوْبَة اللَّفْظ، وَكَثْرَة الفَائِدَة، وَحُسْن الدَّلَالَة؛ فَتَأْتِي القَاصِلَة كَالعَاقِدَة لِلْمَعَانِي. (فواصل:٦٨)

٦- رِعَايَة المُنَاسَبَة فِي الكَلَام تَتَّفِق مَعَ فِطْرَة الإِنْسَان وَنَوَامِيْس الطَّبِيْعَة، (دراسة:٢٧١)؛ نَوَامِيْس: جَمْع نَامُوْس، هُوَ نَامُوْس صَاحِبه: المُطَّلِع عَلىٰ سِرّه دُوْن غَيْرِه. (معجم الغني) =

وَهٰذَا الامْتِدَادُ أَمْرٌ مُحَدَّدٌ بِحَدٍّ مُبْهَمٍ وَمُقَدَّرٌ بِمِقْدَارٍ مُشْتَرَكٍ -بِحَيْثُ لا يَضُرُّه نُقْصَانُ كَلِمَتَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ، بَلْ وَلا نُقْصَانُ قَدْرِ الثُّلُثِ وَالرُّبُعِ؛ وَكَذٰلِك لا يُخْرِجُهُ عَنِ الحَدِّ زِيَادَةُ كَلِمَتَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ، بَلْ وَلا زِيَادَةُ قَدْرِ الثُّلُث وَالرُّبُع-، وَيَسَعُ فِيهِ اخْتِلافُ عَدَدِ الأَوْتَادِ وَالأَسْبَابِ[1]، وَيُسَامَحُ فِيهِ بِتَقَدُّمِ بَعْضِ الأَرْكَانِ عَلىٰ بَعْضٍ[2].

فَجُعِلَ هٰذَا الامْتِدَادُ النَّفَسِيُّ وَزْنًا، وَقُسِّمَ عَلىٰ ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ: طَوِيْلٌ،

= ٧- صِيَغ المُبَالَغَة تُحْدِث: إِيْقَاعا خَاصًّا ذَا جَرْس وَتَرَنُّم يَتَّصِل بِالنُّطْق وَالسَّمَاع، وَتُحْدِث نَغْمَة مَشُوْبَةً مَخْلُوْطَة بِالقُوَّة وَالعُنْف، نحو: ﴿كُبَّارًا﴾ فِيْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمَكَرُواْ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ [نوح]؛ لأَنَّ تَكْرَار الكَاف ثَلَاث مَرَّات يُعْطِي نَغْمَة الإِيْقَاع تَمَوّجَاتِهَا؛

فَصِيْغَة ﴿كُبَّارًا﴾ تُفِيْد بَلَاغَة فِي المَعْنى وَوَقْعا وَتَأَثُّرا شَدِيْدا عَلَى النَّفس، وَإِيْقَاعا يُشْبِع الفَم انْتِفَاخا وَضَغْطا؛ فَتُحِسّ النَّفس، وَكَأَنَّهَا تَنْحَدِر إِلَى الأَرْض تَعْبِيْرا عَنْ شِدَّة مَكْر الكُفَّار وَعُتُوّهِمْ.

(دراسة: ١٥)

٨- البَلِيْغ هُوَ الَّذِيْ يُرَاعِي مُطَابَقَة الكَلَام لِمُقْتضى الحَال، فَإِذَا اقْتَضى الحَال أَنْ يَأْتِي الكَلَام مَسْجُوْعًا أَتىٰ بِهِ كَذٰلِكَ، وَإِذَا لَمْ يَتَطَلَّبْه المَقَام لَايُوْتِي بِهِ، وَيَأْتِيْ فِيْ كُلّ بِمَا يُنَاسِبهَا. (دراسة)

٩- تَكْرِيْر الفَوَاصِل تُفِيْد مَعْنى التَّقْرِيْع وَالتَّوْبِيْخ، كَمَا فِيْ سُوْرَة الرَّحْمٰن؛ لأَنَّ فِي تَعْدِيْد الآلَاء مِنَ الرَّحْمٰن بِتَعْدِيْد النِّعَم تَبْكِيْتٌ لِمَنْ أَنْكَرَهَا. (فواصل للمرسي)

١٠- الفَوَاصِل تَفِي بِالْمَعَانِي المَدِيْدَة فِي إِيْجَازٍ مُعْجِز مَعَ مَا فِيْهَا مِنْ إِضْفَاء المَعَانِي الكَبِيْرَة وَالتَّصْوِيْر الدَّقِيْق. (فواصل للمرسي:٥١ ملخصا)

١١- رُبَمَا تَجِيْء الفَوَاصِل فِيْ تَسَلْسُل عَنِيْف يُزَلْزِلُ خَوَاطِر الكُفَّار، وَيَتْرُكهُمْ فِيْ بَحْر لُجِّيٍّ مِنَ التَّفْكِيْر فِيْ ذَات الله. (فواصل للمرسي: ٧٥)

(١) قَوْله: (الأَوْتَادِ والأسباب): الوَتِد: ثَلاثَة أَحْرُف، ثَانِيْها أَو ثَالثُها سَاكِن؛ فإِنْ سُكِّن وَسطُها كَمَا فِي "قَوْلٌ" فهُوَ الوَتِد المَفرُوْق؛ وإِنْ تحرَّك وسطُها، وسُكِّن آخرُها كَمَا فِي "عَلىٰ" فهُوَ الوتِد المَجمُوْع؛ والسَّبَبُ: حرْفان، ثانِيْهما ساكِنٌ، نحوُ: "لَمْ" ويسَمّٰى سَببا خفِيْفا، وإِنْ كانَا متحرِّكَيْن، فهُوَ سَبَبٌ ثَقِيْل، نحوَ: "أَرَ" فِي: لَمْ أَرَ؛ ولنِعْم مَا قِيْل في التَّمثِيْل على تَرتِيْب اللَّفّ: لَمْ أَرَ عَلىٰ رَأْسِ جَبَلٍ [جَبَلَيْنِ] سَمَكَةً [سَمَكَتَيْنِ]. (المعرِّب بزيادة)

(٢) قَوْله: (عَلىٰ بَعْض): الأَركَان: أَفاعِيْل العَروضِيِّيْن وَتَفَاعِيْلهم. (المعرِّب)

مُتَوَسِّطٌ، قَصِيْرٌ(١).

أَمَّا الطَّوِيْلُ، فَنَحْوُ: سُوْرَةِ النِّسَاء؛ وَأَمَّا المُتَوَسِّطُ، فَنَحْوُ: سُوْرَةِ الأَعْرَافِ وَالأَنْعَامِ؛ وَأَمَّا القَصِيْرُ، فَنَحْوُ: سُوْرَةِ الشُّعَرَاءِ وَالدُّخَانِ(٢).

[الفَوَاصِلُ القُرْآنِيَّةُ](٣)

- **تَحْقِيْقُ التَّنَاغُمِ وَالتَّرَنُّمِ بِحُرُوْفِ المَدَّةِ(٤):**

١- وَخَاتِمَةُ النَّفَسِ عَلَى المَدَّةِ المُعْتَمِدَة عَلىٰ حَرْفٍ: هِيَ القَافِيَةُ المُتَّسِعَةُ(٥)

---

(١) قَوْله: (قَصِيْرٌ): اعْلَمْ! أن طوْل الفَقرَة وَقصرهَا عَلىٰ ثَلاثَة أقسَام: قَصيْر مُوجَز وَمتوسِّط مُعْجز وَطويْل مُفصِح لِلمَعْنىٰ.

(٢) قَوْله: (أَمَّا القَصِيْرُ): وأحْسَن القَصيْر مَا كَان مُؤلفا مِن لَفظَتيْن لَفظَتيْن، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢﴾ [المرسلات]؛ وَجعِل مِنه مَا يَكوْن مُؤلفًا مِن ثَلاثَة ألفَاظ أوْ أرْبعَة أوْ خَمسَة إلىٰ عَشرَة، وَمَا زَاد عَلى العَشرَة فَهُوَ مِن الطَّويْل.

وَأمّا دَرجَات السَّجع الطَّويْل فَهيَ مُتفاوِتة، وَأوّل دَرجَة مِنه تقْتَرب مِن نِهايَة السَّجع القَصيْر -وَهيَ مَا كَان تَأليْفهَا مِن إحْدى عَشرَة لَفظَة إلىٰ اثْنتي عَشرَة لَفظَة-؛ وَجعلَ أكْثَره خَمس عَشرَة لَفظَة، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝١٠ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١١﴾ [هود].

ثُمّ أدْخلَ فِي السَّجع الطَّويْل أيْضا مَا يَكوْن تَأليْفه مِن العِشرِينَ لَفظَة أوْ مَا يَدُوْر حَولهَا، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ ۗ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٤٣ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٤٤﴾ [الأنفال].

ثُمّ قَالَ الدُّكتُور عَبْد الجَوّاد: وَأرى: أنّ التَّحدِيد الدَّقيْق فِي مِثْل هٰذِه المَسائِل غَيْر مُناسِب، لأنّ هٰذِه مَسائِل تعْتَمدُ عَلى الذّوق وَعَدم التَّكلُّف فِي الأَسَاس، وَمسألَة الطوْل أوِ القَصر مَسألَة نِسبِية؛ ... فَالَّذِيْ يُناسبُ مُقتَضى الحَال هُوَ الأحْسن، سَواء أكَان قَصيْرا أمْ طَويْلا. (دراسة: ٧٤)

(٣) قَوْله: (الفَوَاصِلُ القُرْآنِيَّةُ): أمَّا بَحْث مُحسِّنَات الفَواصِل، وَبَحْث التَّنوُّع فِي الفَوَاصِل، وَبَحْث القَضَايا المُهِمَّة فِي بَحْث الفَواصِل فَقَد ذَكرْنَاهَا فِي آخِر كِتَابنَا "رَوْح القَديْر في أُصُوْل التَّفسِيْر"؛ فَمَنْ شَاء فَليُطَالعهَا. =

-الَّتِيْ يَتَلَذَّذُ الطَّبْعُ مِنْ إِعَادَتِهَا مِرَارًا-؛ وَلَوْ كَانَتْ تِلْكَ المَدَّةُ فِيْ مَوْضِعٍ: أَلِفًا، وَفِيْ مَوْضِعٍ آخَرَ: وَاوًا، أَوْ يَاءً؛ وَسَوَاءٌ كَانَ ذٰلِكَ الحَرْفُ الأَخِيْرُ فِيْ مَوْضِعٍ: "بَاء" وَفِيْ مَوْضِعٍ آخَرَ مِيْمًا، أَوْ قَافًا؛ فَـ﴿يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾، وَ﴿مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾، وَ﴿مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾﴾ [البقرة] كُلُّهَا مُتَوَافِقَةٌ(١)؛ وَ﴿خُرُوجٌ ﴿١١﴾﴾، وَ﴿مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾، وَ﴿تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق]؛

= (٤) قَوْله: (التَّنَاغُمِ وَالتَّرَنُّمِ بِحُرُوْفِ المَدَّةِ): اعْلَمْ! أَنَّ التَّناغم وَالإِيقاع المُتَناسب مِن أَسْرَار إِعجَاز الفَواصِل، وَمَالت العَرَب فِي سَجعهَا وَقَوافيهَا إِلىٰ اسْتعْمَال حُروْف المَد وَاللين وَالغُنَّة؛ وَلذَا لُوحِظ فِي الفَواصِل: أَنَّها أَكْثَر مَا تُختمُ بِحروْف المَد وَاللين وَالغُنَّة، كَالنُّوْن وَالمِيْم؛ لأَنَّهمَا مِن أَكْثَر حُرُوْف العَرَبيَّة إِظْهَارا للغُنَّة وَالتَرنُّم، وَلِذا نَجِدُهمَا أَكْثَرَ الحُرُوْف اسْتعْمَالا فِي فَوَاصِل القُرْآن؛ وَحِكْمَته: وُجُوْد التَّمكُّن مِن التَّطرِيب بِذٰلِك.

قَالَ سِيْبَوَيْه: "إِنَّهُم إِذا تَرَنَّمُوا يلْحقُون الأَلِف وَاليَاء مَا يُنوّن وَما لايُنوّن، لأَنَّهمْ أَرَادُوا مدّ الصَّوْت، وَيتْرُكُون ذٰلِك إِذا لَم يتَرنَّموا؛ وَقَد جَاء فِي القُرْآن عَلىٰ أَسْهل موْقف وَأَعْذب مقْطع".

وَكَذا لوحِظ لأَجْل التَّناغُم بأَنْ تكُوْن الفَاصلَة عَلىٰ أَنْواع مِن الفَواصِل الَّتِي سَيَأْتِيْ ذِكرُهَا. (فواصل الآيات:٨١، وفواصل الآيات لخضر)

(٥) قَوْله: (القَافِيَةُ المُتَّسِعَةُ): أَيْ: خَاتِمَة النَفس عَلىٰ حَرْفٍ مِّنَ الحُرُوْفِ المَدَّة الَّتِي تعْتَمد عَلىٰ حَرْف القَافيَة -أَيْ: الرَّوِيّ-، هِيَ القَافيَة المُتَّسِعَة فِي القُرْآن، كَمَا هُوَ وَاضِح فِي الأَمْثلَة.

أَمَّا تَسمِيته القَاصِلَة بـ"القَافِيَة" لِتقرِيْب الفَهم فَقَط؛ لِأَنَّه لَايَجُوْز تَسْمِيَة رُؤُوْس الآيَات "قَوافِي" إِجْمَاعا؛ كَمَا صرّحَ بِه كَمَال الدِّيْن المرْسي فِي "فَوَاصِل الآيَات القُرآنِيّة"، وَعلَّل عَلَيْه: لأَنَّ اللهَ تَعالىٰ لما سَلب عَن القُرْآن اسْم الشِّعْر وَجب سَلب القَافيَة عَنه أَيْضا، لأَنَّها مِنه وَخَاصةٌ فِي الاصْطِلَاح.

(١) قَوْله: (كُلُّهَا مُتَوَافِقَةٌ): فَهِيَ مِنْ قَبِيْل الفَوَاصِل المُتوَازِيَة، كَمَا مَرّ فِي الجَدْوَل.

وَاعْلَمْ! أَنَّه تتَعاقَب اليَاء وَالوَاو قَبْل النُّوْن فِي الفَواصِل كَثيْرا، بَلْ هُوَ الغَالِب عَلى فَواصِل القُرْآن لِقرْب الوَاو مِن اليَاء؛ يَقوْل ابْن جِنِّيْ: "إِنَّ بَيْن اليَاء وَالوَاو قربًا وَنَسبًا". (فواصل لخضر: ٨٢)

وَفيْه أَيْضا إِشَارَة إِلىٰ فَاصلَة، وَهِيَ: أَنَّ النُّوْن وَالمِيْم أَكْثَر حُروْف الفَواصِل تَعاقبا، لوُجوْد الغُنة فِيْها مَع تَحقق المَدّ قَبلهَا بِحُروْف المَد المُعتَادة. (فواصل لخضر: ١٠٣)

وَفيْه إِشَارَة أَيْضا إِلىٰ فَاصلَة أُخرىٰ، وَهِيَ: اسْتعْمَال النُّوْن فَاصلَة يسْبقُه أَحَد حُروْف المَدّ الثَّلَاثَة: اليَاء وَالوَاو وَالأَلِف؛ وَذٰلِك فِي الأَسْمَاء وَالأَفعَال عَلىٰ حدٍّ سَواء، فَمثَال الكَلمَات الَّتِيْ فِي بِنيَتها المَدُّ وَالنُّون قَوْله تَعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الدخان] =

وَ﴿ٱلنَّارِ ﴾، وَ﴿فَوَاقٍ ﴾، وَ﴿عُجَابٌ ﴾[ص] كُلُّهَا عَلىٰ قَاعِدَةٍ[١].

٢- وَكَذٰلِكَ لُحُوْقُ الألِفِ فِيْ آخِرِ الكَلِمَةِ قَافِيَةٌ مُتَّسِعَةٌ، فِيْ إِعَادَتِهَا لَذَّةٌ[٢]، وَلَوْ كَانَ حَرْفُ الرَّوِي[٣] مُخْتَلِفا؛ فَيَقُوْلُ فِيْ مَوْضِعٍ: ﴿كَرِيمًا ﴾[٤]، وَفِيْ مَوْضِعٍ آخَرَ: ﴿حَدِيثًا ﴾، وَفِيْ مَوْضِعٍ ثَالِثٍ: ﴿بَصِيرًا ﴾[النساء][٥].

٣- فَإِنْ الْتُزِمَ فِيْ هٰذِهِ الصُّوْرَة مُوَافَقَةُ الرَّوِيِّ، كَانَ مِنْ قَبِيْلِ: "التِزَامِ مَالا يَلْتَزِمُ"[٦]، كَمَا وَقَعَ فِيْ أَوَائِلِ سُوْرَةِ مَرْيَمَ، وَسُوْرَةِ الفُرْقَان.

= فَالكلِمَات ذَات المَد وَالنُّون فِي بِنْيَتِها ﴿أَمِينٍ ﴾ عُيُونٍ ﴾ عِينٍ ﴾ تعطي الإيقَاع نَفسه الَّذِيْ تُعطيْه أسْمَاء الفَاعلِيْن المَجمُوعَة جَمعا سَالمًا ﴿مُتَقَبِلِينَ ﴾ ءَامِنِينَ ﴾؛ وَلِذَا وَقَعت كُلّها فَوَاصِل مسْجعَة كَما نرى، وَهُوَ كَثِيْر فِي القُرْآن المَجِيْد. (فواصل لخضر:٨٢)

(١) قَوْله: (كُلُّهَا عَلىٰ قَاعِدَةٍ): فَهٰذه الأَمْثلَة الخَمسَة مِن قَبِيْل الفَواصِل المُتوَازِنَة الَّتِي تتّفق فِي الوَزن دُوْن الرَوِي.

(٢) قَوْله: (فِيْ إِعَادَتِهَا لَذَّةٌ): وَاعلَم أَنّ اتِّفاق الآيَات فِي أَوَاخِر حُرُوْفها بِالأَلِف المَديَّة وَالاختِتَام بِها أَيْضا مُحقِّق النغْم المُوسِيْقِي الرَّائِع.

(٣/ ١) قَوْله: (الرَّوِيّ): الرّوِى: كُلّ حَرف يَقع آخر البَيْت، إلا مَا اسْتثْنى مِنه مِن التَّنوِين أَوْ بَدل مِن التَّنوِيْن، أَوْ حَرْف إِشْباعِي مَجلوْب لِبيَان الحَركة، وَما إلىٰ ذٰلك. (المعرّب)

(٣/ ٢) قَوْله: (حَرْفُ الرَّوى مُخْتَلِفا): كَمَا نَجد سُورَة الكَهف عَلىٰ مَدَى المِأة وَالعَشر آيَات الَّتِي تَضمَّنتْها تُلتَزم الفَواصِل فِيها الأَلِف المدِّية فِي نِهايَاتها مَع التَّنوّع فِي حَرْف الروِيّ. (فواصل:٦٨)

(٤) قَوْله: (فَيَقُوْلُ فِيْ مَوْضِعٍ): فَالفَاصلَة فِيْها أَلِف مَدّ نَاشِئ عَنِ الوَقْف عَلىٰ تَنوِيْن التَكرَة؛ وهٰذا التَّنوِيْن يلْحق فَواصِل بَعْض السُّور، كَالإسْرَاء وَالكَهف وَمَرْيم. (فواصل لخضر ملخصا)

(٥) قَوْله: (مَوْضِعٍ ثَالِثٍ): اعْلَمْ! أَنّ للفَاصلَة القُرآنيَّة جَوانِب جَمَاليَّة وَفَنيّة، تسْهمُ فِي تَأْثِير كَلَام البَارِي -جَلّ وَعَلا- فِي نَفس السَّامع، وَتجلِب اهْتمَامه وَتحشُد ذِهْنه كَاملا لِتدبّر مَعانِي هٰذَا الكِتَاب العَزِيْز.

وَمِن مَحَاسن الفَواصِل: أَنَّ فَواصِل الأَسْجاع مَوضوْعة عَلىٰ أَنْ تَكُوْن سَاكنَة الأَعْجاز، مَوقوْفا عَليْها؛ لأنّ إجْراء الحَركَات لَا يحقّق التَّزاوُج بَين الفَواصِل؛ فَوجَب الوُقوْف عَليْها، وَتسكِيْن أَعْجازهُما.

(علم البديع: ٢٥٥)

(٦) قَوْله: (التِزَامِ مَا لايَلْتَزِمُ): الالْتِزام: -وَيُسَمى لُزوْم مَا لايلْزَم- وَهو: أَنْ يلْتَزم فِي الشِعْر أَو النَّثر حَرف أَوْ حَرفَان فَصاعِدا قَبل الرَّوِيّ بِشرْط عَدم التَّكلُّف، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ =

- **أَكْثَرُ فَوَاصِلِ القُرْآنِ**(١):

٤- وَكَذٰلِكَ تَوَافُقُ الآيَاتِ(٢) عَلىٰ حَرْفٍ وَاحِدٍ، كَحَرْفِ المِيْم: فِيْ سُوْرَةِ القِتَالِ، وَالنُّوْنِ: فِيْ سُوْرَةِ الرَّحْمٰنِ يُفِيْدُ لَذَّةً وَحَلاوَةً(٣).

- **تَكْرِيْرُ الفَوَاصِلِ**:

٥- وَكَذٰلِكَ إِعَادَةُ جُمْلَةٍ(٤) بَعْدَ طَائِفَةٍ مِنَ الكَلامِ مُفِيْدُ لَذَّةٍ، كَمَا وَقَعَ فِيْ: سُوْرَةِ

= ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝﴾ [الضحى]، حَيْث الْتزمَ الهَاء قَبْل الرَّاء؛ وَكقَوْله تَعَالىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝﴾ [الم نشرح].

وَمثَال التِزَام حَرفَيْن قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلطُّورِ ۝ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝﴾ [الطور]، وقَوْله تَعَالىٰ: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ۝﴾ [القلم].

وَمثَال التِزَام ثَلاثَة أحْرف قَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ۝ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ۝﴾ [الأعراف] (فواصل الآيات:١٤٦)

(١) قَوْله: (فَوَاصِلِ القُرْآنِ): أَكْثَر فَوَاصِل الْقُرْآن الْكَرِيْم بُنِيَت عَلىٰ أَرْبَعَة أَحْرُف: النُّوْن، الرَّاء، اللَّام وَالمِيْم.

(٢) قَوْله: (تَوَافُقُ الآيَاتِ): التَّوافُق اللَّفظِيّ الوَاقع فِي أَوَاخر الجمَل إِنْ وَقع فِي كَلام الله، فَهِي "الفَاصلَة"، وَإِنْ وَقع فِي كَلام النَّاس، فَهِي "القَافيَة"، وَالحَرْف الأَخِيْر الَّذِيْ يبْنى عَلَيْه القَصيْدة فَهُو "الرَّوِيّ".

(٣) قَوْله: (يُفِيْدُ لَذَّةً وَحَلاوَةً): مِنْ سُوَر الْقُرْآن مَا بُنِيَت فَوَاصِلهَا عَلىٰ حَرْف وَاحِد، كَسُوْرة الإخْلَاص بُنِيَت عَلىٰ حَرْف الدَّالّ؛ وَمِنْهَا مَا بُنِيَت فَوَاصِلهَا عَلىٰ حَرْفَيْن، كَسُوْرَة الْجُمُعَة بُنِيَت عَلى النُّوْن وَالْمِيْم؛ وَمِنْها مَا بُنِيَت فَوَاصِلهَا عَلى ثَلاثَة أَحْرُف، كَسُوْرَة الصَّف بُنِيَت عَلى الصَّاد وَالْمِيْم وَالنُّوْن؛ وَمِنْها مَا بُنِيَت عَلىٰ أَرْبَعَة أَحْرُف، كَسُوْرَة يُوْسُف بُنِيَت عَلى النُّوْن وَالمِيْم وَالرَّاء وَاللَّام؛ وَمِنْها مَا بُنِيَت عَلىٰ خَمْسَة أَحْرُف، كَسُوْرَة الأنْعَام بُنِيَت عَلى المِيْم وَالنُّوْن وَاللَّام وَالرَّاء وَالطَّاء. (رَوح القدير)

(٤) قَوْله: (إِعَادَةُ جُمْلَةٍ): وَمِنْ تَكرِيْر الفَوَاصِل فِي بَعْض السُّوَر قَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝﴾ [الشعراء] فِيْ سُوْرَة الشُّعَرَاء: [٨، ٦٨، ١٠٣، ١٢١، ١٣٩، ١٥٨، ١٧٤، ١٩٠]، وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝﴾ فِيْ سُوْرَة القَمَر: [١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠]، وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝﴾ فِي سُوْرَة الرَّحمٰن: [١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣ ٢٥...]؛ وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَيْلٌ =

الشُّعَرَاءِ، وَسُوْرَةِ القَمَرِ، وَسُوْرَةِ الرَّحْمٰنِ، وَسُوْرَةِ المُرْسَلاتِ(١).

= يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ في سُوْرة المُرسَلَات: [١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩].

وَقَد كرّرت ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ الرَّحمٰن: [١٣، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥، ٢٨، ٣٠، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٥، ٤٧، ٤٩، ٥١، ٥٣، ٥٥، ٥٧، ٥٩، ٦١، ٦٣، ٦٥، ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧]؛ لأنّ الله سُبحانَه وَتَعالىٰ عدّد فِي السُّورة نعْماءَه وَذكَّر عِبَاده آلاءه، ونبَّهَهم عَلىٰ قَدرهَا، وَقدْرته عَليْها، وَلطْفه فِيْها؛ وَجعَلهَا فَاصلَة بَيْن كُلّ نِعمَة ليعْرف مَوْضع مَا أسْداه إليْهم مِنها، ثُمّ فِيْها مَعْنى التَّقرِيْع وَالتَّوبِيْخ؛ فَإنّ تَعدِيْد الآلَاء مِن الرَّحمٰن تبكِيتٌ لِمَن أنكرَهَا، كَما يُبكّت مَن ينكر أيَادِي النَّاس عَليْه بِتعْديْد النِّعَم لَه.

فَالإلحَاد سَيظلّ ثَابت الدَّعَائم عَلىٰ هٰذِه الأرْض، وَلابُدّ لَه مِن زَاجِر يزْجرُه، وَمدى يَنتَهي إليْه؛ فَكانَت سُوْرة الرَّحمٰن المَدنيّة عَلىٰ هٰذَا النَّمط المُوسِيْقي الخَالد آيَةً تبْصرَةً تَحُدُّ مِن سَيطرَة المَاديَّة صرَاطا لِلترْغيْب وَالتَّرهِيْب.

كَمَا نَجد التَّكرَار أيْضا فِي الآيَة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ فِي سُوْرة المُرسَلات المَكيَّة حَيْث تبْدأ بِعاصِفة مُزَمْجِرَة، وَتقسم قِسْما غَليْظا عَلىٰ أنّ مَا يوْعدُ بِه الكُفّار حَائِق بِهمْ لامُحالَة.

ثُمّ تذْكرُ اليَوْم الآخِر، وَفيْه: تُطمَس النُّجوْم، وَتُفرَج السَّماء، وَتُنسَف الجِبَال؛ وَالهَلاك كُلّه لِهؤُلاء الَّذيْن كَذَّبوا بِاليَوْم الآخِر وَما فِيْه؛ وَتظلّ عَلىٰ هٰذَا النَّمط تهدِّدُ وَتَتوعَّد تضْرب الأمْثَال لِلكاذِبِيْن بِمنْ سَبَقهُم مِنَ المُهلَكِيْن، وَتقِف عِنْد كُلّ موْقف لِتخْتمه بِه ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ ﴾.

ثُمّ عَادت السُّوْرة أدْرَاجهَا لِلحَديْث عَن الكَافرِيْن فِي تَسلْسل مُوسِيْقي عَنيْف يصخ آذَان الكُفّار وَيزَلْزل خَواطِرهمْ وَيترُكهُم فِي بَحْر لُجيّ مِن التَّفكِيْر فِي ذَات الله؛ فَيظلّ الإلحَاد فِي الإنْسانيّة وَاقِفا عِنْد حَدّ لايتَجَاوَزه إلىٰ التَّغلْغل فِيْ أعمَاقهَا، وَتظلّ الإنْسانيّة نَفسهَا عَلىٰ حَذْر مِن الوُقوْع فِي بَراثن الشَّهوانِيّة المَاديَّة الّتِي تفْتك بِسلَامة الرُّوْح. (فواصل الآيات:٧٦ ملخصا)

(١) قَوْله: (سُوْرَةِ الرَّحْمٰنِ، وَسُوْرَةِ المُرْسَلات): كَأن هَاتيْن الفَاصلَتيْن يَعْني: سُوْرة الرَّحمٰن وَالمُرسَلَات، -وَلله المَثَل الأعْلىٰ- قفْلة تَوضِيْحيّة أوْ قَافيَة شعْريَّة إضافِيّة ترِيْح نَفْس القَارِي مِن البَهَر، وَتُرْشدُه إلىٰ: إجادَة الوَقْف، وَتلْويْن الصَّوْت بِحيْث أمَدّت القُرّاء بِألْوَان مِن التَّنغِيْم المُؤثّر الأخَّاذ، نَراه يسْتثِيْر مَشاعِر السَّامِعِيْن وَيحدُوهُم -بِلا وَعْي- إلىٰ تَردِيْد هٰذِه الفَاصلَة مَع القِرَاءَة فِي خَشية غَامرَة وَخشُوْع عَميْق.

ثُمّ هُنا تحْكمَان الرَّبْط بَيْن الآيَات السَّابقَة وَاللاحِقَة، وَتسوْقَان أنْغامهُما المُتَسلْسلَة إلىٰ نِهايَة تتَوحد عِنْدهَا. (فواصل الآيات:٧٦)

المَلحُوْظة: وَفيْه قَاعدَة: "قَدْ يَرِدُ التَّكرَارُ لِتعَدُّدِ المُتعَلّقِ" (١٧٠)؛ قَال تَعالىٰ: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرحمٰن]، فإنَّها قَدْ وردَتْ فِيْ سُوْرة الرَّحمٰن فِي نيِّف وَثَلاثِيْن مرّة؛ والحقُّ: أنّ كُلّ=

- **تَنَوُّعُ الفَوَاصِلِ[1]:**

وَقَدْ تُبَدَّلُ فَوَاصِلُ[2] آخِرِ السُّوْرَةِ أَوَائِلَهَا تَنْشِيْطًا لِلسَّامِعِ، وَإِشْعَارًا بِلَطَافَةِ الكَلَامِ[3]، مِثْلُ: ﴿إِدًّا﴾، وَ﴿هَدًّا﴾ فِيْ آخِرِ سُوْرَةِ مَرْيَمَ[4]؛ وَمِثْل: ﴿سَلَامًا﴾ وَ﴿كِرَامًا﴾ فِيْ آخِرِ سُوْرَةِ الفُرْقَان؛ وَمِثْل: ﴿طِينٍ﴾، وَ﴿سَاجِدِينَ﴾، وَ﴿مُنظَرِينَ﴾ فِيْ آخِرِ سُوْرَةِ صَ، مَعَ أَنَّ الفَوَاصِلَ فِيْ أَوَائِلِ هٰذِهِ السُّوَرِ جَاءَتْ

= واحِدة تَتَعَلَّق بما قَبْلها، "لأنّ التأسِيْس مقدَّم عَلى التَّوْكِيْد"؛ وذٰلكَ لأنّ الله تَعَالىٰ خاطَب بها الثَّقَلَين من الإنْس والجنّ، وعدَّد علَيْهم نِعَمه التِيْ خلقَها لهمْ؛ فكلَّما ذكَر فَضْلا من فضُوْل النِّعَم طلَب إقرارَهم واقْتَضاهُمْ الشُّكرَ علَيْه؛ وكذٰلكَ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٨﴾ [الشعراء]. (قواعد:٧٠٢)

(١) قَوْله: (تَنَوُّعُ الفَوَاصِل): وَلَمَّا كانت الفَاصلَة تَكوْن كَالعَاقدَة لِلمَعَاني -أيْ: أنَّها تجْمَع المَعْنىٰ لما قَد سَبقهَا مِن الكَلَام فِي الآيَة-، فَلهٰذَا تَجد التَّنوُّع في الفَوَاصِل عَلىٰ مَدَار السُّوَر، كَما تَجدُ التَّنوُّع فِي الفَواصِل أيْضا داخِل بَعْض السُّوَر؛ وَهٰذَا التَّنوُّع يَأْتِيْ لِغَرَض إتْمَام المَعاني بِحسَب مَايقْتَضِيْه السِّيَاق في الآيَة، إذْ لَيْس الغَرَض الأسَاسِي مِنَ الفَواصِل تَقفِيَة السَّجْع، وَلذٰلِك تَجِد الآيَات فِي سُوْرة البَقرَة مَثلاً تَنتَهِي فَواصِلهَا بِحرْف مِن المَدِّ مَعَ النُّوْن أو المِيْم فِي الأغْلَب الأعَمّ؛ لٰكِن تتخَلّلهَا آيَات بالمَدِّ مَعَ الرَّاء أو الدَّال أوِ اللَّام أوِ اليَاء، إذِ المَعْنىٰ هُوَ المَقصُوْد؛ فَلاتَكُوْن زِينَة الكَلَام بِالسَّجْع باعْتبَار المَعنىٰ، فَلَيْس فِي تَقفِيَة الفَواصِل فِي القُرْآن تَكلُّف.

(٢) قَوْله: (تبدّل فَوَاصِلُ): وَقَد اختلَط الأمْر عَلىٰ بَعْض قُرَيْش فِي أوَّل نُزوْل الذِّكر الحَكيْم، فَقَرنُوه بِسجْع يَقوْله الكهان، فَردَّ عَلَيهم القُرْآن الكَريْم بِمثْل قَوْله عَزَّوَجَلّ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ۝٢٩﴾ [الطور:٢٩]؛ وَسيَأْتِي الفَرْق بَيْن السَّجْع وَالفَاصِلة. (فواصل الآيات)

(٣) قَوْله: (بِلَطَافَةِ الكَلَام): وَالآيَات الَّتي تعد فِيْها الفَواصِل أرْوعَ مَايكُوْن مِن أسْلوبِ التَّهدِيد وَالوَعِيد قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِأَيَٰتِنَا عَنِيدًا ۝١٦ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدثر]؛ فَانظُر كَيْف تتَوالى الآيَات القَصيْرة الَّتِيْ تلْعَب فِيْها الفَواصِل دَوْرا كَبيْرا فِي إضْفَاء المَعانِي الكَبيْرَة وَالتَّصوِير الدَّقيْق لحَال=

مُخْتَلِفَةً عَنْهَا، كَمَا لا يَخْفَى[1].

- **اهْتِمَامُ القُرْآنِ بِإِيْقَاعِ الفَوَاصِلِ[2]:**

فَجُعِلَ الوَزْنُ وَالقَافِيَةُ اللَّذَانِ مَضَى التَّعْبِيْرُ عَنْهُمَا[3] مُهِمًّا فِيْ أَكْثَرِ السُّوَرِ[4].

= الوَلِيْد، فَذٰلك قَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ١٨﴾ [المدثر].

وَهٰذَا التَّنوّع فِي الفَواصِل مَا بَيْن الدَّال المَفتُوْحة -الَّتِيْ تَحْمل بَيْن طيَّاتها مَعاني الرَّحَابة وَالاتِّسَاع- ثُمّ الرَّاء السَّاكنة -الَّتي تَحْمل مَعانِي الهَوْل وَالخَطر- إِلىٰ جَانب التَّصوِيْر الرَّائع الدَّقيْق فِي النَّظم وَالربْط بَيْن الآيَات؛ كَان القَارِي يسْمَع وَيرى وَيسْتشْعرُ فِي نَفْسه هَولَ الخَطِيْئة فِي كُفر الوَليْد بِالنعْمَة وَمَا ينْتَظرُه مِن العَذَاب الأَلِيْم.

وَهٰذَا الجَرس المُوسِيْقِي بَيْن الآيَات المُتوَالِيَة المُتنَاغِمة تُؤَدِّيه الفَواصِلُ عَلىٰ أَرْوَع مَا يَكُوْن الأَدَاء، حَتى تفِي بِالمَعانِي المَدِيْدَة فِي إِيْجَاز مُعْجز. (فواصل الآيَات:٥١)

(٤) قَوْله: (فِيْ سُوْرَة مَرْيَم): فَإِنَّ الرَّوِيّ فِيْمَا قَبْلُ قَوْله: ﴿وَأَضْعَفُ جُندًا ٧٥﴾ [مريم] اليَاء: ﴿صِلِيًّا ٧٠ مَّقْضِيًّا ٧١ جِثِيًّا ٧٢ نَدِيًّا ٧٣ وَرِءْيًا ٧٤﴾، وَقَدْ بُدِّلَ مِنْ هُنَا إِلىٰ آخِرهَا: ﴿مَّرَدًّا ٧٦ وَلَدًا ٧٧ عَهْدًا ٧٨ مَدًّا ٧٩ فَرْدًا٨٠﴾.

(١) قَوْله: (كَمَا لايَخْفىٰ): وَردَت بَعْض آي القُرْآن مُتماثِلَة المَقاطِع وَبَعْضُها غَيْر مُتمَاثلة؛ فَالفَاصلَة تَأْتِي مُتنَاسبَة مَع المعنىٰ تَمَاما بِحَيْث لايَستَطيْع إِنْسَان -مَهْما أُوْتِي مِن الفَصاحَة وَالبَلاغَة- أَنْ يحَرّكهَا مِنْ مَكَانها وَيأْتِي بِغيْرهَا؛ وَفِي هٰذَا إِعْجَاز لِلبشَر جَمِيْعا أَيمَا إِعْجَاز. (فواصل الآيَات:٥٩ ملخصا)

(٢) قَوْله: (بِإِيْقَاعِ الفَوَاصِلِ): الفوَاصِل جَمْع الفَاصِلَة، وَهِي الكَلمَة الَّتِي فِي آخر الآيَة الْقُرْآنِيَّة؛ فَهِيَ كَقَافيَة الْبَيْت فِي الشِّعْر؛ فَالفَوَاصِل القُرْآنيَة -أَيْ: الْكَلمَات الْوَاقعَة فِي أَوَاخِر الْآيَات- مَظْهر مِنْ مَظَاهِر إِعْجَاز الْقُرْآن الْكَرِيْم، يَتَجلّىٰ مِنْها التَّنَاسُق وَالتنَاغُم الصَّوْتِي الْمُذهِل.

وَالْفَواصِل بِحَسَبِ حُرُوْفِ المَقَاطِعِ إِمَّا أَنْ تَكُوْن "مُتَماثِلَة"، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلطُّورِ ١ وَكِتَٰبٖ مَّسۡطُورٖ٢﴾ [الطور]؛ أَوْ "مُتَقَارِبَة" فِي الحُرُوْف، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾؛ أَوْ "مُتَوَازِيَة"، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ١٣ وَأَكۡوَابٞ مَّوۡضُوعَةٞ ١٤﴾ [الغاشية].

وَالفَوَاصِلُ بِحَسَبِ الوَزْنِ وَالرَّوِيِّ إِمَّا أَنْ تَكُوْنَ "مُتَوازِنَة"، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَنَمَارِقُ مَصۡفُوفَةٞ ١٥ وَزَرَابِيُّ مَبۡثُوثَةٌ١٦﴾ [الغاشية]؛ أَوْ "مُطَرفَة"، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا٢٥ جَزَآءٗ وِفَاقًا٢٦ إِنَّهُمۡ كَانُواْ لَا يَرۡجُونَ حِسَابٗا ٢٧ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابٗا ٢٨﴾ [النبأ]، وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ٢﴾ [القمر]. (رَوح القدير) =

إِنْ كَانَ اللَّفْظُ فِيْ آخِرِ الآيَةِ صَالِحًا لِلقَافِيَةِ فَبِهَا، وَإِلاَّ وُصِلَ بِجُمْلَةٍ فِيْهَا: بَيَانُ آلاءِ اللهِ، أَوْ تَنْبِيْهٌ لِلمُخَاطَب[1]، كَمَا يَقُوْلُ: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ۝١٨﴾ [الأنعام]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١٧﴾ [النساء]، وَ﴿كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝١١﴾ [الفتح]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ۝٢١﴾ [البقرة]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ۝٢١﴾ [الزمر]، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يَتَفَكَّرُونَ۝٣﴾[2] [الرعد].

- **صُوَرٌ مِنَ الإِخْلَالِ وَالإِيْثَارِ[3]:**

وَقَدْ يُطْنَب فِيْ مِثْلِ هٰذِهِ المَوَاضِع، مِثْلُ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا۝٥٩﴾ [الفرقان]،

= (٣) قَوْله: (التَّعْبِيْر عَنْهُمَا): أي بِالتَّوافُق التَّقرِيْبِيّ، وَالمدّة المُعتَمدَة عَلىٰ حَرْف. (المعرِّب)

(٤/ ١) قَوْله: (مُهِمًّا فِي أكثرِ الصور): وَقدْ ذَكَرْنا صُوَر الإخْلال ضِمْن السَّبَب الخامِس فِيْ الفَصْل الرَّابع مِن البَاب الثَّاني.

(٤/ ٢) قَوْله: (مُهِمًّا فِيْ أَكْثَرِ السُّوَر): ولَيْس مَعنىٰ حِرص القُرآن عَلىٰ حسْن الوَقع التَّغميّ فِي فَواصِله التِزَام اتِّفاق القَواصِل دَائمًا عَلىٰ صُور مُعيّنة بِالمُوازنَة أوِ المُماثَلة أوِ السَّجع؛ لأنَّه قدْ يخَالفُ هٰذَا الاتِّفاق لأمْر آخَر استِدعَاه المقَام أهَم مِن هٰذَا التَّوافُق. (دراسة: ١٩)

(١) قَوْله: (بَيَانُ آلاءِ اللهِ، أَوْ تَنْبِيْهٌ): هٰذَا من قَبِيْل صنْعة "تَشابُه الأطْراف"، وتفصِيْله فِي عِلْم البَدِيْع.

(٢) قَوْله: (لِقَوْمٍ يَّتفَكَّرُوْنَ): أشَار المُصنِّف العَلّام إلى صنْعة مِن صَنائِع البَدِيْع الَّتِي تُسمىٰ بـ"تَشَابه الأطْراف مَعنًى"، وَهي نَوْع مِن مُراعَاة النَّظِيْر؛ وَهي: أنْ يخْتم الكَلَام بِما يَتناسَب مَع أوّله في المَعنىٰ، كَقوْله تَعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ۝١٠٣﴾ [الأنعام].

(علم البديع)

(٣) قَوْله: (الإخْلَال والإِيْثَار): صُوَر الإخْلالِ والإيْثَار؛ إذا اطردَت القَواصِل أثرَت في النَّفس تَأثيرا عَظيْما، وَلِذٰلكَ يخْرجُ الكَلَام:

أوّلا: بِزيَادة حَرْف أوْ أكْثَر؛ فَمنْ ذٰلِك: ١- زِيادَة الأَلِف بِكلِمَة ﴿ٱلظُّنُونَا﴾ فِي قَوْله تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ . . . وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ . . . وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠﴾ [الأحزاب] لأنّ آخِر الآيَات تَنوِيْن نَصب، يُوقفُ عَليْها بِالألِف؛ فَأضِيْفَت الأَلِف لِكلِمَة الظُّنُوْن مُراعَاة لِلفاصِلَة؛ وَمنْها كلمَة ﴿ٱلرَّسُولَا﴾ فِي =

= قَوْله تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ۝٦٦﴾ [الأحزاب]؛ وَسَيأْتِي تفصِيْله. ٢- وَكَذٰلِك زِيادَة هَاء السَّكْت فِيْ قَوْله تَعَالَى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠﴾ [القارعة]؛ ٣- وَمثلهَا زِيَادة الوَاو وَالنُّوْن فِي قَوْله تَعَالَى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ۝٤٠﴾ [يٰس]

ثَانِيا: بِحذْف حَرْف، كقَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ [الفجر]، فَحذِفَت اليَاء مِن كَلِمَة "يَسرِي".

ثَالثًا: الجَمْع بَيْن المَجرُوْرات لِتبْقى الفَاصلَة فِي آخِر الآيَة، كقَوْله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ۝٦٩﴾ [الإسراء]؛ فَهمَا ثَلاثَة أَحْرُف جَرّ هِي: اللَّام وَعلى وَالباء.

رَابعًا: تَقدِيْم مَا حَقّه التَّأخِيْر، كقَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ۝٤١﴾ [القمر]؛ فَأخَّر الفَاعل - أيْ: النذر- عَن المَفعُوْل -وَهو: آل- لأجل الفَاصلَة.

خَامسًا: إفْرَاد مَا أصْله أنْ يجْمع، كقَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤﴾ [القمر]؛ فَقدْ أفْرد كَلمَة ﴿نَهَرٍ﴾ لِلفاصِلة.

سَادسًا: جمع مَا أصْله أنْ يفرد، كقَوْله تَعَالَى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ۝٣١﴾ [ابراهيم]؛ وَالأصْل: "وَلا خُلّة" بِالإفْرَاد.

سَابعًا: تَأنِيث مَا حَقّه أنْ يذكّر، كَقَوْله تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾ [عبس]

ثَامنًا: صرف مَا حَقه أنْ لاينصَرف، كقَوْله تَعَالَى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ۝١٥ قَوَارِيرَاْ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦﴾ [الدهر]؛ فَكلمَة "قَوارِيْر" مَمنُوْعة مِن الصَّرف، لأنَّها عَلَى صِيغَة مُنْتهى الجُمُوْع، وَنوِّنَتْ عِند بَعضهِمْ مُراعَاة لِلفاصِلة.

تَاسعًا: العدُوْل عَن المَاضِيْ إلى المُضارِع، كقَوْله تَعَالَى: ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ۝٨٧﴾ [البقرة]؛ وَلمْ يَقلْ: "قَتلتُم" وَغَيْر ذٰلِك مِمَّا وَرَد فِي القُرْآن الكَرِيْم لمُناسبَة الفَواصِل.

وَعَاشِرا: تَغْيِيْر بِنْية بَعْض الكَلِمَات بَعْد التَّغْيِيْر لأجْل الإيْقَاع، وهُوَ -عَلَى قِلَّته- دَلِيل عَلَى اهتِمَام الفَواصِل، كقَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾ [التين]، فطُوْرِ سِنِيْن هُوَ طُوْرُ سَيْنَاء، وهُوَ نفْسُه وَارِد فِيْ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأٓكِلِينَ ۝٢٠﴾ [المؤمنون]؛ فَفِيْ سُوْرة التِّيْن جَاءت فاصِلة مَسْبُوْقة ومُتْبعَة بفَواصِل النُّوْن المَسْبُوقة بحَرْف المَدّ، ولِذَا غُيِّرت بِنْيَة الكلمَة مِنْ ﴿سَيْنَآءَ﴾ إلى ﴿سِينِينَ﴾ لمُوافقة الإيْقَاع، وكذَا إنَّ ﴿إِلْيَاس﴾ هُوَ ﴿إِلْ يَاسِيْنَ﴾ نفْسُه المَذْكور فِيْ آخِر القِصَّة، ولٰكِنْ غيّر بِناء الكلمَة ليُناسِب الفَواصِل.

(فواصل للمرسي، ولخضر ملخصا)

وَيُسْتَعْمَلُ التَّقْدِيْمُ وَالتَّأْخِيْرُ تَارَةً[١]، وَالقَلْبُ وَالزِّيَادَةُ أُخْرَى، مِثْل: ﴿إِلْ يَاسِينَ ۝١٣٠﴾ [الصافات] فِيْ إِلْيَاس، ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ [التين] فِيْ سَيْنَاء[٢].

• تَنَوُّعُ القَرَائِنِ وَالفِقَرِ:

١- وَلْيُعْلَم هٰهنَا: أَنَّ انْسِجَامَ[٣] الكَلَام وَسُهُوْلَتَهُ عَلَى اللِّسَان -لِكَوْنِه: مَثَلا سَائِرًا، أَوْ لِتَكَرُّرِ ذِكْرِه فِي الآيَة- يَجْعَل الكَلَامَ الطَّوِيْلَ مَوْزُوْنًا مَعَ الكَلَامِ القَصِيْرِ[٤].

---

(١) قَوْله: (وَيسْتَعْملُ التَّقْدِيْمُ وَالتَّأْخِيْرُ): اعْلَمْ! أَنّ الفَاصلَة القُرآنِيّة جُزْء مِن تَركِيْب الآيَة أَوْ جُزء مِن تَركِيْب الجُملَة الأَخِيرَة فِي الآيَات الطِّوال، وَهيَ تَأْخُذ مِن سُنَن العَربِيَّة فِي التَّقدِيم وَالتَّأْخِير بِنصيْب وَافر؛ بَل إِنَّ التَّقدِيم وَالتأْخِير هُوَ أَكْثر صُور البَيان الجَمِيْل وُرُوْدا فِي الفَواصِل، لأَنَّها تحْتَاج إِلى الإيْقَاع، كَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩٠﴾ [البقرة]، أَيْ: "عَذَاب مُهِيْن لِلكافِرِيْن"، فَفِي تَقدِيْم ﴿لِلْكَٰفِرِينَ﴾ مَع رِعايَة الفَواصِل فِيْه مَزِيْد اخْتِصَاص لِلكافِرِيْن بِالعَذَاب المُهِيْن. (فواصل لخضر: ٩٦)

(٢) قَوْله: (فِيْ إِلْيَاس ... فِيْ سَيْنَاء): تَغْيِيْر بِنْيَة بَعْض الكَلِمَات بَعْد التَّغْيِيْر لأَجْل الإيْقَاع، وَقَدْ مَرّ ذِكْره قُبَيْل هٰذَا فِي الإِخْلَال والإِيْثَار.

(٣) قَوْله: (الْانْسِجَام): هُوَ أَنْ يَكُوْن الكَلَام -لِخُلُوّه مِن العِقَادَة- مُنْحدِرا كَتَحَدّر المَاء المُنْسجِم، وَيَكَاد لِسهُوْلَة تَرْكِيْبه وَعُذُوْبَة أَلْفَاظه أَنْ يَسْهُل رِقّة؛ وَالقُرْآن كُلّه كَذٰلِك؛ قَالَ أَهْل البَدِيْع: وَإِنْ أَقْوَى الانْسِجَام فِي النَّثْر: جَاءَتْ فِقرَاته مَوزُوْنَة بِلاقَصْد لِقُوّة إِنْسِجَامه. (الزيادة والإحسان)

فَإِذَا لَاحَظنَا الآيَة الَّتِي عَلىٰ بَحْر الطَّوِيْل بِدُوْنِ تَكَلُّف، وَهُوَ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف۝٢٩]، فَكُلٌّ مِنَ العَالِم وَالعَامِي يَسْتطِيْع أَنْ يَقْرأَهَا وَيُزيّنهَا بِصَوْته الفِطْرِي؛ وَإِذَا لَاحَظنَا وَزْنَه المَعرُوْف عِنْد العَرُوْضِيّيْن، فَهُوَ: "فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ، فَعُوْلُنْ مَفَاعِلُنْ".

وَمِنْه قَوْل الشَّاعِر: سَتُبْدِيْ لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلَنْ؛ وَيَأْتِيْكَ بِالْأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِيْ؛ -وَتَقْطِيْعه بِالرَّمْز: [//☆/☆ - //☆/☆/☆ - //☆/☆ - //☆//☆]؛- فَلايَسْتطِيْع أَنْ يَقْرَأه العَامِي عَلى قَوَاعِد العَرُوْضِيّيْن، فَضْلا عَنْ أَنْ يُزَيِّنه بِصَوْته الفِطْرِي؛ فَهٰذَا هُوَ الفَرْق بَيْن مِيْزَان كَلَام الله وَوَزْن كَلَام النَّاس. (مُحَمّدْإِلْيَاس)

(٤) قَوْله: (مَوْزُوْنًا مَعَ الكَلَامِ القَصِيْر): وَاعْلَمْ! أَنّه إِذَا لَم تَستَو القَرَائِن فِي اللَّفظَات يِسْتحْسنُ أَنْ تكُوْن كُلّ قَرِيْنَة أَطْوَل مِما قَبلهَا. (دراسة: ٧٠)

٢- وَرُبَمَا يُؤْتىٰ بِالفِقَرِ الأَوَّل أَقْصَر مِنَ الفِقَر التَّالِيَة[1]، وَهُوَ يُفِيْدُ عُذُوْبَةً فِي الكَلَامِ، نَحْوَ قَوْلِه تَعَالىٰ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝﴾ [الحاقة]؛ فَكَأَنَّ المُتَكَلِّمَ يُضْمِرُ فِيْ نَفْسِه فِيْ مِثْل هٰذَا الكَلَامِ: أَنَّ الفِقْرَةَ الأُوْلىٰ مَعَ الثَّانِيَةِ فِيْ كِفَّةٍ، وَالفِقْرَةَ الثَّالِثَةَ وَحْدَهَا فِيْ كِفَّةٍ[2].

- **مَلْحُوْظَةٌ فِيْ الآيَاتِ القَصِيْرَة:**

وَرُبَمَا تَكُوْنُ الآيَةُ ذَاتَ قَوَائِمَ ثَلاثٍ[3]، نَحْوَ قَوْلِه تَعَالىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ

---

(١) قَوْله: (مِنَ الفِقَر التَّالِيَة): قَالَ أَهْل البَدِيْع: أَحْسَن السَّجْع وَالفَوَاصِل مَا تَسَاوَت قَرَائِنه، نَحْو: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝﴾ [الواقعة]؛ وَيلِي ذٰلِكَ فِي الحسن مَا طَالَت قَرِيْنَته الثَّانيَة، نَحْو: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝﴾ [النجم]، بِشرْط أَنْ لايَكوْن الطُّوْل خَارجا عَن حَد الاعْتدَال؛ أَوْ طَالت قَرِينَة الثَّالثَة، نَحْو: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝﴾ [الحاقة]

(فواصل:١٤٧، دراسة:٧٠)

(٢/ ١) قَوْله: (وَحْدَهَا فِيْ كِفَّةٍ): الكِفَّة مِن المِيْزَان: مَا يُجعَل فِيْه المَوزُوْن (لِزا). (المعرّب)

(٢/ ٢) قَوْله: (وَحْدَهَا فِيْ كِفَّةٍ): هٰذَا هُوَ السِّرّ فِي الآيَة الطَوِيْلَة مَعَ الآيَات القَصِيْرَة، وَبِالعَكْس. وَقَدْ ذَهَبَ ابْن الأَثِيْر إِلىٰ: أَنَّ الطُّوْل المُعْتَبَر فِي الفَقْرَة الطَّوِيْلَة يَنْبَغِي أَنْ يُرَاعىٰ فِيْه مَجْمُوْع مَا سَبَقَهَا مِنَ الفِقَر، وَلايُنْظَر إِلىٰ طُوْل كُلّ مِنهَا عَلىٰ حِدَة؛ ((فَإِذَا كَانَ السَّجْع عَلىٰ ثَلَاث فِقْرَات -مَثَلا-، فَإِنَّ الفِقْرَتَيْن الأُوْلَيَيْن يُحْسَبَان فِيْ عِدَّة وَاحِد، ثُمَّ بَاقِي الثَّلَاثَة))؛ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُوْن طَوِيْلَة طُوْلا يَزِيْد عَلَيْهِمَا؛ فَإِذَا كَانَتِ الأُوْلىٰ وَالثَّانِيَة أَرْبَع أَرْبَع لَفَظَات، تَكُوْن الثَّالِثَةُ عَشر لَفَظَات أَوْ إِحْدى عَشرَة.

(دراسة: ٧١- ٧٣)

(٣) قَوْله: (ذَاتَ قَوَائِمَ ثَلاثٍ): قَالَ أَهْل البَدِيْع: أَحْسن السَّجْع مَا كَان قَصيْرا لِدلالَته عَلىٰ قُوَّة المُنْشِئ، وَأَقلّه كَلمتَان، نَحْو: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝﴾ [المدثر]؛ وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝﴾ [العاديات]؛ وَالسَّجْع الطَّوِيْل مَا زَاد عَن العَشر كَغالِب الآيَات، وَما بَينَهمَا مُتوَسّط كَآيَات سُوْرة القَمَر؛ فَكَأَنّ المُصنِّف أَشَار إِلىٰ أَنّ الآيَة التَّالِيَة وَإِنْ كَانَت مِن قَبِيْل السَّجْع المُتوسِّط عِنْد البُلغَاء، وَلٰكنَّها مِنْ قَبِيْل القَصِيْر بِحَسَب الامْتِدَاد التَّفَسِي. (مُحَمَّدإِلْيَاس)

وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ...﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ...﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران]؛ وَالعَامَّةُ يَصِلُوْن الأُوْلىٰ مَعَ الثَّانِيَةِ، فَيَحْسَبُوْنَهَا طَوِيْلَةً(١).

• **التَّشْرِيْعُ(٢) كَمَا يَكُوْنُ فِيْ الشِّعْرِ يَكُوْنُ فِيْ النَّظْمِ أَيْضًا:**

وَقَدْ يَجِيْء سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ بِفَاصِلَتَيْن فِيْ آيَةٍ وَاحِدَةٍ(٣)، كَمَا يَكُوْنُ ذٰلِكَ فِي

---

(١) قَوْله: (فَيَحْسَبُوْنَهَا طَوِيْلَةً): قَالَ الشَّيْخ مُحَمَّد عَلِي الصَّابوْني: "مُراعَاة الفَواصِل مِن خَصائِص القُرْآن"؛ وَقَالَ: "فَمثْل هٰذَا البَيَان الرَّائِع وَالجَرس العَذْب يَسرِي فِي النَّفس سَرَيان الرُّوْح فِي الجَسَد، وَأقسم بِالله: أنَّنِيْ أَشعر بِهزَّة فِي نَفسِي كُلَّما قَرأت القُرآن لِمَا لَه مِنْ وَقع عَذب عَلى السَّمْع؛ وَأحيَانا أجِدنِي: أتَمايَل طَربا بِدوْن شُعوْر أكْثَر مِما يتَمايَل المُغْرَمُوْن، وَمَا ذٰلِك إلا لرَوعَة البَيان فِي هٰذَا القُرْآن؛ وَصدقَ رَسوْل الله ﷺ حِيْن قَال: "إنَّ مِن البَيَان لَسحْرا". (فواصل الآيات: ٨٣)

وَقَالَ المرْسِي: وَللقُرْآن مَسْحَة خَلَّابة عَجِيْبة تتَجلُّى فِي: نِظَامه الصَّوتِي، وَجَماله اللّغوِي؛ وَالمُراد بِنظَام القُرْآن الصَّوتِي: اتِّسَاق القُرْآن الكَرِيم، وَائتِلَافه فِي حَرَكَاته وَسَكنَاته وَمدَّاته وغنَّاته، وَاتصَالَاته وَسَكنَاته اتِّسَاقا عَجِيْبا وَائتِلافا رَائِعا يسْترْعِي الأَسْمَاع وَيستَهوي النُّفوْس بِطرِيْقَة لايُمْكنُ أنْ يَصل إلَيْها أيُّ كَلام آخَر مَنظُوْم أوْ مَنثُوْر. (فواصل الآيات:٨٤)

(٢) قَوْله: (التَّشْرِيْعُ): وَهُو: أَنْ يبْنِى الشَّاعِر بَيْتَه عَلىٰ وَزنَيْن مِن أَوْزَان العرُوْض، فَإذَا أَسقَط مِنْها جُزءًا أوْ جُزئَيْن صَار البَاقِي بَيْتا مِن وَزن آخَر؛ ثُمّ زَعمَ قَوْم اخْتصَاصه بِالشِّعْر.

وَقَالَ آخَروْن: بَل يَكوْن فِي النَّثر أيْضا بأنْ يَكوْن مَبنِيا عَلىٰ سَجعَتيْن، لَو اقْتصرَ عَلى الأُولىٰ مِنهُما كَان الكَلَام تَامّا مُفِيْدا؛ وَإنْ أُلْحقتْ بِه السَّجعَة الثَّانِيَة كَان فِي التَّمامِ وَالإفَادةِ عَلىٰ حَاله مَعَ زِيادَة مَعْنىٰ مَا زَاد مِن اللَّفْظ، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴿٢٥﴾﴾ [نوح]؛ وَقَالَ تعالىٰ: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَـٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾ [الواقعة]؛ فَلوْ حذفَت ﴿مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾﴾ و﴿مَآ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾ بَقِيَ الكَلام تَامّا مُفِيْدا.

قَالَ ابن أَبِي الإصْبع: "وَقدْ جَاء مِن هٰذَا البَاب مُعْظم سُورَة الرَّحمٰن، فَإنّ آيَاتها لَو اقْتصِر فِيهَا عَلىٰ أوْلَى القَاصلتَيْن دُوْن ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن] لَكانَ تَامّا مُفِيْدا، وَقد كمُل بِالثَّانِيَة فَأَفَاد مَعنىً زَائدًا مِن التَّقرِيْر وَالتَّوبِيْخ". (فواصل للمرسي: ١٤٥)

مَلحُوْظة: كَأنَّ الإمَام أشَار إلىٰ أنَّ بَعْض الأنْوَاع البَدِيْعيَّة الَّتِي تَخْتصهَا بَعْض البُلغَاء بِالنَّظْم، مَع=

البَيْت أيْضا، نَحْو:

كَالزَّهْر فِيْ تَرَفٍ، وَالبَدْرِ فِيْ شَرَف * وَالبَحْرِ فِيْ كَرَمٍ، وَالدَّهْرِ فِيْ هِمَم[1]

- **تَقَابُلُ الحُسْنِ الظَّاهِرِيِّ مَعَ الحُسْنِ البَاطِنِيِّ:**

وَقَدْ يَجِيْء بِالآيَة الوَاحِدَة أطْوَل مِنْ سَائِر الآيَات[2]، وَالسِّرُّ فِيْه: أنَّه لَوْ وُضِعَ حُسْنُ الكَلام الَّذِيْ نَشَأ مِنْ: تَقَارُب الوَزْن، وَوِجْدَانِ الأمْر المُنْتَظَر -الَّذِيْ هُوَ القَافِيَة- فِيْ كِفَّةٍ، وَوُضِعَ حُسْنُ الكَلامِ الَّذِيْ نَشَأ مِنْ: سُهُوْلَة الأدَاء، وَمُوَافَقَةِ طَبْعِ الكَلام، وَعَدَمِ لُحُوْقِ التَّغَيُّر فِيْه فِيْ كِفَّةٍ أخْرَى؛ تُرَجِّحُ الفِطْرَةُ السَّلِيْمَةُ جَانِبَ المَعْنَى[3]، فَيُهْمِل أحَدَ الانْتِظَارَيْن، وَيُوَفِّي الحَقَّ فِي الانْتِظَارِ الثَّانِيْ[4].

= أنَّها تعمّ بِالنَّثْر أيْضا، وَقَد وجدت الأنْوَاع البَديْعيّة كَثيْرا مَا فِي القُرْآن المَجيْد؛ فَلاحَاجَة إلَى اخْتصاصهَا بِالنَّظْم؛ بَل بَعْض مِن الأنْوَاع مَا هِي لَم تُوْجد أمْثلَته فِي غَيْر كَلام الله؛ فَتنَبّه لَه، وَقَدْ ذَكَرْنا -بِحَمْد الله وَفضْله العَمِيْم- كَثيْرا مِن الأنْواع البَديْعيَّة -مِن الإبْدَاع، وَالاقْتِدَار، وَالمرَاجعَة، وَالتَّنكِيْت، وَالفَرَائد وَالنَّزاهَة وَغيْرهَا- الَّتِي تختصّ بِالقُرْآن فَقَطْ فِي كِتَابنَا "اجرائے بلاغت مع بديع القرآن". فَمَنْ شَاء فَلْيُرَاجِعْ إلَيْه.

(٣) قَوْله: (وَاحِدَة): كقَوْله تَعَالَى: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ۝١٧﴾ [الرحمٰن]؛ وقَوْله تَعَالَى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ۝٢٥﴾ [نوح] (المعرِّب)

(١) قَوْله: (هِمَم): وَالشِّعْر مِن قَصيْدة البرْدَة فِي وَصْف النَّبِيِّ ﷺ، وَالترف: النَعُوْمَة وَالمَعنَى: أنَّه ﷺ مثلُ الزهْر فِي اللَّطافَة، وَالبدْر فِي الشَّرف، وَالبحْر فِي الكَرم، وَالدّهر فِي العَزْم عَلَى الشَّيْء. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (أطْوَل مِنْ سَائِر الآيَات): كَمَا فِي سُورَة المُدثِّر: ٣١، فَإنَّها أطْوَل مِمَّا قَبلَها. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (المَعْنَى): يَعنِيْ تُرجّح حُسن الكَلَام الَّذِيْ نَشأ مِن سهُوْلة الأدَاء إلخ. (المعرِّب)

قَضَايَا مُهِمَّة مِنْ قَضَايا الفَاصِلَة القُرْآنِيَّة

١- البَلِيْغ هُوَ الَّذِيْ يُرَاعِي مُطَابَقَة الكَلام لِمُقْتَضى الحَال، فَإذَا اقْتَضى الحَال أنْ يَأْتِي الكَلام مَسْجُوْعًا أتَى بِهِ كَذٰلِكَ، وَإذَا لَمْ يَتَطَلَّبْه المَقَام لَايَأْتِيْ بِهِ، وَيَأْتِيْ فِيْ كُلّ بِمَا يُنَاسِبهَا. (دراسة)

٢- لَيْسَ مَعْنَى حِرْص القُرْآن عَلَى حُسْن الوَقْع النَّغْمِيّ فِيْ فَوَاصِله الْتِزَام اتِّفَاق الفَوَاصِل دَائِمًا عَلَى صُوَر مُعَيَّنَة بِالمُوَازَنَة أوِ المُمَاثَلَة أوِ السَّجْع؛ لأنَّه قَدْ يُخَالف هٰذَا الاتِّفَاق لأمْر آخَر اسْتَدْعَاه المَقَام =

- **مَلْحُوْظَةٌ: فِيْ مُرَاعَاةِ أُسْلُوْبِ التَّخَاطُبِ وَالتَّحَاوُرِ:**

وَأَمَّا مَا قُلْنَا فِيْ فَاتِحَةِ المَبْحَث: أَنَّ سُنَّةَ اللهِ -تَعَالىٰ- قَدْ جَرَتْ فِيْ أَكْثَرِ السُّوَر عَلىٰ ذٰلِكَ، فَإِنَّمَا هُوَ لأَجْل أَنَّ اللهَ -سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ- لَمْ يُرَاعِ فِيْ بَعْضِ السُّوَر ذٰلِكَ

= أَهَمّ مِنْ هٰذَا التَّوَافُق. (دراسة: ١٩)

٣- إِنَّ وُجُوْه السَّجْع (مِنْ عِلْم البَدِيْع) لاتُعَدّ مُحَسِّنَة لِلْكَلَام إِلَّا بَعْد رِعَايَة المُطَابَقَة (المَذْكُوْرَة فِيْ عِلْم المَعَانِي) وَوُضُوْح الدَّلَالَة عَلَى المَعْنى المُرَاد (المَذْكُوْرَة فِيْ عِلْم البَيَان)؛ لأَنَّ مَبَاحِث عِلْم البَدِيْع تَابِعَة لِمَبَاحِث وَعِلْم المَعَانِي وَالبَيَان، وَلِذٰلِكَ عَرَّفُوْا عِلْم البَدِيْع بِأَنَّه "عِلْم يُعْرَف بِه وُجُوْه تَحْسِيْن الكَلَام بَعْد رِعَايَة المُطَابَقَة وَوُضُوْح الدَّلَالَة عَلَى المَعْنى المُرَاد"؛ وَلِذٰلِكَ قَالَ الدُّكْتُوْر عَبْد الجَوَّاد: "لاتُعَدّ هٰذِه الوُجُوْه (أَيْ: وُجُوْه تَحْسِيْن الكَلَام مِنَ السَّجْع وَغَيْره) مُحَسِّنَة لِلْكَلَام إِلَّا بَعْدَهُمَا، وَإِلَّا لَكَانَتْ كَتَعْلِيْق الدُّرّ عَلىٰ أَعْنَاق الخَنَازِيْر". (دراسة: ١١١ ملخصا)

٤- أَحْسَن القَصِيْر مِنَ السَّجْع: مَا كَانَ مُؤَلَّفًا مِنْ لَفْظَتَيْن لَفْظَتَيْن، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۞ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۞﴾ [المرسلات]؛ وَجُعِلَ مِنْه مَا يَكُوْن مُؤَلَّفًا مِنْ ثَلَاثَة أَلْفَاظ أَوْ أَرْبَعَة أَوْ خَمْسَة إِلىٰ عَشَرَة، وَمَا زَادَ عَلَى العَشَرَة فَهُوَ مِنَ الطَّوِيْل.(دراسة)

٥- المُحَسِّنَات البَدِيْعِيَّة غَيْر المُتَكَلَّفَة فِي الكَلَام -مَعْنَوِيَّة كَانَتْ أَمْ لَفْظِيَّة- لَهَا أَثَر عَظِيْم كَمَا فِي الآيَات القُرْآنِيَّة، بَلْ إِنَّ تَرْك المُحَسِّنَات البَدِيْعِيَّة مِنَ الجِنَاس وَالطِّبَاق وَغَيْرهِمَا -الَّتِيْ يَسْتَدْعِيْهَا المَعْنىٰ- فَهُوَ تَكَلُّف. (دراسة: ٦٦ ملخصا)

٦- لَمَّا كَانَت الفَوَاصِل تَابِعَة لِلْمَعَانِي وَرُوْعِيَتْ فِيْهَا بِأُمُوْر تَتَعَلَّق بِعِلْم المَعَانِي -مِنَ الحَذْف وَالتَّقْدِيْم وَالتَّقْيِيْد وَغَيْرهَا-، فَتَصِيْر رِعَايَة الفَوَاصِل أَيْضا مِنْ مُقْتَضَيَات الكَلَام؛ وَلِذَا قَالَ الدُّكْتُوْر عَبْد الجَوَّاد: "وَعَلىٰ هٰذَا يُمْكِن التَّوَسُّع فِيْ مَفْهُوْم الاعْتِبَارَات المُنَاسِبَة لِلمَقَام بِأَنْ تَشْمَلَ نَظْم الكَلَام بِكُلّ خَصَائِصه مِنْ ذِكْر أَوْ حَذْف أَوْ تَقْدِيْم أَوْ تَأْخِيْر أَوْ تَعْرِيْف أَوْ تَنْكِيْر، أَوْ إِيْرَاد عَلىٰ سَجْعَة أَوْ فَاصِلَة مُعَيَّنَة لاقْتِضَاء السِّيَاق ذٰلِكَ". (دراسة: ١١٢)

(٤) قَوْله: (الانْتِظَارِ الثَّانِيْ): اعْلَمْ! أَنّ التَّنَاسُب فِي فَوَاصِل القُرْآن الكَرِيْم عَلىٰ حَرْف وَاحِد لَمْ يَكُن مُلْتَزما فِي السُّوَر الطَّوِيْلَة أَوِ القَرِيْبَة مِنْها -كَمَا فِي البَقَرَة وَآل عِمرَان وَالنِّسَاء وَالإِسْرَاء وَالأَحْزَاب مَثَلاً-؛ لأَنّ ((القُرْآن الكَرِيْم نزلَ عَلىٰ سنَن الفَصيح مِن كَلَام العَرَب، وَمنْه المَسجُوْع وَغَيْر المَسجُوْع))؛ مَع أَنَّ المَقصوْد فِي الأَصْل هُوَ المَعَانِي وَالأَغْرَاض، سَوَاء أَتىٰ ذٰلك عَلىٰ طَرِيْق التَّنَاسُب اللَّفظِي بَيْن الفَواصِل أَمْ لَا. (دراسة: ٧٥)

النَّوْعَ مِنَ الوَزْنِ وَالقَافِيَةِ(١)؛ فَجَاءَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الكَلام عَلَىٰ مَنْهَجِ خُطَبِ الخُطَبَاء،

(١/ ١) قَوْله: (لَمْ يُرَاعِ ... الوَزْنِ وَالقَافِيَةِ): اعلمْ! انَّ "الانتقَالَ مِن مُراعَاة الفَواصِل إلىٰ عَدمهَا قَدْ يَكُوْن انْتقالا مِن الحسَن إلى الأحْسَن"، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب]، مَعَ أَنَّ فَواصِله: ﴿حَكِيمًا ﴿١﴾ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾؛ لأنَّه وَإنْ كَانَت المُراعَاة حسنة لَكِن عدمهَا هُنَاك أَحْسَن، لأنَّ المقَام هُنَاك -وَالله أعْلَم- هُوَ مقَام التَّعبيْر عَن السَّبيْل الحقّ الَّذِيْ لايقْبَل الزِّيَادة وَالنُّقْصَان، وَكَأن فِي التِزَام بِنَاء الكلمَة عَلى الأصُوْل المَعروْفة إشارَة إلىٰ: أنَّ هٰذَا السَّبيْل لايقْبَل تعدِيْلا وَلاتغيِيْرا؛ وهٰذَا الغَرض أقْوىٰ وَأحْسن مِن غَرض مُراعَاة الفَصل.

(دراسة: ١٠٤ ملخصا)

(١/ ٢) قَوْله: (لَمْ يُرَاعِ ... الوَزْنِ وَالقَافِيَةِ): اعْلَمْ! أَنَّه يفرقُ بَين السَّجع وَالفوَاصِل: أَنَّ السَّجْع هُوَ الَّذِيْ يُقْصد فِي نَفْسه، ثُمّ يحْملُ المَعنىٰ عَليْه؛ وَالفَواصِل: هِي الَّتِيْ تتبع المَعاني، وَلاتكُوْن مَقصُودَة فِي أنفسهَا.

وَلذٰلِك أَحيَانا لايُراعِيْ القُرْآن الكَرِيْم الفَاصِلَة، بَل قَدْ تَأتِيْ مُغايرَة عَن غَيرهَا؛ وَهٰذَا دَليْل عَلىٰ أَنَّ المَقصُوْد بِالدَّرجَة الأوْلىٰ هُوَ المَعنىٰ، كَمَا فِي سُورَة طٰهٰ تَأتِيْ الآيَةُ ﴿فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾﴾ [طٰهٰ] مُغايرَة لِلفاصِلَة القُرآنِيّة فِي بَاقِي آيَات السُّورَة، نَحْو: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴿٧٦﴾ . . . لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ . . . فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ . . . وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾؛ لأنَّ المَقصُوْد الأوَّل هُوَ المَعْنىٰ؛ وَكذٰلكَ فِي سُورَة الأنبيَاء: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾ [الأنبياء] مُغايرَةٌ لبَاقِي آيَات السُّورَة، نَحْو: ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ . . . إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴿٦٣﴾ . . . أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾، وَلَيْس لَهَا ارْتبَاط بِما قَبْلهَا وَبَعدهَا.

وَكذٰلكَ لَوْ قَالَ تَعَالىٰ: "يحوْرا" فِي قَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾ [الانشقاق]، لتغير المَعْنىٰ؛ وَفِي هٰذَا دَلالَة عَلىٰ أنّ القُرْآن يُرَاعِي المَعْنىٰ قَبْل مُراعَاة النَّاحيَة اللَّفظِيَّة.

وَلنِعْم مَا قَالَ سُبحَانه وَتَعالىٰ فِي الأحْزَاب: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ،... وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ . . .، وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾ [الأحزاب] جَاءَت كلمَة ﴿السَّبِيْل﴾ فِي آخِر الآيَة الرَّابعَة بِغيْر الألِف بَينَما جَاء مَا قَبلهَا وَبَعْدهَا بِالألِف؛ وَفِي أَوَاخر سُوْرَة الأَحْزَاب ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾ [الأحزاب]؛ جَاءَت كلمَة ﴿ٱلسَّبِيلَا۠﴿٦٧﴾﴾ بالألِف، لأنَّ الكَلام فِي هٰذِه الآيَات عَنْ هٰؤلاء فِي النَّار، وَ﴿ٱلرَّسُولَا۠﴿٦٦﴾﴾ بِالألِف هُوَ صَوْت البَاكِي؛ وَأمَّا فِي سُوْرَة الأحْزَاب فَلَيْس هُنَاكَ عَذاب فَجاءَت عَلىٰ حَالهَا ﴿السَّبِيْل﴾.

وَأَمْثَالِ الحُكَمَاء[1]؛ وَلَعَلَّكَ قَدْ سَمِعْتَ مُسَامَرَةَ النِّسَاءِ المَرْوِيَّةِ عَنْ سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- [2] وَفَهِمْتَ قَوَافِيَهَا[3]، وَوَقَعَ الكَلَامُ فِيْ بَعْضِ السُّوَرِ عَلَىٰ مَنْهَجِ

---

(١) قَوْله: (مَنْهَج خُطَبِ الخُطَبَاء إلخ): قَدْ ذَكَر صَاحِب فَوَاصِل الآيَات أَمْثِلَة مِن أَسْجَاع العَرب الرَّائقة، ثُمّ قَال: "وَفِي هٰذِه العِبارَات -كَمَا نَرى- نَوْعٌ مَن الحِليَة اللَّفظيَّة الَّتِيْ يَحْسُنُ وَقعُها فِي الأَسْماع وَتَأْثِيرهَا فِي النُّفوس، فِيها أَلْفَاظ مُنتَقاة وَمُتناسبَة فِي الوَزن، مُتشَابهَة فِي النَّغم وَالجَرْس مَع قِصَر الجُمل أَوْ تَوسُّطهَا؛ وَكَثِيْرا مَا يلْتزمُوْن ذٰلِك فِي الحِكَم وَالأَمثَال وَالوَصَايا يَميْلُوْن فِيها إِلى الإيْجَاز مِن غَيْر إِخْلَال بِالمَعْنىٰ".

وَلُغَة التَّخاطُب عِنْد عَرب الجَاهليَّة هِي تِلْك الَّتِي تظْهرُ فِي أَشْعارهمْ وَخُطبهِم وَكِتَابَاتهمْ، لافَرْق بَينَها فِي البَلاغَة إِلَّا بِقدْر مَا يسْتدْعِيْه المَوْقِف عِنْد الخِطابَة أَوِ الكِتابَة أَوْ مقَالَة مِن نبَالَة المَوضُوْع وَالتَّأنّق فِي العِبارَة؛ وَلَيْس أَدلّ عَلىٰ ذٰلك مِن حَديْث أمّ زَرْع المَشْهُوْر الَّذِيْ رَوتْه أمّ المُؤمنِيْن عَائشَةُ. وَلَقدْ ذَكَر الإِمَام السَّيوْطِي نمَاذِج كَثيْرَة مِنْ هٰذَا الكَلَام المَسجُوْع فِي لُغَة العَرَب نَقلَه مِن كُتُب السَّابقِيْن فِي مَوضُوْعات شَتّٰى مِمَّا يَدلّ عَلىٰ أَنّ العَرَب كَانوْا يمِيلُوْن فِي مُعْظَم الأَحْيَان إِلى السَّجْع فِي عِبارَاتهِمْ وَيعدّوْن ذٰلِك مِن الفَصاحَة وَحُسْن المَقَال.

فَلَيْس الشّعْر وَحْده الَّذِيْ تظْهرُ فِيْه بَراعَتهمْ فِي الكَلام، وَلٰكِن النَّثْر المَسجُوْع كَان يُعدّ لَوْنًا مِن الأَلْوَان الَّتِيْ تظْهرُ بَراعَتهمْ فِي البَيَان وَصِنَاعَة الكَلَام. (فواصل الآيات للمرسي:٢٢)

الملحوظة: أَنَّ الفَواصِل تنبه حَوَاس السَّامِع إِلى الاسْتجَابَة؛

إِنَّك لَتجِد الجَرس المُوسِيقِي السَّريْع القَوِيّ فِي الكَلمَات البَليْغَة المُتلَاحقَة -حَيْث تَأْتِي الآيَات قَصيْرة مُتوَاليَة شَديْدَة الإِيْجَاز شَديْدَة الوَقْع، يتَنوَّع فِيْها الأَسْلوْب بَيْن التَّرغيْب وَالتَّرهِيْب- لتترك فِي نُفوْس العَرَب وَنُفُوْس المُتكَبرِيْن المُكَابِريْن -مِنْ أَيّ مِلّة- أَثرا عَظيْما وَوَقْعا شَديْدا عِنْد سِمَاعهمْ لهٰذِه الآيَات المُوجَزة ذَات المَعانِي المُستَفيْضَة.

وَلَعلّ مَا فِي التَّدافُع فِي الآيَات القَصيْرَة ذَات النَّغْم المُتوَافق النَّاجم عَن تَناسُب الفَواصِل مَا ينبّه حَوَاس السَّامع إِلى الاسْتجَابَة لِذٰلِك الجَرس وَالتَّفاعُل مَعَه وَالتَّأَثُّر بِه. (فواصل الآيات:٥٥)

(٢) قَوْله: (سَيِّدَتِنَا عَائِشَةَ): عَن عَائشَة قَالَت: جَلسَت إِحْدى عَشرة إِمْرَأة فَتعَاهدْن وَتعَاقدْنَ أَنْ لايَكتُمن مِنْ أَخْبَار أَزْواجهِنّ شَيئًا؛ فَقالتِ الأُوْلىٰ: زَوجِي لَحْم جَمَل غثّ، عَلىٰ رَأْس جَبَل وَعْر، لا سَهْلَ وَلَا سَمِيْن فَيُنْتقىٰ. قَالَت الثَّانيَة: لَا أَبثّ خبرَه، إِنِّي أَخافُ أَنْ لاأذرَه، إِنْ أَذْكره أَذكرْ عُجرَه وبُجرَه. قَالَت الثَّالثَة: زَوْجِي العشنَّق، إِنْ أَنطِقْ أُطلَّقْ، وَإِنْ اسْكُتْ أُعلَّقْ. الحديث (بخاري: ٧٧٩، شمائل)؛ فَكَأَنَّ الإِمَام أَشَارَ إِلىٰ اخْتِلَاف الفَوَاصِل عِنْد الانْتِقَال مِنْ مَضمُوْنٍ إِلىٰ مَضمُوْنٍ آخَر، كَمَا اخْتَلَفتِ القَوَافِي =

رَسَائِل العَرَبِ -بِدُوْنِ رِعَايَةِ شَيْءٍ- مِثْلَ مُحَاوَرَة النَّاس؛ إِلاَّ أَنَّه يَخْتِمُ كُلَّ كَلامٍ بِشَيْءٍ يَكُوْنُ مَبْنِيًّا عَلَى الاخْتِتَام(١).

= بِاخْتِلاف المَضَامِيْن مَعَ أَنَّ كَلَام كُلّ وَاحِدَة مِنهُنَّ عَلىٰ قَافِيَة.

قَالَ السّيُوطِي: إِنَّ العَرَب كَانُوا يمِيلُوْن فِي مُعظَم الأَحْيَان إِلَى السَّجْع فِي عِبَارَاتهم، وَيعدُّوْن ذٰلِكَ مِنَ الفَصاحَة وَحُسْن المَقَال؛ فَلَيْس الشِّعْر وَحْده الَّذِي تَظْهَر فِيْه بَرَاعَتُهُم فِي الكَلَام، وَلٰكِنّ النَّثْر المَسجُوْع كَانَ يُعدُّ لَوْنا مِنَ الأَلْوَان الَّتِي تُظهِرُ بَرَاعتهُم فِي البَيَان وَصِنَاعَة الكَلَام. (فواصل للمرسي: ٢٧)

(٣) قَوْله: (وَفَهِمْتَ قَوَافِيْهَا): اعْلَمْ! أَنَّ أَفْضَل السَّجْع عِنْد العَرب مَا تَسَاوَت قَرائِنه لِيكُوْن شَبيْها بِالشِّعْر، فَإِن أَبْيَاته مُتسَاوِيَة، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝﴾ [الواقعة]

ثُمّ يَأْتِي بَعْده السَّجْع الَّذِيْ طَالَت قَرِيْنَته الثَّانِيَة أَوِ الثَّالِثَة، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَالْعَصْرِ ۝ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝﴾ [العصر].

(١/١) قَوْله: (مَبْنِيًّا عَلَى الاخْتِتَام): تجد دَائِما فِي كُلّ فَاصلَة مِن فَوَاصِل الآيَات: أَنْ يَخْتم الكَلام بِمَا يتَنَاسبُ مَع أَوّله، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ۝﴾ [الأنعام]؛ فَقَد خَتمَتِ الآيَة بِما يُنَاسِب أَوّلهَا، إِذ اللَّطِيْف يُلَائِم ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾، وَالخَبِيْر يُلائِم ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾؛ لأَنّ مَنْ يدركُ الشَّيْء يَكوْن خَبيْرا بِه.

وَأَمثِلَته مِمَّا لا تُحصىٰ؛ بَل رُوِي أَنّ أَعْرابِيا سَمِعَ قَارِئا يَقْرأ قَوْل الله عَزّوجَلّ: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝﴾ [البقرة]؛ فَوَضَع القَارِي "غَفوْر رَحِيْم" مَكَان ﴿عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ قَائلا: "فَاعلَمُوا أَنَّ الله غَفوْر رَحِيْم"؛ فقَالَ القَارِي -وَلَم يَكُن يَقرأ القُرْآن-: إِنْ كَان هٰذَا كَلَام الله فَلا! لأَنَّ الحَكِيْم لايذكُر الغُفرَان عِنْد الزَّلَل، لأَنَّه إِغْراء عَلَيْه. (فواصل الآيات:٧٠)

المَلحُوْظَة: قَدْ يَكوْن التَّنَاسُب بَيْن خِتَام الآيَة وَبَيْن مَا ذُكر فِي أَوّلهَا دَقِيْقا خَفِيّا، لايُدْرك إِلا بِالتَّأَمُّل وَإطَالَة النَّظر؛ لأَنَّه رُبَما تَخْفى المُنَاسَبَة عَلَى النَّظرَة العَجْلَى، فَلذَا تَحْتاجُ إِلَى إِمْعَان النَّظر.

(فواصل الآيات:٧٢ ملخصا)

(١/ ٢) قَوْله: (مَبْنِيًّا عَلَى الاخْتِتَام): وَفيْه إِشَارَة إِلىٰ قَاعِدَة: "كَثِيْرًا مَّا تُخْتَمُ الآيَاتُ القُرْآنِيَّة بِبَعْضِ الأَسْمَاءِ الحُسْنىٰ لِلتَّذْلِيْل عَلىٰ: أَنَّ الحُكْمَ المَذْكُوْرَ لَهُ تَعَلُّقٌ بِذٰلِكَ الاسْمِ الْكَرِيْم" (١٨٦)؛ لايَخفى: "أَنَّ خواتِيْم الآيَات مُرتَبِطة بِمَوضُوْعاتها"، وإذا تتَبّعْت هٰذَا النَّمْط فتجِد أَنَّ ما تَضمَّنْته الآيَة مِن المعَاني وَالأَحْكَام فِي غايَة المنَاسَبَة معَ مَا خُتِمَت به تلكَ الآيَاتُ مِن الأَسْمَاء الحُسْنىٰ؛ فَتَجِد آيَةَ الرَّحمَة مختُوْمة بِصِفات الرَّحمة، وَآيَةَ العقُوْبة وَالعَذاب مَختُوْمة بِأَسْماء العِزَّة وَالقُدْرة وَالحِكْمَة وَالعِلْم =

[التَّنَاغُمُ مِنْ أَسْرَارِ إِعْجَازِ القُرْآن]

وَالسِّرّ هُنَا: ١- أَنَّ الأَصْلَ فِيْ لُغَةِ العَرَبِ هُوَ الوَقْفُ فِيْ مَوْضِعٍ يَنْتَهِيْ إِلَيْهِ النَّفَسُ، وَيَضْمَحِلُّ نَشَاطُ الكَلَام.

٢- وَالمُسْتَحْسَنُ فِيْ مَحَلّ الوَقْفِ: انْتِهَاءُ النَفَسِ عَلَى المَدَّة؛ وَمِنْ أَجْلِ هٰذَا تَشَكَّلَ الكَلَامُ فِيْ صُوْرَة الآيَات؛ هٰذَا مَا فَتَحَ الله تَعَالىٰ عَلَى العَاجِزِ فِيْ هٰذَا البَاب. وَالله أَعْلَم.

- **مَلْحُوْظَةٌ فِيْ اخْتِيَار الأَوْزَان الجَدِيْدَة وَالقَوَافِي البَدِيْعِيَّة[1]:**

وَإِنْ سَأَلُوْا: لِمَاذَا لَمْ يَخْتَرْ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- تِلْكَ الوَزْن وَالقَافِيَة -اللَّذَيْنَ هُمَا مُعْتَبَرَانِ عِنْدَ الشُّعَرَاء-، وَهُمَا أَلَذُّ مِنْ هٰذَا؟ قُلْنَا: كَوْنُهُمَا أَلَذَّ يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الأَقْوَامِ وَالأَذْهَانِ[2].

=والقهر؛ وهٰذَا هُوَ الَّذِي يُذْكَر فِي كُتُب البَلاغَة بـ"تَشَابُه الأَطْرَاف مَعْنًى"، وَمِنْ ذٰلكَ قَوْله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴿٦٣﴾﴾ [الحج]، إنَّما فصّل بـ﴿لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴿٦٣﴾﴾؛ لأنّ ذٰلِكَ فِيْ مَوْضِع الرَّحْمَة لخَلْقِه بإنْزَال الغَيْث وَإِخْرَاج النَّبَات مِنَ الأَرْض؛ وَلأَنَّه خَبِيْر بنَفْعِهِم. (قواعد: ٧٤٤ بزيادة)

وَلذٰلكَ لَمْ يُرَاعِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- ذٰلِكَ الوَزنَ وَالقَافِيَة فِيْ بَعْضِ السُّوَر

(١) قَوْله: (اختيار الأوزان الجديدة): غَيَّرتُ هٰذَا البَحْث مِن مَوْضعه إِلىٰ هُنا لاتّساقِه مَع مَباحِث الفَصْل. (المعرّب)

(٢) قَوْله: (بِاخْتِلافِ الأَقْوَامِ وَالأَذْهَانِ): اعْلَمْ! أَنَّه قَد يُظَن فِي بَعْض الأَحْيَان: أَنَّ الآيَة تُهَيِّئ لِفاصِلَة بِعيْنها، وَلٰكِن القُرْآن الكَرِيْم يَأْتِي بِغيْرِهَا، إِيثَارا لِمَا هُوَ أَلْصقُ بِالمَعْنى وَأَشَدّ وَفَاءً بِالمُرَاد.

وَهٰذَا الارْتبَاط قَد يَكُوْن وَاضِحا مِنْ أَوَّل وَهلَة، وَقدْ يَحْتَاج إِلىٰ دِقَّة وَإِمْعَان، وَلقَد أَشَار الفَخْر الرَّازِي إِلىٰ هٰذَا، حَيْث قَالَ: "مَا مِن حَرْف وَلا حَرَكَة فِي القُرْآن الكَرِيْم إِلَّا وَفيْه فَائدَة، ثُمّ إِنَّ العُقُوْل البَشريَّة تدْركُ بَعضهَا وَلاتصِل إِلىٰ أَكْثرهَا؛ وَما أُوْتِي البَشَر مِن العِلْم إِلَّا قَلِيْلا". (فواصل الآيات:٨٥)

وَلَوْ سَلَّمْنَا(١): فَإِبْدَاعُ أُسْلُوْبٍ مِنَ الوَزْنِ وَالقَافِيَةِ(٢) عَلَىٰ لِسَانِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ -وَهُوَ أُمِّيٌّ- آيَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلَىٰ نُبُوَّتِهِ ﷺ(٣)؛ وَلَوْ نَزَلَ القُرْآنُ عَلَىٰ أَوْزَانِ الأَشْعَارِ وَقَوَافِيْهَا لَحَسِبَ الكُفَّارُ: أَنَّه هُوَ الشِّعْرُ المَعْرُوْفُ المَشْهُوْرُ عِنْدَ العَرَبِ(٤)، وَلَمْ يَجْنُوْا مِنْ ذٰلِكَ الحِسْبَانِ فَائِدَةً(٥).

---

(١) قَوْله: (وَلَوْ سَلَّمْنَا): أَيْ لَوْ سَلَّمنا أَنَّ أَوْزَان الشُّعَراء وَقَوافِيهِمْ أَلذُّ مُطلَقا عِند جَمِيْع طَوَائف النَّاس لَقُلْنا: إِبْدَاع إلخ. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (فَإِبْدَاعُ أُسْلُوْبٍ): كَمَا أَنَّه جعل مَبْنى الوَزن عَلىٰ الامْتِدَاد النَّفسِي، وَجعل مَبْنى الفَواصِل عَلىٰ الوَقْف -وَلِهٰذَا سَاغ مُقابلَة المَرفُوْع بِالمجْرور وَبِالعَكْس-، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۝١١﴾ مَعَ قَوْله: ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ [الصُّفت] وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۝١١﴾ مَعَ قَوْله: ﴿قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَدُسُرٍ ۝١٣ مُّسْتَمِرٌّ ۝١٩﴾ [القمر]

وَمَع أَنَّه قَد كَثُرَ فِي القُرْآن ختم الفَواصِل بِحروْف المَدّ وَاللِّيْن وَإِلْحَاق النُّوْن؛ وَحكْمَته: وُجوْد التَّمكُّن مِن التَّطرِيْب بِذٰلِك. (فواصل:١٤٨)

(٣) قَوْله: (آيَةٌ ظَاهِرَةٌ عَلىٰ نُبُوَّتِهِ ﷺ): كَمَا أَنَّه قَدْ وَقع فِي فَواصِل القُرْآن.

الفَرْق بَيْن القَافِيَة وَالفَاصِلَة: إِنَّ تَقفِية الشِّعر تطابقُ خَواتِيْم الأَبْيَات مِن النَّاحيَة الصَّوتيَّة، وَقدْ جُعل القَافيَة جُزءًا مِن عمُود الشِّعْر الَّذِيْ لايَكوْن الشِّعر شعْرا إِلَّا بِه، بِخلَاف الفَاصلَة؛ لأَنَّ الفَواصِل القُرآنيَّة تَجمَع حُسْن النَّظم مَع عُذوبَة اللَّفظ وَكَثْرَة الفَائدَة وَحُسْن الدَّلالَة؛ فَتَأْتي الفَاصلَة كَالعَاقدَة لِلمَعانِي؛ فَمَنْ تَأمّل الفَاصلَة القُرْآنيَّة ليَجد الفَارِق كَبيْرا بَيْنَهَا وَبيْن قَوافِي الشِّعْر. (فواصل الآيات:٥٩)

(٤) قَوْله: (الشِّعْرُ المَعْرُوْفُ المَشْهُوْرُ عِنْدَ العَرَب): كَمَا أَنَّه قَدْ وقَع فِي فَواصِل القُرْآن التَّضمِيْن وَالإِبْطاء؛ وَأَنهما لَيْسا بِعيْبَيْن فِي النَّثْر، وَإِنْ كَانَا عَيبَيْن فِي النَّظْم (أَي: الشِّعْر)؛ فَالتَّضمِيْن أَنْ يَكوْن مَابَعْد الفَاصلَة مُتعَلّقا بِهَا، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٣٨﴾ [الصافات]، وَالإِيْطاء: تَكرّر الفَاصلَة بِلفظِهَا، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٣﴾ [الإسراء]؛ وَختَم بِذٰلِك الآيَتيْن بَعْدهَا، حَيْث قَالَ تَعَالىٰ: ﴿قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝٩٤ قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ۝٩٥﴾ (فواصل: ١٤٩)

(٥) قَوْله: (مِنْ ذٰلِكَ الحِسْبَان فَائِدَةً): إِنَّ لُغَة العَرَب مِن أَغْنى اللُّغَات كُلّهَا وَأَعْرقهَا قِدَما وَأَعْذبهَا مَنطقًا وَأَسْلسِها أُسْلوْبا وَأَغْزرِها مَادّة وَأَوْسعِهَا تَصرِيْفا؛ يَدلّنا عَلىٰ ذٰلِك بَقَايا شِعْرهم وَنثْرهم الَّتِيْ رُبّما تعُوْد إِلىٰ نَحْو خَمسِيْن وَمِأَة سَنَة قَبْل ظُهوْر الإِسْلَام، كَما تَشهَد أَسْوَاق عُكاظ وَمِجنَّة وَذُو المَجَاز بِعُلوّ=

كَمَا أَنَّ البُلَغَاءَ مِنَ الشُّعَرَاءِ وَالكُتَّابِ حِيْنَ يُحَاوِلُوْنَ إِبْرَازَ مَزِيَّتِهِم وَرُجْحَانِهِمْ عَلَى أَقْرَانِهِمْ -عَلَى رُءُوْس الأَشْهَادِ- يَسْتَنْبِطُوْنَ صِنَاعَةً جَدِيْدَةً، وَيَتَحَدَّوْنَ: هَلْ مِنْ رَجُلٍ يَقْرِضُ الشِّعْرَ مِثْلِي!، وَيَكْتُبُ الرِّسَالَةَ نَحْوِيْ! وَلَوْ جَرَى هٰؤُلَاءِ عَلَى النَّمَطِ القَدِيْمِ لَمْ تَظْهَرْ بَرَاعَتُهُمْ إِلاَّ عَلَى المُحَقِّقِيْنَ البَارِعِيْنَ(١).

= شَأن هٰذِه اللُّغَة بَيْن القَبائِل العَرَبِيَّة حَيْث كَانَت تُعقد المُسابقَات لِلتَّحكِيْم فِي شِعْر الشُّعرَاء وَخُطب الخُطَباء؛ فَالكَلَام صنَاعَتهمْ والبَيَان غَايتهُم؛ وَلمَّا نزلَ القُرْآن نزلَ بِلغَة العَرَب وَعَلى أَسَالِيْب الفَصِيْح مِن كَلامِهمْ حَتّى عَجزُوْا عَنْ مُحاكَاته. (فواصل الآيات:١٩ ملخصا)

(١) قَوْله: (المُحَقِّقِيْنَ البَارِعِيْنَ): كَمَا فِيْ اخْتِلَاف الفَاصلَتيْن وَالمُحدَث عَنْه وَاحِد.

واعْلَمْ! أَنّ المُعطِي لِلنّعَم هُوَ الله، وَالآخذ هُوَ الإنْسَان؛ فَالإنْسَان لَه وَصفَان: "ظَلوْم كَفّار"، وَيقَابلُها صِفتَان لِله تَعَالى: "غَفوْر رَحِيْم"، أَيْ: أَقَابلُ ظُلمكَ بِغفْرانِي وَكُفْرك بِرحْمَتِي؛ لٰكِن مَا الحِكْمة بِتخْصِيْص آيَة النَّحْل بِذِكْر المُنْعِم وَآيَة إبْراهِيْم بِذِكْر المُنعِم عَليْه؟

كَما قَالَ تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [ابراهيم]، وقَالَ تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾ [النحل].

فَإذَا تَتبَّعْنا سِيَاق الآيَات الَّتِي قَبْل هَاتيْن الآيَتيْن نَجِدُ: أَنَّ الآيَات الَّتِي قَبْل آيَة إبْراهِيم تتكَلّم عَن صِفَات الإنْسان، وَالآيَات الَّتِيْ قَبْل آيَة النَّحل تتكَلّم عَن صِفَات الله تَعالى؛ وَلهٰذَا اخْتلفَت الفَاصلَتَان، وَالمُحْدث عَنْه وَاحد.

وَالمثَال الثَّاني فِي قَوْله تَعَالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ١٥﴾ [جاثية]؛ وقَالَ تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾ [حم السجدة].

فَحكْمَة الفَاصلَة الأُوْلَى أن قَبلَها: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾ [الجاثية]؛ فَناسَب الخِطَاب بِفاصِلَة البَعْث ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ١٥﴾ لأنّ قَبْله وَصفهُم بِإنكَار البَعْث؛ وَأمّا الأُخْرَى فَالخِتَام بِها مُناسِب، لأنَّه لايَضع عَملا صَالِحا، وَلايَزيْد عَلى منْ عَمل شَيْئا مِن السَّيئَات. (الشاملة)

وَنظيْره قَوْله تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ فَقدْ خَتَم الآيَة مَرّة بِقوْله: ﴿فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا٤٨﴾ [النساء]، وَمَرّة بِقوْله: ﴿قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾ [النساء]؛ وَحكْمَته: أَنَّ الأُوْلَى نزلَتْ فِي اليَهوْد، وَهُم الَّذيْن افْترَوْا عَلى الله مَا لَيْس =

الفَصْلُ الثَّالِثُ

في وَجْهِ التَّكْرَار في العُلُوْم الخَمْسَة، وَعَدَمِ التَّرْتِيْب فِيْ بَيَانها

١- إِنْ سَأَلُوْا: لِمَاذَا كُرِّرَتْ مطَالِبُ العُلُوْم الخَمْسَةِ في القُرْآنِ العَظِيْمِ؟ وَلِمَ لَمْ يَكْتَفِ -سُبْحَانَه وَتَعَالَىٰ- بِبَيَانها فِيْ مَوْضِعٍ وَاحِدٍ؟

قُلْنَا: إنَّ مَا نُرِيْدُ إِفَادَتَه لِلسَّامِعِ عَلىٰ قِسْمَيْن[1]:

الأوَّلُ: أَنْ يَكُوْنَ المَقْصُوْدُ هُنَاكَ مُجَرَّدَ تَعْلِيْمِ مَا لا يَعْلَمُ؛ فَالمُخَاطَبُ الَّذِيْ لا يَدْرِي حُكْمًا مِنَ الأَحْكَام، وَلَمْ يُدْرِكْهُ عَقْلُه، إِذَا سَمِعَ هٰذَا الكَلام يَصِيْرُ ذٰلِكَ المَجْهُوْلُ عِنْدَه مَعْلُوْمًا.

وَالثَّانِيْ: أَنْ يَكُوْنَ المَقْصُوْدُ اسْتِحْضَارَ صُوْرَةِ ذٰلِكَ العِلْمِ فِيْ قُوَّتِهِ المُدْرِكَةِ لِـ:يَتَلَذَّذَ بِهِ لَذَّةً تَامَّةً، وَتَفْنَى القُوَى القَلْبِيَّةُ وَالإِدْرَاكِيَّةُ فِيْ ذٰلِكَ العِلْم، وَيَغْلِبَ لَوْنُ ذٰلِكَ العِلْمِ القُوىٰ كُلَّهَا؛ حَتّٰى تَنْصَبِغَ بِهِ، كَمَا نُكَرِّرُ الشِّعْرَ -الَّذِيْ عَلِمْنَا مَعْنَاهُ-، فَنَجِدُ كُلَّ مَرَّةٍ لَذَّةً جَدِيْدَةً، وَنُحِبُّ التَّكْرَارَ لأَجْلِ هٰذِهِ الفَائِدَة.

وَالقُرْآنُ العَظِيْمُ أَرَادَ إِفَادَةَ القِسْمَيْن المَذْكُوْرَيْنِ بِالنِّسْبَة إِلىٰ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ مَبَاحِث العُلُوْمِ الخَمْسَة؛ فَأَرَادَ: تَعْلِيْمَ مَا لا يَعْلَمُ بِالنِّسْبَة إِلَى الجَاهِل، وَأَرَادَ: انْصِبَاغَ النُّفُوْس بِتِلْكَ العُلُوْم بِتَكْرَارِهَا بِالنِّسْبَة إِلَى العَالِم؛ اللّٰهُمَّ إِلاَّ أَكْثَرَ مَبَاحِث الأَحْكَام، فَإِنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِيْهَا هٰذَا التَّكْرَارُ؛ لأَنَّ الإِفَادَةَ الثَّانِيَةَ غَيْرُ مَطْلُوْبَةٍ فِيْهَا.

= فِي كِتَابه؛ وَالثَّانية نَزَلَت فِي الكُفّار وَلَمْ يَكُن لَهُمْ كِتَاب، وَكَان ضَلالهم أَشَدّ. (الشاملة)

(١) قَوْله: (عَلىٰ قِسْمَيْنِ): اعْلَم! أَنَّ الغَرَض الوَضعِي مِنْ إِلقَاء الخَبَر هُوَ: فَائِدَة الخَبَر أَوْ لازِم فَائِدَة الخَبَر؛ وَأَمَّا الأَغْرَاض المَجازِيّة فَكثيْرَة مِنْها: التَّكرِيْر لِغَرَض: كَالتَّقرِيْر، وَالتَّذكِيْر، وَالتَّأكِيْد، وَالتَّعظِيْم وَالحَثّ وَغَيرهَا؛ فَأَشَار المُصنِّف هُنَا: أَنَّ الغَرَض فِيْ تَكرَار العُلُوْم الخَمسَة الغَرَض المَجازِي، وهُوَ التَّكرِيْر.

وَلأَجْلِ ذٰلِكَ أَمَرَنَا اللهُ -تَعَالىٰ- بِتَكْرَارِ التِّلاوَة وَالإِكْثَارِ مِنْهَا، وَلَمْ يَكْتَفِ بِمُجَرَّد الفَهْمِ.

وَلٰكِنْ رَاعٰى -سُبْحَانَه وَتَعَالىٰ- مَعَ التَّكْرَارِ هٰذَا القَدْرَ مِنَ الفَرْقِ: أَنَّهُ اخْتَارَ فِيْ أَكْثَرِ الأَحْوَالِ تَكْرَارَ تِلْكَ المَطَالِبِ بِعِبَارَةٍ طَرِيَّةٍ، وَأُسْلُوْبٍ جَدِيْدٍ، لِيَكُوْنَ أَوْقَعَ فِي النُّفُوْس، وَأَلَذَّ فِي الأَذْهَان؛ وَلَوْ كَرَّرَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ- بِلَفْظٍ وَاحِدٍ لَكَانَ كَالوِرْد[1] الَّذِيْ يُكَرِّرُوْنَه؛ أَمَّا فِيْ صُوْرَةِ اخْتِلافِ التَّعَابِيْر، وَتَنَوُّعِ الأَسَالِيْبِ فَيَخُوْضُ الذِّهْنُ، وَيَتَعَمَّقُ الخَاطِرُ بِأَسْرِهِ فِيْ تِلْكَ المَطَالِب.

٢- وَإِنْ سَأَلُوْا: لِمَا ذَا نُشِرَت هٰذِهِ المَطَالِبُ فِي القُرْآنِ العَظِيْم، وَلَمْ يُرَاعِ التَّرْتِيْب؛ فَـ:يَذْكُرُ آلاءَ اللهِ أَوَّلًا وَيسْتَوْفِيْ حَقّهَا، ثُمَّ يَذْكُرُ أَيَّامَ اللهِ فَيُكَمِّلُهَا، ثُمَّ يَبْدَأُ بِالجَدَل مَعَ الكُفَّار؟

قُلْنَا: إِنَّ قُدْرَةَ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ- وَإِنْ كَانَتْ مُحِيْطَةً بِجَمِيْعِ المُمْكِنَات، وَلٰكِنَّ الحَاكِمَ فِيْ هٰذِهِ الأَبْوَابِ هُوَ الحِكْمَةُ.

وَالحِكْمَةُ: هِيَ مُوَافَقَةُ المَبْعُوْثِ إِلَيْهِم فِيْ اللِّسَانِ وَأُسْلُوْبِ البَيَان، وَإِلىٰ هٰذَا المَعْنَى أُشِيْرَ فِيْ قَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ﴾ [حم السجدة٤٤]؛ وَلَمْ يَكُنْ لَدَى العَرَب إِلىٰ وَقْتِ نُزُوْلِ القُرْآنِ أَيُّ كِتَابٍ، لَا مِنَ الكُتُبِ الإِلٰهِيَّة، وَلا مِنْ مُؤَلَّفَاتِ البَشَر؛ وَإِنَّ التَّرْتِيْبَ الَّذِيْ اخْتَرَعَهُ المُصَنِّفُوْنَ اليَوْمَ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُهُ العَرَبُ.

وَإِنْ كُنْتَ فِيْ رَيْبٍ مِنْ هٰذَا، فَتَأَمَّلْ! قَصَائِدَ الشُّعَرَاءِ المُخَضْرَمِيْن[2]، وَاقْرَأْ:

---

(١) قَوْله: (كَالوِرْد): الوِرْدُ: الوَظِيْفَة، أَي: النَّصب مِن القُرْآن أَو الذِّكْر، يُقَال: قَرَأْتُ وِرْدِي. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (المُخَضْرَمِيْن): المُخضرَم: الَّذِيْ مَضى شَيْء مِن عُمْره فِي الجَاهليَّة وَشيْء فِي الإِسْلام؛ وَخصَّهُم بِالذِّكر لِيُعْرف أُسْلوْب العَرَب وَقْت نُزوْل القُرْآن. (المعرِّب)

رَسَائِلَ النَّبِيِّ الكَرِيْمِ ﷺ، وَمَكَاتِيْبَ عُمَرَ الفَارُوْق رَضِيَ اللهُ عَنهُ يَتَّضِحْ لَكَ هٰذِهِ الحَقِيْقَةُ؛ فَلَوْ جَاءَ الكَلَامُ عَلىٰ غَيْرِ مَا كَانُوْا يَعْهَدُوْنَهُ مِنْ طَرَائِقِ البَيَان لَوَقَعُوْا فِي الحَيْرَة، وَلَوَصَلَ إِلىٰ سَمْعِهِمْ شَيْءٌ لا يأْلَفُوْنَهُ، وَلشَوَّش عُقُوْلَهُمْ.

وَأَيْضا: لَمْ يَكُنِ المَقْصُوْدُ مُجَرَّدَ إِفَادَةِ مَا لا يَعْلَمُوْنَهُ، بَلِ المَقْصُوْدُ هُوَ الإِفَادَةُ مَعَ الاسْتِحْضَار وَالتَّكْرَار؛ وَيَتَوَفَّرُ هٰذَا المَعْنىٰ فِيْ غَيْرِ المُرَتَّبِ بِأَقْوىٰ وَجْهٍ وَأَتَمِّ صُوْرَةٍ[1].

الفَصْلُ الرَّابِعُ

فِي وُجُوْه إِعْجَازِ القُرْآنِ الكَرِيْم[2]

وَإِنْ سَأَلُوا: مَا هُوَ وَجْهُ الإِعْجَازِ فِي القُرْآنِ الكَرِيْم[3]؟ قُلْنَا: الذِيْ تَحَقَّقَ عِنْدَنَا

---

(١) قَوْله: (بِأَقْوىٰ وَجْه): لأَنّ الله سُبحَانه وَتَعالىٰ لما كَان عَلِيْما بِذَات الصُّدوْر خَبيْرا بِأَفْعَال العِبَاد، بيَّن أَنْوَاع التَّذكير الثَّلاثة -مِن: أَيَّام الله، آلاء الله، المَوْت وَمَا بَعْد المَوْت-، وَالجدل مَع الكُفَّار فِي كُلّ مَوْضع حَسب أُسْلوْب السُّوْرَة المَخصُوْص، وَأَلْبسهَا بِلبَاس جَديْد طَريْف؛ مَع رِعايَة مُقتَضى الحَال -الَّتِيْ تكفّل بِبيَانها عِلْم المَعَاني-، وَاستِعْمال الاسْتعَارَات وَالكِنايَات -الَّتِيْ تكفّل بِبيَانها عِلْم البَيَان- مُراعَاة لحَال المُخاطبِيْن الأُمِّييْن؛ فَزيَّنها بِنكَات رَائقَة مَفهوْمة عِنْد العَامّة، مَرضيَّة عِنْد الخَاصّة؛ وَهٰذَا لَيْس مِن مَقدُوْر البَشَر، وَلا يُتصوَّر كُلّ ذٰلِك أَحْسَن مِمَّا يُوْجد فِي القُرْآن العَظيْم؛ ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٢٠﴾ [المائدة]. (مُحَمَّدْإِلْيَاس)

(٢) قَوْله: (إِعْجَازِ القُرْآنِ الكَرِيْم): عَنْ أَبِيْ هُريْرَة رَضِيَ الله تَعَالىٰ عَنه عَنِ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: مَا مِنَ الأَنْبيَاء نَبِيّ إِلاَّ أُعْطِيَ مِنَ الآيَات مَا مِثلُه آمنَ عَلَيْه البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِيْ أُوْتِيْتُ وَحْيا أَوْحَاه الله إِلَيَّ، فَأَرْجُوْه أَنِّيْ أَكْثَرهُم تَابِعا يَوْم القِيَامَة. (البخاري: ٧٢٧٤)؛ مَعْنَاه: أَنَّ كُلّ نَبِيّ أُعْطِيَ مِنَ المُعجِزَات مَا كَانَ مِثْله لِمَنْ كَانَ قَبْلَه مِنَ الأَنْبِيَاء، فَآمَنَ عَلَيْه البَشَرُ، أَيْ: آمَنَ بِهِ البَشَر حَالَ كَوْنهمْ مَغلُوْبِيْن؛ وَأَمَّا مُعجِزَتِي العُظْمىٰ فَهِيَ القُرْآن الَّذِيْ لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِثْله، فَلِهٰذَا أَنَا أَكْثَرهُم تَبْعًا.

الإِعْجَاز هُو إِثْبَات الْعِجْز، وَالمُرَاد بِالإِعْجَاز هُنَا: إِظْهَار صِدْق النَّبِي ﷺ فِي دعْوَى الرِّسَالَة =

هُوَ أَنَّ وُجُوْه الإِعْجَازِ فِي القُرْآنِ الكَرِيْمِ كَثِيْرَةٌ:

١- مِنْهَا: الأَسْلُوْبُ البَدِيْعُ(١)، لأَنَّ العَرَب كَانَتْ لَهُمْ عِدَّةُ مَيَادِيْنَ يَرْكُضُوْنَ

=بِإِظْهَارِ عِجزِ الْعَرَبِ وَأَجْيَالهمْ عَنْ مُعارَضَته فِي مُعجِزَته الخَالِدَة؛ وَقَد ثَبت: أَنَّ الرَّسوْل ﷺ تحدى العَرَب بِالقُرْآن عَلىٰ ثَلاثَة مَرَاحِل. (روح القدير)

تَحَدَّاهُم أَوَّلا بِالقرآن كلِّه فِي أُسلُوْب عَامّ يتَنَاول العَرَب وَغَيْرهمْ مِن الإِنْس وَالجِنّ، بقَوْله تَعَالىٰ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء].

٢- ثُمّ تحَدَّاهم بِعَشر سُوَر مِنه بقَوْله تَعَالىٰ: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود].

٣- ثُمَّ تحَدَّاهمْ بِسوْرَة وَاحدَة مِنْه -سَوَاء كَانَت مِثْل الطِّوَال أَوِ القِصَار-، وَكرّر هٰذَا التَّحدّى بِقَوْله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُواْ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴿٣٨﴾﴾ [يونس]، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة﴿٢٣﴾]؛ وَقدْ عَجزُوْا عَن مُعارَضَة مَع طُوْل باعهم فِي الفَصاحَة وَالبَلاغَة.

(٣) قَوْله: (وَجْهُ الإِعْجَازِ): اعْلَمْ! أَنَّ الكَلام فِي وُجوْه الإِعْجَاز وَاجِب شَرْعا، وَهُوَ مِنْ فُرُوْض الكِفَايَات لِقَوْله تَعَالىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد]؛ فَهِي دَعْوَة مِن الله وَأَمْر مِنه -سُبحَانَه وَتعَالىٰ- بِتفهُّم القُرْآن، وَنَهى عَن الإِعْرَاض عَنْه؛ لأَنَّ التَّدبّر فِيْه هِدايَة إِلى الحَقّ لما فِيْه مِن المَواعِظ وَالزَّواجِر حَتّى لا يَجسرُوْا عَلى المَعاصِي.

المَلحُوْظَة: أَمَّا الاستِقْصَاء وَالإِحَاطَة بِمزَايا الأَسْلُوْب القُرْآني وَخصَائِصه عَلىٰ وَجْه الاستِيْعَاب فَأمَر استَأثر بِه مُنْزِله الَّذِي عِنده عِلْم الكِتَاب. (فواصل:٩٠)

(١) قَوْله: (الأَسْلُوْبُ البَدِيْعُ): أُسلوْبُ القُرْآن فَرِيْدٌ لا تجد أُسلُوْبًا مِثْلَه؛ لأَنّ القُرْآن يَسْتَعْمِل مِنَ الأَلْفَاظ فِيْ كُلِّ سِيَاقٍ مَايُنَاسِبُه؛ فيَخْتَارُ فِيْ مَقَام التَّفْخِيْم لفظًا مُفَخَّما، ولمِقَام التَّسْهِيْل لفظًا مُناسِبًا له، وَهٰكَذا؛ مَثَلا إِذَا تَدَبَّرْنا فِيْ قِصَّة مُوْسىٰ وخَضِر فِيْ آخِرِ سُوْرَة الْكَهْف، وَجَدْنا قَدْ فَارَق الأُسْلُوْب فِيْ ثَلاثَة مَوَاضِع:

حيْثُ قَالَ اللهُ عزَّ وجَلَّ فِيْ حَدِيْث خَضِر عنِ السَّفِيْنَة: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف﴿٧٩﴾]، وقَال فِيْ حَدِيْثِه عَن الغُلام: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [الكهف]، وقَالَ فِيْ حدِيْثِه عَن الجِدَار: ﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ =

فِيْهَا جَوَادَ البَلاغَة، وَيَتَسَابَقُوْن فِيْهَا مَعَ أَقْرَانِهِم؛ أَلَا! وَهِيَ القَصَائِدُ وَالخُطَبُ وَالرَّسَائِلُ وَالمُحَاوَرَات؛ وَلَمْ يَكُوْنُوْا يَعْرِفُوْنَ غَيْرَ هٰذِهِ الأَصْنَاف الأَرْبَعَةِ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ قُدْرَةٌ عَلىٰ إِبْدَاعِ أُسْلُوْبٍ سِوَاهَا؛ فَإِبْدَاعُ أُسْلُوْبٍ غَيْرِ أَسَالِيْبِهِمْ عَلىٰ لِسَانِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﷺ عَيْنُ الإِعْجَازِ.

٢- وَمِنْهَا: الإِخْبَار عَنِ القِصَصِ المَاضِيَةِ وَأَحْكَامِ المِلَلِ السَّابِقَة عَلىٰ وَجْهٍ يُصَدِّق الكُتُبَ السَّابِقَةَ، بِدُوْنِ تَعَلُّمٍ مِنْ أَحَدٍ[1].

٣- وَمِنْهَا: الإِخْبَارُ بِالأَحْوَالِ الآتِيَة؛ فَكُلَّمَا وُجِدَ شَيْءٌ مِنْهَا عَلىٰ طِبْق ذٰلِكَ الإِخْبَارِ، ظَهَرَ إِعْجَازٌ جَدِيْد[2].

=يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف٨٢]؛ فقدْ اختَار أسلُوْبًا جدِيْدًا في هٰذِه النُّصُوْص لمَعَانٍ وأَسْرَار. (روح القدير)

فَفِي المَوْضِع الأوّل ذِكرٌ للعَيْب، وَلاتصحُّ نسْبَته إِلى الله تَعالىٰ، فَلذٰلكَ نسبَه الخضرُ لنَفْسه، فَقَال: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف٧٩]؛ وَفِي المَوْضع الثَّاني: قَدْ وجدَ العَملَان: -وَهُوَ القَتْل، وَإبدَاله بِغلَام آخَر يكُوْن صَالحا-، فَعبّر القُرْآنُ الكَريْم ﴿فَأَرَدْنَا﴾ لوجُوْد نَوْع مِن الاشْترَاك فِي هٰذَيْن العَملَيْن؛ وَفِي المَوْضع الثَّالث: اخْتَار أسلُوْبا جَديْدا بِقوْله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف٨٢]؛ لأَنَّ بُلوْغ الأَشَدّ، وَاستخْراجَ الكَنْز لَيْس مَنسُوْبا إِلىٰ خضِر فِي شَيْء؛ فَلذٰلك ذَكر بِهٰذَا الأَسلُوْب.

(مآخذ هٰذَا البحث: شرح مقدمة، الفوز الكبير، معجم علوم القرآن)

(١) قَوْله: (بِدُوْنِ تَعَلُّمٍ مِنْ أَحَدٍ): قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة]

(٢) قَوْله: (ظَهَرَ إِعْجَازٌ جَدِيْد): قَالَ الله تَعَالىٰ: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم]؛ مِنَ المَعلُوْم: أَنَّ فَارِس يَوْمَ نَزَلَت هٰذِه الآيَة كَانُوا قَاهِرِيْن لِلرُّوْم، وَكَانَ المُسلِموْن يحِبُّوْن ظُهُوْر الرُّوْم عَلىٰ فَارِس؛ فَنَزَلت هٰذِه الآيَات، وَفِيهَا إِخبَار بِظُهوْر الرُّوْم عَلىٰ فَارِس، فَلَمَّا دَخَلتِ السَّنَة السَّابعَة بَعْد نُزوْل هٰذِه الآيَات ظَهَرتِ الرُّوم عَلىٰ فَارِس، وَحِينَئِذ أَسْلم كَثيْر مِنَ النَّاس؛ كَمَا عُلِم مِنْ رِوَايَة عُروَة بْن الزُّبَيْر عِنْد التِّرمِذِيْ: ٣١٩٤.

٤- وَمِنْهَا: الدَرجَة العُلْيَا مِنَ البَلاغَة الَّتِيْ لَيسَتْ مِنْ مَقْدُوْرِ البَشَرِ[١]؛ وَنَحْنُ -إِذْ جِئْنَا بَعْد العَرَبِ الأَوَّلِيْن- لانَسْتَطِيْعُ أَنْ نَصِلَ إِلىٰ كُنْهِهَا؛ وَلٰكِنَّ القَدْرَ الَّذِيْ نَعْلَمُهُ هُوَ:

١) أَنَّ اسْتِعْمَالَ الكَلِمَاتِ الجَزْلَةِ[٢]، وَالتَّرْكِيْبَاتِ العَذْبَة مَعَ اللَّطَافَة وَعَدَمِ التَّكَلُّفِ -كَمَا نَجِدُ ذٰلِكَ فِي القُرْآنِ العَظِيْمِ-، لانَجِدُ مِثْلَهُ[٣] فِيْ أَيِّ قَصِيْدَةٍ مِنْ قَصَائِدِ المُتَقَدِّمِيْن وَالمُتَأَخِّرِيْن؛ وَهٰذَا أَمْرٌ ذَوْقِيٌّ يُدْرِكُهُ -كَمَا يَنْبَغِي- المَهْرَةُ مِنَ الشُّعَرَاء، وَلايَتَذَوَّقُهُ العَامَّةُ[٤].

٢) وَكَذٰلِكَ نَعْلَمُ: أَنَّ فِيْ أَنْوَاعِ التَّذْكِيْرِ الثَّلاثَةِ وَالجَدَلِ مَعَ الكُفَّار تُكْسَى المَطَالِبُ فِيْ كُلِّ مَوْضِعٍ -حَسَبَ أُسْلُوْبِ السُّوْرَة- لِبَاسًا جَدِيْدًا طَرِيْفًا[٥]، تَقْصُرُ يَدُ المُتَطَاوِلِ عَنْ ذَيْلِه؛ وَإِنْ تَعَسَّرَ إِدْرَاكُ ذٰلِكَ عَلىٰ أَحَدٍ، فَلْيَتَأَمَّلْ! فِيْ إِيْرَادِ قِصَصِ الأَنْبِيَاءِ فِيْ سُوْرَة الأَعْرَافِ وَهُوْدٍ وَالشُّعَرَاءِ، ثُمَّ لِيَنْظُرْ إِلَيْهَا فِي الصَّافَّات، ثُمَّ لِيَقْرَأْ

---

(١) قَوْله: (مِنْ مَقْدُوْرِ البَشَرِ): القُرآن الكرِيْم هوَ كَلامُ الله المُعجِز فِيْ أَلفاظِه وتَراكيبِه ونَظْمه ومَضمونه، وقدْ ثبَت عجْز أَهْل اللُّغة عنِ الإتيَان بمِثْل آياتِه؛ وينْقسم الإعْجَاز فِيْ القُرْآن الكرِيْم إلى عدّة أنْواعٍ، مِنْها: الإعْجاز الغَيْبيّ، والتَّشْريعيّ، والعِلْميّ، والبيانِيّ الذِي يُظهِر جَمال نَظْم الكلِمَات القُرآنيّة، بحَيْث تُوصِل هذِه الكلمَات المعْنى بأدَقّ وأبدع تَعبِيرٍ ووصْف؛ وبحَيْث لوْ وُضعَت كلمَةٌ عرَبِيَّةٌ أُخرَى لِتؤدّي ذاتَ المعْنى فِيْ التركِيْب القُرآني لمْ يُوجَد أفصَح وأدَقّ مِن اللَّفظ القُرآنِيّ المُختَار.

(٢) قَوْله: (الجَزْلَة): الجَزْل مِن الكَلَام: القَوِي الفَصِيْح الجَامِع. (المعرَّب)

(٣) قَوْله: (لَانَجِدُ مِثْلَهُ): اعْلَم! أنّه قَدْ نَزَلَ القُرْآن الكَرِيْم ذُو البَيَان الرَّفِيْع وَالبَلاغَة العُلْيا بِلِسَان عَرَبِي مُبِيْن، وَتَرْكِيْب جَمَالِي بَدِيْع، فَدانَت لَه -مِنَ العَرَب أَرْبَاب الفَصَاحَة وَالبَيَان- قُلُوْب وَأَسْمَاع وَعقُوْل وَأَفئِدة كَانَت أَشَدّ مِنَ الصَّخر قَسْوَة، وَأَكْثَر مِنَ الأَنْعَام ضَلَالا وَغَفْلَة؛ فَإِذَا هِيَ بِالقُرْآن أَرَقّ قُلُوْبا وَأَلْيَنُ أَفْئِدَة وَأَرْسَخُ عقُوْلا، وَذٰلِكَ لِمَا وَجَدُوْا فِيْه مِنْ جَمَال البَيَان وَرَفعَة التَّشرِيْع وَفَلاح الدُّنْيا وَالآخِرَة.(فواصل الآيات لخضر)

(٤) قَوْله: (لايَتَذَوَّقُهُ العَامَّةُ): كَمَا ذكَرْناه ضمْن الانسِجَام فِيْ بَحْث تنَوُّع القُرْآن، عَلىٰ صَفْحة: ٢٧٢.

(٥) قَوْله: (لِبَاسًا جَدِيْدًا طَرِيْفًا): وَمِنْ هٰذَا القَبِيْل الآيَات المُتَشَابِهَات الَّتِي تُشَابِه مُشَابِهَة لَفظِيَّة.

هٰذِهِ القِصَص نَفْسَهَا فِي الذَّارِيَات، لِيَتَجَلّٰى لَهُ الفَرْق.

٣) وَكَذٰلِكَ الحَالُ فِيْ ذِكْرِ: تَعْذِيْبِ العُصَاةِ، وَتَنْعِيْمِ المُطِيْعِيْن؛ فَقَدْ يَذْكُرُ ذٰلِكَ فِيْ كُلِّ مَقَامٍ بِأُسْلُوْبٍ جَدِيْدٍ؛ وَهٰكَذَا تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ -بَعْضِهِم مَعَ بَعْضٍ- يَتَجَلّٰى فِيْ كُلِّ مَقَامٍ فِيْ صُوْرَةٍ جَدِيْدَةٍ؛ وَالكَلَامُ فِيْ هٰذَا يَطُوْلُ.

٤) وَكَذٰلِكَ نَعْلَم أَيْضًا: أَنَّ رِعَايَةَ مُقْتَضَى الحَالِ -الَّذِيْ تَفْصِيْلُه فِيْ عِلْمِ المَعَانِي-، وَاسْتِعْمَالَ الاسْتِعَارَات وَالكِنَايَاتِ -الَّتِيْ تَكَفَّلَ بِبَيَانها عِلْمُ البَيَان-، مَعَ مُرَاعَاةِ حَالِ المُخَاطِبِيْنَ الأُمِّيِّيْنَ -الَّذِيْنَ يَجْهَلُوْنَ هٰذِهِ الصِّنَاعَاتِ-؛ لا يُتَصَوَّرُ كُلُّ ذٰلِكَ أَحْسَنَ مِمَّا يُوْجَدُ فِي القُرْآنِ العَظِيْم.

وَذٰلِكَ، لأَنَّ المَطْلُوْبَ فِيْ القُرْآنِ الكَرِيْم: أَنْ تُوْدَعَ فِي المُخَاطَبَاتِ المَعْرُوْفَةِ[1] -الَّتِيْ يَعْرِفُهَا كُلُّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ- نُكْتَةٌ رَائِقَةٌ، مَفْهُوْمَةٌ عِنْدَ العَامّة، مَرْضِيّةٌ عِنْدَ الخَاصَّة؛ وَهٰذَا الأَمْرُ كَالجَمْع بَيْنَ الضِّدَّيْنِ! لَيْس مِنْ مَقْدُوْرِ البَشر! ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة]؛ وَللهِ دَرُّ الشَّاعِرِ! حَيْثُ يَقُوْلُ[2]:

يَزِيْدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا * إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظَرًا

٥- وَمِنْهَا: وَجهٌ لا يَتَيَسَّرُ فَهْمُه لِغَيْرِ المُتَدَبِّرِيْن[3] فِيْ أَسْرَارِ الشَّرَائِع؛ وَذٰلِكَ: أَنَّ العُلُوْمَ الخَمْسَةَ نَفْسَهَا تَدُلُّ عَلىٰ: أَنَّ القُرْآنَ نَازِلٌ مِنْ عِنْدِ اللهِ -تَعَالىٰ- لِهِدَايَة بَنِيْ آدَمَ، كَمَا أَنَّ عَالِمَ الطِّبِّ إِذَا نَظَرَ فِي "القَانُوْن"[4]، وَلاحَظَ تَحْقِيْقَهُ وَتَدْقِيْقَه-

---

(١) قَوْله: (المَعْرُوْفَة): الحوار العَام. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (حَيْثُ يَقُوْل): قَدْ ذَكَر المُصنِّف هُنا شعرًا فَارسِيًّا، وهو:

ز فرق تا قدمش هر کجا که می نگرم کرشمه دامنِ دل می کشد که جا اینجاست

(٣) قَوْله: (لِغَيْرِ المُتَدَبِّرِيْن): والتَّدبُّر: هوَ التَّفَكُّر، أيْ: تَحصِيْل المَعْرِفَتَين لتَحْصِيْل مَعْرِفة ثَالِثَة، بأَنْ يَنْظُر في أوَّلِه وآخِره؛ ثُمَّ يُعِيْد نَظَره مرَّة بعْد مرَّة؛ أو: هُوَ التَّأمُّل الَّذِي يَبْلُغُ بِه صَاحِبُهُ مَعْرِفَةَ الْمُرَاد مِنَ الْمَعَانِيْ؛ وَقَالَ ابْن الْقَيِّم: ((فَتَدَبَّرْ الْقُرْآنَ إِنْ رُمْتَ الهُدٰى))، ((فَالعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ القُرْآن)) =

فِيْ بَيَانِ: أَسْبَابِ الأَمْرَاضِ وَعَلامَاتِهَا، وَوَصْفِ الأَدْوِيَةِ وَخَوَاصِّهَا- لايَشُكُّ: أَنَّ المُؤلِّفَ كَامِلٌ فِيْ صِنَاعَةِ الطِّبِّ؛ كَذٰلِكَ إِذَا عَلِمَ العَالِمُ بِأَسْرَارِ الشَّرَائِعِ الأَشْيَاءَ -الَّتِيْ يَنْبَغِيْ تَلْقِيْنُهَا لِلنَّاسِ لِتَهْذِيْبِ نُفُوْسِهِم-، ثُمَّ يَتَأَمَّلُ فِي العُلُوْمِ الخَمْسَةِ؛ يَعْلَمُ قَطْعًا: أَنَّ هٰذِهِ الفُنُوْنَ قَدْ وَقَعَتْ مَوْقِعَهَا، بِحَيْثُ لايُتَصَوَّرُ أَحْسَنُ مِنْهُ[1]: "وَالشَّمْس السَّاطِعَة تَدُلّ بِنَفْسهَا عَلىٰ نَفْسهَا؛ فَإِنْ كُنْت فِيْ حَاجَة إِلَى الدَّلِيْل فَلاتُوَلّ وَجْهكَ عَنْهَا"[2].

= (٤) قَوْله: (القَانُوْن): القَانوْن فِي الطِّب للشَيْخ الرَّئِيْس أَبِيْ عَلي حُسيْن بن عَبْد الله المَعرُوْف بابْن سِيْنا، المُتوَفى سَنَة: ٤٢٨هـ. (المعرِّب)

(١) قَوْله: (لايُتَصَوَّرُ أَحْسَنُ مِنْهُ): فَالقُرْآن مُعْجِز فِي أَلفَاظِهِ وَمَعَانِيْه، وَنَظْمه وَبَيَانه، وَفِي أَحْكَامه وَمَعَارِفه، وَفِيْ عُلُوْمه وَحِكَمه، وَفِيْ تَرْتِيْبِهِ وَرسْمِهِ، وَفِيْ تَنْجِيْمه وَتذْكِيْره، وَفِي قِصَصه وَأَمْثَاله، وَ فِيْ أَخْبَارِهِ وَبَدَاعَة أُسْلُوْبه. (رَوح القدير)

(٢) قَوْله: (وَجْهكَ عَنْها): لَيْس هٰذَا بِشعْر، إِنَّما هُوَ تَرجَمة لِلشِّعْر الفَارسِيّ مَا نصُّه:

آفتـاب آمد دليل آفتـاب گر دليلت بايد از وے رو متـاب

البَابُ الرَّابِعُ

جَدْوَل مَبَاحِث البَابِ الرَّابع

- مُقدَّمة
  - في فُنُوْن التَّفسِيْر المُدوَّن
- الفَصْل الأوَّل
  - الأمْر الأوَّل
  - الأمْر الثَّاني
  - الأمْر الثَّالِث
  - هذِه المبَاحِث مِن قَبِيل "التَّفْسِير بالرِّوَايَة"؛ ولٰكِن فِيْها للعَقْل مجَال، وللاخْتِلاف مَسَاغ
- الفَصْل الثَّاني
  - فِيْما يَتَعَلَّق
    - بالفُقَهَاء
    - بالمتَكلِّمِين
    - بالنُّحَاة
    - بالأدَبَاء
    - هٰذِه التَّفاسِيْر مِن قَبِيْل "التَّفْسِير بالدِّرَايَة"
    - بالصُّوْفِية
      - هٰذَا التَّفْسِيْر مِن قَبِيْل "التَّفْسِيْر بالإشَارَة"
- الفَصْل الثَّالث
  - غَرَائِب القُرْآن
- الفَصْل الرَّابع
  - العُلُوْم الوَهْبِيَّة
- تَتِمَّة فِيْما يَتعَلَّق بالإشَارَة

البَابُ الرَّابِع: فِيْ بَيَان فُنُوْن التَّفْسِيْر[1]

وَتَوْضِيْح الاخْتِلاف الوَاقِع فِيْ تَفَاسِيْر الصَّحَابَة وَالتَّابِعِيْن[2]

• مُقَدَّمةٌ فِي فُنُوْنِ التَّفْسِيْر المُدَوَّن:

لِيُعْلَمْ: أَنَّ المُفَسِّرِيْنَ عِدَّةُ أَصْنَافٍ[3]:

(١) قَوْله: (فِيْ فُنُوْن التَّفسِيْر): ذَكَر المُصَنِّف رَحِمَهُ الله فِيْ هٰذَا البَاب فُنُوْنَ التَّفسِيْر فِيْمَا يَتعلَّق بِالمُحدِّثِيْن وَالمُتكلِّمِيْن وَالفُقهَاء وَالنُّحَاة وَالأُدَبَاء وَالقُرَّاء وَالصُّوفِيَّة فِي المُقَدِّمَة، ثُمَّ نَبَّه عَلىٰ أُمُوْر يَنبَغِي الاعْتِنَاء بِهَا فِيْ كُلّ مِنْ هٰذِه الفُنُوْن، فَذَكَر مَا يتعلَّق بِالمُحَدِّثِيْن فِي الفَصْل الأَوَّل، وَمَا يَتعلَّق بِالفُنُوْن الأُخرىٰ فِي الفَصْل الثَّانِي؛ ثُمَّ ذَكَرَ غَرَائِب القُرْآن فِي الفَصْل الثَّالِث، وَذَكَرَ بَعْض العُلُوْم الوَهبِيَّة فِي الفَصْل الرَّابِع. (مُحَمَّد إِلْيَاس)

(٢) قَوْله: (تَوْضِيْح الاخْتِلاف): أَمَّا مَوَاضِع اخْتِلاف المفَسِّرِيْن وأَحْكَامه:

فَمِنْهَا: سَبَبُ النُّزُوْل، وَتَعيِيْن النَّسْخ، وَشَرْح غَرِيْب القُرْآن، فَالكَلَام فِي هٰذِهِ الثَّلَاثَة فِيْ مَوْضِعِهَا، وَبَقِيَ الحُكْمُ عَلىٰ اخْتِلَاف أَقْوَال المُفَسِّرِيْن، وَاخْتِلَاف أَقْوَال التَّابِعِيْن.

أَمَّا حُكْمُ الاخْتِلَافِ فِي أَقْوَالِ المفَسِّرِيْن مِنَ الصَّحَابَة ومِنْ بَعْدَهُمْ، فَاعْلَمْ! أَنَّ التَّفْسِيْرَ المَنْقُوْل: إِمَّا أَنْ يَكُوْن مُجْمَعا عَلَيْه، أَوْ لا؛ فَإِنْ كَانَ مُجْمَعًا عَلَيْه فَلاحَاجَة إِلَى التَّرْجِيْح؛ وَإِنْ كَانَ مُختلفًا فِيْه، فَإِمَّا أَنْ يَكُوْن الاخْتِلَاف اخْتِلَاف تضَادّ فَيعْمَلُ فِيْه بِقَواعِد التَّرجِيْح لِبَيَان الصَّوَاب فِي الْآيَة، أَوْ يَكُوْن اخْتِلَاف تَنَوّع، فَيعْمَل فِيْه بِقَواعِد التَّرجِيْح لِبَيَان الأَوْلىٰ.

وَأَمَّا الحُكْمُ فِيْ اخْتِلَاف أَقْوَال التَّابِعِيْن، فَاعْلَمْ! أَنَّ التَّابِعِيْن إِذَا أَجْمَعُوْا عَلىٰ تَفسِيْر آيَة، فَيكُوْن قَوْلهُم حُجَة؛ وَأَمَّا إِذَا اخْتَلفُوْا، فَيقَدّم حِيْنَئِذ مَا هُو صَحِيْح مِنَ الْأَقْوَال؛ وَعِنْد التَّعَارُض يَكُوْن نَاسِخا وَمَنْسُوْخا إِنْ ثَبَت التَّقَدُّم وَالتَّأَخُّر، وَإِلا فَهُوَ الرَّاجِح وَالْمَرْجُوْح حَسَبَ "القَوَاعِدِ التَّرْجِيْحِيَّة".

الملحُوظَة: اعْلَم أَنَّه إِذَا صَحَّ عَنِ الصَّحَابِيِّ أَوِ التَّابِعِيِّ قَوْلان مُخْتلِفَان فِي التَّفسِيْر، وَلايُمْكِن الجَمْع بَيْنَهُمَا؛ فَهُمَا كَالقَوْلَيْن، إِلَّا إِذَا دَلَّ دَلِيْل عَلىٰ أَنَّه رَجَع عَنْ أَحدِهِمَا. (رَوح القدير)

(٣) قَوْله: (عِدَّةُ أَصْنَاف): اعْلَمْ! ١- أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بُعِث لأَجْل تَعْلِيْم الْقُرْآن وَتفسِيْره، فَهٰذَا هُوَمَنصِبه الجَلِيْل وَوظِيْفَته الْعظِيْمَة حَيْث فَسَّر الْقُرْآن حَسَب مَا شَاءَ الله مِنْ كَلَامه وَآيَاته، إِمَّا: عَنْ طَرِيْقِ مَا أَفَاضَه الله تَعَالىٰ مِنْ بَرَكَات وَثَمَرَات الْوَحْي، وَإِمَّا مِنْ طَرِيْق مَا مَنَحه الله تَعَالىٰ إِيَّاه مِن: =

....

= الْعَمَل الْكَامِل، وَالفَهْم البَالِغ، وَالعُلُوْم العَالِيَة، وَالمَعَارِف الشَّرِيْفَة.

بَيْدَ أَنَّ التَّفاسِيْر المَنقوْلَة عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَمْ تُدَوَّن وَلَم تُرَتَّب، لأَنَّ أَدَوَات الْكِتابَة لَمْ تَكُن مَيْسوْرَة لَدَيْهِمْ فِي ذٰلِكَ العَهْد؛ وَلٰكِنَّها مَحْفوْظَة فِي صُدُوْر الصَّحَابَة بِوَاسِطَة قُوَّة الحِفْظ. (رَوح القدير)

٢- ثُمَّ بَعْد غُرُوْب شَمْس النُّبُوَّة يَجِيْء عَهْد الصَّحَابَة، وَهُم أَعْرَف بِالقُرْآن وَمَعَانِيْه وَمُرَادَاته مِمَّن جَاءَ بَعْدَهُمْ؛ وَلٰكِنَّهُم مَعَ هٰذَا كَانُوْا يَتفاوَتُوْن فِي الْفَهْم، وَتَتفَاوَت مَرَاتِبهُم، وَتَتَبَايَن دَرَجَاتهم؛ فَهٰذَا أَمِيْر المُؤْمِنيْن عُمَر بن الخَطَّاب يَقُوْم عَلَى الْمِنْبَر، وَيَقْرَأ ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١﴾ [عبس]؛ ثُمّ يَقُوْل: مَا الأَبُّ؟ -أَيْ: لاأَدْرِي!-، ثمّ قالَ: مَا كُلِّفْنَا هٰذَا. [البخاري]؛ وَهٰذَا ابْن عَبَّاس مُفَسِّر القُرْآن يَقُوْل: كُنْت لاأَدْرِي مَا ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الزمر٤٦]؟ حَتَّى أَتَانِيْ الأَعْرَابِيَّان يَخْتصِمَان فِيْ بِئْر، فَقَال أَحَدهُمَا: أَنَا فَطَرْتُهَا، وَالآخَر يَقوْل: ابْتَدَأْتهَا.

فَعُلِم أَنَّ الصَّحَابَة كَانُوا مُحْتَاجِيْن إِلَى النَّبِي ﷺ فِيْما يَشْكل عَلَيْهِم مِنَ الْقُرْآن؛ لٰكِنهُمْ غَيْر مُحْتَاجِيْن إِلَى تَفسِيْر جَمِيْع الْقُرْآن؛ وَلِذٰلِكَ إِنَّهُمْ لَايَرْجِعُوْن إِلَى النَّبِي ﷺ إِلَّا فِي الْمَوَاضِع الصَّعْبَة فَقَط، وَإِنَّمَا فُسِّر جمِيْع الْقُرْآن بَعْد زَمَانِهِمْ.

٣- وَبعْد اِنْصِرَام عَهْد الصَّحَابَة جَاءَ عَصْر التَّابِعيْن الَّذيْن أَخَذُوا التَّفْسِيْر وَالْحدِيْث وَالْفِقْه وَسَائِر الْعُلوْم الدِّيْنِيَّة عَنِ الصَّحَابَة، وَاشْتَهَر بَعْض أَعْلَام التَّابِعيْن بِالتَّفسِيْر، كَمَا اشْتهَر بَعْض أَعْلَام الصَّحَابَة؛ فَتَكَلَّمُوا فِيْه وَفِيْ عُلوْمه، وَأَوْضَحُوا مَا خَفِي وَغَمُض مِن مَعَانِي القُرْآن وَمَعَارِفه؛ وَلٰكِنّ التَّفسِيْر لَمْ يَكُن مُدَوَّنا وَلا مُرَتَّبا فِي كُتُب وَصَحَائِف فِيْ عَهْد التَّابعِيْن أَيْضًا.

التَّفْسِير فِيْ عُصُوْر التَّدْوِيْن

٤- بَعْد ذٰلِكَ اشْتَغَل جَمَاعَة فِي تَدوِيْن التَّفسِيْر، وَكَان التَّفسِيْر حِينَئِذ فَرْعا مِن الحَدِيْث؛ وَلَمْ يَتَّخِذْ شَكْلا مُنَظَّمًا، وَلَم يُفرَد لَهُ تَأْلِيْف خَاصّ يُفَسَّر فِيْه الْقُرْآن سُوْرَة سُوْرَة، وَآيَة وَآيَة مِنْ مَبْدَأه إِلَى مُنْتهَاه؛ بَلْ يُعَدُّ بَابًا مِنْ أَبْوَاب الْحدِيْث بِحَيْث لَمَا دُوِّن وَجُمِع الْحدِيْث دُوِّن بِجِوَار ذٰلِكَ مَا كَانَ مُنْتشِرًا مِنَ التَّفَاسِيْر الْمَنسُوْبَة إِلَى النَّبِي ﷺ، وَإِلَى الصَّحَابَة وَالتَّابِعيْن مِنْ غيْر تَرْتِيْب وَتسَلْسُل بِآيَات الْقُرْآن وَسُوَره.

٥- وَجَاء بَعْد هٰؤلاء من أَفْرَد التَّفسِيْر بِالتَّأْلِيف، وَجَعَله عِلْما قَائِمًا بِنَفْسه، مُنْفَصِلا عَن الْحدِيْث؛ فَفَسَّرَ الْقُرْآن حَسَب تَرتِيْب الْمُصْحَف لجِمِيْع الْقُرْآن سُوْرَة سُوْرَة، وَآيَة آيَة؛ ثُم جَاء عَلى أَثَر هٰؤُلَاء جَمَاعَة مِنَ الْمُفَسِّرِيْن لَمْ يَتجَاوزُوْا حُدُوْد التَّفسِيْر بِالمَأْثوْرَة، وَلٰكِنهُم جَمَعُوا الأَقْوَال دُوْن أَنْ يَنسِبُوْهَا إِلى قَائِلهَا؛ وَلِهٰذَا التبَس الأَمْر، وَلَم يَتَمَيَّز الصَّحِيح مِنَ السَّقِيْم؛ فَمَنْ بَعْدهُمْ يَنْقُلوْنَه ظَانِّيْن: أَنَّ لَه أَصْلا مِنْ غَيْر اِلْتِفَات إِلى مَا وَرَدَ عَن السَّلَف الصَّالِح، وَيَتَأَوَّلُوْن الْقُرْآن حَسْب مَا أَدّى إِلَيْه اِجْتِهَادهم، وَفَسَّرُوْا مَا اعْتَقَدُوْا. (رَوح القدير)

١- جَمَاعَةٌ قَصَدُوا رِوَايَةَ آثَارٍ مُنَاسِبَةٍ لِلآيَاتِ، سَوَاءٌ كَانَ: حَدِيْثًا مَرْفُوْعًا أَوْ مَوْقُوْفًا أَوْ مَقْطُوْعًا[1]، أَوْ خَبَرًا إِسْرَائِيْلِيًّا؛ وَهٰذَا طَرِيْقُ الْمُحَدِّثِيْن.

٢- وَفِرْقَةٌ قَصَدُوْا تَأْوِيْلَ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَالأَسْمَاءِ، فَمَا لَمْ يُوَافِقْ مِنْهَا مَذْهَبَ التَّنْزِيْهِ[2] صَرَفُوْهَا عَنِ الظَّاهِرِ، وَرَدُّوْا عَلَىٰ اسْتِدْلَالِ الْمُخَالِفِيْنَ بِبَعْضِ الآيَاتِ؛ وَهٰذَا طَرِيْقُ الْمُتَكَلِّمِيْن.

٣- وَقَوْمٌ صَرَفُوْا عِنَايَتَهُمْ إِلَىٰ: اسْتِنْبَاطِ الأَحْكَامِ الفِقْهِيَّةِ، وَتَرْجِيْحِ بَعْضِ الْمُجْتَهَدَاتِ عَلَىٰ بَعْضٍ، وَالْجَوَابِ عَنْ تَمَسُّكِ الْمُخَالِفِيْنَ؛ وَهٰذَا طَرِيْقُ الْفُقَهَاءِ الأُصُوْلِيِّيْن.

٤- وَجَمْعٌ أَوْضَحُوْا إِعْرَابَ الْقُرْآنِ[3] وَلُغَتَهُ، وأَوْرَدُوا الشَّوَاهِدَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ فِيْ كُلِّ بَابٍ مَوْفُوْرَةً تَامَّةً؛ وَهٰذَا مَنْهَجُ النُّحَاةِ اللُّغَوِيِّيْن[4].

---

(١) قَوْله: (أَوْ مَقْطُوْعًا): الحَدِيْث المَرفُوْع: مَا رُفِع إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ وَالحَدِيْث المَوقُوْف: مَا انْتَهىٰ إِلَى الصَّحَابِي، وَالحَدِيْث المَقطُوْع: مَا انْتَهىٰ إِلَى التَّابِعِيّ. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (التَّنْزِيْه): مَذهَب التَّنزِيْه: هُوَ مَذهَب أَهْل السُّنَّة وَالجماعَة فِي مَسأَلَة الصِّفَات المُتشَابِهَات. (المعرِّب) وَسَيَأْتِي تَفصِيْل هٰذَا البَحْث فِي الفَصْل الثَّانِي مِنْ هٰذَا البَاب عِنْد ذِكْر غُلُوّ المُتَكَلِّمِيْنَ.

(٣) قَوْله: (إِعْرَابَ القُرْآنِ): يَعنِي نَحْو القُرْآن وَصرْفه. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (مَنْهَجُ النُّحَاةِ اللُّغَوِيِّيْن): مَنَاهِجُ التَّفسِيْر: أَمَّا منْهَج الرَّسُوْل فِي التَّفسِيْر: فَلَمْ يَكُن النَّبِي ﷺ يُطنِب فِيْ تَفسِيْر الآيَة، وَلَم يَخْرُج إِلىٰ مَا لافَائِدَة فِي مَعْرِفَته؛ فَلِذٰلِك لَمْ يُفسِّر لأَصْحَابه كُل آيَات القُرْآن الْكَرِيْم؛ بَل جُلُّ تَفْسِيْره ﷺ كَانَ بَيَانًا لِمُجمَل، أَوْ تَوضِيْحًا لِمُشكِل، أَوْ تَخْصِيْصًا لِعَامّ، أَوْ تَقْيِيْدا لِمُطلَق، أَوْ بَيَانا لِمَعْنىٰ لَفْظ، أَوْ مُتعَلِّقه.

مَنْهج الصَّحَابَة فِي التَّفْسِيْر عَلىٰ أَرْبَعَة أَنْوَاع: تَفسِيْر الْقُرْآن بِالْقُرْآن؛ تَفسِيْر الْقُرْآن بِالسُّنَّة النَّبوِيَّة؛ تَفسِيْر القُرْآن بِاللُّغَة العَرَبِيَّة؛ تَفسِيْر الْقُرْآن بِالاجْتِهَاد وَالاسْتِنْبَاط، وَكَانُوْا فِيْه عَلىٰ تَفَاوُت؛ وَهُم قَلِيْل الأَخْذ بِالإِسْرَائِيْلِيّات، لايَتَعمّقوْن فِي التَّفسِيْر تَعمّقا مَذمُوْمًا، وَلايَتكلّفوْن؛ فَلايَشْمُل تَفسِيْرُهم الْقُرْآنَ كُلّه.

مَنْهَج التَّابِعِيْن فِي التَّفسِيْر عَلىٰ ستَّة أَنْوَاع: تَفسِيْر القُرْآن بِالْقُرْآن؛ وَتَفسِيْر الْقُرْآن بِالسُّنَّة النَّبوِيَّة؛ وَتَفسِيْر الْقُرْآن بِأَقْوَال الصَّحَابَة؛ وَتَفْسِيْر القُرْآن بِاللُّغَة العَرَبِيَّة؛ وَالفَهْم وَالاجْتِهَاد؛ وَمَرْوِيَّات أَهْل=

٥- وَطَائِفَةٌ يَذْكُرُوْنَ نِكَاتَ المَعَانِي وَالبَيَانِ بَيانًا شَافِيًا، وَيَتَفَاخَرُوْن فِيْ ذُلِكَ البَابِ؛ وَهٰذَا طَرِيْقُ الأُدَبَاء.

٦- وَاهْتَمَّ بَعْضُهُم بِرِوَايَةِ القِرَاءَاتِ المَأْثُوْرَةِ(١) عَنْ شُيُوْخِهِمْ، فَلَمْ يَدَعُوْا دَقِيْقًا وَلا جَلِيْلًا فِيْ هٰذَا البَابِ إِلاَّ جَاؤا بِهِ؛ وَهٰذِهِ صِفَةُ القُرَّاء(٢).

= الْكِتَاب مِن الْيَهوْد وَالنَّصَارَى.

وَجَاء بَعْد هٰؤلاء من أَفْرَد التَّفسِيْر بِالتَّأْلِيْف، وَجَعَله عِلْما قَائِمًا بِنَفْسه، مُنْفَصِلا عَن الْحَدِيْث؛ فَفَسَّرَ الْقُرْآن حَسَب تَرتِيْب المُصْحَف لِجَمِيْع القُرْآن سُوْرَة سُوْرَة، وَآيَة آيَة؛ ثُم جَاء عَلىٰ أَثَر هٰؤلَاء جَمَاعَة مِنَ المُفَسِّرِيْن لَمْ يَتَجَاوَزُوْا حُدُوْد التَّفسِيْر بِالمَأْثُوْرَة، وَلٰكِنَّهُم جَمَعُوا الأَقْوَال دُوْن أَنْ يَنسِبُوْهَا إِلىٰ قَائِلِهَا؛ وَلِهٰذَا التبَس الْأَمْر، وَلَم يَتَمَيَّز الصَّحِيْح مِنَ السَّقِيْم؛ فَمَنْ بَعْدهُمْ يَنْقُلوْنَه ظَانِّيْن: أَنَّ لَه أَصْلا مِنْ غَيْر اِلْتِفَات إِلىٰ مَا وَرَدَ عَن السَّلَف الصَّالِح، وَيَتَأَوَّلُوْن الْقُرْآن حَسْب مَا أَدَّى إِلَيْه اِجْتِهَادهم، وَفَسَّرُوْا مَا اعْتَقَدُوْا.

ثُم أَلِّفَت كُتُب غَلَب عَلَيْهَا التَّأْوِيْل وَالتَّفسِيْر الْاجْتِهَادِي حَتى بَرَعُوا فِي عُلُوْم، كَالنَّحْوِي وَالإِخْبَارِي وَالْفَقِيْه وَالْمُبتَدِع، وَبَرَزُوْا فِيْها؛ وَلِذٰلكَ تَرَى كُتُب التَّفسِيْر مَصْبوْغة بِأَلْوَان مُخْتلِفَة مِن السُّنَة وَالْبِدْعَة؛ فَاشْتُرِط للمُفَسِّرِ شَرَائِط.

(١) قَوْله: (القِرَاءَات المَأْثُوْرَة): وَقَدْ أَطَبْنا الكَلَام فِي هٰذَا البَحْث، فَمَن شَاء فَلْيُرَاجِع "رَوح القدير فِي أُصُوْل التَّفسِيْر".

(٢) قَوْله: (صِفَةُ القُرَّاء): اعْلَمْ! أَنَّ القِرَاءَات قِسْمَان: مُتَوَاتِرَة، وَشَاذَّة؛ واعْلمْ! أَنَّ القِرَاءَة لاتَتْبَع العَرَبِيَّة، بَلْ العَرَبِيَّةُ تَتْبَع القِرَاءَة؛ لأَنَّهَا مَسْمُوْعَة مِنْ أَفْصَح العَرَب بِالإِجْمَاع.

وَالاخْتِلاف فِيْ القِرَاءات ثَلاثَةُ أَنْوَاع:

النَّوْع الأَوَّل: اخْتِلاف اللَّفْظ، وَالمَعْنىٰ واحِدٌ؛ كَاخْتِلافِهِمْ فِيْ قِرَاءَة ﴿الصِّرَاط﴾، فَمِنْهُم مَنْ قَرَأَ بالصَّادِ، وَمِنْهُمْ: مَنْ قَرَأَ بالسِّيْن؛ وَكَذَا اخْتِلافُهُم فِيْ ﴿ٱلْقُدُسِ /ٱلْقُدْسِ﴾ [البقرة٨٧] وَغَيْرِها.

النَّوْع الثَّانِيْ: اخْتِلاف اللَّفْظ وَالمَعْنى، مَعَ جَوَاز اجْتِمَاعِهِمَا فِيْ شَيْءٍ وَاحِد، كَاخْتِلافِهِم فِيْ قِرَاءَة: ﴿مَالِكِ﴾ و ﴿مَلِكِ﴾، وفِيْ قِرَاءَة: ﴿بِضَنِيْنٍ﴾ و ﴿بِظَنِيْنٍ﴾؛ فَفِيْ مِثْل هٰذِهِ الحَالَة يُثْبَت للشَّيْء الوَاحِد مَعْنَيَان.

النَّوْع الثَّالِث: اخْتِلاف اللَّفظ وَالمَعْنىٰ، مَعَ امْتِنَاع اجْتِمَاعِهِمَا فِيْ شَيْءٍ وَاحِد، مِثْل قَوْلِهِ تَعَالىٰ:﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٢٦﴾ [الفجر]؛ وهٰذَا النَّوْع بِمَثَابَة =

٧- وَبَعْضُهُمْ يُطْلِقُوْنَ اللِّسَانَ بِنِكَاتٍ مُتَعَلِّقَةٍ بِعِلْمِ السُّلُوْكِ، أَوْ عِلْمِ الحَقَائِقِ(١) بِأَدْنىٰ مُنَاسَبَةٍ؛ وَهٰذَا مَشْرَبُ الصُّوْفِيَّة.

وَبِالجُمْلَة: فَالمَجَالُ وَاسِعٌ، وَيَقْصُدُ كُلٌّ مِنْهُمْ: تَفْهِيْمَ مَعَانِيْ القُرْآنِ الكَرِيْم، وَخَاضَ فِيْ فَنٍّ مِنَ الفُنُوْن، وَتَكَلَّمَ عَلىٰ قَدْرِ فَصَاحَتِهِ وَفَهْمِهِ(٢)، وَاتَّخَذَ مَذْهَبَ أَصْحَابِه نُصْبَ عَيْنَيْهِ؛ وَلِأَجْلِ ذٰلِكَ اتَّسَعَ مَجَالُ التَّفْسِيْرِ اتِّسَاعًا لا يُحَدُّ قَدْرُه، وَصُنِّفَتْ كُتُبٌ كَثِيْرَةٌ لا يَحْصُرُهَا عَدَدٌ.

٨- وَقَصَدَ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ إِلىٰ جَمْعِ ذٰلِكَ كُلِّهِ فِيْ تَفَاسِيْرِهِم، فَمِنْهُمْ: مَنْ تَكَلَّمَ بِالعَرَبِيَّة، وَمِنْهُمْ مَنْ تَكَلَّمَ بِالفَارْسِيَّة؛ وَاخْتَلَفُوْا فِي الاخْتِصَار وَالإِطْنَاب، وَوَسَّعُوْا أَذْيَالَ العِلْم.

مَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيَّ فِيْ عِلْمِ التَّفْسِيْر

وَقَدْ حَصَلَ لِلفَقِيْر -بِحَمْدِ اللهِ تَعَالىٰ وَتَوْفِيْقِهِ- مُنَاسَبَةٌ فِيْ كُلِّ فَنٍّ مِنْ هٰذِهِ الفُنُوْنِ، وَأَحَطْتُ بِمُعْظَمِ أُصُوْلِهَا، وَبِجُمْلَةٍ صَالِحَةٍ مِنْ فُرُوْعِهَا؛ وَفُزْتُ بِنَوْعٍ مِنَ التَّحْقِيْقِ وَالاسْتِقْلالِ فِيْ كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِهَا، بِوَجْهٍ يُشْبِهُ الاجْتِهَادَ فِي المَذْهَبِ(٣).

=التَّفْسِيْرَيْنِ. (رَوح القدير)

(١) قَوْله: (عِلْم الحَقَائِق): عِلْم السُّلُوْك: هُوَ عِلْم الإِحْسَان، وَعِلْم الحقائِق كَالغَايَة لَه. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (عَلىٰ قَدْر فَصَاحَتِه): وَمِن المَعْلُوْم أَنّ كَلَام العَرَبِي يَشْتمِل عَلى الْحَقِيْقَة وَالْمَجَاز، وَالتَّصرِيْح وَالْكِنَايَة، وَالإِيْجَاز وَالإِطْنَاب، وَالإِجْمَال وَالتَّفْصِيْل، وَالإِبْهَام وَالتَّبيِيْن، وَمَا أَشْبَه ذٰلِكَ مِن أَصْنَاف الْكَلَام، وَأَسَالِيْب الْبَيَان؛ فَالقُرْآن الْكَرِيْم أَيْضًا يَحْتَوِي عَلىٰ كُلّ ذٰلِكَ مِن صُنُوْف الْكَلَام وَأَسَالِيْب الْبَيَان؛ بَلِ القُرْآن يَعْلُوْ وَيَفُوْق غَيْرَه بِوُجُوْه إِعْجَازِيَّة ذَكَرهَا الْعُلَمَاء فِيْ مَوْضِعِها.

(٣) قَوْله: (الاجْتِهَادَ فِي المَذْهَبِ): الاجْتهَاد فِي المَذْهَب: هُوَ أَنْ يَكُوْن الرَّجُل مُجْتَهِدا مُسْتَقِلًّا فِي الفُرُوْع لَا فِي الأُصُوْل. (المعرِّب)

وَأُلْقِيَ فِيْ خَاطِرِيْ مِنْ بَحْرِ الْجُوْدِ الإِلٰهِيِّ فَنَّانِ أَوْ ثَلاثَةٌ مِنْ فُنُوْنِ التَّفْسِيْرِ -سِوَى الفُنُوْن المَذْكُوْرَة سَالِفًا-؛ وَإِنْ سَأَلْتَنِيْ عَنِ الْخَبَرِ الصِّدْقِ فَأَنَا تِلْمِيْذُ القُرْآنِ العَظِيْمِ بِلاوَاسِطَةٍ، كَمَا أَنِّيْ أَوَيْسِيٌّ[1] فِي الاسْتِفَادَة مِنْ رُوْحِ النَّبِيِّ ﷺ، وَكَمَا أَنِّيْ مُسْتَفِيْدٌ مِنَ الكَعْبَة الحَسَنَاءِ[2] بِدُوْنِ وَاسِطَةٍ، وَكَذٰلِكَ مُتَأَثِّرٌ بِالصَّلاةِ العُظْمٰى[3] بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ:

وَلَوْ أَنّ لِيْ فِيْ كُلِّ مَنْبِتِ شَعْرَةٍ * لِسَانًا لَمَا اسْتَوْفَيْتُ وَاجِبَ حَمْدِه

وَأَرٰى مِنَ اللاَّزِم: أَنْ أَكْتُبَ كَلِمَاتٍ عَدِيْدَةً فِيْ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ عَنْ كُلِّ فَنٍّ مِنْ هٰذِهِ الفُنُوْن[4].

---

(١) قَوْله: (كَمَا أَنِّيْ أَوَيْسِيٌّ): نِسْبة إِلىٰ أُوَيْس بْن عَامِر القَرَني الزَّاهِد التَّابِعِيّ وَحدِيْث فَضْله فِي صَحيْح مُسلِم فِيْ كِتَاب فَضَائل الصَّحابَة، ١٦: ٩٤، كَان أَسْلم فِي زَمَن النَّبِيّ ﷺ وَهُوَ بِاليَمَن، وَكَان لَه أُمٌّ، وَكَان بَارًّا بِهَا، فَلَم يُسَافر مِن اليَمَن لِلِقَاء النَّبِيّ ﷺ، وَاسْتَفاد مِنْ رُوْحه ﷺ، فَبلَغ مَنَازِلَ السَّائرِيْن، كَذٰلِك صَاحِبنَا الإِمَام اسْتَفاد مِنْه ﷺ بِلا وَاسِطَة وَبدُوْن لِقَاء. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (الكَعْبَة الحَسَنَاءِ): الكَعْبة الحَسْنَاء: كعبہ شریف، وَالمُسلِمُوْن يَستَفِيْدُوْن مِنْها بِواسِطَة الصَّلوٰة؛ وَالكَمَلَة مِن الرِّجَال يَستَفِيْدُوْن مِنها بِلاوَاسِطَة؛ وَالحَسْنَاء تَأْنِيْث الحَسَن. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (بِالصَّلوٰةِ العُظْمىٰ): الصَّلَوَات المَفرُوْضة وَالنَّافِلَة، وَكَذَا الصَّلوَات الخَمْس كُلّها أَفْرَاد الصَّلوٰة المُطلَقَة الكَامِلَة وَهِي الصَّلوٰة العُظْمىٰ الَّتِيْ تتَمَثَّل فِي عَالم المِثَال، فَإِنّ المَعنَوِيَّات لَهَا أَجْسَام هُنَاك وَالمُسلِمُوْن يَتأَثَّروْن بِهَا بِواسِطَة أَفْرَادهَا، وَأَمَّا الَّذين بلغُوْا أَقْصى مَدارِج السَّالكِيْن فَيتَأَثرُوْن بِهَا بِدوْن وَاسطَة أَيْضًا وَإِلَيْه الإِشَارَة فِي قَوْله ﷺ "جُعِلَت قُرّة عَيْنِي فِي الصَّلوٰة" وَلٰكِن مَهْما بَلَغ الرَّجُل المَنازِلَ لايَستَغْنِي عَن أَفْرَادهَا وَإِلَيْه الإِشَارَة فِي قَوْله ﷺ: "أَرِحْنا بِها يَا بِلَال". (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (الفُنُوْن): يَعْني مِن فُنُوْن التَّفسِير.

الفَصْلُ الأوَّلُ

بَيَان الآثَار المَرْوِيَّة فِيْ تَفَاسِيْر أَصْحَابِ الحَدِيْث(١)، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا(٢)

[أ مَا يَتَعَلَّق بِالمُحَدِّثِيْن(٣) مِنْ ثَلاثَةِ أُمُوْرٍ عِنْد رِوَايَة الآثَار]

- **الأَمْر الأَوَّل فِيْ مُلَاحَظَاتِ أَسْبَابِ النُّزُوْل**

١- وَمِنْ جُمْلَةِ الآثَارِ المَرْوِيَّةِ(٤) فِيْ كُتُبِ التَّفْسِيْر بَيَانُ سَبَبِ النُّزُوْل؛ وَأَسْبَابُ

---

(١) قَوْله: (فِيْ تَفَاسِيْر أَصْحَاب الحَدِيْث): طُرُقُ التَّفسِيْر عَلىٰ ثَلاثَة أَنْوَاع: لأَنَّ التَّفسِيْر إِنْ كَانَ بِمَا جَاءَ فِي الْقُرْآن أَوِ السُّنَّة أَوْ مِنْ كَلَام الصَّحَابَة، فَهُو "تَفسِيْر بِالرِّوَايَة" -وَيسَمّٰى "التفسِيْر بِالْمَأثُوْر" أَيْضًا-، مُسْتَنِدًا إِلىٰ ما يَجِب الاسْتِنَادُ إِلَيْه؛ وَإِنْ كَانَ مُسْتَنْبَطا مِنَ الْاِجتِهَاد، فَهُو "تَفسِيْر بِالدِّرَايَة"؛ وَمَا اسْتُنْبِط مِنَ الدَّقَائِق وَالْأَسْرَار بِإِشَارَة خَفِيَّة، فَهُو "تَفسِيْر بِالْإِشَارَة"؛ وَهوَ جَائِزٌ لِمَا روِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لِكُلِّ آيَة ظَهْرٌ وبَطْنٌ.

المَلحوظَة: الفَرْق بَيْن التَّفسِيْر بِالمَأْثُوْر وَالتَّفسِيْر بِالرَّأي وَالاجْتِهَاد: أَنَّ التَّفسِيْر بِالمَأْثُوْر هُوَ: ١- مَا رُوِي عَنْ رَسُوْل ﷺ مِنْ تَفْسِيْره لِلقُرْآن، ٢- وَمَا رُوِي عَنِ الصَّحَابَة مِمَّا لَه حُكْم المَرْفوْع، كَأَسْبَاب النُّزُوْل وَالْمغيبَات؛ ٣- وَمَا أَجْمعَ عَلَيْه الصَّحَابة أَوِ التَّابعُوْن فَملْحَق بِالمَأْثُوْر لِوُجُوْب الأَخْذ بِه؛ لِأَنَّ الإِجْمَاع حُجَّة.

وَمَا عَدَا ذٰلِك مِنْ تَفْسِيْر الصَّحَابِي وَالتَّابِعِي فَهُو مِنْ بَاب الاجْتِهَاد وَالرَّأي، سَوَاء كَان مُعْتَمدُه اللُّغَة أَوْ غَيرَها مِنْ أَدَوَات الاجْتِهَاد فِي التَّفسِيْر. (رَوح القدير)

(٢) قَوْله: (وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا): اعْلَمْ! أَنَّ مَآخِذ التَّفسِيْر عَلىٰ نَوعيْن: نَوْع فِي المَآخذ المُعتَبرَة، وَنوْع فِي المَآخِذ الغَيْر المُعتَبرَة.

أَما مَآخِذ التَّفسِيْر المُعتَبرَة فستَّة: فَمَنْ أَرَاد تَفسِيْر الْقُرْآن الْكَرِيْم فَلْيَطْلُبْ أَوَّلا: مِنَ القُرْآن نَفْسِه؛ فَإِنْ أَعْيَاه فَمنَ السُّنَّة، سَوَاء كَانَ الْحدِيْث صَحيْحًا أَوْ حَسَنا؛ فَإِنْ لَّمْ يَجِده فِي السُّنَّة، فَيرْجعُ إِلىٰ أَقْوَال الصَّحَابَة، وَيَأْخُذُ بِمَا صَحّ عَنهُم؛ فَإِنْ لَم يَجِده عَنهم فَإِلىٰ أَقْوَال التَّابعِيْن، -وَعِنْد الخِلَاف فِيْما بَيْنَهُم يُعمَل بِقَوَاعد التَّرجِيْح-؛ فَإِنْ لَمْ يَجِدْه فَليَطْلُب مِنَ اللُّغَة الْعرَبِيّة؛ فَإِنْ لَّمْ يَجِدْه فِي اللُّغَة فَيطْلُبه بِالْمُقتَضى مِنْ مَعْنى الْكَلام، وَهٰذَا هُوَ الَّذِي دَعَا بِهِ النَّبِيُّ ﷺ لابْن عَبَّاس، حَيْث قَال: "اللّٰهُمَّ فَقِّهْه فِي الدِّيْن، وَعَلِّمْه التَّأْوِيْل"؛ وَهُوَ الفَهْم وَالعَقْل السَّلِيْم المَوْهُوْب مِنَ الله. =

النُّزُوْلِ عَلىٰ قِسْمَيْن:

- **السَّبَبُ الخَاصُّ:**

الأَوَّل: أَنْ تَقَعَ حَادِثَةٌ يُمَحَّصُ بِهَا إِيْمَانُ الْمُؤْمِنِيْنَ وَنِفَاقُ الْمُنَافِقِيْن -كَمَا وَقَعَ ذٰلِكَ فِيْ غَزْوَتَي أُحُدٍ وَالأَحْزَاب-؛ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالىٰ مَدْحَ أُولٰئِك وَذَمَّ هٰؤُلاءِ، لِيَكُوْنَ فَيْصَلًا بَيْنَ الفَرِيْقَيْن، وَتَقَعُ فِيْ أَثْنَاءِ ذِكْرِ الحَادِثَةِ تَعْرِيْضَاتٌ كَثِيْرَةٌ بِخُصُوْصِيَّاتِهَا.

= وَأَمَّا المَآخِذُ الغَيْرُ المُعْتَبَرَة فَثَلاثَةٌ: ١- الإِسْرائِيْلِيَّات، ٢- وَالتَّفسِيْر بِالرَّأْيِ الْمَذْمُوْم، ٣- الْعُلُوْم الفَلْسَفِيّة وَالطَّبِيْعِيّة. (رَوح القدير)

(٣) قَوْله: (فِيْمَا يَتَعلَّق بِالمُحدِّثِيْن): وَهِيَ الأُمُوْر المَرعِيَّة فِي فُنُوْن التَّفسِيْر المَذْكُوْرَة فِيْمَا قَبْل إِجْمَالًا.

(٤) قَوْله: (الآثَار المَرْوِيَّة): وَمِنْ قَبِيلِ الآثَارِ المَروِيَّةِ: تَفْسِيرُ القُرآنِ بالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ، وتَفسِيرُ القُرآن بأَقوالِ الصَّحابَةِ وَالتَّابِعينَ؛ أَمَّا تَفسِيرُ القُرآنِ بالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ فَهُوَ عَلىٰ أَنْوَاعٍ: الأَوَّل: أَنْ يَبْتَدأَ النَّبِيﷺ التَّفسِيْرَ، ثُمَّ يذْكُر الآيَة المُفَسَّرة؛ وَالثَّانِي: أَنْ يَذكُر الآيَة المُفَسَّرة، ثُمَّ يذْكر تَفْسِيْرهَا؛ وَالثَّالِث: أَنْ يَشكُل عَلَى الصَّحَابَة فَهْم آيَة، فَيُفسِّرها لَهُم؛ وَالرَّابِع: أَنْ يُذْكَر فِيْ كَلامه مَا يصْلُح أَنْ يَكُوْن تَفسِيْرا لِلآيَة؛ وَالخَامِس: أَنْ يَتَأَوَّل الْقُرْآن فَيَعْمَل بِمَا فِيْه مِنْ أَمْر، وَيتْرك مَا فِيْه مِنْ نَهْي. (رَوح القدير)

أَمَّا تَفسِيْر القُرْآن بِأَقْوَال الصَّحَابَة: فَالتَّفسِيْرُ الَّذِيْ أَجْمَعَ عَلَيْه الصَّحَابَة، وَكَذَا أَقْوَالهُمْ فِيمَا لا مَجَال لِلاجْتهَاد فِيْه -مِنْ أَسْبَاب النُّزُوْل، وَالإِخْبَار عَنِ الْمَغيبَات- فَهُوَ فِيْ حُكْم المَرْفوْع؛ وَمَا رَجَعُوْا فِيْه إِلىٰ لُغَتِهِمْ يقْبلُ مُطْلَقا؛ وَمَا رَجَعُوْا فِيْه إِلىٰ أَهْل الْكِتَاب فَلَه حُكْم الاسْرَائِيْلِيَّات؛ وَمَا اجْتَهَدُوْا فِيْه وَلا يَرِد إِلَّا عَنْ وَاحِد، فَالأَخْذ بِه أَوْلىٰ؛ وَإِنْ وَرَد عَن اثْنَيْن فَصَاعِدا، فَإِمَّا: أَنْ يَتَوَافَق اجْتِهَادُهمْ فَيَكُوْنُ حُجَّةً، أَوْ يَختَلِف فَيرجَّحُ بِقَوَاعِد التَّرجِيْح. وَإِلَيْك هٰذَا الجَدْوَل:

أَقْوَال الصَّحَابَة فِيْمَا

- لامَجَال فِيْه للاجْتِهَاد، فهُوَ
  - فِيْ حُكْم المَرْفُوْع
- فِيْه مَجَال للاجْتِهَاد
  - مَا أَجْمَع عَلَيْه الصَّحَابة
    - فِي حكم المرفوع
  - مَاوَرَد عَنْ واحِد فَقَطْ
    - الأخذ به أولىٰ
  - مَاوَرَد عَنْ اثْنَيْن، فإِمَّا:
    - أَنْ يَتَوَافَق اجْتِهَادُهم
      - فَيَكُوْن حُجَّة
    - أَنْ يَختَلِف اجْتِهَادُهم
      - فَيُرجَّح بقَواعد التَّرْجِيْح

وَأَمَّا تَفسِيْر القُرْآن بِأَقْوَال التَّابِعِيْن، فَاعْلَم! أَنَّ التَّابِعِيْن إِنْ ذَكَرُوْا السَّنَد إِلىٰ الرَّسُوْلﷺ فَالصَّحِيْح: أَنَّه مِنَ=

فَيَجِبُ أَنْ تُشْرَح الحَادِثَةُ بِكَلامٍ مُخْتَصَرٍ لِيَتَّضِحَ عَلَى القَارِئ سِيَاقُ الكَلامِ(١).

- السَّبَبُ العَامُّ:

وَالثَّانِيْ: أَنْ يَكُوْنَ مَعْنَى الآيَةِ تَامًّا بِعُمُوْمِ صِيْغَتِهَا، مِنْ دُوْنِ حَاجَةٍ إِلىٰ مَعْرِفَةِ القِصَّة الَّتِيْ هِيَ سَبَبُ النُّزُوْل؛ لأَنَّ العِبْرَةَ لِعُمُوْمِ اللَّفْظِ لَا لِخُصُوْصِ السَّبَب(٢).

وَالقُدَمَاءُ مِنَ المُفَسِّرِيْن قَدْ ذَكَرُوْا تِلْكَ الحَادِثَة بِقَصْد اسْتِيْعَابِ الآثَارِ المُنَاسِبَةِ لِلآيَه، أَوْ بِقَصْدِ بَيَانِ مَا صَدَقَ عَلَيْهِ عُمُوْمُ الآيَة؛ وَلَيْسَ مِنَ الضَّرُوْرِي ذِكْر هٰذَا القِسْم(٣).

- بَحْثُ اخْتِلافِ السَّلَفِ فِيْ شَانِ النُّزُوْل:

وَقَدْ تَحَقَّقَ لَدَى الفَقِيْرِ: أَنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِيْنَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- كَثِيْرًا مَّا كَانُوْا يَقُوْلُوْن: "نَزَلَتِ الآيَةُ فِيْ كَذَا"، وَيَكُوْنُ غَرَضُهُمْ: تَصْوِيْرَ مَا صَدَقَتْ عَلَيْه الآيَةُ، أَوْ ذِكْرَ بَعْضِ الحَوَادِث الَّتِيْ تَشْتَمِلُهَا الآيَةُ بِعُمُوْمِهَا؛ سَوَاءٌ تَقَدَّمَت القِصَّةُ عَلىٰ نُزُوْلِ الآيَةِ أَوْ تَأَخَّرَتْ عَنْهُ، إِسْرَائِيْلِيَّةً كَانَتْ القِصَّةُ أَوْ جَاهِلِيَّةً أَوْ إِسْلامِيَّةً، تَنْطَبِقُ عَلىٰ جَمِيْعِ قُيُوْدِ الآيَةِ أَوْ بَعْضِهَا. وَاللهُ أَعْلَم!

فَعُلِمَ مِنْ هٰذَا التَّحْقِيْق: أَنَّ لِلاجْتِهَادِ فِيْ هٰذَا القِسْمِ(٤) مَدْخَلا، وَلِلقِصَصِ

=التَّفسِيْر النَّبوِيّ، وَإِنْ ذَكَرُوْا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ دُوْن ذِكْر السَّنَد فَهُوَ وَإِنْ كَان مُرْسَلا، لٰكِنَّهُمْ إِذَا أَجْمَعُوْا عَلَيْهِ فَيَكُوْن حُجَّة؛ وَتَفسِيْرُ التَّابِعِيْن كَتَفسِيْرِ الصَّحَابَة فِي الأَقْسَام وَالأَحْكَام، إِلَّا أَنَّ اجْتِهَاد التَّابِعِيّ دُوْن اجْتِهَادِ الصَّحَابِي.

(١) قَوْله: (أَنْ تُشْرَح الحَادِثَةُ إلخ): وَقَدْ مَرَّ تَفصِيْله فِي الفَصْل الثَّالِث مِنَ البَاب الثَّانِي.

(٢) قَوْله: (العِبْرَةَ لِعُمُوْمِ اللَّفْظِ): قَد مَرَّ ذِكْره فِي أَسْبَاب الصُّعُوبَة فِي الفَصْل الثَّالِث مِنَ البَاب الثَّانِي تَفصِيْلا، عَلىٰ صفحة: ١٦٠.

(٣) قَوْله: (وَلَيْسَ مِنَ الضَّرُوْرِي): وَفِيْه ثَلَاث قَوَاعِد: "العِبْرَةُ بِعُمُوْمِ اللَّفْظِ، لا بِخُصُوْصِ السَّبَبِ"؛ "إِذَا كَانَ أَوَّلُ الكَلام خَاصًّا، وَآخِرُهُ بِصِيْغَةِ العُمُوْمِ؛ فَإِنَّ خُصُوْصَ أَوَّلِهِ لا يَكُوْنُ مَانِعًا مِنْ عُمُوْم آخِرِه"؛ "الخَبَرُ عَلىٰ عُمُوْمِهِ، حَتّٰى يَرِدَ مَا يُخَصِّصُهُ". (رَوح القدير)

(٤) قَوْله: (فِي هٰذَا القسم): أَيْ فِي الصُّورَتَيْن المَذكُورَتيْن، وَهُمَا: تَصوِيْر مَا صدقت إلخ. (المعرِّب)

المُتعَدِّدَة هُنَاكَ مَجَالا؛ فَمَنْ اسْتَحْضَرَ هٰذِهِ النُّكْتَةَ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يُعَالِجَ اخْتِلافَ أَسْبَابِ النُّزُوْلِ بِأَدْنٰى تَأَمُّل.

- **الإِيْمَانُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيْلِ فَرْضٌ، وَمَاعَدَاهُ فَمَوْضُوْعٌ عَنَّا**(١):

وَمِنْ جُمْلَةِ ذٰلِكَ(٢): تَفْصِيْلُ قِصَّةٍ وَقَعَ فِيْ نَظْمِ القُرْآنِ تَعْرِيْضٌ بِأَصْلِهَا، فَيَسْتَقْصِيْ(٣) المُفَسِّرُوْنَ تَفَاصِيْلَهَا: مِنْ أَخْبَارِ بَنِيْ إِسْرَائِيْلِ، أَوْ مِنْ كُتُبِ السِّيَرِ؛ فَيَذْكُرُوْنَهَا بِجَمِيْعِ أَجْزَاءِهَا.

وَهٰهُنَا أَيْضًا تَفْصِيْلٌ: إِنْ كَانَتِ الآيَةُ تَشْتَمِلُ عَلٰى تَعْرِيْضٍ بِالقِصَّةِ، بِحَيْثُ يَتَوَقَّفُ العَارِف بِاللُّغَة هُنَاكَ، وَيَبْحَثُ عَنْهَا، فَذِكْرُهَا مِنْ وَظِيْفَة المُفَسِّر؛ وَمَا كَانَ خَارِجًا مِنْهَا -مِثْلُ ذِكْرِ بَقَرَةِ بَنِي اسْرَائِيْل: أَ ذَكَرًا كَانَتْ أَمْ أُنْثٰى! وَمِثْلُ بَيَانِ كَلْبِ أَصْحَابِ الكَهْف(٤): هَلْ كَانَ أَبْقَعَ(٥) أَمْ أَحْمَرا!-؛ فَذِكْرُهُ مِمَّا لايَعْنِيْه(٦)؛

---

(١) قَوْله: (الإِيْمَانُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيْلِ إلخ): قَال تَعَالىٰ: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢﴾ [يوسف]، اختلَف المفَسِّرُوْن فِيْ بُلُوْغ الأشدِّ هنَا علىٰ أقْوال متعدِّدة، فقَال بعضُهم: ثلاثٌ وثلاثُوْن سنَة، وقَال آخرُوْن: عشرُوْن سنَة، وقَال طائفةٌ: مَا بين ثَمَاني عَشَرة سَنَة إلىٰ ثَلاثِيْن؛ قَالَ ابنُ جَرِيْر: "وأَوْلىٰ الأقْوَال فِيْ ذٰلِكَ بِالصَّوَاب أَنْ يُقَال: إِنَّ الله أخبَر: أنَّه آتَى يوسُفَ -لَمّا بلَغ أشدَّه- حُكمًا وعِلْما، والأَشدُّ: هُوَ انتِهاء قوَّتِه وشَبابه؛ وجائِز أَنْ يَكُوْن آتاه وهُوَ ابنُ ثَماني عشرَة سَنَة، أو ابنُ عشرِيْن سنَة إلىٰ غَيْر ذٰلك......؛ ولا دَلالَة لهُ فِيْ كتَاب الله، ولا أَثَر عنِ الرسُوْل، ولا فِيْ إجماع الأمَّة علىٰ أَيِّ ذٰلك؛ وإذا لمْ يكُنْ ذٰلك مَوْجودا مِن الوجْه الذِي ذكَرتُ؛ فالصَّواب أَنْ يقَال فيه كمَا قَال عزّ وجلّ، حتى تثْبُت حجَّة بصِحَّة ما قيْل فِيْ ذٰلك مِن الوجْه الذِي يجِبُ التَّسْليم له، فيُسلَّم لها حينَئِذ". (قواعد:٨٠٢)

(٢) قَوْله: (وَمِنْ جُمْلَةِ ذٰلِكَ): أيْ مِن الآثَار المَروِيَّة فِيْ كُتُب التَّفسِيْر. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (فَيَسْتَقْصِيْ): اسْتَقْصَى الأَمْر: بَلَغ أَقْصَاه فِي البَحْث عَنه. (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (كَلْبِ أَصْحَابِ الكَهْف): اعْلَمْ أَنّ المبْهَمات التِيْ لمْ يُفصِح القُرْآنُ عنْها فِيْ مَوضِعه ولا فِيْ مَوضِع آخَر، ولمْ يُبيِّنها النبيُّ ﷺ، ولمْ يثبُتْ فِيْ بَيانها شَيءٌ؛ فهٰذا مما لاطائِل تحتَه، ولا فائِدة فِيْ البَحْث عنْه، كمَا قَال تعالىٰ في عدّة أصْحاب الكَهْف: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ =

وَكَانَتِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يَكْرَهُوْنَهُ وَيَعُدُّوْنَهُ مِنْ قَبِيْلِ تَضْيِيْعِ الأَوْقَاتِ(١).

[النُّكْتَتَانِ فِيْ سَبَبِ النُّزُوْلِ]

وَلْيُحْفَظْ هٰهُنَا أَيْضًا نُكْتَتَانِ:

الأُوْلى: أَنَّ الأَصْلَ فِيْ هٰذَا البَابِ(٢): إِيْرَادُ القِصَصِ المَسْمُوْعَة كَمَا رُوِيَتْ، مِنْ غَيْرِ تَصَرُّفٍ عَقْلِيٍّ فِيْهَا؛ وَأَمَّا طَائِفَةٌ مِنْ قُدَمَاءِ المُفَسِّرِيْنَ فَيَضَعُوْنَ ذٰلِكَ التَّعْرِيْضَ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، وَيَفْرِضُوْن لَهُ مَحْمِلًا مُنَاسِبًا، وَيُبَيِّنُوْنَهُ عَلىٰ سَبِيْلِ الاحْتِمَالِ؛ فَيَشْتَبِهُ الأَمْرُ عَلَى المُتَأَخِّرِيْنَ.

= فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف]؛ الأَصْلُ فِيْه: أَنَّ مَا أُبْهِمَ فِي الْقُرْآنِ فَلاَ طَائِلَ فِيْ مَعْرِفَتِهِ.

قَالَ الشنقيطي رَحِمه الله عِند تَفْسِير قَوْله تَعَالَى: ﴿وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ [الكهف١٨]، وكثيرٌ مِنَ المفسِّرِيْن يُطنِبُون فِيْ ذِكر الأَقْوال فيها (أي: فِيْ اسْم كلْبِهم) بدُوْن عِلم ولاجَدوَى، ونَحْن نُعرِض عنْ مِثْل ذٰلك دائِماً، كَلَوْنِ كلْبِ أَصْحاب الكهْف واسْمِه، وكالبَعْض الذِي ضُرِب به القتِيْلُ من بقرَة بنِيْ اسْرائيْل، وكاسْم الغُلام الذِي قتَله الخضِر، وأنْكرَ علَيْه موْسىٰ قتْلَه، وَكَخَشَب سَفِيْنَة نُوْح مِن أَيِّ شجَر هوَ، وكمْ طُوْل السَّفِيْنة وعرْضُها، وكمْ فيْها من الطَّبقَات إلىٰ غَيْر ذٰلك ممَّا لافائِدة فِيْ البَحْث عنْه، ولا دَلِيْل عَلى التَّحقِيْق فيْه. (قواعد: ٧١٩ بحذف وزيادة)

(٥) قَوْله: (أَبْقَعَ أَمْ أَحْمَر): الأَبقع: سياه سفيد داغوں والا۔ (المعرِّب)

(٦) قَوْله: (فَذِكْرُهُ مِمَّا لايَعْنِيْه): رُبَما كَان اخْتِلاف بَعْض المفسِّرِيْن فِيما لَافائِدَة فِي مَعْرِفَتِهِ مِنَ الْإِسرَائِيْلِيّات عَنْ أَهْل الْكِتَاب؛ فَمَا كَانَ مِنه مَنقُوْلا نَقْلا صَحِيْحًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قُبِل، وَإِلَّا تَوَقَّفْنَا عَنْه، كَاخْتِلافِهِمْ فِي أَسْمَاء أَصْحَاب الْكَهْف وَلَوْن كَلْبِهِمْ، وَعَدَدِهِمْ، وَقَد قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف]؛ وَاخْتِلافهُمْ فِي قَدْر سَفِيْنَة نُوْح وَخَشَبِهَا، وَفِي أَسْمَاء الطُّيوْر الَّتِي أَحْيَاهَا الله لإبْرَاهِيْم، وَفِيْ نَوْع شَجَر عَصَا مُوْسىٰ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْأُمُوْر. (مباحث، رَوح القدير)

(١) قَوْله: (وَيَعُدُّوْنَهُ مِنْ قَبِيْلِ تَضْيِيْعِ الأَوْقَات): بَلْ رُوِي عَنْ أَنَس: أَنَّ عُمَر بن الخَطَّاب قَرَأَ عَلى المِنبَر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ [عبس]، فَقَال: "هٰذِه الفَاكِهَة قَدْ عَرفْنَاهَا، فَمَا الأَبُّ"؟ ثُمَّ رَجَع إِلى نَفْسه فَقَال: "إِنَّ هٰذَا لَهُو التَّكلُّف يَا عُمَر!"؛ أَخْرَج أَبُوْعُبَيْد فِي "الفَضَائِل". (مباحث)

(٢) قَوْله: (فِيْ هٰذَا البَاب): أَيْ فِي بَيَان القِصَص فِي تَفسِيْر الآيَات. (المعرِّب)

وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ أَسَالِيْبُ البَيَانِ مُنقَّحَةً فِيْ ذٰلِكَ العَصْر، فَرُبَمَا يَشْتَبِهُ التَّفْسِيْرُ عَلىٰ سَبِيْلِ الاحْتِمَالِ بِالتَّفْسِيْرِ مَعَ الجَزْم، فَيَذْكُرُوْن أَحَدَهُمَا مَكَانَ الآخَر؛ وَهٰذَا أَمْرٌ اجْتِهَادِيٌّ، وَلِلنَّظَرِ العَقْلِيِّ فِيْهِ مَجَالٌ، وَرَكْضُ جِيَادِ القِيْلِ وَالقَالِ هُنَاكَ مُمْكِنٌ(١).

(١) قَوْله: (وَرَكْضُ جِيَادِ القِيْلِ وَالقَالِ): قَدْ أَشَار المُصنِّف هُنَا إِلىٰ سَبَب مِنْ أَسْبَاب الاخْتِلَاف فِيْ تَفسِيْر السَّلَف؛ فَاعْلَم!

أَنَّ اخْتِلَاف السَّلَف عَلىٰ نوْعَيْن: الأَوَّل مَا يَرجِع إِلىٰ المُجتَهِدِ بِسَبَب اخْتِلَاف فُهُوْم المُجتَهِدِيْن، وَالثَّانِيْ مَا يرْجِع إِلَى النّصّ بِأَن يَكُوْنَ النَّصُّ مُحتَمِلا لأَكْثَر مِنْ مَعْنى.

أَسْبَاب الاخْتِلاف فِي تَفْسِيْر السَّلَف

فَمِنْ أَسْبَاب الاخْتِلاف: ١-الاشْتِرَاك اللَّفْظِيّ، وَهُوَ: إِمَّا أَنْ يَدُلّ عَلَى المَعَاني المُتَضَادَّة -سَوَاء يَجُوْز حَمْل الآيَة عَلَى المَعْنيَين المُتَضادين، أَوْ يَمْتنِع-، أَوْ يَدلّ عَلىٰ غَيْر المُتَضادّة؛ ٢- الاخْتِلَاف فِيْ مَرْجع الضَّمِيْر: بِأَنْ يَحْتَمِلَ عَوْده إِلىٰ أَكْثَر؛ ٣- الحَذْف فِي الجُمْلَة بِأَنْ يَحْتَمِل المَعَانِي المُتَعدِّدَة فِي تَقدِيْره؛ ٤- الاحْتِمَال فِي الصِّيْغة بِحَسَب التَّصْرِيْف؛ ٦-تَنَوُّع الاسْتِعْمَال العَرَبِي بِأَنْ يَحْتَمِل المَعْنَى الْقرِيْب وَالبَعِيْد؛ ٦-الاخْتِلاف فِي حُكْم الآيَة بَيْن الإِحْكَام وَالنَّسْخ؛ ٧-الاخْتِلَاف فِي حُكْم الآيَة بَيْن العُمُوْم وَالخُصُوْص؛ ٨-ذِكْرُ الوَصْف المُحْتمِل لِلمَوْصُوْفَات؛ ٩-اخْتِلاف القِرَاءَات.

١- وَعِنْد جَوَاز الحَمل يَكُوْن المَعنَيَان بِمَثابَة التَّفسِيْرَيْن لِلآيَة، نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧﴾ [التكوير]، فَقَدْ فَسّر ابْن عَبّاس وَقَتَادَة وَابْن جُبيْر بِأَنَّه "أَقْبل"، وَفسّر ابْن زَيْد بِأَنَّه "أَدْبر".

٢- وَعِنْد امْتنَاع الحَمل يلْزمُ القَوْل بِأَحدِهمَا، نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ [البقرة٢٢٨]؛ فَقَدْ وَرد "القُرْء" بِمعْنَى الطُّهْر عَنْ زَيْد بْن ثَابِت، وَابْن عُمَر، وَعَائشَة، وَالزُّهرِي؛ وَروِي بِمعْنَى الحَيْض عَن: عُمَر، وَعَلي، وَابْن مَسعُوْد، وَعبَادَة، وَأَبِي الدّرداء، وَعِكْرِمَة، وَالضَّحَّاك، وَالثَّورِي، وَالسدي؛ فَالمَرْأَة تَترَبَّص إِمَّا ثَلَاثَةَ أَطْهَار، أَوْ ثَلَاث حِيَض.

٣- نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ۝٢٩﴾ [الحج]؛ فَقَالَ الحَسَن وَابْن زَيْد: العَتِيْق بِمعْنى القَدِيْم، وَقَالَ مُجاهِد وَقَتَادَة وَابْن الزُّبيْر: العَتِيْق: المُعْتِق مِنَ الجَبابِرَة؛ وَهٰذَا مِمَّا يَجُوْز حَمل الآيَة عَلَيْهِمَا.

٤- نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ۝٧﴾ [العاديات]، أَيْ: "إِنَّ الله عَلىٰ ذٰلكَ لَشهِيْد"، وَبِه قَالَ ابْن عَبَّاس وَابْن جُرِيْج؛ وَرُوِي عَن ابْن عَبَّاس: أَنَّ مَرجِع هَاء الكِنَايَة هُوَ "الإِنْسَان الكَنُوْد"، أَيْ: إِنَّ الإِنْسَان الكَنُوْد عَلىٰ ذٰلكَ لَشهِيْد.

٥- نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ ...، وَ"تَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ"﴾ [النساء]، أَيْ: "تَرغَبُوْن فِي نِكَاحِهنّ"، وَهٰذَا قَوْل عَائشَة، وَعُبيْدَة؛ وَقَالَ الحَسَن: "تَرغَبُوْن عَنْ نِكَاحِهِنّ". =

وَمَنْ حفِظَ هٰذِهِ النُّكْتَةَ فَإِنَّهُ يَسْتَطِيْعُ أَنْ يَّحْكُمَ حُكْمًا فَصْلًا فِيْ كَثِيْرٍ مِنْ مَوَاضِعِ الاخْتِلافِ بَيْنَ المُفَسِّرِيْن، وَيُمْكِنُ أَنْ يَّعْلَمَ فِيْ كَثِيْرٍ مِنْ مُنَاظَرَات الصَّحَابَةِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-: أَنَّهَا لَيْسَتْ آرَائَهُمُ القَطْعِيَّةَ؛ بَلْ هِيَ بُحُوْثٌ عِلْمِيَّةٌ يَتَدَاوَلُهَا المُجْتَهِدُوْنَ فِيْمَا بَيْنَهُمْ.

وَعَلىٰ هٰذَا المَحْمِلِ يَحْمِلُ العَبْدُ الضَّعِيْفُ قَوْلَ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- فِيْ تَفْسِيْرِ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة٦]،

= ٦- نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة٢٨٢]؛ فَتصْرِيْف "يُضَار" يَحْتَمِلُ: أَنْ يَكُوْن مِن: "يُضَارَرُ" أَيْ: الضَّرر الوَاقِع عَلى الكَاتب وَالشَّهيْد، وَهٰذَا قَوْل ابْن عَبَّاس وَمُجَاهِد وَعَطاء وَعِكرِمَة وَالضَّحَّاك وَالسدِيّ؛ وَيَحْتمل: أَنْ يَّكوْن مِن: "يُضَارِرُ"، أَيْ: الضَّرر الوَاقِع مِن الكَاتِب وَالشَّهيْد، وَهٰذَا قَوْل طَاوُوْس وَالحَسَن وَقَتَادَة.

٧- نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر]؛ فَمنَ المُفسِّرِيْن مَنْ فَسَّر الثِّيَاب بِالمَعرُوْف وَالمُتبَادِر، وَروِيَ هٰذَا عَن ابْن عَبَّاس وَطَاوُوْس وَابْن سِيرِيْن وَابْن زَيْد؛ وَمِنهُم: مَنْ فَسَّرُوا الثِّيَاب بِالنَّفس، وَهٰذَا المَعْنى بَعِيْد غَيْر مُتبَادر، وَهُوَ مَروِيّ عَنْ مُجَاهِد وَقَتَادَة.

٨- نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلِ ٱلْعَفْوَۗ﴾ [البقرة٢١٩]؛ قِيْل هِيَ مَنسُوْخة بِآية الزَّكوٰة، وَهٰذَا مَروِيّ عَن السُّدى، لأنّه يرى أَنَّه كَانَ فَرْضا قَبْل الزَّكاة، ثُمَّ نسخَ بِالزَّكَاة؛ وَقيْل: هِي مُحكَمة، وَهِي فِي الصَّدقَة المَندُوْب إِليْها، وَهٰذَا مَروِيّ عَن ابْن عَبَّاس وَمُقَاتِل بْن حَيَّان.

٩- نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّۚ﴾ [البقرة٢٢١]؛ قِيْل: حُكم هٰذِه الآيَة كَان عَامّا، ثُمّ خَصَّصهَا قَولُه تَعالىٰ: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة٥]، وَهٰذَا مَرْوِيّ عَن عُثْمَان وَحُذَيْفة وَجابِر وابْن عَبّاس، وَقتَادَة وَابْن جُبيْر؛ وَقيْل إِنَّها لَيْست مُخَصّصَة، وَالمُرَاد مِن "المُشرِكَات" هُنّ عَابدَات الأَوْثَان مِن العَرَب وَغيْرِهمْ مِمَّن لَيسوْا مِن أَهْل الكِتَاب، وَهٰذَا مَروِيّ عَن قَتادَة وَسَعيْد بْن جُبيْر.

١٠- نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ۝١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ۝٢﴾ [النازعات]؛ قِيْل فِي هٰذِه الأَوْصَاف: هِي لِلملٰئِكة، وَقيْل: لِلأَنْجم، وَقيْل: لِلمَوْت.

١١- نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾ [التكوير]؛ فَفِي قَوْله تَعَالىٰ: ﴿بِضَنِينٍ﴾ قِراءَتان: الأُوْلىٰ بِالضَّاد، فَيكوْن المَعْنى: وَمَا هُوَ بِبَخيْل، وَالثَّانِيَة بِالظَّاء، فَيكُوْن المَعْنى: وَمَا هُوَ بِمُتَّهم. (رَوح القدير)

"لاأَجِدُ فِيْ كِتَابِ اللهِ إِلاَّ المَسْحَ، لٰكِنَّهُمْ أَبَوْا إِلاَّ الغَسْلَ"[١]؛ فَالَّذِيْ يَفْهَمُهُ الفَقِيْرُ: أَنَّه لَيْسَ هٰذَا بِذَهَابٍ مِنْهُ إِلىٰ وُجُوْبِ المَسْحِ، وَلَيْسَ فِيْهِ جَزْمٌ بِحَمْلِ الآيَةِ عَلىٰ رُكْنِيَّةِ المَسْحِ؛ بَلِ الَّذِيْ ثَبَتَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا- هُوَ الغَسْلُ، وَلٰكِنَّه يُقَرِّرُ هُنَا إِشْكَالًا، ويُبْدِي احْتِمَالًا، لِيَرَى كَيْفَ يُطَبِّقُ عُلَمَاءُ عَصْرِهِ فِيْ هٰذَا التَّعَارُضِ! وَأَيَّ مَسْلَكٍ يَسْلُكُوْنَه! فَزَعَمَ الَّذِيْ لَمْ يَطَّلِعْ عَلىٰ حَقِيْقَةِ مُحَاوَرَاتِ السَّلَفِ: هٰذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاس -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وَعَدَّه مَذْهَبًا لَهُ. حَاشَاهُ! ثُمَّ حَاشَاهُ!

- **الاجْتِنَابُ عَنِ الإِسْرَائِيْلِيَّاتِ[٢]:**

النُّكْتَةُ الثَّانِيَة: هِيَ أَنَّ النَّقْلَ عَنْ بَنِيْ اسْرَائِيْل دَسِيْسَةٌ دَخَلَتْ فِيْ دِيْنِنَا[٣]

---

(١) قَوْله: (لاأَجِدُ فِيْ كِتَابِ اللهِ إلخ): وَمعْناه: أَنّ ظَاهِر الكِتَاب يُوْجِب المَسْح عَلىٰ قِراءَة الجَرّ وَلٰكِن الرَّسوْل ﷺ وَأَصْحابَه لَمْ يفْعَلوْا إِلَّا الغسْل؛ فَفِي كَلَامه هٰذَا إِشَارَة إِلىٰ أَنَّ قِراءَة الجَرّ مُؤَوّلة مَتْرُوْكة الظَّاهر بِعمَل رَسُوْل الله ﷺ وَالصَّحابَة رضي الله عنهم (روح المعاني، المعرّب)

وَاعْلَمْ! أَنَّ الإِسْرائِيْلِيَّات هِيَ مِن مَآخِذ التَّفْسِير الثَّلاثَةِ الغَيرِ المُعتَبَرة، وَقدْ اعتَمَد الإِمَامُ عَلىٰ هٰذَا البَيان حِينَ تَكَلَّم عَلىٰ تِلكَ المَآخِذ.

(٢) قَوْله: (الإِسْرائِيْلِيَّات): ١- أَمّا الاسْرَائِيْلِيّات: فَمَا عُلِمَتْ صحّتُه بِأَنْ يُوافِق شرْعَنا، فَلَا كَلَام فِي جَوَازِ الْأَخذِ بِه، وَالتَّحدِيثِ بِه لِلاسْتِشْهَاد، إِلَّا أَنَّه لَا حَاجَة لَنَا إِلَيْه؛ وَمَا يُصَادِم شَرْعَنا، فَلا يَجُوْز الْأَخذ بِه، وَلَا التَّحدِيْثُ بِه، وَلَا حِكَايَته؛ وَمَا لَا يُخالِف شَرْعَنا وَلا يُوَافِقُه، فَلا نُصَدِّق بِه وَلَا نُكَذِّبه، وَتَجُوْز حِكَايَته.

وَالأَسْلَم: أَنْ لايُدخَل فِي التَّفسِيْر مِنها مَا لاطَائِل تَحْتهَا؛ وَمَا فِيْهَا فَائدَة تُنَاسِب التَّعْرِيْض، فَلابُدّ أَنْ يُقتَصر عَلَى الْمَقَام، وَلايَعْدُو مَا عَدَاء؛ لأَن الضَّرُوْرِيَّ يَتَقَدّر بقَدْر الضَّرُوْرَة.

القَائِدَة: أَمّا رُجُوْع الصَّحَابة إِلىٰ مَرْوِيَّات أَهْل الكِتَاب، وَرِوَايَتهَا فِي التَّفسِيْر، فَلايَلْزَم مِنْ ذِكْرِهِم لِهٰذِه المَرْوِيَات قبوْلهم لَهَا.(رَوح القدير)

المَلحُوْظة: أَمّا الأَقْسَام وَالأَحْكَام الَّتِيْ تَتَعَلَّق بِـ"أَنْوَاع شَرائِع مَنْ قَبْلَنا" فَهُوَ مَرْقُوْم عَلى صَفْحَة: ١٥٦.

(٣) قَوْله: (دَسِيْسَةٌ دَخَلَتْ فِيْ دِيْنِنَا): الدسِيْسَة: مَا أُكْمِنَ مِن المَكْر وَالعَدَاوَة (خفيه سازش وعداوت) (المعرّب)

بَعْدَ مَا كَانَتْ قَاعِدَةُ: "لاتُصَدِّقُوْا أَهْلَ الكِتَاب، وَلاتُكَذِّبُوْهُمْ"[١] مُقَرَّرَةً؛ فَلَزِمَ لأَجْلِ ذٰلِكَ أَمْرَانِ:

الأَوَّل: أَنْ لا يُرْتَكَبَ النَّقْلُ عَنْ أَهْلِ الكِتَاب إِذَا وُجِدَ فِيْ سُنَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ بَيَانٌ لِتَعْرِيْضِ القُرْآنِ، مَثَلًا حِيْنَمَا وُجِدَ لِقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤﴾ [ص] مَحْمِلٌ فِي السُّنّةِ النّبوِيّةِ -وَهُوَ قِصَّةُ تَرْكِ "إِنْ شَاءَ اللهُ[٢]"، وَالمُؤَاخَذَةِ عَلَيْهِ- فَأَيُّ حَاجَةٍ إِلىٰ ذِكْرِ قِصَّة صَخْرٍ المَارِدِ[٣]!

وَالثَّانِي: أَنْ يُتَكَلَّم بِقَدْرِ اقْتِضَاءِ التَّعْرِيْضِ نَظَرًا إِلىٰ قَاعِدَة: "الضَّرُوْرِيُّ يَتَقَدَّر بِقَدْرِ الضَّرُوْرَةِ"[٤]، لِيُمْكِنَ تَصْدِيْقُهُ بِشَهَادَة القُرْآنِ، وَليَكُفَّ لِسَانَهُ عَنِ الزِّيَادَةِ عَلَيْه[٥].

---

(١) قَوْله: (لاتُصَدِّقُوْا أَهْل الكِتَاب وَلاتُكَذِّبُوْهُمْ): رَوَاه البُخارِي كَما فِي المِشْكٰوة، رقم الحديث: ١٥٥، كِتَاب الإِيْمان بَاب الاعْتِصَام إلخ، وَفيْه النَّهْي عَنْ تَصْدِيْق أَهْل الكِتَاب فِيْمَا لا يعْرفُ صِدْقه مِنْ قبَل الكِتَاب وَالسُّنّة؛ وَفِي النَّقْل عَنهُم، مِنْ غَيْر رَدّ عَليْهم؛ تَصدِيْق لَهُم فَلايَجُوْز، وَلٰكِن النَّاس تَساهَلوْا فِي هٰذَا البَاب. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (قِصَّةُ تَرْكِ إِنْ شَاءَ الله): قَالَ رَسُوْل الله ﷺ: قَالَ سُلَيْمَان بْن دَاوُد عَلَيْهِمَا السَّلَام: "لأَطُوْفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلىٰ مِائَة امْرَأَة أَوْ تِسْع وَتِسْعِيْن، كلُّهُن يَأْتِي بِفَارِس يُجَاهِد فِيْ سَبِيْل الله"؛ فَقَالَ لَه صَاحِبه: "إِنْ شَاء الله"، فَلَم يَقُل: "إِنْ شَاء الله"، فَلَمْ يَحْمِل مِنهُنّ إِلّا امْرَأَة وَاحِدَةٌ جَاءَت بِشِقّ رَجُل. وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّد بِيَده، لَوْ قَالَ: "إِنْ شَاءَ الله" لَجَاهَدُوْا فِيْ سَبيْل الله فُرْسَانا أَجْمَعُوْن". (البخاري: ٢٨١٩)

(٣) قَوْله: (ذِكْرِ قِصَّةِ صَخْرٍ المَارِدِ): وَفيْه إِشارَة إِلىٰ قَاعدَة: "إِذَا عُرِفَ التَّفْسِيْرُ مِنْ جِهَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلاَ حَاجَةَ إِلىٰ قَوْلِ مَنْ بَعْدَهُ".

كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْن عَبَّاس قَوْله: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ۝٣٤﴾ [ص]، قَالَ: الجَسَد: الشَّيْطان الَّذِي كَانَ دَفَع إِلَيْه سُلَيْمَان خَاتَمَه، فَقَذَفَه فِي البَحْر، وَكَانَ مُلْك سُلَيْمَان فِيْ خَاتَمه، وَكَانَ اسْم الجِنِّيّ "صَخْرًا"؛ وَرُوِي أَيْضًا: عَنِ ابْن عَبَّاس قَالَ: هُوَ صَخْر الجِنِّيّ تَمثَّل عَلىٰ كُرْسيِّه جَسَدا. (جامع البيان)

(٤) قَوْله: (الضَّرُوْرِيُّ يَتَقَدَّر بِقَدْرِ الضَّرُوْرَةِ): القَاعدَة الحَادِيَة وَالعِشْرُوْن فِي شَرْح القَواعِد الفِقهِيّة للشّيْخ الزرْقاء (ص: ١٣٣). (المعرِّب)

(٥) قَوْله: (لِيُمْكِن): أَيْ: حَتّىٰ يُمْكنَ تَصدِيْقُه بِشَهادَة القُرْآن لَه، وَالكَفُّ عَنِ الزِّيَادَة عَلَيْه.

• بَيَانُ المُجْمَل وَتَخْصِيْص العَامِّ(١)

وَهٰهُنَا نُكْتَةٌ لَطِيْفَةٌ إِلَى الغَايَة، لابُدَّ مِنْ مَعْرِفتها، وَهِيَ: أَنَّهَا قَدْ تُذْكَرُ فِي

---

(١) قَوْله: (بَيَانُ المُجْمَلِ): هذا مِنْ قَبيلِ تفسيْرِ القُرْآنِ بِالقُرْآن، أما أنواعُ تفسيْرِ القُرْآن بِالقُرْآن فهي:

١- بَيَان المُجْمَل، المُجْمل مَا احْتَاج إِلَى بَيَان، وَمِثال المُجْمل قَوْله تَعَالَى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ "إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ"﴾ [المائدة١]، مُجْمَلٌ فِي هٰذَا السِّيَاق، لَم يُبيِّن، وَبيَّنَه الله سُبحَانه بِقَوْله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة٣] (فصول:٢٤)

٢- وَتَقْيِيْد المُطْلَق، وَمنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ [آل عمران٩٠]، قَالَ بَعْض العُلمَاء: يَعني: إِذا أَخَّرُوا التَّوبَة إِلَى حُضوْر المَوْت، فَتابُوا حِيْنَئِذ؛ وَهٰذَا التَّفسيْر يشْهَد لَه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ [النساء١٨]؛ فَالإِطْلاق الَّذِيْ فِي الآيَة الأوْلى ذَكَر مُقيِّدَه فِي الآيَة الثَّانيَة.

٣- وَتَخصِيْص العَامّ، وَمنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ﴾ [البقرة٢٢٨]، فَهٰذَا حُكْم عَام فِي جَمِيْع المُطلَّقات، ثُمّ أَتَى مَا يُخصِّص مِن هٰذَا العَام الحَوامِلَ، وَهُوَ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق:٤] فَخصّ مِن عُموْم المُطلَّقات أُوْلاتِ الأَحْمَال.

٤- وَتَفسيْر المَفهُوْم مِن آيَة بِآيَة أُخرى، وَمنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين١٥] فَقدْ وَرَد عَن السَّلف فِي تَفسيْر هٰذِه الآيَة أَنّها تَدلّ عَلى رُؤيَة الله سُبحَانَه، وَمِنْ ذٰلِك قَوْل الشَّافعِي: "فِيْها دَلالَة عَلى أَنّ أَوْليَاء الله يَروْن رَبّهمْ يَوْم القِيامَة"، وَهٰذَا المَفهُوْم مِن الآيَة يَدلّ عَليْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة] وَغيْرها مِن أَدِلّة الرُّؤيَة.

٥- وَتَفسِيْر لَفظَة بِلَفْظه، وَذٰلكَ بِأَنْ يَرِد فِي سِياقٍ لَفظٌ غَرِيْب، ثمَّ يذْكرُ فِي مَوْضع آخَر لَفْظ أَشْهر مِن ذٰلِك اللَّفظ؛ وَمنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝٨٢﴾ [هود]، وَفِي مَوضِع آخَر قَال: ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ۝٣٣﴾ [الذاريات]، وَالآيَتان وَردَتا فِي شَأْن قَوْم لُوْط.

٦- وَتَفسِيْر مَعْنى بِمَعْنى، وَمِنْ تَفسيْر مَعْنى بِمعْنى قَوْله تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا۝٤٢﴾ [النساء]، بقَوْله تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ۝٤٠﴾ [النبأ].

٧- وَتَفسِيْر أَسْلوْب قُرآنِي فِيْ آيَة بِآيَة أُخرى، وَمنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ [البقرة٥٨] أَيْ: دُخوْلُنا ذٰلك حِطّة؛ فهُوَ مِثْل قَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ =

القُرْآنِ العَظِيْمِ قِصَّةٌ(١) فِيْ مَوْضِعٍ بِالإجْمَال، وَفِيْ مَوْضِعٍ آخَرَ بِالتَّفْصِيْل، كَمَا قَالَ تَعَالىٰ: ﴿إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ [البقرة]، ثُمَّ قَالَ بَعْد ذٰلِك: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ: إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ، وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ۝٣٣﴾ [البقرة]؛ فَهٰذَا القَوْلُ الثَّانِيْ هُوَ القَوْلُ الأَوَّل بِنَوْعٍ مِنَ التَّفْصِيْل، فَيُمْكِن أَنْ يُعْلَم بِهِ تَفْسِيْرُ ذٰلِكَ الإِجْمَال، وَيُرْكَضَ مِنَ الإِجْمَال إِلَى التَّفْصِيْلِ(٢).

وَمَثَلا: ذَكَرَ فِيْ سُوْرَةِ مَرْيَمَ قِصَّةَ سَيِّدنَا عِيْسىٰ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- إِجْمَالًا، فَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝٢١﴾ [مريم]، وَذُكِرَتْ فِيْ سُوْرَة آلِ عِمْرَانَ تَفْصِيْلا، فَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران۝٤٩] الآيَةَ؛ فَفِيْ هٰذِهِ المَقُوْلَةِ بِشَارَةٌ تَفْصِيْلِيَّة، وَتِلْكَ المَقُوْلَةُ بِشَارَة إِجْمَالِيَّةٌ(٣)؛ فَمِنْ ثَمَّ اسْتَنْبَط العَبْد الضَّعِيْف أَنَّ مَعْنَى الآيَةِ: "وَرَسُوْلا إِلىٰ بَنِيْ اسْرَائِيْلَ مُخْبِرا بِـ:أَنِّيْ قَدْ جِئْتُكُمْ"، وَهٰذَا كُلّهُ دَاخِلٌ فِيْ حَيِّزِ البِشَارَة، لَيْسَ بِمُتَعَلِّقٍ بِمَحْذُوْفٍ كَمَا أَشَارَ إِلَيْه السُّيُوْطِي(٤)، حَيْثُ قَالَ: "فَلَمَّا

= أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ "مَعْذِرَةً" إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝١٦٤﴾ [الأعراف] أَيْ: مَوعِظتُنا إِيّاهمْ مَعذِرةٌ إِلىٰ رَبكُم؛ فَالأسلُوْب فِي الآيَتيْن مُتشَابه فِي قَوْله: ﴿حِطَّةٌ﴾ و﴿مَعْذِرَةً﴾. (فصول: ٢٥)

(١) قَوْله: (قِصَّة): يَعْنِي مَضمُوْنًا، لا قِصَةً مَعرُوْفةً فَقط. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (مِنَ الإجْمَال إِلَى التَّفصِيْل): أَيْ: وَينْتَقل مِن الإجْمَال إِلى التَّفصِيْل.

(٣) قَوْله: (بَشارَة إِجمَاليَّة) لِقَوْله تَعَالىٰ: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ﴾ [مريم۝٢١].

(٤) قَوْله: (كَمَا أَشَار إِليْه السّيُوطِي) اعْلَم! أَنَّ المُصنِّف لَمْ يُنْكِر كَوْن المَحذُوْف فِيْ هٰذِه الآيَة، كَمَا عُلِم مِنْ تَقْدِيْره "مُخبِرا بِأَنِّي"؛ حَيْث جَعَلَه تَفصِيْلا لما أُجْمل فِيْ سُورَة مَرْيَم؛ وَلٰكِنّه أَشار إِلَىٰ أَنَّ التَّقلِيْل فِي التَّقدِيْر أَوْلىٰ مِنَ التَّكثِيْر، كَمَا فِي تَقدِيْر السّيُوطِي رَحمَه الله؛ قَالَ: "فَلَمّا بَعثَه الله تَعَالىٰ .... بِأَنِّي قَدْ جِئتُكُم". (جلالين) =

بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ بَنِيْ اسْرَائِيْل، قَالَ لَهُمْ: إِنِّيْ رَسُوْل الله إِلَيْكُمْ، بِـ:أَنِّيْ قَدْ جِئْتُكُمْ". وَاللهُ أَعْلَم!

الأَمْرِ الثَّانِي: فِي مُلَاحَظَاتِ شَرْحِ الغَرِيْب

- **بَحْثُ اِخْتِلافِ السَّلَفِ فِيْ شَرْحِ الغَرِيْبِ**[1]:

وَمِنْ جُمْلَة ذٰلِكَ[2]: شَرْحُ الغَرِيْب؛ وَمَبْنَاهُ: عَلىٰ تَتَبُّع لُغَةِ العَرَبِ[3]، أَوِ التَّفَطُّن[4] بِسِيَاقِ الآيَةِ وَسِبَاقِهَا[5]، وَمَعْرِفَةِ مُنَاسَبَةِ اللَّفْظِ بِأَجْزَاءِ الجُمْلَةِ الَّتِيْ

= والأَصْلُ فيْه أنَّه: "يُقَلَّلُ الْمُقَدَّرُ مَهْمَا أَمْكَنَ لِتَقِلَّ مُخَالَفَةُ الْأَصْلِ"، كقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ﴾ [الطلاق٤]، فقالَ بعضُهم: "واللائيْ لمْ يَحِضْن كذٰلك"، وقَال بعضُهم: واللائيْ لم يحِضْن فعِدّتُهن ثلاثةُ أشهُر؛ والتقديرُ الأوّل أولىٰ لدلالتِه عَلى المعْنى مَعَ الاختِصَار. (قواعد: ٣٧٦ ملخصا)

(١) قَوْله: (فِي شَرحِ الغَرِيبِ): وهٰذَا مِن بَابِ تَفسِيرِ القُرْآنِ باللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ وأَمَّا تَفسِيْر القُرْآن باللُّغَة العَربِيَّة: فَهُوَ جَائِز كَمَا قَال عُمَر: أَيُّها النَّاس تَمَسّكُوْا بِدِيْوَان شِعْرِكُم فِي جَاهِلِيَّتِكُمْ، فَإِن فِيْه تَفسِيْر كِتَابِكُمْ.

فَإِنِ اخْتَلَف المَعْنى الشَّرْعِي وَاللُّغوِيُّ أخِذ بِمَا يَقتَضِيْه الشَّرْعِي؛ إِلَّا أَنْ يَّكُوْن هُنَاكَ دَلِيْلٌ يَترَجَّح بِهِ الْمَعْنىٰ اللُّغوِيّ، فَيؤخَذُ بِهِ.

فَإِنْ كَانَ اللَّفْظ يحتَملُ المَعَاني الْكَثِيْرَة -كَمَا فِي الأَلْفَاظ المُشْتَرَكَة- مِنْ غَيْر تَعَارُض وَتَنَاقُض فِي السِّيَاق فَتُحْمَل الآيَة عَليْهَا، وَإِنْ كَانَ اللَّفْظ يَحْتَمِل الْمَعَانِي الْمُتَعَارِضَة بِحَيْث لَايَحْتَمِل إِلَّا أَحَدَ الْمَعَانِيْ مِنْ مَعَانيْه فيُحْمَل عَلَى الأَرْجَح بِدَلالَة السِّيَاق. (رَوح القدير)

(٢) قَوْله: (وَمِنْ جُمْلَة ذٰلِكَ): أَيْ: مِنَ الآثَار المَروِيَّة فِي كُتُب التَّفسِيْر؛ أَو: مِن قَبِيْل الاخْتِلَاف الوَاقِع فِي تَفاسِيْر الصَّحابَة وَالتَّابعِيْن. (معرّب بزيادة)

(٣) قَوْله: (عَلىٰ تَتَبُّع لُغَةِ العَرَب): وَقدْ ذَكَرْنا بَحْث الاسْتِشْهَاد بِالشِّعْر الجَاهِلِيّ فِي الفَصْل الأَوّل مِن البَاب الثَّانِي تَحْت "مَبحَثُ طَرِيقِ السَّلَفِ فِي شَرحِ الغَرِيبِ" عَلىٰ ص:١١٩

(٤) قَوْله: (وَالتَّفَطُّنِ): تَفطَّن بِه، أَيْ: تَنبَّه لَه. (المعرَّب)

(٥) قَوْله: (بِسِيَاقِ الآيَةِ وَسِبَاقِهَا): السِّيَاق -بِاليَاء التَّحتَانيّة- هُوَ القَرِيْنة اللَّاحِقَة، وَالسِّبَاق -بِالبَاء المُوحَّدة- هُوَ القَرِيْنة السَّابِقَة. (المعرَّب)

وَقَعَ هُوَ فِيهَا؛ فَههُنَا أَيضًا لِلعَقْلِ مَدْخَلٌ، وَللاختِلافِ مَجَالٌ[١]؛ لأَنَّ الكَلِمَةَ الوَاحِدَةَ تَأْتِيْ فِيْ لُغَةِ العَرَب لِمَعَانٍ شَتَّى[٢]، وَتَخْتَلِف العُقُوْل فِيْ تَتَبُّع اِسْتِعْمَالاتِ

(١) قَوْله: (وَللاختِلافِ مَجَالٌ): اعْلَمْ أَنَّ للسَّلَف فِي تَفسِيْرِهِمْ طُرُقا وَتَعَابِيْر يَستَعْمِلُوْنَها عِنْد تَفسِيْر القُرْآن؛ فَهِيَ:

١- تَفسِيْر اللَّفْظ بِالْمَعْنى المُطَابَقِي؛ ٢- تَفسِيْر اللَّفْظ بِالمَعْنى اللّازِم، عَقْلا كَانَ ذٰلِكَ اللُّزُوْم أَوْ عُرْفًا؛ ٣-تَفسِيْر اللَّفْظ بِالمَعْنى التَّضَمُّنِيّ -أَيْ: بِجُزْء مَعْنَاه-؛ ٤- تَفسِيْر اللَّفْظ بِالمِثَال؛ ٥- تَفسِيْراللَّفْظ بِالاعْتِبَار وَالْقِيَاس؛ ٦- تَفسِيْر اللَّفْظ بِالإِشَارَة.(رَوح القدير)

المَلحُوْظة: أَمَّا أَمْثِلَة كُلّ مِنْها فَمذْكُوْرة فِي الفَصْل الأَوّل مِن البَاب الثَّانِي فِي "مَبْحَث طَرِيْق السَّلَف فِيْ شَرْح غَرِيْب القُرْآن".

(٢) قَوْله: (لِمَعَانٍ شَتَّى): مَبْحَثُ اِختِلافِ السَّلَفِ وَأَنْوَاعُهُ:اعلمْ! أَنَّ الاختِلَاف الوَاقِعَ فِي التَّفسِيْر عَلىٰ قِسمَيْن: اختِلَاف التَّضَاد، وَاختِلاف التَّنَوُّع.

اختِلَاف التَّضَادّ: هُمَا القَوْلان المُتَنافِيَان بِحَيْث لايُمْكِن القَوْل بِهِمَا مَعًا، مِثْل تَفسِيْر قَوْله تَعَالىٰ: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال٦]، قِيْل: المُجَادِل: هُم المُسْلِمُوْن، قِيْل: هُمُ الكُفَّار.

اختِلاف التَّنَوُّع: هُوَ أَنْ تَحْمَل الآيَةُ عَلىٰ جَمِيْع مَا قِيْل فِيْها، إِذَا كَانَتْ تِلْك المَعَانِي صَحِيْحَةً غَيْرَ مُتَعَارِضَة، مِثْل تَفْسِير قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ٱهۡدِنَا "ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ"٦﴾ [الفاتحة]؛ وَقَدْ وَقَعَ هٰذَانِ القِسْمَان فِي تَفسِيْر السَّلَف، إِلَّا أَنَّ الثَّانِيْ قَلِيْل. (رَوح القدير)

وَأَنْوَاع اختِلَاف التَّنَوّع أَرْبعَة:

١- أَنْ يُعبِّر كُل وَاحِد مِن المُفسِّرِيْن عَن المَعْنىٰ بِأَلْفَاظ مُتقَارِبة، مِثْل قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ٣٨﴾ [قٓ]؛ قَالَ ابن عَبَّاس وَمُجَاهِد: نَصَبٌ، وَقَالَ ابن زَيْد: عَنَاءٌ، وقَالَ سُفيَان: سَآمَةٌ.

٢- أَنْ يذْكر كُلُّ مُفسّر مِن الاسْم العَام بَعضَ أَنْوَاعه عَلىٰ سَبِيْل المِثَال، وَمِثَاله قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾ [التكاثر]، قِيْل فِي النَّعِيْم أَقْوَال، مِنْها: الأَمَن، وَالصِّحَّة، وَالأَكْل، وَالشُّرْب.

٣- أَنْ يَكُوْن اللَّفْظ مُحتَمِلا لأَمْرَيْن، إِمَّا لأَنَّه مُشْتَرَك فِي اللُّغَة، أَوْ لأَنَّه مُتَوَاطِئ؛ وَمِنْ أَمْثِلَة المُشْتَرَك لَفْظ ﴿قَسۡوَرَةٖ﴾ فِي قَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَرَّتۡ مِن قَسۡوَرَةٖ ٥١﴾ [المدثر]؛ قِيْل هُوَ الرَّامِي، وَقِيْل الأَسَد، وَقِيْل النبل. =

العَرَب، وَالتَّفَطُّنِ بِمُنَاسَبَةِ السَّابِقِ وَاللاَّحِقِ؛ وَلِهٰذَا اخْتَلَفَتْ أَقْوَالُ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْن -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- فِيْ هٰذَا البَاب، وَسَلَكَ كُلٌّ مِنْهُمْ مَسْلَكًا[1].

فَلابُدّ لِلمُفَسِّر المُنْصِف: أَنْ يَزِنَ شَرْحَ الغَرِيْبِ مَرَّتَيْن: مَرَّةً فِيْ اسْتِعْمَالاتِ العَرَبِ، حَتّٰى يَعْرِفَ: أَيُّ وَجْهٍ مِنْ وُجُوْهِهَا أَقْوَى وَأَرْجَحُ؛ وَمَرَّةً أُخْرٰى فِيْ مُنَاسَبَةِ السَّابِقِ وَاللاَّحِقِ، حَتّٰى يَعْلَمَ: أَيُّ الوَجْهَيْنِ أَوْلٰى وَأَقْعَدُ[2] بَعْد إِحْكَامِ المُقَدَّمَات، وَتَتَبُّعِ مَوَارِدِ الاسْتِعْمَال، وَتَفَحُّصِ الآثَار.

- **اسْتِنْبَاطَاتُ الإِمَامِ فِيْ شَرْحِ الغَرِيْب:**

وَقَدْ اسْتَنْبَطَ الفَقِيْرُ فِيْ هٰذَا البَابِ اسْتِنْبَاطَاتٍ طَازِجَةً[3] لا تَخْفٰى لَطَافَتُهَا، إِلاَّ عَلَى المُتَعَسِّفِ[4] غَلِيْظِ الطَّبْع، مَثَلًا:

قَوْلُه تَعَالٰى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾[5] [البقرة١٧٨]، حَمَلْتُهُ عَلٰى مَعْنٰى: "تَكَافُؤُ القَتْلٰى، وَمُشَارَكَةُ بَعْضِهِمْ مَعَ بَعْضٍ فِيْ حُكْمٍ وَاحِد"، لِئَلاَّ يُحْتَاجَ

= ٤- أَنْ يُعبِّر كُلّ وَاحِد مِن المُفسِّرين عَن المَعْنى المُرَاد بِعبارَة غَيْر عِبارَة صَاحِبه، تَدلُّ عَلٰى مَعْنىً فِي المُسمّى غَير المعْنى الآخَر مَع اتِّحاد المسمّى، وَمِثَاله قَوْله تَعَالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة]؛ فَقَالَ بَعضهُمْ: القُرْآن -أَيْ: اِتبَاعه-، وَقَالَ بَعْضهُم: هُوَ الإِسْلَام؛ فَقَالَ العَلاّمَة ابْن تَيمِيَّة: فَهٰذَان القَولَان مُتفقَان؛ لأنّ دِيْن الإِسْلَام هُوَ اتِّبَاع القُرْآن، وَلٰكِن كُلّ مِنهُمَا نَبّه عَلٰى وَصْف غَيْر وَصْف آخَر. (فصول: ٥٩ بتقديم وتأخير)

(١) قَوْله: (وَسَلَكَ كُلٌّ مِنهُمْ مَسْلَكًا): وَلايَبْعُد أَنْ تَخْفىٰ عَلى الأَكَابِرِ الأَجِلَّة، كَمَا خَفِيَ عنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا مَعْنىٰ فَاطِر وَفَاتِح؛ وَلِذا قالَ الشَّافِعِيُّ فِيْ الرِّسَالَة: "لايُحِيْط باللُّغَةِ إلا نَبِيٌّ". (رَوح القدير)

المَلْحوْظَة: وَقَع فِي النُّسخَة الفَارسِيّة مَانَصّه: وعُقول دَرْ تتبُّع استِعمَالاتِ عَربْ وتفطُّنِ مُناسَبت بَسابِق ولاحِق مختلف باشَنْد؛ فقَوْله: "التّفطُّن" بِالوَاو، وَلذَا غيّرت كَلمَة "أَوْ" فيْ قَوْله: (أَوِ التَّفطُّن) بِكَلِمَة الوَاوِ فِي التَّرجَمة.

(٢) قَوْله: (وَأَقْعَدُ): الأَقعَدُ وَالقَعِيْد: الأَقْرَب. (المعرّب)

(٣) قَوْله: (طَازِجَة): الطَازِج: الجَدِيْدُ وَالحَدِيْثُ؛ مُعَرَّبٌ: تازه. (المعرّب)

(٤) قَوْله: (المُتَعَسِّف): المُتعَسِّف ضِدّ المُنصِف، مِن: تَعسَّف فُلَانا: ظَلَمه. (المعرّب)

(٥) قَوْله: (كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ إلخ): سورة البقرة: ١٧٨. (المعرّب)

فِيْ تَفْسِيْرِ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ﴾ [البقرة١٧٨] إلىٰ مَؤُوْنَة النَّسْخِ(١)، وَلا يُضْطَرُّ إلىٰ تَوْجِيْهَاتٍ تَضْمَحِلُّ بِأَدْنَىٰ الْتِفَات.

وَكَذٰلِكَ حَمَلْتُ قَوْلَه تَعَالىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ﴾ عَلىٰ مَعْنىٰ: "يَسْئَلُوْنَكَ عَنِ الأَشْهُرِ"، أي: أَشْهُرِ الحَجّ؛ فَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة١٨٩].

وَهٰكَذَا قَوْلُه تَعَالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر٢]، أي: لأَوَّلِ جَمْعِ الجُنُوْد، لِقَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦﴾ [الشعراء]، وَقَوْلِه تَعَالىٰ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ﴾ [النمل١٧]؛ وَهٰذَا أَوْفَقُ بِقِصَّةِ بَنِي النَّضِيْر، وَأَقْوىٰ فِيْ بَيَانِ المِنَّة.

[الأَمْر الثَّالِث: فِي مُلَاحَظَاتِ بَيَانِ النَّسْخِ]

وَمِنْ جُمْلَة ذٰلِكَ(٢): بَيَانُ النَّاسِخِ وَالمَنْسُوْخ؛ وَيَنْبَغِيْ أَنْ تُعْرَفَ هُنَا نُكْتَتَان:

الأُوْلىٰ: أَنَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِيْنَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- كَانُوْا يَسْتَعْمِلُوْن "النَّسْخ" بِغَيْرِ المَعْنَى الاصْطِلاحِي المَعْرُوْفِ بَيْنَ الأُصُوْلِيِّيْن؛ وَمَعْنَاهُمْ قَرِيْبٌ مِنَ المَعْنَى اللُّغَوِيِّ الَّذِيْ هُوَ "الإِزَالَة".

فَمَعْنَى النَّسْخِ عِنْدَهُمْ: إِزَالَةُ بَعْضِ أَوْصَافِ الآيَةِ المُتَقَدِّمَةِ بِالآيَة المُتَأَخِّرَة، سَوَاءٌ كَانَ ذٰلِكَ: بِبَيَانِ انْتِهَاءِ مُدَّة العَمَلِ بِهَا، أَوْ بِصَرْفِ الكَلَامِ عَنِ المَعْنَى المُتَبَادِرِ إِلىٰ غَيْرِ المُتَبَادِر، أَوْ بِبَيَانِ كَوْنِ قَيْدٍ مِنَ القُيُوْدِ مُقْحَمًا، أَوْ بِتَخْصِيْصِ عَامٍّ، أَوْ بِبَيَانِ الفَارِقِ بَيْنَ المَنْصُوْص وَبَيْنَ مَا قِيْسَ عَلَيْهِ ظَاهِرًا، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ.

وَهٰذَا بَابٌ وَاسِعٌ، وَللعَقْلِ فِيْهِ مَجَالٌ، وَلِلاخْتِلافِ فِيْهِ مَسَاغٌ؛ وَلِهٰذَا أَبْلَغُوْا الآيَاتِ المَنْسُوْخَةَ إِلىٰ خَمْسِ مِائَةِ آيَةٍ.

(١) قَوْله: (إِلىٰ مَؤُوْنَةٍ): المَؤُوْنة: سختی، بوجھ، مشقت۔ (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (وَمِنْ جُمْلَة ذٰلِكَ): أَيْ مِن قَبِيْل الاخْتِلاف الوَاقِعِ فِي تَفاسِيْرِ الصَّحابَة وَالتَّابعِيْن.

- **رُبَمَا يُجْعَلُ الإِجْمَاع عَلامَةً للنَّسْخ:**

وَالثَّانِيَةُ: أَنَّ الأَصْلَ فِيْ بَيَانِ النَّسْخِ -بِالمَعْنَى الاصْطِلاحِيِّ- هُوَ مَعْرِفَةُ تَارِيْخِ النُّزُوْلِ؛ وَلٰكِنَّهُمْ رُبَمَا يَجْعَلُوْن إِجْمَاع السَّلَفِ الصَّالِح(١)، أَوْ اِتِّفَاق جُمْهُوْرِ العُلَمَاء عَلىٰ شَيْءٍ عَلامَةً لِلنَّسْخ(٢)، فَيَقُوْلُوْن بِه؛ وَقَدْ فَعَلَ ذٰلِكَ كَثِيْر مِنَ الفُقَهَاء، وَيُمْكِن أَنْ يَكُوْن فِيْ مِثْل هٰذِهِ المَوَاضِع: "مَا تَصْدُقُ عَلَيْهِ الآيَةُ غَيْرَ مَا يَنْطَبِقُ عَلَيْه الإِجْمَاعُ".

وَبِالجُمْلَة: فَفِي الآثَارِ الَّتِيْ تُنْبِئُ عَنِ النَّسْخ غَمْرٌ(٣) عَظِيْم، يَصْعُبُ الوُصُوْلُ إِلىٰ غَوْره.

- **أُمُوْرٌ أُخَرُ يَذْكُرُوْنَهَا فِي التَّفَاسِيْر**

وَلِلمُحَدِّثِيْن أَشْيَاءُ أُخَرُ خَارِجَةٌ عَنْ هٰذِهِ الأَقْسَام، يُوْرِدُوْنَهَا أَيْضًا فِيْ تَفَاسِيْرِهِم، كَمُنَاظَرَةِ الصَّحَابَة(٤) -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- فِيْ مَسْئَلَةٍ، وَاسْتِشْهَادِهِم بِآيَةٍ، أَوْ تَمْثِيْلِهِمْ بِآيَةٍ مِنَ الآيَاتِ، أَوْ تِلاوَةِ النَّبِيِّ -ﷺ- آيَةً مِنَ الآيَاتِ، أَوْ رِوَايَةِ حَدِيْثٍ يُوَافِقُ الآيَةَ فِيْ أَصْلِ مَعْنَاهَا، أَوْ طَرِيْقِ التَّلَفُّظ بِالنَّقْلِ: عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ-، أَوِ الصَّحَابَة رَضِيَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ.

---

(١) قَوْله: (إِجْمَاع السَّلَفِ الصَّالِح): وَلِمَعْرِفَة إِجمَاع المفسِّرِيْن طَرِيْقَان: الأَوَّل أَنْ يَنصّ أَحَد المحَقِقِيْن عَلىٰ حِكَايَة الإِجْمَاع، كَابْن جَرِيْر الطبَرِي وَالشَّنقيْطي وَابْن عَطيَّة؛ وَالثَّاني أَنْ تَسْتقْرِئ أَقْوَال المُفسِّرِيْن وَتَسْتَنْبط الإِجْمَاع مِن أَقْوَالهم إِذَا لَم يَكُنْ بَيْنهم خِلَاف فِي الآيَة. (فصول: ٦٠- ٩٨)

(٢) قَوْله: (عَلامَةٌ لِلنَّسْخ): كَمَا قَالَ الحَافِظ ابنُ حَجَر: "أَمَّا الإِجْمَاعُ فَلَيْس بِناسِخ، بَلْ يَدلُّ عَلىٰ ذٰلك"، يَعْنِيْ: أَنَّ الإِجْمَاعَ لَيْسَ بِنَاسِخٍ؛ بَلْ هُوَ دَالٌّ عَلَى النَّسْخ.

(٣) قَوْله: (غَمْر): الغَمْر: المَاء الكَثِيْر وَمعْظَم البَحْر، وَالجَمْع: غِمَار وَغُمُوْر. (المعرَّب)

(٤/ ١) قَوْله: (كَمُنَاظَرَةِ الصَّحَابَة): وَقَدْ مَرّت أَمْثِلَة هٰذَا البَحْث فِي الفَصْل الثَّالِث مِن البَاب الثَّاني تَحْت عُنوَان: "رِوايَات المُحدِّثِيْن الَّتِي لاعَلاقَة لَهَا بِأَسْبَاب النُّزوْل".

(٤/ ٢) قَوْله: (كَمُنَاظَرَةِ الصَّحَابَة ﷺ إلخ): وَقَدْ مَرّت الأَمثِلة فِي الفَصْل الثَّالِث مِن البَاب الثَّاني تَحْت عُنوَان: "رِوايَات المُحدِّثِيْن الَّتِي لاعَلاقَة لَهَا بِأَسْبَاب النُّزوْل".

الفَصْلُ الثَّانِيْ بَقِيَّةُ لَطَائِفِ هٰذَا البَاب

[٣ مَا يَتَعَلّق بِالفُقَهَاء عِنْد اسْتِنْبَاط الأَحْكَام]

• ٦- مِنْ بَابِ تَفْسِيرِ القُرْآن بالرَّأيِ المَمْدُوحِ[1]: بَحْثُ اسْتِنْبَاطِ الأَحْكَام وَمِنْ جُمْلَة ذٰلِكَ[2]: اسْتِنْبَاطُ الأَحْكَامِ[3]؛ وَهٰذَا البَابُ وَاسِعٌ جِدًّا، وَلِلعَقْلِ

---

(١) قَوْله: (الرَّأيِ المَمْدُوْح): وَاعْلَمْ! أَنَّ التَّفسِيْر عَلىٰ ثَلاثَة أَنْوَاع: لأَنَّ التَّفسِيْر إِنْ كَانَ بِمَا جَاءَ فِي القُرْآن أَوِ السُّنَّة أَوْ مِنْ كَلَام الصَّحَابَة، فَهُو "تَفسِيْر بِالرِّوَايَة" -وَيسمّى "التفْسِيْر بِالْمَأثُوْر" أَيْضًا-، مُسْتَنِدًا إِلىٰ ما يَجِب الاسْتِنَادُ إِلَيْه قَدْ مَرَّ ذِكْرُهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالمُحَدِّثِين؛ وَإِنْ كَانَ مُسْتَنْبطا مِنَ الاجتِهَاد، فَهُو "تَفسِيْر بِالدِّرَايَة"؛ وَمَا اسْتُنْبِط مِنَ الدَّقائِق وَالأَسْرَار بِإِشَارَة خَفِيَّة، فَهُو "تَفسِيْر بِالإِشَارَة"؛ وَهوَ جَائِزٌ لِمَا رُوِي عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لِكُلّ آيَة ظَهْرٌ وبَطْنٌ. (رَوح القدير)

التَّفسِيرُ بالرَّأيِ وحُكْمُهُ

اعلَمْ! أَنَّ طُرُقَ التَّفسِيرِ بالرَّأيِ المَمدُوحِ هُوَ تَفسِيْر القُرْآن بِاللُّغَة الْعَرَبِيَّة، وَهٰذَا مِمَّا أَجْمَع عَلَيه الصَّحَابَةُ؛ وَمِنْه العَقْل السَّلِيْمُ المَوْهُوْبُ مِنَ الله؛ وَسَيَجِيْءُ تَفصِيْلُهُ.

الرَّأيُ المَمْدُوْح: اعْلَمْ! أَنَّ الرَّأي رَأيَان، الأوّل: رَأي مُسْتَند إِلىٰ دَلِيْل مِن الأَدِلَّة المُعْتَبَرة -مِن: الكِتَاب، وَالسُّنّة، وَأَقْوَال الصَّحابَة- مَأخُوذ مِن: قَوانِيْن اللُّغَة العَربِيَّة، وَأَسَالِيْب الكَلَام العَرَبِي، وَمِن أُصُوْل الدِّيْن وَالشَّرِيْعة؛ وَالثَّانِيْ: هُوَ مَا لَم يَكُنْ مُسْتَنِدا إِلىٰ دَلِيْل مِن الأدِلَّة المَذكُوْرة، بَل هُوَ مِن قَبِيْل الخرص وَالتَّخمِيْن؛ وَهُوَ المَمنُوْع وَالمَذمُوْم.

وَالرَّأي الَّذِيْ قَالَ بِه الصَّحابَة وَالتَّابِعُوْن وَمَن بَعْدَهُم، وَعَمِلُوا بِه، هُوَ الرَّأي المَحمُوْد المَبْنِيُّ عَلى عِلْم أَوْ غَلَبة ظَنّ؛ وَمِنْهُمْ صِدِّيْق الأمَّة أَبُو بَكْر الَّذِيْ قَالَ فِي الكَلالَة لَمَا سُئِل عَنها: أَقُوْل فِيْها بِرَأْيِي، فَإِنْ كَانَ صوَابا فَمِن الله، وَإِنْ خَطأً فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطان. (نفحات، فصول، رَوح القدير)

الرَّأيُ المَذْمُوْم: أمّا التَّفسِيرُ بِالرَّأيِ المَذْموْم: فَهُوَ مَا لايُسَاعِدُه قَوَانِيْن اللُّغَة وَأُصُوْل الشَّرْع؛ بَلْ مبْنَاه عَلى الجَهالَة وَالضَّلالَة. فَمَا ادَّعاه بعْضُهم مِن جوازِ تزوُّج الرَّجلِ تِسْع نِسْوَةٍ حرائِرَ، فباطِل! مستَدِلا علَيْه بقوله تعالىٰ: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ [النساء:٣]؛ وزعَمَ بعضُهم حلّ شَحْم الخنْزِيْر، واستدلّ عليه بقوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ﴾ [المائدة:٣]، قائِلا بأنّه لمْ ينُصَّ عَلى غيرِ اللَّحْم؛ وهٰذا أَيْضا باطِل، لأنّ اللَّحم إذا أطلِق في اللغة، فإنّه يشمَل الشَّحْم.

وَيدْخُل فِيْه: التَّفسِيْر مِنْ غَيْر حُصُوْل العُلوْم الضَّرُورِيّة، وَتفسِيْر المُتشَابِهات الَّتِيْ لايَعْلَمُها إِلا الله، وَجعْل التَّفْسِيْر تَابِعًا لِمَذْهبٍ وَإِنْ كَان ضَعِيْفًا، وَتفسِيْر مُراد الله عَلىٰ سَبِيْل القَطْع مِن غَيْر دَلِيْل، وَالتفسِيْر =

مَجَالٌ فَسِيْحٌ(١) فِي الاطِّلاعِ عَلَىٰ فَحَاوَى الآيَاتِ(٢)، وَإِيْمَاءَاتِهَا، وَاقْتِضَاءَاتِهَا(٣)؛ وَالاخْتِلافُ بِحَذَافِيْرِهِ(٤) حَاصِلٌ فِيْهِ؛ وَقَدْ أَلْقَى اللهُ تَعَالىٰ فِيْ رُوْعِ الفَقِيْرِ حَصْرَ الاسْتِنْبَاطَاتِ فِيْ عَشَرَةِ أَقْسَامٍ، وَالتَّرْتِيْبَ فِيْمَا بَيْنَهَا؛ وَتِلْكَ المَقَالَةُ مِيْزَانٌ عَظِيْمٌ

=بِالْهَوىٰ؛ وَكلّهَا حَرَام لِقَوْلِه تَعَالىٰ: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف] (رَوح القدير)

المَلحُوْظَة: ١- أَمَّا أَسْبَاب الانْحرَاف فَأَربَعَة بِحكْم الاسْتقْرَاء: الجُرْأَة عَلَى التَّفسِيْر مَعَ عَدَم الأَهْلِيَّة، إِخْضَاع مَعَاني القُرْآن أَمَام المُعتقدَات البَاطلَة وَالأَهْوَاء الزَّائغَة، التَّأَثُّر بِآرَاء أَهْل الزَّمَان مِن الفَلاسَفَة وَالطَّبِيْعِيِّيْن وَغَيْرِهم، صرف النَّظَر عَن مَوضُوْع القُرْآن وَمَقَاصِده. (نفحات)

المَلحُوْظَة الهَامّة: ٢- قَدْ ذَكَر الإمَام المَأخَذ الثَّالِث مِن مَآخِذ التَّفسِيْر الغَيْر المُعتَبَرة أَثْنَاء بَيَان المَآخِذ المُعْتَبَرة فِي بَحْث "الاجْتِنَاب عَنِ الإِسْرَائِيلِيَّات"، فَتَنبَّه!. (مُحَمَّدإِلْيَاس)

(٢) قَوْله: (وَمِنْ جُمْلَة ذٰلِكَ): أَيْ مِنْ جُمْلَة فُنُوْن التَّفسِيْر وَمَنَاهِجه. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (اسْتِنْبَاطُ الأَحْكَامِ): الاسْتِنْبَاط: النَّبْط كَلِمَةٌ تدلُّ عَلىٰ استِخْرَاج شَيْءٍ، واسْتَنْبَطْتُ المَاءَ: استَخْرَجتُه؛ وفِيْ اصْطِلاح عُلَمَاء التَّفْسِيْر وعُلوْم القُرْآن يُطْلَق عَلىٰ مَعْنَيَيْن؛ وَسَيأْتِي الكَلَام عَلىٰ اسْتِنْبَاط الأُصُوليِّيْن وَاسْتِنبَاط المُفسِّرِيْن وَمَا يَتعلَّق بِهمَا قُبَيْل الفَصْل الثَّالِث مِنْ هٰذَا البَاب فِيْ "فَنّ الاعْتِبَار".

وَفِيْه قَوَاعِد: "يُسْتَدَلُّ عَلَى الأَحْكَام: تَارَةً بِالصِّيْغَةِ، وَتَارَةً بِالإِخْبَارِ، وَتَارَةً بِمَا رُتِّبَ عَلَيْهَا فِيْ العَاجِلِ أَوِ الآجِلِ مِنْ: خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، أَوْ نَفْعٍ أَوْ ضُرٍّ"؛ "التَّخْيِيْرُ فِيْ آحَادِ الشَّيْءِ لايَدُلُّ عَلىٰ عَدَمِ الوُجُوْبِ"؛ "إِذَا خُيِّرَ العَبْدُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ فَأَكْثَرَ، فَإِنْ كَانَ التَّخْيِيْرُ لِمَصْلَحَتِهِ فَهُوَ "تَخْيِيْرُ تَشَهٍّ وَاخْتِيَارٍ"، وَإِنْ كَانَ لِمَصْلَحَةِ غَيْرِهِ فَهُوَ "تَخْيِيْرُ اجْتِهَادٍ" فِيْ مَصْلَحَةِ غَيْرِهِ"؛ "إِذَا جَاءَ ذِكْرُ "الطَّيِّبَاتِ" فِيْ مَعْرِضِ الْإِنْعَامِ فَالْمُرَادُ الْمُسْتَلَذَّاتُ؛ وَإِذَا جَاءَ فِيْ مَعْرِضِ التَّحْلِيْلِ وَالتَّحْرِيْمِ فَالْمُرَادُ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ". (رَوح القدير)

(١) قَوْله: (وَلِلعَقْلِ مَجَالٌ فَسِيْحٌ): وَفِيْه قَاعِدَة: "إِذَا كَانَ المعْنَى المُنَاسِب جَلِيًّا سَابِقًا إِلَى الفَهْمِ عِنْدَ ذِكْرِ النَّصِّ، فَإِنَّهُ يَصِحُّ تَحْكِيْمُ ذٰلِكَ المَعْنىٰ فِيْ النَّصِّ بِالتَّخْصِيْصِ لَهُ، أَوِ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ".

(٢) قَوْله: (فَحَاوَى الآيَاتِ): وَفِيْه قَاعِدَة: "قَدْ يَكُوْنُ اللَّفْظُ مُقْتَضِيًا لأَمْرٍ، وَيُحْمَلُ عَلىٰ غَيْرِهِ؛ لأَنَّهُ أَوْلىٰ بِذٰلِكَ الاسْمِ مِنْهُ".

(٣) قَوْله: (وَإِيْمَاءَاتِهَا، وَاقْتِضَاءَاتِهَا): الفَحْوى أَنْ يُفْهم الكَلامُ حَالَ المَسكُوْت عَنْه بِوَاسِطَة المَعْنى الحَامِلِ عَلى الحُكْم، مِثلُ: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ﴾ [الإسراء] يُفهَمُ مِنْه حُرْمَةُ الضَّرب بِطرِيْق الأَوْلىٰ، وَالإِيْمَاء: أَنْ يَكُوْن أَدَاء المَقصُوْد بِعبَارَات بِإِزَاء الاعْتبَارَات المُنَاسبَة، كَالتَّقيِيْد بِالوَصْف وَالشَّرْط يَدلَّان عَلىٰ عَدَم الحُكْم عِند عَدمِهِمَا، وَالاقْتضَاء: أَنْ يُفْهم الكَلامُ حَالَ المَسكُوْت عَنْه بِوَاسِطَة لُزُوْمه لِلمُستَعْمَل فِيْه عَادةً أَوْ عَقلاً أَوْ شَرعًا، كَقوْله: "بِعتُ" يَقتَضِيْ "سَبْقَ الملك شرعًا". (المعرِّب)

(٤) قَوْله: (وَالاخْتِلافُ بِحَذَافِيْرِه): بِحذَافيْره أَيْ بِأَسره جَمْع الحِذْفار وَالحذْفور: الجَانِب وَالنَّاحيَة.

لِوَزْنِ كَثِيْرٍ مِنَ الأَحْكَامِ المُسْتَنْبَطَةِ(١).

- **التَّوْجِيهُ فِيْ تَفْسِيْرِ القُرْآنِ الكَرِيْمِ:**

وَمِنْ جُمْلَةِ ذٰلِكَ(٢): التَّوْجِيْهُ وَهُوَ فَنٌّ كَثِيْرُ الشُّعَبِ، يَسْتَعْمِلُهُ الشُّرَّاحُ فِيْ شَرْحِ المُتُوْنِ، وَيُخْتَبَرُ بِهِ ذَكَائُهُم، وَيَظْهَرُ بِهِ تَفَاوُت دَرَجَاتِهِمْ؛ وَقَدْ تَكَلَّمَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَإِنْ لَّمْ تَكُنْ أُصُوْلُ التَّوْجِيْهِ مُنَقَّحَةً فِيْ عَصْرِهِم- فِيْ تَوْجِيْهِ الآيَاتِ الكَرِيْمَةِ، وَأَكْثَرُوْا مِنْهُ(٣).

وَحَقِيْقَةُ التَّوْجِيْهِ: أَنَّهُ إِذَا وَقَعَتْ صُعُوْبَةٌ فِيْ فَهْمِ كَلَامِ مُؤَلِّفٍ، يَقِفُ الشَّارِحُ هُنَاكَ؛ فَيَحُلُّ تِلْكَ الصّعُوْبَةَ(٤).

---

(١) قَوْله: (الأَحْكَامِ المُسْتَنْبَطَةِ): وَالمَقالَة فِي حُجّة الله البَالِغَة، ١: ٣٠٣. (المعرّب)

(٢) قَوْله: (وَمِنْ جُمْلَةِ ذٰلِكَ): أَيْ: منْ قَبِيْلِ الاختلَاف الوَاقِع فِي تفاسِيْر الصَّحابَة وَالتَّابِعِيْن.

(٣) قَوْله: (فِيْ تَوْجِيْهِ الآيَاتِ): اعْلَمْ! أنّه لَا يمْكِن أنْ يَقَع التّعارُض -وَهُوَ تَقابُل الآيَتيْن بِحَيْث يمْنَع مَدلُوْل إِحْداهُما مَدلُوْلَ الأُخْرَى- بَيْن آيَتيْن مَدلوْلهُما خَبَرِيٌّ؛ لأنَّه يلْزَم أنْ يَكُوْن أَحدهما كَذِبا! وَهُوَ محَال فِي أَخْبَار الله تَعَالَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ۝٨٧﴾ [النساء]، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ۝١٢٢﴾ [النساء]؛ فَإِذَا رَأَيْت مَا يوْهمُ التّعارُض فعَلَيْك بِالجَمْع بَيْنهما؛ وَإِنْ لَمْ يَتَبَيّن لَكَ وجَب عَلَيْك التّوقفُ وَالرُّجوْع إِلَى عَالم. (أصول ملخصا)

(٤) قَوْله: (فَيَحُلُّ تِلْكَ الصّعُوْبَةَ): وَقَدْ يَقَع مَا يُوْهِم التّعَارُض وَالاختِلَاف فِي كَلَام الله تَعَالَى لِمَن: لَيْس لَه مَعْرِفَة صَحِيْحَة، وَذَوْق سَلِيْم، وَنَظَر دَقِيْق؛ وَكَلَام الله تَعَالَى مُنَزَّه عَنْ ذٰلِكَ، كَمَا قَال تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء]؛ فَعَلَى المُفَسّر أنْ يَّدْفعَه بِطُرُق عَدِيْدَة:

أَمَّا طُرُق دَفْع التّعَارُض فَمِنْهَا:

١- الحَمْل عَلَى النَّسْخ عَلى حَسَب شَرَائِطه، نَحْو قَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [البقرة۝٢٤٠]؛ وَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة۝٢٣٤]؛ فَالأَوّل مَنسُوْخ بِالثّانِي.

٢- وَالحَمْل عَلَى اخْتِلَاف الأَشْخَاص، كَقَوْله تَعَالَى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة]، وَقَوْله تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾ [المعارج]؛ فَالأَوّل فِي حَقّ المُؤْمِنِيْن، وَالثّانِي فِي حَقّ الكَافِرِيْن. =

= ٣- وَالحَمْل عَلى اخْتِلاف الْمَوَاضِع، نَحْو قَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون]، مَعَ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٥٠﴾ [الصافات]؛ فَالأَوَّل فِي مَوْقف القِيامَة، وَالثَّاني فِي الجَنَّة.

٤- وَالحَمْل عَلى اخْتِلاف الْأَوْقَات، مِثَاله مَا سُئِل عَنْ ابْنِ عَبَّاس عَنْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ٣٥﴾ [المرسلات: ٣٦]، وَعَنْ قَوْلِه جَلَّ وَعَلا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣﴾ [الأنعام: ٢٣]، وَعَنْ قَوْلِه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ [يس: ٦٥]، بِالجَمْع بَيْن ذٰلِك؛ فَقَال ابْنُ عَبَّاسٍ مُجِيْبًا عَنْه: "إِنَّه -أَيْ: يَوْمَ القِيَامَة- ذُوْ أَلْوَانٍ، مَرَّةً يَنْطِقُوْن، وَمَرَّةً يُخْتَمُ عَلَيْهِمْ"؛ وَحَاصِلُ الجَوَاب: أَنَّ يَوْمَ القِيَامَة مُخْتَلِفَةٌ أَحْوالُهَا، فَيَنطِقُون فِيْ وَقتٍ ومَكانٍ، وَلا يَنْطِقونَ فِيْ آخَر. (الكرماني)

٥- وَالحَمْل عَلى اخْتِلاف الْأَحْوَال، كَقَوْله تَعَالىٰ فِي خَلق آدَم مَرَّة: ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ﴾ [آل عمران٥٩]، وَمَرَّة قَال: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن صَلۡصَٰلٖ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ٢٨﴾ [الحجر]، وَمَرَّة قَالَ: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَٰهُم مِّن طِينٖ لَّازِبِۭ ١١﴾ [الصَّافّات]، وَمَرَّة قَالَ: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ١٤﴾ [الرحمن]؛ فَالصَّلصَال وَالحَمأ وَالطِّيْن كُلّها أَحْوَال دُرجَت مِنَ التُّرَاب الَّذِي خلق مِنْه آدَم.

٦- وَالحَمْل عَلى اخْتِلاف جِهَتَي الْفِعْل، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال١٧]، نَفى الرَّمْيَة عَن النَّبِيّ ﷺ بِاعْتبَار التَّأْثِيْر، وَإِضَافَته إِلَيْه عَلى جِهَة الكَسْب وَالْمُبَاشَرَة.

٧- وَالحَمْل عَلى الاخْتِلَاف فِي الْحَقِيْقَة وَالْمَجَاز، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [الحج]، أَيْ: سُكارىٰ مِن أَهْوَال القِيامَة، وَمَا هُمْ بِسُكارىٰ مِنَ الشَّرَاب؛ فَإِثبَات السكر بِحَسَب المَعنىٰ المَجازِي، وَنَفيُه بِحَسَب المَعْنى الحَقِيْقِي.

٨- وَالحَمْل عَلى اخْتِلاف الْمَعْنىٰ، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾ [النساء٣]، وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ﴾ [النساء١٢٩]؛ الآيَة الأُوْلى تُحْمَل عَلى العَدْل فِي تَوفِيَة الحُقوْق، وَالثَّانِيْ عَلَى العَدْل فِي المَيْل القَلْبِي.

٩- وَالحَمْل عَلى اخْتِلاف الشَّرْط، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ [البقرة]، وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [السبا٢٣]؛ الأَوّل مَشرُوْط عَلى عَدَم الإِذْن، وَالثَّاني عَلى الإِذْن.

١٠- وَالحَمْل عَلى اخْتِلاف الْاعْتِبَار، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ﴾ [النحل٧٠]، وَقَوْله: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ [السجدة١١]، وَقَوْله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل٣٢]؛ فَنسْبَة التوفِي فِي الآيَة الأُوْلىٰ: إِلىٰ الله عَزّ وجَلّ بِاعتِبَار إِذْنه وَمَشيْئَته، وَفِي الثَّانِيَة بِاعْتبَار أَن مَلَك المَوْت يُبَاشر قَبْض الأَنْفس بِأَمْره عزّوَجَل، وَفِي الثَّالثَة بِاعتِبَار أَنَّ المَلٰئكَة أَعْوَان مَلِك المَوْت.

=

وَلَمَّا لَمْ تَكُنْ أَذْهَانُ قُرَّاء الكِتَابِ فِيْ مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ، لَمْ يَكُنِ "التَّوْجِيْه" أَيْضًا فِيْ مَرْتَبَةٍ وَاحِدَة؛ فَالتَّوْجِيْهُ بِالنِّسْبَة إِلَى المُبْتَدِئِيْنَ غَيْرُ التَّوْجِيْهِ بِالنِّسْبَة إِلَى المُنْتَهِيْن؛ إِذْ رُبَمَا يَخْطُرُ بِبَالِ المُنْتَهِيْ صُعُوْبَةُ فَهْمٍ، فَيَحْتَاجُ إِلَىٰ حَلِّهَا، وَالمُبْتَدِي غَافِلٌ عَنْهَا، بَلْ لايَقْدِرُ أَنْ يُحِيْط بِهَا؛ وَكَثِيْرٌ مِنَ الكَلام يَسْتَصْعَبُهُ المُبْتَدِي، وَلايَحْصُلُ فِيْ ذِهْنِ المُنْتَهِيْ شَيْءٌ مِنَ الصّعُوْبَة هُنَاك؛ فَالَّذِيْ أَحَاطَ بِجَوَانِبِ العُقُوْل، يُرَاعِيْ حَالَ جُمْهُوْرِ القُرَّاء، وَيَتَكَلَّمُ عَلىٰ قَدْرِ عُقُوْلِهِمْ(١).

- فَعُمْدَةُ التَّوْجِيْه:

فِي آيَاتِ الجَدَل: تَحْرِيْرُ مَذَاهِبِ الفِرَق البَاطِلَة، وَتَنْقِيْحُ وُجُوْه الإِلْزَام.

وَفِيْ آيَاتِ الأَحْكَام: تَصْوِيْرُ صُوْرَةِ المَسْئَلَة(٢)، وَبَيَانُ فَوَائِدِ القُيُوْد مِنَ: الاحْتِرَازِ أَوْ غَيْرِه(٣).

= ١١- وَالحَمْل عَلى الاختِلَاف فِي الْإِجْمَال وَالتَّفْصِيْل، كَقَوْله تَعَالَى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ "كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ"﴾[النساء٧٨]، مَعَ قَوْله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ﴾ [النساء٧٩]؛ فَفِي الآيَة الأُوْلىٰ: أَن مَا أَصَابنَا مِن الحَسَنة وَالسَّيِّئَة كُلّ ذٰلكَ مِنْ عِنْد الله، وَالثَّانيَة: أَنَّ الحَسَنة مِن عِنْد الله وَالسَّيِّئَة مِنْ عِنْد أنفسِنا؛ فَتعَارضَا، وَجَوَابه: أَنَّ الآيَة الأُوْلىٰ مُجمَلة، وَالثَّانيَة مُفَصَّلة: أَيْ أَنَّ مَا أَصَابنَا مِن الحَسَنة فَهُوَ مِنْ عِنْد الله مُبَاشرًا، وَمَا أَصابنَا مِن السَّيئَة فَهُوَ أَيضًا مِنْ عِنْد الله لٰكِن بِواسِطَة شُرور أَنْفُسنَا. (ملخص من نفحات العبير: از ٢٣٢- ٢٣٤)

(١) قَوْله: (وَيَتَكَلَّمُ عَلىٰ قَدْرِ عُقُوْلِهِمْ): أَمَّا الاخْتِلَاف فِي التَّفَاسِيْر فَيُمْكِن لَنَا أَنْ نَحْصِرَه فِيْ أَرْبَعَة أَنْوَاع: لِأَنَّه إِمَّا مُتعلّق بِالنَّقل، أَوِ الْعقْل وَالاسْتِدْلَال؛ أَوْ يَكُوْن الاخْتِلَاف لِخَفَاء فِي الدَّلِيْل، أَوِ الذُّهُوْل عَنْه.

الملحوظة: أَمَّا المُخْطِئ فِي الأُصُوْل بَعْدَ أَنْ وَصَل إِلَيْه الدَّلِيلُ القَطْعِي، ثُمَّ خَالَفَه فَهُو آثِم؛ وَأَمَّا المُخْطِئ فِي الأُصُوْل الَّذِي لَمْ يَصِل إِلَيْه الدَّلِيْلُ الْقَطْعِيُّ، فَهُوَ مُخْطِئ غَيْر آثِم.

(٢) قَوْله: (تَصْوِيْرُ صُوْرَةِ المَسْئَلَة): وَقَد يُذْكَر لَفْظ لِبيَان الحَالَة الَّتِيْ كَان النَّاس عَلَيْها فِي الجَاهلِيَّة، كَقَوْله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةًۖ﴾ [آل عمران١٣٠]، فَقوْله: ﴿أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾ لَيْس قَيْدا لِلاحْتِرَاز، وَلالِلشَّرْط؛ بَلْ لِبيَان الحَالَة وَالتَّشنِيْع عَلَيْهِم. (صفوة ملخصا) =

وَفِيْ آيَاتِ التَّذْكِيْرِ بِآلاءِ اللهِ: تَصْوِيْرُ تِلْكَ النِّعَمِ، وَبَيَانُ مَوَاضِعِهَا الجُزْئِيَّةِ.

وَفِيْ آيَاتِ التَّذْكِيْرِ بِأَيَّامِ اللهِ: بَيَانُ تَرَتُّبِ بَعْضِ القِصَصِ عَلَى البَعْضِ، وَإِيْفَاءُ حَقِّ التَّعْرِيْضِ الَّذِيْ يَرِدُ فِيْ أَثْنَاءِ سَرْدِ القِصَّةِ.

وَفِي التَّذْكِيْرِ بِالمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ: تَصْوِيْرُ تِلْكَ الأُمُوْرِ، وَتَقْرِيْرُ تِلْكَ الحَالاتِ.

- **أَنْوَاعُ التَّوْجِيْهِ:**

وَمِنْ فُنُوْنِ التَّوْجِيْهِ: ١-تَقْرِيْبُ مَا كَانَ بَعِيْدًا عَنِ الفَهْمِ، بِسَبَبِ عَدَمِ الأُلْفَةِ بِهِ(١)؛ ٢-وَدَفْعُ التَّعَارُضِ بَيْنَ الدَّلِيْلَيْنِ(٢)، أَوِ التَّعْرِيْضَيْنِ(٣)، أَوْ فِيْمَا بَيْنَ المَعْقُوْلِ

= (٣) قَوْله: (مِنَ: الاحْتِرَازِ أَوْ غَيْرِه): كَمَا سَأَلَ عُمَرُ ﷺ مَا مَعْنَى قَيْدِ: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ "إِنْ خِفْتُمْ" أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ﴾ [النساء١٠١]؛ فَقَالَ ﷺ: صَدَقَة تَصَدَّقَ الله بِهَا عَلَيْكُم، فَاقْبَلوا صَدقَته. (مسلم)

(١) قَوْله: (بِسَبَبِ عَدَمِ الأُلْفَةِ بِهِ): كَقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ [الإسراء٩٧]؛ عَنْ أَنَس يَقُوْل، قِيْل: يَارَسُوْل الله ﷺ! كَيْفَ يَحشُر النَّاس عَلىٰ وُجوْهِهم؟ قَالَ: إِنَّ الَّذِي أَمْشَاهُم عَلىٰ أَرْجُلِهم قَادِر عَلىٰ أَنْ يُمشِيْهم عَلىٰ وُجُوهِهم. (مسندِ احمد: ١٢٧٠٨)

(٢) قَوْله: (وَدَفْعُ التَّعَارُضِ بَيْنَ الدَّلِيْلَيْنِ): نحو قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١﴾ [المؤمنون]، مَعَ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ٥٠﴾ [الصافات]؛ فَالأَوَّل فِي موْقف القِيَامَة، وَالثَّاني فِي الجَنَّة.

(٣) قَوْله: (أَوِ التَّعْرِيْضَيْنِ): كَقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ [البقرة]، وَقَوْله تَعَالَىٰ: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ٦﴾ [المنافقون]؛ فَالمُرَاد بِالفَاسقِيْن فِي الآيَة الأُولىٰ مُشرِكُوا مَكَّة، وَفِي الثَّانِيَة المُنَافِقُوْن؛ لأَنَّ الفَاسِق: هُوَ الفَاجِر، وَالخَارِج عَنْ طَرِيْق الحَق وَالصَّلاح؛ فَهُو يَشْمَل المُشْرِك وَالمُنَافِق.

قَالَ الطَّبَري: اخْتَلَف أَهْل التَّأوِيْل فِي المَسجِد الَّذِيْ عَنَاه بِقَوْله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾ [التوبة١٠٨]، فَقَالَ بَعضهُم: هُوَ مَسجِد رَسُوْل الله ﷺ الَّذِيْ فِيْه مِنبرُه وَقَبرُه اليَوْمَ، كَما رُوِي عَن ابْن عُمَر وَزَيْد بْن ثَابِت وَأَبِي سَعِيْد وَسَعِيْد بْن المُسَيَّب، حَيْث قَالُوا: المَسْجِدُ الَّذِيْ أَسِّس عَلىٰ التَّقْوىٰ مَسْجِدُ الرَّسُوْل؛ وَرُوِي عَنْ مُعاوِيَة عَنْ عَلِيٍّ عَن ابْن عَبَّاس: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ [التوبة ١٠٨]، يَعنِيْ مَسجِدَ قُبَاء؛ وَكَذا أَخْرَج عَبد الرَّزَّاق عَنْ مَعْمَر عَن الزُّهرِي عَنْ عُرْوَة بْن الزُّبَيْر: الذِيْن بُنِيَ فِيْهِم المَسْجِدُ -الَّذِيْ أُسِّس عَلَى التَّقْوى- بَنُوْ عَمْرو بْن عَوْف. =

وَالمَنْقُوْلِ(١)؛ ٣-وَالتَّفْرِيْقُ بَيْنَ المُلْتَبِسَيْنِ(٢)؛ ٤-وَالتَّطْبِيْقُ بَيْنَ المُخْتَلِفَيْنِ(٣)؛ ٥-وَبَيَانُ صِدْقِ الوَعْدِ الَّذِيْ أشِيْرَ إِلَيْهِ فِي الآيَةِ(٤)؛ ٦-وَبَيَانُ كَيْفِيَّةِ عَمَلِ النَّبِيِّ ﷺ(٥)

= قَالَ أَبُوْ جَعفر: وَأَوْلَى القَولَيْن فِي ذٰلِك عِنْدي بِالصَّوَاب: قَوْل مَنْ قَال: هُوَ مَسْجِد الرَّسُوْل ﷺ، لِصحَّة الخَبَر بِذٰلكَ عَنْ رَسُوْل الله ﷺ. (الطبري)

(١) قَوْله: (فِيْمَا بَيْنَ المَعْقُوْلِ وَالمَنْقُوْلِ): كَمَا فِي آيَة ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم٢٨]، عَن المُغيْرَة بْن شُعبَة قَالَ: لَمّا قَدمْتُ نَجْرَان، سَأَلوْنِي، فَقَالوا: إِنَّكُم تَقْرَؤُوْن: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ﴾ [مريم٢٨]، وَمُوْسىٰ قَبْل عِيْسىٰ بِكَذا وَكَذا؛ فَلمّا قَدِمتُ عَلىٰ رَسُوْل الله ﷺ سَأَلتُه عَن ذٰلكَ فَقَال: إِنَّهُم كَانُوْا يُسَمُّوْنَ بِأَنبِيَائهمْ وَالصَّالِحِيْن قَبْلهُم. (مسلم والترمذي)

(٢) قَوْله: (وَالتَّفْرِيْقُ بَيْنَ المُلْتَبِسَيْنِ): كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ "وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ"﴾ [البقرة٢٧٥]، حَيْث فَرّق الله بَيْن البَيْع الرِّبَا.

وَمنْه مَا رَوَاه البُخاري مِن الأَسْئلَة المُشكِلَة الَّتِيْ طرحَتْ عَلى ابْن عَبَّاس؛ وَمنْها: قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا ٢٧ رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا ٢٨ وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا ٢٩ وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ٣٠﴾ [النازعات]، فَذَكَر سُبْحَانه وَتَعالىٰ فِي هٰذِه الآيَة "خَلْق السَّمٰوات" قَبْل "خَلْق الأَرض"، وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ ١٠ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١﴾ [حم السجدة]، فَذَكر فِي هٰذِه الآيَة خَلق الأَرْض قَبْل خَلْق السَّمَاء.

فَأَجاب ابن عَبَّاس عَنْ ذٰلِك، فَقَال: "خَلَق الأَرْض فِي يومَيْن، ثُم اسْتَوى إِلَى السَّمَاء، فَسَوَّاهُنّ فِي يَومَيْن آخرِيْن، ثُمّ دَحَا الأَرْض فِي يَومَيْن آخَريْن؛ فَجَعَل الأَرْض وَمَا فيْها مِن شَيْء فِي أَرْبَعة أَيَّام، وَخُلقَت السَّمَاء فِي يَومَيْن". (فصول: ٣٤ ملخصا، رَوح القدير)

(٣) قَوْله: (وَالتَّطْبِيْقُ بَيْنَ المُخْتَلِفَيْن): كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة١١٥]؛ وَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ﴾ [البقرة١٤٤]؛ فَالأَوْلىٰ مَحْمُوْلة عَلَى العُذْر وَالثَّانية عَلَى الأَحْوَال العَامَّة.

وَكَمَا قَالَ عَليْه السَّلَام عَنْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة٣١]، "أَمَا إِنَّهُم لَمْ يَكُوْنُوا يُعبدُوْنَهُم؛ وَلٰكنَّهُم كَانُوا إِذَا أَحَلّوا لَهُمْ اسْتَحلّوه، وَإِذا حَرّموا عَليْهم شَيْئا حَرَّموه".

(٤) قَوْله: (الَّذِيْ أُشِيْرَ إِلَيْهِ): قَالَ السَّيوْطِي فِي الدرِّ المَنثُوْر: أَخرَج الفِريَابِي وَالبَزّار وَابْن المُنذِر =

بِمَا أُمِرَ بِهِ فِي القُرْآنِ العَظِيْم.

وَبِالجُمْلَة: فَالتَّوْجِيْهُ كَثِيْرٌ فِيْ تَفْسِيْرِ الصَّحَابَةِ؛ وَلا يُقْضَى حَقُّهُ حَتَّى يُبَيِّنَ المُفَسِّرُ وَجْهَ الصّعُوْبَةِ مُفَصَّلًا، ثُمَّ يَتَكَلَّمَ فِيْ حَلِّ الصّعُوْبَة بِالتَّفْصِيْل، ثُمّ يَزِنَ تِلْكَ الأَقْوَالَ وَزْنًا عَدْلًا.

= وَابْن أَبِي حَاتِم وَالنَّحَّاس -فِيْ نَاسِخه- وَالطِّبرَاني مِنْ طَرِيْق مُجَاهِد عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ١٥﴾ [النساء] قَالَ: كَانَت المَرْأَة إِذَا فجرتْ حُبِستْ فِي البُيوْت، فَإِنْ مَاتتْ مَاتتْ، وَإِنْ عَاشَتْ عَاشتْ؛ حَتَّى نزلَتِ الآيَة فِي سُوْرَة النُّوْر: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾ [النور٢]؛ فَجَعَل الله لَهُنّ سَبيْلا.

وَأَخْرج مُسْلم عَن عُبادَة بْن الصَّامِت قَالَ: كَان نَبِي الله ﷺ إِذَا أُنْزِل عَليْه كُرِب لِذلكَ وَتربَّد لَه وَجْهُه؛ قَالَ فَأُنْزِل عَليْه ذَات يَوْم فَلَقِيَ كَذٰلكَ؛ فَلمَّا سُرِّي عَنْه قَالَ: "خُذوْا عَنِّي! فَقَدْ جَعَل الله لَهُنّ سَبيْلا". [١٦٩٠] أَخْرجَه التِّرمِذِي أَيْضا وَصَحّحَه [١٤٣٤].

(٥) قَوْله: (كَيْفِيَّةِ عَمَلِ النَّبِيِّ): وَمِثَال كَيفِيّة العَمَل، عَن عَائشَة قَالَت: مَا صلَّى النَّبِيّ ﷺ صَلَاة بَعْد أَنْ نَزَلتْ عَليْه ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر]، إِلَّا يَقوْلُ فِيها: سُبحَانَك رَبَّنا وَبِحَمْدك، اللّهُمّ اغْفرْ لِي؛ وَفِي رِوايَة عَن عَائشَة: أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَان يُكْثِر أَنْ يَّقوْل فِي رُكوْعه وَسجُوْده: "سُبْحَانَك اللّهُمّ رَبَّنا وَبِحَمْدك، اللّهُمّ اغْفِرْ لِي"؛ يَتأوَّل القُرْآن. (البخاري)

[٣ مَا يتَعلَّق بِالمُتكَلِّمِيْنَ فِيْ تَأوِيْل آيَات الصِّفَات]

- **بَحْثُ غُلُوِّ المُتَكَلِّمِيْن**(١):

وَأَمَّا غُلُوُّ المُتَكَلِّمِيْنَ فِيْ: تَأوِيْلِ المُتَشَابِهَاتِ، وَبَيَانِ حَقِيْقَةِ الصِّفَات؛ فَلَيْسَ

---

(١) قَوْله: (غُلُوّ المتَكَلِّمِيْنَ): اعْلَمْ! أَنَّ مَآخِذ التَّفسِيْر عَلىٰ نَوعيْن: مُعتبَرة، وَغَيْر مُعتبَرة؛ أَما المُعتبَرة فستَّة: تَفسِيْر الْقُرْآن بِالقُرْآن نَفْسِه؛ تَفسِيْر الْقُرْآن بالسُّنَّة، تَفسِيْر الْقُرْآن بأَقوَال الصَّحَابَة، تَفسِيْر الْقُرْآن بأقوَال التَّابعِيْن، تَفسِيْر الْقُرْآن باللُّغَة الْعرَبِيَّة، تَفسِيْر الْقُرْآن بِالرَّأي المَمْدُوْح، وهُوَ الفَهْم وَالعَقْل السَّلِيْم المَوْهُوْب مِنَ الله.

وَأَمَّا المَآخِذُ الغَيْرُ المُعْتَبَرة فَثَلاثَةٌ: ١- الإِسْرائِيْلِيَّات، وقدْ تقدَّم بحثُه؛ ٢- وَالتَّفسِيْر بِالرَّأي الْمَذْمُوْم، وَعَبَّر عَنه هنَا بالتَّدارُؤ بالقُرْآن؛ ٣- وَالْعُلوْم الفَلْسَفِيّة وَالطَّبِيْعِيّة، وَعَبَّر عَنه هنَا بغُلُوِّ المُتَكَلِّمِين. (مُحَمَّدإلْيَاس)

أَمّا الْعُلوْم الفَلْسفِيّة: فَاعْلَم! أَنَّ فِيْ إِنْزال المتَشَابِهَات ابْتِلاء الرَّاسِخِيْن فِيْ العِلْم بِمَنْعِهم عَنِ التَّفَكُّر فيْهَا وَالوُصُوْل إِلىٰ مَا هُوَ غَايَة مُتَمَنَّاهمْ مِن العِلْم بأَسْرارِهَا؛ فَكُلُّ مَن وَقَف مِنَ المُتَشَابِه مَوْقِف السَّلَف -مِن الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن وَالأَئِمَّة المتَّبَعِيْن- فهُوَ مِن "الرَّاسِخِيْن فِيْ العِلْم"، وَمَنْ خَاض فِيْه فَهُوَ خَارِج عَنْ مَنْهَجِهِم؛ بَلْ هُوَ مِنَ الزَّائِغِيْن.

وَلَمَّا كانَ قِيَاس أَسَاسِ الفَلْسَفَة عَلى اكْتِشَاف مَا وَرَاء المَحْسُوْس وَالبَحْث فِيْ حَقِيْقَتِه فَسَّرُوا وَأَوَّلُوا حَسْبَما يَفْهَم العَقْل؛ بَلْ حَكَّمُوْه فِيْ كلِّ شَيْءٍ؛ حَتّٰى إِذَا التقَوا بالآيَات المتَشَابِهَات جَعَلوا العَقْل المحْدُوْد فَيْصَلا فِيْ فَهْمِها وَتأوِيْلِها، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا؛ وَمِنْهُم الجَهْمِيَّة وَالمعْتَزِلَة وَغَيْرُهمْ مِمَّن يَتَّخِذُوْن العَقْل أَسَاسًا لِفَهْم القُرْآن وَتَأوِيْل الآيَات؛ مَعَ أَنَّ العَقْل لَنْ يَقْدِر عَلى أَنْ يُدْرِك شَيْئا عَنْهَا.

وَذٰلِكَ لأَنَّ الفَلْسَفَة تَقُوْم فِي أَبْحَاثِها فِيْ الإِلٰهِيَّات عَلَى "القِيَاس التَّمْثِيْلِي" الذِيْ يَسْتَوِي فِيْه الأَصْل وَالفَرْع، أَوْ عَلَى "القِيَاس الشُّمُوْلِي" الذِي يَسْتَوِيْ فِيْه أَفْرَادُه؛ فَاللهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالىٰ: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى:١١]؛ فَلايَجُوْز أَنْ يُمَثَّل بِغَيْرِه سُبْحَانَه، وَلايَجُوْز أَنْ يَدْخَل هُوَ وغَيْرُه تَحْتَ قَضِيَّة كُلِّيَّة تَسْتَوِي أَفْرَادُها.

المَلحُوْظَة الهَامّة: اعْلَم! أَنَّ المُفَسِّرِيْن وَالمُتأَوِّلِيْن عَلىٰ ثَلاثَة أَنْوَاع: فَمِنْهُم: مَنْ أَصَابُوْا فِي الدَّلِيْل وَالمَدْلُوْل، وَهُمْ أَهْل السُّنَّة وَالجَمَاعَة؛ وَمِنْهُم: مَن أَخْطَئوا فِي الدَّلِيْل وَالمَدْلول، وَهُم كَالخَوَارِج وَالرَّوَافِض وَالمُعْتزِلَة وَالجَهْمِيَّة وَالْقَدرِيَّة وَالمُرْجِئَة وَغَيْرهِم؛ وَمنهُم: مَنْ أَصَابُوا فِي المَدْلُول، وَأَخْطَئُوا فِي الدَّلِيْل، وَهُم كَبَعْض الصُّوْفِيَّة وَالوُعَّاظ وَالفُقَهَاء. (رَوح القدير)

هٰذَا مِنْ مَذْهَبِي، بَلْ مَذْهَبِيْ مَذْهَبُ مَالِكٍ وَالثَّوْرِيْ وَابْنِ المُبَارَك، وَسَائِرِ المُتَقَدِّمِيْن[1]؛ وَهُوَ: إِمْرَارُ المُتَشَابِهَاتِ عَلىٰ ظَوَاهِرِهَا[2]، وَتَرْكُ الخَوْضِ فِيْ تَأْوِيْلِهَا.

---

(١) قوله: (وَسَائِرِ المُتَقَدِّمِيْن): وَفيْه إِشارَة إِلى قَاعدَة: "إِذَا اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِيْ تَفْسِيْرِ الآيَة عَلىٰ قَوْلَيْن، لَمْ يَجُزْ لِمَنْ بَعْدَهمْ إِحْدَاثُ قَوْلٍ ثَالِثٍ يَخْرُجُ عَنْ قَوْلِهِمْ". (رَوح القدير)

التَّأْوِيْل والتَّفْوِيْض فِيْ المُتَشابِهَات

(٢) قوله: (إِمْرَارُ المُتَشَابِهَاتِ عَلىٰ ظَوَاهِرِهَا): وهُوَ التَّفْوِيْض؛ اعْلَمْ! أَنّه إِذا وَرَد فِي كِتَاب أَوْ سُنَّة مَا يُوْهِم: أنّه تَعَالىٰ لَهُ وَجهٌ أَوْ يَدٌ أَوْ نَحوُ ذٰلِكَ، فَلابدَّ مِن تَأْوِيْله بِمَعْنىً صرفَه عَنْ ظَاهِرِه؛ وَالسَّلَف وَالخلَف مُؤَوِّلون لإِجْماعِهِم عَلىٰ صرف اللَّفْظ عَنْ ظَاهِرِه؛ لٰكِن تأْوِيْل السَّلف إِجْمَالي لِتفْوِيْضهِم إِلَى الله تَعَالىٰ، وَتَأْوِيْل الخَلَف تَفْصِيْلي لاضْطِرارِهِمْ إِلَيْه لِكَثْرَة المُبتَدعِيْن مِن المُجسِّمة وَالجهمِيَّة، وَاخْتَارُوْا بِدْعَةَ التَّأْوِيْل عَلىٰ كُفْرِ الحَمْل عَلَى الظَّاهِرِ مِنْ غَيْرِ مُخَالَفَة عَنْ عَقِيْدة السَّلَف الَّتِيْ هِيَ: التَّنْزِيْه عَن التَّشْبِيْه وَالتَّعْطِيْل.

غَايَةُ الأَمْر: أَنَّهم اخْتَلفُوا فِيْ تعْيِيْن المَعْنَى المُرَاد؛ فَمَذْهب السَّلَف: هُوَ إِثْبَاتُ مَا أَثْبَته الله لِنَفسِه، وَأَثْبَته لَهُ رَسُوْلُه ﷺ مِنَ الصِّفَاتِ مَعَ: تَنْزِيْه اللهِ تَعَالىٰ عَنْ ظَوَاهِرِهَا المُسْتَحِيْلة، وَنَفْي التَّجْسِيْم قَطْعًا، وَنَفْي الجوارِح وَالأَبْعاض وَالأَجْزاء؛ فَهُمْ يَقُوْلُوْن فِي نَحْو قَوْلِهِ تَعَالىٰ: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝﴾ [الرحمٰن]، وَقَوْلِهِ تعَالىٰ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح۝]: "لَهُ وَجهٌ وَيَدٌ وَعَينٌ بِالمَعْنَى الحَقِيْقِي، كَمَا يَلِيْق بشَأْنِه"، وَهُوَ المُعبِّر بِقَوْلِهِم: "لَهُ وَجْهٌ وَيَدٌ وَعَينٌ؛ لٰكِن لَا كَوُجُوْهنا، وَلَا كَأَيْدِيْنا، وَلا كَأَعيُنِنَا"؛ وَلا يَعْلم المُرادَ مِنْ ذٰلِكَ إِلَّا اللهُ.

وَهٰذَا هُوَ "التَّأْوِيْل الإِجْمَالِي"، لأَنَّ التَّأْوِيْل: هُوَ صرْف الكَلَام مِن الظَّاهِرِ إِلىٰ خِلَاف الظَّاهِرِ لِوُجُوْد قَرِيْنَة.

وَمَذْهَب الخَلَف -وَيسَمَّى مَذْهبَ المُؤَوِّلة-: هُوَ صرف هٰذِه الأَلْفَاظ عَنْ ظَوَاهِرِهَا المُسْتَحِيْلَة عَلَى الله، وَحَمْلِهَا عَلىٰ مَعانٍ لغَوِيَّة صَحِيْحة يَقبَلُها السِّيَاق مِنْ غَيْرِ قَطع بِتَعيِيْن؛ فَهُمْ يقُوْلُوْن: "لَيْسَ لَهُ وَجهٌ كَوَجهِنا، وَلا يَد كيَدنَا"؛ وَالمُرادُ عَن الوَجْهِ: هُوَ الذَّات الكَرِيْمُ، وَعَن اليَد: القُدْرَة، هٰكذَا...؛ فَهُم يُؤَوِّلُوْنَهَا بِمَا يَلِيْق بِشَأْنه، فَمَن يَجِدْ مِن نَفْسِه قُدْرةً عَلىٰ صَنِيْع السَّلَف فَلْيَمْش عَلى سَنَنِهِمْ، وَإِلَّا فَلْيَتَّبِع الخَلَف وَليَحْتَرِز مِنَ المَهَالِك. (بدر الليالي ملخصا)

وَقَالَ الشَّيْخ خَلِيْل أَحْمَد السَّهارَنفُوْرِي: وَأَمَّا مَا قَال المُتَأَخِّرُوْن مِنْ أَئِمَّتنَا فِيْ تِلْكَ الآيَات (أي: المُتعَلِّقَة بِصفَات المُتَشَابِهَات) "فَهُمْ يُؤَوِّلونَها بِتأْوِيْلَات صَحِيْحَة تَسُوْغ لُغَة وَشَرْعًا" بِأَنَّه يُمكِن أَنْ يَكُوْن المُرَاد عَن الاسْتِوَاء "الاسْتِيْلاء" وَعَنِ اليَد "القُدْرَة"، إِلىٰ غَيْر ذٰلِكَ؛ وَأَمَّا الجِهَة وَالمَكَان، فَلا يَجُوْز إِثبَاتهُمَا لِلّٰه تَعَالىٰ. (المهنَّد على المفنَّد)

وَفِي بَاب المُتَشَابِهَات قَوَاعِد: "إِذَا قَامَتِ الصِّفَةُ بِمَحَلٍّ عَادَ حُكْمُهَا إِلَيْه، لا إِلىٰ غَيْرِه؛ وَاشْتُق =

- **مَا هُوَ مِن قَبِيلِ التَّدَارُؤ بِالقُرْآن**(١)

وَالنِّزَاعُ فِي: الأَحْكَامِ المُسْتَنْبَطَةِ، وَإِحْكَامِ مَذْهَبِ نَفْسِه، وَهَدْمِ مَذْهَبِ الآخرِيْن، وَالاحْتِيَالِ لِدَفْعِ الأَدِلَّة القُرْآنِيَّةِ؛ كُلُّ ذٰلِكَ لَيْسَ بِصَحِيْحٍ عِنْدِي، وَأَخْشى أَنْ يَكُوْنَ ذٰلِكَ مِنْ قَبِيْل "التَّدَارُؤ بِالقُرْآن"، وَإِنَّمَا اللاَّزِمُ أَنْ يَطْلُبَ مَدْلُوْلَ الآيَات(٢)، وَيَتَّخِذَهُ مَذْهَبًا لَهُ(٣)، سَوَاءٌ ذَهَبَ إِلَيْه المُوَافِقُ أَوِ المُخَالِف(٤).

= لذٰلِكَ المَحَلِّ مِنْ تِلْكَ الصِّفَة اسْمٌ؛ وَلايُشتَقُّ الاسْمُ لِمَحَلٍّ لَمْ يَقُمْ بِهِ ذٰلِك الوَصْفُ"؛ "الأَصْلُ حَمْلُ نُصُوْصِ الْوَحْيِ عَلىٰ ظَوَاهِرِهَا إِلاَّ لِدَلِيْلٍ"؛ "يجِبُ العَمَلُ بالمُحْكَمِ، وَالإيْمَانُ بالمُتَشَابِهِ".

(١) قَوْله: (التَّدَارُؤ بِالقُرْآن): التَّدارُؤ: التَّدافُع، تَدَارءَا: تَدَافعا فِي الخُصوْمَة وَنَحْوِها؛ وَيحْرم التَّدَارُؤ بِالقُرْآن بِقَوْل النَّبِيِّ ﷺ: "إِنَّمَا هَلَكَ مَن كَانَ قَبلَكم بِهٰذا: ضَرَبوا كِتابَ الله بَعْضه بِبَعْض". (المعرَّب)

أَخرَج الإِمَام أَحْمَد فِي مسْنده عَنْ عَمْرو بْن شُعَيْب عَنْ أَبِيْه عَنْ جَدّه قَالَ: سَمِع النَّبِيّ ﷺ قَوْمًا يَتَدارَءُوْنَ، فَقَالَ: "إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبلَكُم بِهٰذَا، ضَرَبُوا كِتَابَ الله بَعْضَه بِبَعْض؛ وَإِنَّمَا نَزَل كِتَابُ الله يُصَدِّق بَعْضُه بَعْضا، فَلاتُكَذِّبُوا بَعْضَه بِبَعْض، فَمَا عَلِمتُمْ مِنْه فَقُوْلُوا، وَمَا جَهِلتُم فَكِلُوهُ إِلىٰ عَالِمِه". (مسند عبد الله بن عمرو: ٦٧٤١)؛ فَفِيْه: التَّحذِيْر مِنَ المِراء وَالخِصَام وَالنِّزَاع وَالاخْتِلاف وَالفِرقَة، وَضرب النُّصُوْص بَعْضَهَا بِبَعْض، وَأَنَّ هٰذِه طَرِيْقَة أَهْل البِدَع وَالزَّيْغ وَالانْحِرَاف.

أَمَّا أَهْل الحَقّ فَإِنَّهُم يَعمَلُوْن بِالنُّصُوْص، وَيضَمّوْن بَعضهَا إِلَى بَعْض، وَيُفسِّروْن بَعْضهَا بِبَعْض؛ لأَنَّ كِتَاب الله يُفسِّر بَعْضه بَعْضا، وَالنُّصُوْص يُوَافِق بَعْضه بَعْضا. فَهُمْ يَعمَلُوْن بِالمُحْكَم الوَاضِح البَيِّن، وَيردُّوْن المُتشَابِه إِلَى المُحكَم وَيُفَسرُوْن بِهِ.

أَمَّا أَهْل البِدَع فَطَرِيْقَتهُم: أَنَّهُم يَضرِبُون النُّصُوْص بَعْضهَا بِبَعْض، يَعْمَلُون بِبَعْض النُّصُوْص، وَيرُدّون البَعْضَ الآخَر، وَهٰذِه طَرِيْقَة أَهْل الزَّيْغ، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران٧]. (مُحَمَّدإِلْيَاس)

(٢) قَوْله: (مَدْلُوْلَ الآيَات): وَفِيْه إِشارَة إِلى قَاعِدَة: "فِيْ تَفْسِيْرِ الْقُرْآنِ بِمُقْتَضَى اللُّغَةِ يُرَاعَى الْمَعْنَى الأَغْلَبُ وَالأَشْهرُ وَالأَفْصَحُ، دُوْنَ الشَّاذِّ أَوِ الْقَلِيْلِ"؛ "أَلْفَاظُ الشَّارِعِ مَحْمُوْلَةٌ عَلَى الْمَعَانِيْ الشَّرْعِيَّةِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَعَلَى الْعُرْفِيَّةِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَعَلَى اللُّغَوِيَّةِ".

(٣) قَوْله: (مَذْهَبًا لَهُ): فيْه إِشارَة إِلى قَاعِدَة: "كُلُّ مَعْنًى مُسْتَنْبَطٍ مِنَ الْقُرْآنِ غَيْرِ جَارٍ عَلَى اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ فَلَيْسَ مِنْ عُلُوْمِ الْقُرْآنِ فِيْ شَيْءٍ".

(٤) قَوْله: (ذَهَبَ إِلَيْه المُوَافِقُ إلخ): ثُمّ المُستَدِلوْن عَلىٰ ثَلاثَة أَنْوَاع: فَمنْهُم: مَنْ أَصَابوْا فِي الدَّلِيْل وَالمَدلُوْل، فَهُم: مِن "مَا أَنَا عَلَيْه وَأَصْحَابي"؛ وَمنْهُم: مَن أَخطَؤا فِي الدَّلِيْل وَالمَدلُوْل، كَالفِرَق المُبتدِعَة =

٣ مَا يتعلَّق بِالنُّحَاة اللُّغويِّيْن فِي اعْرَاب القُرْآن وَلُغَته

وَأَمَّا لُغَةُ القُرْآنِ فَيَنْبَغِيْ أَخْذُهَا مِنَ اِسْتِعْمَالاتِ العَرَب الأوَّلِيْن(١)، وَأَنْ يُعْتَمَدَ كُلِّيًّا عَلَىٰ آثَارِ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِيْنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ (٢).

وَقَدْ وَقَعَ فِيْ نَحْوِ القُرْآنِ خَلَلٌ عَجِيْب، وَهُوَ: أَنَّ طَائِفَةً مِنَ المُفَسِّرِيْن اخْتَارُوْا مَذْهَبَ سِيْبَوَيْه، فَيُؤَوِّلُوْنَ كُلَّ مَا خَالَفَ مَذْهَبَه وَإِنْ كَانَ التَّأْوِيْلُ بَعِيْدًا؛ وَهٰذَا لايَصِحُّ عِنْدِيْ، بَلْ يَنْبَغِيْ اتِّبَاعُ الأَقْوٰى وَالأَوْفَقِ بِالسِّيَاق وَالسِّبَاقِ(٣)، سَوَاءٌ كَانَ مَذْهَبَ سِيْبَوَيْه أَوْ مَذْهَبَ الفَرَّاء(٤).

= مِن المُعتَزِلَة وَغيْرهم؛ وَمنهُم: مَنْ أَخطَوْا فِي الدَّليْل، وَأَصَابُوا فِي المَدلُوْل.

ثُمّ المُخطِئُوْن فِي الاسْتدلَال عَلىٰ أَنْوَاع: فَمنهُم: مَن اعْتقَدوْا مَعَاني فَاسِدةً زَائغَة عَن الحَقّ، ثُمّ حَمَلوا أَلْفَاظ القُرْآن عَليْها، وَفَسّرُوا القُرْآن بِرَأيِهِم -كَالمُبتَدعَة مِن المُعتَزِلة وَالخَوارِج وَغَيْرِهم-، فَجعَلُوا المَذهَب أَصْلا، وَالتَّفسِيْر تَابِعا؛ فَضَلّوا وَأَضَلّوا؛ وَمنهُم: مَن يَأْتُوْن بِمَعانٍ صَحيْحَة ثَابِتَة عِنْد أَهْل السُّنّة وَالجَماعَة، وَيقُوْلوْن بِرَأيهِم: "إِنَّ القُرْآن قَدْ دَلّ عَليْها"، فَيفَسّروْن بِمَا لَايَدلُّ عَلى المُرَاد مِنْ كَلَام الله، فهم وَإِنْ أَخطَوْا فِي الدَّليْل، لٰكِنَّهم أَصَابُوا فِي المَدلوْل -كَالصُّوفِيَّة وَالفُقهَاء-؛ وَمنهُم: مَنْ يَختَلِفُوْن لِخفَاء فِي الدَّليْل، أَوِ الذُّهوْل عَنْه؛ كَمَا ذَهَل عُمرُ بْن الخَطَّاب فِي حَادثَة وَفَاة النَّبيّ ﷺ عَنْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران١٤٤]، حَيْث قَالَ: "مَنْ قَالَ: إِنّ مُحمّدا قَدْ مَات، فَعلتُ بِه وَفعلْتُ"؛ فَالأخيْرَان مِمَّن "رُفِع عَنهم الخَطأ وَالنِّسْيَان". هٰذَا مَا ظَهَر لِي، فَإِنْ كَان صَوَابا فَمِن الله، وَإِنْ كَان خَطأً فَمنّي وَمِنَ الشَّيْطان.(مقدمة، شرح مقدمة، نفحات العبير بزيادة)

(١) قَوْله: (إِسْتِعْمَالاتِ العَرَب الأوَّلِيْن): وَفِي اسْتِعْمَالات العَرَب وَشُئُوْنهِم قَوَاعِدُ مُهِمَّة مَذْكُوْرَة فِيْ كُتُب هٰذَا الفَنّ بِعُنْوَان "وُجوْه المُخَاطبَات"، فَمَنْ شَاءَ فَلْيُرَاجِع "رَوْح القَدير فِيْ أُصُوْل التَّفْسِيْر".

(٢) قَوْله: (يَعْتَمِدَ كُلِّيًّا): وَفيْه قَوَاعِد: "قَولُ الصَّحَابِيِّ مُقَدّم عَلى غَيْرِهِ فِيْ التَّفْسِيْر وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُ السِّيَاقِ لا يَدُلُّ عَليْه"؛ "فَهْمُ السَّلَف لِلقُرْآنِ حُجَّةٌ يُحْتَكَمُ إِلَيْه، لاعَلَيْه"؛ "أَلْفَاظُ الشَّارِعِ مَحْمُوْلَةٌ عَلَى الْمَعَانِيْ الشَّرْعِيَّةِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَعَلَى الْعُرْفِيَّةِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَعَلَى اللُّغَوِيَّةِ". (رَوح القَدير)

(٣) قَوْله: (بِالسِّيَاق وَالسِّبَاقِ): وَفيْه قَاعِدَة: "قَدْ تَتَجَاذَبُ اللَّفْظَةُ الْوَاحِدَةُ: الْمَعْنٰى وَالإِعْرَابَ؛ فَيُتَمَسَّكُ بِصِحَّةِ الْمَعْنٰى، وَيُؤَوَّلُ لِصِحَّةِ الإِعْرَابِ". (رَوح القَدير)

(٤) قَوْله: (مَذْهَبَ سِيْبَوَيْه أَوْ مَذْهَبَ الفَرَّاء): هُوَ يَحْيىٰ بْن زِيَاد أَبُو زَكَرِيّا الكُوْفِي، المَعرُوْف =

وَقَدْ قَالَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِيْ مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء١٦٢]، "سَتُقِيْمُهَا العَرَبُ بِأَلْسِنَتِهَا"[1].

وَتَحْقِيْقُ هٰذِهِ الكَلِمَةِ عِنْدِيْ: أَنَّ مُخَالَفَةَ التَّعْبِيْرَاتِ المَشْهُوْرَةِ أَيْضًا تَعْبِيْرٌ صَحِيْحٌ؛ وَكَثِيْرًا مَا يَتَّفِقُ لِلعَرَب الأَوَّلِيْنَ: أَنْ يَجْرِيَ عَلَى أَلْسِنَتِهِم فِيْ أَثْنَاءِ الخُطَب وَالمُحَاوَرَاتِ مَا يُخَالِفُ القَاعِدَةَ المَشْهُوْرَة؛ وَلَمَّا نَزَلَ القُرْآن الكَرِيْمُ بِلُغَةِ العَرَب الأَوَّلِيْنَ، فَلاعَجَبَ: أَنْ جَاءَت اليَاءُ فِيْ مَوْضِعِ الوَاوِ أَحْيَانًا؛ أَوْ وَقَعَ المُفْرَدُ مَقَامَ التَّثْنِيَة، أَوْ وَرَدَ المُؤَنَّثُ مَقَامَ المُذَكَّر؛ فَالمُحَقَّق عِنْدِيْ: أَنْ يُفَسَّر ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بِمَعْنَى المَرْفُوْع. وَاللهُ أَعْلَمُ!

[٥ مَا يَتعلَّق بِالأَدبَاء فِيْ ذِكْر النِّكَات المُتعلِّقة بِالمَعَانِي وَالبَيَان]

وَأَمَّا المَعَانِي وَالبَيَانُ فَهُوَ[2] عِلْمٌ حَادِثٌ بَعْدَ انْقِرَاضِ عَصْرِ الصَّحَابَة وَالتَّابِعِيْنَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ-؛ فَمَا كَانَ مِنْهُ مَفْهُوْمًا فِيْ عُرْفِ جُمْهُوْرِ العَرَب فَهُوَ عَلَى الرَّأْس وَالعَيْن؛ وَأَمَّا مَا كَانَ مِنه مُخْفِيًّا لايُدْرِكُه إِلاَّ المُتَعَمِّقُوْنَ مِنْ أَرْبَابِ الفَنِّ، فَلانُسَلِّمُ: أَنَّهُ مَطْلُوْبٌ فِي القُرْآنِ الكَرِيْم[3].

= بِالفَرَّاء تُوفِي سَنَة: ٢٠٧هـ. (المعرِّب)

(١) قَوْله: (سَتُقِيْمُهَا العَرَب): وَالقَاعِدَةُ فِي هٰذَا البَاب: "مِنْ شَأْنِ الْعَرَبِ إِذَا تَطَاوَلَتْ صِفَةُ الْوَاحِدِ، الاِعْتِرَاضُ بِالْمَدْحِ وَالذَّمِّ بِالنَّصَبِ أَحْيَانًا وَبِالرَّفْعِ أَحْيَانًا"، يَعْنِيْ: "أَنَّ قَطع النُّعُوْت في مَقام المدح أو الذَّمّ أَبلغُ منْ إجرائِها علىٰ نَمْط وَاحِد"، قال الله تَعَالىٰ: ﴿لَّـٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ "وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ" وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [النساء١٦٢]، فقَوْله: ﴿وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ مِن صِفة ﴿ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾، ونُصِب عَلىٰ وَجْه المَدْح؛ وَقَالَ تَعَالىٰ: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ "حَمَّالَةَ الحَطَبِ"﴾ [الهب٤] هٰذا مِثَال الذَّمِّ. (قواعد التفسير)

(٢) قَوْله: (فَهُوَ): أرجع ضَمِيْر المُفرَد، لأَنَّهمَا كَعلم وَاحِد. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (فَلانُسَلِّمُ: أَنَّهُ مَطْلُوْبٌ): أَمَّا التَّفسِيْر بِوَفْق الْعلُوْم الْحَدِيْثَة فَجَائِز إِذَا كَانَت تِلْكَ الْعُلوْم مِمَّا يبْتَنِي عَلَى الْمُشَاهدَة، وَتحْتَملُهَا أَلْفَاظ الْقُرْآن، وَلايُصَادم مَعَ الْهَدف الْقُرْآني، كَمَا فِيْ قَوْلِهِ =

[٦] مَا يتعلَّق بِالصُّوفِيَّة فِيْ ذِكْرِ النِّكَات المُتعَلِّقَة بِعِلْم السُّلُوْك]

• مَا هُوَ مِنْ قَبِيلِ التَّفْسِيْرِ بِالإِشَارَةِ(١)

وَأَمَّا إِشَارَاتُ الصُّوْفِيَّةِ وَاعْتِبَارَاتُهُمْ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ فِيْ حَقِيْقَة الأَمْرِ مِنْ عِلْمِ التَّفْسِيْرِ(٢)؛ بَلْ يَحْدُثُ عِنْد اسْتِمَاعِ القُرْآنِ الكَرِيْم أَشْيَاءُ فِيْ قَلْبِ السَّالِك، وَتَتَولَّدُ

= تَعَالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ﴾ [الزمر٦]، وَقَوْله تَعَالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٨﴾ [النحل].

أَخبَر سُبْحانه وَتَعَالى فِي الآيَة الأوْلى: أَنَّ الجَنِيْن يُخلَق فِي بَطْن أُمّه فِي ظُلمَات ثَلَاث، فَفيْه إِشَارة إِلى مَا أَثْبَته عُلَماء الطِّبّ الحَديْث مِن: أَنَّ الجَنِيْن فِي بَطْن أُمّه مُحَاط بِثَلَاثة أَغشِيَة؛ فَلا بَأس أَنْ تُفسَّر الآيَة بِهٰذَا التَّحقِيْق؛ لأَنَّ لَفْظ القُرْآن يَحْتَمله، وَلايُصَادم مَع هٰذه. وَفِي الآيَة الثَّانيَة إِشَارَة إِلى المَصنُوْعات الحَديْثة مِن: الدَّرَاجَات النَّارِيّة وَالسَّيارَات وَالقِطَارَات وَالطَّيارَات وَالحَوَّامَات؛ لأَنَّ أَلْفَاظ الآيَة تَحْتَملهَا، وَلايُصَادم هٰذَا التَّفسِيْر مَع الهَدْف القُرْآني؛ بَلْ يُؤكِّده. (نفحات العبير، رَوح القدير)

(١) قَوْله: (التفسِيْر بِالإِشَارَة): وَالتَّفسِيْر بِالإِشَارَة جَائِز إِذَا لَم يَخْرُج عَنِ اللُّغَة العَرَبِيَّة، وَقَواعِدهَا النَّحْوِيّة وَالبَلَاغِيّة؛ وَنَمَاذِجُه كَثِيْرَة فِي كَلَام الصُّوفِيَّة.

شُرُوْط التَّفسِيْر الإِشَارِي: أَنْ يَّكوْن مَعْنى صَحِيْحًا فِي نَفْسه، وأَنْ يَّكُوْن فِي اللَّفْظ إِشْعَارٌ بِه، وَأَنْ يَّكُوْن لَه شَاهِد شَرْعِي يؤيّده، وَأَنْ يَّكوْن بَينَه وَبَيْن مَعْنى الآيَة ارْتِبَاط وَتَلَازُم؛ وَأَن لايناقِض مَعْنَى الآيَة، وَلايَكُوْن لَه مُعَارض شَرْعِي أَوْ عَقْلِي، وَأَنْ لّايُدّعى: أَنّه هُوَ المُرَادُ وَحْدَه دُوْن الظَّاهِر.

وَمِنْ أَمْثِلَته تَفسِيْر ابْن عَبَّاس وَعُمَر بْن الخَطَّاب سُوْرة النَّصْر بِأَنَّها قُرْب أَجَل رَسوْل اللهﷺ؛ وَفيْه قِصّة مَروِيّة فِي البُخَارِي: ٤٥٨٨، وَالتِّرمِذي: ٣٢٨٥. وَقَال ابن حَجَر مُعَلقا عَلى هٰذَا التَّفسِير: فِيْه جَوَاز تَأْوِيْل القُرْآن بِما يُفْهَم مِن الإِشَارَات، وَإِنَّمَا يتَمَكَّن مِن ذٰلِك مَنْ رسخَتْ قَدمُه فِي العِلْم؛ وَلِهٰذَا قَالَ عَلي: "أَوْ فَهْمًا يُؤتِيه الله رَجُلا بِالقُرْآن". انْتهى كَلَام ابْن حَجَر.

وَهٰذِه الإِشَارَات الخَفِيَّة تفتَح عَلى قُلوْب أَوْلِيَاء الله تَعَالى المُتَّقِين وَعِبَاده الصَّالِحِيْن، وَهٰذه الإِشَارَات لاتخَالف الظَّواهِر المُرَادة؛ بَلْ تَكوْن مُوَافِقة لِلظَّاهِر الثَّابِت عَنْ رَسوْل الله وَأَصْحَابه.

(فصول: ٨٥، نفحات: ١٣٤، رَوح القدير)

(٢) قَوْله: (مِنْ عِلْمِ التَّفسِيْر): قَالَ النَّسَفي: "وَأَمَّا مَا ذَهَب إِليْه بَعضُ المُحقِّقيْن -وَهُم الصُّوفيّة- مِن أَنَّ النُّصوْص مَصْرُوفَة عَلى ظَوَاهِرهَا، وَمَع ذٰلِك فِيْها إِشارَاتٌ خَفيَّة إِلى دَقَائِق تنكشِف عَلى أَرْبَاب السُّلوْك، يُمكِن التَّطبِيْق بَينَها وَبيْنَ الظَّوَاهِر المُرَادَة؛ فَهُوَ مِنْ كَمَال الإِيْمان وَمَحْض العِرْفَان"؛ وَأَمَّا =

تِلْكَ الأَشْيَاءُ فِيْ قَلْبِه: بَيْنَ النَّظْمِ القُرْآنِيِّ، وَبَيْنَ الحَالَة الَّتِيْ يَتَّصِفُ بِهَا، أَوْ بَيْنَ المَعْرِفَةِ الَّتِيْ يَمْلِكُهَا؛ كَمَثَلِ رَجُلٍ: يَسْمَعُ قِصَّةَ لَيْلَى وَالمَجْنُوْنِ، فَيَتَذَكَّرُ عَشِيْقَتَه، وَيَسْتَعِيْدُ الذِّكْرِيَّاتِ الَّتِيْ كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا.

فَنُّ الاعْتِبَار[1]:

وَهُنَا[2] فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ يَنْبَغِيْ الاطِّلاعُ عَلَيْهَا، وَهِيَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ "فَنَّ

= العُدُوْل عَنْ ظَوَاهِرِ النُّصوْص مِن الكِتَاب وَالسُّنَّة إِلى مَعَان يَدعيهَا المَلاحِدة فَهُوَ إِلحَادٌ وَعدُوْل عَن الإِسْلام. (شرح العقائد)

(١) قَوْله: (فَنّ الاعْتِبَار): اِعْلَمْ! أَنَّ الاعْتِبَار وَالاسْتِنبَاط فِيْ اصْطِلاح عُلَمَاء التَّفسِيْر وَعُلُوْم القُرْآن يَطلُق عَلىٰ مَعنَيَيْن:

الاعْتِبَار والاسْتِنبَات

١- بمَعْنى الاستِنْباط الأُصُوْلِي فِيْما يتعَلَّق بالعُلُوْم المُستَنبَطة مِن القُرآن الكرِيْم، ومِنْها أَحْكَامُه؛ وهٰذا الاستِنْباط يتعَلَّق بالدَّلالات اللَّفظِيَّة مُطابَقَةً وتضَمُّنًا والتِزَامًا.

٢- بمعَنىٰ استِخْراج دَلالة الآيَة علىٰ مَعْنىٰ فِيْ غَيْر مَحَلِّ النُّطق، لازِم لهُ، وهوَ المَقْصُوْد هنَا؛ هٰذا هُو "الاسْتِنبَاط عِنْد المُفسِّرِيْن"، وَهُو يَتعَلَّق بِالمَفهُوْم.

المَلحُوْظة: ثُمّ الدَّلالَة إِمّا لَفظِيَّة أَوْ غَيْر لَفظِيَّة، وَأَنْ شِئْت قُلْت: إِمَّا فِي مَحَل النّطق -فَهوَ المَنطُوْق- أَوْ فِي غَيْر مَحَل النُّطق -فَهُو المَفهُوْم-؛ فَاللَّفظِيّة أَوِ المَنطُوْق إِمَّا لَاتَدُل عَلىٰ كَمَال المَعْنى المَوْضوْع لَه فَمُطابَقَة، أَوْعَلىٰ بَعْض المَعْنى المَوْضوْع لَه فَتَضَمُّن؛ أَمَّا الدَّلَالَة الغَيْر اللَّفظِيّة أَوِ المَفهُوْم هِيَ دَلَالَة الالتِزَام.

فَالمُفسِّر يبْدَأُ بِتفْسِيْر أَلفَاظ القُرْآن وَبَيَان المُرَاد مِنْها، إِمَّا مُطابقَة أَوْ تَضَمُّنا؛ وَهٰذا مِنْ بَاب دَلالَة اللَّفظ فِيْ مَحَل النُّطق، وَالمُعبَّر عِنْد الأُصُوْلِيِّيْن بـ"المَنطُوْق"؛ ثُمَّ ينْتَقلُ إِلىٰ تَقرِيْر مَعانِيْها بِحَسَب لَازِمها، وَهٰذا مِنْ بَاب دَلالَة اللَّفظ فِي غَيْر مَحَلّ النُّطق، وَهُو المُعبّر عَنه عِنْد الأُصُوْلِيِّيْن بِالمَفْهُوْم؛ فَالأَوَّل تَفسِيْر وَالثَّاني اِستِنْباط.

ثُمَّ استِنْبَاط الأُصولِيِّيْن يتَعَلَّق بِدلَالَة المَنطُوْق وَالمَفهُوْم، لِأَنّ مُرَادَهمْ فِيْه إِستِخْراج دَلالَة الآيَة عَلى الحُكْم، وَهُو خَاصّ بِمَا يتَعَلَّق بِالأَحْكَام الفِقهِيَّة، وَلِذٰلِك سَمّوه بِأَحْكَام القُرْآن؛ وَأَنّ إِستِنْبَاط المُفسِّرِيْن فَهُو يتَعَلَّق بِالمَفهُوْم، وَلايخُصُّونه بِالأَحْكَام بَلْ يشْمَل جَمِيْع العُلُوْم الَّتِيْ يَدُلّ عَليهَا القُرْآن الكَرِيْم. فَعلِم: أَنّ بَينَهُما عُمومًا وَخُصوصا، لأَنَّ كُلّ استِنْبَاط فِي التَّفسِيْر هُوَ استِنبَاط أُصُوْلي، وَلا عَكْس.

وَمِنْ أَمْثِلَتِه: إِستِنْبَاط صِحَّة انْكِحَة الكُفَّار فِيْما بَينَهُم مِنْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَامْرَأَتُه حَمَّالَة الحَطَب﴾ [اللهب:٤]؛ وَكَاسْتنْبَاط أَنَّ الله خَالِق لِأَفْعَال العِبَاد مِنْ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الدهر:٣٠] =

الاعْتِبَار"[1] مُعْتَبَرًا، وَسَلَكَ ذٰلِكَ المَنْهَجَ، لِيَكُوْن: سُنَّةً لِعُلَمَاءِ الأُمَّة، وَفَتْحًا لِبَابِ العُلُوْمِ المَوْهُوْبَةِ لَهُمْ[2]:

١- كَمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ تَمَثَّلَ بقَوْله تَعَالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝﴾ [الليل]، فِيْ مَسْئَلَة القَدَر[3]، وَإِنْ كَانَ مَنْطُوْقُ الآيَةِ: أَنَّ مَنْ عَمِلَ بِهٰذِه الأَعْمَالِ نَهْدِيْه إِلىٰ طَرِيْقِ الجَنَّةِ النَّعِيْمِ، وَمَنْ عَمِلَ بِضدِّهَا نَفْتَحُ لَهُ طَرِيْقَ النَّار وَالتَّعْذِيْبِ؛ وَلٰكِنْ يُمْكِنُ أَنْ يُّعْلَمَ بِطَرِيْقِ "الاعْتِبَار[4]": أَنَّ اللهَ تَعَالىٰ خَلَقَ كُلَّ أَحَدٍ لِحَالَةٍ خَاصَّة، وَيُجْرِى عَلَيْه تِلْكَ الحَالَةُ مِنْ حَيْثُ يَدْرِيْ أَوْ لايَدْرِيْ؛ فَبِهٰذَا الاعْتِبَارِ كَانَ لِهٰذِهِ الآيَةِ الكَرِيْمَة ارْتِبَاطٌ بِمَسْئَلَة القَدَرِ.

= مَعَ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص٦٨]؛ فَإِذَا ثَبَت: أَنَّه يَخْلُق مَا يَشَاء، وَأَنَّ مَشيئَة العَبْد لا تَحْصُل إِلَّا إِذَا شَاء الله؛ أَنْتَج: أَنَّه تَعَالىٰ خَالِق لِمَشِيْئَة العَبْد. (الاستنباط عند المفسرين)

(٢) قَوْله: (وَهُنَا فَائِدَةٌ مُهِمَّةٌ): أَيْ عِنْد ذِكْر اعْتِبَارَات الصُّوفِيَة. (المعرِّب)

(١) قَوْله: (فَنّ الاعْتِبَار): الاعْتِبَار: هُوَ العبُوْر وَالانْتِقَال مِنَ الشَّيْء إِلىٰ غَيْرِه؛ وَهُوَ أَعَمّ مِنَ القِيَاس الشَّرعِي. (المعرِّب)

قَال الحَافِظ ابْنُ حَجَر فِيْ شَرْح مَارَواه البُخَارِي: (٤٩٧٠) عَنْ ابنِ عَبَّاس فِيْ تَفْسِير سُوْرَة النَّصْر: وَفِيْه جَوَاز تَأْوِيْل القُرْآن بِمَا يُفْهَم مِنَ الإشَارَات، وَإِنَّمَا يَتَمَكَّن مِنْ ذٰلِك مَنْ رُسِخَتْ قَدَمُه فِي العِلْم، وَلِهٰذا قَالَ عَلِيٌّ: "أَوْ فَهْمًا يُؤْتِيَه اللهُ رَجُلا فِي القُرْآن". (فتح الباري)

(٢) قَوْله: (سُنَّةً لِعُلَمَاءِ الأُمَّة): اعْلَمْ! أَنَّ الاعْتبَار وَالتَّفسِيْر الإشَارِي مِن الأَلْفَاظ المُتَرَادِفَة، وَهٰذَا مِن قَبِيْل الرَّأْي المَمدُوْح، وَهُوَ مِن المَآخِذ المُعْتَبَرة فِي التَّفْسِير؛ وَقَد ذَكَرْتُ تَفصِيْلها فِيْما قبل.

(٣) قَوْله: (فِيْ مَسْئَلَة القَدْر): كَمَا أَخْرَج البُخَارِي عَنْ عَلِيٍّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّه كَانَ فِيْ جِنَازَة، فَأَخَذَ عُوْدًا فَجَعَل يَنْكُتُ فِيْ الأَرْض، فَقَالَ: "مَا مِنْكُم مِنْ أَحَد إِلاَّ كُتِبَ مَقْعَدُه مِنَ النَّار أَوْ مِنَ الجَنَّة"؛ قَالُوْا: أَفَلا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: اعْمَلُوا! فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ الآيَة. (البخاري: ٧٥٥٢)

(٤) قَوْله: (بِطرِيْق الاعْتِبَار) وَيشْتَرَطُ فِي اسْتنْبَاط المُفسِّرِيْن: ١- أَنْ لايُخَالِف التَّفسِيْر بِالمَأثُوْر مُخَالفَة تَضَادٍ، ٢- أَنْ تَتَفِق مَعَ سِيَاق الآيَة وَسِبَاقهَا، ٣- أَنْ لايتَنَافىٰ مَعَ دَلالَة الأَلْفَاظ مِنْ حَيْث اللُّغَة، ٤- أَنْ لايتعَارَض مَعَ الشَّرْع، ٥- أَنْ لايُؤَدِّي إِلىٰ نُصْرَة أَهْل البِدْع وَالأَهْوَاء المَذمُوْمَة؛ وَهٰذِه الشُّرُوْط مَطلُوْبَة فِيْ التَّفسِيْر بِالرَّأي أَيْضا. (الاستنباط عند المفسرين ملخصا)

٢- وَكَذٰلِكَ قَوْله تَعَالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝﴾ [الشمس]، فَالمَعْنَى المَنْطُوْقُ لِهٰذِه الآيَة الكَرِيْمَةِ: أَنَّ اللهَ تَعَالىٰ عَرَّفَ كُلَّ نَفْسٍ بِالبِرِّ وَالإِثْمِ؛ وَلٰكِنْ لَمَّا كَانَتْ: بَيْنَ خَلْقِ الصُّوْرَة العِلْمِيَّة لِلبِرِّ وَالإِثْم، وَبَيْن البِرِّ وَالإِثْمِ -المَوْجُوْدَيْن بِالإِجْمَال وَقْتَ نَفْخ الرُّوْحِ- مُشَابَهَةٌ يُمْكِنُ الاسْتِشْهَادُ بِهٰذِه الآيَةِ فِيْ مَسْئَلَة القَدَرِ أَيْضًا مِنْ طَرِيْقِ الاعْتِبَار[1]. وَاللهُ أَعْلَم!

الفَصْلُ الثَّالِثُ

فِي بَيَانِ غَرَائِبِ القُرْآنِ الكَرِيْم[2]

لِيُعْلَمْ! أَنَّ غَرَائِبَ القُرْآنِ الكَرِيْم -الَّتِيْ خُصِّصَتْ فِي الأَحَادِيْث بِمَزِيْدٍ مِنَ الاهْتِمَام وَبِبَيَان الفَضْلِ[3]- أَنْوَاعٌ:

١- فَالغَرِيْبَةُ فِيْ فَنِّ التَّذْكِيْر بِآلاءِ الله: هِيَ آيَةٌ جَامِعَةٌ لِجُمْلَة عَظِيْمَةٍ مِنْ صِفَات الحَقِّ تَعَالىٰ، مِثْلُ: آيَة الكُرْسِيِّ، وَسُوْرَةِ الإِخْلاصِ، وَآخِرِ سُوْرَةِ الحَشْر، وَأَوَّلِ سُوْرَة المُؤْمِن.

٢- وَالغَرِيْبَةُ فِيْ فَنِّ التَّذْكِيْر بِأَيَّامِ اللهِ: هِيَ آيَةٌ يُبَيَّنُ فِيْهَا قِصَّةٌ نَادِرَةٌ، أَوْ قِصَّةٌ مَعْلُوْمَةٌ بِجَمِيْعِ تَفَاصِيْلِهَا، أَوْ قِصَّةٌ جَلِيْلَةُ الفَوَائِد الَّتِيْ تَكُوْنُ مَحَلًّا لِلاعْتِبَارَاتِ الكَثِيْرَة؛ وَلِهٰذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيْ قِصَّةِ مُوْسىٰ وَالخَضِر[4] -عَلَيْهِمَا السَّلَامُ-: "وَدِدْنَا أَنَّ

(١) قَوْله: (مِنْ طَرِيْق الاعْتِبَار): وَأَثْبَت النَّبِيّ ﷺ بِهٰذِهِ الآيَة مَسْئَلَة القَدْر وَقَالَ: "وَتَصدِيْقُ ذٰلِكَ فِيْ كِتَاب الله عَزّ وَجَلّ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝﴾ [الشمس]".

(صحيح مسلم: ٢٦٥٠)

(٢) قَوْله: (غَرَائِب): الغَرَائِب جَمْع: غَرِيْبَة، تَأْنِيْث الغَرِيْب مَن غَرُبَ الكلمُ غَرَابَةً: خَفِي؛ وَالمُرَاد هُنَا: الطَّرِيْقَة النَّادرَة البَدِيْعَة (انوکهى بات)۔ (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (بِبَيَان الفَضْل): أَي: السُّوَر وَالآيَات الَّتِيْ وَرَد فِيْها فَضْل خَاصّ، وَلَهَا مِيزة خَاصّة. (المعرِّب) =

مُوسَىٰ كَانَ صَبَرَ حَتَّىٰ يَقُصَّ اللهُ عَلَيْنَا مِنْ خَبَرِهِمَا"(١). [صحيح البخاري:٦٨٧]

٣- وَالغَرِيْبَةُ فِيْ فَنِّ التَّذْكِيْرِ بِالمَوْتِ وَمَا بَعْدَه: هِيَ آيَةٌ تَكُوْنُ جَامِعَةً لأَحْوَالِ القِيَامَة مَثَلًا، وَلِذَا وَرَدَ فِي الحَدِيْثِ الشَّرِيْف: "مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأي عَيْنٍ، فَلْيَقْرَأْ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ۝١﴾، وَ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ۝١﴾، وَ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١﴾"(٢). [الترمذي: ٣٣٣٣]

٤- وَالغَرِيْبَةُ فِيْ فَنِّ الأَحْكَام: هِيَ آيَةٌ تَكُوْنُ مُشْتَمِلَةً عَلىٰ بَيَانِ الحُدُوْد، وَتَعْيِيْنِ الأَوْضَاع الخَاصَّةِ، كَمِثْل تَعْيِيْن مِائَةِ جَلْدَةٍ فِيْ حَدِّ الزِّنَا، وَتَعْيِيْنِ ثَلاثِ حِيَضٍ أَوْ ثَلاثَةِ أَطْهَارٍ لِعِدَّةِ المُطَلَّقَة، وَتَعْيِيْنِ أَنْصِبَاءِ المَوَارِيْث.

٥- وَالغَرِيْبَةُ فِيْ فَنِّ الجَدَل: هِيَ آيَةٌ يَرِد فِيْهَا سَوْقُ الجَوَاب بِنَهْج غَرِيْبٍ، يَقْطَعُ الشُّبْهَة بِأَبْلَغَ وَجْهٍ، أَوْ يُبَيِّنُ فِيْهَا حَالُ فَرِيْقٍ مِنْ تِلْكَ الفِرَق بِمَثَل وَاضِحٍ، كَقَوْله تَعَالىٰ: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة۝١٧]؛ وَكَذَا يُبَيِّنُ فِيْهَا شَنَاعَةُ عِبَادَة الأَصْنَام، وَالفَرْقُ بَيْن مَرْتَبَةِ الخَالِقِ وَالمَخْلُوْق، وَالمَالِكِ وَالمَمْلُوْك بِأَمْثِلَة عَجِيْبَةٍ؛ أَوْ إِحْبَاطُ أَعْمَالِ أَهْل الرِّيَاء وَالسُّمْعَةِ بِأَبْلَغ وَجْهٍ.

وَغَرَائِبُ القُرْآن لَيسَتْ بِمَحْصُوْرَةٍ فِي الأَبْوَاب المَذْكُوْرَة، فَأَحْيَانًا تَكُوْنُ غَرِيْبَةً مِنْ جِهَةِ بَلاغَةِ القُرْآن، وَأَنَاقَةِ أَسْلُوْبِه، مِثْلُ سُوْرَةِ الرَّحْمٰن؛ وَلِهٰذَا سُمِّيَتْ فِي الحَدِيْثِ بِـ"عَرُوْسِ القُرْآن"(٣)؛ وَأَحْيَانًا تَكُوْنُ غَرِيْبَةً مِنْ جِهَة تَصْوِيْرِ صُوْرَةِ سَعِيْدٍ وَشَقِيٍّ.

= (٤) قَوْله: (الخَضِر): الخَضِر -بِفتْح فَكَسر- الزَّرْع الغَضُّ الأَخْضَر؛ سُمِّي العَبْد الصَّالح بِه لأَنَّه قَعَد مَرّة فِي مَكَان يَابِس، فَاخضَرت الأَرْض كَمَا فِي رِوايَة البُخارِي، رقم الحَديث:٣٤٠٢. (المعرِّب)

(١) قَوْله: (وَدِدْنَا أَنَّ إلخ): صحيح البخاري: ٦٨٧، كِتَاب التفسِيْر فِي تَفسِيْر سُوْرة الكَهْف. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (إِذَا الشَّمْس إلخ): سنن الترمذي، ٢: ١٦٨. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (بِعَرُوْسِ القُرْآن): المشكوٰة: ١٨٩ فِي فَضَائل القُرْآن. (المعرِّب)

ظَهْرُ القُرْآنِ وَبَطْنُهُ

لَقَدْ وَرَدَ فِي الحَدِيْثِ الشَّرِيْف: "لِكُلِّ آيَةٍ مِنهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ(١)، وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ، وَلِكُلِّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ"(٢)؛ فَيَنْبَغِيْ أَنْ يُّعْلَمَ أَنَّ ظَهْرَ هٰذِهِ العُلُوْم الخَمْسَةِ: هُوَ مَدْلُوْلُ الكَلامِ وَمَنْطُوْقُه(٣)؛ وَالبَطْنُ:

١- فِي التَّذْكِيْر بِآلاءِ اللهِ: هُوَ التَّفَكُّرُ فِيْ آلاءِ اللهِ، وَمُرَاقَبَةُ الحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ.

٢- وَفِي التَّذْكِيْرِ بِأَيَّامِ اللهِ: هُوَ مَعْرِفَةُ مَنَاطِ المَدْحِ وَالذَّمِّ، وَالثَّوَابِ وَالعِقَابِ

---

(١) قَوْله: (ظَهْرٌ وَبَطْنٌ): وَالمُرَاد بِالظَّهْر وَالبَطْن: أَنَّ ظَهْرهَا مَا ظَهَر مِن مَعَانِيْها لأَهْل العِلْم بِالظَّاهِر، وَبَطنهَا: مَا تَضمَّنه مِن الأَسْرَار الَّتِي أَطْلَع الله عَلَيْها أَرْبَاب الحَقائِق؛ وَقَالَ بَعضهُم: الظَّاهِر التِّلاوَة، وَالبَاطِن الفَهْم. (مباحث)

وَقَالَ الأُسْتَاذ مُحَمَّد حُسَيْن الذَّهبِي: إنّ القُرْآن الكَرِيْم لَه ظَهْر وَبَطن؛ أَيْ: ظَهْرٌ يفْهَمه كُلُّ مَن يعْرِفُ اللِّسانَ العَرَبِي، وَبَطنٌ يفْهَمه أَصْحَاب المَوْهِبَة، وَأَرْبَابُ البَصائِر؛ غَيرَ أَنَّ المَعَانِي البَاطنَة لِلقُرْآن لاَتقِف عِنْد الحَدّ الَّذِيْ تَصِل إِلَيْه مَدارِكُنا القَاصِرَة؛ بَلْ هِي أَمْر فَوْق مَا نَظنُّ، وَأَعْظَم مِمَّا نَتصَوّر.

(التفسير والمفسرون بحوالة نفحات العبير)

وَقَالَ شَيْخنَا يُونُس التَّاجفُوْري: لِكُلِّ آيَةٍ ظَهْر بحسَب التَّفسِير بالدِّرايَة، وبطنٌ بحسَب التفسَير بالإشَارة، وَمَعْنى قولهِ عَليْه السَّلام: "ولكلِّ حَدٍّ مطَّلَعٌ"، أي: لكلِّ حدٍّ من الدِّراية والإشارَة مُطَّلَع مِن العُلوْم الظاهِرة والبَاطنَة.

(٢) قَوْله: (مُطَّلَع): رَوَاه الطِبرَاني فِي الكَبِيْر وَالبَغوِي فِي شَرْح السُّنَّة: ٣٤٣٣، وَرَمز لَه السيُوْطي فِي الجَامِع الصَّغيْر بـ(ح) أي أَنَّه حَدِيْث حَسَن؛ وَأَوّله: "أُنزِلَ القُرْآن عَلىٰ سَبْعة أَحْرُف، لِكُلِّ حَرْف مِنْها إلخ"، وَفِي رِوايَة: لِكلّ آيَة مِنْها إلخ. (المعرِّب)

(٣) قَوْله: (هُوَ مَدْلُوْلُ الكَلام): فالتَّفسِيْر عَلىٰ ثَلاثَة أَنْوَاع: لأَنَّ التَّفسِيْر إِنْ كَانَ بِمَا جَاءَ فِي القُرْآن أَوِ السُّنَّة أَوْ مِنْ كَلَام الصَّحَابَة، فَهُو "تَفسِيْر بِالرِّوَايَة" -وَيسَمّٰى "التفْسِيْر بِالْمَأثوْر" أَيْضًا-، مُسْتَنِدًا إِلىٰ ما يَجِب الاسْتِنَادُ إِلَيْه؛ وَإِنْ كَانَ مُسْتَنْبَطا مِنَ الْاجتِهَاد، فَهُو "تَفسِيْر بِالدِّرَايَة"؛ وَمَا اسْتُنبِط مِنَ الدَّقائِق وَالْأَسْرَار بِإِشَارَة خَفِيَّة، فَهُو "تَفسِيْر بِالْإِشَارَة"؛ وَهوَ جَائزٌ لِمَا روِي عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: لِكُلِّ آيَة ظَهْرٌ وبَطْنٌ. (رَوح القدير)

مِنْ تِلْكَ القِصَص، وَالاتِّعَاظ بِهَا.

٣- وَفِي التَّذْكِيْر بِالجَنَّة وَالنَّار: هُوَ ظُهُوْرُ الخَوْفِ وَالرَّجَاء، وَجَعْلُ تِلْكَ الأُمُوْر كَأَنَّهَا بِمَرْأَى مِنْهُ.

٤- وَفِيْ آيَاتِ الأَحْكَامِ: هُوَ اسْتِنْبَاطُ الأَحْكَامِ الخَفِيَّةِ بِالفَحَاوَى وَالإِيْمَاءَات.

٥- وَفِيْ مُحَاجَّةِ الفِرَقِ البَاطِلَة: هُوَ مَعْرِفَةُ أَصْلِ تِلْكَ القَبَائِح، وَإِلْحَاقِ مِثْلِهَا بِهَا.

وَمُطَّلَعُ الظَّهرِ: هُوَ مَعْرِفَةُ لُغَةِ العَرَب، وَالآثَارِ المُتَعَلِّقَةِ بِعِلْم التَّفْسِيْر.

وَمُطَّلَعُ البَطْنِ: هُوَ لُطْفُ الذِّهْنِ، وَاسْتِقَامَةُ الفَهْم، مَعَ: نُوْرِ البَاطِنِ، وَسَكِيْنَةِ القَلْب. وَاللهُ أَعْلَم!

الفَصْلُ الرَّابِع

فِيْ بَيَانِ بَعْضِ العُلُوْمِ الوَهَبِيَّة

مِنَ العُلُوْمِ الوَهَبِيَّة فِيْ عِلْمِ التَّفْسِيْر الَّتِيْ سَبَقَتِ الإِشَارَة إِلَيْهَا:

١- تَأْوِيْلُ قِصَصِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيهِمُ السَّلَامُ، -وَلِلْفَقِيْرِ فِيْ هٰذَا المَوْضُوْعِ رِسَالَةٌ مُسَمَّاةٌ بِتَأْوِيْلِ الأَحَادِيْثِ[1]-؛ وَالمُرَاد مِنَ التَّأْوِيْل: هُوَ أَنْ يَكُوْنَ لِكُلِّ قِصَّةٍ وَقَعَتْ مَبْدَأٌ مِنْ اسْتِعْدَادِ الرَّسُوْلِ وَاسْتِعْدَادِ قَوْمِه بِحَسَب تَدْبِيْرِ اللهِ الَّذِي أَرَادَهُ فِيْ ذٰلِكَ الوَقْت؛ وَكَأَنَّهُ أَشَارَ إِلَىٰ هٰذَا المَعْنَى فِيْ قَوْلِه تَعَالَىٰ: ﴿وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف٦].

٢- وَمِنْهَا: تَنْقِيْحُ العُلُوْمِ الخَمْسَةِ الَّتِيْ هِيَ مَنْطُوْقُ القُرْآنِ العَظِيْم؛ وَقَدْ مَرَّ تَفْصِيْلُهَا فِيْ أَوَّلِ الرِّسَالَة، فَلْيُرْجَعْ إِلَيْهِ.

(١) قَوْله: (الأَحَادِيْث): رِسَالَة مَطبُوْعة، قَصَد المُصنِّف فِيْها إِثْبَات المُعجِزَات وَالتَّدلِيْل عَلَيْها لِلفَلَاسَفَة وَالعقلَانِيّيْن؛ وَلٰكِن تَأوِيْلَاته فِيْها لا يتفق كُلّيًا مَع ظَوَاهِر النُّصُوْص، فَلْيُتنبَّه لَه. (المعرِّب)

٣- وَمِنْهَا: تَرْجَمَةُ القُرْآنِ الكَرِيْمِ[١] بِاللُّغَةِ الفَارْسِيَّةِ، بِوَجْهٍ قَرِيْبٍ مِنَ النَّصِّ العَرَبِيِّ فِيْ مِقْدَارِ الكَلِمَات، وَفِي التَّخْصِيْصِ وَالتَّعْمِيْم، وَغَيْرِ ذٰلِكَ[٢]؛ وَسَمَّيْتُهَا

---

(١) قَوْله: (تَرْجَمَةُ القُرْآنِ الكَرِيْمِ): التَّرْجَمَة: هُوَ التَّعبِيْر عَنِ الكَلَام بِلُغَة أُخْرى؛ وَتَرْجَمَة القُرْآن: هُوَ التَّعبِيْر عَنْ مَعْنَاه بِلُغَة أُخْرى.

وَالتَّرْجَمَة الحَرْفِيَّة لِلقُرْآن حَرَام، وَالتَّرْجَمَة المَعْنَوِيَّة بِالمَعَانِي الأَصْلِيَّة جَائِزَة، بَلْ وَاجِبة؛ وَالتَّرْجَمَة المَعْنَوِيَّة بِالمَعَانِي الثَّانَوِيَّة غَيْر مَيسُوْرة؛ وَتفْصِيْله: أَنَّ التَّرْجَمَة نَوْعَان:

أَحدهُمَا: تَرْجمةٌ حَرْفِيَّة، وَذٰلِك بِأَن تُوْضَع تَرْجَمَة كُلِّ كَلِمةٍ بِإِزَائِها، بِحَيْثُ يَكُوْن النَّظْم مُوَافِقًا لِلنَّظْم، وَالتَّرْتِيْبُ مُوَافِقا للتَّرْتِيْب، مثْلُ أَن يُتَرْجَم: ﴿إِنَّا﴾، ثمَّ ﴿جَعَلْنَٰهُ﴾، ثمَّ ﴿قُرْءَٰنًا﴾، ثمَّ ﴿عَرَبِيًّا﴾. [الزخرف: ٣]، وَهٰكَذَا.

وَثَانِيهمَا: تَرْجمةٌ معْنَوِيَّة أو تَفْسِيْرِيَّة، وذٰلك بأَن يُعبَّر عن معنَى الكلامِ بلُغَة أُخْرى مِنْ غَيْر مُرَاعَاة النَّظْم -أَي: المُفْرَدات-، وَالتَّرْتِيْب؛ وهِيَ قَرِيْبَة مِنْ مَعْنَى التَّفْسِيْر الإجْمَالِي.

وَبِحَسَب التَّرْجَمَة المَعْنَوِيَّة لِلقُرْآن المَجِيْد مَعَانٍ: أَصْلِيَّةٌ، وثانَوِيَّةٌ؛ فَالمُرَاد بِالمَعَانِي الأَصْلِيَّة: المَعَانِي الَّتِيْ يَسْتَوِي فِيْ فَهمِها كُلُّ مَن عرَف مَدْلُوْلاتِ الأَلْفَاظ المُفْرَدَة، وَعرَف وُجُوْه تَرَاكِيْبِها مَعْرِفةً إِجْمَالِيَّة؛ وَالمرَادُ بِالمَعَانِي الثَّانَوِيَّة: خَوَاصّ النَّظْم الَّتِيْ يَرْتَفِع بِهَا شَأْنُ الكَلام، وبِهَا كَانَ القُرْآنُ مُعْجِزا.

أَمَّا التَّرجمةُ المَعْنَوِيَّة بِالمَعَانِي الأَصْلِيَّة لِلْقُرْآن، فَهِي جَائِزَة؛ بَلْ قَدْ تجِبُ حِيْن تَكُوْنُ وَسِيْلةً إِلىٰ إِبْلَاغ القُرْآن وَالإِسْلَام لِغَيْر النَّاطِقِيْن بِاللُّغَة العَرَبِيّة؛ لٰكِن يُشْتَرط لجِوَازِ ذٰلِكَ شُرُوْط:

١- أَنْ يَكُوْن المُتَرْجِم عَالِمًا بمَدْلُوْلَات الأَلفَاظ فِيْ اللُّغَتَيْن -المُتَرْجَم مِنْها، وَإِلَيْها-، ومَاتَقْتَضِيْه حَسْب السِّيَاق؛ ٢- أَنْ يَكُوْن عَالمًا بمَعَانِي الأَلفَاظ الشَّرْعِيَّة فِيْ القُرْآن؛ ٣- أَنْ لاتجْعَل بَدِيْلا عَنِ القُرْآن بحَيْث يُسْتَغْنى بِهَا عنهُ؛ وعَلىٰ هٰذَا فَلابُدّ: أَنْ يُكْتَب القُرْآن بِاللُّغَة العَرَبِيَّة، وإِلىٰ جَانِبِه هٰذِه التَّرْجمةُ لتَكُوْن كالتَّفسِيْر لَه. (رُوح القدير)

الملحوظة: وأَيْضًا لاتُقْبَل التَّرْجمة لِلقُرْآن إلاَّ مِنْ مَأْمُوْن عَلَيْها بحَيْث يَكُوْن مُسْلِمًا مُسْتَقِيمًا فِيْ دِيْنِه.

(٢) قَوْله: (وَغَيْرِ ذٰلِكَ): اعلَمْ! أَنَّ القُرْآن الكَرِيْم فِي قِمَّة العَرَبِيَّة فَصَاحةً وَبَلاغَة، وَلَه مِن: خَوَاصّ التَّرَاكِيْب، وَأَسْرَار الأَسَالِيْب، وَلَطَائف المَعَانِي، وَآيَات إعْجَازه مَا لايسْتَقِلُّ بِأَدَائه لِسَانٌ؛ فَلهٰذَا لا يجِد المَرْء أَدْنىٰ شُبْهةٍ فِي حُرْمة تَرْجَمَة القُرْآن تَرْجمةً حَرفِيَّة؛ فَالقُرْآن: كَلام الله المُنَزَّل عَلىٰ رَسُوْله، المُعجِزُ بِأَلفَاظِه وَمَعَانِيْه، المُتَعَبّد بِتِلَاوتِه؛ فَلَنْ يَتأَتَّى الإعْجازُ بِالتَّرْجَمة إِذَا تُرْجِمَت؛ فَتَرْجمةُ القُرْآنِ الحَرْفِيَّةُ -مَهْما كَان المُتَرْجِم عَلىٰ دِرايةٍ بِاللُّغاتِ وَأَسَالِيْبها وَتَرَاكِيْبِها- تُخْرِج القُرْآنَ عَنْ أَنْ يَكُوْن قُرْآنا.

(مباحث، أُصول)

بِـ"فَتْحُ الرَّحْمٰنِ فِيْ تَرْجَمَةِ القُرْآنِ"، وَقَدْ تَرَكْتُ هٰذَا الشَّرْطَ فِيْ بَعْضِ المَوَاضِع خَوْفًا مِنْ عَدَم فَهْمِ القَارِئْ بِدُوْنِ تَفْصِيْلٍ.

٤- وَمِنْهَا: عِلْمُ خَوَاصِّ القُرْآنِ الكَرِيْم؛ وَقَدْ تَكَلَّمَ جَمَاعَةٌ مِنَ المُتَقَدِّمِيْن فِيْ خَوَاصِّ القُرْآنِ مِنْ وَجْهَيْنِ: وَجْهٍ كَالدُّعَاء، وَوَجْهٍ كَالسِّحْر، أَعُوْذُ بِاللهِ مِنْه.

وَقَدْ فَتَحَ اللهُ عَلَى الفَقِيْر بَابًا -وَرَاءَ مَا نُقِلَ مِنْ خَوَاصِّ القُرْآن-، وَوَضَعَ فِيْ حِجْرِي جَمِيْعَ الأَسْمَاءِ الحُسْنى، وَالآيَاتِ العُظْمى، وَالأَدْعِيَةَ المُبَارَكَة مَرَّةً وَاحِدَة، وَقَالَ: "هٰذَا عَطَاؤُنَا لِلاسْتِعْمَال"؛ وَلٰكِنْ كُلُّ آيَةٍ وَاسْمٍ وَدُعَاءٍ مَشْرُوْطٌ بِشُرُوْطٍ لاتَضْبَطُهَا قَاعِدَةٌ؛ بَلْ قَاعِدَتُهَا: "اِنْتِظَارُ عَالَمِ الغَيْبِ"، كَمَا يَكُوْنُ فِيْ حَالَةِ الاسْتِخَارَةِ؛ حَتّٰى يَنْظُرَ بِأَيِّ آيَةٍ أَوْ اسْمٍ يُشَارُ إِلَيْهِ مِنْ عَالَمِ الغَيْب، فَيقْرَأ[1] تِلْكَ الآيَةَ أَوِ الاسْمَ عَلىٰ طَرِيْقَةٍ مُقَرَّرَةٍ عِنْدَ أَهْلِ الفَنِّ.

وَهٰذَا مَا قَصَدْتُ إِيْرَادَهُ فِيْ هٰذِهِ الرِّسَالَة؛ وَالحَمْدُ لِلّٰهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا[2].

---

(١) قَوْله: (فَيَقْرَأ): أَيْ للمَرِيض أَوْ لنَفسه؛ فَهٰذَا مِن الرُّقَى المَسنُوْنة. (المعرِّب)

(٢) قَوْله: (وَبَاطِنًا): وَالفَصْل الخَامِس الَّذِيْ يبْحَث فِيْه عَن الحُرُوف المَقطَّعَات خَارِج مِن البَاب الرَّابِع، كَمَا يَدُلّ عَلَيْه هٰذَا الاختتَام، وَكَذا لَيْس بِشَامِل فِي الدَّرْس فَلذَا حَذفْنَاه مِنَ الكِتَاب، إِذْ لَيْس فِيْه كَبِيْر فَائدَة. (المعرِّب)

وَالحَمْد لِله الَّذِيْ بِنعْمَته تَتمُّ الصَّالحَات وَصَلى الله عَلى النَّبِيّ الكَرِيْم وَآلِه وَصَحْبه أَجْمعِيْن وَالحَمْد لله رَبّ العَالمِيْن.

فهرس الكتاب

الرقم	العناوين	الصفحة
١	تَقرِيظ للشَّيخ نُور عالَم خَليل الأمِيني أَطَالَ اللهُ بقَاءَهُ	٣
٢	تَرجَمَةُ الإِمَامِ المُصَنِّفِ فِي سُطُورٍ	٥
٣	مُقَدَّمَةُ المُعَرِّب	٧
٤	التَّصْدِير	٩
٥	التَّقْدِمَةُ	١٣
٦	مُقَدَّمَة الكِتَابِ	١٧
	البَابُ الأَوَّل	
١	**البَابُ الأَوَّل فِي بَيَان العُلُوْم الخَمسَة**	٢٣
٢	العُلوْم التِيْ يَحتَاج إِلَيْها المفسِّر(التعليق)	٢٣
٣	لَفْظ عُلوْم القُرْآن يطْلق عَلىٰ مَعْنيَيْن(التعليق)	٢٣
٤	أَسْلُوْب القُرْآن الكَرِيْم فِيْ عَرْض العُلُوْم الخَمْسَة	٢٦
٥	أَسْلُوْب العَرَب الأَوَّلِيْن(التعليق)	٢٦
٦	الكَلَامُ عَلىٰ قِسْمَيْ أَسْبَابِ النُّزُوْل	٢٨
٧	الأَسْبَابُ العَامَّةُ لِنُزُوْلِ القُرْآن	٢٨
٨	**الفَصْلُ الأَوَّل: فِيْ عِلْم الجَدَل**	٣٠
٩	المُشْرِكُوْنَ وَضَلَالَاتُهُمْ	٣٤

١٠	شَعَائِر المِلَّة الإبْرَاهِيْمِيَّة	٣٥
١١	الفِطْرَة ومَا هِيَ وَخِصَال الفطرة (التعليق)	٣٥
١٢	شَرَائِعُ المِلَّة الإبْرَاهِيْمِيَّة	٣٦
١٣	عَقَائِدُ المِلَّة الإبْرَاهِيْمِيَّة	٣٧
١٤	ضَلَالُ الْمُشْرِكِيْنَ	٣٧
١٥	بَيَانُ الشِّرْكِ	٣٨
١٦	تَوحِيدُ الألوهِيَّة وتَوحِيْد الرُّبُوْبيَّة (التعليق)	٣٨
١٧	الصِّفَات المُخْتَصَّة(التعليق)	٣٩
١٨	تَوْحِيْدُ الرُّبُوْبِيَّة	٣٩
١٩	بَيَان التَّشْبِيْه	٤١
٢٠	الفَرْق بَيْن الشِّرْك وَالتَّشبِيْه(التعليق)	٤١
٢١	بَيَان التَّحْرِيْفِ	٤٢
٢٢	جُحُوْد الآخِرَةِ	٤٣
٢٣	إِسْتِبْعَاد رِسَالَة النَّبِيّ ﷺ	٤٣
٢٤	نَمُوْذَج المُشْرِكِيْنَ	٤٤
٢٥	كَيْفَ الرَدُّ عَلىٰ ضَلَالَاتِهِمْ	٤٥
٢٦	رَدُّ الإشْرَاك	٤٥
٢٧	وَرَدُّ التَّشْبِيْهِ	٤٧
٢٨	وَرَدُّ التَّحْرِيْف	٤٨

٢٩	وَرَدُّ اِسْتِبْعَاد الحَشْر وَالنَّشْر	٤٨
٣٠	الرَّدُّ عَلىٰ مُنْكِرِي الرِّسَالَة	٤٩
٣١	**اَلْيَهُوْدُ وَضَلَالَاتُهُمْ**	٥١
٣٢	بَيَانُ التَّحْرِيْف	٥٣
٣٣	أَمْثِلَةُ التَّحْرِيْفِ الْمَعْنَوِيّ	٥٦
٣٤	بَيَانُ كِتْمَانِ الآيَاتِ	٥٩
٣٥	أَمْثِلَتُهُ	٦٠
٣٦	بَيَانُ الافْتِرَاءِ	٦١
٣٧	مَا هُوَ سَبَبُ التَّقْصِيْر	٦٣
٣٨	العَصَبِيَّةُ الشَّدِيْدَةُ مِنْ أَسْبَابِ الاسْتِبْعَادِ	٦٣
٣٩	**تَوْضِيْحُ بَعْضِ أَسْبَابِ الاسْتِبْعَاد**	٦٤
٤٠	مَا هُوَ السَّبَب فِيْ اخْتِلاف شَرَائِع الأَنْبِيَاء	٦٤
٤١	اِخْتِلاف الشَّرَائِع كَاخْتِلاف وَصَفَاتِ الطَّبِيْبِ	٦٥
٤٢	أُنْمُوْذَجُ اليَهُوْد	٦٥
٤٣	**النَّصَارٰى وَضَلَالَاتُهُمْ**	٦٦
٤٤	عَقِيْدَة التَّثْلِيْث وَالرَّدُّ عَلَيْهَا	٦٧
٤٥	أُنْمُوْذَجُ النَّصَارٰى	٧١
٤٦	عَقِيْدَةُ مَصْلُوْبِيَّةِ المَسِيْحِ وَالرَّدُّ عَلَيْهَا	٧١
٤٧	تَحْرِيْفُهُمْ فِيْ بِشَارَةِ الفَارْقَلِيْط	٧٢

٤٨	**المُنَافِقُوْنَ أَقْسَامُهُمْ وَأَنْوَاعُهُمْ**	٧٣
٤٩	نِفَاقُ الاعْتِقَاد وَنِفَاقُ العَمَلِ	٧٣
٥٠	مَظَاهِرُ نِفَاق العَمَلِ	٧٤
٥١	الكَلامُ حَوْلَ قِسْمَي النِّفَاق	٧٦
٥٢	الغَرَضُ مِنْ ذِكْرِ أَحْوَال المُنَافِقِيْنَ فِي القُرْآن العَظِيْم	٧٧
٥٣	نَمُوْذَجُ المُنَافِقِيْنَ	٧٨
٥٤	**القُرْآنُ كِتَابُ كُلِّ عَصْرٍ**	٧٨
	فُصُوْلٌ فِيْ: بَقِيَّة مَبَاحِث العُلُوْم الخَمْسَة	
٥٥	**الفَصْلُ الثَّانِيْ فِيْ بَيَان التَذْكِيْر بِآلاءِ اللهِ**	٧٩
٥٦	إِثْبَاتُ الذَّاتِ وَبَيَانُ الصِّفَات	٨٠
٥٧	صِفَاتُهُ تَعَالىٰ تَوْقِيْفِيَّةٌ	٨١
٥٨	أُسْلُوْبُ التَّذْكِيْرِ بِآلائِهِ تَعَالىٰ وَآيَاتِ قُدْرَتِه	٨١
٥٩	**الفَصْلُ الثَّالِثُ فِيْ بَيَانِ التَّذْكِيْر بِأَيَّامِ اللهِ**	٨٣
٦٠	مَا هُوَ الغَرَضُ الأَسَاسِيْ مِنْ ذِكْرِ القِصَص	٨٤
٦١	القِصَصُ المُتَكَرِّرَةُ فِي القُرْآن	٨٥
٦٢	مَا ذُكِرَتْ مِنَ القِصَصِ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ فَقَطْ	٨٩
٦٣	**الفَصْلُ الرَّابِعُ فِيْ بَيَانِ التَّذْكِيْر بَالْمَوْتِ وَمَا بَعْدَهُ**	٩١
٦٤	**الفَصْلُ الخَامِسُ فِي عِلْمِ الأَحْكَام**	٩٣

٦٥	دَوْرُ التَّشرِيْعِ الإِسْلَامِيِّ فِيْ إِصْلاحِ المِلَّةِ الحَنِيْفِيَّةِ	٩٣
٦٦	الأَحْكَامَاتُ المُخْتَلَّةُ، وَإِصْلَاحُ المِلَّةِ الحَنِيْفِيَّةِ المُحَرَّفَةِ:	٩٥
٦٧	آيَاتُ الأَحْكَامِ	٩٦
٦٨	التَّعْرِيْضَاتُ المُتَعَلِّقَةُ بِأَسْبَابِ النُّزُوْلِ	٩٨
٦٩	أَمْثِلَةُ التَّعْرِيْضَاتِ	١٠٠
٧٠	مَلْحُوْظَةٌ فِيْ آيَاتِ التَّعْرِيْضِ	١٠٣
	البَابُ الثَّانِيْ	
٧١	البَابُ الثَّانِيْ فِيْ بَيَانِ وُجُوْهِ الخَفَاءِ	١٠٧
٧٢	فِيْ مَعَانِيْ نَظْمِ القُرْآنِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى أَهْلِ هٰذَا العَصْرِ، وَإِزَالَةِ ذٰلِكَ الخَفَاءِ بِأَوْضَحِ بَيَانٍ	١٠٧
٧٣	مَنْهَجُ الرَّسُوْلِ فِيْ التَّفْسِيْرِ	١٠٨
٧٤	التَّفْسِيْرُ فِيْ عُصُوْرِ التَّدْوِيْنِ	١٠٩
٧٥	التَّفْسِير فِيْ عَهْد النَّبِيِّ ﷺ(التعليق)	١٠٩
٧٦	التَّفْسِيْر فِي عَهْد الصَّحَابَة(التعليق)	١٠٩
٧٧	التَّفْسِير فِي عهْد التَّابِعِيْن(التعليق)	١١٠
	أَسْبَابُ الصُعُوْبَةِ	
٧٨	أَسْبَابُ الصُعُوْبَةِ	١١٣
٧٩	الفَصْل الأَوَّل: فِيْ السَّبَبِ الأَوَّل مِنْ أَسْبَاب الصُّعُوْبَة	١١٥

٨٠	شَرْح غَرِيْب القُرْآن	١١٥
٨١	مَبْحَثُ طَرِيْقِ السَّلَفِ فِيْ شَرْحِ الغَرِيْب	١١٧
٨٢	**الفَصْل الثَّانِيْ: فِيْ السَّبَبِ الثَّانِيْ مِنْ أَسْبَابِ الصُّعُوْبَةِ**	١٢٠
٨٣	مَعْرِفَةِ النَّاسِخِ وَالمَنْسُوْخ	١٢٠
٨٤	مَا هُوَ مَعْنَى النَّسْخِ عِنْدَ المُتَقَدِّمِيْنَ	١٢١
٨٥	الآيَاتُ المَنْسُوْخَةُ عِنْدَ المُتَقَدِّمِيْنَ	١٢٤
٨٦	عَدَدُ الآيَاتِ المَنْسُوْخَةِ عِنْد المُتَأَخِّرِيْن	١٢٥
٨٧	**الفَصْلُ الثَّالِثُ فِيْ السَّبَبِ الثَّالِثِ مِنْ أَسْبَابِ الصُّعُوْبَة**	١٤٨
٨٨	مَعْرِفَة أَسْبَاب النُّزُوْل	١٤٨
٨٩	مَعْنى "نَزَلَتْ فِيْ كَذَا" عِنْدَ المُتَقَدِّمِيْنَ	١٤٩
٩٠	الرِوَايَاتُ الَّتِيْ لَيْسَ لَهَا مَدْخَلٌ فِيْ كَوْنِهَا أَسْبَاب النُّزُوْل	١٥٢
٩١	شَرْطُ المُفَسِّرِ فِيْ بَابِ أَسْبَاب النُّزُوْل	١٥٤
٩٢	حُكْمُ الإِسْرَائِيْلِيَّات	١٥٥
٩٣	أَنْوَاع شَرائِع مَنْ قَبْلنا مِمَّا (التعليق)	١٥٦
٩٤	العِبْرَةُ بِعُمُوْمِ اللَّفْظِ، لا بِخُصُوْصِ السَّبَبِ	١٥٧
٩٥	الأمثلة والأحكام المتعلقة بالأقسام المذكورة (التعليق)	١٥٧
٩٦	الأَصْلُ: إِبْقَاءُ المُطْلَقِ عَلىٰ إِطْلَاقِهِ	١٥٩
٩٧	مَا هِيَ مِنْ قَبِيْل أَسْبَابِ النُّزُوْلِ العَامَّةِ	١٥٩

٩٨	**مِنْ مَنَاهِجِ الصَّحَابَةِ فِيْ التَّفْسِيْر**	١٦١
٩٩	قَدْ يَفْرُضُوْنَ السُّؤَالَ وَالجَوَابَ فِي التَّفْسِيْر	١٦١
١٠٠	قَدْ يُرِيْدُوْنَ التَّقَدُّمَ وَالتَّأَخُّر الرُّتْبِي لا الزَّمَانِي	١٦٣
١٠١	فَذْلَكَةُ الكَلَامِ	١٦٤
١٠٢	**فَنٌّ مِنْ فُنُوْنِ التَّوْجِيْهِ**	١٦٥
١٠٣	مَا هُوَ مَوْقِفُ المُفَسِّرِ عِنْدَ التَّعَارُضِ بَيْنَ الآيَاتِ	١٦٥
١٠٤	أَمْثِلَة التَّوْجِيْهِ	١٦٦
١٠٥	مَلْحُوْظَةٌ فِيْ ذِكْرِ شَرْحِ الغَرِيْبِ وَأَسْبَابِ النُّزُوْل	١٦٨
١٠٦	إِفْرَاطُ بَعْضِ المُفَسِّرِيْنَ فِيْ هٰذَا البَابِ	١٦٨
١٠٧	**الفَصْل الرَّابِع** **فِي بَقِيَّة مَبَاحِثِ البَابِ الثَّانِيْ**	١٦٩
١٠٨	السَّبَبُ الرَّابِعُ مِنْ أَسْبَابِ الصُّعُوْبَةِ الحَذْفُ	١٦٩
١٠٩	الأَدَوَاتُ الَّتِيْ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا المُفَسِّرُ فِيْ بَابِ الحَذْف	١٧٨
١١٠	اِسْتِعْمَالُ كَلِمَةِ "إِذْ" فِيْ مَعْنَى التَّخْوِيْفِ وَالتَّهْوِيْل	١٨٠
١١١	حَذْف الجَار	١٨١
١١٢	حَذْفُ جَوَابِ الشَّرْطِ فِيْ مَقَامَ التَّعَجُّبِ	١٨١
١١٣	**السَّبَبُ الخَامِسُ مِنْ أَسْبَابِ الصُّعُوْبَةِ**	١٨٢
١١٤	إِبْدَالُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ	١٨٢
١١٥	مِنْ قَبِيْلِ إِحْلَالِ فِعْلٍ مَحَلَّ فِعْلٍ آخَرَ	١٨٢

١١٦	الإحلال والإيثار(التعليق)	١٨٢
١١٧	أنواع الإيثار(التعليق)	١٨٤
١١٨	مِنْ قَبِيْلِ إحْلَالِ اسْمٍ مَحَلَّ اسْمٍ آخَرَ	١٨٦
١١٩	مِنْ قَبِيْلِ إحْلَالِ حَرْفٍ مَحَلَّ حَرْفٍ آخَرَ لِتَقَارُبِ المَعْنىٰ	١٩٠
١٢٠	مِنْ قَبِيْلِ إحْلَالِ جُمْلَةٍ مَحَلَّ جُمْلَةٍ أُخْرَى	١٩٣
١٢١	مِنْ قَبِيْلِ إحْلَالِ التَّعْرِيْفِ مَحَلَّ التَّنْكِيْرِ	١٩٥
١٢٢	مِنْ قَبِيْلِ إحْلَالِ المُذَكَّرِ أوِ المُؤَنَّث مَحَلَّ الآخَرِ	١٩٦
١٢٣	مِنْ قَبِيْلِ إحْلَالِ المُفْرَد مَحَلَّ التَّثْنِيَة	١٩٧
١٢٤	مِنْ قَبِيْلِ إحْلَالِ الشَّرْط وَالجَزَاء وَجَوَابِ القَسْم مَحَلَّ جُمْلَةٍ مُسْتَقِلَّة	١٩٨
١٢٥	مِنْ قَبِيْلِ إحْلَالِ الخِطَاب مَحَلَّ الغَيْبَة	١٩٩
١٢٦	مِنْ قَبِيْلِ إحْلَال الإخْبَارِ مَحَلَّ الإنْشَاء، وَبِالعَكْس	٢٠٠
١٢٧	**السَّبَبُ السَّادِسُ مِنْ أَسْبَابِ الصُّعُوْبَةِ**	٢٠٢
١٢٨	التَّقْدِيْمُ وَالتَّأْخِيْر، وَالتَّعَلُّقُ بِالبَعِيْد وَمَا شَابَهَهُمَا	٢٠٢
١٢٩	وَالتَّعَلُّق بِالبَعِيْد أيْضا مِمَّا يُوْجِبُ الصُّعُوْبَة فِي الكَلام، وَكَذٰلِكَ مَا يَكُوْنُ مِنْ هٰذَا القَبِيْل، نَحْوُ:	٢٠٤
١٣٠	**السَّبَبُ السَّابِعُ مِنْ أَسْبَابِ الصُّعُوْبَة: الإطْنَابُ وَالتَّكْرَار**	٢٠٧
١٣١	صُوَرُ الإطْنَاب بِالزِّيَادَةِ	٢٠٧

١٣٢	إطْنَابُ الزِّيَادَةِ بِالصِّفَة	٢٠٨
١٣٣	إطْنَابُ الزِّيَادَةِ بِالبَدَل	٢٠٨
١٣٤	إطْنَابُ الزِّيَادَةِ بِالعَطْف التَّفْسِيْرِي	٢٠٨
١٣٥	إطْنَابُ الزِّيَادَةِ بِالتَّكْرَار	٢٠٩
١٣٦	الإطْنَابُ بالأحْرُفِ الزَّائِدَةِ، ومنها: حَرْفُ الجَرّ	٢١٢
١٣٧	الإطْنَابُ بِالتَّاكِيْدِ، وَمِنْهَا: وَاوُ الاتِّصَال	٢١٣
١٣٨	أقْوَالُ المُحَقِّقين فِيْ وَاوِ الاتِّصَال	٢١٥
١٣٩	**السَّبَبُ الثَّامِنُ مِنْ أسْبَابِ الصُّعُوْبَة**	٢١٦
١٤٠	انْتِشَارُ الضَّمَائِر، وَتَعَدُّدُ المُرَادِ مِنَ اللَّفْظَةِ الوَاحِدَة	٢١٦
١٤١	تَعَدُّدُ المُرَادِ مِنْ اللَّفْظَةِ الوَاحِدَة، وَمَا هُوَ مِنْ قَبِيْل الوُجُوْه وَالنَّظَائِر	٢١٧
١٤٢	مَا هِيَ مِنْ قَبِيْلِ تَعَدُّدِ المُرَادِ مِنْ اللَّفْظَةِ الوَاحِدَة	٢١٨
١٤٣	الخلاف في وقوع الترادف في القرآن (التعليق)	٢٢٠
١٤٤	انْتِشَارُ الآيَاتِ	٢٢١
١٤٥	**الفَصْلُ الخَامِسُ فِيْ السَّبَبِ التَّاسِعِ مِنْ أسْبَابِ الصُّعُوْبَة**	٢٢٢
١٤٦	**المُحْكَم، وَالمُتَشَابِه**	٢٢٢
١٤٧	مَلْحُوْظَةٌ فِيْ المُحْكَم	٢٢٢
١٤٨	المُتَشَابِهُ	٢٢٣

١٤٩	مَلْحُوْظَةٌ فِيْ الْمُتَشَابِهِ	٢٢٣
١٥٠	الجدول فيما وصف به القرآن(التعليق)	٢٢٥
١٥١	أَنْوَاعٌ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ النِّسْبِيَّة	٢٢٦
١٥٢	مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ النِّسْبِيَّةِ: الكِنَايَةُ	٢٢٦
١٥٣	مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ النِّسْبِيَّة: الاسْتِعَارَة التَّمْثِيْلِيَّة	٢٢٨
١٥٤	نَظِيْرُ الاسْتِعَارَةِ فِي العُرْف	٢٢٩
١٥٥	وَالتَّعْرِيْضُ أَيْضًا مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ النِّسْبِيَّة	٢٣٠
١٥٦	وَالمَجَاز العَقْلِي أَيْضًا مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ النِّسْبِيَّة	٢٣١
	الباب الثالث	
١٥٧	الباب الثالث فِيْ بَيَان لَطَائِف نَظْم القُرْآن، وَشَرْح أَسْلُوْبه البَدِيْع	٢٣٥
١٥٨	الفَصْل الأَوَّل: نُزُوْلُ القُرْآنِ وَجَمْعُهُ وَتَرْتِيْبُهُ	٢٣٥
١٥٩	الفَائدة الهامَّة فِي المنَاسَبَة بَيْن الآيَات والسُّوَر (التعليق)	٢٣٥
١٦٠	جَمْعُ القُرْآنِ	٢٣٦
١٦١	تَقْسِيْمُ السُّوَر	٢٣٧
١٦٢	الجَمْعُ العُثْمَانِي	٢٣٨
١٦٣	أَسَالِيْبُ السُّوَرِ	٢٣٨
١٦٤	البَرَاعَةُ المُعْجِزَةُ فِيْ اسْتِهْلَال السُّوَر عَلى أَسْلُوْبِ الفَرَامِيْن	٢٣٨

١٦٥	البَرَاعَةُ المُعْجِزَةُ فِيْ حُسْنِ الانْتِهَاء	٢٤٢
١٦٦	البَرَاعَةُ المُعْجِزَةُ فِيْ حُسْنِ التَّخَلُّصِ	٢٤٣
١٦٧	صَنْعَةُ الاسْتِطْرَادِ وَالتَّخَلُّص	٢٤٤
١٦٨	الفَصْلُ الثَّانِيْ: فِيْ تَقْسِيْمِ السُّوَرِ إِلَى الآيَاتِ، وَأَسْلُوْبِهَا الفَرِيْد	٢٤٥
١٦٩	الفَرْقُ بَيْن الآيَات وَالأَبْيَات	٢٤٥
١٧٠	جدول التفاعيل (التعليق)	٢٤٧
١٧١	التَّمَتُّعُ وَالالْتِذَاذُ بِالكَلامِ المُتَوَافِقِ هِيَ الفِطْرَةُ	٢٤٨
١٧٢	المَذَاهِبُ المُخْتَلِفَةُ فِيْ تَوَافُقِ الأَجْزَاءِ	٢٥٠
١٧٣	مُلاحَظَاتٌ فِيْ الكَلامِ المَنْظُوْمِ	٢٥١
١٧٤	الشِّعْرُ العَرَبِّي وَالتَّغَنُّم بِهَا	٢٥١
١٧٥	أَشْعَارُ العَجَمِ وَالتَّغَنُّمُ بِهَا	٢٥٣
١٧٦	القُرْآن كَلام مُتَوَازِنٌ، لا مَوزُوْنٌ	٢٥٤
١٧٧	الأَمْرُ المُشْتَرَكُ هُوَ التَّوَافُقُ التَّقْرِيْبِيُّ	٢٥٤
١٧٨	القَدْرُ المُشْتَرَكُ بَيْنَ الآيَاتِ وَالأَبْيَات	٢٥٥
١٧٩	إِبْدَاعُ الفَوَاصِلِ -عِنْدَ الامْتِدَادِ النَّفَسِيِّ- هُوَ الوَزنُ فِي القُرْآن	٢٥٩
١٨٠	مصطلحات هذا الباب(التعليق)	٢٥٩
١٨١	الفَرْق بَيْن الكَلَام المَنظُوْم وَالمَنثُوْر (التعليق)	٢٦١
١٨٢	مُلَاحَظَات فِي مُحَسِّنَات الفَوَاصِل(التعليق)	٢٦١

١٨٣	الفَوَاصِلُ القُرْآنِيَّةُ	٢٦٣
١٨٤	تَحْقِيقُ التَّنَاغُمِ وَالتَّرَنُّمِ بِحُرُوْفِ المَدَّةِ	٢٦٣
١٨٥	أَكْثَرُ فَوَاصِلِ القُرْآنِ	٢٦٦
١٨٦	تَكْرِيْرُ الفَوَاصِلِ	٢٦٦
١٨٧	تَنَوُّعُ الفَوَاصِل	٢٦٨
١٨٨	اهْتِمَامُ القُرْآنِ بِإِيْقَاعِ الفَوَاصِلِ	٢٦٩
١٨٩	صُوَرٌ مِنَ الإِحْلَالِ وَالإِيْثَارِ	٢٧٠
١٩٠	تَنَوُّعُ القَرَائِنِ وَالفِقَرِ	٢٧٢
١٩١	مَلْحُوْظَةٌ: فِيْ الآيَاتِ القَصِيْرَة	٢٧٣
١٩٢	التَّشْرِيْعُ كَمَا يَكُوْنُ فِيْ الشِّعْرِ يَكُوْنُ فِيْ النَّظْمِ أَيْضًا	٢٧٤
١٩٣	تَقَابُلُ الحُسْنِ الظَّاهِرِيِّ مَعَ الحُسْنِ البَاطِنِّي	٢٧٥
١٩٤	مَلْحُوْظَةٌ: فِيْ مُرَاعَاةِ أُسْلُوْبِ التَّخَاطُبِ وَالتَّحَاوُرِ	٢٧٦
١٩٥	التَّنَاغُمُ مِنْ أَسْرَارِ إِعْجَازِ القُرْآن	٢٨٠
١٩٦	مَلْحُوْظَةٌ فِيْ اخْتِيَار الأَوْزَان الجَدِيْدَة وَالقَوَافِي البَدِيْعِيَّة	٢٨٠
١٩٧	الفَصْلُ الثَّالِثُ فِي: وَجْهِ التَّكْرَارِ فِي العُلُوْمِ الخَمْسَة، وَعَدَمِ التَّرْتِيْبِ فِيْ بَيَانِهَا	٢٨٣
١٩٨	الفَصْلُ الرَّابِعُ فِي وُجُوْهِ إِعْجَازِ القُرْآنِ الكَرِيْم	٢٨٥

البَاب الرَّابع

١٩٩	**البَاب الرَّابع فِيْ: بَيَان فُنُوْن التَّفْسِيْر وَتَوْضِيْح الاخْتِلاف الوَاقِع فِيْ تَفَاسِيْر الصَّحَابَة وَالتَّابِعِيْن**	٢٩٣
٢٠٠	مُقَدِّمَةٌ فِيْ فُنُوْنِ التَّفْسِيْر المُدَوَّن	٢٩٣
٢٠١	التَّفْسِير فِيْ عُصُوْر التَّدْوِيْن(التعليق)	٢٩٤
٢٠٢	مَا مَنَّ اللهُ بِهِ عَلَيَّ فِيْ عِلْمِ التَّفْسِيْر	٢٩٧
٢٠٣	**الفَصْلُ الأَوَّلُ بَيَان الآثَار المَرْوِيَّة فِيْ تَفَاسِيْر أَصْحَابِ الحَدِيْث، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا**	٢٩٩
٢٠٤	١- مَا يَتَعَلَّق بِالمُحَدِّثِيْن مِنْ ثَلاثَةِ أُمُوْرٍ عِنْد رِوَايَة الآثَار	٢٩٩
٢٠٥	الأَمْر الأَوَّل فِيْ مُلَاحَظَاتِ أَسبَابِ النُّزُولِ	٢٩٩
٢٠٦	السَّبَبُ الخَاصُّ	٣٠٠
٢٠٧	السَّبَبُ العَامُّ	٣٠١
٢٠٨	بَحْثُ اخْتِلافِ السَّلَفِ فِيْ شَانِ النُّزُوْل	٣٠١
٢٠٩	الإِيْمَانُ بِظَاهِرِ التَّنْزِيْل فَرْضٌ، وَمَاعَدَاهُ فَمَوْضُوْعٌ عَنَّا	٣٠٢
٢١٠	النُّكْتَتَانِ فِيْ سَبَب النُّزُوْل	٣٠٣
٢١١	أَسْبَابُ الاخْتِلافِ فِيْ تَفْسِيْر السَّلَف (تعليق)	٣٠٤
٢١٢	الاجْتِنَابُ عَنِ الإِسْرَائِيْلِيَّاتِ	٣٠٧
٢١٣	بَيَانُ المُجْمَل وَتَخْصِيْصُ العَامِّ	٣٠٨

٢١٤	**الأمْر الثَّانِي: فِي التَّرْجِيْح عِنْد شَرْح الغَرِيْب**	٣١١
٢١٥	بَحْثُ اِخْتِلافِ السَّلَفِ فِيْ شَرْجِ الغَرِيْبِ	٣١١
٢١٦	اسْتِنْبَاطَاتُ الإمَامِ فِيْ شَرْح الغَرِيْب	٣١٣
٢١٧	**الأمْر الثَّالِث: اخْتِلاف المُفَسِّرِيْن فِيْ مَعْنَى النَّسْخ**	٣١٤
٢١٨	رُبَمَا يُجْعَلُ الإجْمَاع عَلامَةً للنَّسْخ	٣١٤
٢١٩	أُمُوْرٌ أخَرُ يَذْكُرُوْنَهَا فِي التَّفَاسِيْر	٣١٥
٢٢٠	**الفَصْلُ الثَّانِيْ بَقِيَّة لَطَائِفِ هٰذَا البَاب**	٣١٦
٢٢١	**٢ مَا يَتَعَلّق بِالفُقَهَاء عِنْد اسْتِنْبَاط الأحْكَام**	٣١٦
٢٢٢	مِنْ بَابِ تَفْسِيْرِ القُرْآن بالرَّأيِ المَمْدُوْحِ: بَحْثُ اسْتِنْبَاطِ الأحْكَام	٣١٦
٢٢٣	التَّفسِيرُ بالرَّأيِ وحُكمُهُ (التعليق)	٣١٦
٢٢٤	التَّوْجِيهُ فِيْ تَفْسِيْرِ القُرْآنِ الكَرِيْمِ	٣١٨
٢٢٥	فَعُمْدَة التَّوْجِيْه	٣٢٠
٢٢٦	أنْوَاع التَّوْجِيْه	٣٢١
٢٢٧	**٣- مَا يتعلّق بِالمُتكَلِّمِيْنَ فِيْ تَأوِيْل آيَات الصِّفَات**	٣٢٤
٢٢٨	بَحْثُ غُلُوِّ المُتَكَلِّمِيْن	٣٢٤
٢٢٩	التَّأوِيْل وَالتَّفْوِيْض فِيْ المُتَشَابِهَات (تعليق)	٣٢٥
٢٣٠	مَا هُوَ مِن قَبِيلِ التَّدَارُؤِ بِالقُرْآن	٣٢٦
٢٣١	**٤ - مَا يتعلّق بِالنُّحَاة اللُّغَوِيِّيْن فِي اعْرَاب القُرْآن وَلُغَته**	٣٢٧

٢٣٢	٥- مَا يتَعلَّق بِالأُدَبَاء فِيْ ذِكْر النِّكَات المُتَعلَّقة بِالمَعَانِي وَالبَيَان	٣٢٨
٢٣٣	٦- مَا يتَعلَّق بِالصُّوفِيَّة فِيْ ذِكْر النِّكَات المُتعَلّقَة بِعِلْم السُّلُوْك	٣٢٩
٢٣٤	مَا هُوَ مِنْ قَبِيلِ التَّفْسِيْر بِالإِشَارَةِ	٣٢٩
٢٣٥	فَنُّ الاعْتِبَار	٣٣٠
٢٣٦	الاعْتِبَارُ وَالاسْتِنْبَاطُ (التعليق)	٣٣٠
٢٣٧	الفَصْلُ الثَّالِثُ في بَيَانِ غَرَائِبِ القُرْآنِ الكَرِيْم	٣٣٢
٢٣٨	ظَهْرُ القُرْآنِ وَبَطْنُهُ	٣٣٤
٢٣٩	الفَصْلُ الرَّابع فِيْ بَيَانِ بَعْضِ العُلُوْمِ الوَهَبِيَّة	٣٣٥
۞	فهرس الكتاب	٣٣٨

كَيْفَ يُمْكِنُ لَنَا التَّدَبُّرُ فِيْ كِتَابِهِ المَجِيْد

١- مَا هُوَ مَوْضوعُ هٰذِهِ السُّوْرةِ إجمالا، وَمَا هِيَ مِنْ مَقَاصِدِهَا.

٢- مَا هُوَ التَّفْسِيْرُ الإجْمَالِي لِهٰذِهِ الآيَة.

٣- مَا هُوَ سَبَب النُّزُوْلِ مِنَ الأَسْبَابِ العَامَّة؛ وَهَلْ فِيْهَا تَعْرِيْض يَدُلُّ عَلىٰ سَبَب خَاص لِنُزُوْلِهَا.

٤- مَا فِيْهَا مِنَ العُلوْمِ الخَمْسَة المَنْصوْصَة؛ وَمَا فِيْها مِنْ تَذْكِيْرٍ وَعِبَرٍ بِذِكْرِ آلاءِ اللهِ أَوْ بِأيَّامِ اللهِ أَوْ بِالمَوْتِ وَمَا بَعْدَه لِتَتَذَكَّر بِهِ.

٥- هَلْ فِيْهَا مِن مُعْتَقَدَات أَهْل المَذَاهِب البَاطِلَة مِنَ اليَهُوْد وَالنَّصَارىٰ وَالمُشْرِكِيْن وَأَعْمَالِهِمْ، وَبِأيِّ أُسْلُوْبٍ رَدّ القرآنُ مُعْتَقَدَاتِهِمْ الوَاهِيَة مِنْ عِلْمِ الجَدَل.

٦- مَا هِيَ الأَحْكَام الَّتِيْ نَفقَه وَنَسْتَنْبِط مِنْ هٰذِهِ الآيَة مِنْ عِلْمِ الأَحْكَام.

٧- مَا مَعَانِي الأَلْفَاظِ المُفْرَدَة المُسْتَعْمَلَة فِيْ هٰذِهِ الآيَة، وَمَا تَحْقِيْقُهَا لُغَة وَصَرْفًا وَاشْتِقَاقا؛ وَمَا هِيَ كَيْفِيَّة الدَّلَالَة مِنَ الحَقِيْقَة أَو الالْتِزَام.

٨- هَلْ فِيْهَا مِنَ الأَلْفَاظ المُتَرَادِفة أَوِ المُتقَارِبَة، وَهَلْ فِيْها مَا يُعَدّ مِنَ الغَرِيْب.

٩- عَرِّفْ وُجُوْه التَّرَاكِيْب مَعْرِفَة إِجْمَالِيَّة، وَاشْرَح الإِعْرَاب الَّذِيْ يَتوقَّفُ عَلَيْه تَحْدِيْد المَعْنىٰ.

١٠- بَيِّنْ الوُجُوْه البَلاغِيّة مِنَ المَعَانِي وَالبَيَان وَالبَدِيْع، وَمَا فِيْهَا مِنْ: رِعَايَة مُقْتَضَى الحَال المَذْكُوْرَة فِي المَعَانِي -بِحَسَب أَبْوَابِهَا الثَّمَانِيَة مِنْ أَحْوَال جُزْء الكَلَام وَالجُمْلَة[1] وَالجمَل المُتعدِّدَة-؛ وَأُسْلُوْب البَيَان مِنَ التَّشْبِيْه وَالاسْتِعَارة وَالمَجَاز وَالكِنَايَة؛ وَمَا هِيَ مِنْ صَنَائِع الكَلَام بِحَسَب المُحَسِّنَات البَدِيْعِيَّة.

١١- بَيِّنْ مَا فِيْهَا مِنْ إِيْجَاز الحَذْف، وَوَضِّحْ مَا فِيْهَا مِنْ إِيْجَاز القِصَر.

١٢- مَا هِيَ العَلَاقَة بَيْن أَوَّل الآيَة وَآخِرهَا، وَمَا هِيَ المُنَاسَبة بَيْن مَضمُوْن الآيَة وَبَيْن أَسْمَاء الله الحُسنىٰ المَذْكُوْرَة فِي الآيَة.

١٣- عَلىٰ أيِّ فَاصِلَة تُبْنَى الآيَة.

١٤- مَا هِيَ الخَوَاصّ الَّتِي تَتَعَلَّق بِالنَّظْم، وَيَرْتَفِع بِهَا شَأْن الكَلَام فِيْ هٰذِهِ الآيَة.

١٥- مَا وَجْه التَّكْرَار فِيْمَا جَاءَ مُكَرَّرا مِنَ الأَلْفَاظ وَالآيَات وَالقِصَص.

١٦- أَهِيَ مِنْ قَبِيْل المُحْكَم أَمْ مِنَ المُتَشَابِه.

١٧- هَلْ هِيَ مِنْ قَبِيْل المَنسُوْخَة الَّتِيْ ذَكَرَهَا السُّيُوْطِي وَالإِمَام المُحَدِّث الدِّهْلَوِي.

١٨- مَا تَفْسِيْر هٰذِهِ الآيَة مِنْ قَبِيْل التَّفْسِيْر بِالرِّوَايَة وَبِالدِّرَايَة وَبِالإِشَارَة.

١٩- هَلْ فِيْهَا سَبَب مِنْ أَسْبَاب الصُّعُوْبَة الَّتِيْ لا يَتَيَسَّرُ بِهَا الفَهْم.

٢٠- مَا هِيَ المُنَاسبَة بَيْن الآيَات أَوِ السُّوَر إِنِ اقْتَضَاهَا النَّظْم وَالسِّيَاق.

٢١- مَا هِيَ المُنَاسَبَة بَيْن مَطْلَع السُّوْرَة وَخَاتِمَتِهَا.

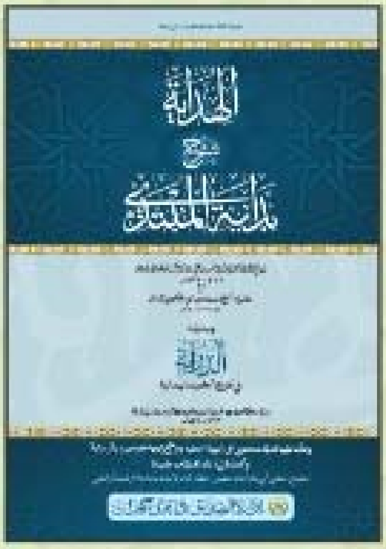

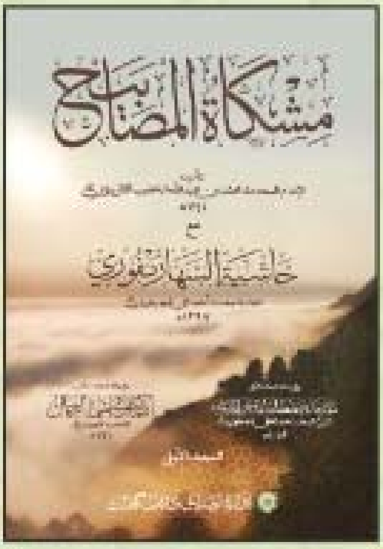

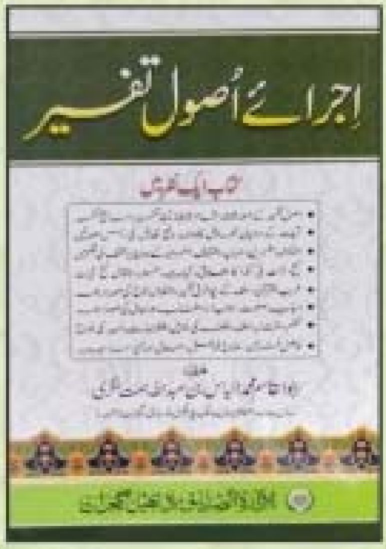

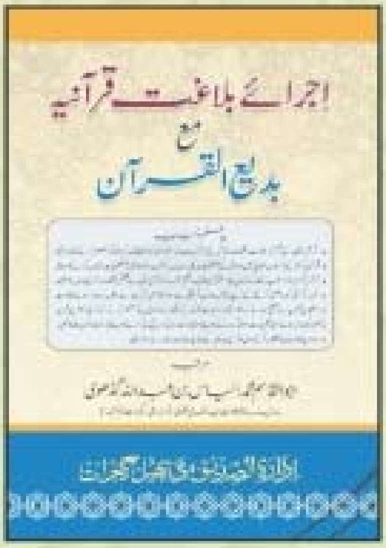

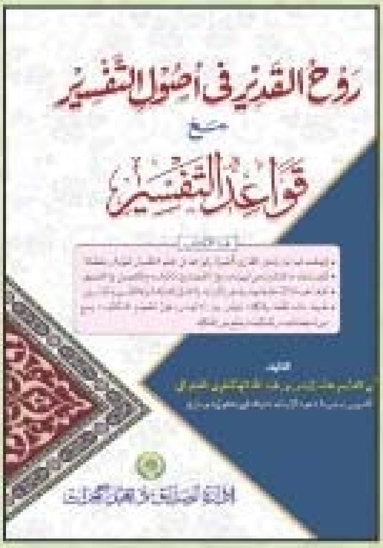

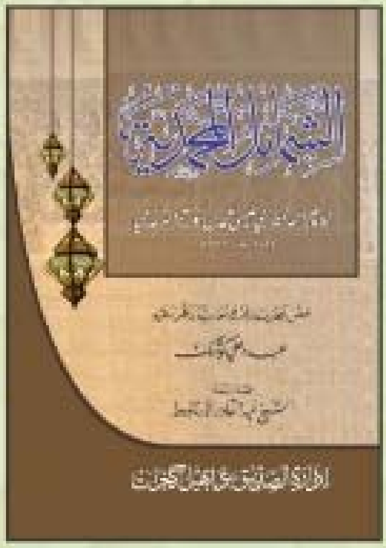

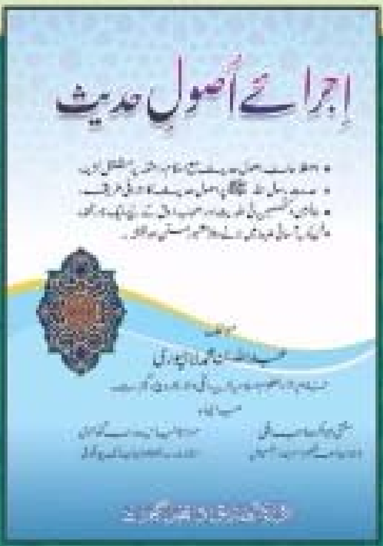

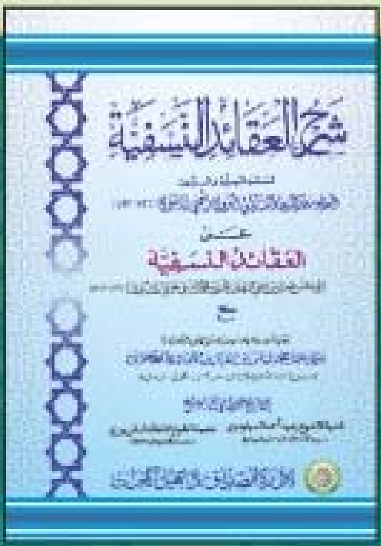

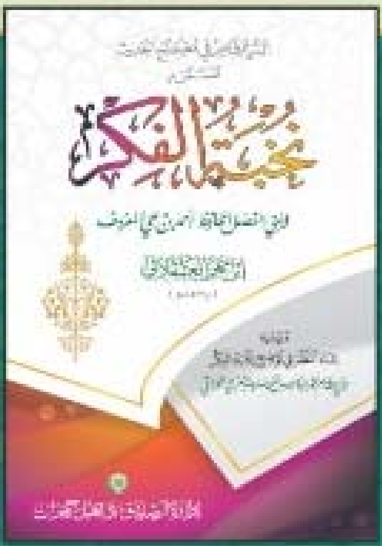

IDARATUSSIDDEEQ

P.O. DABHEL, DIST. NAVSARI, GUJRAT, INDIA (396415)

CELL & : +91 9913319190 / 9904886188

Email: idaratussiddiq@gmail.com